الهوس والتوهم والرُهاب
والعقد النفسية والمتلازمات الثقافية
في السرد الروائي العربي – دراسة تتبعية



الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ-٢٠١٧م

اسم الكتاب : الهوس والتوهم والرُهاب
والعقد النفسية والمتلازمات الثقافية
في السرد الروائي العربي – دراسة تتبعية
اسم المؤلف : د/ محمد عزب
الغلاف : محمد ضوه
الطبعة : الأولى
رقم الإيداع : ٢٠١٧/٤٢٦٤
الترقيم الدولي : ٣-٠٩٦-٧٨٦-٩٧٧-٩٧٨

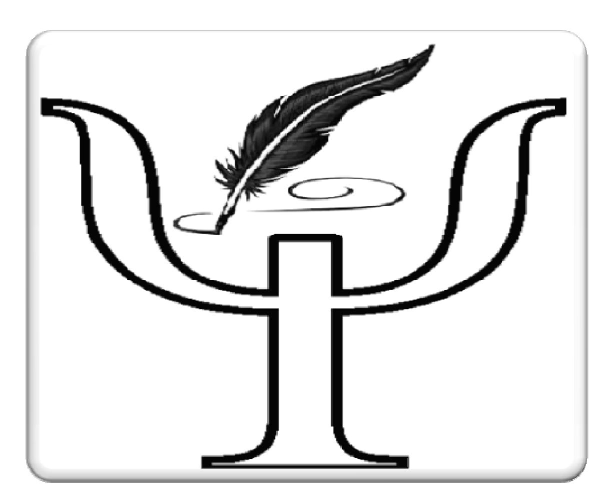
٨ عمارات الواحة – قطعة ١٠ – مدينة نصر – القاهرة
ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠
ghorabpublishing@hotmial.com

الهوس والتوهم والرُهاب
والعقد النفسية والمتلازمات الثقافية
في السرد الروائي العربي – دراسة تتبعية

Manias, Phobias, Psychological Complexes

and Cultural Syndromes

in Arabic Narration: A Tracing Study



د / محمد عزب

أستاذ مساعد الأدب الإنجليزي

جامعة شقراء – المملكة العربية السعودية



فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

قائمة الجداول

قائمة الأشكال التوضيحية

الإهداء

إلى زوجتي وأم أولادي

يحيى ويوسف وحازم، دكتورة: إيمان موسى

حين أفكر في عدد الليالي التي قضاها «شامبليون»

وهو منكب على فك رموز «حجر رشيد»،

وكم من السنين أمضاها «زهير الشايب»

وهو يعكف على ترجمة كتاب «وصف مصر»

وكم وكم وكم، أدرك أن الوقت الذي انصرم

وأنا ممسكا بقلمي لم يذهب سُدى.

توطئة

"حقًّا قد تفهم كيف يعمل مكوك الفضاء والقنبلة النووية، وكيف تتحرك الذرات وكيف تتم جراحات المخ وكيف تعيش الكائنات في أعماق سحيقة في المحيطات، لكنك لن تفهم النفس البشرية! حتى الذين عروها لم يفهموها؛ لا أدلر ولا فرويد ولا يونج ولا لاكان ولا بافلوف،[1] ولا أحد فهمها. يبتسم لك الإنسان ويضمر لك الشر، يناقش شيئا وينوي فعل آخر، يتظاهر بالاستماع إليك وعقله يحسب حسبة أخرى![2] عاهاتنا النفسية تقتلنا تمامًا مثل أمراضنا الجسمانية."[3]

"في البدء كانت الحكاية... عشت لأروي، يقول ماركيز... خلقت لأروي، أقولها، وأنا أعيش داخل الرواية، اصطحب أبطالي معي أينما حللت... أتأمل الوجوه... آخذ أرواحهم... أجمعهم من الشارع، من المترو، من المقهى، من الفيسبوك، من السهرات والاحتفالات والمناسبات الكبيرة... أصهرهم داخل مخيلتي، يخرجوا كائنات جديدة، لا تشبه النسخ الأصلية...حياة واحدة لا تكفي الروائي."[4]

---

(١) Alfred Adler, Sigmund Freud, Carl Jung, Jacques Lacan & Ivan Pavalov.

(٢) الشخص الذي يتظاهر بالهدوء الخارجي ويحاول ضبط أعصابه والتحكم في انفعالاته بينما تصطرع نفسه من الداخل يوصف بأنه حامل لأعراض "متلازمة البطة" Duck Syndromeفالبطة تبدو مستقرة على سطح الماء بينما لا تكف عن تحريك قدميها تحت الماء.

(٣) محمد عزب، أقفال العشق، دار ليليت، الإسكندرية، ٢٠١٤، ص ٥٧. في كتابها "علاقة النقد بالإبداع الأدبي" أوضحت الدكتورة "ماجدة حمود" أن لا بأس من أن يتعرض المبدع بالنقد لبعض من أعماله، وأعطت أمثلة على ذلك. (منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٤٢).

(٤) مها حسن، الروايات، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٤، ص ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠.

مقدمة

أمست العلاقة بين الأدب وعلم النفس من الأمور المسلم بها. "من نافلة القول" كما كتب "عصام بهيّ" "أن نحاول تأكيد العلاقة بين الأدب والنفس الإنسانية، فهي قضية مسلمة في غير حاجة لتأكيد أو إثبات، إذ يكفي من تساوره لحظة شك أن يلقي نظرة على أي عمل أدبي، من أي نوع، في أي لغة، وأي عصر، لأي كاتب، ليجد هذه النفس الإنسانية – ذاتا وجماعة – في وساوسها ومخاوفها، في اقتحامها وجرأتها، في بأسها وطموحها، في حبها وكراهيتها – في كلمة – في علاقتها المتشابكة مع نفسها، ومع الكون والطبيعة، ومع القوى التي تشاركها سكنى الكون، ظاهرة أو مختفية، طائعة أو مسيطرة، ومع جماعتها، وبين جماعتها والجماعات الأخرى."[(١)]

يؤكد هذا الطرح الدكتور "عز الدين إسماعيل" في افتتاحية كتابه، "التفسير النفسي للأدب"، في قوله إن "العلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات؛ لأنه ليس هناك من ينكرها. وكل ما قد تدعو الحاجة إليه هو بيان هذه العلاقة ذاتها وشرح عناصرها. على أي نحو يرتبط الأدب بالنفس؟ أيستمد الأدب من النفس أم تستمد النفس من الأدب؟[(٢)] أم أن العلاقة بينهما علاقة تبادل من التأثير والتأثر؟"[(٣)]

---

(١) الاتجاه النفسي في دراسة الأدب ونقده، مجلة فصول، المجلد ٩، العدد ٣ و٤، ص ١٣٣.

(٢) في كتابه "الأدب ومذاهبه" لم يبد الدكتور "محمد مندور" ارتياحا لأخذ علم النفس عن الأدب. (نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٤٤، ١٤٥)، أما "سيد قطب" فيرى أن "الخطر يجيء للفن من ناحية إغراق ... سمات العمل الفني في غمار التحليلات النفسية." (النقد الأدبي أصوله ومناهجه، الشروق، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٢١٦.) أما الدكتور "صلاح فضل" فيرى أن "التحليل والإجراءات التي تستخدم المنظور النفسي غالبا ما تنجح في إضاءة قطع متناثرة، وأجزاء يسيرة من النص الأدبي... هي تلك القطع والأجزاء التي تتجلى فيها عملية الإسقاط... مما لا يمثل إلا نسبة ضئيلة من العمل الأدبي ذاته" (مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٣).

(٣) دار العودة، بيروت، ١٩٦٣، ص ٥.

فمن ناحية هناك من يرى أن "الرواية بحث في النفس البشرية"(١) و"كانت شهرة بعض الروايات أو المسرحيات سببا في اتخاذ علم النفس من بعض أسماء شخوصها أو مؤلفيها عناوين لانحرافات أو اضطرابات نفسية اشتهرت بها، فالسادية Sadism نسبة إلى الماركيز دي ساد 1814 – 1740) Marquis de Sade)، الكاتب الفرنسي الذي تخصص في وصف حالات الأشخاص الذين يعانون من العنف الداخلي، ويستمدون لذة من إنزال الألم بالآخرين، كما في رواية Justine ou les Malheurs de la Vertu، والمازوخية Masochismus نسبة إلى ليوبولد فون مازوخ 1895 – 1836) Masoch)، الكاتب النمساوي الذي كانت شخوص رواياته واغلة في الجنس، وتجد لذة من معاناة الآلام يُنزلها بهم الآخرون، على عكس السادية."(٢) ومن ناحية أخرى أعطى بعض العلماء النفسيين أسمائهم لعوارض نفسية ساعدت على تحليل الشخصيات الأدبية ونخص منها مثلا "توهم كابجراس" Capgras Delusion و"توهم كوتارد"(٣) Cotard Delusion.

التحليل النفسي للأدب هو أحد مناهج النقد الأدبي التي تضم المدخل التاريخي والديني والسياسي والاجتماعي والأسطوري ...(٤)Archetypal إلى آخره.(٥)

---

(١) عبد الله إبراهيم، الرواية العربية وتفكيك الخطاب الاستعماري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص ١٧٢.

(٢) عبد المنعم الحفني، موسوعة عالم علم النفس، دار نوبليس، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٩.

(٣) أو "كوتار" بالفرنسية".

(٤) يرتبط المنهجان، الأسطوري والتاريخي، بشكل كبير بالتحليل النفسي للأدب. إن المكررات الأدبية من النموذج الأصلي تنبع بشكل كبير من وحدة التجربة الإنسانية.

(٥) حسين الحاج حسن، "النقد الأدبي في آثار أعلامه"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦، ص ٦١.

جدول رقم (١)

المناهج النقدية وأمثلة سردية عليها

المنهج	Approach	نموذج سردي
الديني	Religious	"الإغواء الأخير" لنيكوس كازانتزاكيس
السياسي	Political	"الدكتور زيفاجو" لبوريس باسترناك
الاجتماعي	Social	"عناقيد الغضب" لجون شتاينبك
التاريخي	Historical	"الحرب والسلام" لليو تولوستوي
الأسطوري	Archetypal	"عوليس" لجيمس جويس
النفسي	Psychological	"لورد جيم" لجوزيف كونراد
الفلسفي	Philosophical	"راسلس" لصمويل جونسون

ويعود الفضل في نشأة هذا المنهج الأخير إلى عالم النفس النمساوي الشهير "فرويد" Sigmund Freud الذي كان أول من ألقى الضوء على عقدتي "أوديب" و"إلكترا" Oedipus & Electra Complexes.

شكل رقم (١)

عناصر الاشتباك مع النص الروائي من وجهة نظر التحليل النفسي

دراسة شخصيات النص الروائي من الناحية النفسية وتفكيك عقدها وهواجسها في ظل معطيات مدرسة التحليل النفسي

دراسة الارتباط بين أحداث النص الروائي ورموزه بلا شعور مبدعه، واستجلاء خلفية وشخصية الروائي من خلال ما يسقطه في النص.

دراسة التأثير النفسي الذي يُحدثه النص الروائي في القارئ في ظل نظرية أرسطو عن التطهير والتنفيث Catharsis والذي يأتي بعد إثارة الخوف والشفقة في نفس المتلقي.

لقد صال النقد العربي وجال في هذه المناهج، لكنه ظل خجولا أمام التحليل النفسي لأسباب ليس أقلها المفاهيم الثقافية المغلوطة عن علم النفس ومرضاه والقائمين عليه في منطقتنا. إن من المحزن أيضا ألا يُصِّدر التراث العربي الغني بقصصه وحوادثه إلى علم النفس عناوين لعقد ومتلازمات،(١) فلا نجد مثلا ما يُسمى بعقدة "عنترة" أو عقدة "الخنساء" أو عقدة "المتنبي" أو عقدة "الأعشى" أو عقدة "بشار بن برد" أو عقدة "الحلاج" أو عقدة "الحطيئة" أو عقدة "شجرة الدر" أو عقدة "أشعب" أو عقدة "أبو العلاء" أو عقدة "أبو النواس" أو عقدة "ابن الرومي".(٢)

خذ مثلا الشهرة التي حازتها مسرحية "ماكبث" Macbeth لوليم شكسبير. إن من المؤسف ألا يقيض الله للمسرح العربي من يكتب عن "عمرو بن العاص"، وأوجه الشبه بين الرجلين كبير فالأول أخذ كلام الساحرات مطية لطموحه الذي لا حد له والثاني استقرت عنده في أحد الاحتفالات أثناء زيارته لمصر أكرة قيل إن من انتهت إليه أمر مصر(٣) فسعى لنيل حكمها وقاتل غير مرة لتكون طعمة له. كلاهما لم يكن لطموحهما حد أو سقف؛ كلاهما لديه "ميكافيلية براجماتية" Machiavellian / Pragmatic، لكن "عمرو" يتفوق كونه شخصية واقعية وصحابي كريم قال عنه الرسول صلى الله ووعليه وسلم "أسلم الناس وآمن عمرو"،(٤) غير أنه نال من سهام الشيعة ما هو معروف. وصحيح أن حكاية الكرة هزلية، لكنها تصلح كنقطة ارتكاز جيدة لعمل درامي.

هل يمكن أن تجد في أي ثقافة على ظهر البسيطة مكافئا لمصيبة "الجليلة بنت مره"، تلك التي قُتل زوجها "كليب" على يد أخيها "جساس"؟ رحل زوجها وهي بعد حامل منه

---

(١) شق كبير من المتلازمات الثقافية في هذا الكتاب الذي بين أيدينا خرج من الولايات المتحدة، وليس خافيا أن المتفوق سياسيا واقتصاديا وعسكريا يستطيع تسويق بضاعته الثقافية بجهد يسير، خاصة إذا وجد تكالبا عليها. راجع موقع http://corpus.byu.edu/coca/

(٢) الجدير بالذكر أن العقاد قدم دراسة نفسية للشخصيتين الأخيرين بينما قام الدكتور "محمد النوهي" بدراسة "بشار".

(٣) أورد هذه القصة "أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم" في "فتح مصر والأندلس".

(٤) الترمذي، ٣٨٤٤.

وأنجبت ذكرا شب ليقتل خاله، وهكذا غـدت مكروهـة مـن كـلا العـائلتين في القبيلـة. ألا تستحق هذه القصة أن تفوز باسم إحدى العقد أو المتلازمات التي تنتجها الآلة الغربيـة ليـل نهار بداع أو بدون. مشكلتنا في العالم العربي أننا لا نُحسن تسويق أغراضـنا ونكتفـي بـالقول حين نطالع إنتاج الغرب بأن "هذه بضاعتنا رُدت إلينا"![1] لا بأس ببعض الشيفونية هنا لأننا حقا نستحق أفضل من ذلك.

ثم أن هناك من الظواهر النفسية الغربية ما لا ينطبق على الحالـة الـشرقية أو عـلى الأقـل يعطي معاني مختلفة. خذ مثلا متلازمتي: "البتول" Virgin Syndrome و"مـاري العـذراء" Virgin Mary Syndrome. تعني الأولى التصاق البنت الأوروبية الغربية بفتاها بعد أن تفقد عذريتها معه الأمر الذي قد يصيبه بالضيق. في مجتمعاتنا الـشرقية تطلـب الـصبية مـن الفتـى الذي أخطأ معها أن يصحح فعلته ويتقدم لخطبتها ويستر عليهـا ويتزوجهـا.[2] وجـه الـشبه موجود، لكنه ضئيل، أما وجه الاختلاف فشاسع إذ أن احتفاظ البنت الغربية بعـذريتها بعـد الثامنة عشر أو ما شابه هو أمر مخجل ومقلق للفتاة وأحيانا لأهلها وقد تُعير به وسط أترابهـا، أما في المجتمعات الشرقية فغشاء العذرية أمر حتمي كي يـتم الـزواج، ولـه طقـوس خاصـة تلاشت معالمها اليوم. والفتاة التي تحمل في الغرب قبل الزواج لا يتم رفضها في المجتمع، بـل أن هناك ظاهرة متفشية في الولايات المتحدة تُعرف بـ "الأم العاذبـة" Single Mother وهـو أمر قد يعرض الفتاة في الشرق إلى القتل من أجل الشرف، ولو كانت أفضل حظـا، فإنـه يـتم تزويجها لأحد الخاملين نظير مبلغ من المال، أو ربما يكون الإجهاض ثم الترقيع هو الحـل. إن وضع الفتاة الشرقية هو أقرب للمتلازمة الثانية "ماري العذراء" والتي تشير إلى الذعر الـذي يتملك الفتاة حين تتأخر الدورة الشهرية بالرغم من أنه لم يمسها أحد.

---

(١) يوسف، ٦٥.

(٢) من رواية "الكودية" لنبيل راغب نقرأ: " صارحته بصوت أجوف من أعماقها السحيقة بأنها حامـل منـه وعليه أن يتزوجها، وإلا اعترفت لأبيه بكل شيء، فإن شرفها من شرف العائلة كلهـا. أحاطهـا بذراعـه وطلب منها ببساطة أن تجهض نفسها فهو لا يمكن أن يتزوجها قبل أن يتخرج، ثـم انهـال عـلى وجههـا وعنقها بالقبلات الساخنة اللزجة المبتلة وهـي تتمـتم بأنهـا لا تـستطيع قتـل الـنفس." (مكتبـة مـصر، القاهرة، بدون تاريخ).

اهتم هذا الكتاب الذي بين أيدينا[١] بصفة عامة بالعقد التي تحمل أسماء أعلام[٢] إذ أنه يمكن رد العقد الأخرى مثل العقاب والكبت الجنسي وحب الظهور والشك والوحدة والشعور بالذنب والتخلي والتحيز والفضول والاستعلاء[٣] والاضطهاد[٤].. الخ إلى الصنف الأول فعقدة الاعتماد على الغير Dependency Complex مثلا هي "عقدة سندريلا" Complex وعقدة الذات المتضخمة Ego Complex هي "عقدة نارسيسيوس"[٥] Narcissus Complex وهكذا.[٦]

---

(١) يأمل الباحث بأن هذه الدراسة التتبعية سوف تجد من يتناول محتوياتها في أعمال تحليلية قادمة على نسق ما فعله "جورج طرابيشي" في دراسته الطولية لعقدة أوديب.

(٢) مصادر الدراسة من الناحية النفسية بصفة أساسية هي "معجم مصطلحات الطب النفسي، لطفي الشربيني، مركز تعريب العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ٢٠٠٢" و"قاموس أكسفورد لعلم النفس" Oxford Dictionary of Psychology، 2008 و"أسماء العلم في علم النفس" Eponyms in Psychology, by Leonard Zusne, Greenwood, Connecticut, 1987 و"قاموس كامبل للطب النفسي" Campbell's Psychiatric Dictionary, OUP, 2004 و"موسوعة أسماء العلم الطبية المشتقة من شخصيات أدبية" A. E. Rodin, J. D. Key, Encyclopedia of Medical Eponyms Derived from Literary Characters, Melbourne, Fl., Krieger, 1988 وقاموس "من أطلق عليه هذا الاسم" http://www.whonamedit.com/ و كتاب "فيض من الرهاب والهوس" John G. Robertson, An Excess of Phobias and Manias, Senior Scribe Publications, Los Angeles, 2003 بالإضافة إلى المراجع الخاصة بكل عقدة أو متلازمة على حده حال توفرها أو دعت الحاجة إليها.

(٣) تُعرف أيضا بـ "عقدة رامبو" Rambo Complex، وعالجها "محمد الأصفر" في روايته "سرة الكون" (مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٦).

(٤) تُعرف أيضا بـ "عقدة اليهود" أو "عقدة الهولوكوست " أو "متلازمة أوشفيتز" Auschwitz Syndrome.

(5) Punishment Complex, Complex of Sexuality Oppression, Appearance Complex, Complex of Loneliness, Guilt Complex, Giving-up Complex, Prejudice Complex, Curiosity Complex, Superiority Complex & Persecution Complex .

(٦) ينبغي الإشارة إلى أن بعض العقد والمتلازمات محل الدراسة لم يتم تسجيلها بعد في الجمعية الأمريكية لعلم النفس American Psychological Association أو معاجم الرموز والأيقونات الثقافية، لكن لها حضور في كتابات أخرى، ناهيك عن تواجد لافت على الشبكة دولية للمعلومات. ربما أحد =

إن الشق الأكبر من التراث النقدي النفسي للسرد العربي جاء في تحليل نصوص فردية أو متعددة لكاتب واحد كما في الأمثلة التي سيأتي ذكرها. وبالرغم من أهمية وقيمة هذه الدراسات وغيرها فإن كفة الدراسات النفسية التطبيقية على مجموعة كبيرة من الروايات المتنوعة ما زالت ترنو إلى المزيد.

جدول رقم (٢)

بعض الدراسات النقدية النفسية لنصوص فردية أو متعددة لكاتب واحد

قراءة نفسية لرواية "حكاية تو" لفتحي غانم	مجلة إبداع، أكتوبر، ٢٠٠١	محمد حسن غانم
الدلالات النفسية في عالم نجيب محفوظ الروائي	مجلة التبيين، نوفمبر، ٢٠٠٤	محمد مسباعي
دراسة تحليلية للمضامين النفسية في رواية "الطواف حيث الجمر" لبدرية الشحي	مجلة البصائر، جامعة البتراء، مجلد ٩، عدد ١، ٢٠٠٥	آسية البوعلي
الإقصاء الذاتي في المجتمعات التعددية: رواية "جارية" لمنيرة سوار(١)	المتكأ الثقافي http://www.mutak2.net/vb/showthread.php?t=17437	عبد العزيز الموسوي

=عيوب عدم تسجيل العقدة أو المتلازمة هو السماح بتعدد صورها ومعانيها وتأويلاتها فمثلا "متلازمة جون وين" John Wayne Syndrome، نسبة إلى الممثل الأمريكي الشهير الذي تخصص في أفلام "الوسترن"، قد تعني "الشعور بالقوة مع امتلاك مسدس أو بندقية" أو "التحامل على الجروح والإصابات والمضي قدما" أو "البطل الذي ينقذ الضحية من يد الثلة الشريرة"، وكلها أمور حاضرة في عالم رعاة البقر "الكاوبوي".

(١) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.

إن الغرض من هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على عينات[١] من التوهم والهوس والرُهاب والعقد النفسية والمتلازمات الثقافية في نماذج منتقاة[٢] من النصوص السردية. نزعم أن الدراسة جديدة وتضيف شيئا لإنتاج المعرفة، لم يسبقها في ذلك ربما إلا كتاب الدكتور "عبد العلي الجسماني" "أشهر الروايات الدرامية العالمية ودوافعها النفسية"[٣] والتي تتناول – كما يشير العنوان – الروايات الأجنبية بالتحليل النفسي.

بقي أن نشير إلى أن ترتيب العقد والمتلازمات وخلافه داخل فصول الدراسة لم يخضع للأبجدية العربية أو الإنجليزية، بل جاء عشوائيا في كثير من المواضع ومنطقيا في مواضع أخرى نظرا لتداخل بعض العقد والمتلازمات وارتباط بعضها ببعض كما في المثالين التاليين عن أنواع الوهام وأصناف المرضى:

(١) راجع المسرد الخاص بها في نهاية الكتاب. من الصعوبة بمكان تناول كل ما حصره علم النفس من هذه الظواهر فبعض المتلازمات مثلا طبية خالصة، ومن العسير وجود أثر لها في السرد. من ناحية أخرى قد يشعر القارئ بأن بعض المتلازمات قريبة من بعضها في المعنى، وهذا صحيح، لكن يبقى وجود فوارق في الخصائص والأعراض يجعل لزاما علينا إدراجها كلها وعدم استثناء أي منها. من الجدير بالذكر في هذا الموضع أن السرد العربي اقتحم حتى المتلازمات الطبية، سواء كانت جينية أو عصبية، بجرأة فعلى سبيل المثال "متلازمة اليد الغريبة" Alien Hand Syndrome والتي تشير إلى إحساس الشخص بعدم السيطرة على يده أو شعوره بأنها ليست يده نجدها في رواية "رقصة الطائر المذبوح" لحسن قاسم السعدي: "عادة عندما أكون نائما في الظلمة الحالكة، خلف باب موصد وستائر مسدلة؛ أمد يدي خارج الفراش بعيدا عني، وكأنها شيء زائد، نتوء غريب أو قطعة عديمة الفائدة." (دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠١، ص ٩).

(٢) في كتابه "الرواية العربية ومصادر دراستها ونقدها" الصادر في نهاية عام ٢٠٠٨ أحصى الدكتور "سمر روحي الفيصل" ٥٧٢٩ رواية عربية صدرت حتى تاريخ إعداد الكتاب. من الصعوبة بمكان أن تغطي دراسة بعينها كل هذه الأعداد، لاسيما وأن الكثير منها غير متاح. استعان الباحث أيضا بموسوعة "حمدي سكوت"، "الرواية العربية: ببليوجرافيا ومدخل نقدي"، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ٢٠٠٠.

(٣) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠.



شكل رقم (٢)

بعض أنواع الوهام

شكل رقم (٣)

حرصنا على كتابة الأسماء اللاتينية المقترنة بمباحث الدراسة الأساسية مع استخدام المصطلح العربي القريب للفهم فمثلا "هوس الحصول على منصب مرموق" Empleomania تم ترجمته "عبده مشتاق" Wannabe Syndrome، و"متلازمة المكنسة الجديدة" New Broom Syndrome والتي تعني "المدير الجديد" تُتَرجم "متلازمة الغربال الجديد" والذي يُقال أن له "شدة" في العامية المصرية. وارتباطا بهذه النقطة نقول أن المتلازمة التي تنشأ في بيئة معينة وتحمل جيناتها الوراثية خصائصها قد يتم تهجينها في بيئة ثقافية أخرى ومن ثم تحميلها بمعان فرعية، فعلى سبيل المثال تُشير "متلازمة الخبز واللبن" Bread and Milk Syndrome في بريطانيا إلى اندفاع الناس إلى المتاجر لشراء احتياجاتهم الأساسية حين يعلمون من الأرصاد الجوية بقدوم عواصف ثلجية قد تقف حائلا دون خروجهم من المنزل لأيام. يمكن تطبيق هذه المتلازمة على مصر مثلا في حالات انتشار إشاعة برفع الأسعار أو نقص محتمل في سلعة معينة أو خروج مظاهرات أو أشياء من هذا القبيل.

هذا ويأمل يأمل الباحث أن يتصدى آخرون لتصنيف العقد والمتلازمات المذكورة في هذه الدراسة طبقا للموضوع Theme-like/ Topic-wise، فيتناولون الثعابين والعيون وحب القهوة..الخ، وهو اتجاه موجود على أي حال،[1] لكنه يحتاج بعض التعزيز، كما يأمل أن يُولي الدارسون أهمية بالعقد والمتلازمات ذات الحواضن العربية والقيام بدراستها وتطبيقها على نصوص من السرد العربي. وقد قام الباحث بتسجيل رؤوس أقلام لهذه العقد والمتلازمات كما وردت في الصحافة العربية ووضعها في أحد مسارد هذا الكتاب.

---

(١) نذكر مثلا كتاب "اللون في الرواية السعودية"، رسالة ماجستير لمريم إبراهيم غبّان، (وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، ٢٠٠٩)، و"الذئب في الأدب العربي" لفضل عمار العماري، (جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٢)، بل وقد تجد دراسات متعددة لموضوع واحد كالبحر مثلا الذي نرصد فيه "البحر في الأدب"، دراسة لعبد القادر الأسود، https://abdalkaderaswad.wordpress.com/2011/07/11/البحر-في-الأدب-العربي/ و"أدب البحر في الرواية العربية" لعبد الله أبو هيف، (مجلة الحياة الثقافية، عدد ٢٠٩، يناير ٢٠١٠)، و"البحر في الأدب العربي، (مجلة الثقافة، إبريل ١٩٥١) و"فضاء البحر في الرواية العربية" لمحمد عزام، (مجلة المعرفة، مارس ٢٠٠٥).

وأخيرا فإن الاهتمام الحاصل بتقنيات السرد Narratology Techniques من "البوليفونية" Polyphony للتذويت(1) (السيرة الذاتية) للتناص للجنوسة والتبئير والزماكانية للسيميائية والصورولوجيا، للميتاقص Metafiction أو "مرايا السرد النارسيسي" لاستخدام تقنيات السينما في الانتقال بين المشاهد، للمزج بين الأجناس الأدبية والخلط بين عامية الحوار وفصحى السرد، وكذا الاهتمام بمدارس ومناهج وعناصر نقده من أسلوبية لبنيوية لتفكيكية لتأثيرية لشكلانية لرمزية.. إلى آخره ينبغي أن يوازي كل هذا اهتمام مساو بتحليل الحبكة والشخصيات والجوانب النفسية والرموز والتركيبات اللغوية الجديدة من استعارات أو متصاحبات Collocation أو خلافه.(2) ينبغي أن تتحلل كتب النقد الأدبي

(1) ربما كان "محمد برادة" من أوائل من استخدم هذا المصطلح. راجع كتابه "الذات في السرد الروائي"، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص ٦٧. و"برادة" واحدا من الذين دحضوا فكرة أن الناقد هو روائي فاشل.

(2) ومنها على سبيل المثال لا الحصر عبارة "تمنيت أن أُقبل روحك" من رواية "امرأة الرسالة" لرجاء بكرية (دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٧)، وعبارة "يستيقظ في الصباح على ضوء شمس مستعملة" والتي وردت في رواية "ربعي المدهون" "السيدة من تل أبيب"،(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص ٤)، أو عبارة "ماجدة، الممشوقة مثل برج القاهرة"، من رواية "طعم الفراق" لنفس الكاتب (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢٢٤)، وخذ مثلا عبارة "نسيت هطول النوم" التي وردت في رواية "محمد المزيني" "نكهة أنثى محرمة"، (دار الكفاح، الدمام، ٢٠٠٩، ص ١٠)، وكذا عبارة "مشطت شعرها الذي كان يبدو وكأنه عش لقلق" من رواية "منعطف الصابونجية" لنيران العبيدي (دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤، ص ١٧)، وعبارة "وأسنانه بيضاء كأرز كفر الشيخ" (محمد عزب، صدفة بتجمعنا، دار العين، القاهرة، ٢٠١١، ص ٤٧)، وعبارة "أشجار النخيل... بدت هي الأخرى كرموش حسناء ساحرة" (كمال السيد، على الجسر ببغداد، دار الصفوة، بيروت، ١٩٩٨، ص ١١)، وعبارة "عيناها بلون سنابل القمح قبل النضوج" (منى سالم، البيوت في بر مصر، دار الهدى للمطبوعات، الإسكندرية، ٢٠١٤، ص ٧)، وعبارة "شعرها شلال هادر من الليل الحالك" (فتحي أبو الفضل، هذه وأموت، مكتبة المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٢٦)، وعبارة "تفض بكارة أوهامهم" (إقبال بركة، ليلى والمجهول، مكتبة قناة السويس، الإسماعيلية، ١٩٨٠، ص ١٥٩)، وعبارة "أحس بالرغبة تسيل من عينيها" (محمود سعيد، صيد البط البري، دار ضفاف، الشارقة، ٢٠١٣، ص ١٠١)، وعبارة "وبدأ يتلمس بأنامل الخوف المرتعشة جثث أيامه الباردة" (حسن المددي، ليال بلا جدران، دار توبقال، الدر البيضاء، ٢٠١٤، ص ١٤٨)، وعبارة "تمسح بزيت الانبهار على وجه التوق من روحك" (مفلح العدوان، العتبات، دار الأهلية للنشر =

من المصطلحات العصية على الفهم والنظريات المؤدلجة وتقترب أكثر من القارئ الذي يعزف عن هذه النوعية من الكتب. إذا أردنا أن نؤسس للقارئ الناقد فعلينا أن نبدأ في استقطابه لأعمال نقدية يستمتع بها عن حق ولا يتوه فيها بين نصوص منقولة بترجمة خشنة من أعمال نقاد غربيين ومصطلحات غليظة لا تعني له الكثير.

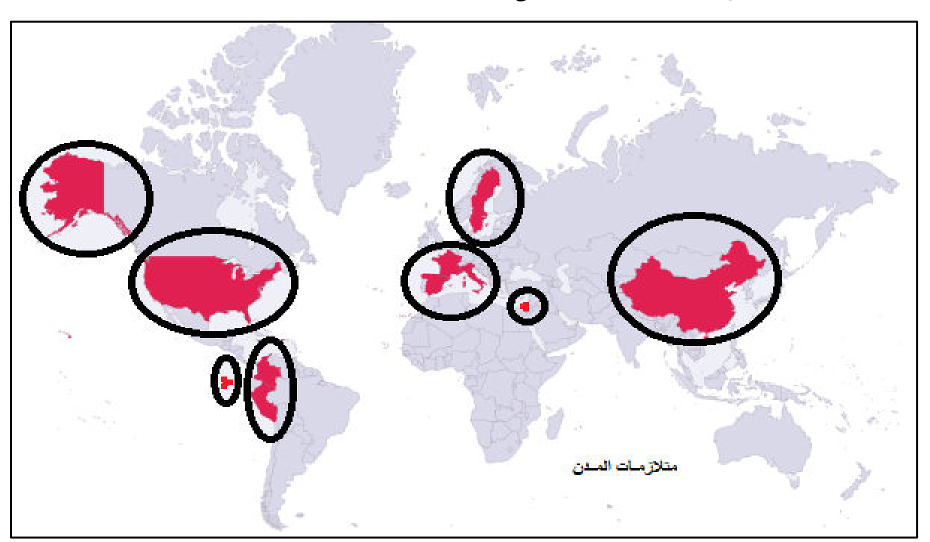
سولا يمكن هنا أن نغفل الاستفادة التي يُحصلها الروائي نفسه فعن طريق اطلاعه على الكتب النقدية والتطبيقات التي توردها يتلمس نقاط القوة والضعف في الأعمال السردية وتتقافز الأفكار الجديدة إلى عقله وقلمه. وفي ظل ورش الكتابة التي باتت تُعقد في الفترة الأخيرة تصبح هذه الكتب مفيدة في مرحلة بناء الحبكة والصراع. لا يساورنا أدنى شك أن بعض الأعمال السردية العربية التي خضعت للتحليل النفسي لم تأت عفوية، بل وجهها أصحابها إلى عقدة نفسية بعينها حتى تخرج بهذا الشكل، خاصة بعد انتشار أفكار "فرويد"،[1] وهذا لا يعيب الكاتب ولا ينتقص من عمله، ومن هنا يصبح علم النفس في خدمة الأدب وتتعاظم أهمية كتابنا هذا وما على شاكلته من أعمال السابقين واللاحقين ممن ذكرنا أو سقط سهوا فحق لهم منا الاعتذار.

=والتوزيع، عمان، ٢٠١٣، ص ٦٢)، وعبارة "كلمات خليل شظايا زجاج تنغرز في قلبي" (هزاع البراري، أعالي الخوف، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤، ص ١٠٤)، وعبارة "أيعقل هذا؟ تُبنى سبعة بيوت وتخرج من جوف الأرض كفطر في غابة" (حسين رحيم، أنثى المدن، مديرية تربية نينوى – الشئون الثقافية، الموصل، ٢٠٠٩)، وعبارة "عادم السيارة كان يبصق دخانا أسود" (حنان لاشين، الهالة المقدسة، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ٢٠١٦، ص ٢٢٠)، وعبارة "دقات متلاحقة كطرقات ناقوس كنيسة تعبت من استجداء الفضيلة" (جيلان حمزة، الزوجة الهاربة، الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣٤٢)، وعبارة "كانت تشطف رجليها على جرن العين. كراعينها بيض مثل القلقاس" (محمد نفاع، فاطمة، دار راية للنشر، حيفا، ٢٠١٥، ص ٦٣)، وعبارة "تسرق بعد ذلك أجفاني لحظة فراق عناق بعضها مع بعض. تفترق شفتاي وهما ترددان سيمفونية الشخير من جراء التعب، وتتساقط يداي ورجلاي كأوراق الشجر" (إبراهيم الشامي، رجل من الشر، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٥)، وعبارة " خطط دينوقراطيس الإسكندرية كرقعة شطرنج تتوازى شوارعها وتتقاطع، لذا لم يملك أهلها سوى أن تتوازى مصائرهم وتتقاطع بالمثل" (أسماء الشيخ، مقهى سيليني، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤، ص ٥١).

(١) ويتضح ذلك حتى في عناوين بعض الروايات مثل "نيكروفيليا" لشيرين هانئ (الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١) و"سيندروم" لإبراهيم البجلاتي (دار الدار، القاهرة، ٢٠٠٩) وغيرهما.

الفصل الأول
متلازمات المدن

متلازمة ستوكهولم / ليما – متلازمة بورتريكو – متلازمة أورشليم – متلازمة ما بعد فيجاس – متلازمة فلورنسا – متلازمة باريس – متلازمة الأندلس – متلازمة سافغ – متلازمة جالاباجوس – متلازمة روزويل – متلازمة الصين – متلازمة بوجوتا



متلازمة ستوكهولم / ليما

يُطلق مصطلح "متلازمة ستوكهولم" Stockholm Syndrome[1] على الأعراض

(١) كثيرا ما يُصيب عقول الناس التشويش بين هذه المتلازمة و"متلازمة هلسنكي" Helsinki Syndrome. تشير الأخيرة إلى اتفاق الحرب الباردة عام ١٩٧٥. تمخضت الاجتماعات العديدة والنظريات الضخمة عن قرارات ضعيفة تماما مثل قرارات "أوسلو" بالنسبة للصراع العربي – الإسرائيلي. تعرف الأخيرة بـ "متلازمة أوسلو" Oslo Syndrome، وفيها يشعر الفلسطينيون أن أرضهم وتراثهم وحياتهم قد تم اختطافهم من قبل الصهاينة، بينما يشعر اليهود أنهم محاصرون من جانب دول تطوقهم وتكرههم وتتمنى زوالهم وتتحين الفرصة للقضاء عليهم.

النفسية التي تحكم العلاقة بين الخـاطف والمُختَطـف حيـث يميـل الأخـير أحيانـا[١] وتحـت ظـروف خاصــة إلى التعــاطف مــع الأول.[٢] سُــميت بهــذا الاســم نــسبة لحــادث بنــك "كريديتبانكن" Kreditbanken في ستوكهولم عـام ١٩٧٣. بـالرغم مـن احتجـاز مـوظفي البنك لمدة ستة أيام فقد ارتبطوا عاطفيا بخاطفيهم، بل ودافعوا عن الجنـاة في شـهادتهم أمـام المحكمة عقب القبض عليهم.

يتجلى نموذج آخر للمتلازمة أو الهروب العكسي إلى أحضان الجاني في قـصة الأمريكيـة "باتي هيرست" Patty Hearst التي تم اختطافها عام ١٩٧٤.[٣] ظهـرت الفتـاة المـذكورة في كاميرات المراقبة وهي تشارك في السطو المسلح على أحد البنوك.[٤] بعد استشارة علم الـنفس عفا الرئيس الأمريكي، جيمي كارتر، عن هذه الفتاة التي لم تتجاوز التسع عشر ربيعا.

يُسمى الشعور المضاد حين يتعاطف الخاطف مع المخطـوف بــ "متلازمـة لـيما" Lima Syndrome، وتعود المتلازمة لعام ١٩٩٦ في "ليما" عاصمة "بـيرو" حيـث قامـت مجموعـة بخطف رهائن كانوا يحضرون حفلة في السفارة اليابانية ثم أطلقوا سراحهم نظـرا لتعـاطفهم معهم.

يُعزى اطمئنان المخطوف إلى الخاطف في "متلازمة ستوكهولم" إلى أسباب عديدة منها أن يكون المجني عليه نفسه مقهورا ومستاء من الكيان الأكبر (الدولة في هذه الحالة) أو أن يكون مولعا بالمغامرة ويفتقد ممارستها على أرض الواقع أو أنه يسعى لتأمين نفسه ضد غيلـة الجـاني الذي قد يكون من النوعية الطيبة التي دفعتها الظروف للجريمة.

---

(١) تشير إحصاءات مكتب التحقيقات الفيدرالي بالولايات المتحـدة أن ٨٪ مـن المخطـوفين تظهـر علـيهم أعـراض هــذه المتلازمــة. G. Dwayne Fuselier, "Placing the Stockholm Syndrome in Perspective", FBI Law Enforcement Bulletin, July 1999, 22–25.

(٢) حين يرفض المخطوف الاستجابة لمطالب الخاطف أو الامتثال لأوامره تُعرف هذه الحالـة بــ "متلازمـة لندن" London Syndrome.

(3) "Interview with Patty Hearst – Transcript". Larry King Live. CNN. January 22, 2002

(٤) تُعرف ظاهرة ارتباط المرأة برجـل ارتكـب جـرائم فظيعـة بــ "متلازمـة بـوني وكلايـد" Bonnie and Clyde Syndrome.

وقد تُعمم المتلازمة فتشمل الطفلة التي تتعرض للاعتداء الجنسي من أحد الأقارب، وقد تشمل أيضا المواطنين الذين يألفون الإجراءات القمعية للمؤسسات الحاكمة والدولة البوليسية فتجدهم يذبون عنها ويلتمسون لها الأعذار مما قد يوصف بحب الجلاد وعبادة الحاكم وصنع الفرعون.[١] ظهر تعاطف الضحية مع جلادها و"القط الذي يحب خناقه" في الأول من فبراير بعد أن ألقى الرئيس المخلوع، "حسني مبارك" خطابه الأخير. أظهر أيضا بعض المخطوفين لدى منظمات إرهابية كالقاعدة و"داعش" هذه المتلازمة.

رصد الأدب[٢] هذه المتلازمة قبل أن يقوم عالم النفس السويدي والمتخصص في علم الإجرام، "نيلز بيجيروت" 1988- 1921) Nils Bejerot) بدراستها بشكل علمي، ففي قصة "شهرزاد" أحب "شهريار" الجارية التي جلبها مع أخريات إلى القصر لقتلهن. في قصة "الجميلة والوحش" Beauty and the Beast للروائية الفرنسية، جين ماري لوبرنس بومو، Jeanne Marie Leprince Beaumont (1711 – 1780) تقع الفتاة الجميلة في حب الوحش. لو صدق ما كتبه "هيروديت" Herodotus من أن "باريس" خطف "هيلين الطروادية" Helen of Troy وأنها لم تهرب معه بمحض إرادتها فهذا يعني أنها أيضا مرت بهذه المتلازمة.[٣] وهناك أيضا أطفال البلقان الذين كانوا يتم خطفهم وضمهم للإنكشارية العثمانية كما ورد في رواية "جسر على نهر درينا" لإيفو أندرتش. هؤلاء الصبية ذابوا في المجتمع التركي واعتنقوا الإسلام وارتقوا في المناصب والمواقع.

---

(١) راجع قصة "حسن كمال" "وكان فرعون طيبا" (دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣).

(٢) كذلك فعلت السينما في قصة ديزني "رابونزل" Tangledوفي أفلام هوليود "كينج كونج" King Kong "حياة أقل من العادي" Life Less Ordinary و"بافلو ٦٦" Buffalo 66 و"عيد العمال" Labor Day و"البعيد عن العين" Out of Sight و"النائم" Sleeper و"اثنا عشر قردا" Twelve Monkeys و"المطاردة" The Chase و"سبع عرائس لسبعة أخوة" Seven Brides for Seven Brothers و"فدية الرئيس الأحمر" The Ransom of Red Chief والتي مصرتها السينما المصرية في "اقتل مراتي ولك تحياتي"، ناهيك عن أفلام أخرى تتناول المتلازمة مثل "حلق حوش" و"الإرهاب والكباب" و"نهر الخوف".

(٣) بل ولأخذت المتلازمة نفسها اسم "هيلين" كتعريف ومدخل لها قياسا على أن القديم لا يُرد إلى الحديث، بل يُنسب الحديث للقديم.

عام ١٩١٩ صدرت رواية "الشيخ" The Sheik للروائية البريطانية "إيديث مود هـل" Edith Maud Hull(1880 – 1947). تدور أحداث الرواية حول "ديانا" Diana التي تقرر أن تقوم برحلة في صحراء شمال أفريقيا، وهناك يـتم خطفهـا بواسـطة الـشيخ الـذي أعطـى للرواية عنوانها. تحاول الفتاة المتمردة الهرب، لكنهـا تفـشل. في النهايـة تقـع في حـب الـشيخ الذي يبادلها نفس الشعور في تطبيق مباشر لمتلازمتـي "سـتوكهولم" و"لـيما" وتكـرار لقـصة الليدي "جين ديجبي" Jane Digby والشيخ "مجول المصرب".

في رواية "محاكمة طير البر" لسالم محمود سالم[1] يخطف "حشاف" "منى"، بنـت العميـد "مختار سعيد"، ليساومه على تهريب ابنه "جابر" المحكوم عليه بالإعدام. ومن أبـرز الأعـمال السردية العربية التي تظهر فيها "متلازمة ستوكهولم" رواية "الرهينة" للكاتب اليمنـى "زيـد مطيع دماج" والتي صدرت عام ١٩٨٤[2] وطبع منها عشرات الآلاف من النـسخ وتُرجمـت إلى لغات عديدة. اليمن التي غدت رهينة لدى الطائفية والإيديولوجيـة وهبتنـا واحـدة مـن أفضل الروايات في العالم العربي.[3] ولد "دماج" في اليمن عام ١٩٤٣ وتلقى جزء من تعليمه في مصر وشغل مناصب سياسية يمنية. توفى عام ٢٠٠٠.

تتناول رواية "الرهينة" اليمن في الأربعينيات خلال فـترة الملكيـة وفي قـصور الإماميـة. الرهينة هو فتى في مستهل عقده الثاني تم خطفه من بيت أسرته المعارضة لنظـام الحكـم عـلى نسق الإنكشارية العثمانية واحتجازه في قلعة قبل أن يُـساق إلى أحـد قـصور الحكـم للخدمـة هناك كدويدار (فتى لم يبلغ الحلم) والاضطلاع بدور الطواشـية أو الخـصيان أو الأغـوات في أقطار أخرى. تم تخصيص الصبي للخدمة في جناح أخت الحاكم، الشريفة "حفـصة"، التـي أصبحت عمليا خاطفته وسيدته.

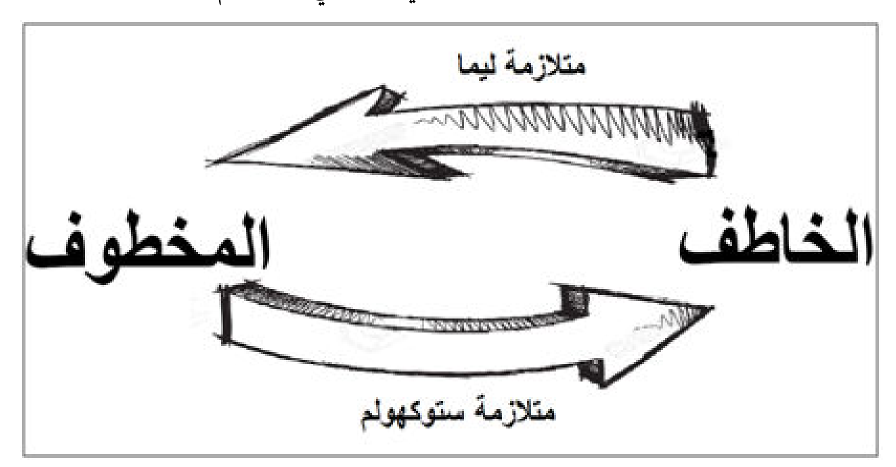
انتابت الفتى المخطوف "عبادي" مشاعر تجاه الـشريفة التـي راح يتلـصص عليهـا مـن النافذة (في بيان لمتلازمة الشخص المولـع بالتلـصص عـلى عـورات النـساء Peeping Tom

(١) بلنسية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٢) دار الآداب، بيروت.
(٣) أخبار الأدب العدد ٤٢٦ الأحد ١٠ ديسمبر ٢٠١٣ .

Syndrome فتارة يرى شعرها المموج وتارة يرى ملابسها الشفافة)، وبـذلك تولـدت لـدى "دويدار" أعراض "متلازمة ستوكهولم" فوقع في حب خاطفته ومن قبلها القلعة أو بالأحرى المدينة التي سيق إليها. "كم هي جميلة هذه المدينـة، شـاهدتها لأول مـرة عنـدما أُخـذتُ مـن قريتي ووضعت في قلعتها (القاهرة) بين رهائن الإمام."(١)

شكل رقم (٤)

التعاطف بين الخاطف والمخطوف في متلازمتي ستوكهولم وليما



أما الشريفة "حفصة" فقد أظهرت بعض عوارض "متلازمة لـيما" حـين تعاطفـت مـع المخطوف أو الرهينة، بل وأحبته أو قل اشتهته كما كان من أمر امرأة العزيز: "ووثبت غاضـبا لكي أخرج سريعا.. لكنها أمـسكت بكتفـي وجـذبتني نحوهـا فالتـصق جـسمي بجـسمها وشعرت بأنفاسي تتوالى لاهثة.. وقبلتني حتى كدت أن يغمـى عـليّ.. ومرقـت أمـامي وقـد جذبتني بيدها نحو مكانها المفضل.. وأقفلت الباب ووضعت يدها حول عنقي لكي تـذيبني في قبلة أخرى وأصبحت بعدها كمعدن مصهور في أتون صائغ أو حداد. ورشفت مـن فمهـا أجمل القبل وتلمست يداي جسمها الرخو الذي كنت أحلم به من زمان.. وهجعت معهـا في لذة.. صاحت لها ديوك الفجر."(٢)

(١) الرهينة، ص ٣.

(٢) الرهينة، ص ١٢٧.

في نهاية الرواية عرضت الشريفة حفصة على الفتى أن يهرب معها، لكنه رفض أن يأخذ معه بقايا العهد البائد وانطلق نحو تأسيس اليمن الجديد الذي لا نعرف هل كان اليمن السعيد؟ وهل كانت البلدة الطيبة؟ وهل يمكن أن يغفر الله كل الخطايا التي ارتكبت على أرضه بعد سقوط عهد الأئمة وحتى دخول الحوثيين صنعاء في ٢٠١٥. هذا لا يعني أن الزيديين لم يرتكبوا أخطاء في حق اليمن فقد سدوا مسامه وجروه إلى مستنقع الرجعية والتخلف وعزلوه عن ركب الحضارة والتقدم وحالوا دون استعادته لأمجاده.

متلازمة بورتريكو

تعود أصول "متلازمة بورتريكو" Puerto Rico Syndrome إلى الستينيات من القرن العشرين وعقب الحرب الكورية حين لاحظ الأطباء الأمريكيون في الجيش أن الجنود المُستجلبين من "بورتريكو" يتصرفون تحت الضغوط بأسلوب هستيري فيزبدون ويرغون ويصرخون ويعضون ويرفسون ويفقدون الوعي. في عام ٢٠٠٣ حاولت باترشيا جيروفيشي Patricia Gherovici دراسة المتلازمة من الناحية الثقافية على السكان "الهيسبانك" Hispanic[(١)] والتمييز الذي يتعرضون له.

من ناحية أخرى يمكن تطبيق المتلازمة حين تهب جماعة غاضبة وتنتفض من أجل استعادة الحقوق أو خلافه. نجد هذا الشعور الجمعي في ثورة "البشامرة" كما سجلتها "سلوى بكر" في "البشموري".[(٢)] في هذا الشأن نستدعي رواية "ثروت أباظة" "شيء من الخوف"[(٣)] حين هب أهل القرية عن بكرة أبيهم وراء الشيخ "إبراهيم" ليدفنوا "محمود" فحرقوا على "عتريس" الطاغية منزله، كما نستدعي انتفاضة الفلاحين في رواية "الأرض" لعبد الرحمن الشرقاوي[(٤)] وهبة سكان "محلة جقور" للدفاع عن ابنها البار، "حميد نايلون"، الذي طردته الإدارة الإنجليزية من شركة النفط في رواية "فاضل العزاوي" "آخر

---

(١) المهاجرون إلى الولايات المتحدة من أصول مكسيكية أو من دول أمريكا الجنوبية.
(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة، ٢٠٠٥.
(٣) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٠.
(٤) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.

الملائكة"[١] وهوجة أهل القرية لنجدة المرأة التي نُهبت أرضـها في "ذاكـرة الرمـل" للروائـي "محمد ولد محمد سالم".[٢]

بعض القبائل الإفريقية أيضا يصل أهلها إلى هذه الحالة مع الرقص والطبل. تذكرنا هـذه الحالة بحفلات "الزار" وحلقات الذكر. يـصف "عبـد الحميـد جـودة الـسحار" في روايتـه "صدى السنين"[٣] هذا المشهد قائلا: "رأيت رجالا في ثياب قذرة، أرخـوا لحـاهم، يحملـون رايات نصل لونها، وراحوا يقفزون ويتمايلون عـلى دق الـدفوف... ويترنحـون، ورءوسـهم فوق صدورهم تدور... وراح الوقت يمر والناس يتمايلون مطبقي الجفون، كأنهم قـد غـابوا عن الوجود."[٤] ويكمل "عبد الحكيم قاسم" المشهد في رواية "أيام الإنسان السبعة"[٥] بهذه الكلمات: "أصبح الذكر جنونا، محمد كامل في الوسط طائر الذراعيين يصفق كفـاه بقـوة وفي إيقاع سريع محموم، السنهوتي يصب في السبسب روحا مجنونة.. طـار غطـاء رأسـه وطـارت خصلات شعره السوداء، وجسده النحيل يرتجف مع الإيقـاع، نبحـات صـادرة مـن قلـوب عشرات الذاكرين معا على الإيقاع تصك الحيطان. ضربات الأقدام في الأرض تهز القرية مـن جذورها. صفان من الأجساد المتصببة بالعرق يميلون معـا، يلتـوون معـا، يـستقيمون معـا، يقعون معا، ينهضون معا في نسق مزلزل لا يختل."[٦]

ومن رواية "أطول عام" لزهدي الداووي[٧] نقرأ: "يأتي عدد كبير من الـدراويش ذوي الشعور واللحى الطويلة ويبدؤون بضرب الدفوف والرقص على أنغامها بحركات منتظمة ما تلبث أن تتحول إلى هستيريا وجنون، وهم يلوحون بسيوفهم وخناجرهم في الهواء ويـرددون بصوت واحد ومتناغم: لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. وعنـدما كانـت الحركـات تـشتد أكثـر

(١) رياض الريس، بيروت، ١٩٩٢.
(٢) دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٨.
(٣) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٣.
(٤) صدى السنين، ص ٥، ٦.
(٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.
(٦) أيام الإنسان السبعة، ص ٤٣.
(٧) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.

فأكثر يقفون في أماكنهم فجأة ويبدؤون بهز رؤوسهم يمنة ويسرة وهـم يـرددون بـسرعة: الله حي.. الله حي.. وبعد ذلك تبدأ المعجزات الخارقة: الجلوس بمؤخرة عارية على صاج حـام، ضرب البطون بالخناجر، مسك الجمر باليد ووضعه في الفم."[١]

متلازمة أورشليم

"متلازمة أورشليم" Jerusalem Syndrome هـي أحـد الـنماذج المهمـة لـما يُعـرف في التحليل الأدبي بهيمنة المكان Power of Place. من المعروف أنه توجـد "أمـاكن في القلـب" كما تشير العبارة. لا نتحدث هنا عـن الأمـاكن الخاصـة التـي يـشعر فيهـا الفـرد بحالـة مـن الانجذاب، بل عن أماكن مهيبة فريدة كجبل النور وطور سيناء والبحر الميت ونهر "الجـانج" وحائط المبكى أو البراق والمسجد الأمـوي و"آيـا صـوفيا" وجبـال "كلمناجـارو" ومـدائن صالح و"ستون هينج"[٢] بإنجلترا و"جزيرة الفصح"[٣] بشيلي. صدق شوقي حين قال عـلى لسان "ابن الملوح" في وصفه لجبل "التوباد": قد يهون العمر إلا سـاعة / وتهـون الأرض إلا موضعا.

كتب "فريد محمد معوض" عن سطوة المكان قـائلا في روايتـه "أيـام في الأعظميـة":[٤] "منذ قدمت من مصر وأنا لا أستطيع أن أبرح الأعظمية كأنه الحب من أول نظرة، تعلقت بها كأمي، رأيت فيها وجه شروق حبيبتي، ويوم أغادرها لمكان آخر، ولو بجوارها ينقطع الحبـل السري وتظلم الدنيا."[٥] وتشبيه المكان بالمرأة سواء كانت الأم أو الحبيبة أو المرأة بشكل عام أمر مطروق. كتب "رأفت الميهي" يصف "الغردقة" في روايته "هورجادا":[٦] "هورجادا كـما خلقها الله، امرأة جميلة تلقي بثديها في مياه البحر فتصنع أمواجه الرقيقة، وتترك شعرها خلفها فيصنع جبالا وتلالا وفنادقا وأفقا لا نهائيا."[٧]

---

(١) أطول عام، ص ٥٦.

(2) Stone Hinge.

(3) Easter Island.

(٤) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩.

(٥) أيام في الأعظمية، ص ٧.

(٦) دار البستاني للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٧) هورجادا، ص ١٠٣.

بعض الأماكن تخنقك؛ بعض الأماكن تكسرك، بعض الأماكن ترهبك؛ بعض الأماكن تلفظك. هذا ما حدث لبطلة رواية "ممر إلى الهند" A Passage to India للكاتب "فورستر" E. M. Forester. في المقابل بعض الأماكن تحتويك وتأسرك وتسحرك. المكان هو البطل في رواية "حي الإفرنج" لسامح الجباس[١] ورواية "تفاحة الصحراء" لمحمد العشري[٢] و"صخب البحيرة" لمحمد البساطي[٣] و"ثلاثية" "نجيب محفوظ" و"على جناح الطير" لسميحة خريس[٤] و"نوة الكرم" لنجوى شعبان[٥].. إلى آخره. كتب "ماجد شيحة" في روايته "سلفي يكتب الروايات سرا":[٦] "اعتاد أبي أن يقول لي دائما: لا تفتح عينيك عندما تستيقظ. إذا عجزت عن تخمين المكان الذي أنت نائم فيه فاعلم أن الشيخوخة قد أدركتك. مات أبي قبل أن يخبرني – أو أخبره – أن ليست كل الأماكن متشابهة. توجد أماكن تستيقظ فيها فتجد ذاكرتك قد هربت منك إلى أماكن أخرى لا تستطيع أن تهرب منها حتى لو غادرتها بجسدك... فلما خرجت منها بجسدك اقتنصت روحك فظللت طيلة حياتك تستيقظ فيها."[٧]

ومتلازمة أورشليم هي عبارة عن مجموعة من الظواهر الذهنية تُعزى في مجملها إلى الأفكار العقائدية والحماسة الدينية التي تجتاح الزائرين لمدينة القدس قبل الزيارة وأثنائها وعقب انتهائها.[٨] وأفضل نموذج لهذه المتلازمة ما طرحه الفيلم السينمائي، "مملكة السماء" Kingdom of Heaven، 2005. الظاهرة قديمة قدم المدينة نفسها، ونكاد نجزم بأن من أوائل النماذج التي تستحق الدراسة تحت هذا التصنيف هي الإمبراطورة "هيلانة" والتي توجهت إلى القدس لتبحث عن صليب الصلبوت وتجدد كنيسة القيامة. عام ٢٠٠٠ تدفق

---

(١) دار العين، القاهرة، ٢٠٠٧.

(٢) الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ٢٠١٢.

(٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

(٤) دار الحوار، اللاذقية، ٢٠١٢.

(٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.

(٦) دار دون، القاهرة، ٢٠١٤.

(٧) سلفي يكتب الروايات سرا، ص ٥٧.

(٨) أما "متلازمة الهند" India Syndrome فتشير إلى الباحثين عن القوى الروحية بغض النظر عن انتمائهم لدين محدد.

على المدينة آلاف الزائرين معتقدين بعودة المسيح. ويُعتبر عالم النفس الإسرائيلي، "يائير بارئل"، Yair Bar-El هو أول من درس الظاهرة بشكل علمي حيث أخضع مئات الوافدين على "زهرة المدائن" للبحث.(١)

في رواية "برج اللقلق" تقدم "ديمة السمان"(٢) وصفا للأجواء الدينية الحماسية ممثلة في جموع المصلين الذاهبين إلى المسجد الأقصى. وبالرغم من أن متلازمة القدس لا تُصيب المقدسيين بطبيعة الحال، وبالرغم من أن الروائية اختصت المسلمين وحسب بالفعل، إلا أنه يمكننا التوقع أن شعورا مماثلا يحدث في اتجاه "كنيسة القيامة" و"حائط المبكى". كتبت تقول: "برج اللقلق منطقة مرتفعة.. وجاء البيت ليعلو قمة هضبته.. فباحة البيت تطل على ساحة الحرم القدسي الشريف من جهة الجنوب.. تغشاه ألوان من الحلم وسماحة الزهد والخشوع ساعة الغروب.. حين تنعكس أشعة الشمس الأرجوانية على الصخرة الذهبية.. فيدرج اللسان بالتهليل والتكبير."(٣)

"أنا القدس الساكنة حنجرتك."(٤) قد يشعر الفلسطيني المقدسي المقيم في الخارج والعائد إلى القدس في زيارة بنفس شعور القادم إليها سائحا. هذا ما نلمسه في رواية "جنسية" لمعتز قطينة(٥) والذي قدم لنا جانبا آخر لفتنة المدينة غير الأماكن الدينية الشهيرة. تأسرك القدس أيضا برائحة التاريخ الذي يرتع فيها بين بواباتها السبعة: "يبدأ المشهد الأسطوري حين تخترق باب العمود، وتسلك دربك نزولا إلى المدينة لتشاهد هذا الخليط العمراني الغريب من البيوت والأسواق والدكاكين الصغيرة، حيث تتكئ الحجارة الضخمة على أكتاف بعضها البعض، وتلتصق زنودها القاسية بما ترامى من أطراف الخانات الضيقة التي تمتد عبر أزقة المدينة وتبدو كأنها لا تنتهي! يدهشك العشب النابت بالرغم من صلابة الحجارة، وتفوح عطور البهارات والمأكولات النفاذة المنبعثة من خليط السوق، ولا تكاد تميز

(1) Yair Bar- El, Jerusalem Syndrome, The British Journal of Psychology, Jan. 2000, Vol. 176, Issue 1, 86-90 .

(٢) (٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥.

(٣) برج اللقلق، ص ٥.

(٤) سهى الصوفي، سرداب العشق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢، ص ١١.

(٥) دار التنوير، بيروت، ٢٠١٣.

فيها راحة الزعتر من الخل، أو الزيتون من الخبز الساخن... تسوقك في غيبوبة تتقاطع مع موج بشري لا يتوقف دخولا وخروجا، ويصطدم مرغما بسلال الفلاحات اللواتي يبسطن قطاف الأرض بلونها النضر ورائحته الندية."[1]

يعلق "وليد محمود أبو ندى" على خصوصية الأرض الفلسطينية، والقدس على وجه التحديد قائلا: "إن المكان الفلسطيني بالإضافة إلى تميزه بالانتماء إلا أنه يحمل مع هذا خصوصية الفقد والضياع."[2] نشعر بهذا الخلط في رواية "حسن حميد" "مدينة الله"،[3] والعنوان مع ماله من مدلولات ورواسب دينية يوصل رسالة للجميع مفادها أن القدس لا يملكها غير الله، تتقاتل عليها الأيام وتتنازعها الأجناس والديانات، لكنها تبقى مدينة الله، وحده سبحانه يأخذ بزمامها وناصيتها: "هنا لا تدري في أي وقت تتعالى التكبيرات ودقات النواقيس، كما لا تدري من أي الجهات تأتي الروائح الطيبة، ومن أين يتوافد الناس وأصحاب العربات والسلال، وكيف تجري الأسواق والحارات بعضها نحو بعض، وتتلاقى مثل السواقي، هنا تُسلم روحك للشوارع فتماشيك الظلام والأنسام، وتباريك الوجوه التي تشبه أرغفة الخبز، ويدور بك التلفت والانتباه والصحو كي تلفك غواية المكان، وكي تظل على مبعدة من غيبوبة الافتتان."[4]

في الواقع، من الخطأ أن نحصر هذه المتلازمة في أورشليم وحسب. القدس هنا مجرد مثال؛ بإمكاننا تعميم الظاهرة فنتحدث عن متلازمة "مكة[5] أو المدينة أو النجف أو الفاتيكان" وأي مكان يجنح الناس فيه إلى البكاء والخشوع والتبتل والتضرع. كم كنا نتمنى أن يتصدى علماء النفس العرب لهذه الظاهرة فنجد من يبحث في متلازمة مكة Mecca Syndrome، وهي ظاهرة لا تخطئها العين، ويقارن بينها وبين "متلازمة أورشليم". إن دراسة هذه المتلازمة بشكل دقيق بات أمرا ضروريا، وقد يجنبنا الكثير من المشاكل فلا يجب

(١) الجنسية، ص ١٣، ١٤.

(٢) القدس في روايات جبرا إبراهيم جبرا: رواية السفينة نموذجا، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، ٢٠١١، ص ٥٦.

(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

(٤) مدينة الله، ص ١٣.

(٥) راجع "المقدس والخيال الروائي"، لؤي خليل، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٤، العدد ١، ٢، ٢٠٠٨.

أن ننسى أن "دينيس مايكل روهـان" Denis Michael Rohan، الـسائح الأسـترالي الـذي أشعل النار في المسجد الأقصى عام ١٩٦٩، كان يعاني من أعراض متلازمة أورشليم، وأن من يعاني من متلازمة "النجف" قد يخرج عن جادة الصواب في "المدينة المنورة".. وهكذا.

في الحقيقة، قد تأخذ هذه المتلازمة مسلكا أكثر حدة عندما يخضع هؤلاء الأشـخاص إلى أفكار حماسية كنصرة الدين ومناوئة الظلم والجهاد إلى آخره، بل قد يـذهب الـشطط بـآخرين فيتقمصون شخـصيات مـن الكتـاب المقـدس ومـنهم مـن يـدعي أنـه "المـسيا" أو "يوحنـا المعمدان" أو "يوسف النجار" أو "المهدي المنتظر"، وأنه يأتيه الوحي أو تـصله رسـائل مـن السماء على نمط "جان دارك" Jean d' Arc.

والحقيقة أيضا أنه يمكن التجاسر على إخضاع بعض النصوص الـسردية لهـذه المتلازمـة كرواية "السلفي" لعمار علي حسن[١] وكذا كل الروايات التي تتناول الشطط الديني بجميـع أشكاله. في رواية "عبد العزيز الفارسي" "تبكـي الأرض يـضحك زحـل"[٢] نقابـل الـشيخ الذي يستغل الدين لوئد الحياة وطمس متعها. إمام دائم الوعيد والتهديد والحديث عن النـار والعذاب حتى فزعـت قلـوب مـستمعيه ويأسـت أرواحهـم. في "جـدائل صـعدة" لمـروان الغفوري[٣] نجد من يوظف الدين لتحقيق المكاسب الشخصية.

للجزائر تجربة خاصة في مواجهة المغالاة الدينية في التسعينات من القرن العـشرين أو مـا يُعرف بالعشرية السوداء.[٤] لذا لم يكن مستغربا أن تخرج من هذا البلد الأثير روايات تتنـاول هذه الظاهرة. لعل من أبرز المحاولات رواية "يصحو الحرير" لأمـين الـزاوي.[٥] نقـرأ عـن

(١) مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤.

(٢) مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٧.

(٣) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.

(٤) تناولها "الحبيب السائح" في روايته "مذنبون لون دمهم في كفي"، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمـة، الجزائر، ٢٠٠٨.

(٥) راجع بحث "الشريف حبيلة"، "عنـف المتطـرف ضـد الآخـر المختلـف في الروايـة الجزائريـة"، المركـز الجامعي العربي بتبسة، قسم اللغة العربية وآدابها - الجزائر والذي عُرض في مؤتمر فيلادلفيا الثالث عـشر بالأردن (ثقافة الحب والكراهية)، أكتوبر ٢٠٠٨.

الإرهاب الأسود والمتطرفين المتأسلمين في رواية "متاهات ليل الفتنة" لأحميدة عياش:[1] "ينقضون كالكواسر. رآهم ينعقون ويشتمون. رآهم يعوون كأنهم الذئاب الساغبة.. رآهم يقذفون بأثاث بعض البيوت على الأرض في الخارج لتلتهمهم النيران المجنونة."[2]

في رواية "الشمعة والدهاليز"[3] يقدم الطاهر وطار شخصية الشاعر في مواجهة مجموعة من الشباب الجزائري المتطرف المصاب بمتلازمة القدس. يدور هذا الحديث بين شخصية الشاعر وأحد هؤلاء الشبان:

"جبهتك خالية من آثار السجود.

ربما لأن وزني خفيف جدا.

وزنك أم إيمانك؟"[4]

كما نرى يكشف الحوار الذي وضعه "وطار" بذكاء عن عقلية المتطرف المغالي فهو يهتم بالشكل أكثر من الجوهر. لا يهم أن يكون قلبك سليم وفطرتك سوية بل يجب أن يكون لديك زبيبة الصلاة، تلك التي يرتبط جزء كبير منها بوزن الرأس وحساسية الجلد ونوعية الفرش الذي تسجد عليه.

هذا الشيخ ومن شابهه هو من حرم لبس المرأة للكعب؛ هو من حرم كرة القدم؛ هو من حرم الانحناء في ألعاب الدفاع عن النفس؛ هو من قال أن الديمقراطية والليبرالية "كفر"؛ هو من حرم الصلاة خلف من يلبس الزى الإفرنجي؛ هو من حرم الاستماع للموسيقى؛ هو من حرم استخدام عبارات التحية مثل "صباح الخير ومساء الخير وسعيدة"؛ هو من حرم التصوير؛ هو من حرم كشف المرأة لوجهها ويديها؛ هو من حرم استخدام العطور الكحولية؛ هو من حرم لعب الشطرنج والجلوس على المقاهي؛ هو من حرم الاحتفال برأس السنة وعيد الأم وعيد الحب؛ هذا الشيخ ومن والاه هو من أفتى بعدم جواز أن تجلس المرأة على

(١) منشورات البرزخ، الجزائر، ٢٠٠٣.
(٢) متاهات ليل الفتنة، ص ٩.
(٣) الطاهر وطار، الشمعة و الدهاليز، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤.
(٤) الشمعة والدهاليز، ص ٧.

"الكنب" لأنها قد تتعرض لمعاشرة الجن؛ هو من أفتى بعدم جواز جلوس المرأة على مقعد جلس عليه رجل قبلها مباشرة لأنه ما زال محتفظا بحرارة جسده مما قد يثيرها. هذا الشيخ ومن ضرب على منواله هو من أفتى بضرورة تحجيب "المانيكان" لأن هذه التماثيل مثيرة للشهوة؛ هو من قال بكراهية لمس النساء للخضروات والفواكه التي لها هيئة قضيب الرجل كالموز والخيار بدعوى أنها ربما تؤدي إلى إغوائهن؛ هو من حرم لبس المرأة لحمالات الصدر لأنها بدعة وطلب منهن لف الأثداء بالخيش؛ هو من نادى بتحطيم آثار الفراعنة بحجة أن سيدنا إبراهيم عليه السلام حطم الأصنام! هذا الشيخ ومن سار على نهجه هو من حرم القهوة والقول بدوران الكرة الأرضية وعلم الآثار والجيولوجيا وإهداء الزهور للمرضى وتعلم اللغة الإنجليزية والتصفيق وتحية العلم والوقوف للسلام الوطني أو دقيقة حداد على أرواح الموتى أو للمعلم والمعلمة؛ هو من قال بعدم جواز ممارسة المرأة للرياضة علنا أو دخولها غرفة الدردشة إلا بمحرم؛ هو من حكم على من يضبط المنبه بعد طلوع الشمس بالكفر؛ هو من نادى برضاعة الكبير وأجاز التدخين وتخزين القات في رمضان. هذا الشيخ هو من حرم الحياة.

وفي الوقت الذي يتحدث فيه الأوربيون والأمريكيون واليابانيون عن "الفمتو- ثانية" والرقائق الدقيقة والألياف الضوئية و"النانو تكنولوجي" والمريخ والاستنساخ والشريط الوراثي و"الجينوم البشري"، مازال المتجمدون والمتحجرون والمتنطعون من المسلمين يتناقشون في دخول المرحاض بالهاتف المحمول إذا كان عليه قرآن؛ وهل يجوز الصلاة على الجريدة؟ وهل يجوز التبول واقفا؟ وهل يجوز بيع القطط والكلاب؟! وهناك من انبرى يؤلف كتبا عن تقصير الجلباب والجهر بالبسملة وأين يضع المصلي يده حين الرفع من الركوع؟! فهم الغربيون السر الذي أودعه المولى عز وجل عقل الإنسان فراحوا يعملونه ويجددون ويضيفون، أما نحن فقد انشغلنا بأسئلة وفتاوى لا تسمن ولا تغني من جوع من على شاكلة: "هل كان لآدم سرة؟ هل يجوز أكل لحم الجن؟ هل يجوز صيد طائر العنقاء أو هل يجوز أكل لحم الديناصورات!" بعدنا كثيرا وتخلفنا كثيرا لأننا وهبنا حياة لم نحياها وأُعطينا أرضا لم نعمرها ومُنحنا دينا عظيما لم نفهمه؛ وهكذا بقينا خارج المعادلة لأن المستقبل للنابهين لا

للعقول الغوغائية الفارغة المُحاصرة التي ضيعت وتُضيع كل يوم بل كل ساعة ودقيقة أمانة التكليف.

عودة لمتلازمة القدس أخيرا نقول أن بعض الزائرين لمكة يشعرون بالغرابة لأنهم لا يبكون ولا يتأثرون بشكل كاف. ومنهم من يخاطب الله بأنه أتاه بقلب سليم ويدعوه لقبول حجته أو عمرته. معروف أن هناك من يقصد مكة في مواسم الحج والعمرة للتحرش والسرقة، وأن من الناس من تغزل في معشوقته في صحن الكعبة كسلطان العاشقين، "عمر بن الفارض". لو أن لدينا من الجرأة ما يكفي لأطلقنا على هذه الأعراض "المتلازمة المناوئة لمتلازمة أورشليم" Anti- Jerusalem Syndrome، وهذا هو الجديد. ومن أهم الأعمال التي تناولت هذا الشق رواية "الطريق إلى مكة" للكاتب "محمد العربي عمران".[(١)]

متلازمة ما بعد فيجاس

"متلازمة فيجاس" أو "ما بعد فيجاس" Post Vegas Syndrome، أي ما بعد زيارة مدينة "لاس فيجاس" الأمريكية هي متلازمة ثقافية تصيب الأفراد الذين يُمضون عطلة في هذه المدينة الساحرة ثم يُضطرون إلى العودة إلى أعمالهم وسيرة حياتهم الأولى بما قد يكتنفها من روتين وملل.[(٢)] والأفراد الأكثر عرضة لهذه المتلازمة هم سكان الريف الأمريكي والقادمين من خارج الولايات المتحدة. التعبير الاصطلاحي الأمريكي "ما يحدث في فيجاس يبقى في فيجاس" What Happens in Vegas Stays in Vegas يشير إلى الخروقات التي يقوم بها البشر في هذه المدينة من سكر وعربدة ولعب للقمار وخلافه، وهذه الأشياء تبقى سرا عقب انتهاء الزيارة.

يُذكرنا هذا بشكل كبير بقضية "البندر" في مصر في مطلع القرن العشرين فقد اعتاد ملاك الأراضي والميسورون من الفلاحين النزول إلى البنادر، القاهرة والإسكندرية وعواصم

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣.

(٢) يُعرف هذا الشعور بـ"متلازمة الطيار الأوتوماتيكي" Auto-Pilot Syndromeأو "متلازمة شرحه" Ditto Syndrome بمعنى أن الأيام متشابهة والأعمال التي تكتنفها ليس فيها تغيير ولا تخرج عن مسارها اليومي.

المحافظات للتردد على المواخير وبيوت الدعارة. كانت هذه البنادر مصدر لإبهار السذج من الفلاحين. تناول هذه القضية "يوسف إدريس" في مجموعته القصصية "النداهة"،[١] كما كتب عنها "يوسف القعيد" في روايته "البيات الشتوي":[٢] "حلم الرجال بحياة البنادر، وانتشر في صدورهم تصور لها، الشوارع المضاءة، المقاهي المزدحمة بالرجال، السيارات، النساء الرائعة، المحال المزدحمة، العمارات العالية، الأشجار المطلية بألوان زاهية، النقود الكثيرة في الأيادي."[٣]

متلازمة فلورنسا

تشير "متلازمة فلورنسا" Florence Syndrome إلى الإحساس الذي ينتاب الشخص الذي يُطالع تحفة فنية فريدة. عادة ما يصاحب هذا الإحساس خفقان القلب وسرعة التنفس والإغماء. من المعلوم أن مدينة "فلورنسا" مُتخمة بكنوز فنية تنتمي لعصر النهضة وشق كبير منها لمايكل أنجلو Michelangelo. يصاب بهذه المتلازمة عادة الأشخاص المفتونين بالثقافة والفنونCulture-Vulture . تُسمى المتلازمة أيضا بمتلازمة "ستاندال" Stendhal Syndromeنسبة إلى الروائي الفرنسي المشهور والذي وصف الظاهرة أثناء رحلته لفلورنسا عام ١٨١٧. يُقال أن الروائي الروسي "دستويفسكي" Dostoevsky أصيب بهذه المتلازمة حين وقف أمام لوحة "المسيح مصلوبا" للرسام الألماني "هانز هولبن" Hans Holbeinفي متحف "بازل" السويسرية Basle.[٤]

وتُصيب المتلازمة أيضا السائحين الذين يزورون الكرنك أو "أبو الهول" أو الأهرامات أو مجموعة "توت عنخ أمون" أو "تاج محل" أو "تمثال الحرية" أو "الكوليسيوم".. إلى آخره من ما تبقى من عجائب الدنيا القديمة أو العجائب الحديثة أو حتى لوحة "الموناليزا". زارت

(١) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٠.

(٢) دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٤.

(٣) البيات الشتوي، ص ٤٧.

(4) Edson José Amâncio, Dostoevsky and Stendhal's Syndrome, Arq Neuropsiquiatr 2005;63(4):1099-1103.

الكاتبة الإنجليزية "تريس شيفاليه" Tracy Chevalier لوحة "الفتاة ذات القرط اللؤلؤي" Girl with a Pearl Earring للرسام الهولندي "جوهانس فيرمير" Johannes Vermeer (1632 – 1675)) في "لاهاي". أمام اللوحة مرت الكاتبة بأعراض المتلازمة من فرط إعجابها باللوحة، وما إن عادت حتى شرعت في كتابة رواية عن اللوحة تحولت لعمل سينمائي شهير.

في رواية "تركي الحمد" "جروح الذاكرة"[(١)] تعبر البطلة عن إعجابها الشديد بلوحة "خلق آدم" لمايكل أنجلو، تلك اللوحة التي بهرها جمالها وأسرتها روعتها حين رأتها لأول مرة تحت قبة الستين في "الفاتيكان."[(٢)] في رواية "ربيع جابر" "أمريكا"[(٣)] مرت "مرتا حداد" بهذه الأعراض حين رأت "تمثال الحرية" حتى أنها خالته "مريم العذراء".[(٤)] كتب "ربيع جابر" واصفا هذه اللحظة من الانبهار الممزوج بالأمل والرجاء الذي اعترى هذه المهاجرة الباحثة عن زوجها وابنها عام ١٩١٣: "أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض... صلبت على وجهها الشاحب البياض وهي ترى السيدة الحجرية تمد الشعلة الحجرية صوبها وتخرج من الضباب الذي يغطي البحر. سمعت صوتا يقول هذا تمثال الحرية، وهناك وراء الضباب الغريب، هل ترون البنايات ناطحات السحاب، هذه مدينة نيويورك، انظروا البيوت العالية[(٥)]"!

وفي رواية "عبد السلام العجيلي" "أجملهن"[(٦)] نجد أيضا ملامح لهذه المتلازمة في شخص البطل، "سعيد"، لكن هذه المرة مع ليالي الأنس في "فيينا" حيث نراه مفتونا بعمارة الأديرة القديمة هناك. في رواية "جرافيت" كتب "هشام الخشن"[(٧)] على لسان بطلته التي أرسلتها وزارة المعارف المصرية عام ١٩٢٨ إلى باريس لاستكمال دراستها في "السربون": "طبعا أقضي أوقاتا طويلة في متاحف المدينة المملوءة بكنوز من الرسومات والتماثيل المبهرة.

---

(١) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.

(٢) جروح الذاكرة، ص ٢٠.

(٣) المركز الثقافي العربي ودار الآداب، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٩.

(٤) يتُعرف هذه الظاهرة بعشق السيدة مريم العذراء Mariolatry.

(٥) أمريكا، ص ١١.

(٦) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠١.

(٧) مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤.

أما ما خلب خيالي فكان برجا حديديا هو الأعلى في عالمنا يا أبي يكاد يلامس السحاب أسموه على اسم مشيده المهندس جوستاف إيفيل."[1]

قصر "دولمة بهجة" والانبهار الذي يتركه لدى زائري "اسطنبول" نجده في رواية "منذر القباني" "حكومة الظل":[2] "لم ير خليل الوزان في حياته قصرا أروع ولا أجمل من قصر الدولمة بهجة الذي يقطن فيه سلاطين بني عثمان منذ بنائه في منتصف القرن التاسع عشر في عهد السلطان عبد المجيد. كان القصر يقع في قلب استانبول مطلا على ضفاف مضيق البوسفور. من يرى عظمة وشموخ الدولمة بهجة، والتي تعني الحديقة الغناء بالتركية، لا يقول أنها مركز عاصمة دولة تنهار ويتكالب عليها الأعداء كتكالب الأكلة على قصعتها. كان الانبهار واضحا على خليل."[3]

في رواية "الرقص مع الخيول" لعمر الطالب[4] نقرأ: "تلفت حولي دون إرادتي، وأنا في قاعة الآثار والتماثيل، وبي قناعة بأن أحدا يراقبني، وكأنه واحد من التماثيل... وفجأة وقع نظري على رأس فتاة. استوقفتني، تأملتها. بها شبه كبير مني، بوسع المرء أن يشعر بأنه ينتمي إلى فنان ما، فتاة من العصر المغولي، في وجه التمثال ضرب من القوة والحلاوة الوحشية، إنه مجروح ومثلم بالعنق، وقد لونته وخشنته عواطف شرسة، إنها من نوع الوجوه التي تملأ المكان بحضورها، أخرجت المرآة من حقيبتي اليدوية، لأتأكد من مقدار الشبه الذي يربط بين وجهي ووجه هذه الفتاة المغولية، تحركت عنها الفتاة وكأنها تناديني، اقتربت منها، همست في أذني، أنت أنا."[5]

هذه العلاقة بين الشخص والعمل الفني إلى حد نشوء نوع من الحوار بينهما الأمر الذي يفتح باب المتلازمة على مصراعيه نجدها أيضا في رواية "خيوط القدر"[6] التي يبحث فيها البطل عن حبيبته التي ترتبط بوجه من "بورتريهات الفيوم" موجود في المتحف البريطاني

(١) جرافيت، ص ٩.
(٢) مركز الراية للتنمية الفكرية، دمشق، ٢٠٠٦.
(٣) حكومة الظل، ص ٦١، ٦٢.
(٤) دار الفداء، عمان، ١٩٩٦.
(٥) الرقص مع الخيول، ص ٢.
(٦) محمد عزب، دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.

بلندن: "عرفت أن "البورتريه" موجود في القاعة ٦٢-٦٣.. شعرت بالهيبة وأنا أمشي الهوينى نحو الصورة. أحسست أني أتقدم نحو عرش بلقيس أو أنني في حضرة الملكة نفرتاري. على قطعة خشبية مقاس ٤٤ × ٢٠ سم انتصبت جيني. وُجدت الصورة في مقبرة الروبيات وهي قرية تتبع مركز طامية وتقع شرق الفيوم في مواجهة هرم سيلا.. وقفت مشدوها مذهولا أمام "البورتريه" الذي لا أعرف من أحضره إلى هنا وبأي حق فعل ذلك؟!.. ترتدي جيني رداء أزرقا بحواف مذهبة وتضع على كتفها شالا أبيضا. يوجد على شعرها إكليل مذهب من أوراق الشجر. تتدلى من قرطيها حبتان من اللؤلؤ، أما عقدها فمن الزمرد الأحمر.. أخذت أحدق في الصورة حتى أحسست أني صرت داخلها وأني قفزت داخل عيني جيني وسافرت فيهما عبر الزمن، عبر درب التبانة أو طريق الحج أو طريق الحرير.. لاحظت انبهار زوار المتحف بالصورة، لكن حماسي لها فاق كل الحدود لأن إحساسي بها كان مختلف."[١]

متلازمة باريس

خرجت متلازمة باريس Paris Syndrome إلى النور مع الاضطراب الذي يُصيب اليابانيين أثناء زيارتهم للعاصمة الفرنسية نتيجة للتباين بين الصورة الذهنية المثالية الراقية لديهم عن هذه المدينة التي طالما قاموا بتخيلها منذ صغرهم وما يلمسونه على أرض الواقع من صخب وسرعة في إيقاع حياتها وبرجماتية سكانها.[٢] هذا بالرغم من أن السائح الياباني مسالم ومطيع وحمول بصفة عامة مقارنة بالسائح الأمريكي مثلا والمعروف بمشاكسته وإزعاجه حتى أنه أصبح موضوعا لإحدى المتلازمات الثقافية Culture – Specific Syndromes، ونقصد بها "متلازمة الأمريكي الشنيع Ugly American Syndrome".

وتشترك متلازمة "فيجاس" مع متلازمة "باريس في قضية الإعجاب والانبهار والصدمة الثقافية التي يشعر بها من ينتقل من دول العالم الثالث إلى المدن الأوربية

(١) خيوط القدر، ص ١٣٤، ١٣٥.

(2) Viala, A.; H. Ota, M.N. Vacheron, P. Martin, and F. Caroli (2004). "Les Japonais en voyage pathologique à Paris : un modèle original de prise en charge transculturelle", Nervure Supplément 5: 31–34. Retrieved November 4, 2009.

والأمريكية. خبر المصريون منذ رفاعة الطهطاوي[1] متلازمة باريس، مدينة النور والجن والملائكة، أو ما يمكن أن نطلق عليه "الصدمة الثقافية" Cultural Shock والتي مر بها بصفة أساسية المبتعثون من الوطن العربي أو الشرق الأوسط إلى أوروبا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين. في هذه التوقيت كانت السفينة هي وسيلة النقل الرئيسية والخطابات هي وسيلة التواصل الأساسية. وعكس الأدب الروائي هذه الصدمة في سيرة "طه حسين" "الأيام"[2] بالرغم من أن كاتبها كان كفيفا.

مر "طه" بصدمة ثقافية داخلية حين انتقل من الصعيد إلى القاهرة، وهو الشعور الذي ينتاب بشكل عام أهل الريف حين ينتقلون إلى الحضر."[3] ونفس الفكرة حاضرة في رواية "محب" لعبد الفتاح الجمل[4] و"مرسى فاطمة" للروائي "حجي جابر"[5] و"سنديان الذاكرة" لسليم عبود.[6] في رواية "محمد صالح الجابري" "البحر ينشر ألواحه"[7] يعارض أهل قرية "عمدون" سفر "دربالة" إلى "بنزرت" لأنهم يعلمون ما تعج به المدن من شرور، بل أن أمه تحذره من النظر إلى نساء المدينة، لكن "دربالة" يقع في المحظور فكل ممنوع مرغوب، بل ويأخذ خطوة أكبر حين ينتقل من بنزرت إلى "روما". كتب "حيدر حيدر":[8] "عالم آخر هو عالم المدينة. فضاء جديد أكثر رحابة من عالم القرية الضيق. شوارع وأنوار كهربائية. سيارات ومتاجر وأبنية عالية. بشر في حركة عمل وبيع وشراء. موظفون في المؤسسات الحكومية لكأنك خرجت من كهف معتم إلى الدنيا الجديدة، المبهرة. نحن طلاب الريف نسكن غرفا مستأجرة في الأحياء الشعبية. تتسع لاثنين أو ثلاثة، أو أكثر أحيانا، حسب الحالة المادية للأهل. نبدو غرباء، وقساة، وسذجا في مرايا وعيون طلاب المدينة؛

(١) راجع مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، (رسالة دكتوراه)، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦، ص ١٣.

(٢) مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢.

(٣) عالجت السينما المصرية هذه الفكرة في "ضحايا المدينة"، ١٩٤٦.

(٤) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٥) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٣.

(٦) مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٠.

(٧) الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٠.

(٨) طائر السنونو، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨.

فلاحون أجلاف، وسخون، ومقمّلون. طبـع فظـة وعدوانيـة، نـشبه الحيوانـات المتوحـشة، يقولون عنا."[1]

انتقال بحوالي ١٨٠ درجة من القرية للمدينة صوره لنا "عمر أحمـد سـليمان" في روايتـه "أرض رشيدة".[2] ينتهي الحال ببعض من هؤلاء الفلاحين إلى تشوه الهوية فلا هو بـالقروي الصرف ولا بالحضري الناجح. تلفظه القرية والمدينة ويعيش عـلى الهـامش أو "يـرقص عـلى السلالم" كما يقولون في الأمثال الشعبية المصرية: "آباؤنـا.. أولئـك الـذين فـروا مـن جـدب القرى ووحشة الصحاري وبؤس السواحل.. لم يجدوا في قلب المدينة متسعا لهـم فاسـتوطنوا الهامش.. دنوا من المدينة دنو المحتاج إليها والمرتـاب فيهـا.. لا تغنـيهم ولا يـستغنون عنهـا، بينهم وبينها سور له باب، وبينهم وبين قراهم أرض يباب، عاشوا عـلى هـامش المدينـة، كـما عاشوا على هامش القرية، هامش مدينة لم يعرفوها وهامش قرية لم تعد تعرفهم."[3]

في الحقيقة لقد أظهر "طه حسين" في "الأيام" ائتلافا معتـدلا بـين حلـم الـشرق وعلـم الغرب. في روايته "أديب" مالت الكفة نحو الغرب بعد أن طلق البطل زوجته الشرقية طلاقا بائنا، وطلق معها انتماءاته ليرمي بنفسه في حضن الغرب ويذوب في أفكاره.[4] نظـرا للتطـور الحادث في النقل عن طريق الجو وثورة الاتصالات فقـد أظهـرت النـصوص المتـأخرة قـدرا أخف وطأة من الصدمة الثقافية كما عند "غازي القصيبي" و"رضوى عاشـور" والأصـوات النسائية السعودية ضمن برنامج الإبتعاث.[5]

---

(١) هجرة السنونو، ص ٦٠.

(٢) دار ليليت، الإسكندرية، ٢٠١٤.

(٣) سعيد السريحي، الرويس، دار جداول، بيروت، ٢٠١٣، ص ٧.

(٤) جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة (رسالة دكتـوراه)، جامعـة باتنـة، الجزائـر، ٢٠٠٨، ص ١٢١.

(٥) في هذه النقطة تعتبر الرواية الخليجية انعكاس متأخر للرواية المصرية، فرواية البعثات المصرية إلى أوروبـا في الستينيات والسبعينيات تجد لها صدى في روايات المبتعثين والمبتعثات السعوديين والـسعوديات مـثلا في التسعينيات وبداية الألفية الثانية.

يُنسب للشاعر البريطاني "كيبلنج" قوله أن "الشرق شرق والغرب غـرب" وأنهـما "لـن يلتقيان".[١] قاومت "زهرة المنصوري" هذا الطرح في روايتها من يبكي النوارس"،[٢] لكـن في الحقيقة فشل العديد من المبتعثين والمهاجرين في الاندماج مع البيئـة الأوروبيـة والتـصرف كما يفعل الرومان في روما[٣] فتعرضوا للتخبط والحيرة ومروا بمظاهر الـصدمة الثقافيـة مـن دهشة وانبهار. يجـسد هـذه الفكـرة مـا أوردتـه "هنرييـت عبـودي" في روايتهـا "وداعـا يـا ماردين":[٤] "ما الذي يربطنا بكندا أو بالتشيلي أو بأي واحد من تلك الأقطار النائية؟ كيـف نعيش فيها وليست لنا جذور في أرضها؟"[٥] يكمل "أمجـد توفيـق" العبـارة قـائلا: "تمـوت الأشجار إذا نُقلت من أرض لأرض."[٦] ويقابل هذا الرفض ميـل آخـرون إلى الاسـتغراب وتقليد المتفوق في لباسه وشربه وطعامه ونمط حياته. تُـسمى هـذه الظـاهرة في مـصر بعقـدة الخواجه **Xenomania، ومازالت مظاهرها موجودة حتى الآن في الـوطن العـربي برمتـه مـن تفضيل الأوربيين والأمريكيين واليابانيين والركـون إلـيهم وإسـناد الأعـمال إلـيهم** وانتـداب الخبراء منهم مقابل أموال طائلة حتى لو كان هناك من الوطنيين من يملك كفاءة مماثلة.

في رواية "عبد العزيز بركة ساكن" "الرجـل الخـراب"[٧] نقابـل هـذا الـشخص الـذي يسمح لنفسه بالذوبان في المجتمع الغربي ويغير اسمه من "درويش" إلى "هاينيش"Heinrich ، بل ولا يمانع من أن تتخذ ابنته صديقا لها لا يكـره العـرب عـلى حـد قـول "نـورا"، زوجـة "درويش": "وهذه الجملة الأخيرة أخافته بالفعل، فلنقل أنها أربكته، ولو أن زوجتـه كانـت تظن أنها من الإيجابيات، إلا أن درويشا أو هاينرش منذ أن قدم إلى النمسا في تسعينيات القرن الماضي قد قطع علاقته بكل ما هو مسلم وعربي."[٨] نمـوذج آخـر قدمـه "محمـد جـلال" في

(1) The Ballad of East and West," a poem by Rudyard Kipling.

(٢) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.

(3) When you are at Rome, do as the Romans do.

(٤) دار الفرات – دار بترا، بيروت – دمشق، ٢٠٠٩.

(٥) وداعا يا ماردين، ص ٢٣٨.

(٦) الظلال الطويلة، جريدة الزمان، أسبوعيا من ٢١ إبريل ٢٠٠٤ حتى ١٢ مايو ٢٠٠٥.

(٧) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٥.

(٨) الرجل الخراب، ص ١٢.

روايته "فرط الرمان"[١] ويمثله "أدهم". ونموذج ثالـث يمثلـه "حميمـو" في روايـة "سـعيد علوش" "سيرك عمار".[٢]

نموذج ثالث تقدمه "حوراء النداوي" في روايتها "تحـت سـماء كوبنهـاجن":[٣] "كـان الدين بالنسبة إلينا شيئا ثانويا ويكاد يكون منسيا، ولم نكن نـشهد مظـاهره في بيتنـا إلا في مـا ندر... كان بيتنا خاليا من المظاهر الدينيـة! حتـى أننـا لم نعلـق لوحـات قرآنيـة عـلى جـدران البيت... قالت (أم حسن) في واحدة من زياراتها القليلة النادرة:

لماذا لا تعلقون لوحة لسورة أو آية تحفظون بها المنزل؟

تسللت بسؤالها وهي تقلب بصرها في البيت. اضطربت رموش أمي لوهلة وهي تقول:

أبو عماد يقول إن اللوحات القرآنية لا تتماشى والطراز الذي نعتمده في المنزل."[٤]

التنكر للخلفيات والتراث يقابله "الهوس بالأجانب "أو "عقدة الخواجه" والتـي تعنـي الولع بكل ما هو أجنبي (غربي تحديدا) من ملابس إلى تقاليع إلى مباريات كـرة القـدم. أشـار ابن خلدون من قبل أن المنهزم (حضاريا) يميل إلى تقليد المتفوق.[٥] تظهر "عقـدة الخواجـه" في الاستعانة بالأجانب في الأعمال تحت بند (خبير) وتفضيلهم على أهل البلد، كذلك تفضيل المنتج الأجنبي. وترتبط بظاهرة "عقدة الخواجه" الرغبة في الهجرة إلى أوروبا وأمريكا.

يقول فاروق جويدة على لسان الخديوي إسماعيل:

إني أرى أيام عمري كلها باريس

الناس والطرقات والزمن الجميل

عطر يطارني... حلم يعاندني

---

(١) مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٦.

(٢) دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠٠٨.

(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.

(٤) تحت سماء كوبنهاجن، ص ٥٦، ٥٧.

(٥) عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٢.

شوق يهدهدني... جرح يعذبني

باريس يا حلمي الجميل[1]

بالرغم من أن الخديوي المذكور أنشأ دار الأوبرا المصرية عام ١٨٦٩ وأنه حاول تقليد أحيائها فيما يعرف بالقاهرة الخديوية، تجد توفيق الحكيم مبهورا بالأوبرا الباريسية. يقول واصفا "محسن"، بطل "عصفور من الشرق": "حان الوقت، ودخل محسن الأوبرا، فما تمالك أن وقف مشدوها: أية عظمة وأي ثراء يشعران بالدوار؟! وأي أنوار؟! عندئذ أدرك من فوره معنى مجسما لكلمة الحضارة الغربية الكبرى التي بسطت جناحيها على العالم... وصعد محسن سلم الأوبرا المشهور، وهو يتصبب خجلا بين الصاعدين من أصحاب الفراء الثمين، والقبعة العالية، والقميص المنشى الحقيقي، والسيدات الأنيقات في أثواب الليل البراقة، والحلي المتألقة؛ كأنهن الشموس في عالم الماس. وخيل إلى محسن أنه قد دخل بين هؤلاء القوم بالغش والتدليس، وأن هذا السلم الشهير يأنف من حلمه وقد مرت عليه السنون، وهو يحمل الجاه والمال في العالم قاطبة. ولعله المكان الوحيد الذي لا شك قد وطئته أقدام جميع الملوك، فليس ببعيد أن يغضب السلم في هذه اللحظة ويزلزل بمحسن صائحا: لم يبق على آخر الزمان إلا أن يطأني، بنعله القديم، مثل هذا الصعلوك القادم من الشرق!"[2]

تبدأ الصدمة الثقافية العكسية Counter – Culture Shock عندما يشرع المسافر في المقارنة بين ما يراه في الغرب وما عايشه في وطنه الأم: "لماذا يتبادل الناس الحب هنا، تحت شمس النهار، وتحجل الحمائم بين أقدام الأطفال بأمان، وتنطلق قطارات المترو في مواعيدها إلى الضواحي الخضراء، وتذهب العجائز لتسريح شعورهن عند الكوافير، في حين لا تكف الأحداث عن الغليان في أوطاننا الأبية الغارقة في حروب تطحن البشر؟"[3]

وتمثل الصدمة الثقافية العكسية آخر مراحل الصدمة الثقافية حين يعود المُبتعث أو المسافر إلى أرض الأجداد. أحيانا تبدأ الصدمة الثقافية العكسية في مطار الوصول إلى البلد الأم حين يبدأ عقل المغترب في عقد المقارنات بين مستوى النظافة وأسلوب المعاملة والأنظمة

(١) من مسرحية "الخديوي".

(٢) توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٣٠-٣١.

(٣) إنعامججه جي، سواقي القلوب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٦.

المعمول بها. أصيب بهذه الصدمة "توفيق" في قصة "إحسان عبد القدوس" القصيرة "أين عقلي" ١٩٧٤. لم يستطع التوفيق بين التقاليد الشرقية والعادات الأوروبية التي اكتسبها أثناء دراسته في الخارج. استمع إلى "مصطفى سعيد"، "الطيب صالح"، يصف عودته من إنجلترا وهو يحاور من يعتقد أنه لا يأتي من الغرب ما يسر القلب: "وصولي كان صامتا. كل أحد سألني وسألته. سألوني عن أوروبا. هل الناس مثلنا أم يختلفون عنا؟ هل المعيشة غالية أم رخيصة؟ ماذا يفعل الناس في الشتاء؟ يقولون إن النساء سافرات يرقصن علانية مع الرجال. وسألني ود الريس: هل صحيح أنهم لا يتزوجون ولكن الرجل منهم يعيش مع المرأة بالحرام؟ أسئلة كثيرة رددت عليها حسب علمي. دهشوا حين قلت لهم أن الأوروبيين، إذا استثنينا فوارق ضئيلة، مثلنا تماما، يتزوجون ويربون أولادهم حسب التقاليد والأصول، ولهم أخلاق حسنة، وهم عموما قوم طيبون. وسألني محجوب: هل بينهم مزارعون؟ وقلت له: نعم بينهم مزارعون وبينهم كل شيء. منهم العامل والطيب والمزارع والمعلم مثلنا تماما. وآثرت ألا أقول بقية ما خطر على بالي: مثلنا تماما. يولدون ويموتون وفي الرحلة من المهد إلى اللحد يحلمون أحلاما بعضها يصدق وبعضها يخيب. يخافون من المجهول، وينشدون الحب، ويبحثون عن الطمأنينة في الزوج والولد. فيهم أقوياء، وبعضهم حرمته الحياة. لكن الفروق تضيق وأغلب الضعفاء لم يعودوا ضعفاء."[١]

بينما عادت الزوجة الفرنسية مع طه حسين لتُكمل معه كفاحه في الشرق وتخوض معه تجارب كادت تعصف به، لم تعد الزوجة البريطانية مع "مصطفى سعيد"، بطل "موسم الهجرة إلى الشمال". "لقد استوعب عقل مصطفى سعيد حضارة الغرب، لكنها حطمت قلبه، فظن أنه يمكن التغلب على غربته بالعودة إلى دفء الحياة في العشيرة"[٢] كما تطالعنا الجملة الأولى في الرواية: "عدت إلى أهلي يا سادتي بعد غيبة طويلة، سبعة أعوام على وجه التحديد، كنت خلالها أتعلم في أوربا. تعلمت الكثير، وغاب عني الكثير، لكن تلك قصة أخرى."[٣]

---

(١) الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار الجيل، الجيزة، ١٩٩٩، ص ٧.

(٢) حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٥٠.

(٣) موسم الهجرة إلى الشمال، ص ٥.

عاد الطيب صالح ليزيل من عقول أبناء بلدته فكرتهم عن الأوربيين والتي تقضي بأنهم مجموعة من سكان الكواكب الأخرى. أما الدكتور إسماعيل في "النوفيلا" Novella الرائعة "قنديل أم هاشم" ليحيي حقي فقد عاد من أوروبا حيث أرته "ماري" التي تمثل الغرب الوجه الآخر للحياة. لقنته فلسفة الحياة الغربية. علمته أن الحياة ليست برنامجا ثابتا، بل مجادلة متجددة، يكلمها عن الزواج، فتكلمه عن الحب، يحدثها عن المستقبل فتحدثه عن حاضر اللحظة، يقول لها: تعالي نجلس فتقول له: قم نسر."[١] عرته وكشفت تناقضات نفسه تماما مثلما فعلت "ساندرا" بخليل في رواية "أحمد إبراهيم الفقيه" "سأهبك مدينة أخرى":[٢] "إنك دائما تريد أن تكون ما هو لست أنت؛ تريد أن تكون فاسقا وأخلاقيا، متدينا ومتحررا من الدين؛ تريد أن تعيش في العصور الوسطى والعصر الحديث؛ تنتمي إلى الشرق وتنتمي إلى الغرب؛ تضع قدما في الواقع وقدما في الأسطورة."[٣] عاد الطبيب "إسماعيل" إذن ليكسر القنديل[٤] ويحطم الخرافة ويوصل رسالة للشرق العتيق بأنه بات عليه أن ينبذ الدجل والشعوذة والجهل وأن يأخذ بأسباب العلم والرقي والتقدم كما فعل الغرب، فهل وصلت الرسالة يا تُرى؟!

"انفلت إسماعيل من الزحام، وجرى إلى الجامع ودخله واجتاز الصحن إلى الحرم. المقام يتنفس بدل الهواء أبخرة ثقيلة من عطور البرابرة. هذا هو القنديل قد علق التراب بزجاجه واسودت سلسلته من هبابه. تفوح منه رائحة احتراق خانقة. أكثر ما ينبعث منه دخان لا بصيص ضوء. هذا الشعاع إعلان قائم للخرافة والجهل. يحوم في سقف المقام خفاش اقشعر له بدنه. حول المقام أناس كالخشب المسندة وقفوا مشلولين متشبثين بالأسوار. فيهم رجل يستجدي صاحبة المقام شيئا لم يفهمه إسماعيل وإنما وعى أنه يستعديها على خصم له، ويسألها أن تخرب بيته وتيتم أطفاله. والتفت إسماعيل إلى ركن في المقام فوجد الشيخ درديري يناول رجلا معصوب الرأس بمنديل نسائي زجاجة صغيرة في حرص وتستر. كأنما هي بعض

---

(١) الغرب في الرواية العربية الحديثة، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٢)رياض الريس الكتب والنشر، لندن – قبرص، ١٩٩١.

(٣) سأهبك مدينة أخرى، ص ١٦٨.

(٤) في روايته "باب الحجازي" استخدم "إسلام البنا" " باب المقام كرمز للقداسة الزائفة. (الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥).

المهربات. لم يملك إسماعيل نفسه. فقد وعيه، وشعر بطنين أجراس عديدة وزاغ بصره ثم شب وأهوى بعصاه على القنديل فحطمه وتناثر زجاجه."[1]

نشير هنا إلى أن "باريس" تمثل المدينة الغربية سواء كانت "لندن" أو "روما" أو "برلين". يسميها "حسين حمودة" "مدينة الغرب" وهي على حد قوله "تمثيل للمدينة الحديثة بوجه عام، مرتبطة بنوع من التضاد مع مدينة الشرق، على مستوى العلامات والقيم والدلالات والمعاني، وأيضا على مستوى التكوين المعماري نفسه".[2] بقى لنا أن نفند الفرق بين الغرب والغربة فالغرب قد يكون غربة للبعض ومتاهة للآخرين ونعمة لجماعة ثالثة. والغربة تشمل أي بقعة خارج تخوم الأوطان، بل وقد لا تتجاوز حدودها فكم من الأشخاص يشعرون بالغربة في بلادهم.

ومن الروايات التي تناولت هذا الموضوع المطروق: "شمروخ" لمحمود تيمور،[3] "الثلج يأتي من النافذة" لحنا مينه،[4] "سباق المسافات الطويلة" لعبد الرحمن منيف،[5] "روائح ماري كلير" للحبيب السالمي،[6] "بروكلين هايتس" لميرال الطحاوي،[7] "عناق عند جسر بوركلين" لعز الدين شكري[8]...ألخ.

في رواية "بيروت ٧٥" لغادة السمان[9] يتم استبدال "متلازمة باريس" بمتلازمة بيروت التي كانت مقصد الشرقيين[10] قبل الحرب الأهلية والطائفية الممجوجة. في الرواية يلجأ إليها "فرح"، الشاب القروي الحالم بثراء المدينة و"ياسمينة"، الفتاة الدمشقية الهاربة من قيود

---

(١) دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٠.

(٢) الرواية والمدينة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٨٧.

(٣) دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، ١٩٩٣.

(٤) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٩.

(٥) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

(٦) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.

(٧) ميريت، القاهرة، ٢٠١٠.

(٨) دار العين، القاهرة، ٢٠١١.

(٩) منشورات غادة السمان، بيروت، ١٩٧٥.

(١٠) راجع رواية "كلاديس مطر" "قانون مريم"، دار ورد، دمشق، ٢٠١٢.

التقاليد إلى الانفتاح والحرية لتتحول هناك إلى مومس.[1] كتب "سعد هادي" في روايته "سلاطين الرماد":[2] "حلما ظل يراوده منذ سنوات: أن يرى بيروت... الفردوس الذي يبحث عنه."[3]

متلازمة الأندلس

"غربت الشمس وماتت الأندلس... يا طول ليل العرب... وداعا يا أندلس... وداعا لا لقاء بعده."[4]

يعود الفضل لنحت مصطلح "متلازمة الأندلس" Andalusia Syndrome للدكتور الباكستاني "أكبر أحمد" وذلك في كتابه "الإسلام اليوم" Islam Today.[5] ويشير المصطلح بمعناه الأوسع – ربما أرحب مما قصده الأستاذ بجامعة "كيمبردج" - إلى نكبة "الأندلس" وضياع الحلم بخروج العرب منها بعد ثمانية قرون أمضوها في "يوتوبيا" ضائعة وفردوس مفقود. تحولت الأندلس في الضمير العربي واليقين الإسلامي إلى بكائية أو ربما لطمية.

حين سقطت القدس في يد العرب، حاول إمبراطور الحبشة "جيبري ميكسيل"[6] بناء أورشليم جديدة في بلاده، لكن حين سقطت الأندلس لم يسع العرب إلى تقليد النموذج الحضاري الأصيل غير المستنسخ من حضارات أخرى ولا الذي يعتمد في الأساس على القوة الشرائية والقيمة الاستهلاكية في أي من أقطارهم، واكتفوا بالبكاء على الأطلال.

تعددت المرثيات في واقع حياتهم من ضياع الأندلس إلى نكبة فلسطين وربما الجزر الإماراتية و"الإسكندرونة" و"الأهواز" و"سبتة – مليلة" وجنوب السودان و"كردستان" العراق إلى آخره. "هذه المرحلة الأندلسية ذات تأثير واضح على الإبداع العربي، بحيث يمكن

(١) راجع بحث "سعاد الطويل"، "الرواية النسائية العربية وخطاب الذات"، مجلة المخبر، العدد ٦ (٢٠١٠)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص ١٤.

(٢) مومنت للنشر الرقمي، لندن، ٢٠١٤.

(٣) سلاطين الرماد، ص ٨.

(٤) مدحت عبد الرازق، الخليفة، دار المجد، القاهرة، ٢٠١٣.

(5) I B Tauris & Co Ltd; New edition edition (17 July 2009.(

(6) Gebre Mesqel, 1181 – 1221.

أن يُشكل مفارقة حادة، فهي من ناحية تمثل حلقة من حلقات الماضي الجميل للعصور الذهبية العربية، ومن ناحية أخرى – ربما كانت هي الأكثر إلحاحا – تمثل الكابوس المرعب، الذي ينتظر كل قطر إسلامي مهدد بالصراع والسقوط."(١)

من الروايات التي تناولت مرثية الأندلس "صقر قريش" لعلي أدهم(٢) و"هاتف من الأندلس" لعلي الجارم،(٣) و"البشرات" لإبراهيم أحمد عيسى(٤) و"موجيتوس" لمنير عتيبة(٥) والقائمة طويلة وممتدة. الغريب في الأمر أن فكرة "ضياع الأندلس" في الأدب العربي يقابلها "أدب الاسترداد" في الأدب الاسباني Reconquista وأدب المقاومة الفلسطيني يقابله "أدب العودة لأرض الميعاد" في "الأدب العبري"، وهكذا مناحي الأدب الإنساني يجتمع على ثوابت عامة مجردة كالعدل والحرية ويتفاوت حينما يأخذ منحى قومي أو أيديولوجي. وأخيرا تعني متلازمة الأندلس في تيار الوعي الجمعي الأوروبي والأمريكي بالتبعية الخوف من اكتساح العرب أوروبا وهي مُبطنة بالتنميط Stereotyping ومشاعر "الإسلاموفوبيا" Islamophobia،(٦) الأمر الذي يدفع بهم إلى المطالبة بوقف هجرة المسلمين خوفا من أسلمة القارة العجوز أو منع الحجاب والآذان من باب التضييق ثم الاعتداء على ما تطاله أيديهم منهم.

متلازمة سافغ

رسخت الحروب الصليبية Crusades نظرية المؤامرة لدي العرب والمسلمين. منذ الحرب الحملة الصليبية الأولى وحتى دخول "اللنبي" Allenby القدس وزيارة "جورو" Gouraud لقبر صلاح الدين لم يفعل الغرب الكثير لإثبات خطأ هذه النظرية التي امتد أثرها

(١) طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٢، ص ١٥٦.
(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.
(٣) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، لقاهرة، ٢٠١٢.
(٤) مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.
(٥) مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠١٥.
(٦) بينما ينظر بعض الغربيين بعين التوجس من المسلمين فيما يُعرف بـ "متلازمة الجهاد" Jihad Syndrome، ينظر المسلمون إلى الغرب وإسرائيل بنظرية التآمر أو ما يُعرف بـ "متلازمة الصليبي" Crusader Syndrome، والخلاصة أن الثقة التامة مفقودة بين الطرفين.

حتى "الاتفاق الودي" و"سايكس – بيكو" و"وعد بلفور" وفيه أعطى من لا يملك من لا يستحق. لا يختلف اثنان على وجود المؤامرة وتواريها خلف مفاهيم "الفوضى الخلاقة" و"الشرق الأوسط الكبير" أو "الجديد" وتفتيت دوله. ولا أدل على ذلك من مقولة الرئيس الأمريكي "روزفلت" التي صدر بها "صلاح المختار" كتابه "متلازمة أمريكا".[١] يقول روزفلت: "لا شيء يحدث على سبيل الصدفة في علم السياسة، وإذا حدث ذلك، فاعلم أن ذلك مخططا له كي يظهر وكأن كل شيء قد حدث على سبيل الصدفة."

لكن نظرية المؤامرة أصبحت تحاصرنا وتسرب إليها عنصر التهويل والتضخيم والمبالغة، فما أن تحدث واقعة حتى نبدأ في استدعاء عبارات "اللهو الخفي" من على شاكلة "الطرف الثالث والطابور الخامس" وهلم جره.

كتب "عبد خال" في روايته "نباح":[٢] "فكرة المؤامرة مزدهرة هنا (اليمن) مثلها مثل بقية عالمنا العربي، لا يحدث شيء بالصدفة أو وفق مجريات القدر، لا يحدث شيء وفق الانتقال من فراغ إلى فراغ، كل حدث يحدث هناك تقف جهة ما خلف حدوثه."[٣]

يوسع "حسين المناصرة" أبعاد المؤامرة ويغمس حقائقها بالمبالغات في روايته "بوابة خربة بني دار":[٤] "ما يحدث في حاراتنا يعود من وجهة نظره إلى مجرد تنفيذ لمؤامرات مرسومة تحقق ما تسعى إليه، مرة يعيدها إلى مخطط استعماري دولي، وأخرى إلى سايكس بيكو، وثالثة إلى يالطة، وإلى أجهزة أمنية معادية، إلى الماسونية، الصهيونية، المافيا."[٥]

انتقد "أحمد الواصل" هذه المواربة والإحالات التي تنتهي إلى الصمت والتمويه في روايته "سورة الرياض".[٦] كتب يقول: "في منهج دراستنا تُعتبر الغزوات والفتوحات منجزات حضارية أسبابها مرعية من السماء حتى وصل الأمر إلى ما بعد سقوط الأندلس،

---

(١) إي كتب، لندن، ٢٠١٦.
(٢) منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٤.
(٣) نباح، ص ١٨٣.
(٤) دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٧.
(٥) بوابة خربة بني دار، ص ٥٢، ٥٣.
(٦) دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧.

وكان الصمت والمراوغات لواضعي المنهج... امتلأت كتب التاريخ بالمؤامرات حول العرب والمسلمين. المعاهدات والاتفاقات من بيعة السقيفة ومأساة كربلاء إلى انهيار الأستانة ومؤتمر بال وسايكس – بيكو.. ألم تحتج إلى تجديد بعد قرن؟!"[(١)]

الحقيقة أن الطرف الضعيف هو الذي يلجأ دوما إلى نظرية المؤامرة ليواري بها سوءة هشاشته ووهنه، ولا بأس أيضا باستدعاء ماضي تليد التي انقطعت صلة النسب بينه وبين الحاضر، مع شيء من تضخيم الذات المفتعل والإيحاء بأنه يعلم خيوط المؤامرة وما يحاك له في الظلام وبعض العنتريات والقعقاعات والتهويش بسيوف خشبية في ظاهرة صوتية نادرة لا تجدها إلا عن أقوام يعيشون على هوامش الزمن.

عرف الأتراك أيضا نظرية المؤامرة زمن شيخوخة ومرض إمبراطوريتهم كما تشير "متلازمة سافغ" Sevres Syndrome. و"سافغ" هي ضاحية باريسية شهدت اجتماعا ضد الدولة العثمانية سعى إلى تقسيمها واقتسام أملاكها. صحيح أن نظرية المؤامرة باتت هاجسا يشوبها بعض المبالغة بحيث أضحينا نعلق أخطائنا وعيوبنا وتقصيرنا على شماعة المؤامرة، إلا أن هذا لا ينفي وجودها ولا يقلل من خطورتها.

متلازمة جالاباجوس

يقع أرخبيل أو مجموعة جزر "جالاباجوس" Galapagos Islands في المحيط الهادي. زارها العالم "تشارلز دارون" Charles Darwinواكتشف فيها أعداد هائلة من الزواحف، وكان لهذه الجزر الأثر الكبير في استنباطه نظرية التطور Natural Selection / Theory of Evolution. تشير "متلازمة جالاباجوس" Galapagos Syndrome إلى المجتمعات المنغلقة المنعزلة التي تُطعم نفسها ولا تهتم كثيرا بالعالم الخارجي فهي تحافظ على تراثها وهويتها الثقافية حتى لو كان ما تستخدمه من مفردات الحياة من أجهزة هواتف أو سيارات أو آلات غير متطورة وغير مواكبة للعالم الخارجي.

أوضح "يوسف القعيد" ملامح ضياع الهوية الثقافية في مقابل الأمركة والانفتاح والكونية وإفراز طبقة "محدثي النعمة" Nouveau Riche في روايته "يحدث الآن في

(١) سورة الرياض، ص ٢٩، ٣٠.

مصر".[1] أما "خالد أحمد" فقد وضع أحداث روايته، "شرق الدائري"[2] في قرية نائية أقصى غرب الجيزة مستحضرا عناوين كبيرة مثل "شرق السويس" و"شرق المتوسط"، وطالما أنت في الغرب فأنت في الذبول والأفول والغروب والموت كما اعتقد الفراعنة. الموت يأتي حقا لهذه القرية الآمنة المنتجة في صور الانفتاح الذي تقوده العائلات الكبيرة والتصنيع الذي جعلها ترقص على السلم فلا هي زراعية ولا صناعية. هجر الفلاحون الأراضي وحلت البلطجة وتدنت الأخلاق وسادت المغالاة الدينية وعدم التسامح.

متلازمة روزويل

"متلازمة روزويل" [3] Rosewell Syndrome هي وصفة صناعة الخرافة في العقل الجمعي. وتذكرنا على الفور بنظرية الإلهاء، إلهاء الشعب عن الخوض في السياسة، إلهاءه بالخرافة والبدع وقصص مختلقة. وهنا تشترك هذه الظاهرة مع "متلازمة هز ذيل الكلب" Wag the Dog Syndrome والتي خرجت للوجود عقب فيلم تحت نفس العنوان قدمته السينما الأمريكية عام ١٩٧٩. يدور الفيلم حول قرار الرئيس الأمريكي بشن حرب على ألبانيا! والغرض المبطن هو تشتيت انتباه الناس عن فضيحة جنسية. وكثيرا ما يحدث هذا النوع من الإلهاء في دول العالم الثالث فمن أجل إلهاء الناس عن اعتداء الصهاينة المتكرر على غزة أو المسجد الأقصى أو خلافه لا بأس من تسريب مكالمة أو شريط فيديو فاضح لممثل أو رجل أعمال تلوكه ألسنة الناس على المقاهي. هذا النوع من الإلهاء عمل مؤسسي مخابراتي عتيد لا يجيده سوى المتمرسين في هذا الشأن.

عوة إلى المتلاومة الأساسية نقول أن مدينة "روزويل" تقع في ولاية "نيو ميكسيكو" New Mexico بالولايات المتحدة. في عام ١٩٤٧ انفجر بها بالون. اجتهدت الحكومة في إبقاء الأمر سرا لموائمات سياسية. في السبعينيات بدأت تظهر قصص عن كائنات فضائية وراء التفجير. تحول الأمر إلى ظاهرة صدقها العديد من الناس وكتبت عنها الصحف والمجلات.

---

(١) دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

(٢) دار المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٣) تُسمى أيضا Rosewellian Syndrome.

كثير من الخرافات التي نغرق فيها ليس لها أساس من الصحة. وأقوى الخرافات وطأة تلك التي ترتبط بالدين. في أصقاع عديدة من وطننا العربي اختلط عند الناس الدين بالخرافة فالنعال المقلوبة حرام والمقص المفتوح يجلب النحس وكذلك لضم الخيط أو الكنس ليلا... إلى آخره من أمور الشعوذة والكهانة والهرطقة وضرب الودع وفتح المندل. عادة ما يبحث الناس في لحظات الضعف والقهر والانكسار عن ملجأ وملاذ. الناس دوما في بحث عن كذبة يصدقونها، كذبة تخدرهم وتدغدغ مشاعرهم تماما مثل "البطة البرية" The Wild Duckفي مسرحية إبسن Ibsen التي ينسج كل الأبطال حولها خيالهم. الواهمون يفتحون أبوابا غير قائمة ويصعدون جبالا غير موجودة على حد قول "ليلى قصراني" في رواية "سهدوثا":[1] " لكني ذات يوم سأصعد إلى جبل سهدوثا المقدس... سأتنسك في الصومعة.... ستصعد إلى جبل سهدوثا الذي لا وجود له، أنت تعيش في الخيال [2]".

الناس دوما يسمعون ما يريدون سماعه ويرون ما يريدون رؤيته ويصدقون ما يرغبون في تصديقه وما يصادف هواهم تماما كماكبث والساحرات الثلاثة. الناس دوما في بحث عن المجهول: عن الهيكل وتابوت العهد والكأس المقدس. الناس دوما في انتظار وصول شيء ما... "جودو" ما كما أوضح صمويل بيكيت Samuel Beckett في مسرحيته.[3] هذا "الجودو" قد يكون المال أو الأولاد أو السعادة. الناس دوما في انتظار المجهول وعودة الغائب الذي قد يكون الإمام العسكري أو الحلاج أو الحاكم أو حتى المسيح. الناس دوما على استعداد لبذل آخر مليم في جيوبهم لمعرفة الطالع وكشف الغيب وشراء التمائم والتعاويذ والعزائم والأحجبة لدرء الأرواح الشريرة ورد السحر Demonophobia & Wiccaphobia. الخلاصة، الناس هم من يخلقون الوهم ويتوهمون الخرافة.

هل صحيح أن السيد أحمد البدوي أحضر أسيرا لدي الصليبين إلي أمه في مصر ما بين غمضة عين والتفاتتها؟! هل صحيح أن ملاكا طلب شفاعة الشيخ عبد الرحيم القنائي في هفوة وقع فيها؟! هل صحيح أن المرسي أبو العباس سافر إلي قوص ومعه خمسة من أعيان

(١) دار الغاوون، بيروت، ٢٠١١.

(٢) سهدوثا، ص ٤١.

(3) Waiting for Godot.

جماعته، فقيل له: ما سبب هذا السفر؟ قال: لأدفن هؤلاء. فدفنهم! الخرافة موجودة في الواقع العربي وفي السرد العربي. نجدها في نداهة "يوسف إدريس" وزيت "قنديل أم هاشم" وفي اعتقاد "أمينة" في رواية "نجيب محفوظ" "زقاق المدق"[١] بأن ثور يحمل الكرة الأرضية على كتفه وفي تناسخ الأرواح وحلولها عند "لويس عوض" في روايته "العنقاء أو تاريخ حسن مفتاح"[٢] وفي "رامة والتنين"

للروائي "إدوار الخراط"[٣] وكل من "الناب الأزرق"[٤] و"شفيقة وسرها الباتع"[٥] لفؤاد قنديل. وكم من المقامات هنا وهناك لا تحوي إلا الخلاء ولا تضم سوى الخواء!

في رواية "يحيى زكي" "نوم وشمس وثرثرة"[٦] يعود محارب مصري من الجبهة إلى قريته ليجد أهلها وفي صدارتهم والده يقيمون مولدا يضم جميع أنواع الموبقات للشيخة "وجيدة". و"وجيدة" هي أخته المتأخرة عقليا، والتي يستغلها أبوه على ذلك النحو ليكسب المال! وفي رواية "عين الحجر" لعلاوة بوجادي[٧] نجد الفقراء والأغنياء على حد سواء يؤمنون بكرامات "سيدي مرزوق" ويدفعون لخادم المقام الفاسق، الشيخ "الذوادي" المؤن والتبرعات.

متلازمة الصين[٨]

تشير "متلازمة الصين" China Syndrome إلى التوجس والخوف من انهيار إحدى المحطات النووية، وتسرب الوقود النووي إلى أجزاء من المعمورة. عام ١٩٧٩ انتجت "هوليود" فيلما تحت هذا العنوان قرع طبول الخطر. وربما السبب في ربط المتلازمة بالصين

(١) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٤٧.
(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.
(٣) دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.
(٤) المطبعة الفنية، القاهرة، ١٩٨٢.
(٥) دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٨٦.
(٦) دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧١.
(٧) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٨.
(8) Martin H. Manser, Dictionary of Allusions, Facts – on – File, New York, 2009, P. 92.

وقوعها في الطرف المقابل للولايات المتحدة والتخوف من ضعف إجراءات السلامة هناك حيث يسود انطباع عام بهشاشة المنتجات الصينية وضعف جودتها والرقابة عليها. بالرغم من ذلك فإن أشهر حادثتين نوويتين لم تقعا في الصين، ونقصد هنا "تشرنوبل" Chornobilبالإتحاد السوفيتي السابق، ١٩٨٦ و"فوكوشيما" Fukushima باليابان، ٢٠١١.

في رواية "أحدهم تسلل إلى ديمونة" أفرغ "محمد جربوعة"[١] جعبته من الرغبة العربية في تدمير مفاعل "ديمونة" الإسرائيلي الذي يهدد استقرار الشرق الأوسط برمته. نعرف من "جميل"، بطل الرواية، أن كلمة "ديمونة" مأخوذة من العهد القديم.[٢] يقول "جربوعة" وهو ينسج خيوط الأماني: "وزحف المساء على ديمونة وما حولها.. وعلى الخريطة العربية كلها.. ولم يكن على شفاه الناس ولا في مجامع همهم سوى عملية ديمونة، يوسعونها بأحلامهم ومبالغاتهم لتبلغ مبلغ الأسطورة."[٣] وتمضي الرواية ليخبرنا "جميل" بخيار "شمشون" Samson Option وتدمير المنطقة بالكامل، لكن الإسرائيليين المتشبثين بالحياة يقررون الرحيل تاركين فلسطين لأصحابها: "خلال ساعات تحولت شوارع وساحات المدن الفلسطينية إلى متجمعات لليهود الراغبين في الهجرة، بينما تدفقت مجموعات من الفلسطينيين مثل الطوفان الغاضب، باتجاه المستوطنات والأحياء التي تحصن فيها أولئك الذين كانوا يصرون على العض على الوهم بالنواجذ للبقاء في أملاك أخذوها من أهلها عنوة."[٤]

متلازمة بوجوتا

كانت المدينة، في الأسفل البعيد، خلال الزجاج، تبدو لزجة."[٥]

"تلك مدن تسرق زمنك، تأكل لحمك وترميك عظاما."[٦]

---

(١) شبكة روايتي الثقافية، ٢٠١٠. http://www.rewity.com
(٢) ص ١٩٠.
(٣) ص ٢٠٧.
(٤) ص ٢٢١.
(٥) ضياء الشرقاوي، مأساة العصر الجميل، في "بيت الريح"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٨٩.
(٦) مها القصراوي، صرخة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢٧.

"بوجوتـــا" Bogota هـــي عاصـــمة "كولومبيـــا" Colombia وكأغلـــب المـــدن العملاقةMega Cities تجدها مكتظة بالسكان المهرولين هنا وهنـاك والفاقـدين لأعـصابهم على الدوام، ناهيك عن وجود النصابين والمتشردين والنشالين.. إلى آخره من خصائص المدن المتوحـشة Monster Cities.[1] والـذي يثبـت أن هنـاك مـدن متوحـشة هـو وجـود مـدن "مدجنة" كما وصف "حسن نجمي" "الرباط" في روايته "جيرتـرود"،[2] فالـضد لا يظهـره إلا الضد، وتعرف الأشياء بأضدادها.

نعود لـ "متلازمة بوجوتا" فنقول أنه ربما أخذت المتلازمة "بوجوتـا" عنوانـا لهـا لأنـك فيك تشعر بعدم الأمان على نحو مضاعف نتيجة لانتشار المتعاملين في المخدرات والعصابات والمومسات والمتسكعين وتفشي ظاهرة الأسلحة البيضاء وضـعف التواجـد الأمنـي. تـصف "متلازمة بوجوتا" Bogota Syndrome هذه المدينة المتوحشة، المرعبة، الآثمة، الشريرة التي تحتاج مهارات وملكات خاصة للعيش فيها. في السرد العـربي نجـدها تـارة ممثلـة بطنجـة في رواية "محمد شكري" "الخبز الحافي"[3] وتارة ببيروت في رواية "طـواحين بـيروت" لتوفيـق يوسف عواد[4] وبجدة في رواية "جمال ناجي" "الطريق إلى بلحـارث":[5] "جـدة كـوم مـن الجزع والخمول ومحطات البنزين والضوضاء. هياكل من التحـول الـسريع، والدهـشة. فيهـا الشوارع والساحات الجميلـة والمطـاعم، والحـر القاتـل. هنـا لا وقـت للأحاديـث الطويلـة والسهرات، لا وقت للتفكير أو حتى للتذكر، الكل هنا مسرع، يسابق الزمن."[6]

معلوم أنه كلما كبرت المدينة وتمددت كلما توحشت. كتب "عدنان فرزات" متناولا هـذه النقطة في روايته "جمر النكايات":[7] "توقفـت فجـأة عنـد جـدار قـديم في حـي الكجـلان،

---

(١) يُسميها "وجيه الشربتلي" بـ "المدينـة الغـول" في روايتـه "الوقـت الـضيق" (العـربي للنـشر والتوزيـع، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٣).

(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١١، ص ٥٢.

(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩.

(٤) مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩١.

(٥) منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٢.

(٦) الطريق إلى بلحارث، ص ٧.

(٧) دار صائب، دير الزور، ٢٠١٠.

راحت عيناي ترسمان صورة كنت رأيتها في الثمانيات، يومها كانت المدينة أصغر ولكن القلوب أكبر."[1] في رواية "وجهان لعنقاء واحدة" لعبد الكريم ناصيف[2] تستعيد الفتاة القروية تحذير والدها من الشام (دمشق) بعد أن خطف أحد اللصوص حقيبة يدها: "الحقيبة التي خطفها راكب الدراجة كانت تحوي كل ما أملك من مال.. أنا التي قبضت راتبها ذلك الصباح بل مع المال ذهب.. هوية.. وأوراق هامة أخرى، فماذا إن ضاع ذلك كله؟ ماذا سيكون رد أبي في بلدتي النائية هناك على شاطئ الفرات؟ ألن يشمت بي؟.. تريدين تصيرين قابلة قانونية؟ تريدين تذهبين للشام؟ مالك وللشام مدينة كبيرة تضيعين بها. الناس فيها كالنمل.. يأكل بعضهم بعضاً ولا أحد لأحد. ابقي في بلدتك ديمة ودعك من القبالة والتمريض.. تزوجي وأنجبي أطفالا أليس ذلك خيراً لك؟"[3]

ومن "دمشق" إلى "الرياض" نقرأ مع "ماجد سليمان" من روايته "عين حمئة":[4] "الرياض.. بوابة حين تنفتح على مصراعيها، تمج لنا مآتم ومظالم يتاماها ومعذبيها... الرياض يا حفنة مغموسة في وجع أزلي... أيتها المدينة التي يزحف المرض في عروقها، ويركض تحت رملها."[5] ومن "الرياض" إلى "وهران" نقرأ عن نفاق المدن في رواية "أوتيل تركي" لرفيق جلول:[6] "المدينة الصاخبة ليلا والمتدينة في عز النهار، ترقد على باراتها وكاباريهاتها."[7]

القاهرة كنموذج للمدن العملاقة Mega Cities لا تهتم بالتفاصيل الصغيرة للبشر ولا بمشاعرهم الإنسانية. "في القاهرة يعيش الإنسان.."، كما كتب "أحمد عمر شاهين" في روايته "وإن طال السفر"[8] ".. الضياع الكامل، أنت لا شيء، حشرة صغيرة تدب على الأرض

(١) جمر النكايات، ص ٢٠.
(٢) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤
(٣) وجهان لعنقاء واحدة، ص ١٠.
(٤) طوي للثقافة والنشر والإعلام، لندن، ٢٠١١.
(٥) عين حمئة، ص ١١، ٢٩، ٣٠.
(٦) دار ورد، عمان، ٢٠١٦.
(٧) أوتيل تركي، ص ١٠.
(٨) دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧.

كملايين الحشرات المتشابهة مثلك."[1] "هـي القـاهرة! معقـل الغرابـة وأرض التناقـضات، بطعمها الحلو اللاذع."[2] هنا القـاهرة.. العـاهرة،[3] الجـائرة، الفـاجرة، الـداعرة، الفـاترة، الباقرة، العاصرة، النافرة، القابرة. "القاهرة ركام من القـبح والـضجيج."[4] القـاهرة مدينـة مزاجية وعصبية ومتوترة. الخروج منها هو النجاة: "أن يترك زحام القاهرة.. أن يترك تلـوث القاهرة؛ عصبيتها وجوها المشحون.. هذا هدف في حد ذاتـه.. أحيانـا يفكـر أن كائنـا مظلـما بالقاهرة يسيح في الشوارع فيسد المساحات بـين النـاس. يمـلأ حتـى الفراغـات بـين خلايـا عقولهم! مع الوقت تصير القاهرة حتى في قلب النهار مدينة سوداء!"[5]

هناك بالرغم من ذلك من يحب القاهرة، فبطل "آخر سلالة عائلة البحار" يقول: "ساعة واحدة تفصلني عن العاصمة.. بضجيجها وصخبها.. دفء لا أشعر به هنا في إبهيت الحجـر التي تنام مبكرا مثل كل القرى."[6] لا تنكر "شرين أبـو النجـا" أنهـا تعـشق القـاهرة، وأنهـا تورطت فيها وأنها أغوتها، لكنها في روايتها "خيانة القاهرة"[7] تبطن كلامها بعبـارات مؤلمـة عن حقيقة القاهرة وتوحشها كما لو كانت تدس السم في العـسل: "القـاهرة الـصاخبة المليئـة بالقصص الصخبة... أعود إلى تلك القاهرة التي قهرتني بعذاباتها... القاهرة التي نبدأ يومنـا فيها ندعو: يارب اليوم يعدي على خير... القاهرة غفرانها عزيز."[8]

القاهرة في رواية "ألبير قصيري" "ألوان العـار"[9] لوحـة ضـاربة في القـبح والقـذارة: "عاصمة تحولت إلى بيت للنمل... على جانبي طرق رئيسية متدهورة بفعل الصرف الـصحي

---

(١) وإن طال السفر، ص ١٨.

(٢) مايا الطرابيلي، قسمة الروح، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥، ص ١٧.

(٣) استخدم الكاتب "عز الدين جلاوجي" عبارة "المدينة المـومس" في روايتـه "سرادق الحلـم والفجيعـة" للإشارة إلى هذه النوعية من المدن التي تنتشر فيها الرذيلة. (دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ٤٤).

(٤) عبد الحكيم قاسم، قدر الغرف المُقبضة، مطبوعات القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢١٧.

(٥) محمد فاروق المليجي، سيكتوريوم، دار نهضة مصر، ٢٠١٥، ص ١٣.

(٦) أحمد قرني محمد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٥.

(٧) مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٨) خيانة القاهرة، ص ٧، ٨، ٩.

(٩) ترجمة: منار رشدي أنور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١.

اصطفت بنايات آيلة للانهيار والتداعي... تحولت أسطحها إلى أماكن إيواء مؤقتة، تبرز منها ومن شرفاتها هلاهيل البؤس الملونة كما لو كانت أعلام انتصار... وفي بعض الأماكن، يؤدي انفجار ماسورة مجاري إلى تكون مستنقع بعرض النهر، يتكاثر فيه الذباب وتتصاعد منه أبخرة عفنة تزكم الأنوف. أطفال عراة، بلا حياء، يلهون بتلطيخ بعضهم البعض بهذه المياه الآسنة وهو أسلوبهم الأوحد لمقاومة الحر. عربات ترام مكسوة بعناقيد البشر... تشق طريقها زاحفة فوق قضبان مكدس عليها آلاف الرعاع المتمرسين منذ زمن على إستراتيجية البقاء."(١)

والقاهرة في "أرحام سماوية" لم تكن رحيمة ببطلة الرواية، "عطيات"، القادمة من الصعيد: "القاهرة مدينة لا تعرف غير منطق القوة ولا يعيش بها غير الأقوياء. أياك أن تظن أن القاهرة سترثي لحالك إذا اختنقت في شوارعها أو سقطت من أبواب حافلاتها أو وقعت في إحدى بالوعاتها. أياك أن تصدق أن القاهرة ستهتم بصراخك أو تحفل باستغاثاتك أو تلتفت لتأوهاتك. كل ما يمكن أن تمنحك إياه القاهرة عندما تموت جوعا وكمدا هو متر أو يزيد قليلا بجوار سور من أسوارها. وتأكد أن أحدا لن يشعر أنك ميت حتى تتفسخ أعضائك وتنتفخ بطنك وتخرج رائحتك. وقتها فقط سوف يهم أحد المتضررين من وجودك بالاتصال بالشرطة من هاتف مجهول ويقف بعيدا حتى وصول عربة الإسعاف حتى لا يدخل في سين وجيم!"(٢)

ونختم حديثنا عن القاهرة بتلك الكلمات المعبرة عن واقعها من رواية "للجوع وجوه أخرى" لوفاء البوعيسى:(٣) "القاهرة مدينة ضاجة أبدا، مستفيقة أبدا، لا تهدأ ولا تنام، وهاأنذا أسير فيها وحيدة، مهزومة، خائفة، جائعة، منهكة، الناس فيها يسيرون بلا ملامح، لا أحد منهم كان يتطلع إليّ... أسير في شوارع بلا هوية، شوارع لا تعرفني، لم تقرأ جوعي وإعيائي، وما كان بإمكاني ولو قرأتني أن تفهمني، أنا الغريبة المنبوذة."(٤)

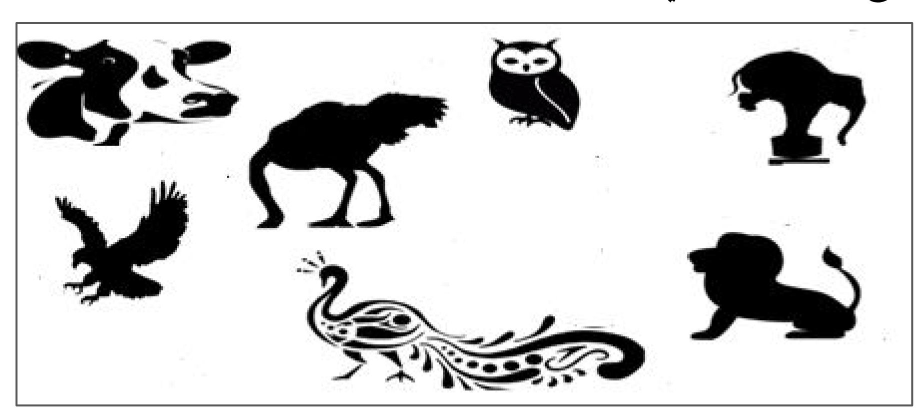
---

(١) ألوان العار، ص ٦.
(٢) محمد عزب، دار العين، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٥٨، ٥٩.
(٣) منشورات مجلة المؤتمر، طرابلس، ٢٠٠٦.
(٤) للجوع وجوه أخرى، ص ٧١، ٧٢.

الفصل الثاني

هوس وعقد ومتلازمات مستوحاة من الحيوانات والطيور والحشرات والأسماك

عقدة البطروس – متلازمة القندس – متلازمة الدجاجة / متلازمة البقرة المقدسة – الولع بالخيول – متلازمة النعامة – متلازمة البومة – متلازمة حب الجراء – متلازمة البطيطة الدميمة – متلازمة الخنزير البري – متلازمة الطاووس – متلازمة الفروج والصقر – متلازمة النسر – متلازمة الفراشة – متلازمة النحلة الملكة – متلازمة الشاة السحاقية – متلازمة ذاكرة سمكة الزينة – متلازمة فيل السيرك – متلازمة الأسد الشبل – متلازمة القيوط – متلازمة الإوزة الأم – متلازمة دلو السلطعون – متلازمة السنجاب – متلازمة الضفدع المُلقى في الماء المغلي



عقدة البطروس

يُعد عالم النفس الفرنسي، "آلين جوفيرت" Alain Gauvirt من أوائل من درسوا "متلازمة البطروس" Complexe de l'albatross[1] والتي تُصيب الأطفال الموهوبين الذين

(1) http://pedagogie.ac-toulouse.fr/garsep/gauvrit.htm

يعانون من الحساسية المفرطة والخجل الشديد. يُستخدم هذا الطائر كرمز لمن يحمل عبئا أو يواجه عائقا منذ أن ظهر التعبير الاصطلاحي Albatross around One's Neck في قصيدة "صمويل كولريدج" Samuel Coleridge "الملاح العتيق" The Ancient Mariner.

ربط "جوفيرت" بين المتلازمة وظاهرة الأطفال الذين يُغلق عليهم آبائهم باب المنزل حتى عودتهم من أعمالهم Latch-Key Kids. ومن أشهر النماذج التي أُصيبت بأعراض المتلازمة "توماس إيدسون" Thomas Edison الذي أخرجته والدته من المدرسة لتعثره بها وقامت بتدريسه في المنزل لتقدم للعالم واحدا من أهم العلماء الذين عرفتهم البشرية قاطبة.

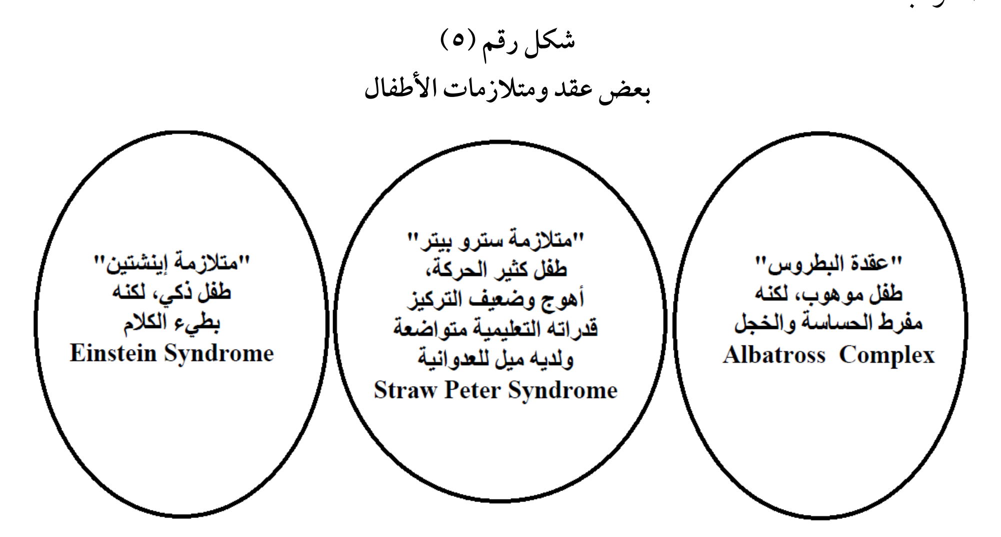
نقابل هذا الطفل في رواية "غيوم" لنازك ضمرة،[١] فمرزوق صبي ذكي ولماح، لكنه شديد الحساسية والخجل. قدمت "سحر خليفة" طفلا آخر في "ربيع حار".[٢] في طفولته وقبل تبدله تحت وطأة الظروف كان "أحمد" خجولا متلعثما[٣] ومرهفا. بدافع من البراءة والشفافية ارتبط بصداقة مع ابنة أحد المستوطنين اليهود. اعتاد حمل قطته إليها لتلهو مع كلبها. علينا أن نلاحظ أن العداء الأزلي بين الكلب والقطة تحول إلى لهو في إشارة لإمكانية تصويب العلاقة بين أبناء العم: العرب واليهود. ثم تأتي الرياح بما لا تشتهي الجاريات فقد هربت القطة وراح "أحمد" يبحث عنها بين الأحراش فقُبض عليه من قبل سلطات الاحتلال بتهمة الإرهاب. في رواية "تراتيل لآلامها" لرشيدة الشاربي[٤] نجد حفيدة "الحاج عامر الأبيض" تعاني مشكلة في النطق". ومن رواية "سيرة مولع بالهوانم" لطلال فيصل[٥] نقرأ على لسان طفل آخر: "أنا في الصف الثالث الابتدائي، طفل شديد النحول والانطوائية، يعود من مدرسته ليجلس أمام التلفزيون ولا يؤدي الواجب إلا باكيا خائفا من صراخ أمه، لا لعب في الشارع وليس ثمة أصحاب أو هوايات... كنت تجسيدا حقيقيا للخيبة... كنت أبكي

(١) دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.
(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٤.
(٣) يُوصف الطفل الذكي بطيء الكلام بأنه مُصاب بمتلازمة "أينشتين" Einstein Syndrome.
(٤) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.
(٥) دار ميريت، القاهرة، ٢٠١٢.

دون سـبب وأتبـول عـلى نفـسي في الفـراش لـيلا... كيـف أتعلـم الكـلام بهـدوء وبـدون اضطراب."[١]

شكل رقم (٥)

بعض عقد ومتلازمات الأطفال



متلازمة القندس

يُوصف الشخص المصاب بمتلازمة القنـدس[٢] Eager- Beaver Syndrome بأنـه لا يهدأ ولا يسكن. من أفضل النماذج في السرد الروائـي عـلى هـذه المتلازمـة "مالـك الحـزين" لإبراهيم أصلان.[٣] وفيها نقابل شيخ كفيف يتحدى إعاقته وينطلق كالمبصرين مستغلا كـل دقيقة في حياته بين الجد واللهو والتحدي.

يوصف الشخص المُصاب بهذه المتلازمة أيضا بأنه مدمن عمـل Workaholic لدرجـة أنه يتحمل طواعية أعباء زائدة، بل ويأخذ - بمحض إرادته - ملفات خاصة بالعمل لينهيهـا في المنزل حتى ينال رضا مرؤوسيه ويسلم من تقلبهم عليه. هـذا الـشخص المتفـاني في عملـه

(١) سيرة مولع بـالهوانم، ص ١٤، ١٥، ١٦. أمـا الطفـل زائـد النـشاط في أمـور عبثيـة وضـعيف التركيـز وصاحب قدرات تعليمية متواضعة مع ميل للعدوانية والاندفاعية فيوصف بأنه مـصاب بــ "متلازمـة سترو بيتر" Straw Peter Syndrome.

(٢) "القندس" حيوان معروف بدأبه وكده، ويُسمى بمهندس السدود المائية.

(٣) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٥.

يخشى أقل لائمة أو توبيخ أو لفت نظر، ومن ثم لا يقـول "لا" لأي تكليـف حتـى لـو كـان مرهقا. ونظرا لنشاطه الزائد Hyperactive ولأنه يأخذ بزمام المبادرة وينجح فيما يتـولى مـن أعمال فإنه يبقى طيلة عمره يكدح ويعاني في صمت. هـذا الاحـتراق النفـسي والجـسماني قـد يؤدي في النهاية إلى الوفاة Burnout.

في الحقيقة، إن إدمان العمل أو تقديس العمل في حد ذاته ليس مظهرا سلبيا فقـد سـمعنا أن اليابانيين يرفـضون القيـام بأجـازات.[1] المهـم ألا يـؤثر هـذا الإدمـان عـلى صـحتك أو علاقاتك الاجتماعية أو أسرتك[2]. كذلك يجب أن نفرق بين الشخص المنـتج وبـين الإنـسان الذي يتوجه للعمل فيمضي ساعاته في بطالة مقنعة يرقب عقارب الساعة ولا يدع موبقـة مـن عادات العمل السيئة Bad Work Habits إلا قام بهـا مـن تـدخين للتحـدث في الهـاتف إلى آخره.

في قصة الكاتب الأمريكي "هومر هـادلي هيكـام" Homer Hadley Hickam "فتيـان الصواريخ" Rocket Boys نجد شخـصية الأب مـصابة بإدمـان العمـل في منـاجم الفحـم لدرجة أنه يرغب في انخراط ابنيه في هذا العمل. نفس الشخصية قـدمها "أبتـاون سـينكلير" Uptown Sinclair في رواية "النفط" Oil ونقـصد هنـا "جـيمس أرنولـد روس" James Arnold Ross والذي تفسخت علاقتـه بابنـه بـسبب إدمانـه العمـل في مجـال التنقيـب عـن البترول. الشخص متعدد المواهب والمحب للعمل والإنتاج والإعـمار نجـده أيـضا في روايـة

---

(١) الموت بسبب إرهاق العمل يُسمى في اليابان "كاروشي" Karoshi.

(٢) في قصة سيناريو فيلم، "الوزير جاي"، قدم أحمد بهجت نموذجا رائعا لإدمان العمل في شخصية "صابر أيوب"، شخص على المعاش يتردد على مصلحة لإنهاء بعض الأمور الإدارية، لكنه يعود كل مرة بخفـي حنين لأن الموظف المسئول غير موجود. أثناء انتظاره لعودة الموظف التي طالت لشهور اسـتثمر الرجـل وقته في مساعدة الموظفين في إنهاء أعمالهم. مع مرور الوقت أصبح له مكتب وتوقيع ومئات الملفات على مكتبه. كان الرجل مستمتعا بما يفعل لأنه مدمن للعمل ولم يرق له خروجه على المعاش. في لحظة التنـوير اكتشفت المصلحة أن "صابر أيوب" لا يربطه بالمؤسسة أي صلة، واكتشف هو في المقابل أنه لا يتقـاضى أجرا عما يفعل. تدور القصة في إطار كوميدي، لكنها تعكس إلى حد كبير أبعاد الشخصية المدمنة للعمل والدوافع التي تؤدي إلى ذلك ومنها مثلا الهروب من المنزل أو خلق عالم موازي أو الرغبة في قتل الوقت أو خلافه.

عمرو خالد "رافي بركات"،[١] والتي صاغها بشكل تعليمي Didacticعلى نحو يذكرنا بـ "ابن النيل" لجاذبية صدقي.[٢]

متلازمة الدجاجة / متلازمة البقرة المقدسة

من أشهر المتلازمات المرتبطة بالحيوانات "متلازمة الدجاجة" أو "الشخص الخاضع لزوجته" Hen- Pecked Syndrome. هذا الرجل إمعة يدع زوجته تستأسد وتستنمر عليه ويجبن أمامها Chicken. هو رجل يعاني من ضعف الشخصية Anemic Character فلا يستطيع أو يجرؤ أن يقول لها "لا" Yes-man.

معلوم أنه مع اقتران الرجل بالمرأة ينشأ نوع غير مُعلن من صراع الإرادات ينتهي غالبا بهيمنة الرجل على المرأة وظهور نموذج "السيد/ أحمد عبد الجواد" الذي قدمه نجيب محفوظ في "الثلاثية" على نسق الشخصية الفيكتورية التي تعيش حياتين متفاوتتين أو البيوت الفيكتورية التي يكون مخبرها عكس مظهرها. كتب "عبد الحكيم أمعيوة" يصف هذه الشخصية في روايته "بعيدا عن بوقانا":[٣] "مرارا قلت لك ان الرجل في الناظور يهمه أن يسجن زوجته ويذهب ليسكر مع داعرات في بيوت أخرى أو في البارات [٤]".شخصية السيد/ أحمد عبد الجواد مصابة أيضا بمتلازمة البقرة المقدسة أو الشخص فوق النقد Holy Cow Syndrome[٥] فلا يستطع أحد انتقاده أو محاولة الانتقاص منه، وهو لا يسمح بذلك نظرا للسلطة التي يحوزها في يده سواء الذكورية في المنزل أو السلطوية في الدولة وخلافه.

نموذج آخر للهيمنة الذكورية نجده في "أمس انتهينا"[٦] في شخص "مُطلِق" الذي ينظر إلى المرأة كأي شيء عدا كونها إنسانة لها مشاعر وأحاسيس: "كان مُطلِق مغرما بالنساء، لكنه أيضا يعشق إذلالهن. يدخل على خادماته كما لو كن ملك اليمين. يتفنن في تعذيب زوجاته

(١) دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٥.
(٢) الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢.
(٣) منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ٢٠٠٧.
(٤) بعيدا عن بوقانا، ص ١٠٠.
(٥) لهذه العقدة خطوط تماس مع "عقدة الإله" God Complexأو Theomania.
(٦) محمد عزب، دار مير، الإسكندرية، ٢٠١٣.

الأربع وقهرهن. المرأة في حياته وعاء لإنجاب الذكور وحسب. مـن تـشق لـه عـصا الطاعـة يحكم عليها بالموت عن طريق التوقف طواعية عـن التـنفس. يـذكرني مُطلِـق هـذا بأسـطورة يونانية عن حشرة الزيزCicada . يتخذ ذكر الزيز لنفسه سـت أو سـبع زوجـات. تقـوم كـل واحدة منهن بعمل حفرة في الثرى ثم تدلف فيها تاركة رأسها فقط ناتئـا عـلى وجـه الأديـم؛ وتبدأ في وضع البيض. عندما يتأكد سيدهن من وضعهن جميعا للبـيض بـشكل سـليم يتنقـل بينهن ويفصل رؤوسهن عن أجسادهن عن طريق العض بينما يبقى الجسم في الحفرة لتتغـذى عليه الذرية بعد الفقس! حقا... الحقير لا يكفيه دمارك، بل يبني نفسه مـن حطامـك وبقيـاك وأشلاءك."

إن نموذج الرجل المتجبر أو المستغل دفع المرأة في الغرب للتحرر والاستقلالية كـما فعـل "إبسن" في مسرحية "بيت الدميـة" A Doll's House و"شـو" Shaw في رائعتـه "سـيدتي الجميلة" My Fair Lady، لكنه في المجتمعات الشرقية قد يدفع المرأة إلى الجنـون والانتحـار والموت كمدا. استخدمت "سميرة خاشقجي" أيقونة الدمية "الإبسنية" في روايتها "قطـرات من الدموع"[١] التي تصف فيها بطلتها بأنها "دمية تتحرك بدون هـدف ولا وعـي".[٢] لقـد حاولت "ليلى" في رواية "اللا اجتماعيون"[٣] و"ليلى" أخرى بطلـة روايـة "لطيفـة الزيـات" "الباب المفتوح"[٤] فتح الباب الذي أغلقته وراءها "نورا" في "بيت الدمية" لإبـسن، لكـنهما تعثرتا قليلا ودلفتا من خلال "أبواب ضيقة"[٥] فحتى الآن نسمع عـن تحريـر المـرأة أو عـلى الأقل تمكينها، وحتى الآن تُعتبر المرأة هدفا سهلا لكثـير مـن الانتكاسـات تُعـرف إجمـالا بـــ "متلازمة البطة القابعة" Sitting Duck Syndrome. وبالرغم من ظهور المرأة الجديدة عـلى استحياء كما في "السقوط إلى أعلى" لفتحية النمر،[٦] يُجمل "زيد الـشهيد" المـشهد في روايتـه

(١) دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠.
(٢) قطرات من الدموع، ص ٨٩.
(٣) فارس زرزور، دار الجليل، دمشق، ١٩٨١.
(٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.
(٥) سلوى جراح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥.
(٦) دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١١.

"تراجيديا مدينة"[١] في هذه الكلمات: "استنتجت أن من المحال تحقيق حرية المرأة في مجتمع ينزع إلى أصوله البدوية".[٢]

على الجانب الآخر قد ينتهي صراع الإرادات أيضا بتسلط المرأة على الرجل وخروج نموذج "زوجة سقراط" كما في رواية "أحمد رشدي صالح" القصيرة Novelette "الزوجة الثانية".[٣] إن تجبر "حفيظة" وهيمنتها وتسلطها على العمدة "عتمان" بالرغم من أنها عقيم مرده إلى الأطيان التي كانت في حوزتها مما جعلها تتجبر في معاملتها له. في رواية "نهر الصبايا" لسمية البوغافرية[٤] تتسلط وتتجبر "أم شموسة" على زوجها. تقدم لنا "هدى بركات" نموذجا آخر للزوج المغلوب على أمر. تقول في روايتها "حارث المياه":[٥] "أبي الذي يبقى صامتا، ينظر إليها ويبتسم، كان يخشى من حبه لها أن يشك في ما تقول.. كأنها زهرة جميلة تنقصف حالما تُغضبها... لم يكن أبي يعارضها في شيء."[٦] أما "ربى منصور" فقد كتبت في روايتها "معبر المشاعر":[٧] "لكن السلوى كانت ندى.. تزوجت بضابط صار المجند عنها. هي تأمر وهو ينفذ الأوامر حرفيا."[٨]

الولع بالخيول

من أهم النماذج التي أصيبت بهوس الخيول Hippomania نبي الله سليمان. حين شعر عليه السلام بأنه فُتن بالخيول وأنها شغلته عن عبادة الله شرع في ذبحها.[٩] تحتل الخيول مكانة مرموقة في الأديان الإبراهيمية وفي ثقافات الشرق والغرب على حد سواء. مثل الحصان دائما طوق النجاة. هرب به "أمين بك" من فوق أسوار القلعة خلال مذبحة المماليك، وعرض

---

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤.
(٢) تراجيديا مدينة، ص ٢٥٩.
(٣) المكتب الدولي للترجمة والنشر – القاهرة، بدون تاريخ.
(٤) دار الوطن، الرباط، ٢٠١٤.
(٥) دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٨.
(٦) حارث المياه، ص ٩، ١١.
(٧) دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٩.
(٨) معبر المشاعر، ص ٢٠٧.
(٩) ص، ٣٢ – ٣٣.

"ريتشارد الثالث" Richard III في التراجيديا الشكسبيرية التي تحمل اسمه مملكته مقابل هذا الحصان ليمتطيه في ساحة الوغى.

من أفضل النماذج النفسية التي استخدمت فيها الخيول في الأدب مسرحية "إكوس" Equus للكاتب البريطاني "بيتر شافر" Peter Shaffer.[١] تدور أحداث المسرحية حول طبيب نفساني يحاول معالجة الأشخاص الذين ليهم هوس ديني بالخيول. من أهم مشاهد المسرحية قيام البطل، "آلان" Alan بمضاجعة "جيل" Jill ثم قيامه عنها وصرفها حين سمع صوت الخيول في الإسطبل. طلب "آلان" من الخيول أن تسامحه لأنه عاشر فتاة قبل الزواج كما لو كان يطلب المغفرة من الرب، ثم قام بفقع عيون الخيول بمسمار كبير. لطالما استخدمت الخيول في الأدب كرمز للقوة الذكورية أو الجمال الأنثوي، لكننا أمام صورة للحصان الإله الذي يعيدنا ربما للقنطور[٢] في الأساطير اليونانية.

من رواية "الخيول الشاردة" لبهي الدين عوض[٣] نقرأ عن العلاقة الوثيقة بين الحصان وصاحبه وكأنهما كيان واحد ممتزج: "صهل الحصان، التفت إليه صفوان، وما أن رآه حصانه حتى رفع رأسه وتفرقت خصلات شعره على الجانبين، عاود الحصان صهيله. ذهب إليه صاحبه، وداعب خصلات شعره، اهتز الحصان وتدله ثم وقف واستقر. قفز صفوان على ظهره ولملم شمله، سحب الحصان حوافره إلى المسير.. وسار مختال الخطى يهز ذيله ويبعثر شعره في انتشاء وخيلاء. ضرب صفوان بساقيه على جانبيه. صهل الحصان صهيلا منغما مرتبا. تطلع صفوان وهو فوق صهوة جواده الأشهب إلى النهر.. لمعت المياه أمام عينيه.. وهي تنساب برفق. انتشى صفوان مثل حصانه. ثم وخزه، اندفع الأشهب يسابق الريح، ويدق الأرض بحوافره العاصفة.. ينحني أمامه الطريق ويستدير ويستطيل. وما أن استقرت الحوافر على الأرض البراح حتى هبت نسمات ندية محملة بعبق الزروع اليانعة، والشجيرات

(١) من النماذج الجيدة أيضا ما كتبه "عبد الرحمن منيف" في "الأشجار واغتيال مرزوق": "لم تنته تلك الليلة حتى قضيت على مائة رأس من الغنم في حظيرة زيدان. دخلت عليها، وبسكين كبير بدأت أضرب وأضرب حتى فريتها. كنت أضربها على رؤوسها، على بطونها على ظهورها. (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣. ص ٥٧)

(2) Centaurs.

(٣) مركز الحضارة العربية – اتحاد الكتاب المصريين، القاهرة، ٢٠٠٠.

الشذية، وزهيرات الشاطئ البهية. تمايل الحصان طربا، راح يراقص حوافره وطفق صاحبه يصافح المرامي من حوله."[1]

الهوس بالخيول نجده حاضرا أيضا وبقوة في رواية "زمن الخيول البيضاء" للكاتب "إبراهيم نصر الله".[2] يقول "نصر الله" في مستهل الرواية: "لقد خلق الله الحصان من الريح والإنسان من التراب والبيوت من البشر." تدور الرواية بصفة أساسية حول قضية لا نقول كل عربي، بل من لا زالت نخوة العرب تجري في دمائه، ونقصد هنا قضية فلسطين. استخدم "نصر الله" رمز الخيول بذكاء في الرواية ليعبر عن الزمن الغابر بمروءته وأصالته، تلك الصفات الغراء التي تضاهي في براءتها الخيول العربية البيضاء. حاول نصر الله أن يكتب إلياذة للفلسطينيين ويؤرخ لعشرات الأعوام من النكسة والنكبة. لقد ذهب زمن الفروسية والنجدة والشهامة كما ضاعت فلسطين.

في الرواية تصبح فلسطين تلك المهرة البيضاء القادمة من بعيد لمعية أصاحبها. كل من حاول سرقتها فشل وسوف يفشل: "أمام المضافة، تحت شجرة التوت، كان الحاج محمود يجلس بجانب ولده خالد مع عدد من رجال القرية، رأوا في البعيد غبارا قادما، داهمه حس غريب، ومع مرور اللحظات، كان الغبار يتلاشى ويحتل مكانه بياض لم يروه من قبل، ظل توهجه يزداد شيئا فشيئا حتى بان كله. ولم يكن هناك ما يفتنهم أكثر من جمال مهرة أو حصان .قال الحاج محمود ذاهلا: أترون ما أراه؟ لم يسمع جوابا، التفت إليهم، فوجد أن المفاجأة أخذتهم، عاقدة ألسنتهم. عم صمت طويل، لم يكن يقطعه سوى ذلك العدو المجنون للكائن الذي بدا وكأنه قد خرج من حلم. كان الفارس يحاول، ما استطاع، السيطرة على كتلة الضوء المتقافزة تحته، كتلة الضوء التي تعانده غير عابئة بذلك الألم الجارح الذي يسببه لها اللجام، الألم الذي يتصاعد همهمات محترقة مع حرارة اللهاث. تطلعت كتلة الضوء إلى الأعلى وراحت تطلق صهيلها المجروح. عند ذلك صاح الحاج محمود: يا رجال. هنالك حرة تستغيث. أجيروها. توقفت الفرس أمامهم، أشبه بصخرة، كما لو أنها قد قررت أن تموت على أن تخطو خطوة أخرى. شاهد الفارس الرجال يندفعون نحوه، انهال بعصاه على الفرس كي تتحرك،

(١) الخيول الشاردة، ص ١٠ – ١١.

(٢) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧.

لكنها لم تفعل. ترجل عنها وأخذ يجري متعثرا نحو الجهة التي جاء منها. قبل أن يصل الرجال إلى الفرس، كان خالد قد طار بفرسه قاطعا الطريق على الرجل الهارب. دار حوله ودار، حتى رآه يسقط. سأله: من أين سرقتها. لم يجب. تقدم نحوه، ارتفعت قائمتا فرس خالد، أطلقت صهيلا غاضبا، ثم راحت قائمتاها تتجهان إلى الجسد المذعور. صرخ: من عرب عابرين. لوى خالد عنق الفرس، استقرت قائمتاها على بعد ذراع من صدر الرجل: أين؟ غربي النهر. فضحتك الأصيلة. قال له. راح سارقها يستغيث طالبا الرحمة. منذ متى سرقتها؟ منذ يومين. ألم تعرف أن سرقة الفرس مثل سرقة الروح. أُنج بدمك، قبل غروب هذه الشمس. وإلا سنطعمك للكلاب !دار حوله ثانية، امتدت يد الرجل نحو كوفيته وعقاله وعباءته صاح به خالد: اتركها. لا ستر لمن لا يستر حرة. فاندفع الرجل متعثرا محاولا بلوغ حافة الأفق قبل غروب الشمس. اقترب الرجال من الفرس، دارت حول نفسها بجنون، ابتعدوا قليلا، توقفت، أشار لهم خالد: اتركوها. صعدوا التل نحو ساحة المضافة، بقي خالد بجوارها، لكنه لم يفكر بالاقتراب منها أكثر. تأملها، رأى فيها جمالا لم يعبر هذا السهل من قبل. وفي النهاية أدرك أن أفضل ما يفعله هو الابتعاد عنها. صعد التل حيث والده والرجال. في البعيد، راحت العتمة تغمر قامة السارق شيئا فشيئا، اختفى، لكن الشيء الذي لم يختف هو قامة تلك الفرس التي بدت أشبه ما تكون بقطعة من النهار. من الخطأ أن تبقى الفرس في الخارج. قال أحد الرجال. أتركوها فهي حرة. قال الحاج محمود. ثم راح ينشد: إذا ما الخيل ضيعها أناس حميناها فأشركت العيالا / نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا"[1]

فهل بات علينا أن ننتظر عقودا أخرى حتى تصخب "الهادية" (اسم القرية الفلسطينية في الرواية) وتضج وتنتفض؟ وهل ننتظر عودة الزمن إلى الوراء وعودة الخيول البيضاء، الخيول العربية النجباء ترتع في الجزيرة كسابق عهدها؟

متلازمة النعامة

التردد في اتخاذ القرار والخوف من الفشل والهروب من الحقيقة وعدم القدرة على المواجهة وإنكار ما هو معلوم بالضرورة، كل هذه أعراض لمتلازمة النعامة Ostrich

(١) ص ٩-١١.

Syndrome التي تدفن رأسها في الرمال فتعرض نفسها للخطر لأن جسمها الـضخم بريـشه الأسود ما زال واضحا وضوح الشمس ولا تأخذ هي خطوة إيجابيـة نحـو حـل المـشكلة.[١] الأشخاص المصابون بمتلازمة النعامة لا يرون سوى قمة جبل الثلج ولا يحاولون استكشاف حجم المشكلة فيتعاملون مع الظـاهر وحـسب. إن حجـب العينـين عـن الرؤيـا لا يعنـي أن المشكلة قد حُلت أو أن الخطر قد رحل وزال. طائفة أخرى ممن يعاني من هذه المتلازمة يحمـل أعراض "عقدة التردد" Complex of Indecisiveness وأوضح مثال عـلى ذلـك شخـصية "هاملت".

في السرد الروائي العربي نجد هـذه المتلازمـة في شخـصية "سـعدون" في روايـة "هـاني الراهب"، "بلد واحد هو العالم".[٢] من رواية "٦ إنش" لأحمد حسين أبـو الرجـال[٣] نقـرأ: "العالم لـن يختفـي لـو أغمـضت عينيـك."[٤] أمـا "لـيلى جراغـي" فقـد كتبـت في روايتهـا "الصدأ":[٥] "يخفي رأسه كالنعامة في التراب كإجراء سهل للهـروب مـن مواجهـة المـشاكل التي كان يستوجب عليه كرب أسرة التدخل لحلها."[٦]

متلازمة البومة

بعض الأشخاص يخافون النوم، أو يخـافون الإسراف فيـه حتـى لا يـضيعون أكثـر مـن نصف عمرهم نائمين. آخرون ينامون كـالعزير وأهـل الكهـف The Seven Sleepers of Ephesus فلا يستيقظون إلا لتناول الطعام مع تغير في المـزاج. يُوصـف الـصنف الأخـير أن لديـه "متلازمـة كلـين لـيفن" Klene- Levin Syndrome أو "متلازمـة الجـمال النـائم" Sleeping Beauty Syndrome نسبة إلى قصة هذه الفتاة التي جرحت يـدها بـوخزة مغـزل

(١) Elliot Weiner, The Ostrich Complex: A Personalized Plan of Action for Overcoming the Fears That Hold You Back, Warmer Books, New York,1987.

(٢) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٥.

(٣) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.

(٤) ٦ إنش، ص ٥٥٧.

(٥) دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠.

(٦) الصدأ، ص ١٠.

راحت على أثرها في سبات عميق، ولم تستيقظ منه إلا بقبلة من الأمير. كتب هذه القصة الخيالية "تشارلز بيرو" Charles Perraultوحولها "تشايكوفسكي" Tchaikovsky إلى باليه مشهور.

تُعرف هذه الظاهرة أيضا بـ متلازمة "ريب فان وينكل" Rip Van Winkle Syndrome. جاءت التسمية من عنوان قصة قصيرة كتبها المؤلف الأمريكي "واشنطن إيرفنج" Washington Irving. "ريب" أمريكي من أصل هولندي يملك مزرعة تعاني الإهمال نتيجة لكسله. في يوم خريفي استند إلى جزع شجرة، وغالبه النوم تحت ظلالها. استيقظ بعد ذلك ليكتشف أنه نام عشرين سنة. حين عاد للقرية اكتشف أن زوجته التي طالما شاكسته قد ماتت، وكذا أصدقائه الذين أحبهم وأحبوه.

في رواية "٢٠٧٦" لعبد الحميد بشارة،[١] يتساءل البطل مندهشا: "كيف يكون هذا العبث حقيقي وموضوعي؟ لقد نمت بالأمس وكان اليوم هو يوم الأحد والشهر هو شهر فبراير لكن العام كان ٢٠١٠. واستيقظ اليوم وقد مر على نومي جيلين كاملين، ستة وستون عاما!"[٢] كتب البشير بن سلامة عن سلطان النوم: "تدفعه فيهجم عليك وتضربه بسياط اليقظة فيتنمر ويكتسحك لتغرق في الأحلام."[٣]

وارتباطا بالنوم واليقظة يُوصف الأشخاص الذين يستيقظن مبكرا بعصافير الصباح Morning Larks ، وصورهم "عبد الرحمن منيف" في روايته "أم النذور":[٤] "والعادة نفسها جعلت الناس في هذا الحي يستيقظون قبل شروق الشمس، فيذهب الرجال إلى جامع المنارة ليصلوا الفجر... أما النساء فإنهن يبدأن بتحضير الإفطار، قبل أن يعود الرجال. وما تكاد الشمس تطل على الحي، حتى يكون الجميع قد انتهوا من الأكل واستعدوا ليوم جديد! يذهب الرجال إلى دكاكينهم التي لا تبعد، أغلب الأحيان، أكثر من نصف ساعة، سيرا على

(١) يسطرون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.
(٢) ٢٠٧٦، ص ١٩.
(٣) عائشة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤٩.
(٤) المؤسسة العربية للدراسات والنشر – المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ٢٠٠٥.

الأقدام. أما الأطفال، حتى سن الثانية عشرة، فإنهم يأخذون طريقهم إلى كتاب الشيخ زكي الملحق بالجامع."[١]

في رواية "عماد الدين خليل" "السيف والكلمة"[٢] نقرأ: "أجتاز جسر الكرخ ميمما وجهي صوب المستنصرية التي تمتد إلى الشمال عند الضفة الأخرى، مشرفة على نهر دجلة... إنها رحلة كل يوم منذ أكثر من ست سنوات وأنا أبكر في النهوض كي أتناول فطوري على عجل وألحق دروسي الشيخ هناك. أستيقظ وأهلي بعد نائمون."[٣] ومن رواية "سرابيوم" لمحمود عرفات[٤] نقرأ على لسان الصبي المفتون بالشروق: "نبهتني أمي أنه عندما يأتي المساء تصحو العفاريت وينام الأطفال. اعتدت النوم عندما تنام الطيور، والصحو مع أذان الديكة.. فعرفت قرص الشمس."[٥]

أما الأشخاص الذين يقلبون آية الليل والنهار ويسهرون حتى الساعات الأولى من الصباح فيُصفون بأن لديهم "متلازمة البومة" Night Owl Syndrome. "الليل سحر خاص، لكن سواده ليس إلا حجابا يخفي أسرار الوجود، ولكن آه ما أصعب الليل على النفوس المضطربة"، هكذا خطت "هيفاء بيطار" في "يوميات مطلقة".[٦] بعض الناس يصنفون على أنهم كائنات أفولية Nocturnal تنشط ليلا فقط. يظلون مستيقظين حتى يتنفس الصبح على هذا الكوكب التعس، وعندما تبدأ الحياة ويسمعون دبيبها يسلمون أنفسهم للنوم. قد يصاب بالمتلازمة أيضا من تضطره ظروف عمله البقاء مستيقظا حتى الساعات الأولى من الصباح Night Shift.[٧]

(١) أم النذور، ص ٢٠.
(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.
(٣) السيف والكلمة، ص ١٩.
(٤) دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٥.
(٥) سرابيوم، ص ٨.
(٦) الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٤.
(٧) عالج وحيد حامد هذه الفكرة في فيلم "المنسي"، ١٩٩٣.

عالج النقطة الأخيرة "إبراهيم أصلان" في روايته القصيرة "وردية ليل"[1] والتي تتحدث عن عامل تسليم برقيات في الفترة المسائية. في رواية "ربيع جابر" "يوسف الإنجليزي"[2] نقرأ: "في النهار يختفي (نور الدين) داخل الحيطان. في الليل يهدأ. يخرج كالوطواط محاذرا. صار يعمل حارسا في مقبرة، ثم حفار قبور أيضا... ظل الضوء يعميه."[3]

النوم لثماني ساعات في الأسبوع يعني النوم عشرين عاما في أمة متوسط أعمارها، لنقل، ستين سنة. من يهدر عشرين سنة من حياته؟! يا ضيعة الأعمار! لكن الأرق أيضا يحرمنا من النوم، خاصة إذا كانت عقولنا مشغولة بهموم وأفكار تجعلنا نجافي النوم. في رواية "حسن سامي يوسف" "رسالة إلى فاطمة"[4] نقرأ: "لم أسألك عن نومك. فهل مازلت والأرق صديقين؟ لم يسبق لي أن سألتك هذا السؤال: لماذا لا تستطيع أن تنام يا حسن؟ وفي النتيجة الإجابة المعقدة عن هذا السؤال البسيط وصلت لتعريف كلمة السعادة – سعادتي. أعتقد جازما بأني لا أستطيع أن أنام لأني لا أحب أن أنام. لأني أحب أن أظل ساهرا. أو بالأصح: أن أظل حيا، فالنوم يبدو لي شكلا من الموت. وأنا أريد أن أعيش."[5]

متلازمة حب الجراء

"وفي الصباح استوقفته زوجته وهو يهم بالخروج، قالت له إنه كان يردد كلمة هناء في أثناء نومه، وحدق إليها، إلى شعرها الفاحم ورموشها الطويلة وملامحها الكبيرة وأثار حب الشباب وقال إنه لا يعرف واحدة بهذا الاسم، والتصقت به، سألته عما إذا كان يحبها، وتمثل له وجه هناء برقته وعذوبته وود أن يقول إنه لم يحبها في يوم من الأيام، وإنه لم يحب أبدا غير امرأة واحدة، غير إنسانة واحدة هي صاحبة الاسم الذي كان يلهج به في الحلم لكنه قال في عجلة: نعم أحبك."[6]

---

(١) دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩١.
(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩.
(٣) يوسف الإنجليزي، ص ٣٦٧.
(٤) دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦.
(٥) رسالة إلى فاطمة، ص ١١.
(٦) رمسيس لبيب، هروب الطائر الأبيض، مكتبة الثقافة الجديدة، الإسكندرية، ١٩٧٦، ص ٢٤–٢٥.

هل مازلت تذكر حبك الأول؟ هذا الإنسان الذي جعل قلبك يدق بشدة. هـل مازلـت تراه في أحلامك؟ هل مازلت تهفو لرؤيته وتسأل عنه وتشتاق لـسماع أخبـاره؟ هـل لازلـت تذكر أول قبلة وذاك اللمم؟ تلك القبلة التي كتبت عنهـا "فاتحـة مرشـيد": "أمـام مكتبتـك قبلت يدي وقبل أن استشف نواياك وضعت شفتيك على شـفتي. أحسـست ضـغطهما.. و.. أغمى عليّ. كانت أول مرة يقبلني شاب.. وكانت آخر مرة يغمى عليّ من جراء قبلة."(١)

هل لا زلت تـذكر بنـت الجـيران التـي كنـت تنتظـر لـساعات خروجهـا إلي الـشرفة أو صـعودها إلى الـسطح؟ "إذا كانـت عـلى سـطح منزلهـا تـراني أصـعد سـطح منـزلي وأبـدأ الاستعراض، فإما أرفع الأثقال، وإما عـلى سـياج الـسطح.. فتنـزل. إذا ذهبـت إلى المدرسـة ألحقها بصمت، مع ذلك ترسل إخوتها حين تعود لينطقوا كل مسامة في جسمي من الضرب. في أول عهد الشباب قطعت طريقها: هل تتزوجيني يا هيام؟ فقالت بقرف لن أنـساه: انقلـع. حين أحسست أنني تركتها بدأت مناوراتها، فمرة ترسل المراسيل، وأخرى تتذرع بطلب رغيف من بيتنا، وثالثة تزور أخواتي لتشرب معهن القهوة."(٢)

لست وحدك في هذا الشعور... "حبك الأول هو حبك الأخير" كما قال "إحـسان عبـد القدوس"(٣) الذي عاد وتناوله في قصته الجميلة "الوسادة الخاليـة".(٤) الحـب الأول صـدق وبراءة، حب طاهر عذري أفلاطوني عفيف، حب من أجل الحب لا تدخل فيـه الماديـات ولا الحسابات. حب يلغي الفوارق الاجتماعية والفروق الطبقية. كاذب من يقول أنه برأ من هـذا الحب. كاذب من يقول أنه شفي من سقمه. حبك الأول من مركبات دمك. سـيأتي إليـك في أوقات ضجرك وإخفاقك وحزنك وتبرمك ووحدتك. ستحن لذاك الحس المرهف والشعور النبيل. ستشتاق لذكراه كلما داهمتك هموم الدنيا. صدق حبيب الطائي... نقل فـؤادك حيـث شئت من الهوى/ ما الحب إلا للحبيب الأول/ كم منزل في الأرض يألفه الفتى/ وحنينه أبدا لأول منزل.

---

(١) الملهمات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١١. ص ٤٨.

(٢) رائد وحش، قطعة ناقصة من سماء دمشق، دار ممدوح عدوان للنـشر والتوزيـع، بـدعم مـن الـصندوق العربي للثقافة (آفاق)، دمشق، ٢٠١٥، ص ٢٤.

(٣) من رواية "يا ابنتي لا تحيريني معك"، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨١.

(٤) دار القلم، القاهرة، ١٩٧٠.

سُمي الحـب الأول Puppy Love[1] لأن المـراهقين يلتـصقون ببعـضهم الـبعض مثـل الجراء ويبدون طاقة هائلة وعنفوانا كبـيرا في الهيـام. تـشع عيـونهم البريئـة بالأمـل، وتكـون قلوبهم مترعـة بالمـشاعر الجميلـة. قـد تـستمر معـك أعـراض الحـب الأول Puppy Love Syndrome حتى مرحلة نضوجك وحتى بعد زواجك فتعيش في عالم من العجائبية وأحـلام اليقظة وتبحر في الذكريات. يُعد "فرنسيس سكوت فيتزجيرالد"[2] من أروع من كتـب عـن الحب الأول، أما الحب من أول نظرة Love at the First Sight فقد كتب عنـه "أمـير تـاج السر" في روايته "اشتهاء"، وفيها تقع "حورية" في غرام "مـصلح" حـين رأتـه لأول مـرة في الحانوت. أبدع "جبران" في نقل الحب من النظرة الأولى إلى روايته "الأجنحـة المتكـسرة"،[3] وتناوله "نبهان الحنش" في روايته "امرأة تـضحك في غـير أوانهـا"[4] بـين "عـلي" و"مـي"، واختصر حكايته "أحمد مدحت" بهذه الكلمات من روايته "ثلاثة فساتين لسهرة واحـدة":[5] "من الذي تحدث عن الحب من أول نظرة؟! إنه إنسان.. وليس الإنسان إلا هـو"،[6] ويُجمـل "ماجد أبو غوش" الفكرة بقوله في روايته "عسل الملكـات":[7] "الحـب يـدهمك فجـأة بـلا سابق إنذار، يصاحبه ارتفـاع في درجـة الحـرارة، خفقـان زائـدة في القلـب، اسـتلاب مؤكـد للروح، لا يخضع لقوانين الرياضيات، ولا للمنطق، ليس منه نجاة."[8]

كتبت "سحر خليفة" في روايتهـا "حبـي الأول":[9] "التفـت إلينـا، رأيـت عينيـه مثـل قمرين أخضرين في وجه شـبيه بوجـوه البنـات، أملـس، أمـرد، إلا مـن زغـب فـوق الفـم. وافتغرت شفتاه عن بسمة فبدت أسنانه لامعة في ضوء الشمس، بيضاء ناصعة ببياض الثلج،

---

(١) يُسمى أيضا Calf Love أو Kitten Love.

(1) Francis Scott Fitzgerald.

(٣) دار الهدى، عين مليلية (الجزائر)، ٢٠١٤.

(٤) مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٤.

(٥) دار دون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.

(٦) ثلاثة فساتين لسهرة واحدة، ص ١٩.

(٧) الدار الأهلية للنشر، عمان، ٢٠١٥.

(٨) عسل الملكات، ص ٧٣.

(٩) كتاب في جريدة، مؤسسة محمد بن عيسى الجابر واليونسكو، عـدد ١٥٨، بـيروت، أكتـوبر ٢٠١١، ص ٦. (http://www.kitabfijarida.com/archive4.html)

وشعره قريب من الأشقر، محلوق نمرة ٢، أقرب إلى أقرع أو فروة كلب. كـان جميلا، طـويلا نحيلا ومثيرا فبدأت أحس بشيء يطفح داخل صدري كفوار ماء، ماء ساخن، دفـاق، يرسـل موجات تلو موجات ترتفع وتصل حتى رأسي، ووجهي يصير كرغيف خبز خرج من النـار. كنت ما زلت صغيرة وأقترب بخطى سريعة نحو البلوغ، لكني أحسست لأول مرة، أن هـذا الولد، أو هذا الشاب، أهم بكثير من أي نجم في السينما، أحلى وأروع، أقـرب وأبعـد، أكـاد ألمسه بيدي هذه وهو عني بعيد، فبدأت أعي حرقة الإحساس بالرغبـة في عمـر صـغير. كـان خلفي، قريبا من الباب، لكني أحس بوجوده وأكاد أسمع أنفاسه وقلبي يدق وأنفـاسي تعلـو وتهبط على أنفاسه. هل كان يحس بوجودي كما أحس أنا؟... الولد الشاب طير عقلي، استولى عليّ. ما عدت أرى إلا خياله ولا أسمع سوى رنة صوته... فارقنـا لكـن عيونـه ظلـت معـي كغمامة زرقاء ترافقني وتحاصرني وتجعلني أهيم كالمذهولة." صوت أنثوي آخـر تمثلـه "سـارة العبادي"، كتبت قائلة عن الحب الأول في روايتها "ماذا لـو؟":[1] "يقولـون دائـما إن الحـب الأول للمرأة لن يفوقه حب.. وهذا هو الذي أستطيع أنا أن أقوله.. كان يوسـف بالنـسبة إليّ حبي الأول وأظن أنه الأخير."[2]

في رواية "قلب مفتوح" لعبده وازن[3] يستدعي البطل في كهولتـه وعـلى فـراش مرضـه مشاهد من قصة حبه الأول إلى أحلام الكرى كما كتب يقول: "لكنها المرة الأولى تطرق بـاب النوم وتدخل. لم يفاجئها أنني كبرت، لكنني فوجئت بها لا تزال مثلما كانـت عنـدما كنـا، في أول حبنا، العاصفة حبنا، البرئ والنقي. أين تراها اختبأت طوال تلك الأعوام لئلا تكبر كـما كبرت أنا، حبها الأول. إنها هي نفسها، أجل، هي التي أحبتنـي حتـى المـوت، التـي أحببتهـا حتى الموت، وكان وعدنا ألا نفترق مهما حصل. صغيرين كنا ولكن عـلى حـب لا يعرفـه إلا الكبار. لم يكن لهوا، كان حبا، حبا نادرا ما عرفته من بعد، عندما رحت أتقدم في العمر. حـب هو الأقوى، حب هو الأنصع، والأعذب. حب لا أدري كيف كان عفيفا ورقيقا في آن، حب كان ولها، عشقا مضطرما، بالألم والشجو."[4]

(١) جائزة الإمارات للرواية، برنامج الروائي، ٢٠١٦.
(٢) ماذا لو، ص ١١.
(٣) منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر – بيروت، ٢٠١٠.
(٤) قلب مفتوح، ص ٢٤.

في رواية "انكسار" لمحمد المنسي قنديل[1] نقابل قصة من قصص التعلق والحب بين الجراء إذا جاز لنا القول: "في هذه اللحظة سمعت صوتا بجانب أذني يقول لي هامسا: هذه القطط المسكينة.. لماذا لا تأكل.. لماذا حزينة هكذا؟ لم أنس اللحظة التي رفعت فيها رأسي فرأيت وجهك يا فاطمة. يا الله.. كم كان صغيرا ودقيق الملامح وبه مسحة من الشحوب والزرقة بسبب برد الصباح، كم عشقت هذا الوجه في تلك اللحظة بهذه الزرقة الباهتة كالحليب، كلما تذكرته، تذكرت قطع السكر النبات، سريعة الذوبان وصافية وحلوة المذاق، تقدمت وجلست بجانبي، كنت ترتدين مريلة تيل نادية قديمة وحائلة اللون ولكنها نظيفة وتفوح منها رائحة الصابون، وكان شعرك ملموما بفيونكة حمراء، تهتز كلما اهتزت رأسك، فيتلون الصباح الرمادي بألوان قوس قزح... ورأيت أسنانك صغيرة وبيضاء حين تبتسمين، كانت الشمس تبز فجأة من خلف غيب مجهول، وتضيف على كل شيء لمسة من دفء الحياة، ثم تعاود الاختفاء... كنت تحدقين فيّ بعينيك المتألقتين فلا يغادر الضوء قلبي... مددت أصابعك نحوها (القطط) ولمستها في خفة، كأنما تبثين فيها بعضا من روحك. تقولين لي: كم هي جميلة.. هل يمكن أن آخذ واحدة منها؟ لم أكن أملكها ولكن سؤالك أصابني بلمسة من الزهو، أحسست أنني أمتلك شيئا قادر على منحه، قادر على إسعادك، قلت: شريطة أن تقولي لي ما هو اسمك أولا. قلت.. فاطمة، نطقت كل حرف بمفرده، تجمعت كل الحروف داخل أذني، لم تغادرها نبرات صوتك بعد ذلك أبدا، تداخلت مع أنسجة جسدي، وطبعت بصمتها على روحي، أشرت لك أن تأخذين ما تريدين، ولكنك ابتسمت وأنت تقولين: اختر أنت.. اخترتك أنت يا فاطمة."[2]

في رواية "القندس" يقدم لنا "محمد حسن علوان"[3] رؤية مختلفة عن الحب الأول على أنه سراب ووهم وحمل كاذب وانكسار للضوء وخطأ البوصلة. يقابل "غالب" "غادة" أثناء تواجده بعروس البحر الأحمر، جدة، فيقع في حبها من أول نظرة. يسعى للاقتران بها، لكن محاولاته تصطدم بالعوائق القبلية في استحضار لقصة "روميو وجوليت" Romeo and

(١) دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣.
(٢) انكسار الروح، ص ٦، ٧، ٨.
(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.

Juliet، ولا غرو فعندما رآها أول مرة كان عبر نافـذة تحيلنـا مبـاشرة لـشرفة "جوليـت".[١] تتزوج "غادة" ويـسافر "غالـب" إلى "بورتلانـد" Portland يـصطاد الأسـماك في الـصباح ويصطاده الحزن في المساء في حانات البلدة. تقرر "غادة" بعد خـلاف مـع زوجهـا الـسفر إلى "بورتلاند" لتنسيق أمر إلحاق ابنها بالدراسة هناك. أقامت لمدة أربعة أسابيع في شقة "غالب" كانت كافية ليكتشف الأخير أنها ليست المرأة التي حلم بها وأضاع عمره من أجلها! "الحقيقة التي كشفها استيقاظنا معا في الصباح على أمزجة متناقـضة وصـمتنا الطويـل في المـساء أمـام برنامج تلفزيوني، هي أن علاقتنا برمتها لم تكن أكثـر مـن صـدفة غـير متقنـة. الآن اكتـشفت بشعور مختلط بين الألم والراحة أن الجوهرة الصغيرة التي احتفظت بها في صـندوق مخمـلي في أقصى القلب كانت مزيفة ولا تستحق سوى ثمن بخس من النزوات."[٢]

وغالبا ما ترتبط قصص الحب الأول ببنت الجيران، أول ما تقع عليه عيون الفتـى، لكـن تلك القصص تصطدم دوما بالواقع فصحيح أن الهيام والحـب والـصبابة موجـودون، لكـن هناك أشياء أخرى. في رواية "هلوسات ترشيش" نقرأ لحسونة المصباحي:[٣] "أنظر إلى ذلـك السطح. فوقه عرفت حبي الأول. آنذاك كنت في الخامسة عشرة من عمري، وفي البداية كنت أرمي برسائلي إلى زكية السمراء، ذات العينين الدعجاوين حين تصعد إلى سطح بيـتهم لنـشر الغسيل. وكانت هي ترد عليه بغمزات وإشارات تجعلني أتقلى على الجمر طول الليـل. وذات غروب، غامرت وقفزت إلى سطح بيتها، رحت أقبلها بجنون حتى ذابت بين أحضاني. بعدها صرنا نلتقي على السطح كل ليلة حين يهجع الحـي، في الحـر كـما في الـبرد، في الـصحو كـما في المطر. ونظل نتناجى حتى الفجر أحيانا. ثم زفت زكية إلى تاجر أصلع يكبرها بعـشرين عامـا تقريبا."[٤]

(١) عالج "أحمد بطاح" العوائق القبلية والأسرية التي تحول دون إتمام زواج فتى من فتـاة في روايتـه "الحـب الآتي من الشرق"، مطبعة الورود، أغادير، ٢٠١٥.
(٢) القندس، ص ٢٩٥.
(٣) دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٥.
(٤) هلوسات ترشيش، ص ٧٤.

لكن الحب الأول، هذا الحب الأفلاطوني Platonic Love النبيل، يمضي بالنسبة للبعض ولا يبقى منه غير الذكرى، والحياة تُغرقك بتفاصيل تجعلك تلهث وراء يومك. كتب "طالب عمران": "كانت صداقاتي النسائية عابرة وسريعة، ونادرا ما تأثرت بعلاقتي مع فتاة.. ليس حبا أولا هذا، فقد مضى حبي الأول بذكرياته وأحلامه دون أن يترك أثرا، بعدما تزوجت الفتاة التي أحببتها حبا عذريا، ملك على فؤادي في ذلك الحين، إنه حب، نادرا ما يفلت منه من هم في ميعة الصبا."[١]

متلازمة البطيطة الدميمة

شكل رقم (٦)
متلازمات البط



حين تولد فتاة دميمة وتنمو قبيحة وتعاني الأمرين من أترابها نتيجة منظرها يتولد لديها ما يعرف بمتلازمة "البطيطة الدميمة" Ugly Duckling Syndrome.[٢] لاحظ استخدام صيغة التصغير هنا في كلمة "بطيطة" لأنه ما يحدث في الغالب أن تتحول هذه الفتاة إلى الملاحة مع الحمية وخلع التقويم والنظارة وعمليات التجميل. يُسمون هذا النوع بالورد الذي يتفتح متأخرا Late Bloomers، ويعبر عنها التعبير الاصطلاحي الشعبي "يخرطها

(١) أحزان السندباد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢، ص ١٦.
(٢) تُسمى أيضا بـ "متلازمة شيلسي كلينتون" Chelsea Clinton Syndrome.

خراط البنات" والمثل الدراج "لبس البوصة تبقى عروسة". بالرغم من ذلك تظل صور الماضي وذكرياته تؤرق المصابين بهذه المتلازمة.

يعود مصطلح Ugly Duckling إلى قصة خيالية عن الحيوانات كتبها الدنماركي "هانز كريستيان أنديرسون" Hans Christian Andersenعام ١٨٤٣ تحت نفس العنوان. تقول القصة أن بطة وضعت بعض البيض وحين فقس كان هناك واحدة مختلفة في لونها. هرب فرخ البط من أسرته بسبب هذه العقدة، لكنه حين كبر ونظر في المرآة يوم ما وجد نفسه جميلا. تتفاقم "متلازمة البطيطة القبيحة" حين لا يتوفر للفتاة ما تُصلح به مظهرها وحين يتغلب عليها الإحساس بالدمامة فتهمل في نفسها ولا ترى أي ملمح للجمال في مخبرها ومظهرها وينتهي بها الحال امرأة مُنتقدة مُنفرة مهجورة فتكتوي بنار العنوسة وتلبس حزام العفة طواعية.[١]

في رواية "جين إير" Jane Eyre لشارلوت برونتي Charlitte Bronte، (1816 – 1855)، نجد البطلة ضئيلة ومتوسطة الجمال. قدمت "نور عبد المجيد" أيضا هذه الشخصية في رواية "أريد رجلا".[٢] "نهى" في الرواية بسيطة في كل شيء حتى ما منحتها الطبيعة من جمال، لكن هذا لم يمنع من حصولها على نصيبها في الدنيا فالجمال جمال الروح كما يقولون وكم من ملكات جمال ليس لهن حضور ولا لحديثهن متعة ولا لرفقتهن طعم.

في رواية "عرش معشّق" لربيعة جلطي[٣] تُولد "نجود" قبيحة الشكل، كلما نمت كبرت أطرافها وتضخمت، وازداد شعر ذقنها مما حدا بها للاختباء عن العيون هربا من سخرية الناس. في رواية "بيت الديب" قدم "عزت القمحاوي"[٤] وصفا للفتاة "مسعدة" وتحولها من "بطة دميمة" إلى كائن أنثوي مكتمل: "هي في كل الأحوال تعمل بين الرجال، ولم تلفت نظر أحدهم قط، إما لفقرها أو لتنكر أنوثتها تحت تكوين غلامي لا يغري أحدا. كانت طويلة بشكل مبالغ فيه، وحتى الرابعة عشرة كان أثر المخاط على شفتها واضحا، ولم

(١) في السينما غالبا ما تظهر هذه الفتاة الممتلئة القبيحة في دور صديقة البطلة الرشيقة الجميلة فيما يعرف بـ "متلازمة الدولفين والحوت" Dolphin-Whale Syndrome.

(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠١١.

(٣) منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٣.

(٤) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.

ينبت في صدرها سوى عجرتي قطن صغيرتين، بينما كانت مؤخرتها ممسوحة كلوح خشب... بدأت الطبيعة ترشقها بعطايا من اللحم بتصويب ماهر على النهدين والإليتين... كان علي، المسئول عن سير العمل في المصنع، منهمكا في تتبع تكورات مسعدة. العجرتان، اللتان فركهما للمرة الأولى بثلاثة أصابع، أصبحتا حبتي طماطم تملآن راحتيه، والظهر المستقيم عرف في أسفله نعمة التكوير يوما بعد يوم. خرطها خراط البنات."(١)

ومن رواية "حمام العرصة" لأحمد الويزي(٢) نقرأ: "هي تعلم أنها ما تزال تبدو في عيون رفيقاتها، مجرد فزاعة مثيرة للنكتة والضحك والمسخرة. لمزاتهن التي كثرت حولها حتى حاصرتها، جعلت الفتيان لا يكادون يبالون بها... لم يعد يعوزها غير بعض النتوء والاستدارة. صدرها فقط، لو ينتفخ قليلا!! مثل ردفيها صدرها، لا يلبث أن يفضح هزالها المكشوف. فاكهته لم تبرز بعد، بما يكفي. لو أنها تتكور شيئا فشيئا، فتظهر من تحت الايهاب!!... آه لو يسعفها ذلك الشيء، فيندفع ممتدا إلى الأمام، مستجيبا لحركات تدليكها الساخنة التي تعييها بالليل!! لكم تود لو يسعفها صدرها بحلمتين نافرتين كحبتي عنب جاف، تجعلاها مشروع امرأة في قوام مقدود، كي تخذل نظرات البنات الشامتة."(٣)

متلازمة الخنزير البري

"أنا روح خنزير يجمع تحت طبقته الشحمية نداوات الجبال وجنون الغابات وبداوات الصحاري."(٤)

تشير "متلازمة الخنزير البري" Wild Pig Syndromeإلى حالة تصيب الأشخاص حين يشرعون فجأة في السرقة والنهب والتخريب والإتلاف. ترتبط هذه المتلازمة تاريخيا بغينيا الجديدة، لكن يمكن إسقاطها على الأطفال الذين يستمتعون بالتخريب من أجل التخريب وعلى حوادث السرقة الجماعية التي تجتاح المدن عقب حدوث زلزال أو فيضان أو ثورة فككت الأذرع الأمنية، والأمثلة على ذلك كثيرة في الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما.

(١) بيت الديب، ص ١٤٦، ١٤٧.

(٢) أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.

(٣) حمام العرصة، ص ١٦.

(٤) إبراهيم محمود، أحدهم يتغزل بزوجتي، دار الينابيع، استوكهولم، ٢٠٠٨، ص ١٧.

كتب "تشارلز ديكينز" Charles Dickens عن هذا النهب في "قصة مـدينتين" A Tale of Two Cities التي تناولت الثورة الفرنسية وتناول "أحمد صبري أبو الفتـوح" نفـس الفكـرة مغلفة برصد لظاهرة البلطجة في روايته "أجندة سيد الأهل" [1] والتي تناولت ثورة ٢٥ يناير في مصر. يفتتح "عبد الخالق الركابي" روايته "ليل علي بابـا الحـزين"[2] قـائلا: "يـوم عـدت بأسرتي إلى بغداد – عقب رحلـة كابوسـية إلى مدينـة الأسـلاف انتهـت باعتقـالي – فوجئـت بالجيران يرددون كلاما غريبا غير قابل للتصديق مفاده أن كهرمانة، في نصبها القائم في منطقة الكرّادة، توقفت، يوم التاسع من نيسان، عن سكب الزيت في جرارها؛ حيث شوهد أربعـون لصا يثبون تباعا مغادرين تلك الجرار ليتوزعوا ، تحت جنح الظلام، في شتى أنحاء العاصـمة !!شائعة لم أقتنع بصحتها بطبيعة الحال؛ فقد عزوتهـا إلى شـعور الجميـع بافتقـاد الأمـن منـذ احتلال البلاد: فما من مرة التقيت أحدا عند باب البيت أو قرب حانوت أبو منير إلا وبـادرني بسؤال وحيد يتعلق بالإجراءات التي اتخذتها لتحصين بيتي بالشكل الـذي يـردع اللـصوص عن التفكير بالإقدام على ما لا يحمد عقباه! وفوجئت، ذات يوم، بأحد الجـيران ينـزوي بي في جانب من الطريق ليسر لي باستعداده لتزويدي بقطعة سلاح! قـال هامـسا وهـو يـدير عينيـه حوله بنظرة متآمرة:

في وسعي تزويدك بما تشاء بسعر الطماطة والخيار؛ فمعسكرات الجيش نهبت عن آخرها، وأفرغت مشاجب الأسلحة من محتوياتها.

وعاد يذكرني بأعمال السلب والنهب الجارية على قدم وسـاق بعـدما لم تعـد ثمـة سـلطة تتحكم بالناس."[3]

متلازمة الطاووس

تشير متلازمة الطاووس Peacock Syndrome إلى الرجل الذي يستخدم كل مـا لديـه من عناصر إبهار ليجذب نظر الأنثى إليه من ثراء وجاه وملابس فاخرة وسـيارات وسـاعات وذهب إلى آخره. لعل من أفضل النماذج على هذه المتلازمة شخصية المليونير اللبناني في روايـة

(١) دار العين، القاهرة، ٢٠١١.

(٢) دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣.

(٣) ليل على بابا الحزين، ص ٧، ٨.

"أحلام مستغانمي" "الأسود يليق بك"[١] والذي سخر كل ما يملك ليبهر "هالة الألفـي"، بطلة الرواية الجزائرية التي اضطرت لترك الجزائر والسفر إلى لبنان: "ليس نادما على ما وهبها خلال سنتين من دوار اللحظات الشاهقة، وجنون المواعيد المبهرة. حلـق بهـا حيـث لم تـصل قدماها يوما. ترك لها إلى آخر أيامها وسادة مـن ريـش الـذكريات، مـا توسـدتها إلا وطـارت أحلامها نحوه. فقد وهبها من كنوز الذكريات ما لم تعشه الأميرات، ولا ملايين النساء."[٢]

متلازمة الفروج والصقر

نـشأت "متلازمـة الفـروج والـصقر" Chicken – Hawk Syndrome في الولايـات المتحدة كمتلازمة ثقافية أو متلازمة مُحددة بثقافة محددة Culture – Bound Syndrome،[٣] لكن يمكن تتبع تأثيرها في أماكن أخرى. تـشير المتلازمـة ببـساطة إلى الـسياسي أو التنفيـذي الذي يناصر الحرب ويساهم في قرع طبولها حتى ينال الحظـوة بيـنما يتلاعـب ليجعـل أبنـاءه يُفلتون منها، بل وقد يستفيد من هذا الصراع تماما كتجار الحرب. ومن هنا تُـصنف المتلازمـة كواحدة من أوجه النفاق السياسي. الجدير بالذكر أن الكثـيرين مـن الـسياسيين في الولايـات المتحدة تواطئوا ليتجنبوا الحرب في "فيتنام"، وأن الذين اكتووا بنيران هـذه الحـرب هـم مـن يرفضون أي حروب أخرى تقوم بهـا أمريكـا في أي منطقـة مـن العـالم، ويقـال عـنهم أنهـم مصابون بمتلازمة "فيتنام" Vietnam Syndrome.[٤]

النفاق السياسي واستغلال الآخرين لتحقيق مكاسب أو درأ مغرم أمر معروف ومـستقر في السياسة المعاصرة. أثنـاء الانتخابـات الأمريكيـة اسـتخدم الجمهوريـون وتحـديا "جـون ماكين" John McCain رجل بسيط من عامة الشعب يُدعى "جو" قدم نفسه على أنه يعمـل في مهنة السباكة ليناوئوا به الديمقراطيين وحزم الضرائب التي تكلمـوا عنهـا. المهـم انقلـب السحر على الساحر وفشلت مساعيهم. أما هذا الرجل، "جو" فقد اتضح نفاقه وكذبه، وتبين

---

(١) نوفل (هاشيت أنطوان)، بيروت، ٢٠١٢.

(٢) الأسود يليق بك، ص ١٤.

(3) Andrew Stevenson, Cultural Issues in Psychology, Routledge, New York, 2010, P 136.

(٤) أما المدنيين الذين يكتـوون بنـار الحـرب فيُـصفون بـأنهم مـصابين بــ "متلازمـة سرايفـو" Sarajevo Syndrome.

أنه لا يمارس السباكة فعليا، ومن ثم فقد غدا موضوعا لاشمئزاز الجميع لأنه سمح لنفسه أن يُستغل على هذا النحو. تعرف هذه الظاهرة الآن بـ "متلازمة جو السباك" Joe, the Plumper Syndrome.

عودة لـ "متلازمة الفروج والصقر" نقول يمكن اقتفاء هذه المتلازمة في مصر مثلا في أولاد المسئولين الكبار الذين يُعفون من التجنيد أو يلتحقون بوحدات إدارية على الورق، ونراها في نواب الأمة الذين هربوا من التجنيد خارج مصر حتى جاوزوا الثلاثين، ثم يحاولون تزوير أوراق تفيد عكس ذلك. في رواية "الحرب في بر مصر" ليوسف القعيد[١] نقابل العمدة، رجل الحكومة الذي يدفع الشباب للالتحاق بالجهادية لإعلاء راية الدولة، لكنه يضغط على فلاح فقير ليرسل فلذة كبده إلى الجبهة بدلا من ابنه المدلل. في رواية "الظافرون بالعار" لعمر عبد الله[٢] نقابل عميل آخر مُمَثَل في مختار القرية.

في رواية "النعنع البري" للكاتبة "أنيسة عبود"[٣] يتم طرد بطلة الرواية، "عليا"، من الجامعة لأنها رفضت تمرير حالة غش لبنت مسئول كبير في الدولة قد لا يتواني أمام "الميكرفون" عن إعطاء خطبة عصماء حول الأمانة والشرف والعصامية. في رواية "تراب الماس" لأحمد مراد[٤] نقابل سيدة الأعمال "بشرى صبرة" التي تحارب ظاهرة أطفال الشوارع في العلن، لكنها تتستر ورائها لتدير شبكة للدعارة.

أما في رواية "ترانس كندا" لسماح صادق[٥] فيتم استصدار ورق لابن رجل الأعمال الشهير لتهريبه خارج مصر وليفلت من جريمة قتل ارتكبها مؤخرا: "في المساء، تخبره عيون الأب بأن المباحث قد وجدت جثة الفتاة الإسبانية، وأنها ساعات وسيعرف الجميع من ألقى بها في هذا المكان. نظرة أخرى تخبره أن الرجل الذي صدمته السيارة قد مات، وهاهو أمين الشرطة يقف ببابهم مدعيا أنه لا يستطيع أن يعطل القانون أكثر من ذلك، ليقبض عليه أو يقبض ما فيه النصيب. وكان أحد رجال أبيه يرمي بسيارته، بعد غسلها وخلع لوحاتها في

(١) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٢) بدون ناشر، القدس، ١٩٨٩.

(٣) دار السوسن للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.

(٤) دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.

(٥) دار المصري للنشر، القاهرة، ٢٠١٤.

مكان بعيد على الطريق الصحراوي، بعد أن أشعل فيها النيران، في الوقت الـذي كـان كاتـب القسم يكتب محضرا مزورا بسرقة سيارة يوسف بتاريخ يسبق تـاريخ الأمـس بعـدة أيـام. في نفس اللحظة، كان أخوه يمد يده ليعطيه تذكرة سفر إلى كندا."[1]

وفي رواية "في مهب الريح" لتيسير دبابنة[2] تظهر المحاباة في أحط صورها حـين يُطلـب من تلميذ فقير أن يترك مقعده في الصف الأمامي لابن أحد المسئولين الكبار: "أبدا مشاعره لم تكن بالود نفسه وهو يستعيد أيام دراسته الابتدائية في مدرسـة الراهبـات الناصريـة، وكيـف رفض أن يتزحزح من مقعده في الصف الأول، عندما طلبت منه معلمته ذلك، لتُجلس مكانه زميلا له بلا سبب باستثناء أن والده يعمل في مركز حكـومي مرمـوق. وكيـف لاحـظ رغـم صغر سنه آنذاك أن أبناء وبنات الأغنياء يحتلون الصفوف الأولى، وأبناء الفقراء في الـصفوف الخلفية، ورغم عناده الذي اندهشت له معلمة الصف فإن الألم الذي اعتصر أذنه مـن ضـغط أصابعها دفعه إلى النهوض والامتثال لأوامرها في الجلوس في مقعد آخر."[3]

متلازمة النسر

تشير "متلازمة النسر" Vulture Syndromeإلى أفراد العائلة الذين ينتظرون عـلى أحـر من الجمـر مـوت عائلهـا ليتقاسـموا ميراثـه. ربـما جـاءت التـسمية مـن مـسرحية الكاتـب الإنجليزي "بن جونسون" Ben Jonson "فولبون" Volpone، وفيهـا لقـب "جونـسون" هـؤلاء المنتظـرين بـالطيور الجارحـة Birds of Prey، والإشـارة هنـا إلى المنتفعـين حـول "فولبون" أو "أصدقاء الطقس الجيد" Good Weather Friends ذلـك لأنـه لم يتـزوج ولم يكن له ورثة.

في رواية "ابن طراق" كتب "محمد السماري" و"بدر السماري":[4] "للموت سطوة تبث رهبة عجيبة، وجبل في الطريق إلى جثمان والده... عاد لحساب ثروة والده، بدأ عقلـه بـإجراء جميـع المعـادلات الرياضـية، نفـذها بـصورة سريعـة عـلى طريقـة المـشاركين في مـسابقات

(١) ترانس كندا، ص ٢٠.

(٢) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

(٣) في مهب الريح، ص ٩.

(٤) الدار العربية للعلوم ناشرون – أثر للنشر والتوزيع، بيروت – الدمام، ٢٠١١.

الرياضيات. بدأ بالجمع ثم التقييم، بعد ذلك الجمع ثم القسمة على ثمانية، ثم قسمة الناتج (الثمن) على ثلاثة. وصل إلى نتيجة حدد أنها هي نصيب والدته الشرعي. أما ما تبقى، فقسمه على ثمانية عشر ثم ضربه في اثنين، تعرف بعد ذلك على نصيبه الشرعي. تمت كل تلك العمليات الحسابية من دون ورقة وقلم، جرت في شاشة عقل جبل، وكون متراجحة رياضية دقيقة جدا، جبل الذي رسب في مادة الرياضيات في الثانوية العامة مرتين."[١]

تناول "مصطفى موسى" مشاكل الإرث والطمع الذي قد يؤدي إلى القتل في روايته "السنغالي".[٢] وفي رواية "محمد شكري" "وجوه"[٣] نقابل "حليمة" التي تخطط للزواج من رجل عجوز سرعان ما يموت على جسمها ثم ترث ما وراءه: "جاءت حليمة المتصابية في عز كهولتها مُضمخة بعطر عربي والسواك والحناء مدعية أنها متطوعة لرعاية أبي لوجه الله فطردتها... إن كل واحدة من المتهافتات على زواجه منها لا تريد منه إلا الميراث وأبقى أنا عاطلا بائسا أتسكع في الطرقات."[٤]

في رواية "ألم خفيف كريشة طائر تنتقل بهدوء من مكان لآخر" لعلاء خالد[٥] نقرأ: "لم يكتف مصطفى بحماية ميراث أبيه، ولكنه فرض على أختيه أن يتركا زوجيهما، حتى لا يتسلل هذا الميراث بعيدا عن شجرة العائلة."[٦] لكن أزواج الأخوات في رواية "مصطفى نصر" "إسكندرية ٦٧"[٧] يفلحوا في تأليب زوجاتهم على أخيهن، بل ويرفعوا قضية للمطالبة بحقهن من ميراث الأب: "أزواج أخواته البنات يقاضينه في المحاكم لأخذ نصيب زوجاتهم في الميراث. وأين الميراث؟ أرض المدفن القديم الكبيرة أصبحت ملكا للدولة. ولا يمتلك عبد الله الآن سوى الفيلا القريبة من أرض المدفن والتي تؤويه وسيتزوج فيها."[٨]

(١) ابن طراق، ص ١٧، ١٨.
(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.
(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠.
(٤) وجوه، ص ٣٧، ٣٨.
(٥) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.
(٦) ألم خفيف كريشة طائر، ص ١٠.
(٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.
(٨) إسكندرية ٦٧، ص ١٨.

في رواية "الطريق إلى عدن" لعمر أحمد طالب[١] تحكي "أمينة" عن زوجها الذي استولى على إرثها ثم تركها ورحل: "بعد أن استحوذ على نصيبي من الإرث رحل فجأة مـن دون أن يترك أي أثر. وبقيت أنـا مـع الأولاد يكللنـي الحـزن وأضـحيت وحيـدة، افتقـدت تطويقـه لخصري بذراعه القوية وهو يعصر أكتافي، كنت أغوص فيه تماما واستسلم إلى ضرباته القويـة وإلى استحواذه الرقيق عليّ دون أن أبدي أية مقاومة، وكنت أستسلم كل ليلة إلى أمواجـه، ولم يدع جسدي ليلة دون أن يكون أسير جسده، لقد كان يملك طاقة عشرين رجـلا فحـلا مـرة واحدة."[٢]

في رواية "الشاردة" لأمل زيادة[٣] يموت الأب تاركا ابنة واحدة يقاسمها عمها الميراث، لكنه يطمع إلى ما هو أكثر: "أراد أن يزوجني ابنه رغما عني وابنه متزوج ولديـه أسرة بالفعـل وكل هذا بحجة خوفه عـليّ؛ في حـين أن حقيقـة الأمـر أنـه أراد أن يـستولي عـلى مـيراث أبي بالكامل. وأظنك رأيت كيف تخلصت من مضايقتهم بعد أن تنازلت لهم عن نـصف ميراثـي الشرعي من أبي بخلاف نصيب عمـي الحقيقـي والقـانوني مـن تركـة أبي.. لا أُخفـي عليـك صُدمت فيهم لأبعد مدى؛ هل كانت العلاقة التي تربطنا فقط هي التركة وبمجرد أن حـصل عليها نسى أن له ابنة أخ وحيدة كان يتظاهر بالقلق والخوف عليها في السابق."[٤]

وفي رواية "سقف من طين" لكفى الزعبي[٥] نجد الصراع على المـيراث محتـدم والطمـع على أوجه حتى في حياة عين الأب بين "قاسم" مـن جهـة وأمـه وأخواتـه البنـات مـن جهـة أخرى: "تردن بيع الأرض كي تسافر، لماذا دوناي؟! بيعي الأرض كلها من أجلها!... لكنني لن أسمح بذلك، وإذا تجرأتن على بيع متر واحد مـن الأرض فـسأريكن أي رجـل أنـا، لقـد صبرت على الكثير وأردت أن أكون الأخ المتسامح، لكنكن على ما يبدو تـردن أكـل حقـي في مال أبي قبل أن يموت."[٦]

(١) دار الشروق، بيروت، ١٩٩٤.

(٢) الطريق إلى عدن، ص ٥.

(٣) إبداع للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤

(٤) الشاردة، ص ٢٤ – ٢٥.

(٥) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

(٦) سقف من طين، ص ٥٢.

في رواية "الميراث" لسحر خليفة[1] تعود "زينه / زينب" من "أمريكا" إلى أرض الوطن، فلسطين، لرؤية والدها الذي يصارع الموت. عادت لتجد صراعات محتدمة على الميراث. وتبين لها وجود صراع أكبر على الدم والأرض والعرض. الكل يسعى لتركة المال ولا أحد يريد تركة الوطن من الخراب والنكبة. في النهاية تترك كل هذا خلفها وتعود من حيث أتت. صحيح أن من يعيش في فلسطين مُقصر نحو القضية، لكن عودة "زينه" أيضا غير مفهومة و"صحيح أن نصيب زينة من الميراث يبقى محفوظا، لكن حق الإرث يظل قائما ومفتوحا على مستقبل الاحتمالات."[2]

متلازمة الفراشة

بعض الناس يميلون إلى التشرنق والتقوقع والانعزال والخوف من مخالطة الناس Sociophobia. انظر مثلا إلى ما كتبه "أحمد سلامة" في روايته محطة الرمل":[3] "وكنت لا أثق في أي إنسان في تلك الأيام، ولا حتى نفسي، ولا أسمح لأحد بدخول دائرتي بسهولة. أعتزل الناس قدر المستطاع. أحب القطارات والأماكن العامة فقط لامتلائها بالغرباء المريحين الذين لا يطلبون شيئا، ولا ينتظرون مني أكثر من صمتي."[4] وانظر إلى ما كتبته "دنيا كمال" في روايتها "سيجارة سابعة":[5] "أرتعب من العالم الذي يقبع خارجي، دوما هي نفس الرغبة في الانفصال عن الكون، عن تفاصيل الشوارع والكائنات الحية، امتلك من الحيوات الموازية ما يكفيني."[6] وما كتبته "إبتسام عبد الله" في روايتها "ممر إلى الليل":[7] "هل تحولت إلى كرنبة لا تتعايش مع أحد... كرنبة عتيقة أنا بأوراق كثيرة، متراصة، ملفوفة على

---

(١) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧.

(٢) نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤. ص ٥٨.

(٣) دار دون، القاهرة، ٢٠١٣.

(٤) محطة الرمل، ص ١٨، ١٩.

(٥) دار ميريت، القاهرة، ٢٠١٢.

(٦) سيجارة سابعة، ص ٥٤.

(٧) دور الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.

بعضها، ملتصقة، ملمومة الأطراف، باهتة اللون، ناعمة من الداخل، خشنة الملمس من الخارج، لا يقترب منها أحد."[١]

هذا الشخص الانطوائيIntrovert يقابله الشخص المنفتح على الآخرين Extrovert والذي لا يطيق الجلوس في البيت. عبرت "فاتحة مرشيد" عن الفرق بين النوعين بقولها في رواية "مخالب المتعة":[٢] "كان يعرف كيف يحصل على النقود عندما تضيق بنا الحال، وكانت المراجع من اختصاصي. كان ينتقل بثقة في بهو الجامعة، وكنت خجولا أحتمي بالجدران. كان يحسن فن غواية الفتيات، وكنت أحسن الفرار كلما ورطني في علاقة مع إحدى الطالبات.. وكلما حاولت أن أتحدى خجلي وأتصرف مثله، خانتني اللباقة وسقطت في مواقف مثيرة للسخرية لأعود وأندم على تصرفي."[٣]

تُشير "متلازمة الفراشة" Butterfly Syndrome إلى النوع الثاني، الشخص المنفتح أو الشخصية الاجتماعية على نحو زائد عن المقبول. تصيب المتلازمة بصفة عامة النساء أكثر من الرجال. المرأة المصابة بهذه المتلازمة لا تطيق الجلوس في البيت فهي دائمة التنقل بين الجيران والمعارف والأصدقاء. تدخل في علاقات هشة مع أي شخص. تمضي غالبية أوقاتها في النوادي والحفلات. تعيش حياة صاخبة، وربما أيضا ماجنة.

في قصة "إحسان عبد القدوس" "النظارة السوداء"[٤] نقابل هذه الشخصية التي يصفها الروائي قائلا: "من هي؟ أن أحدا لا يكاد يسمع بها الآن ولكنها منذ خمس سنوات كانت ملء عيون القاهرة.. وكنت تلتقي بها دائما في النوادي الراقية، والليالي الساهرة والفنادق الكبرى، وحفلات الافتتاح.. وكانت ترقص دائما، وتضحك دائما، وتشرب دائما، وتأكل دائما.. وتضع على عينيها دائما نظارة سوداء."[٥]

(١) ممر إلى الليل، ص ٢٨.
(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٠.
(٣) مخالب المتعة، ص ١٢.
(٤) دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٦.
(٥) النظارة السوداء، ص ١٣.

متلازمة النحلة الملكة

أما "متلازمة النحلة الملكة" Queen Bee Syndrome فتشير إلى امرأة ذات جاه ونفوذ تنظر إلى من تحتها خاصة من النساء بازدراء، فضلا عن أنها تسيء معاملتهم. وهذه المرأة نجدها في العمل في شخص المديرة المتعالية، وفي الدراسة في تعالي دفعة الخريجات على الملتحقات حديثا بالكلية، وفي المنزل في شخص ربة الدار المتعالية على الخادمات والشغالات.(١) ألمح "أمير تاج السر" إلى هذه الشخصية على عجل في روايته "طقس"(٢) واصفا إياها كما يلي: "سعاد معتصم، المرأة الأرستقراطية التي تضخ التعالي."(٣) ومن رواية "اليوم التالي لأمس" نقرأ هذه الجملة لوليد الرجيب(٤) "نظر بطرف عينيه إلى هذه المرأة وهي تجلس بتعال وتعامل النادلين بصلف وفوقية."(٥) وفي رواية "أوطان بلون الفراولة" لمحمد سامي البوهي(٦) توجه سيدة مشابهة الانتقاد لكل من حولها: "كانت تقذف الدخان من فمها فوق رأسي، تتحدث بلهجة شابها التمرد، تسخر من كل شيء حولنا، لم تترك واحدا من الجالسين إلا ووجهت له الانتقاد، رجلا كان أم امرأة، لم ترحم ملابسهم، ولا أربطة أعناقهم، ولا حتى أحذيتهم."(٧)

متلازمة الشاة السحاقية

تشير "متلازمة الشاة السحاقية" Lesbian Sheep Syndrome إلى الإحساس الذي تشعر به سيدتان بالانجذاب إلى بعضهما البعض، وانتظار كل منهما الطرف الآخر لأخذ زمام المبادرة والانتقال للعيش معا. ظلت السحاقية أمدا تحت تصنيف المسكوت عنه حتى أنه في عهد الملكة "فيكتوريا"Queen Victoria جرم البرلمان الإنجليزي ما يفعله قوم لوط. سأل أحدهم الملكة عن "الليزبيان"، فردت الأخيرة مُنكرة وجود علاقات جنسية بين المرأة

(١) عالج "ضياء الدين بيبرس" هذه الفكرة في سيناريو فيلم "المتمردة"، ١٩٦٣.
(٢) بلومزبري، قطر، ٢٠١٥.
(٣) طقس، ص ٥٢.
(٤) دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.
(٥) اليوم التالي لأمس، ص ٤٣.
(٦) دار العين، القاهرة، ٢٠١٠.
(٧) أوطان بلون الفراولة، ص ٥٧.

والمرأة! يُعرف هذا الإنكار لما هو موجود بالفعل بـ "متلازمة الملكة فيكتوريا" Queen Victoria Syndrome.[١]

ولأن عالمنا العربي لا تسمح تقاليده بزواج المثليات فقد صورت الرواية العربية هذه العلاقة المشبوهة المأفونة في شيء من التحفظ. في رواية "فندق بارون" لعبده خليل[٢] تقوم الإنجليزيات بهذا الفعل: "كاترين" تتقمص الرجل مع "ليزا" التي تمارس بدورها دور الذكر مع "هيلين". وفي الرواية تخبر "كاترين" ابنتها: "ليزا، لا أمانع العلاقة بينك وبين هيلين، شرط ألا يكون ذلك على حساب أن تكون كل منكما أما ذات يوم، الأنثى يا ابنتي لا تكتمل أنوثتها إلا إذا أنجبت."[٣]

يبدأ الشذوذ الأنثوي بالإعجاب والانجذاب كما في "مسك الغزال" لحنان الشيخ،[٤] وفي ثلاثية "الطريق إلى الشمس" لعبد الكريم ناصيف:[٥] "عيناها لا تشبعان منها.. هي تعشق جسدها.. كلما جاءت إلى الحمام، تكون متعة أم عمر أن تعريها بيديها... لتمتع ناظريها بذلك الجسد المتناسق الجميل، أم عمر ذواقة.. تعرف النساء جميعا، والأجساد جميعا، لكنها مع شمس لا تملك إلا أن تقف مبهورة، تنظر إلى العنق، الصدر بانبهار. تلامس البطن. الفخذين بنوع من التعبد، ولا تخجل من إبداء إعجابها بجسد شمس، وأنوثتها وسحرها... البطن الضامر الخميص، بسرته الفائرة، المختبئة كفتاة خجول. كان يسحرها على نحو خاص... الصدر الناهد في شمس، يثير إعجاب أم عمر.. ثدياها الممتلئان المكوران، حمامتان جاثمتان منكمشتان.. الحلمتان تبدوان، وكأنهما لم يلمسهما طفل... الكتفان مرمران صقيلان.. .لكن الخصر.. الخصر وحده يصيب أم عمر بالانشداه.. هو ملتقى سفحين الأول نازل من الكتفين، والثاني صاعد من الإليتين، وفي نقطة الالتقاء، تتجسد الرقة، السحر، حتى لكأنه ذوب من فضة."[٦]

---

(1) http://www.diversevoicesquarterly.com/the-queen-victoria-syndrome /

(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.

(٣) فندق بارون، ص ١٣.

(٤) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.

(٥) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

(٦) الطريق إلى الشمس، ص ١٢٨، ١٢٩.

مرورا بـالتحرش كـما في روايـة "علويـة صـبح" "اسـمه الغـرام":[١] "قالـت لي ذلـك الصباح، إنها عشقت الدكتورة سحر، وشعرت تجاهها بشغف لم تشعر به تجاه أحد، حتى مـع حبيبتها ميرنا التي ساعدتها في تربية أولادها منذ طلاقها من زياد. تحرشت بها الدكتورة سحر في عيادتها. نزعت الكمامة من فمهـا، تاركـة أنفاسـها تتـداخل بأنفـاس نـادين، وهـي تحـشو ضرسها برقة ودقة شديدتين، بينما موسيقى أغنية Sympathy تخدر جـسدها رويـدا رويـدا، وهي مغمضة العينين، ممدة على الكرسي. فتحت نادين عينيها لما انتهت الـدكتورة سـحر مـن عملها، فانغرزت نظراتهما ببعضهما البعض، في الوقت الذي راحت الدكتورة سـحر تلامـس رقبتها بطريقة حسية وبطيئة، وهي تسحب الفوطة الصحية المربوطة في عنقها، وتقول لها إنهما وحدهما في العيادة بسبب مرض سكرتيرتها. أدركت الدكتورة سحر أن نظرات نادين سبقتها في الاستسلام لها، وأن جسدها ارتخى وغير راغب في أن يـبرح الكـرسي الجالـسة عليـه."[٢] وكما في رواية "وقائع استشهاد سمير النوحي" لسمير نـدا[٣] والتـي نقـرأ منهـا: "لم يُخلـق في الرجال من يقدر هذا الجمال... أنا من تقدر هذا الجمال. وبيدها البسرى راحت تعبـث بثـديي الأيمن. ازداد الخدر وارتفع طنين في أذني فالتهبتا، تعصرني بين فخـذيها وتقـول: خـسارة أن يضيع هذا الجمال في الخلفة وتربية العيال."[٤]

ثم محاولة الممارسة كما في رواية "أقفال العشق": "كان البديل أمام كوبـسس هـو المدينـة الجامعية. شـاركتها الغرفـة فتـاة برتغاليـة تُـدعى ماتيلـدا قـدمت الـسوربون لدراسـة الفـن التشكيلي. تعاملت معها كوبسس بحذر شديد، لكـن ماتيلـدا كانـت بارعـة في إزالـة القيـود وتخطـي الحـواجز.. لم تكـن هـذه الفتـاة مريحـة. تجلـس في الغرفـة شـبه عاريـة. رسـوماتها بورنوجرافية[٥] وإيروسية[٦] بشكل فاضح. في حديثها كلام مدسوس وانحرافات واضـحة. تتعمد الدخول عليها وهي تستحم بحجج واهية.. حين خرجت "كوبسس" من الحمام قالت لها:

---

(١) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٩.

(٢) اسمه الغرام، ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٣) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٧.

(٤) وقائع استشهاد إسماعيل النوحي، ص ١٢٦.

(5) Pornography.

(6) Eroticism .

- كوبسس... لدي كريم يفتح مسام الجلد ويندية. أحضرته معي من البرتغال. هل تريدين أن تجربيه؟

- لا بأس. ما اسمه؟

- صافو Sappho. على اسم شاعرة إغريقية عاشت في القرن السادس قبل الميلاد.

- سمعت عنها.

- ماذا سمعت؟

- سمعت أنها ولدت في جزيرة "ليسبوس" Lesbos.

- فقط؟

- وأنها فتحت مدرسة أو ما شابه لتعلم الفتيات الرقص والغناء.

- حدث ذلك بعد أن فشلت في حياتها العاطفية لأن زوجها لم يستطع إشباع جائحتها الجنسية الأمر الذي جعلها تنفر من الرجال.

- مخبولة.

- أو تعتقدين ذلك؟!

- مؤكد. تفتح مدرسة للفتيات لتعاشرهن!

- لا كانت تتفحص أجسامهن فقط لتكتب فيهن الشعر، أما الجنس فكانت تمارسه مع عشيقتها المفضلة آتيس.

على عكس كوبسس كانت ماتيلدا فتاة متحررة لأبعد الحدود.. عكست لوحاتها هذه الأفكار بشكل كبير. رسمت صورة لمحاربات الأمازون وتحدثت مع كوبسس باستفاضة عن خاطرة المجتمعات التي لا يسكنها سوى النساء.. رسمت ماتيلدا أيضا صورة لراهبتين في حالة من الهيام والنشوى وقد وضعت إحداهن سبابتها في فم الأخرى. انتهت مؤخرا من صورة ثالثة لـ "جان دارك" وهي تحارب بملابس فاضحة. انتقدت كوبسس اللوحة وسخرت منها. علقت ماتيلدا قائلة:

- ألم ينتهي إلى علمك أن عذراء أوريان كانت سحاقية أو لديها ميول أنثوذكرية؟
- ما هذا التخريف؟!
- على الأقل هناك من يؤمن بذلك.
- هل لديك دليل؟!
- وهل لديك أنت دليل أنها لم تكن كذلك؟
- البينة على من ادعى.
- آسفة. أعرف أنها رمز مبجل لديكم في فرنسا، لكن ما الذي يضيرها إن كانت سحاقية من عدمه؟! هل يغير ذلك من نظرتكم إليها وإعجابكم بجسارتها؟
- لا.
- وكذلك هو الحال بالنسبة لـ ماري أنطوانيت وفراسوا ساجان وفيرجينيا ولف وإيلانور روزفلت ومارلين ديتريش.[١]

في يوم من الأيام تطوعت ماتيلدا بقص أطراف شعر كوبسس حتى يبدو متناسقا. راحت يداها تداعبان خدي كوبسس. غاص صليبها الكاثوليكي المتدلي من رقبتها في شق نهدي كوبسس ثم تبعته أصابعها. شهقت الأخيرة وشعرت برجفة وحالة من الخدر. أرادت أن تقول لها توقفي عن فعل ذلك وتزعق في وجهها، لكن الحقيقة هي أنها كانت مستمتعة بهذا التدليك الرقيق."[٢]

وانتهاء بالممارسة كما في رواية "مينا" لسحر مندور[٣] ورواية "الآخرون" لصبا الحرز.[٤] في رواية "رائحة القرفة" لسمر يزبك[٥] نقابل "حنان" المحرومة من علاقة كاملة مع زوجها فتقيم علاقة مثلية مع "كوثر" ومخدومتها "عليا". سبب آخر دفع بطلة "ملامح" لزينب

---

(1) Marie Antoinette, Francoise Sagan, Virginia Woolf, Eleanor Roosevelt& Marlene Dietrich.

(٢) أقفال العشق، ص ٧٤ - ٧٦.

(٣) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٣.

(٤) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.

(٥) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.

حفني[١] للدخول في علاقة مثلية: "كنت أدفن أوجاعي في حضن هند، هل لأن كلا منا تؤوي في داخلها شبح العزلة، وتتجرع كل صباح مرارة الوحدة وانكسار الحلم، تعودت إطفاء عقدة ضعفي في تربة ضعفها، لأحس بأنني لا أزال امرأة مرغوبة، كانت هند دوما ذلك الكائن الذي يهتز بين يدي، وأمارس معه جنوني."[٢] من رواية "نخب الحياة" لآمال مختار[٣] نقرأ: "تربعت إلى جانب صديقتها. قربت يداها. استنشقت. ثم واصلت تستنشق جسد سوزي وتتشمم. بينما كانت سوزي تخلع معطف نيكول وتنورتها القصيرة وتسحب جواربها وما تبقى. ثم أغمدت لسانها وراحت تلحس."[٤]

متلازمة ذاكرة سمكة الزينة

"إلى من لا تكتفي الذاكرة من عناقهم." هكذا كتب "هشام الخشن" في إهداء روايته "تلال الأكاسيا".[٥]

"وحين دارت طواحين الذاكرة تذكرت كل شيء."[٦]

يتمتع بعض الأشخاص بذاكرة فوتوغرافية. كتبت "سها جلال جودت" في روايتها "السفر إلى حيث يبكي القمر":[٧] "لم تكن أمي تدرك مدى قدرتي على التخزين، فذاكرتي شديدة الحساسية ولاقطة من نوع ماهر."[٨] يُوصف الأشخاص الذين لا ينسون الإساءة بأن لديهم "ذاكرة الفيل" Elephant Memory، بينما يُوصف الأشخاص الذين ينتظرون اللحظة المناسبة والمواتية للانتقام بأن لديهم "ذاكرة الجمل".[٩] في المقابل هناك من البشر ما

---

(١) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.

(٢) ملامح، ص ١١٧.

(٣) دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٥.

(٤) نخب الحياة، ص ٧٠.

(٥) مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٥.

(٦) سمير عبد الفتاح، الحائط الأخير، روايات الهلال، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٨.

(٧) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.

(٨) السفر إلى حيث يبكي القمر، ص ٢١.

(٩) كتب "شوقي عبد الحكيم" في روايته "أحزان نوح": "غدر به الجمل الذي كان يعمل عليه جمالا طول عمره. أمسكه من معصمه، ورفعه في الهواء فسقط على الأرض فاقد الوعي... عرف أن البهائم =

لديـه "ذاكـرة المنخـل" Sieve Memory أو "ذاكـرة الـسمكة" أو "ذاكـرة سـمكة الزينـة" Goldfish Memory Syndrome. النسيان – كما يقال – يكون نعمة في بعـض الأحيـان؛ في أحيان أخرى يسبب مشاكل كثيرة للشخص المُصاب به. في مواقـف كثـيرة ينـسى الـشخص حتى الكلمة على لسانه فيما بات يُعرف بـ "متلازمة عـلى لـساني" Tip – of – the Tongue Syndrome.

ما أقسى النبش في ذاكرة مشوهة، ذاكرة مليئة بالحفر والبثور والشروخ. ذاكـرة الإنـسان ليست كذاكرة الحاسب الآلي فلا يمكن مسحها أو استبدالها. لا يوجد ترياق للذاكرة ولا جبر لها. الحل الوحيد أن تفقدها كلية أو أن يـصيبك الخـرف أو أن تمـوت. يـشبه "محمـد الـسالم" الذاكرة في روايته "حبيبتي بكماء"[١] بـ "نسر جائع في رأسي يبحث عن فريسة يشبعُ بها بطنـه الصغير، ولكنه لن يرضى إلا باصطياد أرنب سمين! وتبا للنسر الذي يحوم في رأسي لن يرضى بغير دمعي كأرنب مناسب لوجبة غدائه!"[٢]

أما "محمد جمال الدين" فيصف الذاكرة في روايته "حدائق الذاكرة"[٣] قائلا: "ذكريـات تضرب في الدماغ مثل صداع مزمن أو مطرقة لنجار أهوج... سـنوات مـرت ولم ينفـك مـن ذلك الأسر، ضربات مثل مطارق الحديد في القلب والأحشاء، وتـسقط كـل ثـمار الجـسد... فالذاكرة مؤرقة إلى الحد الذي يبعث الدمار في الروح والانكسار في المشاعر."[٤]

في رواية "حين يشق الفجر قميصه" كتبت "مـي منـسي"[٥] متـسائلة عـن سر الـذاكرة: "هي الحكاية ذاتها الممعن قلمي على تكرارها كلما امتلأ خزانه بحبر الذكريات المغبـشة، تلـك التي تهب كرياح عتيقة من أزمنة بعيدة... يا لها من مبارزة بين الذاكرة والنسيان، الغالب دوما

= تماما مثلنا – تزعل.. وتحزن.. وتنتقم . وهذا ما حدث مع أبيه حين برك عليه جمل عائلة عبـد الهـادي وقتله." (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٢، ٤٨).

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣.

(٢) حبيبتي بكماء، ص ١٠.

(٣) مركز الحضارة، القاهرة، ٢٠١٥.

(٤) حدائق الذاكرة، ص ٩، ٦٣.

(٥) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٩.

هو اللهب المستغيث في قعر الأزمنة، تتفشى منه ومضات حارقة... ما سر هذه الذاكرة العجيبة تطارد الحاضر وتأسره بين قضبان الأمس."[١]

يمارس بعض الناس هواية النبش في الذاكرة طالما ظل في صدورهم أنفاس، ولم يُصابوا بعد بـ "الزهايمر". لا يستطيعون التوقف عن فعل ذلك. الذاكرة كالقطط المشاكسة؛ كلما استفززتها خمشتك وخربشتك. على أية حال لا بأس ببعض السجحات لأننا حين نتحدث عن آلامنا نشعر بالراحة ونُشفى جزئيًّا أو وقتيا منها.

فكرة النبش في الذاكرة عبر عنها "أيمن العتوم" في روايته "يا صاحبي السجن":[٢] "كم أضعنا أنفسنا في متاهة الحياة.. ولكننا التقينا بها مصادفة أو قدرا ونحن ننبش ذكرياتنا.. نحن ما ننسى فنغفو في ذواتنا، أو ما نتذكر فنصحو على فجائعنا وخيباتنا.. لم يكن الإنسان – يوما – ما يأكل أو يشرب؛ مثل ذلك تفعله الحيوانات والدواب.. إننا ما نحاول أن نتذكره فنعيش من جديد."[٣] لفظة "النبش" مقرونة بالذاكرة موجودة أيضا في رواية "بحيرة الملح" لنبيه إسكندر الحسن:[٤] "أخذتها الذكريات إلى الماضي نبشت ركامه حتى غيبها النوم، رأت نفسها في عرض البحر مثل زورق يشق عباب الماء، تطاير شعرها الغجري ليشكل نخلة تستظل بفيئها الأجيال."[٥]

"للذاكرة نهجها الانتقائي المزاجي في الوقت ذاته، تراها في بعض الأحيان تعمل على هواها دون الرجوع لإرادة صاحبها."[٦] كتب "أشرف الخمايسي" في "انحراف حاد"[٧] عن ذاكرة الطفولة مستعيرا رمزية المنخل الذي يسقط الغث، لكنه لا يسمح بالأحداث المؤلمة بالسقوط: "ذاكرة الطفولة في قعرها ثقب واسع، تسقط منه كل الأحداث الصغيرة العادية،

---

(١) حين يشق الفجر قميصه، ص ٩،١٠.

(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣.

(٣) يا صاحبي السجن، ص ٥.

(٤) دار إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠.

(٥) بحيرة الملح، ص ٣٣.

(٦) إسماعيل فهد إسماعيل، في حضرة العنقاء والخل الوفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣، ص ٢٨١.

(٧) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٤.

بينما تنحشر فيه اللحظات العميقة، الكبيرة، فلا تسقط أبدا، لكنها تبقى على حد الألم، كلما ارتجت الذاكرة خدشها هذا الحد، فتشع حية، طازجة تماما، وكأنها لم تذهب بعيدا في مجرى الزمن."[1] لكن "محمد سيف الرحبي" يرفض هذا الطرح في روايته "الشويرة"[2] قائلا: "ليس بيدك أن تحذف من ذاكرتك ما لا ترغب فيه، خلقت ذاكرتنا لتقتص منا."[3]

أما "البشير الدامون" فقد كتب في رواية "سرير الأسرار":[4] "أن تنسى، مهمة صعبة الإتقان. صور ضبابية تنتشر مشتتة في ذاكرتي. يقترب مني ذاك الشتات بحدة يلفني. يتوقف خفقان ذهني ليعلن عن تشبثه بشيء يشده إليه عنوة وبحدة، رغم كل محاولات الهروب والابتعاد. هذا ما أحسه الآن. نار تشتعل وتستعر، أود لو أنزع هذا الطرف المضني من عقلي، وألوح به بعيدا علني أنسى. كل شيء يتراءى لي خيوطا تتماسك، صورا تنزل إلى قلبي نافذة حادة، تجعلني أفزع منها، ومن نزيفها الجارف في دواخلي. لم يا ربي لم تسعفني بذاكرة منخورة؟ بذاكرة غربال تسقط ما تشاء وتبقي على ما هو بي ألطف؟ خيانة كبرى أن تعاندك ذاكرتك، تتوسل إليك أن تريحك. أن ترحمك، أن تدع النسيان يدثرك، فترفض متعنتة في كبرياء. أأنا أعود إلى ذاكرتي، أم ذاكرتي تعود إليّ؟"[5]

ومن صورة المنخل والغربال إلى الذاكرة الحاسوبية التي تحتاج إلى شحن ننتقل مع "مؤنس الرزاز" الذي كتب في روايته "عصابة الوردة الدامية":[6] "لكن ربما تستعيد ذاكرتي شحنتها الجديدة بعد خمس دقائق، فأتذكر بدقة تفاصيل ما حدث، أو ما سيحدث؛ لأن ذاكرتي تخبو حتى تكاد تتلاشى، ثم تعود فجأة إلى كامل عافيتها؛ بعد ربع ساعة أو ربع يوم أو ربع شهر أو ربع سنة. ذاكرتي مثل امرأة مزاجية، تلعب دور امرأة فاضلة أحيانا، ثم يعن لها، فتنقلب للعب دور غانية، لا هذا المثال ليس دقيقا، إنها مثل مارد زج نفسه في قمقم، يخرج من

(١) انحراف حاد، ص ٦٥.
(٢) بيت الغشام للنشر والتوزيع، مسقط، ٢٠١٤.
(٣) الشويرة، ص ١٥.
(٤) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.
(٥) سرير الأسرار، ص ٥.
(٦) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧.

قمقمه حينا، ويعود إلى قمقمه أحيانا، أو مثل سلحفاة، عقلي سلحفاة، ذاكرتي رأس سلحفاة، أحيانا تخرج السلحفاة رأسها فأتذكر، وأحيانا تخفيه فأنسى."[1]

أما حين يفقد الشخص ذاكرته بسبب حادث فهذا أمر مختلف وقد رصده لنا "أحمد طوسون" في روايته "تأملات رجل الغرفة":[2] "تساقطت ذاكرته وضاعت في مكان مجهول؟ ربما كانت ملقاة هناك على البلاط الباهت إلى جوار بقع الدم المتخثر، أو في ممر من ممرات المستشفى، أو نسيها في حجرة الجراحة.. وربما التصقت بقفاز الطبيب وألقى بهما معا في سلة المهملات. لن يستطيع أن يضع افتراضات أخرى. ماذا يمكنه أن يتوقع خارج هذا المبنى غير فراغ أسود كبير ألقى به إلى هذا المصير البائس.. فراغ سلبه كل شيء وأسلمه إلى الخوف والعجز، كل ما استطاع استرداده اسم بلا ملامح.. رقد منتصبا فوق ناقلة الموتى يردد في ذعر أنه لا يتذكر شيئا."[3]

متلازمة فيل السيرك

حين ينصب الصيادون الكمائن للفيلة ويحملون صغارها إلى السيرك يربطون سيقانها بالسلاسل. يحاول الفيل الصغير أن يحرر نفسه ويكسر قيوده، لكنه يفشل. مع مرور الأيام يعتاد الفيل قيوده وسلاسله. حين يكبر ويزداد حجما وقوة تمكنه من كسر السلاسل لا يفعل، لأنه قد اعتاد الأسر، تماما مثل المسجون الذي تتاح له فرصة الهرب فلا ينهض لها ولا يأخذ بحقها. ما يقيد الفيل والإنسان هي في الواقع قيود العقل والتفكير. شيء ما يشده إلى الخلف، إلى الخنوع. تُعرف هذه الظاهرة الخطيرة بـ "متلازمة فيل السيرك" Circus Elephant Syndrome.

أما ظاهرة استمراء القيد فتُعرف بـ "متلازمة إدمان السجون" Jail Bird Syndrome[4] والتي اختصرها "سليم نقاش" في روايته "رجس"[5] بصراخ البطل: "أريد الزنزانة.. أريد

---

(١) عصابة الوردة الدامية، ص ١٠.

(٢) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١.

(٣) مذكرات رجل الغرفة، ص ١٨.

(٤) نقل متلازمة إدمان السجون إلى السينما "وحيد حامد" في "سوق المتعة"، ٢٠٠٠.

(٥) منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٣.

الزنزانة".[1] كتب "عبد الكريم غلاب" في روايته "سبعة أبـواب":[2] "لم تكـن المـرة الأولى التي عرفت فيها السجن، ولذلك لم أكن لأتهيب السجن كما يتهيـب الأطفـال بـاب المدرسـة لأول مرة، ولم أباغت بالسجن يصدر حكما من فم القـاضي أو رئـيس الـشرطة، كـما يباغـت الخارجون عن القانون حينما لا يتوقعون نتيجة ما يرتبكون، بل إني كنت أسعى إليه عن عمـد وسبق إصرار كما يقول رجال القانون"[3] بعض الناس ربما يـشعرون براحـة في الحـبس، بـل ويصلون لقمة إبداعاتهم فيه! عـام ١٦٤٢ كتـب الـشاعر الإنجليـزي "ريتـشارد لافـلاس" Richard Lovelace من محبسه هـذه الكلـمات: "الحـوائط الحجريـة لا تـصنع سـجنا / ولا القضبان الحديدية تصنع قفصا."[4] كم من رسائل دكتوراه أُنجزت في الـسجون؟! كـم مـن سجون تحولت جدرانها إلى متاحف. كم مـن أنبيـاء وفلاسـفة وحكـماء وشـعراء زُج بهـم فى السجون: نبي الله يوسف عليه السلام وبولس الرسول وسقراط وطرفة ابن العبد وابن تيمية وأبو فراس الحمداني والمعتمد بن عباد وأحمد بن حنبل وسـعيد بـن جبـير وابـن سـينا وسـيد قطب ومصطفى أمين وميلاد حنا وآخـرون. كـم مـن المؤلفـات خرجـت للنـور مـن ظلمـة الزنزانة. كتـب "تومـاس مـالوري" Thomas Malory كتابـه عـن الملـك "آرثـر" King Arthur في السجن. رواية "دونكيشوت" Don Quiote ألفها "سـيرفانتس" Cervantes في السجن والرواية الشهيرة "رحلـة الحـاج" The Pilgrim's Progress خرجـت مـن محـبس "جون بانيان" John Punyan. كتب "فتحي فضل" عن فترة سـجنه: "كـان سـجنا فحولتـه جامعة.. وتعلمت."[5] الخلاصة "إذا حبسك الزمان بقبر فكن فيه كالنحلة."

عالجت "سناء أبو شرار" هذه الفكرة في روايتهـا "لأني أشـتاق إليـك"[6] حيـث نقابـل سجينتين، "جميلة" و"نجوى"، ترفضان مغادرة السجن بعد انتهاء فترة العقوبة. وأيـا كانـت الأسباب التي دفعـتهما لـذلك حيـث أن إحـداهما لقيطـة والأخـرى تواجـه تهديـد بالقتـل،

---

(١) الرجس، ص ٣٢٠.

(٢) دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.

(٣) سبعة أبواب، ص ٩.

(٤) من قصيدة To Althea from Prison.

(٥) الزنزانة، طبعة خاصة، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٥.

(٦) دار الهلال، القاهرة، ٢٠١١.

فالمحصلة أنهما رفضتا فعلا الخروج وتحولتا من سجينتين إلى مقيمتين. ولا غرابة إذن أن نعلم أن الرواية ترتكز على قصة حقيقية حدثت في الأردن. في رواية "زوجة تختلف" لحسن حلبي[1] يرغب البطل في تسليم نفسه للشرطة التي تبحث عنه حتى يضمن معاشا لأولاده: "كما سمعت! أريد أن أسلم نفسي للشرطة حتى يسجنوني! لأنه عندما أُسجن ستقوم الوزارة بدفع مرتب شهري لزوجتي حتى تستطيع أن تنفق عليهم، فأنا لا استطيع هذا الآن!"[2] في رواية "جلال برجس" "مقصلة الحالم"[3] يحوم البطل حول المعتقل الذي أمضى فيه نصف عمره: "ثلاث ساعات من مسير تحولت حياتي عبره إلى مشاهد تتوالى أمام عيني مشهدا مشهدا، لأجدني في نهاية الطريق قبالة معتقل، جاثم على صدر الرمال ببدنه الحجري الأصفر، بأسلاكه الشائكة الصدئة، بأسواره العالية كالصرخات، وبصوت الرياح وهي تحوم حوله كنادبات استمرأن النواح... أغلقت نوافذ السيارة وأرحت بدني على الكرسي مستسلما لإحساس سادي غريب من التلذذ بالوحشة... وصوت الدكتور ويلسون يأتيني محرضا على الرحيل: لا تستسلم لهذا الإحساس. إنه إحساس زائف وخطير. خطورته في أن يسيطر عليك الحنين للمعتقل."[4] وحتى هؤلاء الذين اضطروا إلى ترك السجن فقد فارقوه جسديا فقط، أو على حد قول "زوليخة موساوي الأخضري" في روايتها "الحب في زمن الشظايا": "خرجت أحمل السجن معي بداخلي."[5]

متلازمة الأسد الشبل

"البقاء للأقوى" مبدأ راسخ في عالم الحيوان. حين تنمو الأسود يقوم قائد القطيع بطرد الذكور الأخرى خارج العرين، ويهيمن بمفرده على اللبؤات. يهيم الأشبال على وجوههم والحقد يأكل أكبادهم. ما إن يجدوا عرينا آخر يجرون تقييما لوضع قائده الذكر فإذا كان طاعنا في السن، بمعنى أن قواه بدأت تخور يشرعوا في تحديه ومهاجمته وأخذ مكانه إذا قُدر لهم

(١) أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.
(٢) زوجة تختلف، ص ١٢.
(٣) الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.
(٤) مقصلة الحلم، ص ١٢، ١٣.
(٥) المطبعة السريعة، القنيطرة (المغرب)، ٢٠٠٦، ص ٢٢٦.

الانتصار عليه. تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة الأسد الشبل" Young Lion Syndrome. وإذا أخرجنا قصة منازلة "داوود" عليه السلام لجالوت من سياقها الديني لقلنا أنها تندرج تحت هذه المتلازمة.

نجد أثرا لهذه المتلازمة في السرد الروائي العربي في ملحمة "الحرافيش" لنجيب محفوظ،[1] حيث تكرر في بعض قصصها العشرة منازلة رجل في عنفوانه للفتوة القديم والاستحواذ على مكانه ومكانته.[2] تكرر المشهد في رواية "١٩١٩":[3] "هكذا كان أبوه، شحاتة الجن، حين حمل من القوة يوما ما هيأه ليقف أمام الفتوة الأسبق، خليل بطيخة، انتزع اللقب منه في معركة ضارية صرعه فيها بضربة سكين نفذت بين ضلعيه لتصفي كبده على الأرض، من يومها أُطلق عليه لقب الجن تتويجا وترويعا! وما لبث أن صنع مجده... بعدد المعارك التي خاضها وانتصر فيها على أنداده من فتوات الأحياء المجاورة، دشن سمعته جروح وعاهات وقبور قبل أن تستقر به أرجل عرش الفتوة."[4] كما نجد مشهدا مشابها من الفتونة، لكن بين الصبية في رواية "عبد الله الصخي" "دروب الفقدان":[5] "لا يذكر أي من أتراب نايف الساعدي أن أحدا تغلب عليه في مصارعة أو عراك في طفولته أو صباه. عندما بلغ الثانية عشرة خاض معارك مع أقرانه، وبعد أن تفوق عليهم جميعا بدأ يتحدى الصبية الأكبر سنا منه."[6]

لهذه المتلازمة وجه آخر ربما يعبر عنه المثل القائل "يعض اليد التي تمتد له" أو بيت الشعر الذي يبدأ بـ " أعلمه الرماية كل يوم / فلما اشتد ساعده رماني"،[7] والإشارة هنا رجل يتبناه آخر في حرفة أو عمل وما إن يعرف خبايا وأسرار إدارة هذا المشروع حتى ينقلب على سيده

(١) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.

(٢) في كتابها "الفتوة في السينما المصرية" أحصت "ناهد صلاح" خمسة عشر فيلما، كلها تتناول بشكل متفاوت هذه الفكرة. (دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠١٢).

(٣) أحمد مراد، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٤.

(٤) ١٩١٩، ص ٢٨.

(٥) دار المدى، دمشق، ٢٠١٣.

(٦) دروب الفقدان، ص ١٠.

(٧) من قصيدة للشاعر "أوس بن معن المزني".

أو معلمه. في رواية "ليلة حب" يقدم لنا "محمد عبد الملك"[1] هذه الشخصية بلا مواربة ممثلة في "ذياب الدرهمي": "كل الأشياء الكبيرة والهامة تحدث في الخفاء. صفقات المال.. اللذة.. الخيانة.. الغدر والمؤامرات، اعتدت على المناورة.. أجواء السوق.. هنا نكذب ونقول تجمل.. ذكاء، ومجاملة.. نغدر وكأننا نقول نكته.. المال هو هدفنا."[2] وفي موضع آخر يقول: "تعلمت أشياء كثيرة في السوق... انحن للرأس الذي لا تستطيع قطعه، أزحف على الأرض التي لا تستطيع السير فوقها، لا تكابر. لا تقارع الكبار. وعندما يتصلب عودك أفعل ما تشاء."[3]

يجمل "صبحي فحماوي" هذه المتلازمة بقوله: "كل شيء يا أبو غازي تزرعه فتخلعه، إلا ابن آدم، تزرعه، فيخلعك!"[4]

متلازمة القيوط

القيوط أو "الوعوع" هو ذئب البراري الذي يتواجد بكثرة في أمريكا الشمالية. هذا النوع من الذئاب حين يقع في الفخ الذي غالبا ما يكون عبارة عن حلقة تمسك بإحدى قدميه الأماميتين فإنه يعكف على عض وقضم رجله حتى تنفصل تماما عن جسمه، وبذلك يحرر نفسه من المصيدة، لكن بعاهة مستديمة تؤثر ولا شك على شكل حياته القادمة.

تشير "متلازمة القيوط" Coyote Syndrome إلى الرجل الذي ينكب على احتساء الخمر في البارات ثم يمضي الليلة في أحضان إحدى العاهرات One- Night Stand وحين يستيقظ في الصباح يجد نفسه في الفراش لا يتذكر شيئا عما حدث له بالأمس، وبجانبه امرأة عارية، لكنها ليست جميلة، وما كان يختار النوم معها لو أنه بكامل قواه، وقد لفت ذراعها حوله فيحاول ألا يوقظها ويقوم بسحب ذراعه من عليها بأسنانه. لاحقا تنتابه أعراض المرض نتيجة لهذا الجنس العرضي Casual Sex ويكتشف بعدها أنه أصيب بمرض تناسلي قد يكون الإيدز أو الزهري أو خلافه.

(١) دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٨.
(٢) ليلة حب، ص ٥٩.
(٣) المرجع السابق، ص ٧٤.
(٤) حرمتان ومحرم، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٥٤.

تشير المتلازمة بشكل عام إلى الرجال الذين يريدون النوم مع أي أنثى أو على حد قول "عبد الله حمادي" في روايته "تفنست":[1] "تأملت في عينيه البراقتين ولمحت فيهما علامات الشوق إلى السرير"،[2] كما تشير إلى كل من يلجأ إلى الأشكال الشاذة في ممارسة الجنس فتكون نهايته على يد مرض فتاك التقطه من هذه الممارسات الممجوجة. عكس السرد الروائي العربي هذه الظاهرة. في رواية "أمير تاج السر" "إيبولا ٧٦"[3] نقابل عامل النسيج السوداني الذي ذهب إلى الكونغو سيرا وراء رغباته الجنسية الشهوانية. هناك يدأب على النوم مع عاهرة تُصاب بالإيبولا وتنقله له. يعود إلى جنوب السودان لينقل المرض لزوجته وكل ديرته. وفي رواية "أيوب" لهشام توفيق الركابي[4] يصاب والد "نجلاء" بالجذام نتيجة اتصال محرم مع أوروبية ثم انتقل من "أيوب" إلى "نجلاء" بكيفية مشابهة. يطلق "الركابي" على هذه الظاهرة "لعنة الغرب والأجساد البيضاء".[5]

في رواية "قبر راحيل"[6] يُصاب "آسر" بالإيدز ويلقى حتفه في مستشفى ألمانية: "كان اسم الفتاة تمارا. التقى بها في سيناء... بصق فيها بكل ما أوتي من قوة..."[7] بعد يومين من عودة تمارا إلى تل أبيب سمع عن فتاة إسرائيلية مصابة بالإيدز قُبض عليها في أحد المطاعم بالقاهرة وهي تستخدم خلات الأسنان على المائدة ثم تعيدها مكانها. تبين أنها فعلت ذلك في عشرات المطاعم ومئات الموائد. كاد آسر أن يموت قلقا. لم يذق طعم النوم لأيام حتى شاهد صورة الفتاة منشورة في إحدى الصحف وتيقن أنها ليست تمارا. أنجاه الله إلى البر فما هي إلا أيام حتى عاود الكرة!... في باريس قابل حسيبة الأمازيغية كما عرفت نفسها. هاجرت من المغرب العربي إلى فرنسا متمسحة بذيول المحتل. تمارس الدعارة في الخفاء حتى لا يُقبض

(١) منشورات المكتبة الوطنية، بن عكنون (الجزائر)، ٢٠٠٤.

(٢) تفنست، ص ٣٦.

(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

(٤) مطبعة دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠.

(٥) أيوب، ص ١٦٦.

(٦) محمد عزب، دار العين، القاهرة، ٢٠١٢.

(٧) المقاربة بين البصق وقذف المني موجودة أيضا في رواية "سرير من الوهم" لهزوان الوز الذي كتب فيها: "يبدو منذ زمن طويل لم تجدي رجلا يبصق بين ساقيك." (دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٠).

عليها وتُرحل فالدعارة في فرنسا غير مرخص بها لغير الفرنسيات. كانت حسيبة جميلة. لونتها شمس شمال أفريقيا بلون الخمر، لكنها كانت مبتذلة من اللحظة التي أخرجت فيها زجاجة فودكا من حقيبة يدها ثم أفرغتها مع حبوب منع الحمل في جوفها. خلع عنها ملابسها فشم رائحة العهر بين فخذيها. لم تفق من السكر، لكن لم يمنع ذلك آسر من أن يبصق فيها بكل ما أوتي من عزم... في صبيحة يوم حزين شعر آسر بتعب شديد. شحب وجهه وهزل جسمه بالتدريج. تم نقله لمستشفى كبير وبعد إجراء الفحوصات اللازمة تقرر سفره للعلاج في ألمانيا. تمدد آسر على الفراش وقد تغير وجهه بشكل كبير. أصبح يشبه الفنان الأمريكي روك هدسون في أواخر أيامه."[١]

وفي رواية "النحت في صخور الألماس" لميسرة الهادي نقرأ:[٢] "حتى إيزابيل المريضة بالإيدز، لم تعتقها يا مارك! حين مرض، لم يخبرني، عرفت من صديقتي التي تعمل في المستشفى الذي تتعالج فيه إيزابيل، وبكيت. بكيت نفسي، وعادت لي كل هواجسي... والوغد يأتي فيصفعني ويقول لي إني أنا سبب مرضه بالإيدز بسبب الرجال الذين أنام معهم من وراء ظهره! ابن العاهرة."[٣]

متلازمة الإوزة الأم

لا يوجد دليل قاطع عن علاقة "متلازمة الإوزة الأم" Mother Goose Syndrome بكتاب أغاني الأطفال الذي يحمل نفس الاسم. تُشير المتلازمة إلى الحالة التي تنتاب بعض الأمهات عقب الولادة بالزهد في العملية الجنسية مع زوجها والإنكباب على رعاية الطفل الوليد.

نقابل هذه الشخصية في رواية "قبر راحيل" في شخص "أم آسر" التي نقرأ عنها: "رفضت الأم تزويج القطة وتخلصت منها وآسر في المدرسة. عندما عاد آسر وعلم بالخبر ظل يبكي حتى موعد النوم. كانت تابوهات أمه وطوطمياتها أكثر مغالاة من طائفة المتطهرين

(١) ص ٣٧، ٣٨، ٤٣، ٤٤، ٥٠، ٥١.
(٢) كتاب دبي الثقافي (توزيع مجلة دبي الثقافية)، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، دبي، ٢٠١٥.
(٣) النحت في صخور الألماس، ص ١١٠، ١١١.

Puritans الذين ظهروا في إنجلترا في نهاية القرن السادس عشر وبداية السابع عشر فأغلقوا المسارح واحتقروا ممارسة الجنس. لم تجد متعة في معاشرة زوجها الذي كان يسبها ويصفعها ويصفها بالمرأة الباردة والناشز. فقدت الرغبة في الرجال وزهدت فيهم فطلبت من زوجها أن يبحث له عن امرأة أخرى، وهذا ما فعله تاجر المانجو."[1]

متلازمة دلو السلطعون[2]

يقولون أنه لكي تنطلق للأمام بقوة فإنه يجدر بك أن تأخذ خذ خطوتين للخلف، لكن أحيانا حين تعود للخلف لا تستطيع الانطلاق إلى الأمام. في حياتنا بشكل عام هناك أشياء تشدنا للخلف وتمنعنا من الانطلاق للأمام أو تحقيق ما ننشده. هذه الأشياء متنوعة وتتفاوت من الدين والقيم والعادات والتقاليد لاعتبارات شخصية وظروف خاصة أسرية. لكل إنسان قائمة بهذه الأشياء التي تقيده، بعض من بنودها يشترك فيها مع الآخرين والبعض الآخر يختص به دون غيره.

تُسمى هذه الحالة بـ "متلازمة دلو السلطعون" (الكابوريا) Crab Bucket Syndrome فعندما توضع واحدة منها في دلو تستطيع الهرب، أما في حالة وجود العديد منها فإن الآخرين لا يسمحون للهارب بأن يحقق مبتغاه، بل يشدوه للأسفل ليواجه نفس المصير معهم، فبقدر القوة التي تنطلق بها للأمام هناك قوى مساوية تعود بك للوراء. يُعرف هذا الإحساس بـ "متلازمة الحصان الهزاز" Rocking Horse Syndrome.

من الأمثلة الجيدة على ذلك في واقعنا وقوع شاب مسلم في حب فتاة مسيحية أو العكس، أو وقوع شاب شيعي في حب فتاة سنية أو العكس[3] أو وقوع شاب في حب فتاة

---

(١) قبر راحيل، ص ٤٧.

()2) Albert Shanker, "Where We Stand: The Crab Bucket Syndrome". The New York Times, June 19, 1994.

(٣) راجع رواية "سارة مطر" "أنا سنية وأنت شيعي"، دار مدارك، بيروت، ٢٠١٣، ورواية "طيور الجنوب" لأماني أبو الفضل"، دار الفكر، ناشر إلكتروني، ٢٠٠٥. في رواية "ريم بسيوني" "الحب على الطريقة العربية" تتزوج "صفاء" المصرية من رجل أعمال لبناني شيعي (دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٩).

من أسرة لديها ثأر مع عائلته كما في مسرحية "روميو وجوليت"(١) أو وجود موانع أخرى مثل تاريخ إجرامي أو تفاوت طبقي شاسع(٢)... إلى آخره.

الحب بين القبطي والمسلمة أو العكس قضية مطروقة بشدة في السينما(٣) والرواية المصرية، لكنه مثال جيد وواضح على المتلازمة محل الحديث. نجد هذه العلاقة والحيرة التي تلازمها وعوامل الجذب والشد في رواية "لا أحد ينام في الإسكندرية" للكاتب "إبراهيم عبد المجيد".(٤) من رواية "سيرة الشيخ نور الدين" لأحمد شمس الدين حجاجي(٥) نقرأ: "اسم تريزا وحده يثيره فهو يذكره بالحكاية الشائعة عن جده الكبير الشيخ أبو الحجاج الذي تزوج من فتاة اسمها تريزا القبطية. كثيرا ما كان يعتز أنها جدته وأن في دمه امتزج الدم العربي والمصري القديم امتزاجا لا يعرف التحلل، وتريزا هذه تهز الماضي كله، وتعمق فيه الامتزاج بالأصول الأولى. لم يعرف فتاة في جمالها ولا خلقها، صامتة حتى تُسأل وحين تتكلم تخرج الحكمة من فمها. لم يشعر بين فتيات الجامعة أن هناك فتاة تشده إليها مثلما تفعل تريزا. إنه يعرف أنها تكن له نفس المشاعر.. الود والاحترام.. ويعرف أيضا أن الدين يقف حاجزا كبيرا بينهما فما أُتيح لجده لن يتاح له."(٦)

في رواية "أرحام سماوية" نواجه علاقة أخرى ونواجه السؤال الحتمي عن نهاية هذا الحب: "حاول فادي غير مرة أن يجفف نبع الحب الذي تدفق في قلبه تجاه حسناء، لكنه فشل. كانا جارين وزميلين في المدرسة. صحيح أنه تعين عليهما أن يفترقا في حصص الدين، لكن روحيهما ظلتا متعانقتين... لعبا معا وأكلا معا واستذكرا دروسهما معا. كان من الطبيعي أن تنشأ بينهما هذه العاطفة حتى لو كانا من المجوس أو السيخ أو حتى كفار قريش. الحب لا يستأذن ليدخل القلوب؛ إنه يخترق كل الجدر والحواجز. الحب لا يعرف لغة المنطق ولا

(١) عالج "فيصل ندا" هذه النقطة في سيناريو فيلم "الوفاء العظيم"، ١٩٧٤.
(٢) تناول "حلمي حليم" هذه الفكرة في قصة فيلم "القلب له أحكام"، ١٩٥٦.
(٣) بعض الأمثلة على ذلك "الشيخ حسن"، ١٩٥٢ و"لقاء هناك"، ١٩٧٦ و"حسن ومرقص"، ٢٠٠٨.
(٤) دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٦.
(٥) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.
(٦) سيرة الشيخ نور الدين، ص ٢٢.

يستمع لصوت العقل. ليس للحب مقدمات؛ ليس للحب دين، لكن له إله هو من أوجده؛ هو من أودعه الحشايا والأفئدة. لكن ما نهاية هذا الحب؟!"[١]

في رواية "إحسان عبد القدوس" "حائر بين الحلال والحرام"[٢] يصدمنا نفس السؤال: "إنها تحبه.. ولكن إلى أين؟ إلى أين هذا الحب؟!... إنه قبطي وهي مسلمة. ومضت بها الأيام في عذاب، وذبلت عيناها تحت ثقل دموعها وذوى عودها حتى كأنه جف... وكان يجب أن تبحث عن حل.. عن نهاية يستقر عندها حبها. وبدأ تفكيرها يتخذ خطوات عملية.. إنه يستطيع أن يشهر إسلامه.. ويستطيع بعد ذلك أن يتزوجها... واستراحت إلى هذا التفكير، وقررت أن تدفعه إليه...:

- لقد فكرت طويلا.. يجب أن ننتهي إلى حل...
- هل تُشهر إسلامك؟!...
- هل لو طلبت منك أن تخرجين من دينك. تخرجين؟...
- نعم.

ثم سكتت ولم تعلق بشيء، وكأنها أحست بخطورة ما وافقت عليه.. أحست أن شيئا كبيرا مجهولا قد تخلى عنها، وتركها معلقة بين السماء والأرض، وسلط عليها هواء رطبا يملأ صدرها ويعصف في عروقها:...

- لنترك الله يختار بيننا فهو صاحب دينك وديني.
- وكيف يختار الله؟!
- لنجرب الحظ فهو أبسط مظاهر حكم القدر.

وأخرج من جيبه قطعة نقود فضة، وقدمها إليها قائلا:

- اختاري لك وجها.

(١) أرحام سماوية، ص ٢٣.
(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

ابتسمت أو حاولت أن تبتسم، واختارت أحد وجهي قطعة النقود، واختار هو الوجه الآخر، ثم وضع النقود في يدها قائلا:

- اقذفي بها في الهواء، والوجه الذي يسقط إلى أعلى يغير صاحبه دينه!

وحاولت مرة أخرى أن تبتسم، لكنها لم تستطع، وعندما قذفت بقطعة النقود في الهواء أحست أنها تقذف قلبها، وانحنت تنظر إلى الأرض وقد جحظت عيناها وكتمت أنفاسها، ثم شهقت شهقة خافتة ورفعت رأسها وقد تصلب وجهها وتاهت نظراتها. أصبح عليها أن تغير دينها وتعتنق المسيحية. وارتبك هو بجانبها، ولم يدر ماذا يقول؟! ثم افتعل ضحكة جافة قائلا:

- هل صدقت؟! لقد كنت أهذر. إنها نكتة أردت أن أسليك بها. لا تأخذيها على محمل الجد. إن الإنسان لا يقامر بدينه، وهذا نوع من المقامرة."[١]

متلازمة السنجاب

من الثابت علميا أن عيني السنجاب تنجذب لكل ما يلمع. تشير متلازمة السنجاب Squirrel Syndrome أو "متلازمة الأشياء اللامعة" Shiny Objects Syndrome إلى الأشخاص الذين تستهويهم الأشياء اللامعة البراقة. هؤلاء الأشخاص ما إن يرون هاتفا خلويا جديدا أو سيارة حديثة أو منزل حسن التشييد إلا وأرادوا امتلاكه. بطفولية عجيبة تخطف أبصارهم الإعلانات فينجرون وراءها. هم دائما في بحث عن المزيد. يقودون بسيارة متواضعة، لكن أحلامهم لا تتوقف حتى يحصلوا على أفخم السيارات فيما يُعرف بـ "متلازمة الفيراري الحمراء" Red Ferrari Syndrome، لكن ربما "الفيراري" أيضا لا تُسكن جوعهم للمزيد فيتطلعون للطائرات الخاصة وهكذا دواليك.

في حالات كثيرة يقع هؤلاء الأشخاص ضحايا فليس كل ما يلمع ذهبا، وفرق كبير بين الزجاج والكريستال. مثلا قد يعجب أحدهم بمعطف على إحدى صفحات التسوق على الشبكة الدولية للمعلومات فيرسل في شراءه، لكن حين يصله يجده مخالفا للصورة، أو ربما

(١) حائر بين الحلال والحرام، ص ١٠، ١١، ١٢، ١٣.

زهـد فيـه وتطلـع إلى موديـل آخـر. غالبيـة هـؤلاء الأشـخاص مـصابين بحمـى الـشراء Shopaholic أو .Fashion Bugs تُعرف هذه الظاهرة أيضا بـ "متلازمة إيميلدا ماركوس" Imelda Marcos Syndrome والتي كانت مهووسة بشراء الأحذية. أحيانا يتخطى الـنمط الاستهلاكي حدود إمكانيات بعض من المصابين بهذه المتلازمة فيقترضون ليحصلوا على هذه الأشياء، لكنهم ينفقون الأموال غير عابئين بالديون الغارقين فيها أو مدى احتياجـاتهم لكـل ما يبتاعون.

نقرأ من رواية "ملامح" لزينب حفني عـلى لـسان البطلـة "ثريـا"، الناقمـة عـلى حالهـا والمتطلعة إلى وضع مختلف: "معظم زميلاتي في المدرسة، كـن في مـستواي الاجتماعـي نفـسه، والقلائل منهن تجاوزنه، كنت أتمنى لو كان عندي رفيقة ثرية، مثل اللواتي ألمحهـن ونحـن في طريقنا... كنت ألمح السيارات الفاخرة التي كانت توصـلهن إلى المدرسـة، يقودهـا سـائقون سود من الأفارقة. جاءتني الفرصة مصادفة، حين قالت لي واحدة من رفيقـاتي، إن لهـا قريبـة ثرية، ستقيم حفلة كبيرة لمناسبة عيد ميلادها، سألتني هل أرغب في مرافقتها، صرخت فرحـة غير مصدقة... حين دخلت بيت نور، صاحبة الحفل، هالتني مظاهر الترف، كل ما رأيته كان ينطق بالثراء، لم أر في حياتي هذا القدر من الفخامة، التحف الثمينـة التـي تُـزين الطـاولات، اللوحات المعلقة بالجدران، السجاجيد الأعجمية الفاخرة تتوسط الممـرات والأروقـة، قاعـة الضيوف المفروشة بأثاث فاخر... اتجهت ناحيتي رفيقتي وبصحبتها نور، عرفتني بها، كانـت تعادلنا عمرا تقريبا، لكن مظهرها الثري جعل إطلالتها مميزة، ثوبها الـوردي الأنيـق، عقـدها الألماسي الرقيق الذي تزين به جيدها، حذاءها المتقن الصنع. وجدت نفسي تلقائيـا، أدقـق في مظهري بالمرآة المعلقة في المدخل الرئيسي، وددت لو أبصق على هيئتي."(١)

متلازمة الضفدع المُلقى في الماء المغلي

حقيقة علمية ثابتة بالتجربة من القرن التاسع عشر الميلادي تقضي بأنه إذا ألقيت بضفدع في الماء المغلي فسوف ينتفض ويقفز من فوره خارج الإناء. إذا وضعت ضفدعا في ماء معتـدل الحرارة فسوف يشعر بالراحة، فإن قمت بتسخين الماء تـدريجيا وبـبطء شـديد فإنـه لـن يثـب

---

(١) ملامح، ص ٢٣، ٢٤، ٢٥.

خارج الإناء. ومع وصل الماء إلى درجة الغليان سيموت الضفدع سلقا. وحقيقة ما قتل الضفدع ليس الماء المغلي، بل غفلته عن إدراك ما يحدث حوله في بيئته ومحيطه، وعدم أخذه قرارا بالقفز خارج الإناء في الوقت المناسب.

العبرة وقياسا على البشر نقول أن بعض الناس يفتقرون للقدرة على ملاحظة السلبيات التي تتراكم رويدا حتى تحول حياتهم إلى جحيم.التغيير التدريجي لم يُشعر الضفدع بالخطورة. ويستعمل المصطلح لتفسير ردود أفعال الناس على التغيرات الهامة التي تحدث لهم أو لمن حولهم حيث تستخدم كمثل لعدم قدرة الناس على التعامل مع التغيرات السلبية التي تحدث ببطء وبشكل غير ملحوظ، أو ينتبهون لها بعد فوات الأوان، وكان أجدر بهم أن يبقوا يقظين لما يحدث حولهم من تغييرات وعلى علم بما يدور من وراء ظهورهم، وأن يتخذوا القرار الحاسم في الوقت الصحيح.

على سبيل المثال إذا كان هناك من يستغلك معنويا وعاطفيا وماديا،وأنت تسمح بذلك ولا توقفهم عند حدهم فسوف يأتي اليوم الذي ينالك منهم أبلغ الضرر. عليك أن تقرر في الوقت الملائم. مثال آخر تمثله المرأة التي يهينها زوجها ويسرف في سبها وضربها، لكنها لا تطلب الطلاق حتى يرمي بها الزوج المتجبر في الشارع بعد فوات الأوان.

وعملا على المثال الأخير نقابل "أحلام" في رواية "محمد نصار"[(١)] التي حمل عنوانها اسم البطلة، امرأة متزوجة من شخص أخرق يعاملها كالبهيمة، ثم أنه يرتكب ما يوجب سجنه. ونظرا لطبيعتها الأنثوية الهشة فقد أثر غياب زوجها عليها بشكل كبير فتولد لديها خواء عاطفي وفراغ، وتحركت غرائزها الأنثوية دون أن تجد من يهدأ جائحة جسدها، والذي هو مطلب طبيعي وفطري وغريزي ومشروع على أي حال.[(٢)] ساءت حالتها النفسية فقررت فجأة أن تقفز من الإناء قبل أن ينفرط عقد عمرها وانبرت في إجراءات طلب الطلاق.

---

(١) دار البشير للطباعة والنشر، غزة، ١٩٩٩.

(٢) المرأة التي تبحث عن رجل يطفئ جذوتها ويُشعرها بوجودها كأنثى هي مصابة بأعراض "متلازمة الجنس في المدينة" Sex in the City Syndrome، والتسمية مشتقة من المسلسل الأمريكي الشهير.

الفصل الثالث

هوس ومتلازمات مستوحاة من أعضاء جسم الإنسان // الأطعمة // الثمار والزهور والنباتات والأشجار

متلازمة الشخص كثير الترحال (رجله بتاكله) – متلازمة وضع القدم في الفم – متلازمة عيون بائع الحليب – الهوس بأقدام النساء – متلازمة اختفاء المرأة البيضاء – متلازمة النعجة السوداء – الولع باللون الأسود – متلازمة البوفيه الصيني – متلازمة علبة السردين – متلازمة بسكويت أوريو / متلازمة ثمرة جوز الهند / متلازمة الموز – متلازمة الثمرة المحرمة – متلازمة زهرة الخشخاش اليافعة – الهوس بالأشجار



متلازمة الشخص كثير الترحال (رجله بتاكله)

"في المطارات نولد وإلى المطارات نعود."[1]

(١) عالية ممدوح، المحبوبات، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٧.

"السفر يعانقني يرفعني إلى فضاءات بعيدة أرى نفسي معها أتوحد فيها."(١)

تشير "متلازمة الشخص كثير الترحال" Itchy Feet Syndrome (٢) إلى الأشخاص المغرمين بالسفر على نسق "سندباد" أو الذين كُتب عليهم السفر على منوال "أوديسيوس" أو "الهولندي الطائر" Flying Dutchman أو اليهودي السائح في الأرض "أخشورش" Ahasuerus، كما تشير أيضا إلى الرحل من البدو والغجر الذين تعتمد حياتهم على التنقل وراء الكلأ ولقمة العيش. "الأسفار أقدار القدماء والمحدثين"، كما كتبت "رجاء نعمة".(٣) في رواية "نابروجادا" لسلمى أنور(٤) نقرأ: "وكان أبي يحب السفر. ويجد فيه مشقة لذيذة. وكان يحكي لي مأخوذ الأنفاس كطفل في محل اللعب عن انبهاره بالطائرة، ذلك الجسم المعدني الضخم المحلق الذي ينهب السماء نهبا من نقطة إلى نقطة."(٥) في روايته "مائتا كيلو متر جنوبا" يُسمي "محمد ثابت توفيق"(٦) هذا الإحساس أو الرغبة بشهوة السفر. في رواية ""مراتيج" لعروسية النالوتي(٧) نقابل "رجب البحار"، مغامر وسندباد معاصر لا يستقر على اليابسة.

في روايته "دليل التائه" يقدم لنا "محمد غزلان"(٨) نمط "التغريبة" مستحضرا ربما "تغريبة بني هلال". تعرج الرواية على الصعايدة الذين يضربون في الأرض ابتغاء للرزق حاملين الخبز المقدد والجبن القديم والخلجات والهلاهيل في رحلتهم نحو الشمال، والشمال هنا نسبي، وهو غير شمال "الطيب صالح"، بل شمال لا يتجاوز المتوسط ولا يعبره. على أي حال، اعتاد هؤلاء الصعايدة السير على فلنكات السكة الحديد، ومنها يستدلون على المسافة التي يقطعونها. يؤانس طريقهم طيف سيدي "العدوي" فقد خبر الشيخ الترحال مثلهم قبل

(١) مفيد نحلة، أبعد من ذاكرة المدينة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠، ص ٣٨.
(٢) تُعرف أيضا بـ Dromomania.
(٣) مذكرات امرأة شيعية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٣.
(٤) دار دون، القاهرة، ٢٠١٥.
(٥) نابروجادا، ص ٢٠.
(٦) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠.
(٧) دار الجنوب، تونس، ١٩٨٥.
(٨) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤.

أن يعود للاستقرار في مصر العليا. والآن يرحل المصريون نحو الخليج حيث النفط كما في رواية "التساهيل في نزع الهلاهيل" للكاتب "زين عبد الهادي".(١)

وفي رواية "قد يأتي الخريف ربيعا" نقرأ لعائدة الخالدي:(٢) "لم تعد تحصى المرات التي طرت فيها على متن مختلف الخطوط. جواز سفر.. بطاقة سفر، وحقيبة.. أنا دائما أحزم حقيبتي وأسافر.. سياحة.. عمل.. أمور طارئة.. كم مرة وطئت قدماي أرض مطار جديد، وكم مرة عبرت الحدود، وكم مرة التقيت بحرس الحدود بنبرات وسحنات ولغات مختلفة باختلاف البلاد؟! ما أسرع أن يمتلأ جواز سفري بالأختام فاضطر إلى تبديله قبل انتهاء مدته.. لم تعد تحصى فعلا تلك المرات."(٣) أما "بدرية البدري" فقد كتبت في روايتها "ما بعد الفقد"(٤) عن استمراء السفر بالطائرة: "يبدو لي أنك لم تسافر من قبل لذلك تشعر بالمسافة الطويلة، أما أنا فتبدو الطائرة لي وكأنها سيارة من كثرة ما صعدتها وجلت في البلدان."(٥)

متلازمة وضع القدم في الفم

في بداية تولي السياسيين أو أعضاء البرلمان أو خلافه مناصبهم ومباشرتهم أعمالهم يعدون الناس بأحلام كبيرة يتحطم معظمها على صخور الواقع. من أمثلة ذلك الرئيس "باراك أوباما". كان الناس في الشرق والغرب مهووسون به لدرجة أن هذه الحالة دخلت اللغة الإنجليزية ممثلة في اللفظة "الهوس بأوباما" Obamania. مع مرور الشهور والسنين وضع "أوباما" قدمه في فمه، ربما ندما على ما تفوه به. تُسمى هذه الظاهرة بمتلازمة "وضع القدم في الفم" Foot – in – Mouth Syndrome.

في رواية "عبد الرحمن منيف" "النهايات"(٦) نقابل نموذجا للوعود البراقة المعسولة التي لا تتخطى الورق الذي كتبت عليه ولا تقفز منه إلى حيز التنفيذ. توجه الرواية نقدا

(١) دار الشمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨.
(٢) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.
(٣) قد يأتي الخريف ربيعا، ص ٩، ١٠.
(٤) بيت الغشام للنشر والترجمة، مسقط، ٢٠١٤.
(٥) ما بعد الفقد، ص ٢٠.
(٦) دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٦.

موجعا للسلطة المركزية في الحضر لعدم الوفاء بوعودها الخاصة ببناء سد في القرية التي تعـاني من الجفاف وتوابعه. أما رواية "أحمد العابدي" "أن تكون عباس العبد"[(١)] فـتلامس حـدود المشروع الرسمي الفاشل الـذي لا يـبرح مكانـه ولا يحقـق مبتغـاه ولا يحقـق وعـود الرخـاء والوفرة للشعب.

متلازمة عيون بائع الحليب

حين يلاحظ أب أن جنينه لا يُشبهه،[(٢)] أو حين يتـوهم شـخص أقـام علاقـة مـع امـرأة متزوجة أن طفلها هو ابنه فتُسمى الظـاهرة بمتلازمـة "عيـون بـائع الحليـب" Milkman's Eyes Syndrome. الإشارة هنـا إلى المجتمعـات التـي يوصـل فيهـا أشـخاص الحليـب إلى المنازل. نشرت "الديلي ميل" Daily Mill البريطانية أن مليون ومائتين ألف رجل في المملكة المتحدة يشكون في نسب أطفالهم إليهم.[(٣)] وعلى ذكر الإنجليز كـان الملـك "هنـري الثـامن" مصابا بهذه المتلازمة.

كتب "محمد عزام" في روايته "أزميرالـدا":[(٤)] "هـل مازالـت تـصطاد الرجـال وتتمتـع معهم.. أم خمدت عواطف حبها الجنسي بعد تواتر ولادتها؟ ابتسامته الـساخرة تمـلأ وجهـه.. أولادها على كل نوع وشكل.. لا أحد يشبه الآخر.. يحملون ملامح أمهم اللعـوب، زوجهـا التائه الغائب عن عواطفها.. لا يشبهه أحد من أولاده.. الكل نتاج حب الـشارع المتلـئ بـما تهوى لإشباع رغبتها."[(٥)] ومن رواية "ريـح الأيـام العاتيـة" لنـور الـدين العلـوي[(٦)] نقـرأ: "فهمت متأخرا جدا أن أبي شك في نسبي إليه وأن إخوتي لا يرغبون في وجـودي وأن مجيئـي أزعج الجميـع."[(٧)] ونمـر أيـضا عـلى هـذه الكلـمات مـن روايـة "سـيرة الانتهـاك" لأيمـن

---

(١) ميريت، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٢) عالجت السينما المصرية هذه المتلازمة في "الجلسة سرية"، ١٩٨٦، و"الشيطان يقدم حلا"، ١٩٩١.

(3) http://www.dailymail.co.uk/news/article-2566272/The-1-2million-dads-doubt-child-theirs-One-six-men-North-East-uncertain-babys-paternity.html

(٤) دار ليليت للنشر، الإسكندرية، ٢٠١٦.

(٥) أزميرالدا، ص ٤٥.

(٦) مومنت للكتب الرقمية، لندن، ٢٠١٣.

(٧) ريح الأيام العادية، ص ١٢.

مارديني:[١] "التحاليل الطبية أثبتت، وبكل يقين أنه غير صالح للإنجاب، ولم يكن يوما، ولن يكون أبد العمر. يعلم أنه قد طُعن في رجولته... ولكنه يرفض أن يكون الزوج المخدوع، أو الشيطان الأخرس. ربما يقبل بتبني ولد فقد أبويه، ولكنه يرفض خداع زوجة."[٢]

في رواية "حكاية حب" لغازي القصيبي[٣] أحب "يعقوب العريان" "روضة" المتزوجة وواقعها. في مرحلة لاحقة شعر أن "زينب"، ابنة روضة، هي ابنته. في "الطوق والأسورة" ليحيي الطاهر عبد الله،[٤] تذهب "فهيمة" للمعبد لتنال الخلفة، فكاد زوجها الحداد أن يفقد عقله لعلمه أنه عاجز لا ينجب. وفي رواية "عائشة" للبشير بن سلامة يتيقن "الطاهر" بأن "الناصر" ليس ابنه وأن زوجته "زبيدة" حملت به من "عادل" في غيابه. وفي رواية "استقالة ملك الموت" يقنع "رزق" نفسه بأن البنات الثلاثة له في محاولة لإثبات رجولته أو إنقاذها، ولكن هذا لا يجيب عن السؤال: هل أنجبتهم زوجته "صفية" من "يحيي" كما دست الكاتبة "صفاء النجار"؟[٥]

في رواية "جنة مجنون" لأسامة أنور عكاشة[٦] نقرأ: "الفحوص الطبية أثبتت أن درويش كان من ذوي خصوبة المرة الواحدة. فبعد أن أنجب عاطف أصيب بمرض ما قضى على خصوبته نهائيا وحرمه من أن يكون أبا لأبناء آخرين مما دفعه للسقوط في لجة شكوك سوداوية طالت الأم وقضت على حياتها نهائيا وحتى عاد إليه ابنه بعد وفاة الجدة لم تكن شكوكه في انتسابه إليه قد تبددت وفور وصوله سحبه إلى الأطباء والمعامل والتحليلات التي أقنعته أخيرا بأن عاطف ابنه المنحدر من صلبه."[٧]

---

(١) منشورات انتهاكات الرقمية، ٢٠١٦.
(٢) سيرة الانتهاك، ص ١٤.
(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١.
(٤) (الأعمال الكاملة)، دار المستقبل العربي، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٥) دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٥.
(٦) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٧.
(٧) جنة مجنون، ص ٢٢-٢٣.

في رواية "أمس انتهينا" يشك "مصطفى" في أن النطفة التي علقت برحم "نهيلة" هي له: "بعد فترة وجيزة من عودتنا أخبرتني نهيلة أنها حامل فكدت أفقد صوابي من الفرحة. طلبت منها أن تريح نفسها قليلا من الوقوف في المحل وأن تهتم بصحتها فوعدتني بذلك. بعد ساعة واحدة من تلقي الخبر، لعبت الظنون بعقلي. عدت للشك من جديد في واقعة الاستراحة. أقسمت نهيلة من قبل أنها أخبرتني الحقيقة... كل الحقيقة. زاد شرودي. قررت أن أقطع الشك باليقين فاصطحبت نهيلة في بداية الشهر الرابع إلى أحد المعامل لنأخذ منها بعض العينات بحجة الاطمئنان على صحتها. فعلا تم كل شيء دون أن أثير ريبتها حفاظا على مشاعرها وعلاقتنا. شاء الله أن يُجهض الحلم قبل أن يبدأ؛ فسقط هذا التكوين، سمه ما شئت. وقعت عيناي على نتيجة تحليل الشريط الوراثي أو إثبات البنوة. كنت قد وضعت الورقة في درج المكتب وانشغلت بصحة نهيلة؛ أو قل أني توجست من فتحها. أمسكت بالورقة وأنا أرتعش من الخوف. ماذا لو أن الجنين لم يكن لي؟ فتحت جزءا من التقرير، لكن قبل أن أقرأ منه أي كلمة عدت فأغلقته ومزقته إربا. جلست أمام الخطاب وقد تحول إلى قصاصات من الورق. أمسكت بها محاولا تجميعا؛ ثم عدت فلممتها وناولتها لعامل النظافة ليلقي بها بعيدا."(١)

أحيانا يكون الزوج مغيبا وغير واع بهذه المسألة فيتولى آخر لفت نظره أو لنقل تشكيكه في نسب ابنه أو بنته بدافع من الحب له أو ربما رغبة منه في تدميره. نقابل هذا الشخص في رواية "صعلوك المدينة" لسمير الحاج شاهين:(٢) "أصادف امرأة تحكي لي مأساة طلاقها من رجل عقيم، نتفق على الزواج بعد أن أعاشرها وتحمل مني. وإذ تبشرني بأنها حبلى أعدها أننا سنعقد قراننا في الغد، وأمضي لإعداد الترتيبات اللازمة. لكن فحلا يستوقفني وسط الغابة ليسألني: هل بلغت بك السذاجة حد الاعتقاد أنك والد الجنين. إن هذه السيدة عاهرة وملعونة، وهي تضاجع الكثير من الشباب. لقد أخصبها غيرك."(٣)

---

(١) أمس انتهينا، ١١٦، ١١٧.

(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

(٣) صعلوك المد، ص ٦.

الهوس بأقدام النساء

الفيتيشية" Fetishismالجنسية هي العنوان العريض الذي يندرج تحته عشرات الظواهر الشاذة الغريبة. خذ مثلا الهوس بأحذية النساء[١] أو الهوس بـالملابس الداخليـة النـسائية. في رواية "غريب عسقلاني" "زمن دحموس الأغبر":[٢] "تُفاجأ زوجته الثانية الدلال بذوقه عند اختيار الملابس الداخلية وفجره وفحشه وعدم احتـشامه وهـو يحـاور البـائع بـشأنها."[٣] في رواية "قبر راحيل" نقرأ: "فتح آسر دولاب ملابـسه وأخـرج طائفـة مـن الألبـسة الداخليـة للنساء اللاتي نام معهن. وضع القطع على الفراش وراح يـشكل أعـلام الـدول: الأزرق مـع الأبيض، الأزرق والأبيض والأحمر ثـم الأخـضر والأبـيض والأحمـر ثـم الأحمـر والأبـيض والأسود... اكتشف آسر أن الفتاة الوحيدة التي لا يحتفظ بملابس داخلية لها هي أشـجان. لم ينس هذه الفتاة مطلقا. أحب كل خلية فيها وكل نسيج من أنسجة جسمها وكل جـزيء مـن لعابها وكل نفس يخـرج مـن صـدرها وكـل حليمـة في لـسانها؛ أحـب شرايينهـا وعـضلاتها وأوتارها وأوردتها وكل عظمة من عظامها؛ أحبها كلها."[٤]

وارتباطا بالملابس الداخلية هناك أيضا تَعَشُّق اشتمام رائحة الملابس الداخلية للمرأة بعد لبسها، بمعنى أن تكون متسخة Mysophilia. في رواية "مريم الحكايا" لعلوية صـبح نجـد هذا الشخص: "لم أكن أفهم لماذا كان عباس يحب أن يشم كالقطط، إلى أن حكى لي مرة أنه لا يحب رائحة الكيلوت النظيف الذي تفوح منه رائحة الصابون. رائحـة المـواد العـضوية هـي التي تثيره، وليس رائحة الكاميه أو أي صابون آخر. يستسيغ رائحة تلك المادة."[٥]

ومن مظاهر "الفيتيشية" أيضا الهوس بأقدام النساء Podophiliaوالتي تصيب الرجـال Obsessed with Women's Feet كمـن هـو مهـووس بجـواربهن أو رائحـتهن أو أحذيتهن...الخ. نقرأ مـن روايـة "إيثاكـا" لـرؤوف مـسعد: "ذات أمـسية موجـودة عنـدي

(١) عالج "فاروق صبري" هذا الهوس في سيناريو فيلم "مطاردة غرامية"، ١٩٦٨.

(٢) إتحاد الكتاب الفلسطينيين و UNDP، 2001.

(٣) زمن دحموس الأغبر، ص ٢٧.

(٤) قبر راحيل، ص ٤١، ٤٢.

(٥) مريم الحكايا، ص ٦٨.

جلست إلى الطاولة تتحدث بالتلفون. تسللت واجف القلب ركعت أسفل الطاولة ومددت يدي لخلع من قدميها حذائها. هي في حوار مع شخص تريد منه خدمة محددة، حاولت سحب قدمها بحركة لا إرادية، تمسكت بها، ولم تستطع قطع حوارها. تركتني أفعل ما أريد.. قبلت قدمها. تحاول الاستمرار في المحادثة التليفونية بدت الآن أكثر وثوقا في نبرة صوتها. تضحك ونتضاحك مغناجة مهذارة. تجلس مرتاحة ألقت بثقل قدميها عليّ وتمددت بساقيها مفرجة ما بينهما. أخذت أنا في التوله بهما. صعدت بوجهي إلى ربلة ساقها أتمرغ فيها."[١]

يصل هذا الهوس قمته حين نعلم أن من الرجال من يلعق الأصابع والأقدام أثناء المعاشرة. الأصابع الجميلة موجودة في رواية "قبر راحيل": "سببت له صداعا مزعجا وانتصابا مزمنا. قبل يومين فقط من انتهاء الدورة تصادف وجوده معها بمفردهما في مصعد فندق الهيلتون حيث أُقيمت حفلة التخرج. تصبب عرقا وهو يثبت نظره على إبطها البض وسمانة رجلها البيضاء المبطرخة التي تشبه بطن طائر البطريق. سأل نفسه: لماذا ركب الله فينا شهوة النساء وفتنة الجمال؟! لماذا لم يخلق الله النساء كلهن رواء؟! لماذا يفوز شخص بفتاة مثل رواء ويتزوج آخر من فتاة دميمة؟! لماذا تحظى بعض الصبايا بوجه شهي مثل وجه رواء لا يمل الناس من النظر إليه وتشب أخريات ليجدن على أكتافهن ورقابهن وجوها تقطع الخميرة من البيت؟! نظر آسر إلى أصابع قدميها النظيفة المتناسقة ثم رفع عيناه ليمسح ما تبقى من مفاتنها. تمنى في هذه اللحظة لو امتلك نظارة تُظهر الناس عراة كما ولدتهم أمهاتهم."[٢]

في رواية "أصل الهوى" لحُزامة حبايب[٣] نقرأ: "على أن شيئا واحدا فيها أثاره: أصابع قدميها؛ فقد كانت جميلة على نحو لا تدل على هيئتها. من أين لها بها؟ كانت دقيقة ومنمنمة، كأصابع طفلة لم تتجلد ولم تتحرشف بعد. ولعلها كانت واعية إزاء هذه الصفة الجمالية اليتيمة فيها، إذ انتعلت صندلا مفتوحا، تنفست من فتحته العريضة أصابعها براحة، كما شذبت أظافرها وطلتها بلون خمري ذي نسيج مخملي. لفت انتباهه أيضا أن قدميها... كانتا، في صفائها، قريبتين إلى أقدام تلك الدمي التي تقف مائلة أو تلك التي تكون مستلقية على

(١) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧، ١٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨.

(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

أرضية واجهة العـرض... دون أن يغفـل أصـحابها عـن أن يطلـوا أظافرهـا بلـون الفوشـيا الفاقع."[١]

نعود ونجد الأقدام الجميلة والأصابع المتناسقة في روايـة "أهـداف سـويف" "خارطـة الحب":[٢] "أصابع قدميها فرعونية، هكذا قال إرفنج عندما كان لا يزال يتحدث عن قدميها – أو عنها. أصابع قدم طويلة مستقيمة متساوية الطـول، وكأنهـا لواحـدة مـن تلـك الـصور الجانبية في نقوشهم ورسومهم الجداريـة. إلا أن أصـابعها بيـضاء وأصـابعهم سـمراء. تفـرد أصابع قدميها وهي تركز بصرها على الأظافر النظيفـة المقـصوصة بـالعرض مدهونـة بطبقـة واحدة من الطلاء في لون اللؤلؤ. الطلاء سليم لم يخدش بعد، يمكن أن تحتفظ به يومين أو ربما ثلاثة، ثم إن الوقت شتاء فمن يرى أصابع قدميها؟"[٣]

يصل الهوس بأصابع القدمين منتهاه مع تشوق بعض الرجال إلى لعقها. وهذا مـا نجـده في رواية "عبد الله زريقة" "مقبرة السعادة":[٤] "لم أصـدق أن يكـون جـسدها بهـذا الجـمال. انحنيت وأخذت أمرغ شفتي على ساقيها، وألحس أصابع قدميها."[٥] أما الكعب أو العقـب المورد فنجده في رواية "أمين يوسف غراب" "شباب امرأة":[٦] "ونظر إلى ساقيها العـاريتين الجميلتين، وعقبيها الحمراوين اللتين خرجت بهما من الحمام يكاد دم الشباب والـصحة يقطـر منهما، ويسيل على القبقاب، المطعم بالصدف الذين يزين قدميها ويزيـدهما فتنـة، كلـما نقلـت قدما وهي تسير، ورنت تلـك الموسـيقى التـي تنبعـث مـن بلابلـه الـستة التـي صـفت عـلى جانبيه."[٧] كما نجده في رواية "محمد عبد الحكم حـسن" "بـستان أبي الهـوى":[٨] "كعـوب متوهجة كأنصاف أقمار تسكن نعالا مهترئة."[٩] أمـا "محمـد سـاري" فقـد أبـدى في روايتـه

---

(١) أصل الهوى، ص ١٧.

(٢) ترجمة: فاطمة موسى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.

(٣) خارطة الحب، ص ٤٠.

(٤) نشر الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٨.

(٥) مقبرة السعادة، ص ٣٢.

(٦) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٧) شباب امرأة، ص ١٨٨ – ١٨٩.

(٨) أجيال لخدمات التسويق والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٩) بستان أبي الهوى، ص ٦٢.

"الغيث"[1] هوسا بصوت الكعبين بقوله: "ويمكث على تلك الصورة يتابع حركات ساقيها وتمايل جسدها. وترن فرقعات الكعبين في أذنيه."[2]

متلازمة اختفاء المرأة البيضاء

حين تختفي امرأة أو فتاة أو طفلة بيضاء في الولايات المتحدة يحظى هذا الخبر بتغطية إعلامية ضخمة مقارنة بحوادث الاختفاء التي تحدث للسود أو "الهسبانك" أو الآسيويين أو الأمريكيين من أي أصول أخرى. تشير "متلازمة اختفاء المرأة البيضاء" Missing White Woman Syndrome في الولايات المتحدة خاصة وفي العالم بشكل أرحب إلى التحيز الإعلامي سواء للجنس أو للدين أو المذهب أو الطائفة. التحيز الإعلامي موجود بأشكال مختلفة: البيض ضد السود والإسرائيليين ضد العرب والرجل ضد المرأة وسكان العواصم ضد القرويين... إلى آخره. وبشكل أعم تتناول المتلازمة فكرة اللاحيادية وسيطرة رأس المال ورجال الأعمال على "الميديا".

في رواية "الرولة" ليوسف الحاج[3] نقابل نموذجا صارخا ومؤلما للتحيز حين يرفض أهل القرية دفن مدرس وافد في مدافنهم، والتحيز هنا للوطنيين من سكان الخليج ضد الوافدين المقيمين في بلادهم، والذين يعملون في كافة مناحي الحياة ويساهمون في دفع عجلة التنمية هناك مقابل مرتبات مجزية ومميزات لا تخطئها العين.

أما سيطرة "البزنس" على الإعلام والقنوات الفضائية فنجده في رواية "دستينو" لأحمد القرملاوي.[4]

متلازمة النعجة السوداء

تُشير "متلازمة النعجة السوداء" Black Sheep Syndrome إلى شعور الفرد بالاضطهاد في الأسرة وبأنه كبش الفداء Scapegoat. تُصيب هذه المتلازمة الأطفال. الطفل

(١) منشورات البرزخ، الجزائر، ٢٠٠٧.
(٢) الغيث، ص ١٩٢.
(٣) دار سؤال، بيروت، ٢٠١٥.
(٤) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.

الأوسط مثلا قد يشعر بالإهمال، فلا هو يحظى بأفضلية البكر ولا بتدليل الصغير، ومن ثم يخضع لهذا الشعور.[1]

في رواية "ليلى الأطرش" "ليلتان وامرأة واحدة"[2] تصف "آمال الأشهب" نفسها بأنها "الشاة السوداء" في الأسرة.[3] وفي رواية "حميد الربيعي" "تعالى.. وجع مالك"[4] نقرأ: "العائلة لا قرار لمستقرها، أخت كبرى نقعتها العنوسة ولما تختمر، الوسطى تباهت بجمالها فانضوى خلف وهم مستديم.[5] الأخ الأكبر اعتلف الحشيشة فصارت قوته اليومي، الذي يليه: انتسب شرطيا في جهاز أمني، الثالث هو في الحقيقة صبي جامع. أنا بنت البطة السوداء."[6]

عالج "سلطان فيصل" هذه الفكرة في روايته "قميص يوسف"،[7] وكذلك فعل "سمير محمد" (اسم مستعار) في رواية "سعودي ولكن لقيط"،[8] كما تناولها "سعود السنعوسي" في "ساق البامبو".[9] تحكي الأخيرة عن "عيسى الطاروف"، نبتة من أب كويتي وأم فلبينية وما يعانيه "البدون" في هذا البلد. بعد عودته إلى الكويت تُسكنه جدته ملحقا بالمنزل مع الخدم والسائق. تبطن الرواية مشاعر عدم التسامح وعدم القبول والنبذ والاضطهاد والعنصرية البغيضة. كتب "الطاروف" في نهاية الرواية: "أنا، رغم اختلافي عنكم، وربما تخلفي أيضا، في كثير من الأشياء، ورغم شملي الذي يبدو غريبا بينكم، ورغم لهجتي وطريقتي في لفظ الكلمات والحروف.. رغم كل تلك الأشياء، فأنا أحمل تلك الأوراق التي تحملون، ولي

---

(1) Middle – Child Syndrome.

(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨.

(٣) ليلتان وامرأة واحدة، ص ٥٦.

(٤) تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢.

(٥) تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة ملكة الجمال" Beauty Queen Syndrome وفيها تشعر المرأة أنه لا يوجد من يستحقها، وتظل غارقة في هذا الوهم حتى يمضي قطار الزواج.

(٦) تعالى.. وجع مالك، ص ٥.

(٧) دار كُتّاب للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠١٤.

(٨) دار مدارك للنشر، دبي، ٢٠١٢.

(٩) العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.

حقوق وعليّ واجبات مثل حقوقكم وواجباتكم تماما، كما أنني، رغم كل شيء، لم أكن أحمل لهذا المكان سوى الحب، ولكنكم، ولسبب أجهله، حلتم بيني وبين أن أحب المكان الذي ولدت فيه، والذي مات أبي من أجله. منعتوني من القيام بواجباتي، وحرمتوني من أبسط حقوقي."[١]

الولع باللون الأسود

اللون الأسود هو سيد الألوان، وهو لون الأحزان، لكنه أيضا لون الوقار والأناقة والسهرات الرسمية. صحيح أنه غير موجود في ألوان الطيف، لكننا نراه وافرا في حياتنا. تعشق كثير من النساء هذا اللون ربما لأنه يجعل الجسم يبدو نحيفا، وربما لأن التضاد بينه وبين البشرة البيضاء الشمعية يزيد من إغراء المرأة.

كتب "عبد الحميد شوقي" عن اللون الأسود في روايته "سدوم"[٢] قائلا: "الأسود ليس دائما حزينا وكئيبا. الأسود هو لغز النفس ذاتها. هو الماوراء الذي يمنح كل شخصية فرادتها وعبقها الخاص. دائما في لوحاتي، هناك خلفية سوداء تحتضن الوجوه والأمكنة والتعبيرات. يوم تكلمت عن الأسود، قال لي سليم بنيس، طبيبي النفسي، بأن الأسود هو لون الرحم، دلالة الحنين إلى ما قبل الولادة، والالتحام بجسد الأم."[٣]

الولع باللون الأسود Melanophilia موجود في السرد الروائي العربي بقوة. في رواية "أريانة" للميلودي شغموم[٤] نقابل "امرأة تلبس الأسود دائما."[٥] العباءة السوداء، الزي التقليدي الخليجي، موجودة في رواية "الحمامة بعباءتها السوداء" للكاتبة "ليلى عقيل"[٦] وفي رواية "صياد الملائكة" حيث يسميها "هدرا جرجس" بالخيمة السوداء.[٧] في "استديو

(١) ساق البامبو، ص ٣٨٦.

(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.

(٣) سدوم، ص ٨ – ٩.

(٤) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.

(٥) أريانة، ص ٩.

(٦) دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢.

(٧) دار الربيع العربي، القاهرة، ٢٠١٤.

بيروت" كتبت "هالة كوثراني" عن "هيام": "هيام تحب اللون الأسود، هذا ما ركزت على أن تنقله لي: أحب الأسود، أحب أيضا أن أحزن. فأنا أعرف الحزن جيدا. تعلمته من نساء العائلة منذ صغري قبل أن يجتاحني بقسوة ويغير حياتي. منذ كنت في العاشرة ألبس الأسود حدادا. وفي السادسة عشر حين وجدت نفسي يتيمة ومسئولة عن بيت أهلي، اختبأت في الأسود، وفي غطاء نصحتني لاحقا النساء في عائلتي صاحبات الآراء العصرية بأن أختاره ملونا، لكنني لم أخن الأسود."[1] كتبت "نهلة كرم" الحوار التالي في روايتها "على فراش فرويد":[2]

- "تزوجني!
- لكن...
- اشتر لي فستان أسود حتى أرتديه يوم زفافنا.
- لم يحدث من قبل أن ارتدت عروس الأسود، فهو لون حداد.
- بل لون سعادة، فقد عرفتك في الظلام، وكل لقاء بيننا كان يسبقنا الليل إليه، فلماذا أرتدي لونا آخر إذا كان اللون الأسود الأجدر في التعبير عن حالتنا؟"[3]

وبدون الرجل يصبح الفستان الأسود ليس له قيمة، أو هكذا رأت "قمر كيلاني" في روايتها "الدوامة"[4] من خلال حوار "رجاء" وصديقتها "سامية". أمام خزانة ملابس الأخيرة دار الحديث: "من قلب أفكارها وموج دمعها تلتقط كبريائها:

- هذا الثوب الأسود، لا شك أنه فاتن إذا ما وضعته على جسدك.
- لكني لم أضعه أبدا على جسدي وهل أرتدي السواد وأنا التي أعيش في سواد الغربة وعتمة الفراق؟ ومن سأخاطب بلغة الجمال والفتنة إذا لم يكن لي رجلي؟ رجلي المتألق أمامي مثل نجم يبدد كل سواد؟

(١) استديو بيروت، ص ٥٦.

(٢) دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ٢٠١٤.

(٣) على فراش فرويد، ص ٨٤.

(٤) منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣.

- أنت تفكرين أكثر مما ينبغي يا سامية.. بم تفكرين؟

- لا شيء يا رجاء.. لا شيء.. غدا سترتدين هذا الثوب.. وتضعين العقد.. وستظهرين مثل زنبقة.[١]

- تقصدين زنبقة سوداء."[٢]

في رواية "أحلام مستغانمي" "الأسود يليق بك" نطالع هذا الحوار البطلة والبطل:

- "ظننتك أحببت حدادي حين كتبت لي: الأسود يليق بك.

- ربما كان عليّ أن أقول إنك تليقين به.. الأسود يا سيدتي يختار سادته.[٣]

بالرغم من ذلك هناك من يكره اللون الأسود سواء في الملابس أو بشرة الجلد لاعتبارات عنصرية.[٤] في رواية "لأني سوداء" كتبت "سعداء الدعاس":[٥] "كوني أقل سوادا أرجوك. بهذه الأمنية تهمس الأمهات لنطفة السواد الأولى.. وتزداد جرعة الهمس حين تعرف الأم جنس جنينها.. فالفتاة تحتاج دعوات مضاعفة بلا شك. لا أسعد حظا من أنثى تخترق رحم أم سوداء ببشرة أقل سوادا... الفتاة الأقل سوادا، أوفر حظا من الأخريات، فلن تقع فريسة كريمات التبييض.. ولن تقضي يومها تتعبد في محراب مصفف الشعر... الفتاة الأقل سوادا لن يؤسر جسدها بارتداء ألوان بعينها، لن تقترن ملامحها بأصباغ فاقعة، لإبراز شفاه لا تتأطر حدودها في وجه داكن."[٦]

---

(١) Tulipomania هو اللفظ المستخدم للإشارة إلى الولع بالزنابق على اختلاف ألوانها.

(٢) الدوامة، ص ٦٩، ٧١. "الزنبقة السوداء" اسم رواية شهيرة كتبها "ألكسندر دوماس" وعنوان لرواية كتبتها اليمنية "شذى الخطيب" (دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٢).

(٣) الأسود يليق بك، ص ٤٩.

(٤) يُعرف هذا الشعور في الولايات المتحدة بـ "متلازمة الرجل الأسود الغضبان" Angry Black Man Syndrome.

(٥) أدفايس للإنتاج الفني، الكويت، ٢٠١٠.

(٦) لأني أسود، ص ٧، ٨. تناولت "هدى الجهوري" نفس الفكرة في روايتها "الأشياء ليست في أماكنها"، كتاب نزوى، عُمان، ٢٠١٠.

ننهـي هـذه النقطـة بتلـك الكلـمات مـن روايـة "جرحـى الـسماء" لأم الـزين بنـشيخة المسكيني،[1] وفيها تخلع "عاتكة" الأسود وتمارس فعلا من أفعال التعـري: "خلعـت نقابهـا الأسود وطوته كمن يطوي المسافات أو كمن يهرب بعيدا عن المدن والسياسات.. حدقت فيه كأنها تراه لأول مرة.. لماذا كل هذا السواد يا عاتكة؟ لماذا طلقـت كـل الألـوان ودفنـت هـذا الجسد في هذا اللون الكئيب؟ تجردت من باقي ثيابها قطعة قطعة.. وكانت تتلذذ وهي تتعرى بتؤدة كمن يرسم بعرائه لوحة تكعيبية."[2]

متلازمة البوفيه الصيني

ظهور المطاعم الصينية المعروفة بـ "تناول كل ما تريد" Eat All You Can مقابل مبلغ من المال يدفعه المرء قبل دخول المطعم كان حدثا فريدا في أسلوب تناول الطعام. تعتمد هـذه المطاعم في مكسبها على حجم معدة لشخص وعدم قدرته على تنـاول طعـام يفـوق المـساحة التخزينية له، وكذا المبالغة في تقديم العجائن والمشروبات التي تملأ المعدة، مع تقديم أصـناف أخرى رخيصة. ما يحدث هو أن المترددين على هذه المطاعم يسرفون في تناول الأطعمـة حتـى يشعروا بأن نقودهم لم تذهب سدى. ومن هنا نشأت "متلازمة البوفيـه الـصيني" Chinese Buffet Syndrome والتي تنطبق أيضا على البوفيه المفتوح الـذي تتـضمنه بعـض الأفـراح. يصنف كل هذا تحت إطار النهم والشره وهو أحـد "الخطايـا الـسبع المهلكـة" The Seven Deadly Sins.

في رواية "رافي" لعمرو خالد نقابل "أحمد" وهو شخص نهم، يحب الأكل مما أكسبه كنية "الحوت" لضخامة جسمه ووخمه. ومن رواية "ألفة الإدلبي" "دمـشق يـا بـسمة الحـزن"[3] نقرأ "كانت باحة الدار قد امتلأت بالمدعوين، وبالطفيليين أيـضا الـذين ينتهـزون مثـل هـذه الفرص ليملأوا بطونهم."[4]

(١) جداول للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ٢٠١٢.

(٢) جرحى السماء، ص ١٧٧.

(٣) منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠.

(٤) دمشق يا بسمة الحزن، ص ١٦.

في رواية "عرس الزين" كتب "الطيب صالح": "كان الزين قد أوكل بنقل الطعام في عرس سعيد فكان يمشي جيئة وذهابا بين الديوان حيث اجتمع الرجال والتُكل في داخل البيت حيث تقوم النسوة بالطهي. وفي الطريق من التُكل إلى الديوان كان الزين يتمهل قليلا ويأكل ما طاب له الأكل من الوعاء الذي يحمله. وحين يصل به إلى الناس يكاد يكون خاليا وفعل ذلك ثلاث مرات حتى لفت انتباه أحمد إسماعيل، فتابعه حتى وقف في نصف الطريق، ورفع الغطاء عن صينية مملوءة بالدجاج المحمر. وما أن أمسك الزين بدجاجة منها وقربها إلى فمه، حتى هجم عليه أحمد إسماعيل وأشبعه ضربا[1] ".

متلازمة علبة السردين

ظهرت عبارة "متلازمة السردين" أو "متلازمة علبة السردين" Sardine Tin Syndrome أول ما ظهرت في العدد (٢٣٩) من جريدة "جينسفيل صن" Gainsville Sun والصادرة في ولاية "فلوردا" Florida الأمريكية يوم الجمعة، ٢٨ فبراير، ١٩٨٦، في سياق الحديث عن أوضاع السجون المكتظة بالنزلاء. والمقاربة بين التكدس وعلبة السردين مفهوم ولا يحتاج لشرح أكثر من جانبنا حتى أن العبارة تستخدم بشكل اصطلاحي في أغلب لغات العالم، ومنها العربية، للإشارة إلى التكدس والزحام الرهيب.

التكدس في العشوائيات التي تعرف في مصر – للمفارقة - بعلب الصفيح[2] في مقاربة بينها وبين علب السردين، هذه التكدس وتلك الصورة حاضرة في الرواية العربية سواء فى الشكل أو في الرائحة. في رواية "المتمردة" لمليكة مقدم[3] نقرأ: "ينام أبواي مع باقي الأبناء في الغرفة الوحيدة في المنزل. حصيرة من الحلفاء، بطانية لكل واحد، ووسائد ملقاة فوقها ونحن نتمدد الواحد بجانب الآخر... ننزلق تحت البطانية المشتركة من الصوف الذي يزن بؤس العالم. خشن جدا وسميك جدا، كان هذا الغطاء يعصرني، وكان يتسبب لي بكوابيس من الاختناق. أستيقظ مرات كثيرة في الليلة من شدة الاختناق. رائحة الصوف، روائح

(١) عرس الزين، ص ١٣، ١٤.

(٢) يُطلق عليها "محمد عبد المولى" عبارة "جحر فأر" في روايته "يموتون غرباء" (دار العودة، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٥).

(٣) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٤.

عفونة الأحشاء الكامنة ليست بعيدة عن هذه الرائحة التي أحس بها."[١] نفس العشوائيات والروائح الكريهة نجدها في رواية "إبراهيم ابو عواد" "جبل النظيف"[٢] الذي تتكدس به القمامة ويعيش فيه بشر دون خط الفقر لدرجة أن أحدهم، "عمران"، ينبش قبر أمه ليأخذ أسنانها الذهبية فالحي أبقى من الميت.

التكدس في خنادق الحرب وملاجئ الغارات يذكرنا أيضا برمزية علبة السردين. نقرأ من رواية "شواطئ الدم" لإبراهيم حسن ناصر:[٣] "يضيق الخندق بنا عندما يصادفنا العائدون من الجرحى وجنود نقل العتاد والأرزاق... نحن كائنات الليل المدفوعة إلى الموت، المسلوبة الأحاسيس."[٤]

التكدس في عربات الترحيلات كالأغنام وفي السجون العربية له علاقة بالإمكانات المادية، لكنه أيضا مرتبط بعدد المسجونين والمعتقلين والأنظمة التي تقف وراء هذين الفعلين. وهناك سجون احتجاز أو سجون تمضية عقوبة سيئة السمعة، على الأقل بالنسبة لشق التكدس الذي نتكلم عنه هنا. من هذه السجون معتقلات البعث التي يُعامل فيها السجناء كـ "فئران تجارب"[٥] وكذا سجن "العقرب" في مصر وتزممارت" في المغرب.

السجن الأخير كان موضوعا لروايتين أحدهما لأحمد المرزوقي الذي اختاره عنوانا لروايته،[٦] ومنها نقرأ عن مقاربة السجن بعلبة سردين أسمنتية تسكنها أجسام ميتة مثل السردين نفسه، لنقل نافقة معنويا، ثم العرق الذي يذكرنا بطبقة ماء الصوديوم والزيت التي تغطي السردين، ثم تلك الرائحة التي تبعث منها حين يتم فتحها وتركها لفترة طويلة: "كل زنزانة كانت عبارة عن علبة ضيقة من الأسمنت المسلح، طولها ثلاثة أمتار وعرضها مترين ونصف، أما علوها فيقرب من أربعة أمتار. تسبح ليل نهار في ظلام مطبق... في أتون هذا الاختناق المتواصل، طغت النتانة بشكل فظيع، فأصبحت تنبعث من أجسامنا الوسخة

(١) المتمردة، ص ١٤.
(٢) دار الكوكب – رياض الريس للنشر، بيروت، ٢٠١٤.
(٣) منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٨.
(٤) شواطئ الدم، ص ٧٥.
(٥) جمعة عبد الله، فئران تجارب، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٣، ص ١١.
(٦) تزممارت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢.

روائح الجيف المتفسخة."[١] مازلنا في "تزممارت" ونواصل مع "الطاهر بن جلون"[٢] الـذي أعطى أبعادا أخرى للزنزانة: "كان القبر زنزانة يبلغ طولها ثلاثة أمتار وعرضها مترا ونـصف المتر؛ أما سقفها فوطيء جدا يتراوح ارتفاعه بين مئة وخمسين ومئة وستين سنتيمترا. ولم يكـن بإمكاني أن أقف فيها. حفرة للتبول والتبرز قطرها عشرة سنتيمترات."[٣]

تشابه آخر بين السجن وعلبة السردين تمثله الرائحة التي تصدمك عن فتح العلبة أو فتح الكراكون. عبر عن هذه النقطة "عبده جبير" في روايته "سبيل الـشخص":[٤] "أدخلونـا إلى العنبر فإذا بنا في الزنزانة نفسها والأبواب تنغلق علينا بصمت الأقفال ورائحة البول."[٥]

ونجد أثرا للمتلازمة أيضا في تكدس الركاب في الحافلات وقطارات السكك الحديديـة في البلاد الفقيرة كالهند ومصر وغيرهما. في رواية "المسافر" يصف "إسلام عماد"[٦] الأتوبيس بـ"علبة الصفيح".[٧] في رواية "قبر راحيل" نقرأ عن قطـارين: أحـدهما يقطـع دلتـا النيـل، والآخر يشق صعيد مصر، وكلاهما يشترك مع نظيره في الزحام والقذارة: "استقل منير سيارة أجرة طراز بيجو ٧ راكب من موقف أحمد حلمي بالقاهرة. مضت الـسيارة في شـارع الترعـة بصعوبة وسط زحام العاصمة حتى شبرا الخيمة، ثم انطلقت مسرعة تشق الدلتا وقد تغـيرت رائحة الهواء وظهرت على استحياء الحقول الخضراء. مر قطار الشرق على الجانب الأيمن من الطريق. طبعا ليس هذا قطار الشرق السريع الذي كتبت عنه أجاثا كريستي، بل قطار الـشرق المهين الذي ينطلق يوميا من رصيف الشرق بالعاصمة إلى محافظة الشرقية حـاملا أطنانـا مـن البشر داخله وعلى سطحه، تلك الرحلة التي كتب عنها متعجبا ومندهشا الروائي الإنجليزي ب. هـ. نيوبي P. H. Newby في روايته: نزهة خلوية في سقارة The Picnic at Sakara…

(١) تزممارت، ص ٨٦، ١٤١.

(٢) تلك العتمة الباهرة، ترجمة: بسام حجار، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢. لم نجد غضاضة في إدراج بعـض الروايات المهمة التي كتبها روائيون عرب بلغات أخرى، حيث أنه لم يُستقر عـلى تعريـف جـامع مـانع للرواية العربية، بمعنى هل هي الرواية المكتوبة باللغة العربية أم الرواية المنسوبة لروائي عربي.

(٣) تلك العتمة الباهرة، ص ٩.

(٤) دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣.

(٥) سبيل الشخص، ص ٥٠.

(٦) دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٧) المسافر، ص ١٠.

خشي مراد أن يفقد قطار مراكز قبلي الصعيد أو وابور الساعة ١٢ فقرر أن يستقله من محطة ضواحي الجيزة. كان القطار مزدحما لأن اليوم صادف الخميس، كما كان الجو حارا وخانقا. لا يركب هذا القطار سوى الطلاب والموظفين والفقراء من أبناء الصعيد. أُضطر مراد للوقوف في القطار من العياط حتى أبو تيج. يحفظ مسار القطار جيدا ويحفظ محطاته دون الحاجة لقراءة اللافتات. يعرف المدن من وجوه المغادرين والمستقلين للقطار. لديه حاسة تنبؤه بمكانه كلما اتجه جنوبا وارتقى وصعد في مصر العليا وتزداد لهجته حدة وقوة."[١] تقترب "منى سلامة" كثيرا من هذا الشق من المتلازمة، بل وتذكرها صراحة في روايتها "كيغار":[٢] "جاء الأتوبيس، فاندست وسط الجمع تحاول باستماتة إيجاد مكان يسعها.. واقفة! من حسن حظ السردين أنه مقطوع الرأس لا يعاني مثلها من روائح العرق النتنة والأنفاس الكريهة التي تتزاحم داخل أنفها. تبا، فحتى السردين في علبته المعدنية أكثر حظا منها!"[٣]

متلازمة بسكويت أوريو

تنتاب "متلازمة بسكويت أوريو" Oreo Cookie Syndrome، الأشخاص الذين يشعرون أنهم بيض من الداخل، بمعنى أن مشاربهم وميولهم للبيض بينما هيئتهم سوداء من الخارج،[٤] وتسمى أيضا بـ "متلازمة العم توم" Uncle Tom Syndrome، نسبة إلى شخصية العبد في رواية "هاريت ستو" Harriet Stowe "العم توم" Uncle Tom. يُعرف هؤلاء المخلطين في الولايات المتحدة أيضا بـ "الحمار الوحشي" Zebra، واللفظة بلا شك مسيئة.

تناول "إحسان عبد القدوس" قضية ازدواج الشخصية وصراع الهوية في "ثقوب في الثوب الأسود"[٥] التي تعالج فكرة التفرقة العنصرية من خلال قضية "الماتيس" في "مالي" تحت نير الاستعمار الفرنسي. "الماتيس" هو الشخص الذي يولد لأب أبيض وأم سوداء. بطل

(١) قبر راحيل، ص ٥٥، ١٢١.
(٢) عصير الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.
(٣) كيغار، ص ٥٣.
(٤) راجع متلازمة "ثمرة جوز الهند" التي عرجنا عليها آنفا.
(٥) أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٦٢.

الرواية، "سامي"، يعاني حالة من الازدواجية فهو يزدري الزنوج، لكنه عمليا يعيش بينهم. يريد أن ينطلق للأمام، لكن جذوره أو معوقات أخرى تشده للخلف. الرواية تم تحقق أي من المقاربات ولم تقترح حلول وسطية أو توافقات. الأب يتزوج من زنجية وثنية مخالفا للشرع، والأم تغض النظر عن الاعتبارات القبلية في هذا الزواج والابن مشتت بين أصابع البيانو وغير قادر على العزف حتى تقرر أمه الانسحاب من حياته في هدوء ليعيش حياة البيض.

أما متلازمة "ثمرة جوز الهند" Coconut Syndrome فتشير إلى العرب الذين ولدوا في كندا والولايات المتحدة أو أوروبا الغربية أو عاشوا في تلك الأصقاع لفترة طويلة فهم مثل ثمرة جوز الهند بيض من الداخل متشربين طبائع تلك البلاد أما القشرة – والقشرة فقط – بنية فاتحة كناية عن اللون القمحي لشعوبنا العربية. كتب "عبده خليل" في روايته "فندق بارون" قائلا عن العرب: "في هذه البلدان ثمة هوس غير طبيعي باللون الأبيض.. كل ما هو أبيض يجذبهم.. خاصة إذا كان لحما."[1]

بالنسبة للآسيويين تُسمي هذه الظاهرة بـ "متلازمة الموز" Banana Syndrome.

متلازمة الثمرة المحرمة

تشير متلازمة الثمرة المحرمة Forbidden Fruit Syndrome إلى سفاح المحارم بشكله الأوسع ومنه اشتهاء أخت الزوجة أو العمة أو خلافه كما في العلاقة الملتبسة بين "عدنان" وخالته "منيرة" في رواية "الرجع البعيد" للكاتب "فؤاد التكرلي"،[2] واشتهاء "هندي" لشمس، زوجة ابنه في رواية "أحمد سراج" "تلك القرى".[3] وتعني المتلازمة التعلق بشخص لا يمكن الارتباط به والزواج منه لأسباب أخلاقية أو دينية.[4]

(١) فندق بارون، ص ٤٩.

(٢) دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

(٣) سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٤) عالج "كامل الحفناوي" هذه الفكرة في فيلم "نهاية الطريق"، ١٩٦٠ وعالجها بعده "فايز غالي" في "يوم حلو ويوم مر"، ١٩٨٨.

عالج "إحسان عبد القدوس" هذه الفكرة في "العذراء والشعر الأبيض"[1] ولو أن "بثينة" كانت بنتا بالتبني. من رواية "اعتراف رجل مهم" يَحْبُك "مراد داؤد"[2] علاقة أخرى من زنا المحارم، لكن تحت تأثير الخمر: "في يوم من الأيام حضر زوج أمي وكان في حالة من السكر جعلته يترنح في مشيته وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، وبينما كمن ذاهبة لأشرب من المطبخ فاجأني ووضع يده على فمي ثم قام بتمزيق قميص نومي المهترئ أصلا واغتصبني."[3]

في رواية "محمد حياوي" "خان الشابندر"[4] يتحرش الأب بابنته "ضوية" وتحبل منه. علاقة أخرى من زنا المحارم نجدها بين الخال وابنة الأخت في رواية "إبراهيم عبد المجيد" "برج العذراء"[5] ولو أن ما يميزها هو رضا الطرفين: "أمي قالت هذا خالكم يا أولاد ليس غريبا سينام وسطكم على الأرض. نام بجواري. في منتصف الليل أحسست بشيء ثقيل بين فخذي. كانت يده، رماها عليّ. قلت ربما غصب عنه. بعد لحظة سخنت يده وسخنت أنا. بدأ يهرش لي بإصبعه... تركته. لحظات وبدأ فخذاي يبتعدان عن بعضهما، شعرت أن جسدي كله يصرخ وأريد أن أشده فوقي. هو لم ينتظر، رفع جلابيتي وبرك فوقي... كتم نفسي بيده حتى لا أصرخ. وأنا كنت أريد أن أصرخ، ليس رعبا ولا رفضا، لكن من النار اللذيذة التي تدور داخل جسدي."[6]

متلازمة زهرة الخشخاش اليافعة

تشير "متلازمة زهرة الخشخاش اليافعة" Tall Poppy Syndrome إلى الأشخاص المميزين عن غيرهم كما تتميز زهرة الخشخاش الطويلة عن غالبية أترابها من الزهور العادية. يواجه هؤلاء الأشخاص حسد وحقد الآخرين. لسان حالهم يقول: "لماذا أنت مختلف، بل

(١) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٧.
(٢) دار الغدير، سلمية (سورية)، ٢٠٠٨.
(٣) اعتراف رجل مهم، ص ١٥.
(٤) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٦.
(٥) دار الربيع العربي - دار الياسمين، القاهرة، ٢٠١٥.
(٦) برج العذراء، ص ٧٠.

كيف تجسر على الاختلاف Dare to be Different؟" ولأن زهرة الخشخاش الطويلة يكـون مصيرها دائما القص حتى يبـدو مـسطح الزهـور متـساويا ومتأنقـا فـإن هـؤلاء الأشـخاص المتفوقين يكون مصيرهم الإقصاء ويواجهون العداء والتعنت وربما الاعتداء. لكن الرغبـة في التغيير – كما تعلمنا – تأتي على يد هؤلاء الموهوبين المرموقين، وليس على يد القطيـع وأفـراده من أعداء النجاح وكارهي التميز. في بعض البلـدان يُـضطر هـؤلاء النـابغين إلى الـسفر فـيما يُعرف بهجرة العقول Brain Drain ثم يعودوا لأوطانهم لينالوا تكريما مستحقا، لكنه متأخر.

في رواية "الطلياني" لشكري المبخوت[1] نقابل "زينة" وهي فتاة طموحة قدمت المدينـة من أجل الدراسة واشرأبت لتحقيق حلمها العلمي، لكنهـا تواجـه العقبـات تلـو الأخـرى. انتهت أحلامها عند قلم أستاذ الجامعة الذي أراد استغلالها جنسيا. أرادت "زينـة" أن تـشب شامخة كزهرة الخشخاش، لكن الآخرون كانوا يشدونها إلى الأسفل ويقتلـون براعمهـا. مـن حادث اغتصاب في طفولتها لطلاق لابتزاز جنسي مضت حياتها وأخيرا اضطرت إلى الهجـرة إلى فرنسا والزواج من عجوز فرنسي.

الهوس بالأشجار

الأشجار هي الحياة ببساطة شديدة. كتـب "نـضال الـصالح عبـد القـادر" في مقطوعـة "جبرانية" من روايته "جمر الموتى":[2] "هل خطر لك، يوما، أن تراقب الأشجار وهي تمسح عن أغصانها غشاوة الخريف لتفتقها براعم ملونة في الربيع، وثـمارا طازجـة في الـصيف.. أن تدع عينيك تفيئان إلى ظلالها الوارفـة دائـما.. أن تمجـد قاماتهـا الباسـقة وهـي تقـاوم صـليل القحط."[3]

المقارنة والمقاربة بين الإنسان والشجرة أمر قديم، ولطالما سمعنا عن تشبيهات مثل "كن كالنخلة"[4] أو امرأة "تظلل على أسرتها كشجرة الصفصاف".. إلى آخره. الأشـجار تـصادق

(١) دار التنوير، القاهرة، ٢٠١٤.

(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.

(٣) جمر الموتى، ص ١٠٦.

(٤) في رواية "مراهقة" لماجدة العطار تصرح "ميـاء" برغبتهـا في أن تكـون نخلـة، (دار الروائـع، بـيروت، ١٩٦٩).

الإنسان كما أوضحت "رسمية محيبس" في روايتها "كاهنات معبد أور":[1] "الأماكن التي أمارس فيها سياحتي اليومية.. متع الطبيعة وجمال النهر والماء وأصوات الطيور بزعيقها الحاد والأشجار التي أعتبرها صديقات أتبادل معهن الحلم والماء والأسرار."[2]

يتساءل "مهدي عيسى الصقر" في روايته "صراخ النوارس":[3] "تُرى هل تحلم الأشجار مثلنا!؟"[4] في رواية "مدينة المياه المعلقة" لمحمد مثنى[5] ترقص الأشجار وتغني حين تُروى بالمياه. كتبت "أحلام مستغانمي" في رواية "فوضى الحواس": "الأشجار تمارس الحب واقفة."[6] في رواية "كانت المدن ملونة" لرجاء نعمة[7] نقرأ: "ألا ترى كيف تتجدد الشجرة؟ قال لها: أنا لست شجرة. بلى أنت شجرة. كلنا أشجار نبتت في العالم مصادفة هنا أو هناك. وفكر أن يصيح ويقول لها ثانية أنه ليس شجرة، لكنه سكت ولم يقل شيئا."[8] وفي رواية "أحمد الزعتري" "الانحناء على جثة عمّان"[9] نقرأ: "مرة ابتعدت في هذا الوصف وقلت لها أنها شجرة. ذهلت وسألتني: أنا شجرة؟ انتابني عندها رعب حقيقي... خفت لاعتقادي بأنني خربت مزاج تلك اللحظة، ولكنها ابتسمت بعمق واستدارت نحو الشجرة على الرصيف وأخذت تتمتم بطفولية: أنا شجرة. أنا شجرة."[10] أما "يوسف ضمرة" فقد ذهب في روايته "سحب الفوضى"[11] إلى أن "أجمل دول العالم الأشجار."[12]

---

(١) الروسم للصحافة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥.
(٢) كاهنات معبد أور، ص ١٤.
(٣) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧.
(٤) صراخ النوارس، ص ٧.
(٥) دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧.
(٦) فوضى الحواس، ص ٢٨٨.
(٧) دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٠.
(٨) كانت المدن ملونة، ص ٢٤٤.
(٩) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٤.
(١٠) الانحناء على جثة عمّان، ص ٢٨.
(١١) الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩١.
(١٢) سحب الفوضى، ص ٩.

في رواية "الأرض الحائرة" يقدم "أحمد حافظ"[(١)] نموذجا للأشجار المتكلمة: "تعود أن يناجي الشجر المتراص على إحدى ضفتي النهر... هذه الأشجار ظلت تشغل على الدوام ضمير الغائب في اللاوعي لديه، فكم أفضى إلى أغصانها خبيئة نفسه، وكم أسرت إليه إحساسا وإدراكا، فكانت أنسه في سفره وجليسه في وحشة الطريق."[(٢)]

ومن الكلام إلى الغناء ننتقل إلى رواية "عين الشمس" لخليفة حسين مصطفى[(٣)] الذي كتب يقول فيها: "الأشجار على الجانبين تنهض شاهقة مرسلة صوتا كالغناء الحزين وكالنحيب عندما تزيد سرعة الريح."[(٤)]

الأشجار سر الحياة، لكنها تحترق واقفة وتموت واقفة. أنهى كل من "ماجد علاء الدين" و"فاطمة يوسف عبد الرحيم" روايتها "أحلام إيفان المأساوية"[(٥)] و"ماريا بين السهم والوتر"[(٦)] بقولها: "دعيني أموت واقفا كما يموت السنديان في بلادنا!"[(٧)] و"باءت حياتي بالفشل لأتهاوى كالأشجار واقفة، لكني لن أنحني لأحد."[(٨)] الأشجار خدعت قوم "زرقاء اليمامة" وجيش "ماكبث". الأشجار تذبل وتنتحر حين تغادر تربتها الأصيلة إلى مكان آخر. الأشجار تتنفس وتتحدث فيما بينها. الأشجار تكوينات "كوزموباليتانية" Cosmopolitan لا تعرف التفرقة، تتسع للجميع وتسكنها الجوارح والحمائم. أشجار الزيتون هي رمز السلام يزرعها من لا يأكل منها. النبي عليه الصلاة والسلام غرس بعضا من نخل المدينة وأوصانا أن يكون الغرس، لا القلع منهاجا لنا حتى لو قامت القيامة. شجرة الغرقد ستحسم صراع آخر الزمان.

---

(١) إي كتب، لندن، ٢٠١٦.

(٢) الأرض الحائرة، ص ٨.

(٣) المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٨٣.

(٤) عين الشمس، ص ٧-٨.

(٥) دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢.

(٦) دار الحسن للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.

(٧) أحلام إيفان المأساوية، ص ٢٤٦.

(٨) ماريا بين السهم والوتر، ص ١٦٧.

"أنا العابد... صباح الخير أيتها الشجرة المباركة."[١] نعم هناك أشجار مباركة، وهناك أشجار يزعم الناس أنها مباركة. ومما يؤكد قدسية وبركة الأشجار ما أورده "أدهم العبودي" في روايته "الخاتن"[٢] من نزول الملائكة ليلا لتستقر على الأشجار: "الملائكة نفسها التي تقطن في السماء كثيرا ما تهبط لتسكن أشجار السنديان العالية وأشجار الرمان والعنب التي تحوط مدخل درب بيتنا المبلّط."[٣] تقصد النسوة في مصر "شجرة مريم" بالمطرية وشجرة "المندورة" بالمنيل وشجرة "العابد" جنوب جبل الطير بالمنيا وشجرة "دير المحرق" ليتباركوا بها ظنا منهم أنها تجلب الحمل والخلف! في هذه النقطة يقارن بعض علماء النفس بين جزع الشجرة وقضيب الرجل في مقاربة "فرويدية". يعلق الدكتور "عبد المنعم الحفني" في "الموسوعة النفسية الجنسية" قائلا: "تَعَشُّق الأشجار قد يكون بالبعض كلفا شديدا بها لا يُعلم له سببا، ولكنه يعرف أنه يستشعر الراحة الشديدة وهو بين الأشجار. وبعض علماء النفس يعتبر ذلك ولعا جنسيا، حيث تكون الأشجار رمزا للقضيب، ويكون تَعَشُّق الأشجار في حقيقته تَعَشُّقا للقضيب... ويروي أطباء النفس حالات لمرضى يتحدثون مع الأشجار ويواعدونها ويبثونها لواعج أشواقهم، ويحتكون بها، ويقبلونها، وقد يستمني المريض أثناء ذلك."[٤]

كتب "صدقي إسماعيل" في مقدمته لرواية "عبد الرحمن منيف" "الأشجار واغتيال مرزوق": "إن الشجر هو رمز الديمومة والنماء، به تبدأ الحياة على الأرض وتستمر، وهو راسخ في كل كائن حي لأن له جذورا في تربة الوجود. لقد انتزع تشيكوف من صورة الشجر، الغابات، رمز الحياة الوحيدة في روسيا كلها... الجذوع الراسخة بأغصانها الخضراء أو العارية رمزا للشيء في ذاته، الكائن الذي امتلك مبررات وجوده."[٥]

اتخذ الإنسان القديم من الأشجار بيوتا، والتحم مع أوراقها وأغصانها فأصبح جزء من تكوينها. ومازال الإنسان حتى في عصرنا الحالي يحن لحضن الأشجار. نقرأ في رواية "مدافن

(١) عمار علي حسن، شجرة العابد، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١، ص ٣٤.
(٢) مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.
(٣) الخاتن، ص ١١.
(٤) مرجع سابق، ص ٤٢٩.
(٥) الأشجار واغتيال مرزوق، ص ٩.

الموت" لأسامة جمعة الأشقر:[1] "اكتشفت في تجوالي الطويل في أنحاء الغابة المحيطة بي شجرة سامقة كبيرة تمتد طولا وعرضا، ويزيد طولها عن ثلاثين مترا بجذوعها المتينة، تتراكب فيها سبع عشرة وريقة في منظومة ورقة واحدة وعليها نوار أصفر جميل وبذور صغيرة ذات رائحة زكية طيارة، فكنت أستلقي تحتها مرات ومرات لأشتم رائحتها الطيبة إذا عبرت بنا نسمة طائشة تحرك رحيقها الزاكي فتنشره في الأنحاء، وكانت تغريني بتسلقها نظرا لضخامة جذوعها وقلة كثافة أوراقها، ولم أكن أجد أية بعوضة مارقة فيها خلافا لباقي الأشجار التي تمتلئ بطون أوراقها وسيقانها بالآلاف منها، فعلمت حينها أن هذه الشجرة طاردة للبعوض بسبب رائحتها أو أوراقها أو سر آخر لم أتبينه فيها ولذلك كنت كثيرا ما أستلقي تحتها في النهار، أو أتسلق إلى ساق غليظة تتفرع عنها سيقان مثلها، فتترك في ملتقياتها ساحة دائرية أفرشها بأوراق الموز، ونشأت بيني وبينها علاقة دافئة كأنني معها أشعر بحنان أمومي قديم فأطمئن لها وتنشر حولي أغصانها تتداعبني ببعض النسمات المتسللة بينها وتكسر عني سياط الشمس."[2]

السرد الروائي العربي مترع بالأشجار من نخيل وزيتون وسرو وصفصاف... الخ. بالرغم من أن شقا كبيرا منه كُتب في تخوم صحراوية، إلا أنه معشوشب ومتخم بالأشجار.

احتلت النخلة مكانة خاصة في التراث السردي العربي لما لها من مكانية دينية وتاريخية. النخلة رمز الكرم العربي وهي الكف المفتوح الذي يعطي بلا توقف: "تلك النخلة ذات الأعراف المنتشرة كأنها أصابع الكف المفتوحة."[3] يصف "إسماعيل فهد إسماعيل" غابات نخيل شط العرب وعلاقة الناس بها بـ "اللحمة العائلية" فالنخلة جزء من العائلة وفرد من أفرادها.[4] ومن "شط العرب" إلى "النوبة" ننتقل مع النخيل هذه المرة في رواية "محمد خليل قاسم" "الشمندورة"[5] نقرأ عن النخيل: "كانت أشجار النخيل المثقلة بحبات البلح

---

(١) مؤسسة فلسطين للثقافة – صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١١.

(٢) مدافن الموت، ص ٤١.

(٣) مكي محمد علي، رحيل بلا عودة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته، ١٩٩١، ص ٦٣.

(٤) يحدث أمس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٢٤.

(٥) دار الكتاب العربي للطباعة ولنشر، القاهرة، ١٩٦٨.

الحمراء تهتز في بطء شديد، وتتصافح شواشيها ويسري بينها همس. أضفى عليه المساء الساكن كثيرا من الغموض. كل واحد في قريتنا كان يملك منها خمسين أو ستين، حتى أن صفوفها كانت تمتد من الشاطئ إلى المزارع الضيقة، ثم تترامى بعدها في صفوف أخرى، تنفرج عند السفح، عند بيوتنا المتلاصقة لا يفصل بينها إلا أزقة ضيقة غير مرصوفة وإن دكتها أقدام السابلة على مر السنين والأجيال. ومن داخل هذه البيوت، من فوق أسوارها المسلحة بقطع من الزجاج كانت هذه الأشجار تطل علينا، سفح الجبل نفسه كانت تعلوه هذه الأشجار، وقد لفت رءوسها بعصائب خضراء من السعف والجريد والسباطات الصفراء المثقلة بحبات البلح."[1] في رواية "ليلة عاشوراء" لصلاح والي[2] تصبح النخلة جزء من البيت كأحد قاطنيه وتمنحهم الدعم المادي والمعنوي: "النخيل تحرس البيوت والأسطح، تقف في شموخ لا يطاول وتخترق في عزة وكبرياء أسقف البيوت.. لست أدري لماذا تقطع الأشجار عندما تعترض سقف بيت أو توجد في أرض سيبنى عليها بيت، بينما يُفسح السقف للنخيل فتصعد ويحتويها البيت داخله أو خارجه فتبقى.. لم كل هذا الدلال للنخيل؟ ألأنها منارات الأرض وحملة الدعاء على أكف الرحمة – تيجانها – ... قال أبو الشوارب طالع النخل...: أسمع في أعلى النخيل وشيشا وهسيسا وهمسا وأنا أكرمها أو ألقحها أو اجمع البلح."[3] ومن رواية "أحمد أبو خنيجر" "العمة أخت الرجال"[4] نقرأ: "تقدمت نحو النخلة... القائمة في سرة البيت، البيت الكبير، الذي صار خاليا إلا منها."[5] وحتى أشجار النخل الهندي نالت نصيبا من السرد العربي ففي رواية "أصوات الصمت" لمحمد الأسعد[6] نقرأ: "لم تكن الشجيرات آنذاك تتجاوز خاصرتي طولا ولهذا كثيرا ما مررت على رؤوسها المروحية المنحنية براحة يدي، هكذا لمجرد لمسها غير واع انه سيجيء يوم أسير فيه تحت هذا النخيل ذاته[7] هرما هرما ضئيلا أتذكر شظايا من ذلك الماضي."[8]

(١) الشمندورة، ص ٨.
(٢) دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٢.
(٣) ليلة عاشوراء، ص ٤٧، ٤٨.
(٤) دار الحضارة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٥) العمة أخت الرجال، ص ١٢.
(٦) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.
(٧) تُسمى النظرة من الأعلى للأسفل بـ "نظرة طائر محلق" Bird's Eye View، بينما تُسمى النظرة من الأسفل للأعلى بـ "نظرة الدودة" Worm's Eye View.
(٨) أصوات الصمت، ص ٩.

كما تتواجد الأشجار الأخرى بين ثنايا الروايات. في رواية "أيام وردية" لعلاء الديب(١) نقرأ عن شجرة السنديان: "في هذه الأيام، لم يكن أمين الألفي يعشق إلا شجرة سنديان فريدة، تقف وحدها خارج البلد قوية جميلة موجودة حقا، تتحمل تسلق فروع الجهنمية الملونة عليها وتتباهى بها."(٢) وفي رواية "شجرة التوت" نقرأ والكلمات لمؤلفها "حسين عبد الكريم":(٣) "وجود شجرة التوت في القرية علامة خير لكل الجيران، تحت أغصانها يجتمعون، يحكون حكايات حياتهم.. ويشربون الشاي وماء النبع البارد.. شجرة التوت البرية ليست شجرة عادية. تتبدى للناس في حالات مختلفة، ولكل حالة دلالة بعيدة ووقع عميق في القرية.. إن بدت خضراء، فذلك دلالة خير وإن بدت شاحبة ذابلة فذلك نذير سوء."(٤) وفي رواية "حب الرمان" لسماء زيدان(٥) نقرأ شيئا عن تاريخ واحتواء شجرة الجميز: "يُقال إن شجرة الجميز شجرة عتيقة، استظل تحتها السيد المسيح، في رحلته إلي مصر، ويُقال إنها شجرة مقدسة عند الفراعنة، كانت ثمار الجميز تُلقى جافة، في المقابر الفرعونية، وأوراقها في توابيت الموتى، وقيل إن أوزيريس دُفن في تابوت مصنوع من خشب الجميز. لا يهمني نسبها، هي أمي التي طالما همست إليها، وأطعمتني وسكنت بين أحضانها."(٦)

عودة إلى "عبد الرحمن منيف" الذي قدم صور سرمدية لعشق الأشجار والهوس بها Dendrophilia. يستهل "منيف" روايته "أم النذور" قائلا: "كانت أشجار الدلب الكبيرة تقوم على طرف زقاق الشيخ مجيب، إلى جانب النهر في أقصى الغرب، وكانت بمكانها ذاك تحدد المدينة كلها من هذه الجهة. لا أحد من الأحياء يعرف متى وُجدت هذه الأشجار، أو من الذي غرسها، وحتى المسنون، الذين رأوا الكثير، لا يعرفونها إلا مثلما هي الآن: كبيرة، راسخة، قديمة... كانت أشجار الدلب وأم النذور في الحي مثل الشمس موجودة منذ وقت لا يدركه أحد. وقد أقام الناس بينهم وبينها من الصلات ما جعلها جزءا من حياتهم.

(١) روايات الهلال، القاهرة، ٢٠٠٢.

(٢) أيام وردية، ص ٥.

(٣) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.

(٤) شجرة التوت، ص ٣٤.

(٥) دار ميريت، القاهرة، ٢٠١٥.

(٦) حب الرمان، ص ٦١.

فالمرضى يُحملون إلى جانب هذه الأشجار، والنساء اللواتي يردن أطفالا يذبحن هناك الديوك، والعجائز المسنات يسفحن على جذور أم النذور أنواعا من المياه الممزوجة بالحشائش المغلية والمساحيق، طلبا لحماية الأبناء واستمرار مودتهم!"[١]

الأشجار الضخمة المعمرة موجودة أيضا في رواية "يسمعون حسيسها" لأيمن العتوم[٢] الذي يخلص إلى أن الأشجار تعرف وحدها سر الحياة والبقاء والخلود لأنها تمتلك القدرة على التجدد Regeneration: "خلف الوادي انتشرت أشجار هرمة إلا أنها ظلت خضراء على طول عمرها الذي تجاوز مئات السنين.. وقفت أمام شجرة لزّاب عتيقة، وخاطبت فيها الراحلين جميعا من جدي إلى جدتي إلى عمتي إلى حمار جارنا إلى كلب صديقي إلى قطة جارتنا إلى ببغاء أخي: لقد شهدتكم هذه الشجرة العتيقة. أنتم مضيتم وظلت هي باقية أنتم شربتم من ماء الموت وهي ظلت تُسقى من ماء الحياة. أنتم ذبلتم وظلت هي مخضرة. أنتم توقفتم عن العطاء عند حد الثّواء، وهي ظلت تعطي كأنها من النهر نفسه تستمد البقاء... أنتم فانون وهي إلى الآن باقية."[٣]

ونتابع مع "عبد الرحمن منيف" الذي كتب في "الأشجار واغتيال مرزوق" أو ربما في هذا الموضع "مرزوق واغتيال الأشجار": "لم أرد أن أقطع الأشجار، فأنا الذي غرستها مع أبي، وما زلت أتذكر كل شيء، كان أبي يقول ونحن نغرس الأشجار: يا إلياس هذه الأشجار مثل الأولاد، أغلى من الأولاد، ولا أظن أن في الدنيا إنسانا يقتل أولاده، فاحرص عليها إذا مت. أنا أتركها أمانة في رقبتك، فإذا قطعت شجرة قبل أوانها فإن جسدي في القبر سوف ينتفض... وكنت في الجبل أستغرق في التفكير والحزن، لكن منظر الأشجار لم يفارقني لحظة واحدة. كنت أتصورها واقفة بشموخ لا يقهر وسط السهول الجرداء المتربة. أتصورها تداعب الرياح. تحتضن العصافير. أتصورها أيام الربيع تنفجر بالزهر، وأيام الصيف تتفجر بالثمر. كنت أتصورها مقرورة في الشتاء وقد نحلت وتعرت، وتقترب من الأرض عندما تصفعها الرياح تريد حماية ودفئا."[٤]

---

(١) أم النذور، ص ٥، ٦، ٧.

(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣.

(٣) يسمعون حسيسها، ص ٢١٠.

(٤) الأشجار واغتيال مرزوق، ص ٥٤، ٥٨.

يقترب "منيف" هنا من قصة قصيرة كتبتها "أ. س. ميرسر" A. C. Mercer بعنوان "حديقة الذكريات" Garden of Memories.[1] تدور أحداث القصة حول رجل قرر بيع منزل العائلة، لكن أشجار حديقة المنزل استطاعت أن تجعله يغير رأيه: "شعر الرجل بخيبة الأمل فلم يحقق المنزل سعرا مرتفعا في السوق كما كان يتمنى مع وجود حاجة ماسة إلى بيعه حتى يخرج من الضائقة التي ألمت به. رتب مع المحامي مقابلة بحديقة المنزل في ظهيرة ذاك اليوم حيث عرض أحد عملاء الأخير شراء المنزل مع إضافة قيمة أخشاب الشجر. وصل الرجل إلى المنزل قبل المحامي فراح يتجول في ثنايا الحديقة مطلقا العنان لذكريات أيام الصبا في هذا البيت الذي شب وترعرع به. توجه نحو جدول المياه ليعاينه. فجأة ظهر له طفل صغير ظن في البداية أنه ابن الحارس. بلمحة واحدة أدرك الصبي أن الرجل ليس غريبا عنه. كانت فطرته سليمة تماما كالحياة البرية من حوله. من جانبه انتاب الرجل إحساس لا يخطئ بوجود قاسم مشترك بينه وبين الصبي وبانتماء الأخير إلي المكان كما لو كان نبتة زهرية أو شجيرة غنية بالرحيق... فكيف يتأتي ذلك؟ هل تعيش هنا؟ وجه الرجل سؤاله إلي الصبي. أجاب الصبي بالإثبات ملتفتا في فخر وشموخ إلي المنزل الرمادي فكأنما يقدمه وقد ذاب عشقا فيه.

– تقول حنا أنه منزل عتيق. توجد بالردهة فوق المكتب صورة للرجل الذي بناه وزرع أشجار الأيكة.

– حنا!

بالطبع هناك العديد من الأشخاص الذين يحملون نفس الاسم ومنهم الخادمة العجوز التي قضت نحبها منذ سنين يعجز الصغير عن حصرها والتي كانت تجالس الرجل في صباه وتسرد عليه الأحاديث وتستحوذ على مسامعه بالحكايات.

– نعم. ألا تعرف حنا؟ يمكنك رؤيتها بعد قليل عندما تأتي لتصطحبني. تقول حنا أن الأشجار قد ترعرعت مع العائلة وأن تماسك المنزل وتداعيه مرتبط بانتصاب الأشجار وسقوطها. هل تعتقد حقا أن الجذور تمتد كل هذه المسافة؟

(1) https://www.youtube.com/watch?v=Xsy2E78er-A

صار الرجل يري الأشياء بعيني الصبي. انطوت الحديقة - كما ظلت دوما في ذاكرته - علي الكثير من الغموض والسحر. حقا لم يتغير شيء بل إن التغيير الذي تخيله لم يكن سوي تغييرا عابرا طرأ على نفسه هو وحسب. وضع الصبي يده الدافئة في يد الرجل وانطلقا معا نحو الأيكة كتلميذين هاربين من المدرسة... في صحبة سعيدة وكأنها رفقة السنين.

- هذه حنا.

قالها الصبي وقد انطلق مهرولا باتجاه المنزل متلافيا بالكاد الاصطدام بشخص اجتاز لتوه البوابة.

- من هذا الصبي الذي هرول من دقيقة بين الأشجار الوارفة؟

- طفل؟!

نظر المحامي بارتباك مردفا:

- لم أر أحدا. ليس للأطفال صلة بهذه الحديقة، كما أنه لا يوجد حارس لها. لقد أُغلق المنزل تماما منذ أحد عشر عاما عقب وفاة الخادمة العجوز التي كانت تدعي حنا.

أضاف:

- لقد وافق موكلي على شراء المنزل طبقا للشروط المقترحة في البداية.

استطرد المحامي:

- انه يعتزم الاستثمار العقاري في هذه المنطقة، وبالطبع سيتعين عليه قطع الأشجار.

سرت هبة من الهواء تخللت قمم الأشجار فارتعدت. قاطع الرجل المحامي قائلا:

- آسف لتحملك عناء المجيء إلي هنا، لكني قررت الاحتفاظ بالمكان كما هو بكل ما فيه. أعتقد أن من الخطأ أن تفقده العائلة. يجب أن أدبر أموري المالية دون اللجوء إلى بيعه.

وهكذا استرد الرجل خيالاته الصغيرة عن فترة صباه."(١)

(١) الاقتباس من ترجمة الباحث.

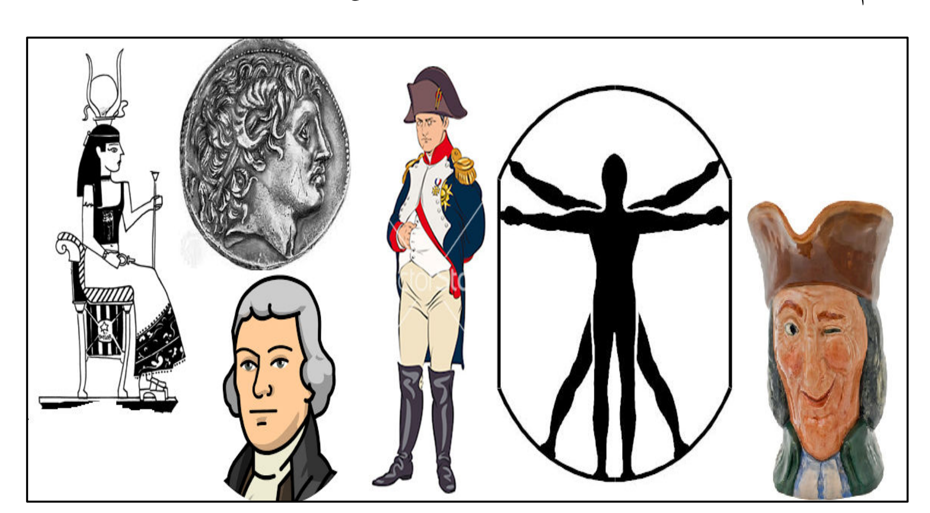
وعندما تقطع الأشجار ينزل البلاء على ساكنيها من العصافير التي لا تملك فعل المقاومة فتُضطر إلى الرحيل إلى أشجار أخرى وتتكبد عناء بناء أعـشاشها مـن جديـد: "العـصافير لا تقاوم، لأنها مجرد عصافير، فقد تضطر لتغيير محل الإقامة، كلما طرأ على أشجارها طـارئ، أو أصابت أعشاشها مصائب... صارت الآن محاصرة في الحديقة الكبيرة، المـشهورة بأشـجارها النادرة... العصافير... دائما لديها حلول أخرى."[1]

(١) وجدي الكومي، إيقاع، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥، ص ١٢.

الفصل الرابع

عقد وأوهام ومتلازمات مستوحاة من شخصيات حقيقية: علماء نفس ورموز تاريخية وفنية وعامة

توهم كابجراس– توهم كوتارد – عقدة فورير – متلازمة كليرامبولت – عقدة كليوباترا – متلازمة ديوجين – عقدة نابليون – متلازمة قس براي – متلازمة مونخهاوزن[1] – عقدة بولبكرت / متلازمة الإسكندر – متلازمة توماس جيفرسون – متلازمة جوبلز – متلازمة إليزابيث تيلور – توهم فريجولي – متلازمة دافنشي – متلازمة جون ترافولتا – متلازمة شاك كاننجهام – متلازمة بوتكين – متلازمة فلورنس نايتنجيل.



توهم كابجراس

حين يتوهم شخص بأن صديقه أو أحد أفراد أسرته أو حتى حيوانه الأليف قد أُستبدل فإنه يعتبر مصابا بتوهم "كابجراس" Capgras Delusion نسبة إلى عالم النفس "جوزيف

(١) أو "مونشهاوزن".

كابجراس".[١] يسمى هذا التوهم بالفرنسية L' illusion des sosies.[٢] عالج الكاتب الأمريكي، "جاك فيني" Jack Finney هذا التوهم في روايته "خاطفي الأجساد" The Body Snatchers، 1955.

أما "نوران سلام" فقد تناولت فكرة تبديل المواليد في روايتها DNA"".[٣] تحليل الشريط الوراثي موجود أيضا في رواية "داخل الغرفة الزجاجية" لمحمد مجدي،[٤] لكن بدافع الابتزاز. يقوم طبيب التخصيب الصناعي بحقن بويضة امرأة بسائله المنوي عوضا عن زوجها ثم ينتظر ستة أشهر بعد أن تتعلق الأسرة بالطفلة ليبدأ في ابتزاز والد الزوجة الذي يشتري سكوته بملايين الجنيهات درءا للفضيحة: "أريد النقود بعد أسبوع من اليوم، تركت هذا الأسبوع لسببين، أولا تحضير المبلغ نقدا، ثانيا حتى تجري فحص الـ "دي إن أيه" DNA، وتتأكد من صدق كلامي... هذه عينة من دمائي، احتفظ بها لتؤكد لك أني الأب البيولوجي لسلمى."[٥]

في رواية "الراقصون على النار" لمحمود النواصرة[٦] نقرأ: "المعلم عبد العال يأبى الذهاب معها ساعة الولادة منذ البنت الثانية، يتركها مع أهلها يتولون شئونها مادامت تنجب إناثا. كشك الولادة مزدحم بالحوامل. الأمهات ينتظرن أدوارهن حسب حالة كل منهن. كبيرة الممرضات تعرف أن هناك بصمة بالقدم للمولود وإسورة تحيط بيده، يُكتب عليها اسم الأم. هي محترفة تتقن التزييف بطريقة تبعدها عن الشبهة. شيطانة تتحرك بين ملائكة. أعماها المال وارتكبت جريمتها أثناء مرحلة التشفيط. لحظة الولادة مباشرة بدلت بالبنت ولدا."[٧]

وفي رواية "أرحام سماوية" نتعرف على "شوربجي" الذي كان يعمل في حضانة لحديثي الولادة بإحدى المستشفيات، وكان مغرما بتبديل الرضع: "قبل أن يصل القطار لمحطة سيدي

---

(١) عالج "محمود ذو الفقار" هذه الفكرة في سيناريو فيلم "امرأة في دوامة"، ١٩٦٢.

(2) Jean Reboul-Lachaux: L'illusion des "sosies" dans un délire systématisé chronique, Bulletin de la Société clinique de médecine mentale, 1923, 11: 6-16.

(٣) دار دون، القاهرة، ٢٠١٥.

(٤) ابن النفيس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.

(٥) داخل الغرفة الزجاجية، ص ٤١.

(٦) كتاب اليوم، القاهرة، ٢٠٠٧.

(٧) الراقصون على النار، ص ١١، ١٢.

جابر أخرجت عطيات عنوان مكتب التخديم والتشغيل. تبتلت للعذراء أن تقف بجانبها وأن تحميها من الذئاب البشرية ومن هم على شاكلة شوربجي. نال هذا الكلب جزاءه على أي حال. ما أحقره حين أعترف أنه كان مغرما بتبديل الرضع حين عُين مسئولا عن إصدار الهويات البلاستيكية لحديثي الولادة وحين عمل لبعض الوقت في حضانة الأطفال المبتسرين! اتضح أنه يعاني من مرض نفسي. رأى أمه تعاشر رجلا غير أبيه. كره أمه وتمنى تغييرها. اضطربت نفسيته ووجد راحة في تبديل الرضع ومن ثم تبديل أمهاتهم. اتضح أنه قام بهذا الأمر مرارا وتكرارا! هذا السافل! كم من أمهات ربت أطفالا ليسوا لهن جراء فعلته القذرة، وحتى لو عرفن أنه قام بذلك فلم يكن من الممكن التعرف على الرضع لعدم وجود تحليل الشريط الوارثي DNA في هذا التوقيت أو لغلو ثمنه. على أي حال، يقولون أن قلب الأم دليلها، وهذا صحيح إلى حد كبير. حين تنازعت امرأتان على رضيع أمام نبي الله سليمان، لجأ عليه السلام لتحليل (الدي إن إيه) الخاص به فأمر أن يُشق الطفل نصفين ويُعطى كل منهن نصف، فصرخت إحداهن متبرئة من بنوته فعلم سليمان الحكيم أنها الأم الحقيقية."[١]

توهم كوتارد

يُنسب "توهم كوتارد" Cotard Delusion أيضا لعالم نفس، وتشير إلى الإحساس الذي ينتاب بعض الأشخاص المصابين بالفصام بأنهم غير موجودين. يُعرف هذا التوهم أيضا بـ "متلازمة مدام صفر" Mme Zero Syndrome.

بطل رواية "غيبوبة بدون جنون" لمحمد الجمل[٢] لديه عقلين في مخه: عقل يعيش الواقع وعقل يهرب منه. في رواية "الهاوية" لسالمة صالح[٣] ينكر البطل وجوده، ربما لأنه يريد أن يختلي بنفسه أو ربما لأنه كان على الحافة "الكوتاردية": "مرة تعرف عليه رجل جلس قبالته في الحافلة فسأله بمودة: هل تسمح لي بسؤال، لقد قرأت مقالك في الجريدة أمس. وليمنع الرجل من الاستطراد قاطعه: لابد أنك توهمت."[٤]

(١) أرحام سماوية، ص ٦٥، ٦٦.

(٢) مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

(٣) منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠١٣.

(٤) الهاوية، ص ١٤.

سطور متفرقة ملتبسة تعبر عن فكرة إنكار الوجود والموت بالحياة والبعث أو بـالأحرى التجدد Regeneration نجدها في رواية "سوسن الفينقـا": "ينتـصب... قـائما في المقـبرة... أتجدد في كفني... أنا لست أنا"،[1] كما نجدها في روايـة "بقايـا امـرأة" لباسـل عبـد الـرحمن ناصر:[2] "كنت خلال هذه الفترة مثل أشلاء مبعثرة، تتجمع فيعاد خلقي، كأنني حطام يعود لما كان عليـــه."[3]

من رواية "الحمراوي" لرمضان الرواشدة[4] نقرأ هذه الكلمات: "عندما وصـلت المـرآة ونظرت فيها.. صعقت من هول ما رأيت.. لم أكن أنا الـذي أراني."[5] ومـن روايـة "النـاس الأكابر" ليوسف جوهر[6] نقرأ: "حانت منها التفاتة إلى المرآة فأنكرت وجهها.. أحست أنهـا بحاجة إلى قناع تخفي وراءه اضطرابها.. لجأت في عجلة إلى مساحيق التجميل وأحمر الـشفاه.. حسبت أن الماكياج أسعفها بالقناع الذي تريد."[7]

في رواية "إبراهيم نصر الله" براري الحمى"[8] نجـد نموذجـا جيـدا لهـذا الـوهم. بطـل الرواية مدرس ذهب لدولة خليجية ليتكسب عيشه كمعلم. هناك أدرك أن بيداء قلبـه وقفـر روحه وفلاة نفسه أكبر من أي صحراء، وأن المفازة بعيدة المنال. اختلط عليـه المـوت والحيـاة فلم يدر إلى أيهما ينتمي: "يبدو أن أكثر من يد قد طرقت الباب. وأكاد أقسم على ذلك، لم يكن نومي غزلانيا ولا صحوتي أيضا... خمسة كانوا، هذه هي الحقيقة الوحيدة، خمسة بلا ملامـح، الظلمة حالكة والمدى فراغ. صحراء تزحف باتجاه العتبـة... مجـرد أن قـالوا لي أننـي مُـتُّ... فكرت سريعا، باحثا عن أسهل طريقة تعيد إليّ توازني، غافلتهم وتحسـست نـبض يـدي، ثـم زحفت أصابعي خلسة إلى صدري، كل شيء يسير على ما يـرام، قلبـي ينـبض وأوردتي تـردد صدى دبيبه، ولست أدري ما الذي دفع بطاحونة الحاج أبو عزمي إلى مخيلتي، بـل إلى طبلتـي

(١) محمد خريف، مجلة الكلمة، العدد ٥٣، سبتمبر ٢٠١١، ص ٧، ٧٣، ١١٨.
(٢) دار الهاني الثقافية، غزة، ٢٠٠٦.
(٣) بقايا امرأة، ص ١٩٧.
(٤) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢.
(٥) الحمراوي، ص ١٧.
(٦) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.
(٧) الناس الأكابر، ص ٢٤٠.
(٨) دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٢.

أذني بالتحديد. بب. بب. بب. سأكتفي بهذا الدليل الذي سيقطع ألسنتهم، ولوحت بذراعي في وجوههم فرحا. قلت: قلبي ما زال ينبض. قالوا بصوت رجل واحد: هذا لا يعني أنك حي!... وبسرعة تحسست ذاكرتي فوجدتها تعمل... ثم امتدت يدي فتحسست الهواء يخرج من فتحتي أنفي، شهيق، زفير... كيف يمكن أن أكون ميتا، وأحدثكم في نفس الوقت، ها؟ وعبثا حاولت عيناي البحث عن ملامحهم... تحركت رؤوسهم لتواجه بعضها البعض، وقالوا بدهشة: الرجل لا يصدقنا، وأقسموا يمينا غليظة أنني قد مت بعد الغروب تماما."[١]

المصابون بهذا التوهم يتنابهم أيضا شعور بأنهم تعفنوا أو أنهم فقدوا دمائهم أو أعضائهم الداخلية. تضم رواية "الشرارة" Spark لجون هوكس John Hawks والتي خرجت للنور عام ٢٠١٤ شخصية مصابة بهذا التوهم. في رواية "المرحوم" للكاتب "حسن كمال"[٢] يكتشف طالب الطب أن عامل المشرحة شخصية مركبة وأن وجوده في المشرحة حتمي ليُكمل أعمالا لم يستطع الموتى انجازها حتى ترتاح جثثهم. ثم هو يعلن أن لديه القدرة في الحلول بأجساد الموتى وتقمصهم ولبسهم.

جزء من "توهم كوتارد" يرتبط إذن بعدم قدرتك على البت في كونك ميت أو على قيد الحياة. من رواية "حلم الشفق" لجيلالي خلاص نقرأ:[٣] "يبدو أن عقلي وحده هو الذي ما يزال حيا، فحتى عيناي لا تطاوعاني لفتحهما.. كما أن أعضائي المتخاذلة تُشعرني بأني صرت مجرد خرقة قطنية."[٤]

كما يرتبط أيضا بفقدان الهوية أو لنقل عدم القدرة على تحديد هويتك أو هوية من حولك، والأمر ليس له علاقة بالخبل أو فقدان الذاكرة أو "الزهايمر" كما قد يتخيل البعض، بل بالبعد النفسي الفلسفي. عبرت الشاعرة الأمريكية "إيملي ديكنسون" عن هذه الفكرة ببيت شهير تقول فيه I'm Nobody أي "أنا لا أحد"، واقترب منها "أحمد عبد المعطي حجازي" في قوله "هذا الزحام لا أحد"، وأكد "حسين البرغوثي" هذا المعنى في روايته

---

(١) براري الحمى، ص ٦، ٧، ٨.

(٢) دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣.

(٣) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦.

(٤) حلم الشفق، ص ١٠.

"الضفة الثالثة لنهر الأردن بقوله: "سألته: من أنت؟ فقال: أنا لا أحد! قادم من لا مكان! أبحث عمن يشرب القهوة في الليل معي."(١)

في رواية "علي المقري" "بخور عدني"(٢) نقرأ: "الشخص الذي تعرفينه لم أعد أنا هو، وأنت لست أنت... فإذا صرت غير الذي كنته، فقد صار كل الذين ارتبطوا بي غيرهم... ما يهم إذا قلت إنني جون من مارسيليا، أو جان من روان، أو باتريك من لندن... لم أعد في الحقيقة أقوى على تجميع ملامح هذه الهوية أو تشخيصها... أسأل نفسي: فرانسوا أم ميشيل؟ لقد صرت أصدق نفسي، حينا أنني من لندن وحينا آخر من نيويورك، أو من فلورنسا أو من مارسيليا... أنا أي شيء قلت مجيبا على سؤال موظف فندق كريسنت بالتواهي عن هويتي؛ لكن هذا الاسم لم يُقبل."(٣)

في رواية "الشاهدات رأسا على عقب" لراهيم حساوي(٤) لا يجد البطل ملامح وجهه في المرآة: "مسحت المرآة المعلقة على الحائط كي أرى وجهي المبلل بالماء... بقيت أنظر في المرآة، وكان وجهي يبدو أمامي قطعة واحدة خالية من التفاصيل."(٥) ومن رواية "بشرى أبو شرار" "العربة الرمادية"(٦) نقرأ: "أبحث عن ملامح وجهي في كل المرايا، لم يعد ما يشبهني."(٧) وفي رواية "خيوط القدر" نقرأ: "وقفت أمام المرآة لأكثر من دقيقة، لكن لم أجد نفسي. يبدو أن مرآتي سريالية أو أن صورتي كالنيجاتيف تحتاج إلى وقت ومواد كيماوية وربما عوامل وسيطة كي يظهر انطباعها في الوجود. لشد ما أكره أن أكون كم مهمل، صفر على الشمال، على الهامش، كتلة هلامية، مبني للمجهول، نكرة، إمعة، خيال مآتة، لا شيء. ارتديت نظارتي ومسحت المرآة التالفة فظهرت ملامح وجهي. وصل إلى أذني من منور العمارة صوت عبد الوهاب وهو يغني: كل ده كان ليه لما شفت عنيه. ظلت هذه الأغنية عالقة

(١) الضفة الثالثة لنهر الأردن، ص ١٢.
(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.
(٣) بخور عدني، ص ٧، ٨.
(٤) دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.
(٥) الشاهدات رأسا على عقب، ص ٣٣.
(٦) دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٥.
(٧) العربة الرمادية، ص ٨٧.

في أذني لفترة طويلة. يسمون هذا الظاهرة "لازمة" Earworm.[١] توجهت نحو غرفة نـومي لارتداء ملابسي. فتحت النافذة فوجدت كالعادة حشد من البشر يسيرون مثل النمـل في كـل اتجاه. وتذكرت كما أفعل كل صباح قول الشاعر، "دعبل الخزاعـي": إني لأفـتح عينـي حـين أفتحها / على كثير ولكن لا أرى أحدا."[٢]

وأخـيرا فـإن ظـاهرة "الزومبـي" Zombie أو "متلازمـة الجثـة الـسائرة" Walking Corpse Syndrome التي تنحدر من الفولكلور الكاريبي تدين بوجودها لتوهم "كوتارد". ومن الذين رصدوا الظاهرة في القص العربي "علاء محمود" في "عويل الأشباح"[٣] و"غـادة السمان" في روايـة "سـهرة تنكريـة للمـوتى".[٤] في روايـة "أسـطورة ليلـة المـيلاد" لتوفيـق المبيض[٥] ينهض الموتى ويخرجون من قبورهم حاملين شواهدها. وفي رواية "لعنة الواقـف" كتب "بسام شمس":[٦] "راج الخبر في قريتنا بأن الموتى لا تخرج من مراقـدها إلا في الظلمـة، وهكذا اضطررنا إلى تغيير جدول أعمالنا."[٧] ومن رواية "مقبرة الإنجليـز" لعـلاء شـاكر[٨] نقرأ: "موتى بأعداد لاحصر لها. أجسادهم مهشمه تنضح دما قانيـا. إنهـم في موكـب مهيـب يغادرون مقبرة الانكليز متجهين صوب جسد المدينة المثخن بالجراح وروحها الميتة في تظاهره غريبة."[٩]

عقدة فورير

تُنـسب "عقـدة فـورير" Fourier Complex إلى عـالم الاجـتماع الفرنـسي، "شـارلز فورير"Charles Fourier ، وكان من أكثر المؤمنين بقضية المـساواة بـين البـشر في كـل شيء.

---

(١) أو "متلازمة الأغنية العالقة بالذهن" Stuck Song Syndrome.

(٢) ص، ٤٤، ٤٥.

(٣) http://mybook4u.com/component/ars/download/download/1640

(٤) منشورات غادة السمان، بيروت، ٢٠٠٣.

(٥) دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٧.

(٦) مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠١٤.

(٧) لعنة الواقف، ص ٥٢.

(٨) دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤.

(٩) مقبرة الإنجليز، ص ١٠٢.

يتمنى المصاب بهذه العقدة أن يحل الفقر أو المجاعة على الناس جميعا حتى يتحقق العـدل مـن باب "المساواة في الظلم عدل".

يمر الشخص المصاب بهذه العقدة أولا بحالة شبيهة بتلك التـي انتابـت "روبـين هـود" Robin Hood حين قرر أن يسرق الأغنياء ليعطي الفقراء. وفي قيامه بهذا الأمر يُسدي خدمة للدولة فبالرغم من أنه يخلق لنفسه قانونا خاصا إلا أنه يخلص البلاد مـن المفـسدين الـذين لا يتورعون عن سرقة الحكومات نفسها كما كـان يفعـل "شريـف نوتنجهـام" في ذات القـصة، والـذي تـرك لنـا "متلازمـة شريـف نوتنجهـام" Sheriff of Nottingham Syndrome للتدليل على الشخص الذي يجبي من الناس ضرائب أكثر مما تطلبه السلطات ثـم يـورد إليهـا النصف فقط.

والتي غدت تأخذ أشكالا مختلفة في عصرنا الحديث كمن يعطي تذكرة الباص أو القطار لآخر في صورة من صور الانتقام من الحكومة الفاشلة، أو من يرفع كتابا على الشبكة الدوليـة للمعلومات ليقرأه من لا يستطيع تدبير ثمنـه.. إلى آخـره. عـن طريـق هـذه الوسـائل يخلـق الشخص المصاب بعقدة "فورير" لنفسه آلية لإعادة توزيع الثروة، وربما اشترك هذا المبدأ مـع مناهج أخرى كمشاطرة من تظهر عليه ملامح الثراء في نصف ماله، وهو الـنهج الـذي طبقـه "الفاروق عمر" والاشتراكية على نهج "أبي ذر" والتـأميم الـذي لجـأ إلـيهما "عبـد النـاصر" واحتلال الدول النفطية كما فعل "صدام" في الكويت.

في رواية "لونجة والغول" تسأل "زهور ونيس":[١] "أليس من العدل أن يتداول الناس على الفقر والغنى؟"[٢] يجمل "روبير الفارس" الحديث عـن هـذه المتلازمـة ومـا تحـوي مـن أفكار نبيلة في عبارة واحدة وردت في روايتـه "جـومر":[٣] "مـا دام في الأرض جـائع فأنـت لص."[٤] في ملحمة "الحرافيش" لنجيب محفوظ، يقوم عاشور الناجي بأخـذ الإتـاوات مـن الأغنياء ويعطيها للفقراء، كما قام "فتح الباب" بسرقة مـال أخيـه وتوزيعـه عـلى الفقـراء. في

---

(١) منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٣.

(٢) لونجة والغول، ص ٩.

(٣) وكالة سفنكس، القاهرة، ٢٠١٢.

(٤) جومر، ص ٩.

رواية "اللآلئ" لعبد الله خليفة[1] يحث "علي" زملائه من غواصي اللؤلؤ على توزيع الحصيلة بالتساوي عليهم نكاية في "النوخذة محمد سرحان" الذي يتعسف في تشغيلهم وقهرهم.

في رواية "الغائب" كتب "أنيس بن عمار"[2] مستحضرا، ربما تعطيل حد السرقة في عام الرمادة أو "رغيف هوجو" في "البؤساء": "كان لنا اعتقاد راسخ حتى ذلك اليوم بأننا لم نكن نسرق أحدا. وبأننا كنا نمارس حقنا الشرعي في العيش. وبأننا كنا نستوفي ذلك الحق بالانتقام من أهالي هذه المدينة التي أوصدت أبواب فرص العمل في وجوهنا. حتى ذلك اليوم، لم نكن نشعر بدناءة اللصوص. حتى ذلك اليوم، لم نكن نرأف لرعب الضحايا."[3]

وفي رواية "حنا مينه" "شرف قاطع الطريق"[4] نقابل الشخصية "الروبنهودية" التي تحارب الظلم بشهامة ونبل بالرغم من كونه قاطع طريق. ومن رواية "شفاه غليظة" لمحمود تيمور[5] نطالع الحوار التالي:

- "لماذا تتمتعون أنتم بالمال، وفقيرة مثلي لا تلقى ما يسد الحاجة؟
- عدنا إلى الاشتراكية!
- أنا لم أسرق.. إني أنال حقا مشروعا.. إني أعيد إلى طبقتنا المهيضة الجناح بعض ما سلبتموها من رزق!"[6]

ومن ملامح "الروبنهودية" التشارك في المرأة، ربما كما تفعل بعض القبائل في الهند. نقرأ من رواية "محمود السعدني" "حتى يعود القمر":[7] "الخواجا فرانشيسكو الايطالي الوسيم ابن الثلاثين ربيعا، والذي تؤكد الإشاعات أنه عشيق مدام ريتا، ولكنه عشيق طيب، يؤمن بأن مدام ريتا شيء نفيس كالماء والهواء.. يجب أن تكون للجميع."[8] ومن رواية "خيوط

---

(١) دار الفارابي، بيروت، ١٩٨١.
(٢) المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
(٣) الغائب، ص ٣٩.
(٤) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٤.
(٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.
(٦) شفاه غليظة، ص ٢٠.
(٧) روزاليوسف، القاهرة، ١٩٦٤
(٨) حتى يعود القمر، ص ٤٨.

القدر" نقرأ حول نفس الفكرة: "لو كان ممن يصنعون القرار في مصر لأمم هذه الفتاة كما فعل عبد الناصر بقناة السويس. ما أشبه رواء بالقناة، فكما أن القناة لنا وليست لنا كانت رواء فتاة الجميع وامرأة لا أحد."(١)

وكما لدينا "روبين هود"، سارق الأغنياء من أجل الفقراء، لدينا "روبين هود" القاتل الذي يفتك بالطواغيت ليُجنب الأبرياء الهلاك. من رواية "إبراهيم المحلاوي" "دارغونوف"(٢) نقرأ على لسان القناص: "يجب أن تعرفوا شيئا مهما.. أنا لا أصيب أحدا بدون سبب، ودائما ما يكون لدي العديد من الأسباب.. أنا لا أقتل لمجرد القتل، بل أقوم بواجبي تجاه قضيتي في تحرير الشعب من هذا النظام الاستبدادي.. كل شخص أقتله هو مشروع قاتل لملايين الأطفال والنساء والأبرياء.. أنا أزهق روحا كي أنقذ عشرات الأرواح."(٣)

وتتجلى "عقدة فورير" في أعظم صورها حين يحاول حارس براد الموتى أن يسوي بين فقيهم وغنيهم، أو يقتص للفقير من الغني كما جاء في رواية "حارس الموتى" لجورج يرق:(٤) "كان ذلك خارجاً عن إرادتي. وكثيراً ما سخرتُ من جثة يرتدي صاحبها بذلةً وربطة عنق ولا يزال العطر الفاخر يفوح منها. تبدو الجثة المتأنقة متعالية على سواها. أو هكذا أراها أنا. أرى الجثث الأخرى ذليلة مقارنة بها. فأرفع قدم جثة بائع العلكة، وأضعها على صدر الجثّة المتأنقة، أو أفعل أيّ شيء كي يستقيم ميزان العدالة."(٥)

متلازمة كليرامبولت

أخذت متلازمة كليرامبولت أو "كليرامبو" De Clerambault Syndrome اسمها من عالم نفس فرنسي(٦) قام بتوصيفها عام ١٨٨٥. تشير المتلازمة إلى شخص، عادة ما يكون

(١) محمد عزب، ص ٤٨.
(٢) الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
(٣) دارغونوف، ص ٢٦ -٢٧.
(٤) منشورات ضفاف - منشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر، ٢٠١٤.
(٥) حارس الموتى، ص ١٩٤.
(6) Gaëtan Henri Alfred Edouard Léon Marie Gatian de Clérambault.

فتاة شابة، تعتقد أن شخص ذو وجاهة اجتماعية يحبها ويتعقبها. في أحيان كثيرة قد يكون هذا الشخص وهما وغير موجود بالمرة "متلازمة الحبيب الوهمي" Phantom Lover Syndrome.

في أحيان أخرى يكون الشخص موجود فيسعى المصاب بالمتلازمة إلى ملاحقته. كثيرا ما نسمع عن فتى يتعقب فتاة. يُسمى هذا باللغة الإنجليزية Stalking وتجرمه قوانين بعض الدول وتجبر المتعقب على كتابة تعهد بعدم تكرار ذلك. هناك أيضا من يتتبع المشاهير، خاصة من نجوم السينما والفن Celebriphilia، حتى ولو كان هذا التتبع مجرد تقفي لأخبارهم ومشاهدة أفلامهم. يُصنف المهووسون بالمشاهير بأنهم مصابين بـ "متلازمة عبادة المشاهير" Celebrity Worship Syndrome. كتب "إبراهيم نصر الله: في روايته "حارس المدينة الضائعة":[1] "وجد نفسه وجها لوجه مع أجمل ممثلات العصر، دومينيك ساندا، لقد سبق وأن شاهدها في فيلم آخر قبل سنوات، لكنه قرر ألا يراها بعد ذلك أبدا. كانت جميلة إلى درجة لا تحتمل. وقد كانت ثلاثة أيام بعد مشاهدته لفيلمها ذاك، كفيلة بأن تجعله يدرك حجم المشكلة التي أوقع نفسه فيها. اصفر ونحل ووهن جسمه، غارت عيناه وضعفت ساقاه، بعد ثلاث ليال لم يتوقف عن الحلم بها، تلك الأحلام التي لا يجوز التحدث بها، حتى مع النفس نفسها."[2]

عالجت السينما العالمية هذا النوع من الحب المهلك.[3] وحديثا نتح ما يعرف بالتعقب الإليكتروني Cyberstalking. في الحالتين على أي حال يعاني المتعقب من أعراض نفسية تدفعه للقيام بهذا التتبع. في كتابه "الخلط بين الحب والتملك" أوضح "چون مور" أن هناك نوع من الحب يبدأ بالإعجاب والشغف ثم الهوس والتملك وقد ينتهي بالتدمير.[4]

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨.

(٢) حارس المدينة الضائعة، ص ٢١.

(٣) على سبيل المثال لا الحصر Fatal Attraction، 1987.

(٤) راجع كتاب John Moore, Confusing love with obsession والذي شرح فيه هذه الدائرة أو ما يسمى بـ Obsessive Love Wheel.

نقابل هذه الشخصية في رواية "رانيا السعيد" "هوس".[١] فتاة تلاحق فتاة لا بدافع الشذوذ أو ما شابه، بل لأن المرأة التي يتم تعقبها هي زوجة طليقها. في رواية "عرعار محمد العالي" "البحث عن الوجه الآخر"[٢] يلاحظ البطل أن شخصا غريبا يتبعه كظله منذ أيام. وفي رواية "حيدر حيدر" "وليمة لأعشاب البحر"[٣] نقرأ: "يحس الرجل بأنه مطارد، وأن شخصا ما يتعقبه. رجلا لا يعرف ملامحه بدقة. كان ينتظر المفاجأة في المنعطف القادم، وكانت هناك منعطفات كثيرة في هذه المدينة المتوحشة التي فقدت أمنها. إنه يخطو مسرعا. متوجسا أبدا، متأهبا أبدا. كان الخوف يسري هناك في الفقرات التي ستتلقى الضربة من يد تتأهب لتطعنه من الخلف."[٤]

عقدة كليوباترا

تشير "عقدة كليوباترا" Cleopatra Complexإلى النساء اللاتي يتم تقديرهن نظرا لجمالهن، وليس على أساس ذكائهن، وبعبارة أخرى النظر إلى فرج المرأة وليس عقلها؛ واعتبارها مجرد آلة للجنس واختزالها في "وعاء للمتعة."[٥] يرى غالبية الناس أن الملكة المصرية المشهورة استخدمت أنوثتها لتحقيق مكاسب سياسية، بينما تم غض الطرف عن ذكائها المتقد واهتمامها بالرياضيات والفلك ومعرفتها بالعديد من اللغات. نادرا ما نسمع أن الرجال ينجذبون للمرأة من باب عقلها وحكمتها وحصافتها، فعين الرجل هي آلة التقييم والجمال الحسي هو معيار الجذب لديه.

ومن هنا ظهرت فكرة ملكات الجمال Beauty Queen والوصيفة الأولى والثانية وخلافه. في رواية "العشق الدمشقي"[٦] نقرأ عن واحدة من هؤلاء الملكات رغم أنها لم

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.

(٢) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠،

(٣) ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٨.

(٤) وليمة لأعشاب البحر، ص ١١.

(٥) مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي – سيكلوجية الإنسان المقهور، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٢٩.

(٦) دياب عيد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.

تتقدم لأي مسابقة: "من بعض مصائب المرأة في بلادنا أن تكون جميلة، أن تكون قبيحة مصيبة كبيرة أكبر. المقبولات أو اللواتي في حدود الوسط وفوق الوسط بقليل هن المتمتعات بحياة طبيعية. أنا أعرف ذلك وأعيشه كل يوم. كل لحظة. فقد شاءت عراقة الأسرة وأملاكها والسيولة المادية أن يستطيع أبي القادم من أقصى الشمال الشرقي في سورية الزواج من (عفيفة زيات) التي هي أمي وهي تصلح وحدها لتكون ملكة جمال المخلوقات على مر العصور."(١)

يقرن "حسن نور" هذا الجمال في روايته "دوامات الشمال"(٢) بحور الجنة: "من البعيد التقطت أنفي رائحة عطر لم أشم مثله في حياتي.. أجمل آلاف المرات من... الصندلية التي تدلك بها العروس جسدها ليلة عرسها.. وقع أقدام يقترب.. الله.. الوجه وردي، مستدير كما البدر، والشعر حوله كما الهلال يؤطره.. من هذه؟ حورية من حوريات الجنة الوارد ذكرها في سورة الواقعة؟"(٣)

في رواية "صدفة بتجمعنا" نقابل "هالة" وجمالها الأسطوري الذي يخلب عقل "سيف"، والذي لا يستطيع اختبار ما هو أبعد من ذلك في اللقاء الأول بطبيعة الحال: "أما هالة فقد نشأت لأسرة سكندرية ميسورة الحال. حصلت على تعليم فوق المتوسط، لكن حسنها الفائق والمذهل كان مؤهلها الحقيقي. إذا كان لكل من اسمه نصيب كما يقولون فنصيب هالة من اسمها كثير. هل سمعت عن الجمال الذي يخلب اللب ويلحس العقل؟ هذا هو جمالها. كل الكلمات والعبارات التقليدية التي استنبطت لوصف المرأة كالتقاطيع المسمسمة وقمر أربعتاشر والبدر ليلة كماله وكعب الغزال وغصن البان وخد الرمان والقد المياس وبياض شق اللفت والبق اللي قد النبقة والسنان اللي زي اللولي والحواجب سبعات تمانيات ووسط الكمنجة أو الساعة الرملية والرقبة اللي زي الجُمار انتحرت أمام بهائها. كانت مثل فلقة القمر. لو أخذت مفاتن نساء الدنيا كلهن أو أخذت من كل فاتنة أفضل ما فيها وأدخلت كل هذه البيانات إلى جهاز الحاسب وطلبت منه أن يركب الصور لكانت هالة. كانت كما قال العرب: هيفاء، فرعاء، جيداء، لفاء، حوراء، دعجاء، نجلاء، ملساء، ردماء، كحلاء، غيداء،

(١) العشق الدمشقي، ص ١٧٥.
(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧.
(٣) دوامات الشمال، ص ٤٨، ٤٩.

لمياء، بلجاء، شماء، زجاء، دعساء وكل ما على وزن فعلاء من نعوت الحسن والبهاء. خلق الله الجمال ووزعه على نساء الأرض فحظيت بعضهن بالشعور السايحة وأخريات بعيون المها والأصابع الدقيقة والبشرة البضة والخدود الوردية والخصور النحيفة والنهود المرتفعة والسيقان الملفوفة والكعوب الممتلئة. كان كل هذا بعضا مما تملكه هالة. كان جمالها مخيفا مهيبا. انتشرت صورها على أغلفة المجلات وهرع الشباب إلياقتناءها خاصة تلك الصورة التي تشم فيها بأنفها الذي يشبه أنف صوفيا لورين زهور النرجس البرية علي تلال بلطيم. ما هذه الشفاه الممتلئة بالكريز؟! ما هذي الأسنان التي تشبه لوز القطن؟! انظر إلي دقة الحسن لديها وانظر إلى رقبتها المشرئبة وانظر إلي أذنيها الصغيرتين وإلي حاجبيها الدقيقين ورموشها الطويلة وجبهتها الناصعة ثم أخبرني: هل شاهدت يوما امرأة بهذا الحسن؟ ضع ڤينوس مع أفروديت وإيزيس وعشتار وشهرزاد وأرمنوسة وخذ أجمل ما في هيلين الطروادية وليلي العامرية وإستير اليهودية وكليوباترا البطلسية ونفرتيتي الفرعونية وبلقيس وعائشة بنت طلحة وهند بنت المهلب وقطر الندي بنت خمارويه وإليزابيث تايلور وفيفيان لي وجريس كيللي وانجريد برجمان وكاترين دي نيف، وضع حسن الهند مع جمال الشام ومفاتن البلقان ونساء الخليل وبنات المنصورة لتكتشف أنه نقطة في بحر جمالها. اختزلت الجمال... فجمعت عود الفرنسيات وسيقان البولنديات وأرداف اللاتينيات وعيون السعوديات ودلع المصريات ورقة اليابانيات."[1]

لقد حرمت هذه النظرة المرأة من التمكين في العديد من المجتمعات التي لا تراها إلا في المنزل والفراش، أو معلمة في مدرسة بنات. لم تُجرب في مجالات الإدارة العليا والحكومة التنفيذية.[2] في عملها شبه الروائي عن الحركة الطلابية، "المبتسرون"، أدانت "أروى صالح" هذا التوجه.[3] أما "حنا مينه" فقد نجح في تقديم الشخصية المطلوبة في روايته "المرصد".[4] "رباب"، بطلة الرواية رفضت أن يعاملها الرجال على أساس سماتها الأنثوية،

---

(١) صدفة بتجمعنا، ص ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٢) عالج "علي الزرقاني" هذه الفكرة في سيناريو فيلم "الأستاذة فاطمة"، ١٩٥٢.

(٣) مكتبة طريق العلم، القاهرة، ١٩٩٧.

(٤) دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣.

بل كامرأة مستقلة يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها، ويمكنها إدارة المواقف الصعبة بحكمة وحنكة. فهاهي تطلب من الجندي المصاب أن يتكأ عليها فيستشعر الأخير – رغم جرحه – الحرج، لكنها تقول له بنبرة حازمة: "أنا قوية بما يكفي، استند عليَ"[1] وكأن "مينه" يبعث على لسانها رسالة للأجيال القادمة أن تلك المرأة هي ما نحتاج. المرأة المثقفة الذكية القوية التي يمكن الاعتماد عليها.

في الحقيقة يروق لبعض الرجال النظر إلى المرأة من هذا جانب الفتنة الأنثوية والغواية الشيطانية وحسب كما أوقعت "كليوباترا" "أنطونيو" في حبائلها. في أحيان أخرى يشعر الرجل بأنه من اكتشف هذا الجمال أو بالأحرى من أظهره ونمقه ولمعه تماما كما في مسرحية "سيدتي الجميلة" My Fair Lady للكاتب "بيرنارد شو" George Bernard Shaw حيث شعر السيد "هنري" أنه من صنع "إليزا" Eliza وانحصر اهتمامه بها لجمالها ورشاقتها وخفتها، لكنه لم ينظر إلى ذكائها وفطنتها، لسان حاله يقول: "أنا من سواك كأفروديت" Aphrodite،[2] ولله المثل الأعلى فهو وحده الخالق.[3] في الرواية العربية عالج "إحسان عبد القدوس" هذه الفكرة في قصة "الراقصة والطبال"[4] فالبطل "عبده" هو من صنع "مباهج"، راقصة الموالد ودفع بها بطبلته إلى حفلات صفوة المجتمع والكازينوهات الفاخرة. تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة بيجماليون" Pygmalion Syndrome.

(١) المرصد، ص ٣٠٦.
(٢) إذا قلبنا الآية وافترضنا أن المرأة هي من تصنع مستقبل الرجل نقابل "يولند" في رواية "إحسان عبد القدوس" "الخيط الرفيع" والتي تخبره في نهاية الرواية: "صنعت منك إنسانا بعد أن كنت مسخا." (مطبوعات أخبار اليوم، القاهرة، ، ١٩٩٧، ص ١٢٣.) أما قصة النحات وخلق التماثيل ودبيب الحياة فيها فقد صاغها "أحمد عبد اللطيف" في رواية "كتاب النحات" (دار آفاق للنشر، القاهرة، ٢٠١٣).
(٣) عالجت السينما المصرية قصة "بيجماليون" في فيلم "بياعة التفاح"، ١٩٣٩.
(٤) في "آسف لم أعد أستطيع"، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٠.

متلازمة ديوجين

حين يهمل شخص نفسه ويميل إلى العزلة الشديدة ويعتقد بقرب زوال العالم مع إيواء الحيوانات الأليفة[(١)] والميل إلى الخرف يوصف بأنه مصاب بمتلازمة "ديوجين" Diogenes Syndrome ، إشارة إلى الفيلسوف اليوناني العدميNihilistic المعروف الذي اعتاد التجول في "أثينا" حاملا مصباحه والنوم في برميل نبيذ كبير، والذي ورد أنه أغلظ الرد في حواره مع "الإسكندر الأكبر". تُسمى المتلازمة أيضا "بلايشكن" Plyushkin's Syndrome نسبة إلى إحدى الشخصيات في رواية "جوجول " Gogol "أرواح ميتة" Dead Souls، كما تُسمى أيضا "هافيشام" Havisham Syndrome نسبة إلى شخصية هذه السيدة التي ظهرت في رواية "ديكينز" "آمال عراض" Great Expectations، كما تلامس المتلازمة حدود شخصية "دوليتل" Doolittle، والد "إليزا" في رواية "بيجماليون".

شكل رقم (٧)
متلازمات العدمية



---

(١) يُعرف إيواء الحيوانات بـ"متلازمة نوح" Noah Syndrome (Noah Syndrome: A Variant of Diogenes Syndrome Accompanied by Animal Hoarding Practices, Journal of Elder Abuse & Neglect, 2015;27(3):270-5. doi: 10.1080/08946566.2014.978518. Epub 2014 Nov 14.).

في واقع الحياة نرى هؤلاء الأشخاص ممن يُسمون في بلادنا بأصحاب الطريق يهيمون على وجوههم وعلى ملابسهم الوسخ. يلتحفون السماء ويلبسون الخيش ويطلقون العنان للحاهم وشعورهم.[١] هناك أيضا من يطلق عليهم "أهل الله وخاصته". في الواقع لقد أضافت الثقافة الإسلامية لمتلازمة "ديوجين" هذا البعد المرتبط بالزهد في الدنيا والبعد عن مباهجها، وكان حريا بنا أن نقدم للعالم هذا النموذج في شكل متلازمة نطلق عليها مثلا "متلازمة بشر الحافي" أو "متلازمة ذو النون المصري" أو خلافه.

في روايتها "عذراء وولي وساحر" وصفت "سارة الجروان الكعبي"[٢] هذا النموذج قائلة: "صرخ صرخة أتت على طباق قلبه فقحمته. نهض متثاقلا جهة مخدعه، صومعته التي يمضي فيها عزلته وتوحده مع خالقه... كان لا يعدو كونه مأوى حقيرا جدرانه رطبة متشققة، وأرضيته رمال خشنة باردة تنتهي إلى قطعة حصير مهترئة ودثار ممزق من صوف خشن، وفي ركن قصي من المخدع اتخذ موقدا صغيرا تناثرت حوله رزم حطبة، وقدر نحاسية مقعرة إلى جانب أوعية خشبية حافظة لدقيق خشن وملح وخل، وآخر به قطعة من خلية عسل مفرغة من بيضها ولم تعصر بعد. في أقصى الجهة الشمالية من المخدع بناء من طين وجص به فتحة تنتهي بمكان قصي من أعلى الجبل يتخذها مغسلا وطهورا، اتجه لها مباشرة ودون أن يخلع ثيابه تناول المغراف الذي يغترف به الماء فصبه على جسده المرتجف وثيابه الدنسة، فتلوى بلطمات المياه المخاتلة في الجليد ذات يوم شتائي قارس."[٣]

تطلق "أمنية طلعت" على هؤلاء الناس لفظة "المجانين": "رأيت المجانين الذين يكلمون أنفسهم وهم غارقون في أسمالهم المزيتة الممزقة، أجسادهم التي لم تمسها المياه منذ سنين."،[٤] تكرر "أسماء الزرعوني" فكرة الخبل في روايتها "شارع المحاكم":[٥] "مهيرة

(١) عالجت "أسماء البكري" "متلازمة ديوجين" في سيناريو فيلم "شحاذون ونبلاء"، ١٩٩١. "جوهر"، أستاذ جامعة يدرس التاريخ، يقرر فجأة ترك عمله حين اكتشف زيف التاريخ. آوى إلى حجرة مهدمة عارية، لا تصلح حتى للحيوانات، وفيها افترش الصحف للنوم عليها، ودخل في حالة من العدمية والرفض.

(٢) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.

(٣) عذراء وولي وساحر، ص ٢١، ٢٢.

(٤) طعم الأيام، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٣٢.

(٥) إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١١.

الخبلة... أصيبت بالجنان من فراق حبيبها، اختل عقلها، أصبحت تنام في الطرقات بملابسها البالية، ولكنها لم تؤذ أحدا، اتخذتها النسوة مصدر خوف لأطفالهن."[١]

لكن يصعب في الحقيقة التصديق بأن كل هؤلاء الأشخاص من البهاليل والمهابيل والمجاذيب الذين نقابلهم مجانين فمنهم العدمي الذي لا يريد أن يخرج من البرميل مثل "ديوجين" ومنهم الدرويش المتصوف ومنهم "الهليهلي" ومنهم "عبيط الحارة" الذي يقذفه الصبية بالحجارة كما حدث مع "نبوية" في رواية "البحث عن بندقية" لعبد الستار خليف.[٢] في المسلسلات المصرية خاصة تلك التي تصور الريف تظهر هذه الشخصية التي غالبا ما يضع المؤلف على لسانها تنبؤات المستقبل كالعراف في مسرحية شكسبير "يوليوس قيصر" Julius Caesar، بل ومنهم طائفة من المتسولين والمعوزين عن حق والذين كتب عنهم "محمد ديب" في روايته "النول":[٣] "على أن هؤلاء المتسولين لعبن كانوا أناسا رقاقا لا يسيئون إلى أحد. يجب أن تعترف بأنهم لا يحدثون شيئا من أذى. إنهم ينظرون إلى الكبار والصغار الذين يمرون بهم، في هدوء بغير اكتراث. إنهم ينتظرون. ولكن من ينتظرون؟ لا يعلم أحد ذلك. ثم يستأنفون طوافهم في الأرض على غير هدى.. وينامون في المكان الذي يفاجئهم فيه هبوط الليل. فإذا هبت ريح شديدة شدوا أسمالهم الرثة على أجسامهم، ووضعوا جماجمهم على حجر أو درجة، وناموا."[٤]

"الرواية الشطارية" أو "البيكارسكية"[٥] Picaresque أو رواية الصعلكة والتشرد والعدمية موجودة بقوة في التاريخ العربي، خذ مثلا "عروة بن الورد" و"الشنفري" و"تأبط شرا"، وأيضا في السرد العربي كما في أعمال "محمد شكري"، "الخبز الحافي" و"المرأة والوردة" لمحمد زفزاف[٦] و"جذور الضباب" لميمون الحسني.[٧] في الرواية الأخيرة يقدم لنا

(١) شارع المحاكم، ص ٩.

(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.

(٣) ترجمة: سامي الدروبي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٠.

(٤) النول، ص ١٢.

(٥) من الكلمة الأسبانية Picaresca.

(٦) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.

(٧) مطبعة اقرأ، الناظور (المغرب)، ٢٠٠٦.

"الحسني" سيرة مجموعة من المنبوذين المهمشين وعلى رأسهم "بغداد". يرتادون الحانات ويفترشون الغبراء وينامون في الحدائق والطرقات ويهيمون على وجوههم بلا عائلة ولا زوجة. في "وكالة عطية" كتب "خيري شلبي"[(١)] يشرح كيف تتكون روابط الصعلكة: "ينعطف الصعلوك على الصعلوك انعطاف السائل اللزج على المنحدر. هكذا محروس وأنا؛ كلانا انعطف على الآخر."[(٢)]

وحتى القبورية أحيانا تُصنف ضمن "الديوجينية"، بالرغم أن الدافع وراءها قد يكون الزهد والتدين. كتبت "حبيبة المحرزي" في روايتها "الوزر"[(٣)] مستحضرة – ربما – مشهد حفار القبور في مسرحية "هاملت":[(٤)] "حرك أنامله متحسسا هذا الشكل فإذا هي جمجمة... تجردت من اللحم والدم والروح الشريرة فعادت إليها طهارتها البدائية الفطرية. لو تسنى له لعاش هنا تحت القبور حيث لا بغض ولا كراهية ولا تهم."[(٥)] يقدم لنا "هاني الراهب" نموذجا للقبورية في روايته "الوباء":[(٦)] "قبل عشرة أيام أشار إلى أنه آثر صحبة الموتى. ومضى إلى الصومعة – هناك على سطح موجة ترابية نهدت من رأس القمة المستوي. قال الأهالي لقد اكتمل السر والبرهان، فها هو ذا يزداد قربا من الله وبعدا عنهم. وازدادوا اتضاعا في حياتهم الدنيا، إذ لبسهم إحساس متجدد بالخجل من قدرته على تجاوز الحياة ومصاحبة الموتى، ومن عجزهم عن ترك متاع الغرور. قالوا إن قصعة لابد وأن تنزل من السماء، تُعين روحه على جسده وجسده على روحه. وقالوا أنها نزلت."[(٧)]

أما ما يُسمون بأصحاب الطريق فنجدهم في رواية "صدفة بتجمعنا": "رأيت رجلا ممن يسمونهم أصحاب الطريق يلبس جوالا مكتوب عليه أرز فليبيني! كان الرجل رث الهيئة،

---

(١) دار الأحمدي للنشر، القاهرة، ١٩٩٩.

(٢) وكالة عطية، ص ١٣.

(٣) الأطلسية للنشر، تونس، ٢٠٠٠.

(٤) مشهد آخر لجمجمة عارية بالية نجده في صفحة ١٣٢ من رواية "حدث أبو هريرة" لمحمود المسعدي، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٨٩.

(٥) الوزر، ص ٨٤.

(٦) دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

(٧) الوباء، ص ٧.

أغبر الشعر، حافي القدمين. مشي الهوينى في اتجاه غرفة محولات الكهرباء ثم دخل واختفي داخلها. اعتاد المسكين النوم هناك طلبا للدفء. لم تأت نهايته علي يد الصعق الكهربي، بل كانت علي يد عصابة من الأفاقين الذين دأبوا علي قتل أصحاب الطريق الذين سقطت عنهم الهوية بالتقادم ثم يقومون ببيع أعضائهم للآخرين."[١]

في رواية "يوسف أبو رية" "الجزيرة البيضاء"[٢] نقرأ: "في ثياب مهلهلة قصيرة تمشي في الشارع حافية القدمين، حسيرة، قصت شعرها تماما فبدا رأسها صغيرا جدا، وتسيطر عليه رعشة لا إرادية، تُذبذب سحنته، وتدفع حدقتي العينين للاهتزاز. رأيناها تسير تحت الجدران تنظر إلى الأرض وتنحني على أكوام القمامة، تقلب فيها، وتُخرج منها ما تجده مناسبا، فتجمعه فيما تبقى من هيئة الثوب، وترفع مقدمه فتبان أفخاذها

عقدة نابليون

واحدة من عقد النقص أو الدونية Inferiority Comlex التي يُصاب بها قصار القامة هي عقدة نابليون Napoleon Complex والذي عوض عنها بسعيه نحو الهيمنة والحرب والغزو. كان "نابليون" يختار عشيقاته من النساء الفارعات حتى يعوض هذا النقص. يميل قصار القامة بوجه عام إلى الاقتران من نساء فارعات، خاصة بعد أثبت العلم أن نتاج زوجين قصيرين قد يكون قزما.[٣] يُقال أن "ونستون تشرشل" Winston Churchill كان مصابا بهذه المتلازمة.[٤]

في رواية "هالة كوثراني" "الأسبوع الأخير"[٥] تقول البطلة واصفة خطيبها الافتراضي: "كان وسيم أقصر مني. هذه الحقيقة الظاهرة كانت تضايقه."[٦] نجد أثرا لهذه العقدة في

---

(١) صدفة بتجمعنا، ص ١٦.

(٢) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٣) فيما يُعرف بـ "متلازمة كاسبر هوسر" Kasper Hauser Syndrome.

(4) Boris Johnson, The Telegraph, 10 October 2014.

(٥) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.

(٦) الأسبوع الأخير، ص ١٧.

رواية "المسرات والأوجاع" لفؤاد التكرلي[1] الذي كتب فيها عن عميد العائلة القبيحة: "عرف الجد الحطاب بجسده القصير المتين وبخلقته الغريبة، فهو أقرب إلى القرد منه إلى الإنسان."[2] أما "تامر إبراهيم" فقد كتب في روايته "صانع الظلام":[3] "يوسف خليل سيء الحظ. هذه حقيقة يجب أن نتفق عليها قبل أن نبدأ حكايته، وربما لو اتفقنا على هذه الحقيقة منذ البداية لحصلنا على تفسير لا بأس به لكل ما سيصيبه لاحقا... تريد الأسباب أولا لتقتنع؟ هذا حقك. لنبدأ بأن يوسف وحيد تماما... بلا أصدقاء لافتقاره لأي موهبة اجتماعية تدفع أي شخص لمصادقته... لكن سوء حظه لا يتوقف عند وحدته، فجسده ذاته نموذج حي لسوء الحظ في كل تفصيلة من تفاصيله التشريحية.. إنه قصير، ذلك القصر الذي لا يدعو للاحترام أو الملاحظة."[4] يصف "ماهر مهران" "فهيم العقيلي" في مفتتح روايته "بنات قبلي"[5] بأنه "لا يزيد طوله عن تسعين سنتيمترا، رجلا ضئيل الحجم والكتلة، لا يزيد وزنه عن خمسين كيلوجراما"،[6] وأن بندقيته أطول منه.

متلازمة قس براي

أما رجال الدين الذين يغيرون قناعاتهم الدينية طبقا للظروف السياسية فيوصفون بأن لديهم "متلازمة قس براي" Vicar of Bray Syndrome. والقس المقصود هنا هو "سيمون ألين" Simon Aleyn (1540 – 1588) ومعلوم أن فترة حكم "هنري الثامن" Henry VIII شهدت تطورات كبيرة في الحياة الدينية والسياسية في إنجلترا الأمر الذي تطلب بعض الحنكة للاحتفاظ بالمناصب الكنسية، وهو ما نجح فيه "سيمون" بشكل كبير ببعض المقاربات والتوازنات والموائمات التي لا تخلو من شبهة النفاق. عام ١٦٦٤ وضع "موليير" مسرحيته "تارتوف" Tartuffe والتي تدور حول قس شهواني منافق، لكنه أمام الناس مثال

(١) دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٨

(٢) المسرات والأوجاع، ص ٥.

(٣) دار بلومزبيري، الدوحة، ٢٠١٢.

(٤) صانع الظلام، ص ٧، ٨.

(٥) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.

(٦) بنات قبلي، ص ٥.

التقوى والفضيلة. وبالرغم من أن هذه الشخصية موجودة فعليا في كل ديانة، إلا أن الكنيسة غضبت من مسرحية "موليير" وضغطت على الملك ليوقف عرضها.

في "نوفيلا"، "الزوجة الثانية"، لأحمد رشدي صالح نرى رجل الدين المنافق البائع لدينه المفرط في قيمه من أجل الحظوة والمكاسب المادية فيحلل الحرام ويحاول إقناع الرجل القروي البسيط بتطليق زوجته ليتخذها العمدة زوجة ثانية له[١] قارئا على مسامعه آية من القرءان تتحدث عن وجوب طاعة ولي الأمر. وهكذا اجتزأ الشيخ من المصحف ما يتناسب مع الموقف وخلط الحق بالباطل وباع الفتوى لمن يدفع أكثر![٢]

في رواية "مولانا" يقدم لنا "إبراهيم عيسى"[٣] صورة لشيخ الفضائيات الذي يتخذ الدين مهنة وتجارة ويعيش حياتين: أمام الشاشة وخلفها. يقول عن نفسه أنه "موظف بدرجة شيخ".[٤] أمام آلات التصوير "يتأمل هذا الضوء الأحمر، الذي ينير مستطيلا فوق الكاميرا، يدرك تأهب المستعرضين للاستعراض. هو الضوء الذي حين يظهر، يفجر تلك القدرة الكامنة على التلون. الكل يتحول بهذا اللون الأحمر القاني فيحمر، بين كونك كائنا بشريا، وبين تبدلك كائنا استعراضيا تلفزيونيا."[٥]

في رواية "عندما تشيخ الذئاب" يقدم "جمال ناجي" شخصية الشيخ "عبد الحميد الجنزير" الذي يتخذ الدين مطية فهو يعطي الدروس ويقوم بأعمال البر، لكنه وصولي "ميكافيلي" لا يتوانى عن اعتماد أي وسيلة توصله لغاياته. وهذا الشيخ متزوج من امرأتين، لكنه يتلذذ بالاستمتاع بأجساد النساء الذين يأتون إليه للعلاج بالأعشاب أو لطرد الجن في شكل متأخر من أشكال الجنس المقدس أو بالأحرى العهر المقدس. "عهر المعبد" موجود أيضا في رواية "عراقيون أجناب" لفيصل عبد الحسن[٦] حيث يتم معاشرة النساء العاقرات

---

(١) في رواية "النمل الأبيض" لعبد الوهاب الأسواني يُطلب من البطل تطليق زوجته مقابل وظيفة ومبلغ من المال، وهنا يتم استبدال الشيخ المنافق بعميد الأسرة المتجبر. (الهلال، القاهرة، ١٩٩٨).

(٢) محمد صلاح الدين، الدين والعقيدة في السينما المصرية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٨٠.

(٣) دار بلومزبري - مؤسسة قطر للنشر، قطر، ٢٠١٢.

(٤) مولانا، ص ١١.

(٥) مولانا، ص ١٢.

(٦) الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٩.

وسط معبد وثني وطقوس يتم إلصاقها بالدين الإسلامي! نجد نفس الفكرة في رواية "الخيول" لأحمد يوسف داود:[1]

- "ساعدني يا سيدنا الشيخ. ساعدني!
- أطرق قليلا ناظرا إلى استدارة وركيها على الجانبين ثم قال لها:
- لعلك تنجبين بدون حاجة لتعزيم... ألديكم حمام؟
- أفراخ وعتيق يا سيدي الشيخ!
- فرخ أبيض يا سعدي.

قبلت يده ثانية.. أحس بشفتيها تخترقان أعصابه بنعومتها.. ورشقها بنظرة وهي تبتعد! فرخ أبيض يا سعدي! نعم فرخ أبيض.. ليكن ناصعا كجسدك.. آه أيتها المرأة كنت أعرف منذ ستة أشهر أنك ستقعين في الشرك!"[2]

شيخ داعر آخر نقابله في رواية "فتحية الهاشمي" "منة موال":[3] "قفزت يد خشنة تستقر بين فخذيها.. في اندفاعها نحو الباب دلقت القارورة ولكن الشيخ كان أسرع منها للوصول إليه وأسقط في يدها... الريح تعوي خارج المقام وداخله.. الظلمة تلف المدينة وروحها.. مات الكلام على شفتيها. تصلبت كل عضلة في الجسم الفتي ويده تمسك كفها تضعها بين فخذيه بينما تنقض يده الأخرى على مؤخرتها."[4]

ولا يقتصر الأمر على الرجال وحسب، فالداعية "أمَة الرحمن" في رواية "ابنة سوسلوف" لحبيب عبد الرب سروري[5] تنخرط في الجنس من وراء ظهر زوجها، الإمام "عمر": "تمارس أمة الرحمن العشق بإخلاص ديني. تغمض عينيها معظم الوقت. تهمهم وتتمتم بآيات سرية مع تماوج التوحد. تستسلم وتمارس عبوديتها بخضوع ديني كلي... ثم

(١) دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٢.
(٢) الخيول، ص ١٩، ٢٠.
(٣) بدون دار نشر، تونس، ٢٠٠٧.
(٤) منة موال، ص ١١٠، ١١١.
(٥) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.

عندما تفتح عينيها تفتحهما بحق. تتحول في لحظة ما إلى كاميكاز عشق، جهادية توحد تمارسه كجيش مقامر شعاره: البحر من ورائكم، والعشق من أمامكم، بين أحضانكم، داخلكم، خلفكم."[1]

تُشير "متلازمة قس براي" بشكل أعم إلى جميع أشكال النفاق: الديني والسياسي والاجتماعي. وقد يرتبط النفاق في المجالات السابقة بالانتهازية. على أننا يجب أن نفرق بين شكلين من النفاق: التودد والانبطاح اللذين يعبر عنهما التعبيران الاصطلاحيين الإنجليزيين "ماسح التفاح" Apple Polisher و"لاعق الأحذية" Shoe Licker. يعود التعبير الأول للتلاميذ في جنوب الولايات المتحدة المترع بأشجار التفاح. اعتاد التلاميذ قطف التفاح ومسحه ثم تقديمه للمدرسات. هنا لا تخرج العملية عن التودد والتلطف من جانب الأطفال، وحتى التفاحة أصبحت رمزا للمدرس في أمريكا، أما التعبير الثاني فهو النفاق الصريح الذي نتكلم عنه في هذا الموضع.

من أمثلة النفاق الاجتماعي أن يلبس الذئب ثوب الحمل ويتظاهر بالرحمة أو أن يحاول غسل يده من جرائم ارتكبها متخفيا وراء لقب "حاج". عالج "ماهر مهران" هذه النقطة بقوله: "لو سمعت من أحد أن فهيم العقيلي ذاهب إلى الحجاز ليحج فلا تندهش، فالقتلة والمطاريد والسحرة والظالمون في قريتنا كلهم أدوا فريضة الحج، وكلهم يمسكون مسبحة في أيديهم، وكلهم نقش النقاشون على واجهات منازلهم رسما للكعبة والسفينة."[2]

من أفضل النماذج الذي قدمها السرد العربي للشخصية المنافقة الانتهازية المتسلقة الأسفنجية "محجوب عبد الدايم" في رواية "القاهرة الجديدة" لنجيب محفوظ.[3] مثل "بطاح"، القواد في رواية "فوزية شويش السالم" "سلالم النهار"[4] يمارس "محجوب" مهنة القوادة، لكن على زوجته التي يتركها تنام مع الباشا ليحظى بالمناصب. إن تيمة "طظ" التي صدح بها "عبد الدايم" موجهة بالأساس لكل الثوابت والقيم، ولا بأس بأن تبيع كل شيء حتى شرفك ونخوتك من أجل أن ترتفع.

---

(١) ابنة سوسلوف، ص ٩٦.

(٢) بنات قبلي، ص ٥٣.

(٣) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.

(٤) دار العين، القاهرة، ٢٠١٢.

في رواية "تراب الماس" لأحمد مراد نقابل شخصية رجل الأعمال، "عبد الحكم برجاس"، الذي يناصر الملكية ثم يناصر الجمهورية بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بنفس القدر من الحماس، ثم يدفع بابنه إلى البرلمان لتعظيم المكاسب ومؤازرة المال بالسياسة. وفي رواية "مصطفى أمين" "صاحب الجلالة الحب"(١) نقرأ عن نوعية من الصحفيين الذين "لا عمل لهم إلا تدبير المقالب.. كل واحد منهم يريد أن يصعد على جثة زميله... كل واحد منهم مثل الممثل السينمائي القديم لوني شاني، له ألف وجه ووجه... وفي كل وجه لسان مختلف، ما يقوله في مواجهتك غير ما يقوله في ظهرك... كلهم يجيدون الإنحاء أمامك، وكلهم يجيدون الطعن في ظهرك."(٢)

ترصد رواية "أرض النفاق" ليوسف السباعي(٣) ظاهرة النفاق في قالب خيالي يتناول عطارا يبيع السجايا ولا نقول الفضائل فبضاعته تضم الشجاعة والجبن والنفاق والصراحة إلى آخره. يختم "السباعي" روايته قائلا: "يا أهل النفاق! تلك هى أرضكم، وذلك هو غرسكم، ما فعلت سوى أن طفت بها وعرضت على سبيل العينة بعض ما بها، فإن رأيتموه قبيحا مشوها، فلا تلوموني بل لوموا أنفسكم، لوموا الأصل ولا تلوموا المرآة. أيها المنافقون! هذه قصتكم، ومن كان منكم بلا نفاق فليرجمني بحجر."(٤)

فى رواية "دموع صاحبة الجلالة" كتب "موسى صبرى"(٥) (١٩٣٩ – ١٩٩٢) عن نفاق جماعة بعينيها، ونقصد بها زمرة الصحفيين. قدم "صبري" في قصته شخصية غدت رمزا للنفاق والمداهنة والتملق والوصولية ومسح الجوخ، ألا وهي شخصية "محفوظ عجب". "محفوظ عجب" من أفضل النماذج الممثلة لمتلازمة "قس براي" فهو شخصية تأكل على كل الموائد وتلحق بأي زفة وتركب أي موجة وتتلون كالحرباء ألف مرة وتتاجر بالشعارات وتمتلك ذمة مطاطية وضمير متآكل. قدم "فتحي غانم" نفس التيمة في شخص "يوسف

(١) دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.
(٢) صاحب الجلالة الحب، ص ٩.
(٣) دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٤٩.
(٤) ص ٢٨٦.
(٥) دار الأخبار، القاهرة، ١٩٩٠.

السويفي" في روايته "الرجل الذي فقد ظله"،[١] ثم أعاد إنتاجه في شخص "عبد الهادي" في رواية "زينب والعرش".[٢] يُسمي "محمد غزلان" هذه النوعية من البشر بـ "الواطيين"، فهم يتقربون ويتوددون لمن يملك المنصب ثم سرعان ما ينفضوا عنه عندما يتركه.[٣]

متلازمة مونخهاوزن[٤]

"قد تجد إنسانا يتصنع التعب أو المرض أو الحزن أو الألم.. لتعطف عليه... وتراه يستبقي دائما سببا لاستدرار العطف، فإذا مرض لا يجب أن يشفى من قريب! وإذا وقع في أزمة يجب أن تطول إلى أقصى مدى – ولو ضايقته – لأنها تثير عطف الناس عليه!"[٥] تعرف هذه الأعراض بمتلازمة "مونخهاوزن Munchausen Syndrome التي تشير إلى مغامرات البارون "فريدريش فون مونخهاوزن" (١٧٢٠ – ١٧٩٧) الذي عاش في "هانوفر" Hanover وخاض حربين ضد الأتراك واشتُهر بحبه للمغامرات وولعه بالمبالغة والتهويل حتى أُطلق عليه "بارون الأكاذيب" Baron of Lies.[٦]

ينبغي التفريق بين المصابين بهذه المتلازمة ومن يتوهمون المرض فعلا[٧] Hypochondria وأيضا من تنتابهم وساوس قهرية حول صحتهم فتراهم دائمي قياس ضغطهم وعد نبضات قلبهم، كما أنهم مدمنون للتنويم في المشافي والتردد على الأطباء[٨] وتكديس الأدوية وإجراء

(١) الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الواطي، دار أكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.

(4) R. Asher, Munchausen's syndrome, Lancet, London, 1951, I: 339-341.

(٥) محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، الشروق، ١٩٨٣، ص ٣١٨.

(6) Hans Biedermann, Dictionary of Symbolism: Cultural Icons and the Meanings behind them, Translated by: James Hulbert. Facts on File, New York – Oxford, 1989, P. 231.

(٧) ومن ضمن من يتوهمون المرض بعض طلاب كلية الطب عند دراستهم لمرض معين فيقع في أنفسهم أن لديهم نفس الأعراض، وتعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة طالب الطب" . Medical Student Syndrome

(٨) هناك على النقيض طائفة أخرى من البشر لا يحبون زيارة الطبيب، بل ويتوترون إذا ما أُضطروا إلى ذلك. يُوصف هؤلاء الأشخاص بأنهم يعانون من "متلازمة المعطف الأبيض" White Coat Syndrome.

التحاليل والفحوصات الطبيـة.. إلى آخـره. يُـستخدم مـصطلح "متلازمـة المـريض المهنـي" Professional Patient Syndrome لوصف هؤلاء الأشخاص، ومنهم المرضى المحتجـزين في مستشفيات الجامعات، والـذين يـساعدون الطـلاب مقابـل عطايـا ماديـة في التـشخيص السليم لحالاتهم المرضية حتى يحصلوا على تقديرات جيدة. نقابـل هـذه الشخـصية في روايـة "جمال ناجي" "الحياة على ذمة الموت":[1] "كان ينظر إلى أعضاء جسمه على أنها جنود مجنـدة لخوض معركة طموحاته في هذه الحياة، وكلما ازدادت طموحاتـه، زاد مـن رقابتـه الفولاذيـة عـلى أولئـك الجنـود: أعـضاء جـسمه! لم يـستبعد أن يحيـك أولئـك الجنـود الـذين يعتقـد بإخلاصهم، مؤامرة صغيرة تعرقل طموحاته، فتودي بها أو به: ألا يمكن أن تستـسلم المعـدة لتأثير المنبهات والأحماض وانفعالات الـنفس فتفـتح في كيانـه ثغـرة القرحـة؟ ألا يمكـن أن يتسلل إلى جسمه فيروس مستهتر، فيحدث فيه فتنـة الحمـى؟! كـل شيء جـائز، لا أمـان إلا بالاطمئنان! لذا اعتاد إخضاع جسمه إلى فحوصات وتحليلات مخبرية دورية، من أجـل تفقـد سير الحياة في ذلك الجسم."[2]

"متلازمة "مونخهاوزن" عبارة عن خلل نفسي يختلق المصاب بها الوعكات والأمـراض حتى يستقطب اهتمام الآخرين وتعاطفهم. ولا بأس بزرف الدموع الكاذبة أيضا فيما يُعرف بـ "متلازمة دموع التماسيح" Crocodile Tears Syndrome. تُلقب المتلازمة أيـضا بمتلازمـة إدمان التردد على المستشفيات Hospital Hopper Syndrome. هذا النوع من الـتمارض قـد يكون الغرض منه إفشال حدث أو مخطط أو تفويت الفرصة على الآخرين في القيام بعمـل لا يرضى عنه مدعي الوهن والاعتلال.

في رواية "ثم أزهر الحـزن" لفاضـل الـسباعي[3] توغـل "كـوثر" في النـدب واسـتثارة الشفقة. في قصة "توفيق الحكيم" "ليلة الزفاف"[4] تتمارض الأم حتى يطـول تـردد الـدكتور "مجدي" عـلى المنـزل فيقـع في حـب "سـلوى". في روايـة "عبـد الفتـاح كيليطـو" "أنبئـوني

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣.
(٢) الحياة على ذمة الموت، ص ٧.
(٣) أشبيلية للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٠.
(٤) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.

بالرؤيا"[١] نقابل طفلا متمارضا[٢] ربما ليكسب تعاطف الأهل: "كنت أرقد في غرفة جدتي... أثناء مرض من أمراضي... أسمع صوت الزائرات المستخبرات عن حالي. ما إن أدرك أني موضوع همسهن حتى أغوص ثانية في النوم. لما أخذت في التعافي، رفعن من صوتهن وتكلمن عن هذا وذاك من الأشياء. لم أعد محور أحاديثهن. تكدرت لذلك، فأخذت أتحسر على المرض، لكن لا جدوى من التصنع، كنت أعرف بالتجربة أن جدتي لا تنخدع أبدا بأكاذيبي."[٣]

عقدة بولبكرت / متلازمة الإسكندر

هل يمكن تخيل شخص يسعى جاهدا لتحقيق هدف ما أو الوصول لنتيجة ما ويجتهد في سبيل ذلك بكل ما أوتي من سبل، ثم ما إن يقترب من تحقيق مأربه والوصول إلى مبتغاه يهدم ما أنجز ويعيد الكرة من البداية وكأنه يستمتع بشعور النضال والكفاح وحسب؟! نعم هذا هو توصيف "عقدة "بولبكرت" Paul Peikart التي "تكمن في القيام بكل ما يمكن القيام به للنجاح، وعندما يتحقق النجاح يُلغى كل شيء ويُحطم... ومن ثم إعادة هذا السيناريو من جديد."[٤] تُعزى التسمية إلى محام ما إن يصل لقناعة حول القضية حتى ينقدها ويفندها ويدحضها ويبدأ من أول السطر كما لو كانت قطع بازل يقيمها ويهدمها أو كالروائي الذي يعيد ويزيد ويعدل في روايته لأنه لا يريد أن ينتهي منها.[٥]

في الحقيقة، بعض الناس مثل "بولبكرت" لا يستطيعون الحياة دون ما يشغل بالهم، أو دون هدف يسعون إلى تحقيقه والوصول إليه. تُسمى هذه الظاهرة بـ "متلازمة الإسكندر الأكبر" Alexander the Great Syndrome الذي بكى وانتحب حين أبلغه المقربون منه

(١) ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار الآداب، بيروت، ٢٠١١.

(٢) الطفل الذي يدعي المرض حتى لا يذهب إلى المدرسة يُوصف بأن لديه "متلازمة هالو" Halo Syndrome.

(٣) أنبئوني بالرؤيا، ص ٧.

(٤) روجيه موكيالي، العقد النفسية، ترجمة: موريس شربل، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، ص ٤٤.

(٥) عالج "محمد عبد الخالق" هذه الفكرة في سيناريو فيلم "أدرينالين"، ٢٠٠٩.

أنه لم يعد هناك في العالم مكانا يمكن غزوه، ولو علم "الإسكندر" أن الأمريكتين تقعا خلف بحر الظلمات لسبق "كولومبس" إلى هناك.

من أفضل النماذج أيضا على "عقدة بولبكرت" "بينيلوبي" Penelope، زوجة "أوديسيوس" Odysseus الوفية والتي كانت تغزل طيلة النهار وتنقض ما غزلته[١] خلال الليل، في حيلة ومحاولة منها لإبعاد الخطاب الراغبين في الزواج منها بعد غياب زوجها الطويل. من رواية "أيام من عدس" لبهوش[٢] ياسين نقرأ هذه الكلمات: "الشارع طويل، وأنا.. كتلة من الحيرة.. تمشي. منذ لحظات وأنا أسير.. أنهي الشارع، أعود إلى البداية، ولا أدري أني أسير.. أحدق في الأرض. تنسحب البلاطات تحتي في اتجاه الوراء."[٣]

لم نجد حقيقة في السرد العربي انعكاسا حقيقيا لهذه العقدة، لكن أغلب الظن أنها تنطبق على الشخص الذي لا يعرف ماذا يريد في حياته فيسلك مسارا ثم يتركه إلى آخر وهكذا دواليك. هذه الشخصية نجدها مثلا في "لن أعيش في جلباب أبي" لإحسان عبد القدوس.[٤] بطل الرواية، "عبد الوهاب"، يرفض العمل مع أبيه، تاجر الخردة العصامي في الوكالة، وكأنه يستعر منه أو يعاني من عقدة نجاح الأب ويرفض أن يعيش في جلبابه وأن ينضوي تحت جناحيه فيتمرد بطريقته. عانى من الفشل الدراسي فسافر للخارج ليكمل تعليمه، لكنه لم يستطع. تزوج من فتاة أجنبية. لبس عباءة التدين لفترة. لم ينجح في أي مرحلة من مراحل حياته أو مشروع من مشاريعه. ظل – مثل "بولبكرت" – ينتقل من ملف لآخر دون أن ينهيه أو يحسمه أو يطويه. تاه الابن الخجول وسيطر الإخفاق وعدم الحسم على مجريات حياته.

متلازمة توماس جيفرسون

تشير "متلازمة توماس جيفرسون" Thomas Jefferson Syndromeإلى الرجل الذي تراوده الرغبة في مضاجعة امرأة سوداء.[٥] و"توماس جيفرسون" من أشهر الساسة

(١) "ولا تكونوا **كالتي نقضت غزلها** من بعد قوة أنكاثا"، النحل، ٩٢.

(٢) المركز الثقافي العربي (بالتعاون مع دار التنوير)، الدار البيضاء، ١٩٨٣.

(٣) أيام من عدس، ص ٧.

(٤) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٢.

(٥) أما هوس الرجل الأسود بالمرأة البيضاء فيُعرف بـ "عقدة توماس بيجر" The Bigger Thomas Complex.

الأمريكيين ومن كاتبي الدستور الأمريكي. وينبغي أن نراعي هنا أن وضع السود أيام الآباء المؤسسين في الولايات المتحدة كان سيئا ويميل إلى الاستعباد المطلق. ربما تأتي الرغبة في النوم مع امرأة سوداء من باب التغيير أو لأن السوداوات – كما يُقال – مختلفين فعلا في الفراش.

في رواية "ضجة في ذلك الزقاق" لغانم الدباغ[1] نعاين الجمال الأسود. كتب يقول: "لمحها.. مفرجة ما بين ساقيها.. نفس اللباس المثقب ولحمها الأسمر يبدو غامقا معتما مثيرا."[2] في "قبر راحيل" نجد هذا اللقاء: "ذات يوم شعر آسر بالإرهاق والاعتلال من الحر والمطر الموسمي الذي يكاد لا ينقطع فعاد إلى استراحته ليجد امرأة في انتظاره كان قد أرسلها عبدي... تناول قطعة سمبوسة وتقدم نحو المرأة واحتضن جسمها الفائر الذي أنضجته حرارة الشمس. تحتفظ الصوماليات بملامح يمنية جميلة: عيون واسعة شديدة البياض والسواد وأسنان ناصعة وأنف صغير. كانت هذه المرأة قريبة الشبه من بنت بلدها عارضة الأزياء الشهيرة ناعومي كامبل... أتى معها بما لا يستطيع فعله مع الأخريات أو حتى التجرؤ على طلبه. كانت الفتاة مستسلمة بشكل عجيب. لم تبد أي اعتراض لحاجتها للشلنات التي تكسبها. الشيء الوحيد الذي اعترضت عليه هو مداعبة صدرها لأنه طعام طفلها الرضيع! هذه أول مرة يضاجع آسر فتاة سمراء. يعرف صديقا مهووسا بالسمر. أدرك اليوم فقط أن صديقه على صواب فالسمر مختلفون فعلا في الفراش... سأل الفتاة عن اسمها فأجابت "أباجيل". أصبحت هذه الفتاة بالنسبة له كهنادي في رواية طه حسين "دعاء الكروان". علم منها أن أباها أغتصبها وهي في العاشرة من عمرها. كان أسوء ما في علاقته معها أنها كانت متزوجة، وكان زوجها الديوث ينتظر عودتها كل يوم ليضع يده على حصيلة النقود فيخزن القات تحت الأشجار!"[3]

متلازمة جوبلز

"جوزيف جوبلز"Joseph Goebbels ، صاحب مقولة "إذا أردت أن تكذب فاكذب كذبة كبيرة"، اسم بات مقترنا بالأبواق الإعلامية التي تستخدمها الأنظمة لتمرر من خلالها

(١) مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٢.
(٢) ضجة في ذلك الزقاق، ص ٣٧.
(٣) قبر راحيل، ص ٢٢، ٢٣.

الضلال والكذب. عراب الآلة الإعلامية النازية هذا لم يتوان ولم يتوقف عن الكـذب مـدركا أهمية الإعلام في تدجين الشعوب. تُشير "متلازمة جوبلز" Goebbels Syndrome إلى كذب الإعلام وتزييف الحقائق.

في رواية "حفلة سمر من أجـل ٥ حزيـران" تعـرض "سـعد الله ونـوس"[(١)] إلى كـذب الإعـلام المـصري عـلى الـشعب وإيهامـه بـأن جنـوده أسـقطوا طـائرات للعـدو الإسرائـيلي بالعشرات وأنهم في طريقهم إلى "تل أبيب". تجسد عبـارة "ونـوس"، "عـودوا إلى بيـوتكم، وتابعوا من وراء مذياعاتكم بطولات جيشنا الباسل"[(٢)] مدى زيـف المـسئولين وإمعـانهم في التعتيم والتعمية. "حتى صباح الثامن من شهر يونيو ١٩٦٧"، كتـب "محمـود عـلي فهمـي" "كان الشعب المصري متأكدا من الانتصارات التي يحققها الجيش، والتي يتابع أخبارهـا مـن البيانات العسكرية."[(٣)]

هذا ويسعى الساسة دوما إلى السيطرة على الأذرع الإعلامية ليحققوا مآربهم من خلالها. من رواية "عبد الحميد ضحا" "عندما يطغى النساء"[(٤)] نقرأ: "كانت نصيحة أمها أنهـا لابـد أن تسيطر على فئتين مهمتين، هما الإعلام ورجال الدين، حتى تنفـذ قـرارات المـؤتمرات دون معارضة من المجتمع الذكوري المتخلف. بالنـسبة للإعـلام فـالأمر يـسير جـدا، فكثـير مـن الإعلاميين يبيعون قلمهم، وأما من يتحدث من خلال قناعته وضميره، فمجموعة تعد عـلى أصابع اليد، وهم معروفون بالاسم، وأصواتهم تغرق وسط البحر الإعلامي، فـلا تـأثير لهـم البتة. والباقون نشتريهم بسهولة، وكذلك نجعـل بعـض الـشباب مـن المتحمـسين لأفكارنـا إعلاميين كبارا من خلال تسليط الضوء عليهم.

– عصمت: ولكن ظهور تأييد الإعلام بهذه الصورة، وانقلابـه مـرة واحـدة، ألـيس في ذلك ريبة؟

(١) الأعمال الكاملة، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٦.
(٢) حفلة سمر من أجل ٥ حزيران، ص ١١٩.
(٣) المنصة، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٥.
(٤) مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١.

– ليلى: أنت ما زلت لا تدركين أصول اللعب، لا يعني أن الإعلامي يعارض الحكومة، ويحاربها في كل كلمة... بل هو يفعل ذلك حتى ينفس عن الشعب، ويُظهر أن هناك حرية رأي."[1]

متلازمة إليزابيث تيلور

من الغريب أن الفنانة التي أدت شخصية "كليوباترا" في السينما الأمريكية كانت مصابة أيضا بمتلازمة حملت اسمها. "إليزابيث تيلور" Elizabeth Taylor ممثلة أمريكية ذات جمال فريد ولها عينان جميلتان لونهما مميز قبل اختراع العدسات اللاصقة وخلافه. حصلت على جائزة "الأوسكار" مرتين. بسبب جمالها وشهرتها وثرائها تهافت الرجال عليها فوقعت في حب أكثر من واحد وتزوجت كذلك عددا كبيرا منهم، حوالي ثمانية. هذا ولم يعقب هذه العلاقات إلا الألم والحزن اللذين ألما بها في كل مرة يحدث طلاق أو انفصال.

تُشير "متلازمة إليزابيث تيلور" Elizabeth Taylor Syndrome إلى المرأة التي تقع في الحب غير مرة أو تتزوج أكثر من رجل.[2] الغريب أنه في تاريخنا الإسلامي أمثلة كثيرة على هذه المتلازمة مثل "عائشة بنت طلحة" التي تزوجت "عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر" و"مصعب بن الزبير" و"عمر بن عبيد الله التيمي".

المرأة التي تتزوج وتُطلق كثيرا موجودة في رواية "جمال ناجي" "عندما تشيخ الذئاب".[3] في رواية "الخداع يعود بثوب جديد" لإيهاب سلام[4] نقرأ: "تزوجت مرات ثلاث. المرة الأولى خان زوجي الأمانة. وبلع كل ما لدي إلا القليل. وطردني من قصري. والمرة الثانية لم يختلف الثاني عن الأول إلا في الأسلوب، إذ استرد لي كل أموالي وحجزها عنده، وطفق يتصرف فيها بمعرفته وأصبح هو المتصرف الوحيد فيها، وأنا صفر على الشمال، ولما واجهته بأن هذا لا يصح طلقني. والمرة الثالثة كان طامعا في ثروتي لكن لم يكن لديه مانع أن يتمتع بها معي."[5]

---

(١) عندما يطغى النساء، ص ٢٥، ٢٦.
(٢) عالجت "هناء عطية" هذه المتلازمة في سيناريو فيلم "خلطة فوزية"، ٢٠٠٩.
(٣) منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ٢٠٠٨
(٤) دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢.
(٥) الخداع يعود بثوب جديد، ص ٦٢.

في رواية "حمام النسوان" لفيصل خرتش"[1] نقابل "بدرية": "امرأة تسكن مع ابنتها الصغيرة... تزوجت ثلاث مرات، ولكنها لم تفلح في واحدة منها. الزوج الثاني أهداها هذه الصغيرة ومات غير مأسوف على شبابه. الأول كان عجوزا، ورثت منه البيت ومرض الصدر، وقبرته بعد ثلاثة أسابيع من زواجها... والثالث كان سكيرا، ينام عند قفل الباب، ومرة تركته حتى الصباح فتجمد من البرد."[2] وبالرغم من أن بدرية سبق لها الزواج ثلاثة مرات فمازالت تشتاق للرجال. ولما أعيتها الحيلة وجدت ضالتها في فتى بالغ مُصاب بالعته المغولي:[3] "رأت المنغولي في مدخل السوق نائما، كان يفتح رجليه، نظرت إليه فسرت في جسمها رعشة عنيفة، هزتها بعنف حتى أنها لم تستطع حراكا، يا دين الله!! أمعقول أن يكون له كل هذا الشيء؟... ورأى الناس المنغولي يسير وبجانبه فتاة صغيرة وأمها المنمشة... هذا المنغولي هو الستر الذي لا يفضح، الناس لن تظن به شيئا، تتحنن عليه، تتصدق عليه، يأتيها الثواب.. وهو وحده الذي استطاع أن يطقطق عظام جسدها ويروي حرها الذي يلتهب في داخلها."[4]

توهم فريجولي

حين يشعر شخص بأن آخر يستخدم التنكر ليقوم بأكثر من شخصية فإنه مُصاب بتوهم "فريجولي" Fregoli Delusion، نسبة إلى الممثل المسرحي الإيطالي Leopoldo Fregoli والذي عُرف بمقدرته على تغيير ملابسه بسرعة خاطفة خلف المسرح للقيام بأكثر من دور. استخدم المسرح "الإليزابيثي" هذه التقنية كثيرا حيث لم يكن يُسمح للنساء بالوقوف على خشبة المسرح آنذاك فأُسندت أدوارهن للرجال الذين تنكروا في أثواب النساء. في مسرحية "تاجر البندقة" The Merchant of Venice انتهج "شكسبير" المنحى العكسي فبطلة المسرحية تنكرت في ثياب الرجال، وهذا التنكر موجود أيضا في الرواية العربية فهذلا، بطلة

---

(١) المسار للنشر والأبحاث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٩.
(٢) حمام النسوان، ص ١٧.
(٣) المقصود "الشخص المصاب بمتلازمة داون" Down Syndrome.
(٤) حمام النسوان، ص ١٨.

رواية "قنص" لعواض العصيمي"[1] تتخفى في زي رجل و"نازوك" يتخفى بـزي خـادم في رواية "القرمطي" لأحمد رفيق عوض.[2]

نجحـت "هاديـا سـعيد" في الإلبـاس عـل القـارئ وإصـابته بهـذا التـوهم في روايتهـا "أرتيـست".[3] في هـذه الروايـة قـدمت لنـا المؤلفـة ثـلاث مستنـسخات لشخـصية تُـدعى "سلمى". في رواية "مئة وثمانون غربا" كتـب "حـسن داوود"[4] عـن هـذا الـشعور قـائلا: "امرأة أبو عاطف كأنها امرأتان. ذاك لأني في مرات كثيرة أعجـز عـن أن أرى فيهـا مـا كنـت أحسبه حقيقتها، تلك المختبئـة خلـف صـوتها العـالي وخلـف وسـخ بيتهـا وفوضـاه. كأنهـا امرأتان، ولا أجدها كذلك في تخـيلي وحـده، بـل في ظهورهـا أو في سـماعها اللـذين يظـلان يتبدلان، أو تتبدل هي من جرائهما. وربما كنت محتاجا إلى تفكير كثير لأعرف ما الذي يأخذها إلى هيئتها هذه وما الذي يأخذها إلى هيئتها تلـك. وربـما، حتـى وإن فكـرت كثـيرا، ولم أكـن لأعرف."[5] في روايـة "الثـوب" لطالـب الرفـاعي[6] تـصمم الأم عـلى أنهـا ولـدت الابـن وشطره: "أذكر أن صوت أمي بعث القشعريرة في أوصالي حين قالت: أنا متأكدة مما رأيت يـا ولدي، أنتما اثنان في جسد واحد، أنت وعليان."[7]

غالبا ما يأتي هذا الشعور في حالة التعامل مع التوائم المتماثلة لقدرة أحدهما عـلى تقمـص شخصية الآخر والاضطلاع ببعض واجباته كأداء الامتحانـات مـثلا Folie à deux. فكـرة التوائم Doubles والالتباس بينها موجودة في رواية "تشارلز ديكينز" "قصة مـدينتين" وفي "سـجين زنـدا" The Prisoner of Zenda لأنتـوني هـوب Anthony Hope. مـن ناحيـة أخرى قُدمت أعمال روائيـة وسـينمائية[8] عديـدة مرتكـزة عـلى فكـرة التـشابه الـشديد بـين شخصين يختفي أحدهما ويقوم الآخر بملأ مكانه بدوافع مختلفة.

(١) دار أثر، بيروت، ٢٠١١.
(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٤.
(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.
(٤) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩.
(٥) مئة وثمانون غربا، ص ٣١.
(٦) دار المدى، دمشق، ٢٠٠٩.
(٧) الثوب، ص ٦٣.
(٨) منها على سبيل المثال لا الحصر فيلم "سي عمر"، ١٩٤١.

في الأدب العربي نجده في رواية "نادية" ليوسف السباعي،[1] وفي رواية "كنت أميرا" لربيع جابر[2] الذي يقول فيها: "سميلا وليديا، من باليرمو في صقلية، ولدتا من بطن واحدة، خلال اللحظات الأخيرة من القرن الثالث عشر، هل يستطيع المرء أن يميز بيت فلقتي حبة الفاصوليا؟ إذن، فكيف يميز بين ليديا وسميلا... الوجه ذاته، القامة ذاتها، الشعر ذاته، حتى القميص الأبيض والتنورة الزهرية، لا فرق إطلاقا، معا تخيطان الثياب، تأكلان، تستحمان، تنامان."[3]

ما أجمل الحياة حين يرزق الله زوجين بتوأم متماثل يجنبان الأم عناء تكرار الحمل والولادة ويصيران سندا وعونا لوالديهما في الدنيا. يبتسم أحدهما فيضحك الآخر؛ يتوجع أحدهما فيبكي الآخر؛ يخطئ أحدهما فيبادر الآخر إلى لصق التهمة بنفسه؛ يختبر أحدهما وينجح الآخر؛ يغني أحدهما ويرقص الآخر؛ يأكل أحدهما فيشبع الآخر؛ يشرب أحدهما فيرتوي الآخر؛ يمرض أحدهما فيعتل الآخر؛ يسأل أحدهما ويجيب الآخر. يموت أحدهما فيعيش في شخص الآخر كما في رواية "إبراهيم نصر الله" "أعراس آمنة"[4] والذي ركز فيها على فكرة التوحد Oneness والتي سبق أن تناولها "إرنست هيمنجواي" Ernest Hemingway في روايته "لمن تقرع الأجراس" For Whom the Bell Tolls حين يصاب "روبيرتو" إصابة قاتلة فيحث حبيبته "ماريا" على تركه والمضي قدما قائلا لها: "سأذهب دائما معك أينما تذهبين... فحيثما يوجد أحدنا، يوجد الثاني... من الصعب عليك أن تذهبي، ولكنني وأنت شخص واحد الآن"[5]، والمعنى الأسمى "أنا حي طالما أنت على قيد الحياة". وهي نفس الفكرة التي عبرت عنها "شهر زاد زاغر" بقولها: "يختبئ في بيتي.. يختبئ في صدري، في كل أجزائي.. لقد تماهى فيّ.. أشعر أننا واحد هو أنا وأنا هو."[6] وهي نفس الفكرة التي عالجها الحلاج في غلالة صوفية بقوله: "أنا من أهوى ومن أهوى أنا / حتى إذا رأيتني.. رأيتنا"،

(١) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٠.

(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧.

(٣) كنت أميرا، ص ١٩، ٢٠.

(٤) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.

(٥) إرنست هيمنجواي، لمن تقرع الأجراس، ترجمة: خيري حماد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٠، ص ٥٥٩، ٥٦٠.

(٦) بيت من جماجم، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، ٢٠٠٢، ص ٤١.

وهي نفس الفكرة التي طرحها "جمعة اللامي" في روايته "مجنون زينب":[1] "قالت زينب أدن. فدنوت، قالت زينب: أكثر أكثر، فدنوت. ذقت حلاوة الجنة، بينما كانت زينب تنادي عليّ: أكثر، أكثر، أكثر، واتحدنا."[2]

عودة لرواية "نصر الله" نقرأ منها: "قلت لأمي كيف كنت تُفرقين بيننا، فقالت لي: لا أعرف. في البداية كنت أعرف، لكنني لم أعد أعرف شيئا... رندة كانت تصر على أنها تريد اسم لميس لأنه أجمل من اسمها... ورفضت لميس أن تتخلى عن اسمها... رفضت: كيف سأعرف نفسي فيما بعد؟! قلنا لها: ستعرفينها لأنك أنت أنت... تشبثت باسمها، كما يتشبث رأسها بكتفها. ولكنني أعرف أنكما كنتما تتبادلان الأسماء. لا تنكري! ولم أكن أنكر. لكن واحدة منا خرجت إلى السطوح ذلك اليوم، ورآها القناص، فأطلق رصاصة واحدة... وجدنا جسدها مُلقى وسط بحيرة دم صغيرة، وكان اسمها إلى جانبها مُلقى هناك مثل عصفور صغير؛ حملت الاسم، ونزلت به... وفي أقل من لحظة اندفع السؤال المخيف الذي أحال العالم كله إلى قطعة يابسة من صمت: من التي استشهدت؟ لميس أم رندة؟ التفت إليّ أمي عبر دموعها، وسألتني: مين يا بنتي؟! فبقيت صامتة."[3]

في الحقيقة، في بعض الأحيان يرفض الشخص الحياة بعد غياب توأمه، وحتى لو استمر في الحياة فإنه يعيش، لكنه لا يحيا. هذا ما نجده في رواية "تمر الأصابع" لمحسن الرملي:[4] "اصطحب أبي نوح أختي إستبرق إلى أطباء بالمدينة لتعالج من مرض أذبلها وجعلها تتغوط في ثيابها سائلا اصفرا، ولم تنفعها مداومتها على أكل مسحوق الخرنوب الذي وصفته لها الحكيمات من العجائز، فنحل جسدها وارتخى نهداها وهي في الرابعة عشر من العمر، صارت شاحبة صفراء مثل أوراق التبغ... لقد ولدت إستبرق توأما مع أخت أخرى اسمها سندس ماتت بعد تسعة أشهر. كانتا ضعيفتين صغيرتين تتلويان في المهد كفأرتين مبللتين بالحليب، وكنا جميعا نتوقع أن تموت إستبرق أيضا، لكنها واصلت الحياة."[5]

(١) الأعمال الروائية ص٢٥٧-٣٨٩، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، عمان،٢٠٠٤.
(٢) مجنون زينب، ص ٢٧٥.
(٣) أعراس آمنة، ص ١٣٤، ١٣٥.
(٤) الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠٠٩.
(٥) تمر الأصابع، ص ٧.

يُعرف هذا التوهم أيضا بمتلازمة "دوبيلجانجر" Doppleganger Syndrome خاصة عندما يشعر الإنسان أنه اثنين: "كنت أشعر تحت تأثير الكثير من القراءات الغزيرة والآثمة بأن هناك شخصا آخر يسكن بداخلي، شخصا آخر يقطن في رأسي (ربما يعود ذلك لانفصاميتي الغريبة)"(١) وحتى فكرة الطفل داخلنا تندرج تحت هذا التصنيف. كتبت "جميلة عمايرة" في روايتها "الأبيض والأسود":(٢) "أنت لا تشيبين، لكن تكبر الطفلة داخلك في بعض الأحيان، أحسها تتحرك، تتململ كأنها تحاول الخروج لكنها تفشل، قوة ما تجذبها للداخل."(٣)

أحيانا يشعر الشخص أن هناك من يعيش معه ويحادثه سرا أو يتحدث في أذنه كصوت آت من أعماقه ربما بسبب الوحدة أو اضطرابات نفسية يمر بها، وهنا نقترب أكثر من فكرة "القرين" عند المسلمين والتي صاغها "سليمان فياض" في روايته القصيرة "القرين".(٤) من رواية "بوركيني" لمايا الحاج(٥) نقرأ: "امرأتان تتقاسمانني. عندما أملّ إحداهما، أقتلها وأتمسك بالأخرى. طاقة العنف التي في داخلي أجد لها منفذا. أسيلها عبر قتل يومي لواحدة من المرأتين."(٦)

نجد هذا التقمص في رواية "ثلج القاهرة" للكاتبة لنا عبد الرحمن.(٧) كتبت تقول: "أنا هي، وهي أنا. أعيش في هذه الحياة فيها وعبرها ومن خلالها وهي تعيش عبري ومن خلالي."(٨) في رواية "شفيق مقار" "السحر الأسود"(٩) يعتقد "عبد العاطي" أن هناك من يسير جنبه ويزاحمه حياته: "قال عبد العاطي وهو يحاول عبثا أن يجفف عرقه المتصبب بخرقة

(١) بشير مفتي، دمية النار، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت– الجزائر، ٢٠١٠، ص ٥.

(٢) دار الشروق، عمان، ٢٠٠٧.

(٣) الأبيض والأسود، ص ٨.

(٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

(٥) منشورات ضفاف – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠١٤.

(٦) بوركيني، ص ١٥٢.

(٧) دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٣.

(٨) ثلج القاهرة، ص ١٦.

(٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

أخرجها من جيبه: ابن الحرام! بدأ يحاول الآن أن يزاحمني في داخلي أيضا.. كان عبد العاطي يعاني من هذا الهوس، كان مقتنعا اقتناعا كاملا بأن من سار أمامه أو وراءه، أو جانبه، في الطريق، أو اعترض طريقه في أي وقت وأي مكان، لا يبتغي من الحياة شيئا إلا أن يغتصب منه المكان الذي يكون سائرا أو متواجدا فيه."[١]

في رواية "مصطفى محمود" "شلة الأنس"[٢] نقابل هذا الشخص الذي تدفعه الوحدة أو الاضطرابات النفسية إلى مخاطبة نفسه: "الساكن الجديد في فندق الليدو بالغرفة رقم ٢٨ المطلة على البحر رجل أعزب وحيد جدا. ويزيد من إحساسه بالوحدة أنه في غرفة واسعة بسريرين.. وهو أحيانا من فرط الوحدة ينام نصف الليل على سرير والنصف الثاني على السرير الثاني. وهو أحيانا يتيقظ في الصباح فينظر إلى الفراش الخالي بجواره ويلوح بيده قائلا: صباح الخير... وهو ليس مجنونا يكلم نفسه هكذا.. ولكنه فقط وحيد جدا. وقد تعود أن يفزع أحيانا في البداية حينما كان يضبط نفسه بالكلام مع روحه.. ولكنه مع الوقت بدأ يكتشف أنه ليس الوحيد الذي يكلم روحه.. فعلى محطات الترام يقف ناس محترمون جدا بهوات يكلمون أنفسهم.. وفي الشارع وفي البيت.. وفي السوق.. وفي كل مكان."[٣]

من رواية "ذئبة الحب والكتب" لمحسن الرملي[٤] نقرأ: "غدا عندي موعد مع الطبيب النفسي وسوف أقول له بأنني أخاطب وهما في رأسي وأكتب له بريد فتحته له أنا نفسي، لأنني لا أعرف بريده حتى الآن. وأتخيل أحيانا أنني أتلقى منه رسائل أو حتى أكتبها بنفسي ثم أجيب عليها. أسمع صوته ويسمع صوتي. أتصل به ويتصل بي ولا نعرف أرقام هواتف بعضنا.. حتما سيفكر بأنني مريضة نفسيا ولدي عقد وأعاني انفصاما وما إلى ذلك، وسأعترف له بأنني اخترعت رجلا على هواي كي أحبه، لكنني مؤمنة بوجوده في مكان ما من هذا العالم، موقنة من أنني سألتقيه في لحظة ما من هذا العمر."[٥]

---

(١) السحر الأسود، ص ٧، ٨.
(٢) دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤.
(٣) شلة الأنس، ص ٦٢، ٦٣.
(٤) دار المدى، بغداد، ٢٠١٥.
(٥) ذئبة الحب والكتب، ص ٢٠.

من رواية "نسكافيه مع الشريف الرضي" لميادة خليل[1] نقرأ عن شخص يرفض الاعتراف بوفاة حبيبته فيستحضرها ويتحدث إليها: "أتحدث معها لساعات طويلة ولا ترد تنظر لي فقط. أخبرها بكل شيء كما لو انها هنا وليست هنا."[2] وفي رواية "صدفة بتجمعنا" نقرأ: "لم يعد أدهم يحتمل حياة العزوبية تلك. بعد أن قضي فترة يكلم الأثاث تولد عن خياله شخص وهمي يعيش معه في المنزل. يكلمه ويحاوره ويمتدحه ويزجره. كاد أدهم أن يجن. ابتاع العديد من المرايات ليري نفسه ويستأنس بها. خاف أن يموت وتتحلل جثته دون أن يعلم به أحد. دفعه هذا التفكير منذ عام إلى إعطاء سيف نسخة من مفتاح شقته. ذرفت عيناه دمعة ساخنة. عاتب نفسه."[3]

وأمام واحدة من هذه المرايا، ربما مرايا الروح، يدور هذا الحوار في رواية "ما تبقى من أوراق محمد الوطبان":[4] "ألمح وجها يفزعني.. إنه وجهي في المرآة المثبتة فوق الغسالة. أنظر إلى وجهي في المرآة، وأسأله: من أنت؟ يقول لي: أنا.. أنت! أرد بعصبية واضحة: ولكنك لا تُشبهني؟ يقول بهدوء: اسأل نفسك من الذي تغير فينا؟ ثم ستكتشف من الذي لم يعد شبيها بالآخر."[5]

تستهل "نورة آل سعد" روايتها "العريضة"[6] بواحدة من البدايات القوية التي تضعها مع "كافكا" قائلة: "استيقظت بعض عائشة. بعضها الآخر لم يزل نائما منذ أكثر من عشرين سنة."[7] فكرة "البعض" تلك عبر عنها "الحسن البصري" في موعظته الشهيرة: "إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك ذهب بعضك"، لكن ما يهمنا هنا هو فكرة الإنسان المشطور، أو ربما الإنسان المنقسم على نفسه. إنسان روحه تصارع جسده، قلبه يغالب عقله، أو كما قال "كامل

(١) منشورات المتوسط، ميلانو، ٢٠١٦.
(٢) نسكافيه مع الشريف الرضي، ص ١٢.
(٣) صدفة بتجمعنا، ص ٨٢، ٨٣.
(٤) محمد الرطيان، طوي، بيروت – لندن، ٢٠٠٩.
(٥) ما تبقى من أوراق محمد الوطبان، ص ١٢.
(٦) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.
(٧) العريضة، ص ٩.

الشناوي" "بعضي يمزق بعضي".[1] والفكرة تطرح من جديد ثنائية القرين أو تـوهم وجـود شخص غيرك، لكنه منك.

يذكرنا هذا التخيل بصديق اللعب الوهمي الذي يستحضره الأطفال ويتحدثون إليه أثناء لهوهم. هذا التوهم بوجود شخص معك في وحدتك يتكلم معك نجده أيضا في رواية "إلهام منصور" "الصفحة الثانية"،[2] وكانت المرآة هي مصدر خروجه، ربما مـن أجـل ذلـك تحـذر الموروثات الشعبية في ثقافات عديدة من الوقوف طويلا أمام المرآة أو التحديق فيهـا. ويوجـه هذا التحذير إلى الأنثى على وجه الدقة نظرا للعلاقة الخاصة بين "المرأة" و"المـرآة"، والتـي لا يفصلهما "أورثوجرافيا" سوى المد على الألف: "كان اللقاء بينهما غير عـادي؛ وقفـت يومهـا إلهام أمام المرآة لتتفقد تفاصيل وجهها وجسدها، ولكنها فوجئـت بـأن المـرآة تعكـس صـورة إنسي تدير لها ظهرها، وقبل أن تخرج إلهام من دهشتها بدأت الصورة تستدير على نفسها، ومـا كادت تصبح وجها لوجه معها حتى خرجت مـن المـرآة وفي عينيهـا تـساؤل كبـير تحـول إلى استغراب حين نادتها إلهـام باسـمها: هبـى؟ نعـم هبـى، لكـن مـن أنـت، ومـن أدخلـك إلى عالمي؟... كنا رفاق درب واحدة لا نفترق أبدا ولا نختلف أبدا. كنت الصورة التي تعكـسها لي المرآة كلما وقفت أمامها."[3]

من رواية "عادل العجواني" "الحفرة"[4] نقرأ عـن نفـس الفكـرة: "نظـرت لـوجهي في المرآة – أو ما اعتقدت أنه وجهي – فإذا به لا يبادلني الابتسام كما كنـت أفعـل أنـا حينهـا. لا أدري كيف لاحظت هذا الاختلاف... لربما كان ذلك هو الـسبب الـذي حـذرنا مـن أجلـه آباؤنا وأجدادنا من إطالة النظر بالمرآة... لم يكن غياب ابتسامتي بالمرآة هو أكثـر مـا أخـافني، ولكن ما هالني كانت نظرة الحقد الواضحة التي رمقني انعكاس وجهي بها في ثبات."[5]

---

(١) من قصيدة "حبيبها".
(٢) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٨.
(٣) الصفحة الثانية، ص ١٥، ١٦.
(٤) المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.
(٥) الحفرة، ص ٥١.

متلازمة دافنشي

تشير "متلازمة دافنشي" Leonardo da Vinci Syndrome إلى الشخص المبدع الـذي غالبا ما يكون إيقاع تدفق الأفكار والرؤى الخلاقة لديه أسرع من الوقـت المتطلـب لتنفيـذها ووضعها حيز التطبيق أو حتى مجرد تسجيلها ووصفها مما يحدو به في النهايـة إلى تركهـا وبـدء مشروع جديد دون انجاز القديم. هذا الشخص سابق لعصره قد لا يفهمه أبناء جيله ويرمونه بالجنون، لكن بعد مرور فترة من الزمن يكتشف الآخرون سر عظمته واستشرافه للمستقبل. لقد كان لدافنشي الفضل في التمهيد لاختراع الطائرة العمودية ومظلة القفـز وغيرهمـا كثـير. عالج "مصطفى محمود" هذه الفكـرة واقـترب مـن خبـل العبـاقرة في روايتـه "رجـل تحـت الصفر"،[1] في شخص الدكتور "شاهين" الذي تستولي عليه فكرة تحويل الجسد البـشري إلى موجات لاسلكية.

متلازمة جون ترافولتا

"متلازمة جون ترافولتا" John Travolta Syndrome حالة تصيب بعض الذكور حين يتقدمون في العمر فتعرَض جباههم وتنتأ عظام وجـوههم ويتحـول الوسـيم مـنهم إلى هيئـة مغايرة. هذا ما حدث مع الراقص والممثل الأمريكي الشهير "جـون ترافولتـا" الـذي خلـب الملايين بوجاهته، وخلق حالة من الهوس بـالرقص Dinomania. أعطـى "ترافولتـا" اسـمه للمتلازمة والتي تُعرف أيضا بـ "وجـه قـرع العـسل" Pumpkin Head. وتنطبـق المتلازمـة أيضا على من يُصاب بمرض ما يتحول على أثره لشخص قبيح الهيئة بعد وسامة ملحوظة.

عالج "علوان السهيمي" هذه المتلازمة في روايته "حياة بنصف وجـه"[2] والتـي تـدور حول شاب تحول إلى شخص دميم بعد مرض ألم به، وكيف أثر ذلك على معطيات ومفـردات حياته، وكيف ألجأته حالته إلى الخرافات ليخرج من أزمته من باب أن "الغريق يتعلق بقشة". نفس التفكير اقتحم عقل "منير" في رواية "قبر راحيل" ولو أن الأخير وجد الملاذ الأخـير في الصوفية: "تردد منير هل يستخدم الدهان أم يلقي به في سلة المهملات؟ يا حيرة المريض بـين

(١) دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣.

(٢) المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٥.

طبيب يداوي بالعلم وعطار يداوي بالأعشاب ومعالج بالرقية الشرعية والقرآن وشيخ يقول لك ليس أمامك إلا الصدقة. وقف منير أمام المرآة فرأى مسخا ووجد معه مايكل چاكسون وأحدب نوتردام وملك القدس بيلدوين الرابع[1] والرجل الفيل، جوزيف ميرك،[2] والمتحول في رواية روبرت لويس ستيفنسون الدكتور جايكل والسيد هايد. مرت لحظات وهو يحملق في المرآة، ثم تذكر كلمات صلاح عبد الصبور التي وضعها على لسان الشبلي في مسرحية مأساة الحلاج:

قل: من صنع الموت؟

قل: من صنع العلة والداء؟

قل: من وسم المجذومين والمصروعين؟

قل: من سمل العميان؟

من مد أصابعه في آذان الصم؟

من شد لسان البكم؟

من سود وجه السود؟

من صفر وجه الصفر؟"[3]

متلازمة شاك كاننجهام

تُشير "متلازمة شاك كاننجهام" Chuck Cunningham Syndromeإلى الشخص الذي يختفي فجأة. أخذت المتلازمة اسمها من شخصية ظهرت في مسلسل أمريكي من نوعية كوميديا المواقف يحمل عنوان "الأيام السعيدة" Happy Days. هذه الشخصية اختفت فجأة وبدون مقدمات أو مبررات بعد الموسم الأول أو الجزء الأول.

---

(1) Baldwin IV.

(2) Joseph Merrick.

(٣) قبر راحيل، ص ٧٨، ٧٩.

هذا النوع من الاختفاء يقدمه لنا الكاتب "عبد القادر عقيل" في روايته "أيام يوسف الأخيرة".[1] يصف مشهد الاختفاء قائلا: "قبل ثلاثة أعوام، ولم يكن لي آنذاك من العمر سوى عشر سنوات، قرر أبي أن يتخلى عنا، فرحل دون أن نعرف دواعي رحيله، أو نسمع عنه شيئا. لم يكاتبنا، ولم يكلمنا، ولم يُعلمنا بمكان وجوده، وترك أمي وحدها تنوء بعبء إيواء وإطعام أولادها الثلاثة: محمود ويوسف وأنا .كان يوما كأي يوم مضى، خرج في الصباح دون أن نلاحظ عليه شيئا غير عادي. أعطاني مع محمود مصروف المدرسة اليومي، وغادر البيت وهو يغمز لي بعينه دون أن يقول شيئا. كانت هذه آخر مرة أراه فيها .انتظرناه طوال النهار، قلقت أمي كثيرا. فليس من عادته أن يتأخر في العودة. طلبت أمي من محمود أن يتصل بالمصنع من محل البقالة القريب، لكن محمود عاد دون نتيجة فقد اتضح أن أبي لم يذهب إلى العمل في ذلك اليوم. طلبت أمي من محمود أن يعتني بالصغير يوسف ريثما تذهب إلى مركز الشرطة للإبلاغ عن اختفاء أبي. رافقت أمي إلى مركز الشرطة. كانت قلقة جدا وتتمتم خائفة: يا رب.. يا رحيم. هناك قدمت بلاغا عن اختفاء أبي، فسألوها أسئلة كثيرة بطريقة ودية قدر الإمكان: عن مكان عمله، وأوصافه، وأصحابه، ووضعه الصحي والمالي. كانت مشتتة الفكر. تجيب على أسئلتهم وتقاطعهم طالبة منهم أن يتصلوا بالمستشفيات، لعل حادثا وقع له، ثم تسأل إن كان مقبوضا عليه. لكن كل الاتصالات لم تسفر عن شيء. أبي ليس في العمل، ولا في المستشفيات، وليس مدرجا ضمن قوائم المسافرين، ولا في أقسام الشرطة. أمتعته وملابسه وأوراقه الثبوتية كلها موجودة بالبيت. هو هنا، في مكان ما، ولكن أين هو؟ ماذا حدث له؟ لا أحد يعرف .بعد مضي شهر من البحث والسؤال بدأ اليأس يدب في روح أمي. وصارت لا تنفك تردد على مسامعنا، وهي تتفجع، أنه تخلى عنا من أجل امرأة أخرى. لكنها كانت تدرك، أنه لا نحن، ولا هي، نصدق ما تقوله".[2]

اختفاء الزوج هذا الذي تفسره الزوجة على أنه صد وهجر أعادت إنتاجه "شهلا العجيلي" في روايتها "سجاد عجمي"،[3] وفيها يترك "البغدادي" زوجته "لبانة" ويقصد "خراسان" وهناك يتزوج "أعجمية". أما "لبانة" فقد ظلت تنتظر وطفلها أوبته وتملكها

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩.

(٢) أيام يوسف الأخيرة، ص ٢.

(٣) منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٣.

اليأس من ذلك. وسبق "شهلا العجيلي" "صالح مرسي" في روايته "زقاق السيد البلطي"[(١)] وفيها يغلف اختفاء "السيد" بإرادة قوى غيبية كالجنية أو عروس البحر: "كان أكثر ما يثير شجنها في تلك اللحظات أنه ذهب دون أن يودعها.. فيفيض قلبها بالمرارة والأسى... وتجذبها على الفور ذكريات لم تفقد جدتها رغم مرور عشرين عاما كاملة، فتستسلم لرجفات قلبها وهي تتساءل في دهشة: ترى ما شكلها؟.. هل نصفها سمكة ونصفها إنسان؟!.. وكيف تعاشره إذن؟!.. ألا يشتاق لحنفي وعائشة؟.. كم أوحشها وجهه العريض القوي بشاربه الكث الذي يغطي خديه.. لماذا لم ينتبه يوم أن اختطفته تلك الجنية الصارخة الجمال؟.. هل ذهب معها برغبته أم ذهب مغلوبا على أمره؟!... يقولون عنها إنها كانت جميلة كالبدر في ليلة تمامه، لكن جمالها لم يشفع لها عند السيد، فتركها وتزوج جنية من جنيات البحر."[(٢)]

زوج آخر يختفي فجأة في رواية "فندق كويستيان" لخضير فليح الزيدي":[(٣)] "في سيارة الريم.. جلست قرب امرأة ثلاثينية ملفعة بالسواد تخفي بعضا من وجهها المضاء بعباءة شديدة السواد وذات لمعة حادة، تدعى رباب حسن وتسكن في بغداد، يختفي الزوج في ظروف معركة غامضة لم يخضها كهذه.. لم يعد إلى بيته منذ أربعة أشهر.. رباب المسكينة تعبت من البحث والسؤال عنه في كل مكان ومتابعة المذياع."[(٤)]

في رواية "جانجي" لطاهر أحمد الزهراني[(٥)] يختفي الصديق فجأة ودون سابق إنذار أو تحديد لوجهته: "بحثت عنك فلم أجدك. كنت أتصل على هاتفك المحمول عدة مرات من غير جواب. أسأل عنك هنا وهناك ولم أجد من يشفيني بجواب... أين أنت؟ إلى أين ذهبت؟... ذهبت إلى الجبل الصغير الذي كنا نتناول فيه طعامنا.. ذهبت إلى الشاطئ الجنوبي المهجور.. ذهبت إلى شارعنا المحبوب.. ذهبت إلى أماكن الصيد.. ذهبت إلى كل مكان فلم أجدك... شعرت بأن أمرا حدث لك."[(٦)]

---

(١) دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٣.
(٢) زقاق السيد البلطي، ص ٦.
(٣) دار الحريري، بيروت، ٢٠١٤.
(٤) فندق كويستيان، ص ٩٤.
(٥) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٧.
(٦) جانجي، ص ٤٦، ٤٧.

الاختفاء المفاجئ موجود أيضا في روايـة "اليتـيم" لعبـد الله العـروي،[1] وفيهـا يختفـي "إدريس" و"مارية" في "مراكش". أما الاختفاء القسري فقد قدمه لنـا "يوسـف فاضـل" في روايته "طائر أزرق نادر يحلق معي".[2]

متلازمة بوتكين

"الدين أفيون الشعوب"، عبارة مشهورة لكارل ماركس تعني أنك لـو أردت أن تُغيـب شعبا أو جماعة أو طائفة اجعلهم يغرقون في الدين والتـشدد والتزمـت. ورغـم أهميـة الـدين للإنسان والتي لا يختلف عليها أحد، إلا أن عبارة "ماركس" أيـضا صـحيحة إلى حـد كبـير، ونحن نتلمس أثرها في أيامنا تلك والتي أفرزت لنـا جماعـات تكفيريـة مـا أنـزل الله بهـا مـن سلطان. هذه الجماعات التي تدعي أنها "جهادية" لا تتورع عن ارتكاب الموبقات متخفيـة في عباءة الدين. وهذه الجماعات غير المتنورة تصادر أي رأي يخالف فكرها. وحتى الرواية، وهي موضوع كتابنا هذا، لم تـسلم مـن أيـديهم فكـم مـن الروايـات حُظـرت ومُنعـت وامـتلأت بعناوينها قوائم ليس المجال هنا لذكرها، بل نكتفي ربما بإشارة إلى واحدة منهـا وهـي روايـة "قوارب جبلية" لوجدي الأهدل،[3] وقد تسببت بعض العبارات فيهـا إلى مـصادرة الروايـة وغلق دار النشر التي قامت على طباعتها ومنع صاحبها من السفر وربما تكفيره. نقرأ في فقـرة منها عن المطاوعة المتشددين وكيف أنهم كادوا يفتكوا بشارب خمر لولا علمهم بأنه له منعة في قبيلته: "في باب اليمن وقبيل صلاة الفجر، أمسك المطاوعة بطيار مخمـور، وعنـدما اكتـشفوا رتبته الرفيعة أسقط في أيديهم، ودلفوا به إلى الجامع الكبير، فصلى بالمأمومين خلفه مرتلا: بلغ الأحباب مني سلام، فوصل صوته الجهوري عبر مكبرات الـصوت إلى كـل سـكان صـنعاء القديمة."[4]

ولأن الأسرة هي عماد المجتمع، وهي المؤثر الأول في طبيعة مـا يُغـرس في عقـل الطفـل تتضح أهميـة دراسـة "متلازمـة بـوتكين" Botkin Syndrome والتـي تـشير إلى التـأثيرات

(١) دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٧٨.
(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٣.
(٣) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٢.
(٤) قوارب جبلية، ص ٢٣.

النفسية التي يُصاب بها الأطفال الـذين يترعرعـون في أسر دينيـة متـشددة Sebastomania. أخذت المتلازمة اسمها من عائلة "جيوفري بوتكين" Geoffrey Botkin "الإيفانجيليكية" Evangelical المتشددة. تنتشر هذه الأسر في جنوب الولايات المتحدة فيما بات يعرف بحـزام الإنجيل Bible Belt. يتمتع الأب في هذه الأسر بمكانة خاصـة بـصفته راعـي الأسرة، كـما تحظى هذه الأسر ببنية متماسكة وهو أمر طيب بالنسبة للمجتمـع مـع الـتحفظ عـلى المغـالاة الدينية كعامل محفز لهذا التماسك.

التعليم الديني موجود في العديد من الأسر التي تنتمي لديانات مختلفـة كمـسار مـوازي للتعليم العادي أو ربما المسار الوحيد. نجد ذلك في كتاتيب المسلمين ومدارس الآحـاد لـدى المـسيحيين ومـدارس الـسبت لـدى اليهـود. نقـرأ مـن روايـة "معتـز فتيحـة" "آخـر يهـود الإسكندرية":(١) "وكان للتعليم الديني جانب مهم في تربية الأولاد، حيث قرر السيد حكيم إلحاق أولاده بمدرسة أيام السبت، بمعبد الياهو حنـابي، القريـب مـن منـزلهما بـشارع النبـي دانيال، الذي يعد المعبد الرئيس للطائفة اليهودية بالإسكندرية."(٢)

المشكلة الأساسية في هذا التشدد أنها قد تدفع الأطفال إلى الفشل أو العنف. في "مذبحـة منـشار تكـساس" Texas Chain Saw Massacre وهـي قـصة حقيقيـة نقلتهـا الـسينما الأمريكية عامي ١٩٧٤ و ٢٠٠٣ نعلم أن الأم كانت متشددة وكانت تتحـدث مـع أولادهـا عن جهنم والعذاب والنار بشكل مبالغ فيه.(٣)

عالج "حمد الحمد" قضية التشدد أو التزمت في روايته "زمن البوح".(٤) في رواية "الحمام لا يطير في بريدة"(٥) خرج التشدد من الأسرة ليشمل المجتمع. التشدد الديني موجـود أيـضا في روايات عديدة منها – على سبيل المثال لا الحصر - "زوج حذاء لعائشة".(٦) وكـما أخـرج

(١) دار أكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.
(٢) آخر يهود الإسكندرية، ص ١٦.
(٣) عالج "هاني فوزي" هذه الفكرة في سيناريو فيلم "بحب السيما"، ٢٠٠٤.
(٤) مكتبة العروبة، الكويت، ٢٠٠٩.
(٥) يوسف المحيميد، المركز لثقافي العربي ودار الآداب، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠١١.
(٦) نبيلة الزبير، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

التشدد الأسري شخصية "عبد المحسن" الملحد في "عشريني وأربعينك"،(١) أخرج التطـرف في المجتمعات التي يفتش فيها البعض في ضمائر الآخرين وينصبون أنفسهم حراسا للفـضيلة كما ارتأى "يوسف المحيميد"، وفي رواية "حسن داوود" "لا طريق إلى الجنـة".(٢) في الروايـة الأخيرة ينزع البطل عباءة الدين التي ألبسها له والـده ويقـرر أن يتحـرر مـن سـلطة الأسرة. ومن رواية "الخفافيش تراود الضياء" لهيثم الحلو(٣) نقرأ: "منذ تلك اللحظة التـي كـان فيهـا صغيرا واعيا يستمع إلى ما يتحدث به الكبار من عائلته عن الله والقيامة كان يصدقهم بيقينيـة وبدء الطقوس كما علموه، المشكلة فقط أنه أسرف.. أخذ الموضوع بجدية حقيقية."(٤)

الأسرة المتشددة تخلق مجتمعا متشددا أو تفرز منه جماعـات تكفيريـة تـستبيح دمـك إذا لم تؤمن بأفكارهم عن الجهاد والخلافة. رأينا هذا الفكر عند التكفير والهجرة والقاعدة وداعش والقائمة تطول. يذبحون الناس بالمدي ثم يكبرون. بالسكاكين السويسرية يقطعون الرؤوس لأنك غربي كافر أو شيعي خارج أو سنى مفرط أو.. أو. "في بلد لا موز فيه"، كتـب "محـسن الرملي" في روايته "حدائق الرئيس"،(٥) "استيقظت القرية على تـسعة صـناديق مـوز، في كـل واحدة منها رأس مقطوع لأحد أبنائها، ومع كل رأس بطاقته الشخصية التي تـدل عليـه لأن بعض الوجوه تشوهت تماما بفعل تعذيب سابق لقطعها أو بسبب تمثيل بها بعد الذبح."(٦)

متلازمة فلورنس نايتنجيل

تشير "متلازمة فلورنس نايتنجيل" Florence Nightingale Syndrome إلى المـريض الذي يقع في حب ممرضته أو مطببته أو من تقـوم عـلى خدمتـه والعنايـة بـصحته.(٧) أخـذت

(١) حنان مسلم، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٠.
(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.
(٣) دار سطور للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٥.
(٤) الخفافيش تراود الضياء، ص ٦٨.
(٥) دار الثقافة للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠١٢.
(٦) حدائق الرئيس، ص ٧.
(٧) نجد هذه العلاقة في السينما الأمريكية في فـيلم "القلـب الأرجـواني" The Purple Heart، 1984 وفيـه يقع رقيب في البحرية الأمريكية في حب ممرضته، وكلاهما كان يخدم في لبنـان. تعـرض "عـز الـدين ذو الفقار" أيضا لهذه الفكرة في قصة فيلم "الشموع السوداء"، ١٩٦٢.

المتلازمة اسمها من رائدة التمريض، السيدة "نايتنجيل" (١٨٢٠ – ١٩١٠) والتي اشتركت في "حرب القرم" The Crimean Warوأظهرت تعاطفا كبيرا تجاه المرضى وتفهما لأوضاعهم فوقع الكثيرون منهم في حبها.

قدم "إرنست هيمنجواي" هذه الفكرة في روايته "وداعا للسلاح" Farewell to Arms وفيها يقع جندي أمريكي في حب ممرضة إنجليزية. في رواية "بين الحب والحرب"[١] نجد هذا الشعور بالإعجاب يبديه الفارس الصليبي الجريح "يودس" نحو الفتاة المصرية "وسيلة" التي وقعت في الأسر وخُصصت لخدمته. يطلب "يودس" من قائد الحملة الصليبية الحصول على الفتاة ويعود بها إلى قبرص. حين يشعر بضعفه أمام جسمها الشهي يقرر إهدائها لإحدى قريباته.

نجد هذه المتلازمة بحذافيرها في رواية "فاتحة مرشيد" "لحظات لاغير".[٢] تدور الرواية حول "أسماء"، طبيبة متزوجة من رجل يشاركها مهنة الطب، لكنها لا تشعر معه بالسعادة لأنه لا يراعي احتياجاتها العاطفية. تقع في غرام مريضها المكتئب "وحيد"، والذي عوضها بكلماته عن الحياة الرتيبة البرجماتية التي تعيشها مع زوجها. فتح لها آفاق جديدة وقدمها لعالم الشعر والرومانسية الذي تهواه. أُصيبت بسرطان الثدي فسافرت إلى باريس وحشت موضع الثدي المستأصل بالسيليكون. حصلت على الطلاق من زوجها واقتربت أكثر من الشاعر الذي ترك زوجته الفرنسية ليعيش معها.

---

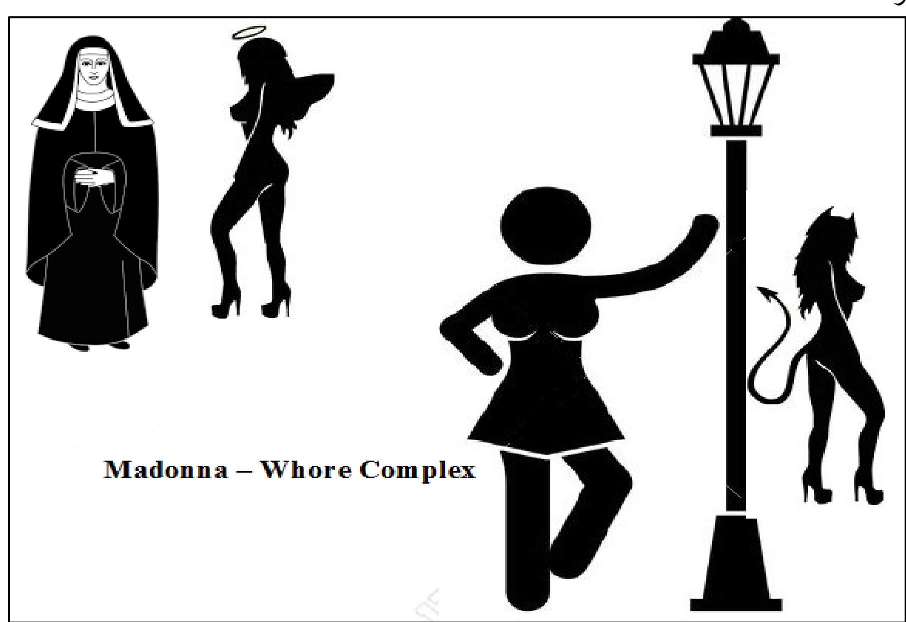
(١) محمد عزب، دار ليليت، الإسكندرية، ٢٠١٣.

(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.

الفصل الخامس

عقد وأوهام ومتلازمات مستوحاة من شخصيات دينية

عقدة قابيل – عقدة يهوه – عقدة المسيح – عقدة يونس – عقدة العذراء ومـريم الخاطئـة – متلازمة توما الشكاك – متلازمـة دليلـة – عقـدة سـارة – متلازمـة لازاروس – متلازمـة سليمان – متلازمة أحاب – متلازمة زوجة لوط – متلازمـة الملـك داوود – متلازمـة مـاري ومارثا



عقدة قابيل

مع قدوم المولود الجديد أو آخـر العنقـود The Benjamin of the Family قـد يـشعر الطفل الأكبر بتغير في معاملة الوالدين وبانـصراف أمـه لرعايـة الوليـد والاهـتمام الزائـد بـه فتشتعل غيرته والتي قد تتطور فتصبح عقدة تُعرف بعقدة "قابيل" Cain Complex.[1] قـد

---

(١) في السينما المصرية راجع فيلم "الأخوة الأعداء"، ١٩٧٤ وفيلم "صابرين"، ١٩٧٥.

يحاول الطفل الأكبر الاعتداء على أخيه الصغير الأمر الذي قد يودي بحياته.(١) يُعرف هذا الشق من عقدة قابيل بعقدة أخوات يوسف Joseph's Brothers Complex.

في رواية "سجن العمر" لتوفيق الحكيم(٢) نجد هذا الصراع بين الابن الأول والثاني. "توفيق" بطل الرواية يشعر بالغيرة الشديدة من أخيه الأصغر "زهير" الذي قاسمه ثدي أمه واهتمامها والحلوى مما جعله يدخل في موجات غضب هستيرية فيحطم الأواني ويقوم بإلقائها من النوافذ. الطفل الدخيل، على حد قول الأستاذ "جورج طرابيشي"، يُخرج البكر من الفردوس الأبوي.(٣)

لعقدة "قابيل" مظهر آخر هو اهتمام الأسرة بالطفل البكر وتميزه عن الآخرين الأمر الذي قد يُشعل نار الحسد في قلب الطفل الصغير فينقم على أخيه الأكبر. "بعد الولادة، يواصل الابن البكر الاستمتاع بهذا الوضع المتميز، حيث يشعر أنه مصدر لغبطة الأهل، حتى مولد أخ ثان، فيقال له في كل مناسبة: لقد نزلت عن عرشك، لكنه يواصل الاستمتاع ببعض علامات القبول الاستثنائية. فعلى الدوام يُسمعه الأب بعض الأقوال التي نورد منها: ستحل محلي في الأشغال. ستقوم مقامي عندما أغيب. أنت رجل البيت. أنت مسؤول عن أخوتك وأخواتك وحتى عن أمك. أنت الولد الذي أعتمد عليه. عليك أن تكون القدوة الحسنة."(٤) ينقل هذه الكلمات في السرد العربي "إسلام أبو شكير" في روايته "القنفذ"(٥) والتي يقول فيها: "باسل كان الأخ الأكبر. ومن الطبيعي أن تتجه الأنظار إليه باعتباره الخليفة الذي سيتم إعداده جيدا. لن أتحدث طويلا في الأمر، إذ لا جدوى من ذلك الآن. أريد أن أقول إن اتجاه الأنظار إلى باسل وضعني في الظل."(٦)

---

(١) في "متلازمة التلميذ المفضل للمدرس" Teacher's Pet Syndrome قد يتعرض هذا الطالب أيضا للاعتداء من قبل أترابه.

(٢) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٣) عقدة أوديب في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢.

(٤) سلت روز الأشقر، الابن البكر، وجه مميز، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٧، ص ٨.

(٥) دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.

(٦) القنفذ، ص ١٦.

تعود تسمية العقدة لقصة القربان الذي قدمه "هابيل وقابيل" كما وردت في القرآن. هناك تفسير آخر للقصة يدور حول اقتران الأخوين من أختيهما. تكررت قصة "هابيل وقابيل" في الأسطورة الفرعونية "ست وأوزوريس" والتي انتهت بقتل الأول للأخير. احتفظ الأدب الفرعوني أيضا بقصة الأخوين، "أنوبيس وباتا". اشتهاء المرأة أو بالأحرى زوجة الأخ هي القاسم المشترك في الأسطورة والقصة الأدبية. التفسير الجنسي للعقدة يقضي بأن الأخ تتولد لديه مشاعر مكبوتة تجاه أخته الشقيقة وربما العكس. الإمبراطور الروماني "كاليجولا" مارس الجنس مع ثلاثة من أخواته هن "جوليا وليفيليا ودروسيلا". نفس العلاقة موجودة في اقتران "تحتمس" الثاني من "حتشبسوت" و"أخناتون" من "نفرتيتي" و"بطليموس" الثاني من "أرسينوس". وجاء في التوراة: "وقال أمنون لتامار: أدخلي الطعام إلى المخدع فآكل من يدك. فأخذت تامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع؛ وعندما قدمت له ليأكل، أمسكها وقال: تعال اضطجعي معي يا أختي. فقالت له: لا تغتصبني يا أخي، لأنه لا يُفعل هكذا في إسرائيل، فلا تفعل هذه الفاحشة، فأما أنا فأين أذهب بعاري؟ وأما أنت فتكون كواحد من الحمقى في إسرائيل. فأبى أن يسمع لكلامها، بل تمكن منها واغتصبها وضاجعها."(١)

اشتهرت متلازمة قتل الأخ في دولة الخلافة العثمانية، لكن بدافع مختلف، وهو الإنفراد بالحكم دون منازع. في الإمبراطورية "الساسانية" قام "كسرى أنو شروان" (٥٣١ – ٥٧٩) بقتل والده "قباذ" (٤٩٩ – ٥٣١)(٢) الخليفة العباسي "المأمون" قتل أخيه "الأمين". السلطان "محمد الثاني" (١٤٥١ – ١٤٨١) أصدر أوامره بقتل أخيه الرضيع "أحمد". قبلها في عهد "محمد الفاتح" صدر تشريع يجيز قتل الأخوة.(٣) في عام ١٥٦٦ أصدر "سليم الثاني" أمرا بوضع الأخوة في قفص ذهبي عوضا عن قتلهم.(٤) في روايته "سراي نامه" يصور لنا

(١) صموئيل: ١٣ (١٠ – ١٤).

(٢) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣٦٥ – ٣٤٥.

(٣) في فيلم الرسوم المتحركة "الملك الأسد"Lion King، 1994 يقتل "سكار" Scar أخيه الملك "موفاسا" Mufasa ويستولي على العرش تماما كما في مسرحية "هاملت".

(٤) راجع بحث د/ بشرى الساعدي، "شريعة قتل الأخوان وأثرها في نظام حكم آل عثمان (١٥٢٠ – ١٦١٧)، الجامعة المستنصرية ببغداد، مجلة كلية الآداب، العدد الثاني، ديسمبر، ٢٠١١.

"محمد عبد القهار"[1] مشهدا لقتل الأخ في الدولة العثماني كما يلي: "اقترب من قفص أخيه الذي ليس إلا بيتا صغيرا يتوسط حديقة تحدها جدران عالية. انحنى له الخصيان وفتحوا باب القفص. دخل وتأكد أن خنجره الذهبي مثبت بحزامه. رأى السلطان أخاه موليا إياه ظهره يقرأ القرآن كعادته. اقترب من الأخ المغيب واستل الخنجر من غمده ورفعه عاليا، ليهوي به على مؤخرة العنق المنحنية على المصحف. التفت القتيل إلى قاتله وقد أوزغت منه الدماء." [2]

افتتح "محمد قسم الباري" روايته "حيث تكمن الألوان"[3] بهذه الكلمات: "قتلت أخي ليلة البارحة، ولم يكن ذلك مجرد كابوس؛ لأنني لم أنم حتى الفجر، فقد دفنته بينما الصباح يرسل أشعته الأولى، وضعت رفاته في قبر عادي ثم أهلت عليه التراب. وليس ذلك ما يهم في الأمر جدا، إن ما يهم حقا أنني لا أحس بأي نوع من الندم، رغم أن مشاعري نحوه لم تشوبها شائبة من الزيف، ولو كان من إنسان أحببته حقا، ودونها شروط في هذه الحياة الفانية، فذاك ياسر بلا شك. عدت من دفنه وحيدا، ينقبض قلبي كأنني بين هاويتين."[4]

في روايته التي عنونها "قابيل.. أين أخوك هابيل؟" تناول الروائي "إبراهيم الكوني"،[5] متلازمة قتل الأخ وربطها بالتاريخ العثماني، لكن هذه المرة بعيدا عن حاضرة الخلافة، بمعنى أن الصراع يدور في "طرابلس" الغرب، إحدى الأقاليم التابعة للإمبراطورية في أواخر القرن الثامن عشر. العنوان مأخوذ من سفر التكوين: "وحدث إذا كان في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله. فقال الرب لقايين أين هابيل أخوك. فقال لا أعلم. أحارس أنا لأخي. فقال ماذا فعلت. صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض. فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائها وهاربا تكون في الأرض."[6] في الرواية يغدر "سيدي يوسف" بأخيه الباشا من أجل

(١) مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠١٣.
(٢) سراي نامه، ص ١٢-١٣.
(٣) سنابل للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨.
(٤) حيث تكمن الألوان، ص ٧.
(٥) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.
(٦) ٤: ٨-١٦.

العرش. كان لدى الـوالي "عـلي باشـا القارمـانلي" ثلاثـة أولاد: "حـسن، أحمـد ويوسـف". وحسب الناموس فالحكم للابن الأكبر، لكن "سيدي يوسف" كان له رأي آخر.

بقـى لنـا أن نـشير إلى أنـه في ملحمـة "الحـرافيش" لنجيـب محفـوظ (المقـاطع الثمانيـة والخمسين / الحكاية الخامسة) يحتدم الصراع داخل بيت الناجي بين الأخـوين "قـرة عينـي" و"رمانة" وزجت نار الفتنة بينهما زوجتان شقيقتان هما "عزيزة" و"رئيفـة". انتهـى الخـلاف بتجاسر "رمانة" على قتل أخيه ليستأثر بالمال والجاه الموروث عن "آل الناجي". وأخيرا يقدم "برهان شاوي" طرحا في روايته "متاهة قابيل"[١] مفاده أن هابيل المقتول لم يعقب وأننا نحن البشر، سكان هذا العالم، ورثة القاتل، قابيل، ومن أجل ذلك نسرف في القتل.

عقدة يهوه

تــرتبط "عقــدة يهــوه" أو "جهوقــا" Jehovah Complex بجنــون العظمــة Megalomania أو Caesar Mania فتجعل المصاب بها يتوهم أن له صفات إلهيـة. لنجيـب محفوظ تأويلات رمزية خاصة بالعلاقة مـع الله منـذ ابتكـاره لشخـصية "الجبـالي" في "أولاد حارتنا،[٢] الأب "الأعلى الغيبي" كما تسميه "يمنى العيد"،[٣] الأب الذي كتب عنه "يوسف عيد" في روايته "قبل الرحيـل":[٤] "كـان أبي سـيد البيـت المطـاع، كلمتـه نافـذة، ورأيـه لا يناقش... وكانت أمي، بدورها، كغالبية النساء الريفيات، تجل أبي وتوقره. لا تجادلـه في أمـر، ولا ترد له طلبا، إيمانا منها بالحكمة المأثورة القائلة بأن الزوج هو الأب الأصغر."[٥]

هذا وقد ألقى "جورج طرابيشي" الضوء عـلى هـذه الشخـصية في كتابـه "الله في رحلـة نجيب محفوظ الرمزية"،[٦] إلا أن الربط بين العقدة وشخصية "الجبـالي" لا تبـدو صـحيحة. ربما كان الأقرب لتقمص الصفات الإلهية بعض أئمة الـصوفية، ونخـص مـنهم "الحـلاج".

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣.
(٢) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٣) الرواية العربية: المتخيل وبنيته الفنية، الفارابي، بيروت، ٢٠١١. ص ٢٢٢.
(٤) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.
(٥) قبل الرحيل، ص ٢.
(٦) دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٣.

تناول سيرته "صلاح عبد الصبور" ثم عاد "عباس أرناؤوط" فعالج سيرته في رواية "وارتعش القلب عشقا"[١] اعتقد الحلاج بالفناء في الله والحلول فيه والاتحاد به، وإليه تُنسب هذه الأبيات: (**مزجت روحي بروحك كما * تمزج الخمر الماء الزلال / فإذا مسك شيء مسني * فإذا أنت أنا في كل حال**). في رواية "شمس المعارف" كتب "عمرو المنوفي"[٢] ربما مستحضرا مجادلة "النمرود" حين أحضر عبدين أمام "إبراهيم" عليه الصلاة والسلام فقتل أحدهما وأبقى على الآخر تأكيدا على أنه أيضا يُحيي ويميت: "أن تقتل بيدك للمرة الأولى.. إحساس لا مثيل له.. أنت تلعب دور الإله ولكن بوقاحة.. منذ هذه اللحظة لم تعد أنت.. ما تبدل بداخلك لا يمكن إصلاحه أو إعادته لسيرته الأولى."[٣]

عقدة المسيح

فكرة الخلاص متأصلة في الواقع البشري فمنذ ولادة الإنسان يتخلص من مشيمته التي تسمى مع الماء والدماء للمفارقة بـ "الخلاص". ويظل الإنسان في حربه مع الجسد حتى يتخلص منه بالموت ويحقق فكرة الإنعتاق. الجسد إذن – طبقا لهذه الفكرة الصوفية – عبئا على الروح أو كما يقول الإنجيل "الروح تواقة لكن الجسد ضعيف" The spirit is willing, but the flesh is weak.[٤] تناولت "سلوى بكر" هذه الفكرة في روايته "العربية الذهبية لا تصعد السماء".[٥] بطلة الرواية، "عزيزة" لديها لوثة وتتحدث مع أرواح غيبية وتحلم بالتحرر من خلال عربة ذهبية تأخذها بعيدا عن شرور العالم وقسوة الإنسان.

الشخص المصاب بـ "عقدة المسيح" Messiah Complex يتوهم أنه "المنقذ" أو "الفادي" أو "المُخلص" Redeemer / Savior . قال عن نفسه وفق ما أورده الإنجيل: "لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم."[٦] يعود المفهوم إلى اعتقاد المسيحيين بأن دم المسيح

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١١.
(٢) دار نون، القاهرة، ٢٠١٥.
(٣) شمس المعارف، ص ٥٢.
(٤) متى، ٢٦.
(٥) سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩١.
(٦) يو، ١٢: ٤٧.

خلصهم من الإثم والخطيئة. الخطيئة هنا هي الذنب الذي اقترفه آدم وحواء في الجنة، والـذي تقول عنه "لولوة المنصوري في روايتها "خرجنا من ضلع جبل":[1] "هل حقا كانـت خطيئـة أبينا آدم وأمنا حواء أما لكل الأخطاء البشرية؟ فكل إثم نجـد لـه انعكاسـا في هـذه الخطيئـة الواحدة!"[2]

أثناء الحرب العالمية الأولى توهم الجنود في خنادق الجبهة الغربية التي امتدت مـن فرنـسا إلى بلجيكا أن العذراء تظهر لهم، وأن كل منهم مشروع مسيح يضحي بدمه في حـرب عادلـة مقدسة للتخلص من محور الشر ولفداء أوروبا الجديدة. عمل الإعلام والكنيسة على النفخ في هذا البوق ليجلبوا المتطوعين إلى الجبهة حيث يموتـون هنـاك كـالخراف! مـع مـرور الوقـت تكشفت الحقيقة البشعة للحرب وزالت الأوهام لتحل محلها الآلام والمآسي.

تُصيب "عقدة المسيح" الأشخاص الذين يتوهمون أن خلاص البشر سيأتي عـلى أيـديهم وأن لديهم وصفة لحل جميع مشاكلهم فقط لو أتيحت لهم الفرصة.[3] "نادني الله يا فاطمة. أما ترين ما أصاب الدين من بلاء. تغير الزمان. ملئت الأرض جورا... ألا أستجيب لـداعي الله ورسوله إذا دعاني لما يحيينـي؟ وعـد الله سـيدنا المهـدي عليـه الـسلام."[4] في روايـة "كـش وطن"[5] نقرأ: "أشعر أنني نبي أُرسل في غير أوانه."[6] لكن غالبا ما يصطدم هذا الـشخص بالواقع المرير فيفقد حلمه الطوباوي، بل وقد يفقد حياته معه: "أين هـذا مـن الحلـم الأول؟ متى فقدت الأمل في الحلم وقبلت بالواقع؟ ما هي اللحظة الفاصـلة بـين أنـا القـديم، ذلـك الحالم الساعي لتغيير العالم، وبـين أنـا الـذي صرت؟ في أي يـوم، في أي سـاعة، في أي لحظـة فهمت أن الحلم حلما وأن الواقع واقعا؟"[7] فات الأوان إذن. "فات الأوان يا بطلي. انتهـى.

---

(١) ثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١٤.

(٢) خرجنا من ضلع جبل، ص ٥٦.

(٣) العجيب أن شخصية "حلال العقد والمشاكل" تلـك أو "طبيـب القلـوب الحـائرة" Agony Aunt قـد تفشل في حل مشاكلها الخاصة، بل وقد تصرح – من باب المشاركة الوجدانيـة – بأنهـا تعـاني مـن نفـس المشكلة كما في "متلازمة أوبرا وينفري" Oprah Winfrey Syndrome.

(٤) حمور زيادة، شوق الدرويش، دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.

(٥) (٥) شهيد حلفي، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥.

(٦) كش وطن، ص ٦٩.

(٧) عز الدين شكري فشير،غرفة العناية المركزة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٢١.

قمت بدورك وقاموا بدورهم لكنني لا أستطيع أن أقول على أحسن وجه... كنت أحدس دائما بأنك تهيئ نفسك لدور الشهيد. مسيح جديد."[1]

كما تنطبق المتلازمة أيضا على من يضحون بنفسهم فعليا من أجل الآخرين كما هو الحال مع "سيدني كارتون" Sydney Carton في رواية "قصة مدينتين" لديكنز والذي ضحى بنفسه من أجل سعادة حبيبته "لوسي مانيت" Lucie Manette. هناك أيضا من يتلقى وابلا من الرصاص جاعلا من نفسه درعا بشريا أو خلافه. في "صدفة بتجمعنا" نقرأ: "تذكر أدهم قصة حكاها له سيف منذ سنوات. قصة قصيرة من الأدب الروسي، لكنه لا يذكر عنوانها ولا اسم مؤلفها.[2] تدور القصة حول جنديين أو ثلاثة لا يذكر حوصروا في نقطة أثناء الحرب. كان أمامهم موقع رشاش يغلق عليهم طريق الانسحاب. كان يجب التخلص منه ليتمكنوا من الهرب والنجاة. اقتضي الأمر أن يضحي أحدهم. قرروا أن يقترعوا. كان أحدهم وحيدا ليس له أحد في هذه الدنيا. كان حزينا كئيبا. علم أن للآخرين أسرة وأولاد. قرر أن يضحي. كان الاقتراع عبارة عن ثلاثة أعواد من الثقاب كُسر أحدهم من المنتصف. من يسحب العود المكسور يهجم علي الموقع. أمسك الجندي الحزين بالأعواد الثلاثة ليسحب منها زميلاه. كان طبيعيا أن تصيبه القرعة ذلك لأنه أخفي العود المكسور ووضع ثلاثة أعواد سليمة."[3]

في رواية "إمام آخر الزمان" يستحضر "محمد جبريل"[4] هذا الذي سيأتي ليملأ الدنيا عدلا ويخلص البشرية من أوجاعها. في المشهد الأخير من الرواية وفي "إحدى زوايا مقهى السيالة وُلدت كلمات البشارة والخلاص على لسان السيد الحفناوي، وفي أحياء الإسكندرية سرت معاني الكلمات الطيبة التي تناقض الشعارات البراقة من قبل، فتنذر من الجهل، وتبشر بالقادم، وترسم صور الحق لا الباطل، وفي ميادين المساجد تجمعت الجموع المتلاصقة كأنها الحجيج إيمانا بالمهدي الجديد"[5] تعيد "فاطمة أنور اللواتي" التأكيد على هذه الفكرة في

---

(١) إلياس فركوح، قامات الزبد، مؤسسة الأبحاث العربية - دار منارات، بيروت - عمان، ١٩٨٧، ص ٢٦١.

(٢) القصة لمكسيم جوركي علي الأرجح.

(٣) صدفة بتجمعنا، ص ٢٠٩، ٢١٠.

(٤) دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط٢، ١٩٩٨، ص ١٩٦.

(٥) سمية الشوابكة، المكان في أعمال محمد جبريل الروائية، "عود الند"، مجلة إليكترونية، العدد ٤٦، إبريل ٢٠١٠.

روايتها "الصيحة":[1] "وقبل ان ترد لمياء عليه لاح لها في الأفق البعيد من جهة الشمال الشرقي نور ساطع بدأ يتسلل بالتدريج، وبموازاة النور الساطع كانت أصوات خارج البيت تنادي باسم محمد المهدي. أطلت لمياء ومن خلفها أولادها لترى جمعا من الجيران قد اجتمعوا من حول شقتها، وعلى أثر ذلك النور بدأت تلك الغيوم السوداء التي ظلت تحبس عنهم نسمات الأمل اللامتناهي تنتكس ليعلو صوت في السماء العالية: بشراكم فقد ظهر المهدي."[2]

وتنطبق العقدة أيضا على من يتسترون على مثالب وعيوب وجرائم الآخرين، حتى لو كان هذا التستر يجلب عليهم الأذى أو الجراح. من رواية "الخمر ما عادت تُسكر أحدا" لمحمد الجيزاوي[3] نقرأ: "حل سره بسرها، وانغرس السهم في كبد الوتر حتى بلغ الغاية القصوى، فأصابت رميته قلب الظبية، لكن دمها لم يسل. نهض مينا عن زوجته ذاهلا لوقع مصيبته، باحثا عن دم يخبر أنه أول الداخلين بها، يفتش عن كنز أحمر قد سبقه إليه غيره وينظر إليها وعيونه قد انفتحت كطفل يواجه أبشع ما خوفته به أمه في طفولته: ما هذا يا مارية؟ أنت لست بكرا!؟؟ اعتدلت وهي تضم ساقيها محاولة استجلاب الدموع بتضييق عينيها وهي تستحلفه بالمسيح ألا يفضحها وإلا قتلها والدها، فهي تعلم أن مينا لن يمسها بإيذاء وأن الخطر قادم من والدها الغيور فحسب.

– كل هذا وأنت تخدعيني وتمثلين عليّ دور الطاهرة البتول وأنت تحملين عارك بين فخذيك أيتها العاهرة؟!

– لست عاهرة وحق مريم، لقد كان خطيبي وكنت طفلة في السادسة عشر، زارني مرة بيتنا القديم عندما كنا بأسيوط وكنت وحدي وحدث ما حدث وفسخ الخطبة بعدها ولم أجرؤ على إخبار أهلي.. أعرف أنك لن تفضحني يا مينا فأنت طيب.. ألم يقل المسيح: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر؟!

---

(١) دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠١٢.

(٢) الصيحة، ص ٢٢٦.

(٣) ليان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.

... انزوى أقصى الغرفة واضعا وجهه يبكي قلبه وتتساقط روحه أمام هذه الصفعة المؤلمة.. قام إلى صورة يسوع المعلقة فوق الحائط وجثا على ركبتيه متضرعا... ثم امسك بالمحارم التي لم يخضبها دم العفة وأخذ سكين وخدش أعلى ذراعه وخضب المحارم بدمه المتقاطر بالوجع وقال لها: سأخلصك بدمي كما خلصنا يسوع بدمه، لكن أنت حرام عليّ ما حييت، لا تلمسيني ولا ألمسك!"[1]

عقدة يونس

أما "عقدة يونس" Jonah / Jonas Complex فتشير إلى التراجع عن الفرص التي تُتاح لتحقيق واحدة من القيم العالمية والرسائل السامية. النفس القصير والتسليم المبكر والانسحاب ورفع الراية الأبيض أمام أول عقبة كلها خصائص لهذه العقدة. الإشارة هنا بالطبع إلى قصة نبي الله يونس الذي هجر قومه مغاضبا وترك "نينوى". ربما يقف "يوسف" عليه السلام على النقيض من "يونس" عليه السلام حين زكى نفسه واقترح على الفرعون أن يوليه "الخزانة" فأنقذ مصر من المجاعة. من أمثلة الأشخاص الذين أصيبوا بعقدة يونس "الحسن بن الهيثم" الذي تخلى عن حلمه بإنشاء سد على النيل يحمي المحروسة من الفيضان، لكن ربما لم تسعفه تقنيات عصره.

في رواية "الحرب في بر مصر" ليوسف القعيد نقابل شيخ القرية الذي يتوسط لدى العمدة مع جموع الفلاحين لاسترداد أراضيهم المسلوبة وإعادة الحقوق إلى أصحابها وهو هدف نبيل يستحق أن يموت في سبيله المرء. بالرغم من ذلك حين تعنت العمدة وبدأ في التهديد والوعيد أعلن الشيخ فشله ولاذ بالهرب من القرية. وكان الأولى به أن يثبت ويتشبث بموقفه ويزود عنه بالغالي والنفيس لاسيما وأنه رجل دين ينظر إليه الآخرون كقدوة لهم.

في رواية "عادل كامل" "مليم الأكبر"[2] يتراجع "خالد" عن هدفه بعد أن أدرك أن الناس لا تريد التغيير. هناك أيضا الدكتور "محمد صلاح"، أستاذ "الهستولوجي" المرموق بجامعة "إلينوي" في رواية "علاء الأسواني" "شيكاجو"[3] والذي يشعر بالفشل الجنسي

(١) الخمر ما عادت تُسكر أحدا، ص ٥٠، ٥١.
(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.
(٣) الشرق، القاهرة، ٢٠٠٧.

أمام زوجته الأمريكية، ويعيش على ذكريات مصر وأصدقاءه بها وحبيبته المناضلة "زينب رضوان". حين تتهيأ له المناسبة ليلقي بكلمة أمام رئيس الجمهورية الذي يقوم بزيارة للولايات المتحدة، وتحين له الفرصة ليفرغ ما في صدره من مرارة على النظام الفاشي الذي يدفع المصريين إلى الهجرة، وهو في ذلك مُؤَمن تماما من قبل الشرطة الأمريكية فلا أحد يحاسبه على آراءه ومعتقداته يتراجع عن خطته ويشرع في مدح الرئيس والثناء على نظامه.[١]

وفي رواية "طلعة البدن" نقرأ والكلمات للكاتب "مسعد أبو الفجر":[٢] "لم أشارك أقربائي، يوم سدوا بأسلحتهم الطريق إلى معبر العوجى، وتحججت بمشغولياتي... ومشاهد الجبن تكر في رأسي، كمسبحة بين أصابع متصوف."[٣] نكوص آخر عن مهمة أو عمل نبيل يرصده "سمير عبد الباقي" في روايته "هكذا تكلمت الأحجار":[٤] "لم أعد أطيق كل هذا القدر من الدناءة، لم أُخلق لحرث الأرض وشق المراوي. ما فائدة أن يزيد عدد التعساء واحدا؟ سوف أرحل ذات اليوم، سأرحل بالتأكيد."[٥]

وفي رواية "تهمة وفاء" كتبت "عزيزة عبد الله"[٦] موصفة مشاهد التخلي والنبذ والهروب بهذه الكلمات: "طفح الكيل بالدكتور وضاح.. لم يعد يتحمل المزيد. تلك المقولات التي كان يرددها. لم يعد ثمة مفر على ما يبدو من التخلي عنها.. ما كان يردده لمن كان يأتيه شاكيا من الحال والوضع الذي لا يحتمل. ارتد عما كان يقول: لو أن كل واحد منا حينما تواجهه مشكلة يفكر في الرحيل، فعلى الأرض السلام، بعد أن يقول هذه الكلمات ويحس برجع الصدى. يواصل ويقول: من الواجب علينا أن نتحمل ونصبر ونواجه إذا كنا نفكر في مصلحة بلادنا وفي إخراجها من الجهل والتخلف. يقول للشاكي: أنت لا تفكر إلا في نفسك وتنسى أهلك وبلدك. والتفكير في إصلاح ما يمكن إصلاحه. تختار الهروب إما بالإعارة أو بالهجرة. أنت إما أناني أو جبان. هاهو اليوم يتخلى عن كل ذلك. غسل يده وسلم

---

(١) محمد المهدي، علم النفس السياسي: رؤية مصرية عربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧، ص ٣٢٠.

(٢) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧.

(٣) طلعة البدن، ص ٩.

(٤) منشورات المركز المصري السمعبصري، القاهرة، ١٩٧٩.

(٥) هكذا تكلمت الأحجار، ص ٦.

(٦) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢.

واستسلم. لم يعد يفكر إلا في قبول واحد من العروض التي يتلقاها كل يوم تقريبا.. من بينها عروض من جامعات في دول الخليج وبمرتبات وامتيازات لو عرضت على الوزير نفسه لقبلها بدون تردد."[1]

هذا قد تُصيب "عقدة يونس" جماعات وشعوب بأكملها حين تنكص على أعقابها وتتخلى عن رسالتها وتؤثر التدجين والخنوع والانبطاح، وربما قبلت المستعمر، بل تغنت باسمه وسبحت بحمده.

عقدة العذراء ومريم الخاطئة

"إنكم قتلة، جميعكم قتلة تحبسون نساءكم في البيوت وتبيحون لأنفسكم ما لا تبيحونه لنساءكم تضربوهن، تسخروهن كخادمات لكم وإذا ما تعثرت إحداهن في الطريق فلا يكون مصيرها إلا الذبح."[2]

تشير "عقدة العذراء ومريم الخاطئة" Madonna – Whore Complex إلى "مريم العذراء" و"مريم المجدولية". هذان الوجهان المزدوجان نجدهما في رواية "أغانيات" لسامي معروف[3] حيث نقابل أربعة من النساء ينتمين لصفوة المجتمع كما يقولون فبينهم الطبيبة والصحفية وحتى الراهبة ثم يتحولن إلى الدعارة!

وبعيدا عن وجهي العقدة نقول أنها تصف الرجل الذي يشتهي امرأة ولا يتورع عن معاشرتها، لكنه لا يقبل الزواج منها لأنها في نظره خاطئة وغير شريفة. يُصاب أيضا بهذه العقدة المتزوجون حين يمرون بأزمة منتصف العمر Midlife Crisis أو مرحلة المراهقة المتأخرة فيتخذون خليلات أو عشيقات. ترتبط هذه العقدة بصفات الرجل الشرقي الذي يعيش نوع من الازدواجية. ازدواجية تظهر في القسوة على أهل بيته ومعاملة الآخرين باللين والرفق؛ في التجهم داخل البيت وانفراج الأسارير خارجه؛ في التقتير على أهل بيته والاقتراض من أجل أن يظهر بصورة الكريم مع ضيوفه... الخ.

---

(١) تهمة وفاء، ص ٧.

(٢) عدنان رؤوف، من يوميات السيد علي سعيد، وزارة الثقافة والفنون – دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص ٧٦.

(٣) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.

يصاحب الساقطات، لكنه حين يقترن يتزوج بامرأة بريئة وشريفة وعفيفة، لـيس لهـا أي ماض أو تجارب (خام)، عذراء (بختم المصنع)، ذات حسب ونسب. يوغـل في الـسؤال عـن ماضيها وأخلاقها لأنها على حسب قوله ستصبح (أم الأولاد). من روايـة "القـلاع المتآكلـة" لأحمد ساري[1] نقرأ: "لولا أنها عاهرة تمارس البغاء جهارا نهـارا لاتخـذتها خليلـة لي. ولكـن أنى لرجل مثلي، تربى في مجتمع محافظ، يعتبر المرأة الزانية أوسخ من حظيرة خنزيـر، أن يفكـر حتى في الاقتران بواحدة من هذا الصنف. كنت أصعد إلى غرفتها في الطابق الخامس والأخير كلما استبدت بي الغلمة. فلم تصدني مرة، حتـى وهـي حـائض. تعـرف كيـف تـبرد شـهوتي بالمداعبة... كم مرة باغتتني الشهوة وقذفت شحنتي في فمها."[2]

تصف "أحلام مستغانمي" هذا الرجل في "ذاكرة الجسد"[3] بهـذه الكلـمات: "كنـت في الواقع أشفق عليهن، وأحتقر أزواجهن الذين يسيرون كالـديوك المغـرورة دون مـبرر سـوى أنهم يمتلكون في البيت دجاجة ممتلئة مشحمة لم يقربها أحد ربما عن قـرف، أو أخـرى شـهية ومدجنة حسب التقاليد."[4] ومن رواية "سـقر" لعائـشة عبـد العزيـز الحـشر[5] نقـرأ هـذه الكلمات: "وهل أنا مجنون لأتزوج من فتاة تحدثت معها في الهاتف وعلى اسـتعداد للالتقـاء بي لولا أن الظروف تمنعها؟ من تحدثت معي لا شك سـتتحدث مـع غـيري. ومـن رضـيت أن تلتقي بي فسترضى بأن تلتقي بأي رجل. كيف أستأمنها على عرضي وعلى تربيـة أولادي؟"[6] وفي رواية "الفردوس اليباب" لليلى الجهني[7] يخطأ "عامر" مـع "صـبا"، لكنـه يتـزوج مـن صديقتها "خالدة".

تتجلى ازدواجية الرجل الشرقي أيضا في تجريم الخيانة الزوجية من قبل المـرأة أو دخولهـا في أي علاقة قبل الزواج قد تودي بحياة البعض فيما يُسمى بجرائم الشرف. نقـرأ مـن روايـة

(١) منشورات البرزخ، الجزائر، ٢٠١٣.

(٢) القلاع المتآكلة، ص ١٤٨.

(٣) موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٩٣

(٤) ذاكرة الجسد، ص ٣٩٧.

(٥) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.

(٦) سقر، ص ٨٠.

(٧) دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ١٩٩٨.

"أرواح ظامئة للحب" لصبيحة شبر:[1] "كبرت حليمة يتيمة مع امها واخوها المعتل عقليا، ولذلك كانت بنظر المجتمع غير مترتبة لانها تربية ام وليس أب. نكل بها عماد ابن الاقطاعي فأغواها واستغلها وفعل بها ثم تركها. لم يعاقب عماد على فعلته بل تم بدلا عن ذلك معاقبة حليمة، إذ قام البعض بتحريض اخيها المعتل عقليا، فقام بطعنها حتى الموت."[2] لكن في المقابل قيام الرجل بنفس الأفعال لا يُعد أمرا مشينا، بل له ألف تفسير من رجولة إلى حب تملك إلى حرية شخصية إلى طاقة زائدة إلى فحولة إلى تغيير وهلم جره.

يرفض هذا الرجل إجراء التحاليل الطبية قبل الزواج. وبينما يُصر على عذرية الزوجة وبكارتها التي يُهلل لها "بالزغاريد المحتشدة خارج الباب"،[3] يتبين أنه أخفى سرا من أسرار عبثه ومجونه فيحرم من اقترن بها من المتعة أو الإنجاب كما أوضح "أدمون صبري" في رواية "الخالة عطية":[4] "وذات يوم كشف لها عن سره قال: إنني مذنب يا عزيزتي إذ حرمتك من إنجاب الأطفال ففي إنجابهم متعة كبيرة للأم، ولكن ليس في مقدوري عمل شيء. والحقيقة أن سليما استشار طبيبا إحصائيا فأجرى له فحصا شاملا وتبين أن عقمه ناشئ عن مرض زهري أُصيب به قبل زواجه بسنوات! فوضح لها سليم بقنوط: لست أدري كنت في شبابي قويا معافى وذات يوم لزمت الفراش ورحت أشكو ألما حادا. إن بغيا لا أذكر اسمها عدتني بدائها فنقلوني إلى المستشفي ومكثت هناك بعض الوقت فعالجوني."[5]

هذا الرجل الشرقي يرفض حتى أن يذهب بامرأته للطبيب حتى لا تنكشف على رجل! ولا بأس لو ماتت، المهم ستر العرض واللحم: "تدريجيا وجدت فدوى نفسها مجرد خادمة له ولأولاده وزوجاتهن وأولادهن. مرت السنة الأولى على زواجها من دون أن تتوقف الرحى عن الدوران، وشعرت فدوى فجأة بالوهن والتعب، ووقعت طريحة الفراش. ورفض الحاج مهران أن يحضر لها الطبيب، كيف يرى جسدها رجل غريب!"[6]

---

(١) دار ضفاف، الشارقة، ٢٠١٥.
(٢) أرواح ظامئة للحب، ص ١٢٠ – ١٢١.
(٣) كمال صياح الحمد، الرقصة الأخيرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٧.
(٤) شركة التجارة والطباعة، بغداد، ١٩٥٨.
(٥) الخالة عطية، ص ٢٢.
(٦) ابتسام إبراهيم التريسي، عين الشمس، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢٦، ٢٧.

كتبت "نوال السعدواي" في "مذكرات طبيبة"[١]: "أليس هذا الرجل الذي يذبح أخته المخطئة هو نفسه يخطئ مع أخوات الرجال؟ أليس هذا الذئب الذي يخدع الطفلة البريئة هو نفسه الذي يحبس ابنته ويقيدها؟ أليس هذا الرجل الذي يخون زوجته هو نفسه الرجل الذي يذبح زوجته دفاعا عن شرفه؟ "[٢]

يواصل "إحسان عبد القدوس" كلام "نوال السعداوي" في روايته "حالة الدكتور حسن"[٣]: ".. و.. و.. كل المتناقضات في تصرفاتنا الاجتماعية وبيئتنا، أو بين عقولنا التي حررتها الثقافة وتصرفاتنا التي تقيدها البيئة... لقد اعتبر المرأة ليست سوى قطعة بضاعة.. شيء يجب أن يُقدم إليه ملفوفا بورق السوليفان ومختوما بختم المحل."[٤]

عكست الرواية العربية متلازمة الرجل الشرقي تلك أو "العذراء ومريم المجدولية" في ثلاثة محاور بشكل عام: رجل يعتدي على خادمة ويرفض تصحيح خطأه ورجل يعاشر غانية، لكنه يرفض الزواج منها ورجل يصاحب راقصة ويرفض تقنين أوضاعه معها وأقصى ما يمكن أن يقدمه من تنازلات هو الزواج العرفي.[٥] وحتى مع المرأة العادية التي تنتمي لأسرة طيبة يرفض الرجل في البداية تصويب وشرعنة العلاقة كما في "مبكى العشاق – في موكب الهوى" ليوسف السباعي.[٦] في نموذج آخر، "بداية ونهاية" لمحفوظ[٧] رفض المعتدي "سلمان" ابن البقال الزواج من "نفيسة" الأمر الذي جعلها تتجه إلى البغاء ثم الانتحار، وهي في هذا كله ضحية العوز والرجل والمجتمع. توجد ضحية أخرى في رواية

---

(١) دار المعارف (سلسلة اقرأ)، القاهرة، ١٩٨٥.

(٢) مذكرات طبيبة، ص ٨٧. في كتابه "أنثى ضد الأنوثة" تناول "جورج طرابيشي" رواية "مذكرات طبيبة" واستنتج أن الصراع بين الرجل والمرأة فيها صراع بيولوجي تشريحي وليس اجتماعي ثقافي. (دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥).

(٣) دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧.

(٤) حالة الدكتور حسن، ص ٦٥، ١١٤.

(٥) هناك أيضا الرجل الذي يُطلق زوجته حين يعلم بأنه كان لها قصة حب في الماضي. هذا ما كتبه "محمد كامل حسن المحامي" في سيناريو فيلم "هذا هو الحب"، ١٩٥٨.

(٦) يوسف السباعي، مبكى العشاق، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٥١.

(٧) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٤.

"دعاء الكروان" لطه حسين[1] حيث يعتدي المهندس على "هنادي" فتحمل منه ويقتلها خالها ربما دون علم المهندس بذلك. حملت أيضا "زيزي"، فتاة الليل، من "عيسى الدباغ" في "السمان والخريف" لنجيب محفوظ[2] فقام بطردها في الشارع.

تدور رواية "الخيط الرفيع" لإحسان عبد القدوس حول "يولند"، موظفة بسيطة تتخذ عشيقا موسرا طاعنا في السن لتعول أسرتها رقيقة الحال. في شركة عشيقها الثري تتعرف على الأستاذ الذي يقع في حبها. تقطع علاقتها بعشيقها من أجله وتمنحه كل مدخراتها ليكون مستقبله على أمل أنه سيتزوجها، لكن الأستاذ يتزوج من أخرى لأنه يعلم ماضي "يولند" ولا يمكنه أن يقترن بها.

من ناحية استغل الأستاذ "يولند" وكانت بالنسبة له مجرد سلم صعد به لما يريد ثم تنكر لها. من ناحية أخرى لم تدرك "يولند" الخيط الرفيع بين عاطفة الحب وغريزة التملك. وضع "إحسان" النهاية في هذه الكلمات: "واندفعت إلى غرفته، وفتحت خزانته وأخرجت ثيابه، ثم أخذت تمزقها قطعة قطعة.. تمزقها بيديها وأسنانها، وكأنها تمزق الشفقة التي دفعتها إليه، وتمزق طيبة القلب التي جمعتها به في بيت واحد، وتمزقه هو.. القزم الذي استطاعت الشفقة والطيبة أن تخلق منه عملاقا يتمرد عليها. وجمعت الثياب الممزقة في حقيبة وأرسلتها إليه في مكتبه مع الخادم. واستراحت.. وخيل إليها أنها استراحت من عمرها كله."[3]

نود أن نختم حديثنا عن ازدواجية الرجل الشرقي عن فكرة قد تبدو غريبة، لكنها صحيحة، ألا وهي ازدواجية المرأة الشرقية، فمن النساء من تبيح لحمها للغرباء، شريطة ألا تُمس عذريتها، فهذا ملك لرجل قادم أو لنقل لزوج مغفل. في رواية "إحسان عبد القدوس" "الطريق المسدود"[4] مثلا نقابل "فايزة" التي ترفض ما تصنعه أمها بعد وفاة والدها. الأم فتحت بيتها أمام الرجال لتناول الخمر ولعب الورق والاستمتاع بابنتيها الأخرتين دون المس

(١) دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.
(٢) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣.
(٣) الخيط الرفيع، ص ١٢٢.
(٤) دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٦٦.

بالبكارة. نفس الفكرة نجدها أيضا في "سلالم النهـار" لفوزيـة شـويش الـسالم حيـث نقـرأ: "قوانين أمي تسمح بشم الوردة أو بلثمها، وذلك تبعا لظروف جيب الشام أو اللثـام، لكنهـا لم.. ولن تفرط أو تسمح أو تتنازل بأكل أي وردة من ورودها، من غـير الإشـهار و الإعـلان بذلك الأكل. دون زواج لن يتم الأكل فيها حتى وإن كانت وردتها من قـاع المجتمـع، هنـاك من سيشتريها، وسيبذل في العطاء، وهي من سيحدد الثمن."[١]

متلازمة توما الشكاك[٢]

تشير متلازمة "توما الـشكاك" أو "تومـا المرتـاب" Doubting Thomas Syndrome إلى أحد حواري السيد المسيح ﷺ الذي حمل اسم "توما" أو "توماس". هذا الحواري لم يكن يؤمن إلا بما يراه، كما كان كثير الشك تلعب برأسه الظنون. وقد عبر الله سـبحانه وتعـالى عـن هذا على لسان الحواريين بقولهم "وتطمـئن قلوبنـا"،[٣] وعـلى لـسان إبـراهيم عليـة الـصلاة السلام من قبل بقوله "ليطمئن قلبي"،[٤] لكن يبدو أن "توما" ذهب إلى أبعد من ذلك فاتخـذ الشك منهجا. تُطلق المتلازمة على كل من يدع الريبة تلهـو بعقلـه فيـشك في الثوابـت كـما في الآخرة والجنة والثواب والعقاب، أو يتشكك في نجاح فكرة معينة إلى آخره. بالرغم من ذلك يمكـن القـول أن الـشك عنـد "تومـا" هـو شـك "ديكـارتي"Descartes Doubt محمـود فالوصول إلى التفاحة المعطوبة في السلة والتي من أجلها أُفرغت محتوياتها بالكامل قد يوصلنا في النهاية إلى اليقين. إذن هو شك ليس من أجل الشك، بل شك من أجل اليقين.

من الصعب أن تُقنع رجلا لـه عقليـة "تومـا" المرتـاب بأنـه لا توجـد إجابـات جـاهزة لأسئلته. من الصعب أن تعطيه ردود مطاطية مثـل: أمـر الله، والبيـضة والدجاجـة[٥] وهـذا سؤال جدلي وهذا السؤال ليس له إجابة. أسئلة من على شاكلة: إذا كـان الله قـد خلـق العـالم فمن أوجد الله؟! كيف نتحدث عن الحفاظ على الأنساب والإنسان أصله واحد؟! هل يُعقـل

(١) سلالم النهار، ص ١٢.

(٢) Glenn W Most, Doubting Thomas, Harvard University Press, 2009.

(٣) المائدة، ١١٣.

(٤) البقرة، ٢٦٠.

(٥) المقصود أيهما سبق الآخر في الوجود، وتوجد متلازمة تحمل هذا المعنى Chicken or Egg Syndrome.

أن تعاقب البشرية كلها بجرم قوم نوح؟! لماذا لم يُذكر نبيا العرب هود وصالح في التوراة؟ لماذا لم يذكر مرقص ويوحنا ولوقا قصة رحلة العائلة المقدسة إلى مصر؟! لماذا لم يصرخ يهوذا الإسخريوطي في وجوه الحاضرين حين حمل صليبه أنه ليس المسيح؟! لماذا لم يُسلم بحيرا الراهب بعد أن تأكد من نبوة الرسول؟! لماذا عذب عمر بن عبد العزيز خبيب ابن الزبير الأمر الذي انتهى بموته؟! لماذا وقف الجيش الذي أرسله أمير الشام معاوية بن أبي سفيان خارج المدينة المنورة ولم يتقدم لنجدة ذي النورين؟! ما حكم العشرة آلاف مسلم الذين قضوا في موقعة الجمل؟...

أسئلة أخرى أوردها "سعد محمد رحيم" في روايته "ترنيمة امرأة.. شفق البحر":(١) "وسؤالي الآن يا كلوديا هو؛ أين تنتهي لعبة القدر الماكرة، وأين يبدأ فعل الإنسان؟ فمنذ ماتت حنان، ومات خالد غدا الوجود أشد غموضا، وانهالت الأسئلة؛ ما الحب؟ ما الإنسان؟ ما الموت؟ وأيضا، ما العمل؟ على أية هاوية نقف نحن معشر البشر؟ ما هذا الذي يجمعنا، وما ذاك الذي يفرقنا؟ وكم هي مسافة الأوهام في هذا كله؟ ولماذا نحزن ونتألم إذا كان كل ما فينا وحولنا صائر إلى التبدد والعدم؟ ولماذا هذا التشبث العنيد والبطولي بالحياة على الرغم من كل شيء؟"(٢)

ومزيد من الأسئلة، هذه المرة تأتي على لسان "شكري" في رواية "نعيم صبري" "بين الإغفاءة والصحو":(٣) "جرى شريط حياتها معا أمام عينيه المغرورقتين بالدموع وهو جالس بمفرده في الفيف بلز.. هل يمكن أن تنتهي حياتنا هكذا فجأة ونحن في رحلة العمر؟! بلا سابق إنذار. أي قسوة هذه؟! أي ظلم؟! لماذا؟! ماذا فعلت سوزان في حياتها حتى تكون هذه النهاية من نصيبها؟! إنسانة طيبة حنون.. ومؤمنة.. أهكذا يكون جزاء الإيمان؟ أن يغدر بها وبي. هل يعاقبني الله فيها؟! وما ذنبها هي؟ أيكون الله موجودا حقا؟! وكيف يكون موجودا مع كل هذا الظلم الذي يعربد في الكون؟ أين العدل؟ ولماذا يفعل ذلك بعبيده.. آه..

---

(١) فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.

(٢) ترنيمة امرأة.. شفق البحر، ص ٧١، ٧٢.

(٣) الحضارة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤.

لو كان العقل يستكين لكنت قد استرحت الآن من التسليم بـالمكتوب، لكنني أقـف وحيـدا بمفردي."[١]

يتكرر نفس السؤال في رواية "سعد القرش" "أول النهار":[٢] "نظر إلى السماء، وتساءل عن معنى الموت.. عن ضياع بلد بكامله، في لحظات غـضب لفيـضان أحمـق، يلـتهم العابـد والعاصي.. عن غياب عروس في الطمي، قبل أيام من تحقق حلمها بالزواج... لعن حياة تأتي في لحظة نشوة، وتذهب عبثا. يأتون من عدم، ويذهبون إلى عدم."[٣]

بضع أسئلة وجودية ينقلها لنا "نعيم عطية" في روايته الفلسفية "ليل آخر"،[٤] وتـذكرنا بطلاسم "إيليا أبو ماضي". يقول "نعيم عطية": "أين أنا؟ من أين جئت؟ أفي رحلـة العـودة أنا؟ أم أن طريقي باتجاه واحد لا رجعة فيه ولا ارتداد؟... من أنا؟ هل بإمكاني أن أرى جانبـا صغيرا، من الوجه غير المرئي للحقيقة الحيرى؟... الأمور زادت تعقيدا، والأسئلة لم تفض في الواقع إلا إلى إجابات مبهمة، إجابات متآكلة."[٥]

في رواية "الوداع أيتها السماء" لحامد عبد الصمد[٦] نقابل هذا الـشخص المتـشكك كـما يُظهر حواره التالي مع السائحة الألمانية "أنطونيا": "إن الله قد خلق العالم واهيا ضـعيفا حتـى يسقط كل شيء في النهاية حتى الإيمان به. ولماذا يفعل ذلك؟ سـألها بفـضول. لأنـه لا يوجـد أحد حر إلا زيوس."[٧] السؤال عن القدرية والمصير وتخيير الإنـسان أو جبريتـه مطـروح في رواية "ويبقى الرماد يحترق" لـسهير عبـد الله رخاميـة.[٨] الإلحـاد حـاضر في روايـة "عـلاء حامد" "مسافة في عقـل رجـل"[٩] وفي روايـة "عبـاس بيـضون" "مرايـا فرانكـشتاين"،[١]

(١) بين الإغفاءة والصحو، ص ٧٦.
(٢) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٥.
(٣) أرض النهار، ص ٥٥، ٥٦.
(٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.
(٥) ليل آخر، ص ٩.
(٦) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٨.
(٧) وداعا أيتها السماء، ص ١٠.
(٨) دار غراب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
(٩) طبعة خاصة، القاهرة، ١٩٩٠.

والعوامل التي تُفضي إليه، موجودة أيضا في رواية "فواز حداد" "جنود الله".[2] ومن رواية "حنان الشيخ" "عذارى لندنستان"[3] نقرأ: "ربما عليّ أن أفرك عينيّ وأعيش الواقع، لا دين ولا من يحزنون.. أنا يا صديقتي حدثُ عن الدين بعد أن نضج فكري ووعيي."[4]

في رواية "حافة النسيان"[5] يصرخ السجين المُعذب "مصطفى شلبي" قائلا: "ماذا تريد، أيها الرب، لماذا تخليت عن إنسان لا حيلة له وحيدا عاريا في هذا الخلاء، وتحت رحمة هذا الوحش الذي خلقته بنفسك، يفسخ جلد ظهري بسياطه؟ لماذا؟ هل تمتحن إيماني بك أيها الرب؟ هل تمتحن صبري، وقدرتي على تحمل الألم والوجع؟ فإن كنت مؤمنا أو ملحدا، فماذا ينقص أو يضيف هذا على سر وجودك؟... كنت تشاهد وأنت الذي لا تغفل لك عين ولا تنام، حطام تلك السيدة مرمية تحت النافذة... ألا تراها، وترى ذلك الوغد يهتكها؟؟... ألا رأيت كلاب الحرس تجر أشلاء آدمية، على أديم هذه الأرض الفانية والباقي أنت؟ أليس بالإمكان أيها الرب أن تفنى الأرض، وتبقى أنت بعنف أقل؟ بدم أقل. بتعذيب اقل؟ هل تسمعني؟ هل تسمعني.. يا الله..؟؟"[6]

وتحت عباءة المتلازمة كتبت "نهى أمر الله" في روايتها "رسالة في توقيت حرج":[7]"ابتسم أحمد ابتسامة سخرية خفيفة محدثا نفسه: أتعجب من هؤلاء البشر المتباركين بالدين والله والطقوس الخارجية دون أن يفهموا الله، تُرى من هو الله؟ هل هو هذه الآيات القرآنية؟ أم هذا الفعل الطيب في بني البشر؟ أين الله؟"[8] يرد "حسن الفرطوسي" على الأسئلة الخاصة بالله والخلق بطرح لا يخلو من غرابة. كتب في روايته "عشبة الملائكة":[9] "على الرغم

(١) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.
(٢) رياض الريس، بيروت، ٢٠١٠.
(٣) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.
(٤) لندنستان، ٢٤٥.
(٥) أحمد علي الزين، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.
(٦) حافة الهاوية، ص ٤٢، ٤٣.
(٧) دار ليلى، القاهرة، ٢٠١٢.
(٨) رسالة في توقيت حرج، ص ١٣.
(٩) دار الفارابي – دار الفراشة للنشر والتوزيع، بيروت – الكويت، ٢٠١١.

من إني لا أحب الحديث عن الأفكار والديانات، ولكن نزولا عند رغبتك سأتحدث بخصوص تصوراتي بذلك الصدد. أنا لا أعتقد أن الله هو خالق الكون.. الله فكرة، مفهوم، سر قابل للكشف، حالة تألق عالية داخل كل كائن عاقل، قيمة جمالية سامية.. أما الخالق فهو شيء مختلف تماما، نوع من أنواع القوة الخفية، قد تكون قوة مغناطيسية أو كهرومغناطيسية. المهم هي قوة غير عاقلة وقد نتج عن تفاعلاتها تصميم هذا الكون الذي لا نعرف كل تفاصيله."[1]

حين يفشل الإنسان في العثور على إجابات مقنعة على كل هذه الأسئلة والأطروحات يكون المنتج الشخصية الملحدة اللادينية المتفشية في الغرب، تلك الشخصية التي قدمتها مبكرا "مي زيادة" في رواية "رجوع الموجة":[2] "لم يكن روجر يعتقد شيئا فيما يتعلق بالأديان، ولذا كانت الكنائس والمعابد وخدمتها وكل ماله علاقة بهذه الأمر كلاشيء عنده."[3]

متلازمة دليلة

تشير عقدة "دليلة" Delilah Syndrome إلى المرأة التي ترغب في تجريد الرجل من قوته وإضعافه من أجل التحكم فيه والهيمنة عليه. تعود التسمية لقصة "شمشون الجبار ودليلة" التي وردت في العهد القديم كما يلي:" وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادي سورق اسمها دليلة. فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها تملقيه وانظري بماذا قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه لكي نوثقه لإذلاله فنعطيك كل واحد ألفا ومئة شاقل فضة... ولما رأت دليلة أنه قد أخبرها بكل ما بقلبه أرسلت فدعت أقطاب الفلسطينيين وقالت اصعدوا هذه المرة فانه قد كشف لي كل قلبه... وأنامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت بإذلاله وفارقته قوته.. فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن وابتدأ شعر رأسه ينبت بعد أن حلق. وأما

(١) عشبة الملائكة، ص ١٤٧.

(٢) مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٩٣.

(٣) رجوع الموجة، ص ٩٥.

أقطاب الفلسطينيين فاجتمعوا ليذبحوا ذبيحة عظيمة... قالوا ادعوا شمشون ليلعب لنا فدعوا شمشون من بيت السجن فلعب أمامهم وأوقفوه بين الأعمدة. فقال شمشون للغلام الماسك بيده دعني ألمس الأعمدة التي البيت قائم عليها لاستند عليها... فدعا شمشون الرب وقال يا سيدي الرب اذكرني وشددني يا الله هذه المرة فقط فانتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين. وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائما عليهما واستند عليهما الواحد بيمينه والأخر بيساره.. وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذي فيه".[1]

أُشتق من قصة "شمشون" مصطلحان أولهما "خيار شمشون" والآخر "عليّ وعلى أعدائي". كلا التعبيرين يشير إلى إهلاك النفس، لكن مقابل العشرات من الأعداء. ويعتبر هذا التعبير المقابل لتعبير "بيدي لا بيد عمرو" الذي يعني انتحار المرء دون إحداث إصابات أو مقتلة عظيمة في المعسكر المقابل. تُصنف العمليات الاستشهادية ضد الجنود الإسرائيليين والعمليات الانتحارية المذهبية ضمن هذا الشق ونجدها في رواية "ياسمينة خضرا" "الصدمة"[2] ورواية "رسول محمد رسول" "يحدث في بغداد"[3] ورواية "بلقيس حميد حسن" "هروب الموناليزا"[4] ورواية "عز الدين ميهوبي" "اعترافات أسكرام"[5] ورواية "إيمان حميدان" "باء مثل بيت.. مثل بيروت"[6] ومنها نقرأ: "تحت الجسر الحديدي الضخم تعج الطرقات الوسخة بسيارات تعبر في كل الاتجاهات. عربات محملة بالخضار والثياب والأحذية، تعبر هي الأخرى. في الجانب الآخر ثمة عربات أخذت آماكن ثابتة لها. تدوي أصوات الانفجاريات. يرهف الجميع سمعهم لثوان. إنها بعيدة. تتابع الحياة دورتها ويعود الناس إلى أعمالهم وأفكارهم. لكنهم حين تقترب الأصوات يبدؤون بالركض في كل الاتجاهات، ويفرغ الشارع منهم خلال دقائق قليلة. الشارع يعود لنفسه صامتا، مقفرا يعود

(١) القضاة: ١٦، ١– ٣١.

(٢) ترجمتها عن الفرنسية: نهلة بيضون، الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧.

(٣) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٤.

(٤) دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٣.

(٥) منشورات البيت، الجزائر، ٢٠٠٩.

(٦) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

فارغا إلا من روائحهم، كأن أنامل ساحر ماهر مرت فوق رؤوسهم وأخفتهم داخل أكمامه."[1]

وارتباطا بقصة "شمشون" أيضا تأتي فكرة قطع القضيب،[2] وهو أحد مظاهر إضعاف الرجل وإنهاء رجولته حتى ولو بقى هذا الفعل في حيز التمني كما في رواية "مليكة مستظرف" "جراح الروح والجسد"[3]: "أسرح بأفكاري ثانية أتخيلني رجلا شرطيا طويل القامة، ألقي القبض على قدور القذر أضربه ضربا مبرحا في بطنه، أحمل سيخا حديديا، أضعه في النار حتى يحمر وأكوي قضيبه حتى ينتفخ، وأراه يتلوى أمامي من الألم، يركع عند قدمي يقبلهما، وأنا أرفسه بقدمي و بعنف، أغرز أظافري في وجهه حتى يسيل الدم. وأعلقه في ميدان عام ويرجمه الأطفال بالحجارة. ويموت وتأكل الكلاب جثته النتنة."[4]

عقدة سارة

"في ليلتنا الأولى ما ارتوى من تقبيل شفتي و.. قاطعتها: تحبينه؟! كثيرا. عصرتني لوعة الغيرة."[5]

السيدة "سارة" هي الزوجة الأولى لإبراهيم عليه السلام. يُقال أنها كانت أجمل نساء الأرض، بالرغم من ذلك اهتزت ثقتها بنفسها كامرأة وشعرت بالغيرة من السيدة "هاجر" وطلبت منه أن يسرحها أو يبعدها. "كانت العادة أن تزوّج الزوجة زوجها من جاريتها إذا قنطت في أن تكون لها منه الولد، إلا أنها تضم ولد جاريتها إليها. وقد فعلت السيدة سارة، فزوجت سيدنا إبراهيم من جاريتها هاجر فأنجبت له إسماعيل. وسارة كما في التوراة عجول وعصبية وغيورة، لم تحتمل أن يكون لإبراهيم الولد من جاريتها دونها فرزقها الله إسحاق. ويضرب علماء النفس المثل بالسيدة سارة على التأثير النفسي للغيرة على المرأة العقيم، ويجعلها العديد

---

(١) باب مثل بيت.. مثل بيروت، ص ١٧٢.
(٢) راجع عقدة الإخصاء في الفصل الثامن.
(٣) مطبعة أكسنت، القنيطرة (المغرب)، ١٩٩٩.
(٤) جراح الروح والجسد، ص ٣٦.
(٥) ميس خالد العثمان، عرائس الصوف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢٣.

من الروائيين نموذجا يحتذى وخاصة في الأدب الشعبي فيما يروى عن العلاقات الإنسانية بين الزوجة والضرة."[1]

من هذه القصة التوراتية نشأت "عقدة سارة" Sarah Complex والتي تعتبر الوجه الآخر لـ "عقدة عطيل" التي سنأتي على ذكرها. في الأساطير الإغريقية قامت "ميديا" Medea بقتل ضرتها الجديدة ليلة زفافها حيث أهدتها فستانا مسموما على الأرجح ما إن ارتدته حتى خرت صريعة، وسنأتي على ذلك أيضا لاحقا مما يوضح ضراوة غيرة المرأة وشدة كيد النساء.

تناولت الرواية العربية هذه العقدة بشكل مُسهب. من رواية "محمود شقير" "فرس العائلة"[2] نقرأ: "حدبت مهيرة على الشيخ الذي يكبرها بثلاثين سنة، وجعلته يتذوق طعم الحياة من جديد. ظل ملازما لها شهرين كاملين قبل أن يحل موعد ذهابه إلى الحج، مما أثار غيرة نساء الشيخ الأخريات. وما أثار غيرتهن أيضا، أن لمهيرة مشية ناعمة، فهي تدرج على الأرض بسلاسة واسترخاء."[3]

أظهرت الروائيات الخليجيات نسبيا تقبلا للزوجة الثانية نظرا لشيوع التعدد،[4] وهو ما لم تتحلى به "رواية المتوسط العربي" ففي "الزوجة الثانية" مثلا لأحمد رشدي صالح يحتدم الصراع بين القديمة والجديدة. في "اكتشاف الشهوة" تقدم لنا "فضيلة الفاروق"[5] نموذجا عجيبا لغيرة المرأة من ضرة غير موجودة، لكن بالرغم من ذلك تقوم الجديدة بمحو آثارها الموجودة في المنزل. في "بين الحب والحرب" تقرر الملكة "إليانورا" إجهاض عشيقة زوجها وتسليم جسدها لأحد أنداد الملك نكاية فيه وردا لخيانته: "قابلت الملكة جوانا بعد قداس يوم الأحد فانتحت بها خارج الكنيسة وهي تقول لها:

---

(١) عبد المنعم الحفني، الموسوعة النفسية الجنسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢١٠.

(٢) نوفل هاشيت أنطوان، بيروت، ٢٠١٣.

(٣) فرس العائلة، ص ٢٤.

(٤) بالطبع الاستثناء حاضر لأننا نتحدث عن مشاعر الأنثى، ويكفي هنا الإشارة لشخصية "سارة" في رواية "نساء المنكر" لسمر المقرن. (دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٨).

(٥) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٥.

– أحسبك تعلمين يا جوانا أن من اعتاد أكل لحم الغزال يتوق أحيانا إلى لحم الدجاج؛ وأن من يتناول ثمرة مانجو كل يوم يحن إلى التين الشوكي؛ وأن من يألف النوم على ريش النعام لا يجد بأسا من أن يجرب النوم على القش؟

– ليس هذا ما قاله لي بيير.

– تقصدين الملك بيير.

– طلب مني أن أدعوه باسمه مجردا.

– وماذا قال لك؟

– قال لي أني أمتلك أرطب وأندى وأدفأ فرجا في الوجود.

– حقا؟

– نعم.

– وماذا قال لك أيضا؟

– أشياء كثيرة عن شفتي وردفي ونهدي وفخذي.

– ألم يقل لك أيضا أنك مومس وفاجرة.

– بلى قال ذلك لأنه يحب أن نتبادل السباب والكلمات القبيحة أثناء المعاشرة.(١)

– فإذا كنت كما نعتك فكيف يتأكد أن ما في بطنك هو له.

– ليس لديه شك في ذلك. إنما أنا عاهرته هو فقط.

بعد مرور أسبوع على هذا الحديث استدعت الملكة جوانا إلى القصر. لبت الأخيرة الدعوة بسلامة نية. أخذت إليانورا تتفرس في بطن جوانا والغيرة تحرق قلبها. كانت الملكة قد قررت التخلص من الجنين ورتبت مع بعض النسوة فانقضوا على جوانا وأجهضوها بشكل وحشي، ثم ألقوا بها خارج القصر. قررت إليانورا الانتقام أيضا من بيير، وأن يكون الانتقام

(١) راجع "الولع بترديد الكلمات البذيئة" أثناء الجماع في الفصل الأخير.

بنفس السلاح الذي طعنها به. نعم بعد مرور فترة ليست طويلة على حادث الإجهاض كان مورفو في فراش بيير يضاجع زوجته. أحس مورفو بالنصر على بيير. لقد لوث فراشه واخترق فرج الملكة، ومازال في جرابه الكثير."[١]

وأحيانا تشعر الزوجة الجديدة أو الثانية من الغيرة تجاه الزوجة المتوفاة. تعود أصول "متلازمة ريبيكا" Rebecca Syndrome إلى رواية "ريبيكا" Rebecca للكاتبة البريطانية "دافني دي مورييه" Daphne Du Maurier والتي نشرتها عام ١٩٣٨ وتحولت إلى فيلم سينمائي عام ١٩٤٠ قام ببطولته لورانس أوليفييه وأخرجه ألفريد هيتشكوك .تدور الرواية حول فتاة تتزوج من أرمل، لكنها تعيش في ظل زوجته الراحلة ولا تستطيع الانفكاك من تأثيرها عليه وبصمتها الطاغية على أرجاء المنزل وعلى مديرته. لا تنفك الزوجة الجديدة تقارن نفسها بالزوجة الأولى الجميلة المثقفة، فتشعر أنها أقل منها في شتى الأمور، وهكذا تصبح الزوجة الراحلة موجودة في الخلفية وتلقي بظلال قاتمة على علاقتها بزوجها الجديد. الجدير بالذكر في هذا الموضع أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تشعر بالغيرة من السيد خديجة حتى بعد موتها.

والضرة أو العشيقة ليست دائما موضع الغيرة فقد تكون المرأة بشكل عام. في رواية "زينب البحراني" "هل تسمح لي أن أحبك؟"[٢] نقرأ عن هذه النقطة: "صعقت حين وقع بصري على الفتاة العشرينية ذات السروال القصير؛ التي سبق وأن رأيتها في مكتبه من قبل، تشاركنا تلك الدروس! بدأ الدم في شراييني يغلي وأنا أرى الخاتم ذي الفصوص الصغيرة الفسفورية في بنصر كفها التي لا تنفك عن إبعاد خصلات شعرها الأسود المكوي عن خديها بحركة تسيل غنجا كل دقيقتين، والقميص الوردي الذي تزينه صورة وجه دائري كبير تحتله ابتسامة عريضة، والتنورة الجينز التي لا تغطي أبعد من دائرة الركبة."[٣] الغيرة إذن ديمومة أنثوية ثابتة. من رواية "الجليل والصعلوك" لمحمد سالم[٤] نقرأ: "أما النسوة فيتبادلن

(١) بين الحب والحرب، ص ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩.

(٢) مؤسسة الدوسري للثقافة والإبداع، البحرين، ٢٠١٣.

(٣) هل تسمح لي أن أحبك؟، ص ٧٧.

(٤) دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – القاهرة – تونس، ٢٠١٣.

الزيارات فيما بينهن، تبث تلك ذات نفسها لجارتها وتستبثها سريرة قلبها ويتشاركن سر طبخة ما ابتكرتها إحداهن، أو طريقة مضاجعة تشعل غيرة تلك من حظ هذه."[1]

ومن رواية "قصور على الرمال" لصوفي عبد الله[2] نقرأ: "وإذا بالباب – ولم تكن قد أحكمت إغلاقه – يُفتح وتطل منه رأس قدرية جارتها، وهي امرأة قميئة نحيلة تتصنع الطفولة والسذاجة، بينما تنضح بالغيرة والحقد على الناس كافة، وبالشماتة على حياة خاصة.. وكيف لا تشمت في حياة، وهي تراها بملاحتها وجمال تكوينها قبلة أنظار رجال الحي ومطمعهم.. وهم يتهافتون على خدمتها والتقرب منها."[3]

متلازمة لازاروس

يقولون أنه لا يعود أحد من الموت ليحكي عما يحدث هناك، لكن في الحقيقة البعض فعلها أو كاد. "متلازمة لازاروس" Lazarus Syndromeهي العنوان العريض لقصص العائدين من الموت. عام ١٩١٩ كتب "فرويد" مقالا عن هذه الظاهرة، التي تناولها أيضا "ديكنز" و"إدجار آلان بو" Edgar Allan Poe.[4] و"لازاروس" هو الشخص الذي أحياه عيسى عليه السلام في العهد الجديد.

كم من المرات سمعنا أن أشخاص دُفنوا أحياء أو أفاقوا من غيبوبة استمرت لشهور! في كتابه "من عاش بعد الموت" قدم "الحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا"[5] نماذج عديدة لمن عاد إلى الحياة من الموت. كتب "شاكر نوري" في روايته "كلاب جلجامش"[6] على لسان المرضة: "لماذا تخاف من الموت هكذا؟ نحن اعتدنا عليه، فمن المألوف أن نتحدث مع مريض في الصباح وننقله كجثة هامدة إلى الثلاجة في المساء ولكننا نستمر في مخاطبته كما لو كان حيا، بل

---

(١) الجليل والصعلوك، ص ٩٣.

(٢) دار ومكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨.

(٣) قصور على الرمال، ص ١١.

(4) Andrew Mangham, "Buried Alive", Journal of Literature and Science, Volume 3, No. 1 (2010), P. 10, 13, 14.

(٥) مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٣.

(٦) الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠٠٨.

نمزح معه حتى بعد الموت، وغالبا ما يرد علينا بابتسامة... هذه أشياء تحدث، بل إن بعضهم ينهض من الموت ويتشافى ويواصل الحياة سنوات أخرى."[١]

في رواية "الطين" لعبد خال،[٢] نقابل هذه الشخصية التي لديها قناعة بأنها عائدة من الموت. كما تعبر عن ذلك كلماته: "أذكر أنني مت.. الآن أذكر هذا جيدا.. لست واهما البتة."[٣] في رواية "محمد صلاح العزب" "سيدي براني"[٤] يُدفن رجل عجوز ثم يصحو وينهض ويترك كفنه فوق قبره، ويخبرنا المؤلف بأنه عاش ومات أكثر من مرة فنستشف من تلك الفكرة اللامعقولة أنه ربما يُلمح إلى الفكرة الهندوسية عن تناسخ الأرواح Transmigration of Souls،[٥] وهي نفس فكرة التقمص الدرزية التي تناولها "فادي عزام" في روايته "سرمدة"[٦] وفيها تقول "عزة توفيق" أنها ماتت قتلا عام ١٩٦٨، وأن اسمها السابق كان "هيلا منصور".[٧] وليس ضروريا طبقا لهذه الفكرة الغريبة أن تعود إنسانا فربما لبست روحك حيوانا أو طائرا. كتب "حليم بركات" في روايته "طائر الحوم":[٨] "هل تشعرين بأن قلبك ينخطف من صدرك عندما تطلين من مكان شاهق. أنا أشعر كأنما تنمو لي جوانح فأحلق مذهولا ينخطف قلبي وينطلق من عشه مثل طائر الحوم، يرتفع، يرفرف بجناحيه. حقا. اختيار رائع أن ينخطف الإنسان، أن تكون له جوانح فيجوب أجواء رحبة رحبة رحبة."[٩] كتب "رؤوف مسعد" في روايته "إيثاكا": "عرفت أني سوف أعيش أكثر من مرة في أكثر من حياة. أُبعث مرارا بعد أن أموت مرارا."[١٠] ومن رواية "يحيي

---

(١) كلاب جلجامش، ص ٢٤.
(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.
(٣) الطين، ص ١٥.
(٤) دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.
(٥) تناولت "هدية حسين" هذه الفكرة في روايتها "زجاج الوقت"، دار نارة للنشر، عمان، ٢٠٠٧.
(٦) ثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١١.
(٧) سرمدة، ص ١٢ – ١٣.
(٨) الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩.
(٩) طائر الحوم، ص ٤٥.
(١٠) إيثاكا، ص ٦٨.

القيسي" "الفردوس المحرم"[١] نقرأ: "وحين يتخلص الإنسان من جسده المادي بالموت، فإن الجسد الأثيري يبقى فاعلا وواعيا اذ يكون قد انتقل إلى بعد آخر، وهكـذا يـا أصـدقائي فـان الموت وهم، وما هو الا انتقال لمرحلة اخرى، ولافنـاء أبـدا!"[٢] نقـرأ مـن روايـة "انتـصاب أسود" لأيمن الدبوسي[٣] عن "تسنيم": "كانت تربي في بيتها عددا هائلا من الحلازين المائيـة داخل حوض ضخم للأسماك. وتعتقد أن روحها ستبعث من جديد في جسم حلـزون، مـثلما كانت عليه في حياة سابقة."[٤] وببعض التخيل يمكننا ربط فكرة التناسخ مـع مقولـة "حمـور زيادة" في "شوق الدرويش": "لقد عشت حيوات كثيرة يا حـواء."[٥] وهـي نفـس العبـارة التي وردت في رواية "حسن مطلك" "قوة الـضحك في أورا":[٦] "عـشت حيـوات عديـدة قبل أن أوجد هنا."[٧] بل هي نفس العبـارة التـي أوردتهـا "رشـا الأمـير" في روايتهـا "يـوم الدين":[٨] "بخلاف الأمهات، لم تلديني مرة فحسب، ولكن، مرات وكـل مـرة بعمـر وكـل مرة لحياة جديدة."[٩]

أما الخوف مـن الـدفن حيـا فيُـسمى Taphophobia، ويُقـال أنـه "جـورج واشـنطن" George Washington كـان مـصابا بهـذا الرهـاب.[١٠] اسـتهل "يوسـف العطـا" روايتـه "الخطوة الأولى"[١١] بمشهد رجل كُفن وأُعد للـدفن لكنـه يعـود للحيـاة: "فـإذا بي كجنـي انتصب أمـامهم وهـم بالكـاد ينجـزون مهمـتهم. يجـدوني أنـسلخ عـن كفنـي كـما ولـدتني أمي."[١٢] نفس المشهد استعاره أو لنقل كرره "أسعد رمـسيس" في روايتـه "حـريم فـوزي

---

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٦.
(٢) الفردوس المحرم، ص ٤٥ – ٤٦.
(٣) منشورات الجمل، بغداد – بيروت، ٢٠١٦.
(٤) انتصاب اسود، ص ١١.
(٥) شوق الدرويش، ص ٤٥٩.
(٦) الدون كيشوت للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٣.
(٧) قوة الضحك في أورا، ص ١١.
(٨) دار الجديد، بيروت، ٢٠١٠.
(٩) يوم الدين، ص ١٢–١٣.
(10) https://en.wikipedia.org/wiki/Fear_of_being_buried_alive
(١١) المركز الطباعي، على نفقة المؤلف، المكان غير محدد، ١٩٨٠.
(١٢) الخطوة الأولى، ص ٧.

الحلواني":[1] "حركت رأسي يمينا ويسارا، اصطدمت عيناي بالظلام، حاولت رفع ذراعي ورجلي، أحسست بقماش يغطيني، والصمت والظلام يحيطان بي، اجتاحني الهلع."[2]

تناول الخوف من الدفن حيا أيضا "محمد الحمراوي" في روايته "متتالية أمل":[3] "أمر العمدة بأن يُطاف بالفتى – فوق حمار – ليعلم الجميع بأن الكافر سيدفن حيا عقابا على كفره... مر الفتى بنظره من فوق حماره على الحقول وقد اكتست بخضرة زاهية."[4] تذكرنا هذه الجملة الأخيرة بكلمات "جابريل جارسيا ماركيز" في مستهل رائعته "مائة عام من العزلة": "مضى زمن طويل، والآن يتذكر العقيد أوريليانو وهو مقيد أمام فرقة الإعدام عصر ذلك اليوم البعيد حين اصطحبه والده ليكتشف الجليد."[5] كلاهما يقترب من الموت، لكنهما يستحضران روعة الحياة وبهائها متمثلة في الجليد والحقول الخضراء. نعود للحمراوي فقد ذهب الجمع بالفتى إلى "مصباح" الحانوتي لدفنه، لكنه رفض قائلا أنها المرة الأولى التي يأتي الميت إليه. ثم تحت ضغط الخفراء "تقدمهم إلى المقبرة الخالية، وصاحبهم حتى إذا ما فتحها أجفل لبكاء الفتى... لكن الخفر لم يعطوه الفرصة، فقد تقدم واحد منهم ودفع بالفتى المنهار إلى الداخل، ولما لاح من الفتى نزوع إلى المقاومة، تقدم اثنان آخران لمعاونته، حتى استطاعوا دفعه إلى المقبرة التي لا يزيد ارتفاعها على متر واحد، ثم أسرع آخر بإغلاق الباب."[6]

متلازمة سليمان

"متلازمة سليمان" Solomon Syndrome، نسبة إلى نبي الله سليمان ﷺ، هي الرغبة في الزواج من امرأة من خارج القبيلة أو الدولة أو الجنس أو العرق، هي باختصار الرغبة في الزواج من أجنبية ليس لتحقيق هدف معين كالحصول على "الجرين كارد" أو العيش الهنيء، بل لمجرد الزواج من أجنبية. وصحيح أن زواج النبي سليمان قد مهد لإسلام شعب بلقيس،

(١) مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١١.
(٢) حريم فوزي الحلواني، ص ٥.
(٣) دار الحلم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
(٤) متتالية أمل، ص ٥٥.
(٥) ترجمة: محمد الحاج خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٥.
(٦) متتالية أمل، ص ٥٧، ٥٨.

لكن هذا يبقى جانبا لأن سليمان عليه السلام قد أعجب ولا شك بذكاء بلقيس وحكمتها وألغازها، وربما أيضا بجمالها.

الزواج المختلط Mixed Marriage موجود بوفرة في السرد الروائي العربي، نخص منه مثلا رواية "إلا فاطمة" لأنيس منصور[١] ورواية "بيت العائلة" لسامية سراج الدين[٢] حيت تتزوج "جيجي" من صحفي فرنسي، ورواية "تويا" لأشرف العشماوي[٣] بين الطبيب المصري والفتاة الكينية التي أعطت اسمها للرواية، وفي رواية "سليمان فياض" "أصوات".[٤] في هذه الرواية يقلد سكان القرية "سيمون"، زوجة "حامد البحيري" الباريسية في طريقة أكلها بالشوكة وخلافه. بالرغم من ذلك انتهت هذه الرواية بظاهرة كره الأجانب Xenophobia[٥]حيث استاءت نساء القرية من لبس "سيمون" وجلوسها على المقهى ومخالطتها الرجال واحتساءها الجعة فقمن عليها وأزلن شعر عانتها وختن حرها لينتهي بها المآل إلى الموت.

في رواية "هيام مصطفى قبلان ""رائحة الزمن العاري"[٦] يسافر "نبيل" إلى الخارج بعد زواج حبيبته "هزار". في الغربة يتزوج من أجنبية وينجب منها أطفالا. يعود بعد عشرين سنة، لكن الزوجة الأجنبية وأولاده لا يطيقون الوضع الجديد فيقفلون عائدين، أما هو فيحقق حلمه القديم بالاقتران من حبيبته الأولى.

تقدم لنا "نادية الكوكباني" نقدا أو طرحا مختلفا بالنسبة للزواج المختلط على لسان بطلة روايتها "صنعائي":[٧] "الزواج من جنسية أخرى لم يكن يشكل لشقيقي أو لأمي، أو حتى لوالدي، مشكلة؛ لكنه بالنسبة لي كان كارثة؛ كيف أتزوج من رجل لا يشبه أبي في تربيته

---

(١) دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤.

(٢) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.

(٣) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٢.

(٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.

(٥) تناولت "أمنيات سالم" الخوف العرقي أو الإثنولوجي في روايتها "حلم كزرقة البحر" (منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٠).

(٦) دار التلاقي للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.

(٧) مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠١٣.

وبيئته في موطنه، رجل غريب عني، رجل لا يعرف عن بلدي غير ما سمعه عنها، رجل لم يشاركني يوما السير في شوارعها واللعب في حواريها والاختباء في أركان أزقتها، رجل لا يتذوق نكهة ذكرياتي عندما أحكيها له، ولا يصله نبض فرحها وحزنها وخيباتها وآمالها؟!"[١]
الخوف من الزواج المختلط تناوله "مرزاق بقطاش" في روايته "خويا دحمان"[٢] وفيها يظل الأب يغالب مخاوفه من أن يكون ابنه العائد من أوروبا قد تزوج من بناتها: "ثق أن ابنك محمد راجع من بلاد الربة بمفرد، لن يصطحب في حقيبته جانين ولا جانيت ولا أنطوانيت، أنت لم تعرف كيف تقرأ رسالته الأخيرة، لم يكن فيها أي إشارة إلى زواج أو طلاق، لا تكثر من الأخذ والرد."[٣]

الحقيقة وحتى زواج العربي من عربية تشاركه اللسان والمعتقد وجزء من الثقافة قد لا ينجح، ربما بسبب الجزء الناقص من المنظومة الثقافية أو لأسباب أخرى. هذا ما أوردته "نعمات البحيري" في روايتها "أشجار قليلة عند المنحنى":[٤] "أيتها المغتربة من أجل الحب.. أي حب؟ كان هنا القليل منه ونفد، تبدل الحب بأوهام وأحلام تتحقق بعد انتهاء الحرب، وليس عند المنحنى سوى أشجار عارية من أوراقها."[٥] علاقة "أشجان" المصرية التي تحدت أهلها وسافرت مع العراقي "عائد" إلى بغداد تنتهي بالفشل. تهرب "أشجان" من الحرب والحر والحزن وتعود إلى تربتها الأصلية وحضنتها الطبيعية. بالطبع لا نستطيع أن نعمم هنا لأنه توجد زيجات بين العرب ناجحة، لكن اختلاف الوعاء الثقافي والبيئي قد لا يساعد على نمو النبات في أرض غريبة.

متلازمة أحاب

الشخص الحسود الذي لا يقنع بما لديه، ودائما يرى ما في يد غيره أفضل. يرى دوما الجانب الآخر من السور الذي يفصله عن جاره أكثر اخضرارا The grass is always

(١) صنعائي، ص ٢٣.
(٢) دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠.
(٣) خويا دحمان، ص ١٤٩.
(٤) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠.
(٥) أشجار قليلة عند المنحنى، ص ٢٤.

ويرغب في مجاراة الآخرين Keep up with greener on the other side of the fence[1] the Joneses ويتمنى ما في يدهم ويطمع فيما يملكـون ويـشتهي مـا في حـوزة جـاره، هـذا الشخص يوصف بأن لديه "متلازمة أحاب" Ahab Syndrome.

نقرأ من رواية "الأيام التالية" لنصر شمالي:[2] "زوجتـي ... لم تكـن تـرى الـصورة كـما أراها.. كان لها موقف آخر، وكلام آخر: عارف ألا نستحق سيارة تحملنا وأولادنـا مـن هـذا القبو الخانق إلى فضاء الله الواسع؟ عارف ألا يستحق أولادنـا بيتـا يـؤويهم ويطمئـنهم! هـل يستحقون كل هذا الحرمان وأبناء عمومتهم يبذخون في القصور والحرير والسيارات؟ عارف أليسوا أخوتك؟... إلى آخر المعزوفة التي بدأت تكررها وترددها عـلى مـسامعي ليـل نهـار. وهكذا إلى أن وجدت نفسي ذات يوم أقبل الرشوة."[3]

و"أحاب" كان أحد ملوك بني إسرائيـل، لكنـه كـان طماعـا ويحـسد الآخـرين عـلى مـا بأيديهم. هذا ولا ينطبق على "أحاب" مقولة "القناعة كنز لا يفنى" لأنه كان ملكـا ولديـه مـا يكفيه وزيادة، لكن الطمع جعله يشتهي قطعـة أرض يملكهـا فـلاح فقـير اسـمه "نـابوث" Naboth. والطمع – لمن لا يعلم – من السبع خطايا المهلكات Seven Deadly Sins .

نجد شخصية الطماع في رواية "فارس زرزور" "الحفاة وخفي حنـين"[4] حيـث يطمـع "عبد الرؤوف" في مـيراث أخيـه. أمـا حـب الـذهب والمـال فنجـده في روايـة "محمـد عيـد العريمي" "حكايات يـونس حـيم".[5] في روايـة "سراديـب النهايـات" يقـدم "عبـد الإلـه بلقزيز"[6] صـورة للجـشع يمثلهـا "الحـاج العيـاشي" الـذي يحـب الاسـتحواذ والامـتلاك والاكتناز حتى لو سلك في سبيل ذلك طرقا ملتوية ووسائل حقيرة. الطمع أيـضا موجـود في

(١) تُعرف الظاهرة بـ "متلازمة العشب الأكثر اخضرارا" Grass is Greener Syndrome.
(٢) دار علاء الدين، دمشق، ١٩٨٤.
(٣) الأيام التالية، ص ٧٥.
(٤) مطبعة الآداب والعلوم، دمشق، ١٩٧١.
(٥) مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٤.
(٦) دار منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٤.

"حكايات الغريب" لجمال الغيطاني[1] في شخص "شفيق" الذي يستغل ظروف النكسة لرفع ثمن السلع وتهريبها فيما يُعرف بأثرياء الحرب.

متلازمة زوجة لوط

طبقا للتوراة قضى الله بهلاك "سدوم وعمورية" بسبب الخبائث التي كانت تُرتكب فيهما. أنقذ الله نبيه لوط وأهله. حذر الملائكة لوط وأهله من أن ينظروا إلى الوراء أثناء خروجهم من القرية.[2] امتثل الجميع إلا امرأة لوط التي تحولت في الحال إلى عمود من الملح.

تشير "متلازمة امرأة لوط" Lot's Wife Syndrome أو "متلازمة عمود الملح" Pillar of Salt Syndrome إلى الشخص الذي لا يستطيع التخلص من ماضيه ولا التغلب عليه والسير للأمام والتقدم نحو المستقبل فتكون نهايته.

لعل رواية "اللص والكلاب" لنجيب محفوظ من أهم الروايات التي يُمكن تطبيق المتلازمة عليها فبطل الرواية "سعيد مهران" خرج من السجن لينتقم من "نبوية" التي حصلت على حكم بالطلاق منه ومن صديقه "عليش" الذي تزوج من "نبوية" ومن "رؤوف" الذي تنكر لمبدأ "الناس متساوون في الماء والنار والكلأ". لم يستطع "سعيد مهران" التخلص من الماضي. ظل يجرجره للخلف ويمنعه من النظر للأمام والسير قدما نحو المستقبل. وكان هذا الماضي الثقيل سببا في فشل حياته.

كان "سعيد مهران" مأخوذا بفكرة الانتقام. سيطرت هذه الفكرة عليه كليا كما سيطرت فكرة قتل الحوت الأبيض على "أهاب"، بطل رواية "موبي ديك". "أهاب" لم ينس للحوت الأبيض أنه أغرق سفينته وتسبب في إعاقته. ظل هاجس الانتقام من الحوت الأبيض يراوده حتى تسبب في هلاكه. تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة موبي ديك" Moby Dick Syndrome. الانتقام على طريقة "المختار الثقفي" من قتلة "الحسين" موجود أيضا في رواية

---

(١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٢) "فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون"، الحجر، ٦٥.

"المخبر السري"[1] فبطل الرواية، "ثائر" يبحث عن المخبر السري الذي وشى بأخيه مما تسبب في إعدامه زمن "صدام حسين."

متلازمة الملك داوود

طبقًا للعهد القديم أُعجب الملك داوود بامرأة تُدعى "بثشيبع" Bathsheba وتزوجها بعد طلاقها للضرر من زوجها "أوريا" والذي كان في جبهة القتال. هناك من يدس أن الملك داوود شاهد المرأة وهي تستحم فأُعجب بها، وهناك من يدس أنه أرسل "أوريا" للصفوف الأمامية ليلقي حتفه. ومن هنا جاءت "متلازمة الملك داوود" King David Syndrome والتي تشير إلى الرجل الذي يسعى للتفريق بين آخر وزوجته ليقترن بها هو.

في الحقيقة يجد المسلمون صعوبة في تقبل هذه القصة فأنبياء الله - وإن كانوا يُعاتبون من المولى عز وجل – لكنهم بعيدون كل البعد عن مثل هذه الأفعال. وأما الآية "هذا **أخي له تسع وتسعون نعجة** ولي نعجة واحدة "[2] واستقراء الرموز لتناسب القصة محل الحديث فهو أمر لا يمكن البت والجزم بصحته. وإن يكن هناك من المسلمين من يصدق القصة فإن تصديقهم لها ليس خالصا ويقترب من تعاملهم مع حكاية "خالد بن وليد" و"مالك بن نويرة" وزوجته "أم تميم" أو "ليلى بنت سنان". وأما عن القصة الأخيرة فقد وضعت "آسيا جبار" جل اللوم فيها على المرأة نفسها واتهمتها بالسلبية بقبولها معاشرة من قتل زوجها.[3]

والراجح أن كل من نبي الله داوود وخالد بن الوليد تزوجا المرأتين المذكورتين بعد قتل زوجيهما، فأما "أوريا" فقد قُتل في المعركة كغيره، وأما "مالك بن نويرة" فقد قتله الحراس بالخطأ. كانت الليلة شديدة البرودة فنادي خالد علي الحراس "دفئوا الأسري"،[4] وكان الحراس من هذه المنطقة علي الخليج وفي لغتهم المحلية كلمة "دفئوه" تعني " اقتلوه" تماما مثل "فسحوه" في اللهجة المصرية.

(١) سالم بخشي المندلاوي، دار الثقافة والنشر الكوردية، بغداد، ٢٠١٣.
(٢) سورة ص: ٢٣.
(3) Lion de Medine, Albine Michel, Paris, 1991.
(٤) البداية والنهاية، ٦/ ٢٤١-٢٤٢ .

وبناء عليه فمن المناسب أن نطلق على هـذه الظـاهرة "متلازمـة بشـشيبع" Bathsheba Syndrome كما ورد في أحد البحوث،[1] أو مثلا "متلازمة عتمان". و"عـتمان" هـو العمـدة الذي أجبر "أبو العلا" الأجير على تطليق زوجته "فاطمـة" ليتزوجهـا هـو في روايـة "أحمـد رشدي صالح" "الزوجة الثانية". في رواية "زينة الملكة" لعلي أبي الريش[2] يُغرق "النوخـذة أحمد بن سلطان" "يوسف الراوي" حتى يتزوج من أرملته "زينة"!

متلازمة ماري ومارثا

شكل رقم (٨)

عقد ومتلازمات المريميات



"متلازمة ماري ومارثـا" Mary – Martha Syndrome تعنـي ببـساطة الروحانيـة في مقابل العملية. "مـاري" و"مارثـا" أختـان، لكـن مختلفتـان في توجهـاتهما فبيـنما اسـتمتعت "ماري" بالجلوس عند قدم السيد المسيح وتطيبهما تنهل من محبته الروحية، انشغلت الأخـت الكبيرة، "مارثا"، بإعداد الطعام وتنظيـف الـدار والقيـام بواجـب الـضيافة احتفـاء بيـسوع

(1) The Bathsheba Syndrome: The Ethical Failure of Successful Leaders, Dean C. Ludwig & Clinton O. Longenecker, Journal of Business Ethics, 1993, 12: 265 – 273

(٢) منشورات إتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، ٢٠٠٤.

المسيح. عملية "مارثا" جعلتها تشك ول للحظات في إحياء المسيح لأخيها "عاذر" من الموت بإذن الله.

الحقيقة أن الحياة لا تستقيم كلها بالعملية المفرطة أو الروحانية الخالصة، بل يجب أن تكون مزيجا من الاثنين. من أجل ذلك جاء الإسلام مزيجا من مادية اليهود وروحانية النصارى. يؤكد ذلك ربما رد المسيح عليه السلام نفسه حين اشتكت إليه بأن الضيف أهم من الضيافة. أخبر المسيح "مارثا" بأنها تخنق نفسها بالاهتمام الزائد بالتفاصيل وبأنها تحمل حقائب كثيرة أو هموما كبيرة: "مرثا.. مرثا، أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة."[١]

قدمت لنا "ميسلون هادي" صورة حديثة لمارثا وماري في روايتها "سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية"[٢] في شخص "سعيدة" الواقعية البرجماتية المنطقية وأختها "مليكة" العاطفية الخيالية.

نجد أثرا من شخصية "ماري" العملية و"مارثا" الروحانية في رواية "صدفة بتجمعنا" في شخصيتين من الذكور هذه المرة هما "سيف" وصديقه "أدهم": "كان سيف قليل الضحك، كثير التفكير. يفرط في التدبر والتأمل وإمعان النظر حتى في أبسط الأمور، تلك التي تمر على ملايين الناس فلا يلتفتون إليها. علمته أمه الكلام وعلمه الناس السكات. كان خجولا كثير الصمت لا يتكلم إلا إذا وجه إليه الحديث...أصابه طول الصمت بكآبة مزمنة. أما أدهم فكان حاذقا في الإمساك بتلابيب الحديث. يعبر عن نفسه وعما ينشده بأقصر الطرق. لم يكن من المستغرب إذن أن يدفن سيف نفسه في كتب اللغة والأدب والتاريخ مع طوق الحمامة والبخلاء وصبح الأعشي وجمهرة اللغة وتاج العروس والأغاني والعقد الفريد وخطط والمقريزي ومروج الذهب والبداية والنهاية وبدائع الزهور وتاريخ الجبرتي ومقدمة ابن خلدون.. وأن يعيش على هوامش الزمن، بينما يختار أدهم الزراعة والانطلاق في الحقول والمروج... لا يسمح لشيء أن يعطل إرادته ولا يستسلم إلا بعد أن تخور قواه... هذا هو أدهم. قدمه على الأرض ويده في التراب. يأخذ بالأسباب ويؤمن بالأعمال. كان المكان

(١) لو ١٠:٤١.

(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥.

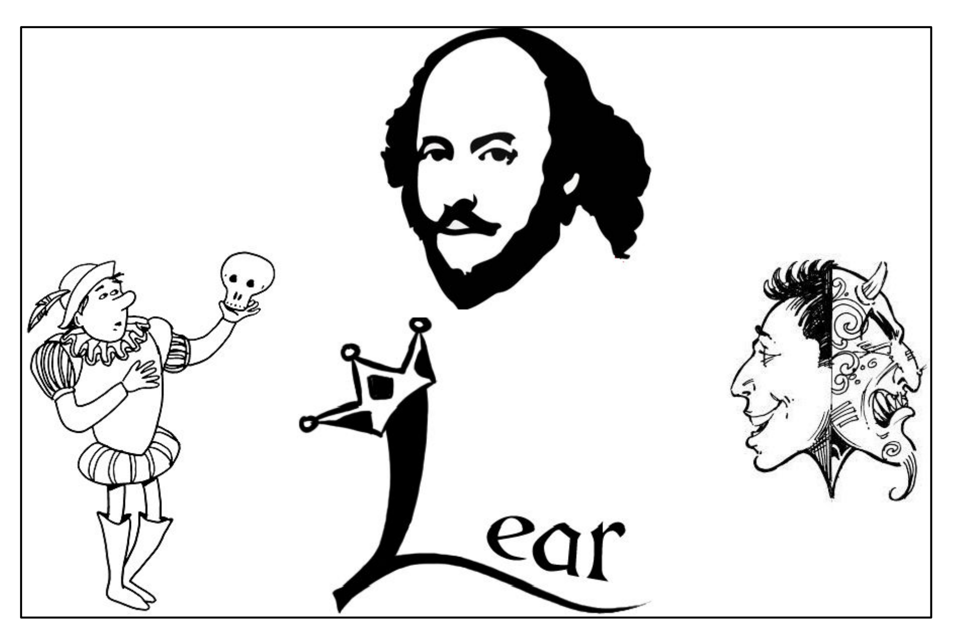
المفضل لسيف هو غرفته يؤوب إليها بعد عناء اليوم يختبئ بها حتى الصباح فلا يخرج إلا لضرورة ولا يخرجه منها إلا أدهم. كان متقوقعا منطويا يتحاشى الناس قدر استطاعته. كان لا يحب الخُلطة، محبا للعزلة والخلوة، ما إن يدخل غرفته حتى يغلق الستائر ويدير المذياع علي صوت الموسيقي... كانت أجمل أحاسيس أيامه هو وقت استعداده للنوم علي سريره الذي يعشقه متقمصا شخصية مختلفة كل يوم فتارة يكون بانكو أو أوديسيوس أو خالد بن الوليد أو مسلمة بن عبد الملك أو طارق بن زياد وتارة يكون بروتس أو باسانيو أو هيكتور أو دون كيشوت أو وليم تل... مثّل النوم بالنسبة له الهروب من هذه الدنيا، آلة الزمن التي تأخذه إلي عصور أخري وأماكن مختلفة، إلي اليوتوبيا المفقودة وقارة أطلانتيس الغارقة، وكان الصحيان بالنسبة له بداية الكابوس. أما أدهم فكانت الشرفة هي مكانه المفضل رغم أنه كان يسكن الدور الثامن ولا يشعر بالارتياح في الأماكن المرتفعة. احتفظ في هذه الشرفة الكبيرة بكمية هائلة من النبات. كان يقضي وقته بينها، يسقي هذه وينظف تلك."[1]

(١) صدفة بتجمعنا، ص ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦.

الفصل السادس

عقد ومتلازمات مستوحاة من شخصيات أدبية

عقدة شكسبير – عقدة لير – متلازمة أوفيليا – متلازمة عطيل – متلازمة سكروج – متلازمة بيكويك – متلازمة الليدي ويندير مير – متلازمة دوريان جري – توهم ميجنون – متلازمة فيرتر – عقدة دون جوان – عقدة فاوست – متلازمة هاكلبيري فين – عقدة لوليتا – متلازمة مدام بوفاري – متلازمة السيد دارسي – عقدة فرانكشتاين – عقدة الدكتور جيكل والسيد هايد – متلازمة دونكيشوت – متلازمة رينفيلد – متلازمة سكارليت – متلازمة بوليانا – عقدة جريزلده – متلازمة الرجل الثالث.



عقدة شكسبير

نستهل هذا الفصل بالعقد والمتلازمات "الشكسبيرية"، لكن قبل أن نبدأ نقول أن "شكسبير" نفسه هو موضوع لإحدى المتلازمات الثقافية. كلنا يعلم الإعجاب الذي يحظى به الرجل في شتى أرجاء المعمورة Bardolatry. كلنا يعلم أيضا أن الكثير عن حياة

"شكسبير" غير معروف أو أن المعروف عنه غير ثابت يقينا. دفع هذا الناس شرقا وغربا للحديث عن هذا الرجل فمحبيه ألصقوه بهم كما فعل العرب مثلا في قصتهم عن "الشيخ زبير" مدللين على ذلك بأنه كتب عن الجزيرة العربية وكأنه يعرفها، وكارهيه من اليهود مثلا الذين لا ينسون له شخصية اليهودي شيلوك" Shylock في "تاجر البندقية" قالوا أنه لم يكن موجودا بالمرة، ناسبين أعماله إلى آخرين منهم مثلا معاصره "كرستوفر مارلو" Christopher Marlowe.

"متلازمة شكسبير" Shakespeare Syndromeهي إنكار وجود شخص أو شيء أو خلافه نكاية فيه. منتقدي الرئيس "أوباما" Obama مثلا من الجمهوريين حاولوا نفي أنه ولد على أرض الولايات المتحدة لينزعوا عنه جنسيته ومن ثم رئاسته.

الشخص الموجود وغير الموجود حاضر في السرد الروائي العربي. نجده مثلا في حكايات الغريب" لجمال الغيطاني متمثلا في "عبد الرحمن" سائق شاحنة توزيع الصحف الذي دخل السويس أثناء الحصار ولم يخرج منها. فجأة استنسخه سكان السويس على أوجه عديدة للمقاومة، وكل منهم رآه كما يريد واشتق له اسما: حسن، مصطفى، زخاري، خلف...الخ. وبينما انصب جل هم مندوب الصحيفة على الاهتداء إلى السيارة العهدة حتى تسقط من كشف الجرد الميري، تحول "عبد الرحمن" إلى أيقونة للبطولة والمقاومة والشرف.

عقدة لير

حين يشعر الأب برغبة شهوانية تجاه ابنته فإنه يوصف بأن لديه "عقدة لير" Lear Complex نسبة إلى الملك "لير" في المسرحية التي تحمل نفس الاسم والتي كتبها "وليم شكسبير" William Shakespeare. صحيح أن كثيرين ممن قرءوا المسرحية لم يهتدوا إلى هذه العلاقة، لكن آخرين بينهم "فرويد" وجد في حوار الملك مع "كورديليا" Cordelia وطلبه الحصول على حبها الكامل الإشارة المناسبة.[1]

(1) Donnelly, J. 1953 Incest, ingratitude and insanity: aspects of the psychopathology of King Lear Psychoanal. Rev. 40 149-155.

في رواية "هند الزيادي" "الصمت"،[١] يقوم الأب بتحسس ابنته أثناء نومها ثم ينتهي الأمر بالاعتداء عليها. وبما أن زوج الأم يُسمى باللغة الإنجليزية Father – in – Law فقد تمتد العقدة لتشمله.[٢] في قصة "يوسف إدريس" "بيت من لحم"[٣] يعاشر زوج الأم الكفيف البنات الثلاثة في الغرفة المظلمة معتمدا على خاتم ينتقل من أصبع الأم إلى بناتها ربما في إشارة من "إدريس" لنصوص مخجلة محرفة في العهد القديم.[٤]

هذا الأب تسميه "فاتحة مرشيد" في روايتها "مخالب المتعة" بـ "الأب المتاح"، وتقصد به "زوج الأم" الذي يغتصب براءة "ليلى"، طفلة في السادسة من عمرها: "قد أبدو لك إنسانة بلا ضمير، أو خائنة أو ربما عاهرة حتى.. أرجوك لا تقاطعني، الحياة كانت عاهرة معي.. أُغتصبت وأنا في السادسة من عمري على يد زوج أمي. طفلة ينقصها حنان الأب كنت، وكان الأب المتاح قد استباحني باسم حبه لي. ما كنت أعرف ساعتها الفرق بين الحب والجنس، ولا بين الرضا والاغتصاب. كانت أمي تشتغل ممرضة بقسم المستعجلات ليلا.. وكنت أحتل مكانها بالسرير. كنت أخاف الظلام[٥] وأترك النور مضاء في الغرفة. وبحجة عدم تبذير الكهرباء بذر جسدي الصغير، وهو يوهمني أن ما يحصل بيننا هو مجرد حب بريء كحبه لأمي، وأنه يفعل معها الشيء نفسه، وأنه سرنا المشترك الذي لا يجب البوح به لأحد. سر دمر طفولتي وجعلني أهرب من نظرة والدتي، من لمستها. كنت أحس في أعماقي بأن هناك شيئا سيئا دون تحديد ما هو السيئ فيه. وعندما بلغت السن التي تفتح فيها جسدي على الحب والحياة وأصبحت أعي ما فحوى هذه العلاقة امتنعت عنه، فهددني بأن يخبر أمي بكل شيء مؤكدا أن حقيقة كهذه قد تقتلها في التو. وأصبح عليّ أن أستمر خوفا من فقدانها وهو يعطيني كل ليلة حبة عرفت بعد وقت أنها كانت لمنع الحمل. عندما أصبحت أتمرد وأهدده

(١) كتابنا للنشر، المنصورية (لبنان)، ٢٠٠٩.

(٢) عالجت السينما المصرية هذه العقدة في أفلام "الوتر" ٢٠١٠ و"حين ميسرة" ٢٠٠٧ و"السيد قشطة" ١٩٨٥.

(٣) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧١.

(٤) راجع قصة نوح عليه السلام في التوراة.

(٥) Nyctophobia، وتناوله "جمال الخياط" في روايته "الساحلية" (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥).

بالانتحار أو الهرب من البيت زوجني، أو بالأصح باعني، لرجل ثري يكبرني بثلاثين سنة. لم أكن راضية طبعا، لكن اغتصابي من مجهول أهون من الاغتصاب الذي يمارسه عليّ زوج أمي. وهكذا استبدلت اغتصابا بآخر وخيانة بخيانات."[١]

مشهد مكرر يحكيه لنا "محمد نجيب عبد الله" في روايته "شيروفوبيا":[٢] "تذكر المرات العديدة التي كان (زوج الأم) ينسل فيها في جنح الظلام يجاورها على السرير وهي نائمة فتمتد يداه تعبثان بها وبجسدها البض الفائر الفتي الرائع.. هذه يد تمتد تحت ملابسها فتدفعها بعيدا.. محاذرة ألا تند عنها صرخة توقظ والدتها النائمة.. اليد لا تيأس والمقاومة تزداد عنفا.. تنجح اليد أحيانا فتخترق وتلمس وتهصر وتعصر.. وتنجح المقاومة أحيانا فتمنع تطور الأمور إلى ما لا يحمد عقباه."[٣]

متلازمة أوفيليا

الفتيات المنفصلات عن الواقع، المنتظرات حدوث شيء ما، المنقادات للغير في تفكيرهن أو أحاسيسهن يوصفن بأن لديهن "متلازمة أوفيليا"Ophelia Syndrome. "أوفيليا" هي حبيبة "هاملت" في مسرحية شكسبير. وهي فتاة عذراء بريئة تعشق الطبيعة وتغني للأزهار والفراشات. يستغل والدها جمالها للتأثير على "هاملت" فتقع في حبه. يستغلها "هاملت" أيضا للانتقام من أبيها. ضحية للأب والحبيب. بعد مصرع أبيها تمر بأزمة رهيبة وتضطرب مشاعرها وأفكارها وتصل إلى حافة الجنون، ربما جنون الحب الذي أصاب "قيس بن الملوح" في الجزيرة العربية فهامت على وجهها مثله وهزل جسمها حتى لقت مصرعها غريقة بعد أن سقطت من فوق شجرة صفصاف في المياه. والحقيقة هي أقرب لليلى في خنوعها واستسلامها لقدرها.

وإذا هي تهوى مع شاراتها العشبية

إلى الغدير الباكي الحزين، فانتشرت بثيابها على الماء

---

(١) مخالب المتعة، ص ٨٥، ٨٦.
(٢) دار الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.
(٣) شيروفوبيا، ص ١٩.

وحملنها كعذراء البحر برهة من الزمن

جعلت فيها تغني مقاطع من ألحان قديمة،

كأنها لا تعي محنتها

أو كأنها من أهل الماء قد عُودت عليه.

ولكن ما لبثت ثيابها، بعد أن ثقلت بشربها،

أن نزلت بالمسكينة البائسة من حنون أنغامها

إلى حتفها في الطين.[(١)]

تناول "أوفيليا" في قصائدهم كل من "نجيب سرور" و"عبد الوهاب البياتي" و"عبده وازن" وغيرهم. في السرد العربي نجد شخصية "أوفيليا" موجودة في رواية "أنا، هي والأخريات" لجني فواز الحسن،[(٢)] الأنا المفصولة عن ذاتها وعن واقعها كما لو كانت تعيش في فقاعة هوائية:[(٣)] "انفصلت بشكل أو آخر عن الواقع، كأنه لا يعنيني."[(٤)] نجد أثرا لشخصية "أوفيليا" أيضا عند "فاطمة النبوية" في "قنديل أم هاشم" ليحيى حقي التي تنتظر عودة حبيبها وابن عمها من الخارج، أما "نوال" في رواية "خان الخليلي" لنجيب محفوظ فتنتظر فرصتها في الزواج.[(٥)]

---

(١) وليم شكسبير، هاملت، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٧٩ – ١٨٠.

(٢) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.

(٣) الأشخاص المنفصلين عن الواقع بمحض إرادتهم يوصفون بأنهم يعيشون في أبراج عاجية أو أن لديهم "متلازمة البرج العاجي" Ivory Tower Syndrome، وحين يهتم هؤلاء الأشخاص بسفاسف الأمور في خضم خطب جليل ألم بالناس فيُوصفون بأنهم حاملون لأعراض "متلازمة نيرون" Nero Syndrome والذي انشغل باللهو بينما كانت روما تحترق Fiddle while Rome Burns، بل وقيل أنه هو من أمر بإحراقها، وأنه كان مصاب بهوس إشعال الحرائق Pyromania.

(٤) أنا وهي والأخريات، ص ٧.

(٥) قدمت السينما المصرية هذه الشخصية في "الأرض الطيبة" ليوسف جوهر، ١٩٥٤.

متلازمة عطيل

متلازمة أخرى خرجت من رحم تراجيديات شكسبير هي "متلازمة عطيل" Othello Syndrome والمصاب بها يشعر بالغيرة الشديدة على زوجته ويتوهم أشياء عنها غير حقيقية ويراوده إحساس بأنها تخونه وقد يقدم في النهاية على قتلها كما فعل عطيل بديزدمونةDesdemona أو يلجأ لمعاقرة الخمر حتى يفقد الذاكرة(١) أو يدمر نفسه.(٢)

كتب "سيربانتس" Miguel de Crevantesأيضا عن الرجل الغيور والغيرة القاتلة،(٣) في رواية "الغيور الإكستريمادوري" El Celoso Extremeno. تدور القصة حول رجل ثري تزوج من "لينورا"، فتاة صغيرة عمرها أربعة عشر ربيعا بينما كان هو في خريف الستين (راجع متلازمة لوليتا). نتيجة لغيرته العمياء شيد قصرا وحبس زوجته داخله لتتوالى الأحداث.

في السرد الروائي العربي نقابل الرجل الغيور في رواية "كائنات من غبار" للكاتب "هشام الشاوي".(٤) يقول بطل الرواية عن نفسه "أنا رجل غيور جدا لا أصلح للحب."(٥) في رواية "غصن الزيتون" لمحمد عبد الحليم عبد الله(٦) يشعر الزوج "عبده" بالغيرة المرة على زوجته من زميله المدرس "جمال". هناك أيضا "رحلة الضباع" لسهير المصادفة(٧) التي قدمت لنا بطل مأزوم وشكاك وغيور انتهت علاقته مع زوجته بالطلاق.

---

(١) تُعرف بـمتلازمة "كورساكوف" Korsakoff Syndrome، ومن المصابين بها الملك "هيبرت" King Hubert في قصة "الجمال النائم" Sleeping Beauty.

(2) K. Dewhurst entitled "The Othello Syndrome: a study in the psychopathology of sexual jealousy" (Journal of Nervous and Mental Disorder, 1955, 122: 367(

(٣) "الغيرة القاتلة" هو عنوان لمعالجة سينمائية مصرية لمسرحية "عطيل"، ١٩٨٢، وسبقه "زوجتي والكلب"، ١٩٧١.

(٤) مطابع الأنوار المغاربية، وجدة، ٢٠١١.

(٥) كائنات من غبار، ص ٢٤.

(٦) مكتبة مصر، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٧) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.

في رواية "العطر الفرنسي" يعيد "أمير تاج السر"[1] تقديم مأساة "عطيل"، لكن بشكل عصري مع استبدال الجنسيات فبدلا أن يكون الغريب هو "عطيل" المغربي و"ديزدمونة" من سكان البلد جعل "علي جرجار" مواطن سوداني والغريبة هي "كاتيا" الممثلة الفرنسية التي قدمت السودان لتعيش في أحد شوارعه وتمر بتلك التجربة حسب رغبتها. يقع "علي جرجار" في حب "كاتيا" ويتزوجها وتحمل منه، لكنه يقتلها بالسكين بسبب غيرته الشديدة. يقول وهو يلوم نفسه في نهاية الرواية: "الغيرة هي السبب. هكذا كنت أردد ولا أمل الترديد... كنت أسمع عن مرض الغيرة كثيرا، أسمعهم يقولون.. يا غيور.. ويا غيورة. أسمع عن نساء متن مهشمات بسبب غيرة الأزواج، ورجال تقطعوا إلى أشلاء، وبعثروا في سلال المهملات، لأن زوجاتهم شممن رائحة امرأة أخرى على أجسادهم. وحين كنت شابا في مطلع الثلاثينيات، شاهدت شريطا سينمائيا مصريا اسمه – زوجي الغيور- وضحكت كثيرا من بلاهة الزوج."[2]

متلازمة سكروج

نأتي الآن على المتلازمات الديكينزية نسبة إلى "ديكنز": "متلازمة سكروج" Scrooge Syndrome و"متلازمة بيكويك" Pickwikian Syndrome. كتب "تشارلز ديكينز" رواية "ترنيمة عيد الميلاد" Christmas Carol عام ١٨٤٣، وفيها قدم شخصية "سكروج" Scrooge الذي أعطى اسمه لمتلازمة "سكروج". هذا الشخص يكره عيد الميلاد وكل ما يجلب الفرحة والمسرة لبني البشر وكأنه يستكثر عليهم السعادة. يتسم "سكروج" بالبخل الشديد وبرود المشاعر وكره البشر وتتبع الأخطاء على نحو يذكرنا بمسرحية "موليير" Moliere "كاره البشر" Misanthrope مع مزيج من شخصية اليهودي "شيلوك" في "تاجر البندقية".

"كان رجلاً جامدًا في كل ما يختص بشئون المال، جامدا كالحجر، وكان متحفظا كتوما، عديم الأصدقاء ووحيدا، وكانت البرودة داخله تجمد وجهه العجوز: كانت عيناه حمراوين

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.
(٢) العطر الفرنسي، ص ١٣٣.

وشفتاه الرفيعتان زرقاوين. ويبدو أن البرد قد جمد طريقته في المشي. وكان الشعر في رأسه وفوق عينيه أبيض، أبيض مثل الثلج. وكان يحمل برودته معه دائما أينما ذهب، فكان يثلج مكتبه في الصيف، وكان في وقت عيد الميلاد في نفس برودة الطقس."[1]

في رواية "نقطة النور" يقدم لنا "بهاء طاهر"[2] هذه الشخصية ممثلة في الجد شديد اللوم لنفسه والامتعاض ممن حوله بما في ذلك أرحامه وأقاربه. أما "حنا مينه" فقد قدم شخصية مماثلة في روايته "الرجل الذي يكره نفسه"[3] واستهلها بهذه الكلمات: "كان دعبس الفتفوت يكره نفسه،وكان يعرف أنه يكره هذه النفس."[4]

متلازمة بيكويك

تُشير "متلازمة بيكويك" [5] Pickwick Syndrome إلى الشخص المفرط في السمنة الذي يسير بصعوبة ويأخذ نفسه بمشقة ويصدر شخيرا أثناء النوم. أخذت المتلازمة اسمها من رواية "بيكويك" Pickwick لتشارلز ديكينز. و"بيكويك" في الرواية محل الحديث فتى سمين تنتابه الأعراض السالفة.[6]

---

(١) تشارلز ديكنز، ترنيمة عيد الميلاد، ترجمة: صبري الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٤.

(٢) دار الشروق، ٢٠٠٩.

(٣) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٣.

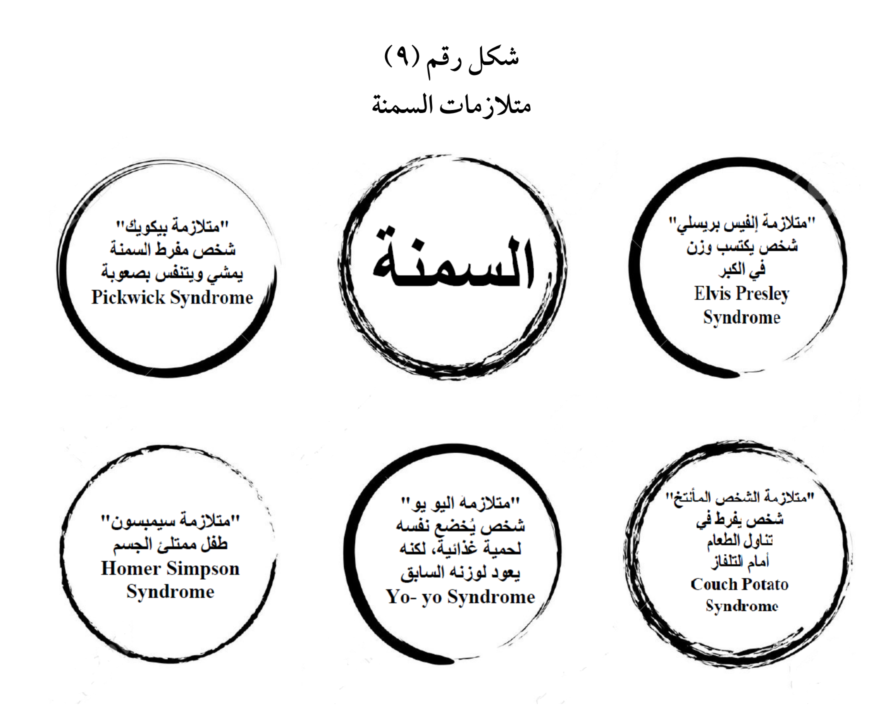
(٤) الرجل الذي يكره نفسه، ص ٥.

(٥) أو Pickwickian Syndrome.

(٦) عالج أيمن بهجت قمر هذه الفكرة في سينارية فيلم "اكس لارج"، ٢٠١١.

شكل رقم (٩)

متلازمات السمنة



السمنة موجودة في رواية "الصعود إلى الهـواء" Coming Up for Air لجـورج أوريـل George Orwell، كـما أنهـا حـاضرة في الـسرد الروائـي العـربي: في روايـة "إحـسان عبـد القدوس" "الطريق المسدود" نقابل النـاظرة الـسمينة، مكتنـزة الوجـه، في "حكايـة شـوق" لأحمد الشيخ(١) نقابل امـرأة سـمينة قاعـدة طولهـا أقـصر مـن عرضـه، في "حـارس حديقـة المحبين" لوليد خيري(٢) نجد حارسـة حمـام النـساء البدينـة. في روايـة "مـع سـبق الإصرار والترصد" لسهام مرضي(٣) نقابل "حمدان" الذي تصفه عروسـه الرابعـة، "سـحر"، بالـدب والغوريلا.

ونقرأ من رواية "الأمير الحافي" لطيب بن بوبكر":(٤) "امرأة بيـضاء تجـاوزت الأربعـين وكانت ضخمة بصورة مفجعة وبرغم ضخامتها بدا واضحا أنها بلا قوة، فكأنها بالونة كبـيرة نُفخت بالهواء.. ولاحظ طارق قدميها المنتفختين المتلاصقتين وكأنهما قدما فيل هرم.. مـشت

---

(١) دار الهلال، القاهرة، ١٩٩١.

(٢) دار العين، القاهرة، ٢٠١٥.

(٣) نادي حائل الأدبي – دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠.

(٤) دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠.

إلى البيت بخطا ثقيلة بطيئة، حتى أن أي رضيع بإمكانه مسابقتها.. وكانت بين الفنية والأخرى تقف لتأخذ أنفاسها، ثم تواصل سيرها البطيء... وما أن دخلت أول غرفة اعترضتها حتى ارتمت على أقرب سرير لاهثة، وكأنها قامت بسباق ألف متر حواجز."[(١)] ومن مداد قلم "مصطفى ذكري": "هي رجاوات التمورجية السمينة المدكوكة... قوامها المدكوك ينتسب ولو من بعيد ومع قليل من التسامح وسعة الصدر إلى مقياس عربي قديم حينما كانوا يقولون هذه امرأة جميلة مجدولة الفرع تروي الرضيع وتُدفئ الضجيع."[(٢)] أما "أحمد السعيد مراد" فيصف "وفيق" في روايته "رباع"[(٣)] بهذه الكلمات: "كان بالفعل يشبه النساء ببكائه وولولته، وكذلك بمشهده المذهل بثدييه الكبيرين من كثافة الدهون بهما وكرشه المنتفخ؛ كأنما في حمله الذي اقتربت نهايته وذراعيه وفخذيه الضخمين كجذوع الأشجار."[(٤)]

أما الشخص الذي يكتسب وزنا في آخر أيامه أو عقب زواجه بعد رشاقة واضحة كالملك "فاروق" مثلا يوصف بأنه مصاب بـ "متلازمة إلفيس بريسلي" Elvis Presley Syndrome. كان "إلفيس" مدمنا للأطعمة السريعة الجاهزة Junk Food مما أكسبه وزنا زائدا في نهاية أيامه. أما الأطفال الذين يحيون حياة غير صحية ويميلون إلى الدعة والتواكل ويظهرون علامات السمنة فيُصفون بأن لديهم "متلازمة العالم الجديد" New World Syndrome أو "متلازمة هومر سيمبسون" Homer Simpson Syndrome. وأما الأشخاص الذين يشرعون في تبني حمية غذائية من أجل التنحيف، لكن سرعان ما يعودون إلى طبيعتهم ووزنهم السابق، بل وربما يكتسبون وزنا إضافيا فيُوصفون بأنهم يعانون من "متلازمة اليويو" Yo-Yo Syndrome.

في رواية "البيت الدافئ" لخولة القزويني[(٥)] نقرأ عن "فريدة" التي "أصبحت كومة من الشحم بفعل إهمال زوجها لها فمتعتها الوحيدة هي الإدمان على أكل اللب أمام

(١) الأمير الحافي، ص ٢٣.
(٢) "هراء متاهة قوطية"، في "ما يعرفه.. أمين!! وخمس روايات أخرى"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٧٣.
(٣) نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.
(٤) رباع، ص ١٤.
(٥) دار الصفوة، بيروت، ٢٠٠٩.

التلفزيون."[1] في رواية "كلهم أعدائي" لرجاء عليش[2] تتفكر الموديل: "أحست فجأة أنها تكره زوجها ذلك الرجل الأسمر الممتلئ الجسم القصير[3] كبرميل من الشحم... وصمتت برهة ثم قالت وهي تضحك من أعماقها: آه لو رأيت زوجي وهو يقف معي تحت الدش. إنه يشبه خنزيرا مترهلا. هل تتصور أن طوله مائة وستون سنتيمتر فقط وكلها مليئة بالشحم."[4]

في رواية "الحياة على ذمة الموت" يصف "جمال ناجي" "هديل"، زوجة "نوفل"، قائلا: "أما خسائره الجسدية التي تعقب مواقعاته الطويلة لزوجته هديل، فتلاشت منذ أن خطر له ذلك التشابه المتحامل بين هديل والبقرة. فهديل تغيرت بعد أعوام من زفافهما، نمت في جسدها بذور السمنة، فاض لحمها، ظهرت الأخاديد بين ثنايا ذلك اللحم المترهل حول خاصرتيها وبطنها وصدرها، وحول رقبتها التي غلظت، وخديها اللذين تهدلا أسفل ذقنها حتى كادا يخفيانه! لم تعد هديل تلك المرأة الرشيقة، بل لم تعد تستحضر في روحه وجسده غير أحاسيس الملل والتقزز. كانت تأكل بنهم، غير عابئة بما يبدر عن الآخرين، وبما تحمل نظرات النساء والرجال لها، من معاني أثارت سخطه، فكاد يفر من نفسه، بل كادت أصابعه الغليظة تفلت من يده، وتطبق على رقبتها المفلطحة!"[5]

متلازمة الليدي ويندير مير

أما الكاتب الأيرلندي "أوسكار وايلد" Oscar Wilde فقد أمدنا بمتلازمتين: "متلازمة الليدي ويندير مير" Lady Windermere Syndrome و"متلازمة دوريان جري" Dorian Gray Syndrome.

وكما أغفلنا عن عمد الأعراض الطبية المرتبطة بالجهاز التنفسي في "متلازمة بيكويك" واكتفينا بالخصائص الاجتماعية، فسوف نغض النظر أيضا عن السعال المتكرر في "متلازمة

(١) البيت الدافئ، ص ٤٧. راجع "متلازمة الشخص المأنتخ" Couch-Potato Syndrome.
(٢) دار أسامة، القاهرة، ١٩٧٩.
(٣) راجع عقدة نابليون.
(٤) كلهم أعدائي، ص ١٧٩، ١٨٢.
(٥) الحياة على ذمة الموت، ص ٩، ١٢.

الليدي ويندير مير". و"الليدي ويندير مير" هـي شخـصية أرسـتقراطية ظهـرت في مـسرحية "أوسكار وايلد" "مروحة الليـدي وينـدير مير" Lady Windermere Fan. مـا يميـز هـذه الشخصية أنها صعبة المراس والإرضاء ونَيِّقة ومنمقـة وحكميـة (نمكيـة) وتهـتم بالتفاصـيل الخانقة والدقة المتناهية لحد اللوثة والوسوسة.

نقابل هذه الشخصية في رواية "أنا حرة" لإحسان عبد القدوس[1] ممثلة في عمة البطلـة. البطلة التي تهتم بالتفاصيل مهما كانت تافهة موجودة في روايـة "رجـل أبلـه.. امـرأة تافهـة" لمحمد ناجي.[2] نستعير هذه الكلمات من رواية "عمل أسود" لتامر عطـوة:[3] "واسـتمرت الحياة كأنها رائعة، والمصيبة إنك مع هشام تشعر بأنك محبوس داخل كارت معايـدة كـل شيء عالي الدقة مجمد بحكم اللقطة أو الكادر. صحة وجمال وثراء وأناقة."[4]

نقرأ عن هذه الشخصية أيضا في رواية "فوضى" لمأمون أحمد مصطفى:[5] "دقق في رباط الحذاء، فرآه متهدلا متسخا، ملوي، بدأت الأفكار تهاجمه من كـل الاتجاهـات، كيـف يمكـن السيطرة على التهدل والاتساخ؟... أثناء خروجه من المشفى، ظلت عيناه معلقتان على أحذية المارة، يتفحـصها بعـين يكـاد الحـزن يخترقهـا. جميـع الأحذيـة مربوطـة بـشكل جيـد سـليم بأناقة."[6]

متلازمة دوريان جري

صورة المثل المصري "توفيق الـدقن" وهـو يـشيخ في ثـوان مـن فـيلم "البحـث عـن فضيحة، ١٩٧٣ والمشتق من الفيلم الأمريكي "دليـل الرجـل المتـزوج" A Guide for the Married Man، 1967 هذه الصورة ليست بعيدة عن الحقيقة فلدينا ما يُعـرف بـــ "متلازمـة

(١) دار القلم، القاهرة، ١٩٨١.
(٢) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٢.
(٣) سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.
(٤) عمل أسود، ص ٢٤.
(٥) دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١.
(٦) فوضى، ص ١١، ٢٣.

ماري أنطوانيت" Marie Antoinette Syndrome التي قيل أن شعرها ابيض برمته ليلة تنفيذ حكم الإعدام فيها.

الحلقة العاشرة من الموسم التاسع للمسلسل الأمريكي "نوفا" Nova، 1974 ناقشت ما يعرف بـ "متلازمة متشولخ" Methuselah Syndrome[١] والتي تشير إلى فكرة الشيخوخة المبكرة Premature Aging.[٢] التسمية ساخرة بالطبع لأن "متشولخ" ابن نبي الله "إدريس" عاش ٩٦٩ سنة وتوفي قبل طوفان نوح بسبعة أيام.[٣] عالج فيلم أمريكي هو "بليد رانر" Blade Runner نفس الفكرة عام ١٩٨٢. الشيخوخة العكسية Reverse Aging، أي استعادة الأجسام صبوتها، تناولته "هوليود" عام ٢٠٠٨ في فيلم "الحالة المحيرة لبنجامين باتون" The Curious Case of Benjamin Button. لاشك أن استعادة الصبا ودوام الشباب أمر خيالي لم نسمع به إلا في الجنة.

بعض الوجوه لا تعكس سن أجسامها والبعض الآخر يعطي تقديرا أكبر. الشباب في القلب كما يقولون، والشيب المبكر إحساس قبل أن يكون ظاهرة "فسيولوجية".[٤] ربما نجده في قول النبي عليه الصلاة والسلام "شيبتني هود"[٥] أو "عبد الملك بن مروان "شيبني اللحن وارتقاء المنابر".[٦]

أبطال رواية "كل شيء هادئ في الجبهة الغربية"All is Quiet on the Western Front للكاتب "إيريش ماريا ريمارك" Erich Maria Remarque هم ثلة من الشباب شيبتهم الحرب: "نعم.. تلك هي نظرة كانتوريك وآلاف غيره إلى الموضوع.. الشباب الحديدي.. لم نكن نتجاوز جميعا العشرين من أعمارنا.. لكن هل نحن شباب حقا؟ كان هذا في الماضي

(١) تنمو في ولاية "كاليفورنيا" الأمريكية شجرة تُعرف بشجرة "متشولخ" لأنها من أقدم الأشجار المعمرة على سطح الأرض.

(2) Progeria.

(٣) تك: ٢١-٢٧.

(٤) يتحقق كلاهما يوم القيامة في قول المولى "يوما **يجعل الولدان شيبا**"، **المزمل ١٧**.

(٥) الترمذي، ٣٢٩٧.

(٦) راجع "الكامل في التاريخ" لابن الأثير، ترجمة "عبد الملك بن مروان".

البعيد.. أما الآن فقد شبنا ودبت الكهولة في نفوسنا."[١] نفس الفكرة عبر عنها "شوقي كريم" في روايته "شروكية"[٢] بقوله: "عبرت بي الحرب سريعاً عبر بوابة الرجولة."[٣]

عكس السرد العربي هذه الفكرة فكما هناك موت في مقتبل العمر هناك شيخوخة أو على الأقل إحساس بها في مقتبل العمر نتيجة لصدمة أو استدعاء للقيام بدور رجولي في العناية بالأسرة وتحمل المسؤولية وخلافه. في قالب "فانتاستيكي" كتب "عبد الكريم يحيى الزيباري" في روايته "أغنيات الطريق إلى حلبجة":[٤] "حكى له مام رشيد حكاية يتداولها الهماوند عن أحد أجداده الذي كبر في ليلة واحدة، فبعد موت والده قتيلاً، وكان في السابعة من عمره فقط، نام ليستيقظ رجلاً فارع الطول."[٥]

الكبر قبل الأوان موجود في رواية "نزل المساكين" للطاهر بن جلون[٦] ورواية "خلسة في كوبنهاجن" لسامية عيسى.[٧] من رواية "خيوط القدر" نقرأ: "أما مازن الذي كان يكبرني بست سنوات وينطبق عليه وصف "زرع بدري" والذي أبدى تماسكا طيلة اليوم فقد أحسست به يتكور وينهنه حتى نام ودموعه على خديه. منذ هذه اللحظة دخل مازن التيه ولم يخرج منه. منذ هذه اللحظة عاش في مشيمة أو فقاعة أو ربما شرنقة أو قل قوقعة أو صوبة زجاجية. كبر قبل أوانه كالدجاج الأبيض والفاكهة المهرمنة المحقونة والخراف المنفوخة بالملح والماء."[٨]

---

(١) إريك ماريا ريمارك، كل شيء هادئ في الميدان الغربي، ترجمة: محمود مسعود، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣١.

(٢) ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٩.

(٣) شروكية، ص ٣٧.

(٤) إصدارات مديرية الطباعة والنشر، دهوك، ٢٠١٤.

(٥) أغنيات الطريق إلى حلبجة، ص ١٨٧.

(٦) دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠.

(٧) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.

(٨) خيوط القدر، ص ٢٠.

ترصد "متلازمة دوريان جري" ظاهرة اجتماعية حين يتباهي الشخص بأناقته ولياقته على نحو يفوق الحد فيرفض الاعتراف بالسن ويرفع شعار "رجوع الشيخ إلى صباه"[١] ويخاف الشيخوخة Gerascophobia ولا يتقبل مظاهر الشيب الذي عُير به "المستنجد بالله العباسي".[٢] التقدم في العمر أمر مؤرق للكثيرين. حين بلغ "زهير بن ابي سلمى" الثمانين سئم "تكاليف الحياة" Fatigues of Life، لكن هناك من يريد أن يعيش للأبد وأن يحصل على ديمومة الشباب Fountain of Youth.

يميل المصابون بهذه المتلازمة إلى وضع صور لهم على مواقع التواصل الاجتماعي أُخذت لهم في سن مبكر. يسعى المُصاب بهذه المتلازمة جاهدا بكل ما أوتي من سبل ليحتفظ بشبابه الدائم ويقاوم الشيخوخة ومظاهر التقدم في العمر من صبغة للشعر أو زرعه وتناول المنشطات الجنسية وربما أيضا جراحات تجميل وشد للوجه وإنقاص الوزن كما تفعل النساء الخائفات من ندوب الزمن وسن اليأس وانصراف الاهتمام عنهن واللاتي يرغبن في توقف عمرهن عند سن معين. تقترن الرغبة في الحصول على ماء الحياة أو ينبوع الشباب في المتلازمة بمسحة من النرجسية.

أخذت المتلازمة اسمها من الشخصية الرئيسية في رواية "صورة دوريان جري" (The Picture of Dorian Gray 1891) للكاتب "أوسكار وايلد". تستعرض الرواية الشباب الخالد لصورة تمثل شاب يافع والشيب القادم الذي حتما سيحل بالفنان الذي أبدع "البورتريه": "أنت لا تحس بشبابك لأنك لا تملكه، ولن تحس به إلا إذا فقدته، ولسوف تفقده."[٣]

في رواية "هشام مشبال" "أجراس الخوف"[٤] نقابل "نجيب"، الأستاذ الجامعي الذي يخاف من تقدم العمر به. ديمومة الشباب موجودة في رواية "جنة على الأرض" لفادي

(١) عنون "محمد عبد النبي" روايته الصادرة عن روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١ على نسق الكتاب الشهير، لكنه قدم طرحا مختلفا واستعاض عن الباه بالفن والأدب في شخص الشيخ أحمد رجائي الذي يريد أن يكتب حكايته.

(٢) عيّرتني الشيب وهو وقار ليتها عيّرتني بما هو عار.

(٣) أوسكار وايلد، صورة دوريان جراي، ترجمة: لويس عوض، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة – بيروت – تونس، ٢٠١٤، ص ٣٢.

(٤) دار الأمان – منشورات ضفاف – منشورات الاختلاف، الرباط – بيروت – الجزائر، ٢٠١٤.

زغموت[1] وفيها يخترع العلماء عام ٢٠٩١ حبة أكسير الحياة والشباب الدائم الذي هو أيضا محور رواية "ثمانون عاما في انتظار الموت" لعبد المجيد الفياض.[2] صحيح أنه هناك خلل جيني أوقف بطل الرواية، "أحمد" عند سن الثامنة عشر، لكن الطبيب، "معتز" يسعى من خلال هذه الحالة إلى تحقيق نصر طبي والاهتداء إلى مصل يحفظ للإنسان قوته وفتوته. في رواية "يالو" نقابل شخصية الخياط، وهو رجل يُظهر الوصف الذي نعته به "إلياس خوري"[3] أنه مصاب بأعراض هذه المتلازمة: "كان الخياط إلياس الشامي في الستين من عمره، يوحي بالشباب الدائم، ويبتلع كرشه من أجل أن يبدو رشيقا، ويبتسم بملء شفتيه من أجل أن يرى الناس أسنانه النظيفة البيضاء... التي توحي بأنها أسنان طبيعية... أحنى رأسه الذي تصبغه الحنة بلون مائل إلى الاحمرار."[4]

كتب "المازني" في "إبراهيم الثاني":[5] "كان في العقد الخامس من عمره، ولكنه كان ذا وسواس. وكان أخوف ما يخاف، أن يكون قد شيخ، أو أشفى على الشيخوخة."[6] وللتغلب على هذا الوسواس لم يكتفي "نوفل"، بطل رواية "جمال ناجي"، "الحياة على ذمة الموت" بالخوف وحسب، بل سعى بطريقة إيجابية لإيقاف زحف الشيب: "وكان يقاوم بصمات السنين ومياسمها، وسائر الارتخاءات والترهلات البدنية المحتملة، بنظام ثابت للمشي الصباحي المتعب، كما يفوت على قلبه فرص التشنج أو الاضطراب أو الخفقان، من خلال التدليكات والمساجات الصباحية والمسائية لمنطقة القلب... اعتاد نوفل مراقبة وزن بدنه، كي يحول دون استقطابه للدهون والشحوم التي تثقل الهمة، وتحاصر القلب والشرايين... نوفل يمارس حياته بمسؤولية أبعدته عن كل ما من شأنه التآمر على تلك الحياة: كالتدخين، أو الإفراط في تعاطي الكحول، أو السهر الطويل، أو فوضى ساعات النوم."[7]

(١) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.
(٢) مدارك، دبي، ٢٠١٢.
(٣) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.
(٤) يالو، ص ٥٥، ٥٦.
(٥) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
(٦) إبراهيم الثاني، ص ١.
(٧) الحياة على ذمة الموت، ص ٨، ٩.

هذه المتلازمة محل الحديث من شأنها أن تُنتج ما يُعرف بـ "العجوز المتصابي". قدم الدكتور "علاء الأسواني" هذه الشخصية بدقة، ونقصد هنا "زكي الدسوقي" في رواية "عمارة يعقوبيان".[1] في هذه الرواية يقترن الولع بالنساء بالاستغلال فزكي الدسوقي، الرجل الهرم، يستغل حاجة "بثينة"، الشابة التي ترعى عائلتها. في رواية "بشاير اليوسفي" لرضا البهات[2] نقابل شخصية "فؤاد بك عثمان" الذي يصفه الكاتب قائلا: "في الخمسين تقريبا، دائم الأناقة لحد تعمد الإبهار، فالمنديل الأبيض في الجيب الصغير أعلى السترة، والياقة مشدودة، ورباط العنق مستورد، والذقن ناعم، والشارب دوجلاس."[3] وفي رواية "ماري رشو" "أول حب آخر حب"[4] نقرأ: "ذاقت على يدي جورج عذابا آخر مختلفا. كان ظنونا باستطاعته رمي الاتهامات كيفما يشاء، وأرجع الطبيب ذلك لحالة تصيب بعض الرجال في هذا العمر، خاصة حين يكبر الزوجة بعشرين عاما أو أكثر. تبدل جورج. تلونت قمصانه. صبغ شعره. أكثر من ممارسة الرياضة."[5]

توهم ميجنون

ننتقل الآن إلى الأدب الألماني الذي خصنا منه "جوته" Goethe بظاهرتين هما: "توهم ميجنون" و"متلازمة فيرتر".

إحساس الطفل بأنه لا ينتمي للأب والأم اللذين نشأ في كنفهما، بل ربما لأسرة مرموقة يُعرف بـ "توهم ميجنون" Mignon Delusion. تعود التسمية لشخصية ظهرت في رواية "جوته" "سنوات تعلم فلهلم مايستر" Wilhelm Meister Apprenticeship.

في رواية "لا أحد في تبوك" لمطلق البلوي[6] يشك البطل، "منصور" أن والدته هي أمه الحقيقية. وفي رواية "محمد سلماوي" "أجنحة الفراشة"[7] يبدأ "أيمن الحمزاوي" رحلة

(١) مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٧.
(٢) كتاب مجلة أدب ونقد (جريدة الأهالي - حزب التجمع)، القاهرة، ١٩٩٢.
(٣) بشاير اليوسفي، ص ٦.
(٤) دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٢.
(٥) أول حب آخر حب، ص ٢٧.
(٦) دار جداول للنشر، بيروت، ٢٠١١.
(٧) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٢.

البحث عن أمه الحقيقية، بل يربط "سلماوي" بين الأم والوطن بقوله: "كان عليه أن يقطع الرحلة كي يعرف الحقيقة. كان عليه أن يذهب إلى طنطا ليعرف من هو، ومن أمه، وهل هي على قيد الحياة أو ماتت؟ فكما أن الوطن هو الأم فإن الأم أيضا هي الوطن، والإنسان الذي لا يعرف له أما لا يعرف له وطنا. هو إنسان بلا أصل.. بلا جذور.. بلا هوية."[١]

في رواية "نوميديا" لطارق بكاري[٢] يعترف رب الأسرة لأولاده أنه وجده في طريق جانبي: "في صباح يوم حزين يا (أوداد)، جرتني الأقدار إلى تلك الطريق الهامشية التي لم تكن يوما طريقي، هناك وجدتك في شهورك الأولى مسربلا في بياض، لم أجدك باكيا، كنت تبحلق في السماء، التفت إلى الجهات الأربع لعلي أرى اليد التي أسلمتك لهذا القدر، لكن دون جدوى. جئت بك إلى منزلي. أنت منا – تذكر هذا جيدا – لكنك لست من دمنا."[٣]

متلازمة فيرتر

"الغدارتان محشوتان. والساعة تدق الثانية عشر! وأنا أقول آمين. شارلوت. شارلوت! وداعا. وداعا."[٤]

"لأنك تعرف عنف الألم فإنك تهرب تلقائيا منه. إنما الموت فأنت تجهله لهذا قد ينتحر بعضهم بنية الخلاص من آلامهم."[٥]

أخذت "متلازمة فيرتر" Werther syndrome اسمها من رواية "جوته" "آلام فيرتر". تشير المتلازمة إلى حالات الانتحار الكثيرة التي تجري عقب انتحار أو وفاة شخصية عامة مشهورة.[٦] تذكرنا هذه المتلازمة بحالات الانتحار التي تمت عقب وفاة العندليب

---

(١) أجنحة الفراشة، ص ١٦.

(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.

(٣) نوميديا، ص ٣٥ – ٣٦.

(٤) يوهان جوته، آلام فيرتير، ترجمة: فؤاد فريد، المكتبة الحديثة – دار الشرق العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٢٢.

(٥) فاطمة خليفة مؤذن، فكرة.. حبل ومقص، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١، ص ٩٣.

(6) The Cambridge Dictionary of Psychology (ed. David Matsumoto), Cambridge Univ. Press, 2009, p 579.

الأسمر في مصر. ظاهرة الطلاب الذين يُقدمون على الانتحار رصدتها "متلازمة ويتمان" Whitman Syndromeوالتي تصدت لواقعها في الولايات المتحدة، لكنها تنطبق على مناطق أخرى.(١)

وعدا الحالتين السابقتين توجد ظاهرة الانتحار في الأدب ومن يمتهنونه. عام ١٩٤١ سارت الكاتبة الإنجليزية "فيرجينيا وولف" Virginia Woolfبجيوب مثقلة بالحجارة وقفزت في مياه أحد الأنهار بإنجلترا. عام ١٩٦١ أطلق الروائي الأمريكي "إرنست هيمنجواي" النار علي رأسه.(٢) بعدها بعامين فتحت الشاعرة الأمريكية "سيلفيا بليث" Sylvia Plath صنبور الغاز وماتت مختنقة في مطبخها. في رواية "توماس هاردي Thomas Hardy "تيس" Tessقتل ابنها نفسه شنقا.

يرى "نيتشه" أن الموت صنفين: أحدهما إرادي وهو الانتحار.(٣) "دكتور، هل تملك الإرادة الكافية للانتحار؟" هكذا جاء سؤال "يمنى" للطبيب النفسي الشاب في رواية "أتما" لبسمة الخوالي.(٤) في رواية "بهاء عبد المجيد" "النوم مع الغرباء"(٥) يحاول البطل الانتحار "بأحد الأكياس البلاستيك بوضعها فوق رأسي ووجهي خلاصا من الحياة."(٦) أما "نائل الطوخي" فقد استهل روايته "الألفين وستة"(٧) بهذه الكلمات: "ذات يوم، أرسل شاعر ما رسالة من بريده الإلكتروني إلى عدد من أصدقائه. قال أنه سيغادر القاهرة، وأنه في طريقه إلى الصحراء، الصحراء الغربية بالتحديد. قال أنه مل الحياة، وأنه توجه هناك بغرض الانتحار."(٨)

(1) Kuehn, John L. & Burton, John: Management of the College Student with Homicidal Impulses—The "Whitman Syndrome", in The American Journal of Psychiatry, May 1969, Vol. 125, No. 11. (pp. 1594 - 1599.(

(٢) مكرم شاكر إسكندر، أدباء منتحرون، دار الراتب الجامعية – سوفنير، بيروت، ١٩٩٢.

(٣) عبد الرحمن بدوي، نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥.

(٤) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٤٠.

(٥) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٥.

(٦) النوم مع الغرباء، ص ٣٧.

(٧) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٨) الألفين وستة، ص ٩.

ومن المحاولة للتنفيذ الفعلي نقول إن ظـاهرة الانتحـار "التـشوي" موجـودة في الـسرد العربي بوفرة: نجدها في انتحار روائيين أمثال "تيسير سبول" و"عنايات الزيات"[(١)] و"محمد رجائي عليش" الذي كتب على ظهر غلاف روايته "كلهم أعدائي" هذه الكلمات: "ارقد أيها القلب المعذب فوق صدر أمك الحنون واسترح إلى الأبد، دع أحلامـك الميتـة تتفـتح كزهـرة تعيش مليونا من السنين، أنت أيها الملاح التائه في بحار الظلمات البعيدة لقـد جئـت إلى أمـك الأرض لتعيش في حضنها إلى الأبد، ألقيت بمراسيك في المياه الدافئـة وأمنـت مـن الخـوف، نفضت عن شراعك الثلج والبرودة وأيقظت الشمس في قلبك واسترحت إلى الأبد، نم هانئًا سعيدا يا من لم تعرف الراحة في حياتك، أحس بالأمن يا من عشت دائمًا بعيون مفتوحـة مـن الخوف.. الموت أبوك والأرض أمك والسلام رفيقك والأبد عمرك."

نقرأ عن ظـاهرة الانتحـار في روايتـي "إمـيلي نـصر الله" "طيـور أيلـول"[(٢)] و"شـجرة الدفلي".[(٣)] نراها في انتحار العروس برواية "فتحي إمبابي" "العلم"،[(٤)] وانتحار "نفيسة" في "بداية ونهاية" لنجيب محفوظ وانتحار "صابرين" بسبب تحرش عمها في "ريام وكفى" لهدية حـسين[(٥)] وفي انتحـار أسـتاذ الفلـسفة، "سـليم النجـار"، في روايـة "محمـد البـاردي" "الكرنفال"[(٦)] وفي انتحار "بسيمة" في رواية "دلال وبسيمة" لوفيـة خـيري،[(٧)] وفي انتحـار "سعد" في رواية "خديجة وسوسن" لرضوى عاشور:[(٨)] "ألقى سعد بنفـسه تحـت عجـلات القطار المقبل بسرعة إلى محطة مترو الأنفاق فهل كان قرارا مبيتا حملـه إلى ذلـك النفـق المظلـم ينتظر الوحش المقبل باتجاهه بحدقتين مرعبتين أم أنه كان خاطرا مباغتا داهمه فجأة فنفذه بـلا

(١) في روايتها الوحيدة، "الحـب والـصمت"، تناولـت "عنايـات الزيـات" فكـرة الحـب والانتحـار، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧).

(٢) الدار الأهلية، بيروت، ١٩٦٢.

(٣) منشورات نوفل، بيروت، ١٩٨١.

(٤) روايات الهلال، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٥) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤.

(٦) دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٤.

(٧) دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٢.

(٨) دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٩.

تفكير."[١] كما نجد الانتحار في رواية "إبراهيم أصلان" "وردية ليـل" ممـثلا في "مـرزوق"، صاحب محل الأنتيكات: "لاحظت أن المدخل مزدحم بالأشياء كما عهدته: كميات كبيرة من القدور الرخامية والأواني النحاسية المطروقة والزجاجات الملونة والمرايا ذات الأطر المنقوشة والمقاعد والثريات والمشكاوات والتابلوهات الباهتة المركونة، وفي خلفية المحـل المعـتم كـان الجسد الضئيل يتدلى من حبل مربوط في شـماعة وضـعت أفقيـا بـين صـوانين متقـابلين."[٢] ونجده أيضا في رواية "صـابرين الـصباغ" "الغـزال العاشـق"[٣] وفيهـا تقابـل "آيـة" التـي "تتجرع الموت الذي تنكر في الصودا الكاوية."[٤]

استهل "ربيع جابر" روايتـه "رالـف رزق الله في المـرآة"[٥] بهـذه الكلـمات: "في صـباح السبت ٢٨ تشرين الأول ١٩٩٥، أوقف سيارته التويوتا الخضراء، بمحـاذاة الرصـيف أمـام مقهى دبيبو، ثم ترجل منها مسرعا، وتسلق الحافة الحجرية القصيرة، وقفز إلى الفـضاء. قبـل أن يقفز شرع ذراعيه كالصليب. خلفه بيروت، وقبالته صخرة الروشة. كان يرتـدي بنطلونـه الجينز القديم، والقميص الكاكي الذي اشتراه قبل سـنتين. كـان في الخامـسة والأربعـين مـن عمره. ورمى نفسه. هوى عن علو خمسة وأربعين مترا، وارتطم بالصخور، ثم طفا على وجـه المياه. هكذا انتهى كل شيء."[٦] وكأن "ربيع جابر" ينتج مشهدا كتبه "سـليم اللـوزي" عـام ١٩٧٥ في روايته "المهاجرون":[٧] "مرة كان يجلس وحده في مقهى دبيبـو قريبـا مـن صـخرة الروشة في بيروت، عندما لمح شبح إنسان يركض قريبا منه. وفي لحظـات كـان الـشبح يلقـي بنفسه فوق الصخور، من ذلك العلو لم ينج من الموت فيه أحد."[٨] قفزة مميتة أخـرى يـصفها "سليمان كامل" في روايته "خرائب الأزمنة":[٩] "فتاة في السادسة عشرة مـن عمرهـا ترعـى

(١) خديجة وسوسن، ص ١٤٢.
(٢) وردية ليل، ص ٥٤.
(٣) دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩.
(٤) الغزال العاشق، ص ٢٩٧.
(٥) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧.
(٦) رالف رزق الله في المرآة، ص ٩.
(٧) دار الشروق، القاهرة.
(٨) المهاجرون، ص ٢٠ – ٢١.
(٩) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.

عنزاتها؛ النهدان مكوزان في بداية تفتحهما، زغبها الحريري، طعم جسدها الفائر... الحمامة كوثر ابنة أحد الفلاحين، اختلت بجسمها، تركت عنزاتها على هواها، غدت تتأمل عريها الغاوي في غبطة، تحت وقدات شمس أيار الدافئة... اختبأ وراء صخرة دهرية، أوغل في رصد عريها... فار التنور، انقض على الحمامة المراهقة، افترسها في عنوة، سحق براعمها البكر، انتشر قرمزها القاني فوق المرجة... واعدها أن يتزوجها. اعتاد جسدها على الاختلاء، أثمر جنينا، راح ينمو في رحمها، واخلف وعده بالزواج منها، لم تطق صبرا على الفضيحة، رمت بجسدها... من أعلى الرعش الصخري وابتلعتها الغيران والصخور المدببة."[١]

هناك أيضا انتحار المحبين لأسباب مختلفة تصب كلها في منع الوصل والهوى بداية من الحبيبين الصينيين اللذين ألقيا بأنفسهما من فوق قمة جبل "هوانج شان" Huangshan مخلفين قفلا للحب خلفهما مرورا بـ "أنطونيو وكليوباترا" و"روميو وجوليت" وانتهاء بقطع روائية مثل تلك التي نوردها من رواية "ادوار الخراط" "الزمن الآخر":[٢] "أطلق كوافير ثلاث طلقات على ابنة مليونير في مصر الجديدة فقتلها في الحال، وأطلق على نفسه رصاصة واحدة، ومات بجوارها، بعد قصة حب استمرت خمس سنوات كاملة. كانت جثة الفتاة داخل غرفة النوم، فوق السرير عارية، والدماء متجمدة حولها، وكان الشاب مُلقى على ظهره أسفل السرير، والمسدس بجواره، وعشر طلقات متناثرة، وحبوب منع الحمل، وقطعة من الحشيش، وزجاجة ويسكي ملآنة. وكان بجانبه – كالشهادة – عقد زواج عرفي على ورق مطبوع لأحد المحامين."[٣] وفي رواية "بنات حارتنا" لملاحة الخاني[٤] نقرأ هذا الحوار:

– "تعرفين جميلة الكاظم طالبة دار المعلمات، البنت الحلوة، والدها إمام جامع الشمسية... يا حرام على شبابها، انتحرت.

– المجنونة!...

(١) خرائب الأزمنة، ص ١٧، ١٨.
(٢) دار شهدي، القاهرة، ١٩٨٥.
(٣) الزمن الآخر، ص ١٦.
(٤) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.

- انتحرا معا، شربا سم الفئران. جميلة الكاظم، وعزيز أسعد، الحب، الله يلعن الحب، هذا ما تعلمناه من كلام الروايات والأفلام."[1]

الجديد في ظاهرة الانتحار هو ما بات يُعرف بالمساعدة على الانتحار Assisted Suicide، أو ما يُسمى بـ "قتل الشفقة" أو "قتل الرحمة" Mercy Killing. فأحيانا وبالرغم من خوفنا من الموت يتمنونه المرضى الذين لا يرجى شفاؤهم والمتألمين بشدة. صحيح أن القضية لها بعد أخلاقي وأنها مرفوضة برمتها في المجتمعات الشرقية، لكنها مطروحة. في الولايات المتحدة يشترط الأطباء موافقة أقرب الأقارب. أيضا استنبطوا ما يُعرف بـ Living Will وفيها يقرر الشخص وهو صحيح ومعافى هل يرغب في وضعه على الأجهزة إذا دعت الحاجة من عدمه أو عند الموت السريري.

في بعض الأحايين ينقسم الأقارب حول موضوع رفع المريض من على الأجهزة، وهذا ما أورده "إبراهيم مضواح الألمعي" في روايته "جبل حالية":[2] "رفضت زهرة الأهدل إزالة أجهزة الإنعاش عن عمر، بينما يقول أبوها: إنها مجرد تطويل لأمد معاناته، ينظرون إليه من وراء الزجاج، يعلو صدره ويهبط بفعل أجهزة التنفس الصناعي."[3]

تناولت "فاتحة مرشيد" هذه القضية في رواية "الحق في الحياة"،[4] وهل هو موت رحيم أم انتحار؟ تكتشف "إسلان" أنها مصابة بالسرطان فترجى زوجها، "فؤاد" لمساعدتها في الرحيل بسلام وبسرعة. يوافق الزوج تحت الضغط وتحقيقا لرغبتها. الجرعة التي ناولها عجلت بموتها، لكنها وضعته تحت طائلة القانون. وفي رواية "خيوط القدر" نطالع: "أصبح في حكم اليقين أنه أصيب بحالة من حالات الموت الدماغي. أطرقت مفكرا: يا ترى يا أبي هل لازلت معنا أم سافرت هناك؟... لو كان لدينا مالا كافيا لتركناه على الجهاز في مستشفى خاص وقنعنا بأنه يتنفس وأنه قد يعود يوما ما من سفره... مرة أخرى يمر أخي مازن بالموقف الصعب حين يُضطر إلى توقيع أوراق يتم رفع أبي بمقتضاها من على جهاز التنفس

(١) بنات حارتنا، ص ١٦.
(٢) إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٩.
(٣) جبل حالية، ص ١٩٠.
(٤) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٣.

الصناعي. وقفنا من وراء اللوح الزجاجي نشاهد رئة أبي تنكمش ثم لا تتمدد بعد أن فصلوا عنه الخراطيم والأنابيب والمحاليل. لو كان معنا مالا كافيا لحنطنا أبي أو وضعناه في النيتروجين السائل وقنعنا أنه ما زال يشغل حيزا من الفراغ بدلا من أن يلتهم جسده الدود، لكن إكرام الميت دفنه."[1]

في رواية "أمس انتهينا" نجد إشارات مختلفة للانتحار منها مثلا أن النسور تُلقي بنفسها من مكان مرتفع إذا اعتلت أو تقدمت في العمر أو فقدت الرغبة في الحياة، ومنها ما يتعلق بأغنية شهيرة تسببت في انتحار العديد من البشر: "امتنعت أمي عن التعليق. ولت شطرها نحو السماء من جديد وراحت تغني بالمجرية أغنية ذات إيقاع حزين. ما أجمل صوت أمي. يُشبه إلى حد كبير صوت "السيرينيات" في أسطورة أوديسيوس... أعرف هذه الأغنية. سمعت أمي تشدو بها قبل أن تُلقي جارتنا في الطابق الحادي عشر بنفسها من النافذة. اسم الأغنية هو – الأحد الكئيب – Gloomy Sunday ، لكنها اشتهرت أيضا بأغنية الانتحار. أول من صدح بها شاب مجري في العشرينات من القرن العشرين. كان ذلك في أحد المقاهي. انتحر الشاب بعدها مباشرة. بعد ذلك غنتها أولجا كيركس في أحد المسارح الشهيرة فأبكت الحاضرين. قبل الوصلة الثانية وجدوها منتحرة بالسم في غرفتها. يقال أن عشرين شخصا انتحروا بعد سماع هذه الأغنية؛ بينهم مؤلفها لازلو يافور:

أتوسل إليك أيتها الغالية أن تحضري في الأحد الأخير.

هناك حيث القس والكفن والتابوت.

ستكون الورود في انتظارك.

النعش والزهور تحت الأشجار اليانعة.

هذه هي رحلة الوداع. سأفتح عيني لأشاهدك للمرة الأخيرة.

لا تفزعي من منظرها، فأنا أباركك حتى في الموت."[2]

---

(١) خيوط القدر، ص ٢٣، ٢٤.

(٢) أمس انتهينا، ص ٤٢، ٤٣.

أخيرا وفي رواية "التأليف بين طبقات الليل" قدم لنا "أسعد جبوري"[1] طرحا هزليا عجيبا حول قضية الانتحار مفادها أن المنتحر لا يملك حرية اختيار الطريقة التي يموت بها تماما كالمحكوم عليه بالإعدام: "هل تنسى الشاعر الحصيري في موقف الإفلاس، يوم قرر الانتحار لعدم قدرته على تأمين سكرة الليل.. فنزل إلى ضفة النهر بهدف التخلص من الحياة، ومُنع من ذلك، لأنهم طلبوا منه أن يرمي بنفسه من على الجسر، لا أن ينتحر وفقا لما خطط لذلك هو بنفسه! وهل تنسى ما قاله الحصيري لناصحيه آنذاك: اللعنة على بلد فقدنا فيه حتى حرية الانتحار؟!"[2]

عقدة دون جوان

"كان رحيم يمضغ النساء كما يلتهم النمس زغاليل الحمام في أعشاشها."[3]

حين يُوصف شخص بأنه مصاب بعقدة "دون جوان" Don Juan Complex فهذا يعني أنه زير نساء Womanizer وأنه يرغب في معاشرة أكبر عدد منهن. نشأت قصة "دون جوان" في إسبانيا، لكنها وردت في أعمال أدبية عديدة. كتب "موتسارت" Mozart أوبرا تناولت شخصية "دونجوانية" لها أصداء حقيقية متمثلة في "كازانوفا" Casanova. تشير "عقدة كازانوفا" Casanova Complex إلى الشخص الذي يعاشر عدد كبير من النساء دون أن يكون بينه وبين أي منهن شعور عاطفي. أما "اللورد بايرون" Lord Byron فقد كتب قصيدة عن "دون جوان" سمح لنفسه فيها ببعض التخيل عن القصة الحقيقية لمعبود النساء. زير النساء موجود في فيلم "النبيلة والشارد" Tramp Lady and the Tramp من إنتاج "ديزني" والمأخوذ من رواية "دان السعيد" Happy Dan للكاتب "وارد جرين" Ward Green.

وأما الشخص صاحب النفوذ والذي يجمع حوله مجموعة من الحسناوات فيُوصف بأن لديه "متلازمة الكابتن جلوفال" Captain Gloval Syndrome.[1] "خمسة أعوام في

(١) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.
(٢) التأليف بين طبقات الليل، ص ٧.
(٣) نبيل الملحم، موت رحيم، أطلس للنشر والإنتاج الثقافي، بيروت، ٢٠١٣، ص ٧.

مدريد"، كتب "عبد الرحمن مجيد الربيعي" في روايته "خطوط الطول.. خطوط العرض"[٢] "لم أكن أحيا فيها، كنت مدفونا في الألوان والخمرة وأجساد النساء، لا تسألني عن عددهن ولا عن ملامحهن فلم أذكر إلا ثقوبا، أولجه فيها فأستريح، عربيات ومن أمريكا اللاتينية وفرنسيات وأفريقيات وأسبانيات."[٣]

عرف الأدب العربي زير النساء في شخص شعراء الغزل الصريح ومنهم "عمر بن أبي ربيعة". من ناحية أخرى كان بعض الخلفاء لا يضاجعون جارية مرتين وكان للسلاطين المئات من الإماء وملك اليمين. احتل الجنس أيضا حيزا ضخما من كتابات السابقين. شخصية زير النساء موجودة بقوة في السرد العربي ونخص منها شخصية المهندس في رواية "دعاء الكروان" لطه حسين والدكتور "هاشم" في "أنف وثلاث عيون" لإحسان عبد القدوس[٤] والموسيقار في رواية "فديتك ليلى" والذي كان معرضا عن الزواج لأنه – على حد قول "يوسف السباعي"[٥] – "لم يشعر قط بالحاجة إليه".[٦]

وحتى الرجال الذين يسرفون في الزواج والطلاق[٧] – وهم في ذلك لا يرتكبون محرما ولا يخالفون شرع الله – إلا أنه يمكن تصنيفهم ضمن إطار هذه المتلازمة. في "صدفة بتجمعنا" نقرأ: "كان محبا للدلع والغنوجة والدلال، عاشقا لكل ما ينتهي بنون النسوة وتاء التأنيث. كان قارئا جيدا لخريطة عقل وجسد المرأة. ما إن يري احدهن حتى يحاصرها بالهدايا المغرية حتى ترضخ وتذعن له، ثم يبدأ في البحث عن غيرها فما تملكه اليد تمله العين.

(١) يوصف هذا الشخص في الموروث الشعبي المصري بـ "ديك البرابر" Cockadoodledoo Syndrome. هذا الشخص حين يجد نفسه في محيط نسوي يعتقد أن كل هذه الدجاجات إنما هي لمتعته الأمر الذي قد ينتهي به بالتحرش والسجن.

(٢) دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، ١٩٩٣.

(٣) خطوط الطول.. خطوط العرض، ص ٥٢.

(٤) دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٤.

(٥) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٧.

(٦) فديتك ليلى، ص ٣٤.

(٧) تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة كاري جرانت" Cary Grant Syndrome، نسبة إلى الممثل الشهير الذي دخل في خمس زيجات وطلق أربع مرات.

حين لامه أصحابه علي كثرة زواجه وطلاقه رد أن التعدد هو الأصل في الشرع...أحب بايزيد الاستماع إلي قصص الجواري في قصور السلاطين: حبابة وسلامة ودنانير وعريب وعنان وغضيض وبذل وغادر. كان للخليفة المتوكل أربعة آلاف جارية وطئهن جميعهن. تمني بايزيد لو امتلك ألف جارية فقط وأن يضاجع كل يوم امرأة مختلفة. تمني أن يعيش في عصر السبايا والنخاسة والرقيق وما ملكت اليمين. تمني لو تزوج جنية تتشكل له كل يوم في شكل امرأة مختلفة فتارة تكون دنماركية وتارة تكون أسكوتلندية ويوما تكون مجرية ويوما تكون ألبانية أو إيطالية أو روسية أو فنزولية. تمني لو حصل علي طاقية الإخفاء وطاف المخادع والحمامات العامة يملي عيناه من النساء ويتفرس في أجسادهن. تمني لو أعطاه الله فحولة شمشون وجالوت والسميدع والقعقاع بن عمرو. كانت النساء بالنسبة له كالفاكهة. أحب التفاح "الأمريكاني" والكرز اللبناني والموز المغربي وبرتقال القليوبية والعنب الفيومي والخوخ السيناوي والمانجو الإسماعلاوي وتين السلوم وبطيخ مطروح وبلح رشيد ومشمش العمار، وراح ينتقل من الكمثري إلي قصب السكر ومن اليوسفي إلي قرع العسل ومن الفراولة إلي التوت ومن الشهد إلي الجميز ومن البرقوق إلي الحرنكش. كان يردد أن لكل واحدة مذاق خاص. تزوج مسيار ومصياف ومسفار قبل أن تخرج علينا هذه المسميات. تزوج وطلق وتزوج وسرح وتزوج وظاهر واحتفظ دوما بأربعة من النساء في بيته بسوق الحقانية القريب من ميدان المنشية أو ميدان القناصل كما كان يُطلق عليه. ساعده علي ذلك صحة موفورة وسعة في الأرزاق ووفرة في المعايش وفسحة من الوقت."(١)

عقدة فاوست

" لعبة المعرفة والألم تغويه، تثير فطنته وغباءه وتشحذ جنونه."(٢)

الرغبة الجامحة الملحة للمعرفة واختراق الحجب وكشف المستور والاستفسار عن الأشياء التي تسوء من يسأل عنها على حساب أي شيء آخر تُسمى بـ "عقدة فاوست" Faust Complex. تدور أسطورة "فاوست" الألمانية حول عالم لاهوت باع روحه للشيطان،

(١) صدفة بتجمعنا، ص ٧٥، ٧٦، ٧٧.
(٢) صلاح الدين بوجاه، النخاس، عيون المعاصرة – دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠١، ص ٢٨.

"مفيستوفوليس"، في مقابل المعرفة فيما بات يُعرف بالصفقة الفاوستية Faustian deal. الشهرة الأكبر للقصة جاءت بعد مسرحية "كرستوفر مارلو" Christopher Marlowe "الدكتور فاوستس" Doctor Faustus.

يرى الدكتور "السيد فضل" أن هذه المأساة تدور "حول الإنسان الذي ينبغي أن تكون له من الشجاعة ما يعينه على المغامرة، وأن يُطلق جميع حواسه ونزواته كاملة ليحس بروعة الحياة بعيدا عن الحرمان."(١) وانطلاقا من هذه الرؤية يمكننا القول بأن الشيطان، أو لنقل شيطان المعرفة، موجود داخلنا كما قال "عبد الحي مودن" في روايته "فراق في طنجة":(٢) "خذ بالك من شيطانك."(٣)

هذه الرغبة في معرفة التقنيات والاستحواذ على أسرار العلم تُسمى أيضا بـ "عقدة بروميثيوس" Prometheus Complex. و"بروميثيوس" عند الإغريق هو من سرق النار من الآلهة رغبة منه في استجلاء خصائصها وتحصيل المعرفة عنها. النار عند "بروميثيوس" هي العلم المستور وليست وسيلة للهدم أو حتى التطهير "الدانتسكي" كما عند "أمبيدوكل"Empedocle ،(٤) والذي عبرت عنه "سمر يزبك" بقولها في روايتها "تقاطع نيران":(٥) "النار تطهو. النار تجلو. النار إما أن تحولك إلى رماد، أو تصقلك. وأنا في انتظار الأيام القادمة كي أعيش الرماد، أو أرى مرآتي الجديدة."(٦) صحيح أن "زيوس" قد عاقب "بروميثيوس" بثلاثين عاما من العذاب تأكل الطيور الجارحة من قلبه المفتوح، لكنه أرضى غرور المعرفة لديه.

في كتابه "إبليس في التحليل النفسي" يتساءل "فرويد" عن علة العهد مع الشيطان؟ ولماذا يهب الإنسان نفسه للشيطان. ثم يجيب هو نفسه بعقلية تضع اللذة فوق كل شيء خالطا

(١) الإنسان والشيطان في الأدب المسرحي العاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ٢٦.
(٢) منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ١٩٩٦.
(٣) فراق في طنجة، ص ٩٢.
(٤) هو فيلسوف يوناني من "صقلية". درس المركبات الأربعة ورأى أن النار هي المُطهر لكل الآثام Purgatory. انتهت حياته نهاية مأساوية حيث ألقى بنفسه في فوهة جبل "إتنا" Mount Etna البركاني.
(٥) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.
(٦) تقاطع نيران، ص ٣٠٢.

بين ما بوسع الشيطان وما اختص به الله: "صحيح أن الـدكتور فاوسـت يـسأل بـازدراء: مـا بوسعك أن تعطيه. وأنت نفسك شيطان مسكين؟ لكنه لم يكن على حق فالـشيطان يملـك أن يعطي مقابل نفس خالدة كل صنوف الأشياء التي يثمنهـا بنـو البـشر عـالي التثمـين: الثـروة والأمان من الخطر، السلطان على الناس وعلى قوى الطبيعة، بل حتى الفنون السحرية، ولكن أولا وقبل كل شيء، المتعة، التمتع بجميلات النساء."[١] والأكثر من ذلك أن البشر أنفـسهم الصقوا تهمة بيع الروح للشيطان لكل من ظهرت عليه مظاهر الثراء وامتلـك القـوة والغلبـة ومنهم على سبيل المثال "أوليفر كروموميل" Oliver Cromwell الذي حكم إنجلترا في فـترة سقوط الملكية. قيل أن عاصفة عاتية هبت يوم موته وأُذيع أن الشيطان أتى في ثناياهـا ليأخـذ روحه طبقا للاتفاق. ولإخافة الأطفال غير الراغبين في النـوم كـان اسـمعه يُستدعى وكأنـه إبليس القادم من الجحيم لأخذ روح من لا يمتثل للتعليمات من الصغار.[٢]

في الأدب العربي صدى لهذه الأسطورة في قـصة "عهـد الـشيطان" لتوفيـق الحكـيم،[٣] ومسرحية "فاوست الجديد" لعلي أحمـد بـاكثير الـذي صـبغها بمـسحة إسـلامية،[٤] كـما أن "إبليس" موجود في رواية "مسلة إبلـيس" للروائـي "عـلاء الـصائغ"،[٥] وعبـادة الـشيطان حاضرة في رواية "إيهاب عويص" "الهروب إلى العاصفة"،[٦] و"عزازيل" ليوسف زيدان[٧] والتي نقرأ فيها أن الشيطان هو ما يعيش في دواخلنا ويجري في دمائنا وأننا من يخرجه من بـين ضلوعنا: "يا هيبا قلت لك مرارا أني لا أجيء ولا أذهب. أنت الذي تجيء بي، حين تشاء. أنا آت إليك منك، وبك، وفيك. إني انبعث حين تريدني لأصوغ حلمك، أو أمد بساط خيالـك، أو أقلب لك ما تدفنه من الـذكريات. أنـا أحمـل أوزارك وأوهامـك."[٨] يعيـد "محمـد عـلي

(١) ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٤.

(2) http://listverse.com/2010/05/10/10-people-who-sold-their-soul-to-the-devil /

(٣) مجموعة قصصية، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧.

(٤) راجع مقدمة دكتور "محمد أبو بكر حميد" لمسرحية باكثير، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٧.

(٥) منشورات العهد الدولي، ولاية ميزوري، ٢٠١١.

(٦) دار رواية، الرياض، ٢٠١٣.

(٧) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٨) عزازيل، ص ١٠٠.

النصراوي" صياغة هذه الجمل فيعبر عنها بهذه الكلمات في روايته "لوسيفر":[1] "أنا لم أكن عاصيا، ولم أرتكب أية خطيئة، بل أن الخطايا هي من صنعكم، أما أنا (لوسيفر) حامل ضياء الرب، الجميل دائما، أعرف في أي وقتٍ أجعلكم تفكرون، أزرع في داخلكم التحدي، وبذرة الشك.. أنا في داخلكم، أولد مع أجيالكم، أقود كل عبيد الأرض إلى جانبي، أنا النار الأزلية التي لا تنطفئ في داخلكم.. أنا في اللامنطق أكون الابن المتمرد على أبيه، أنا الثغرات والثقوب السود، أبزغ من العتمة، أنا وحي الإبداع لكم، كلكم ستخرجون من معطفي."[2] أما "إيهاب سلام" فينكر على لسان "عبده الحدق" في روايته "الخداع يعود بثوب جديد"[3] وجود الشيطان من أساسه: "لكن أين هو ذلك الذي يوسوس؟ ألا ترى أنه غير موجود. ألا ترى أنه من نسج خيالك... هذا ما تزعم أنه يوسوس لك ليس له وجود. إنما أنت توسوس إلى نفسك."[4]

في "قالت ضحى" لبهاء طاهر[5] يدور هذا الحديث عن النسخة الأنثوية من فاوست: "لماذا لا تكونين أنت فاوست؟ لمعت عينا ضحى وهي تثبت نظرتها عليّ وقالت: ما أجمل هذه الفكرة، نعم فاوست امرأة ولم لا؟ من قال أن الرجل وحده هو الذي يمكن أن يسأم هذا الترتيب العقيم للدنيا وأن يتمرد عليه؟ من الذي قال أن المرأة ليست لديها أشواق الرجل وربما أكثر لكي تكسر هذا الطوق المستحيل وتحلق وراء المسرات الخارقة وتستمتع إلى الأنغام المحرمة؟ ألم تكن حواء هي التي أرادت أن تقطف الثمرة؟ قلت فهل أنت مستعدة لأن توقعي عقدا بدمك؟"[6]

وفي رواية "الأسلاف" لفاضل العزاوي[7] نقرأ هذا المونولوج الشيطاني: "أخيرا ربحت رهاني القديم عليكم، ذلك لأنني عرفتكم جيدا منذ اللحظة الأولى التي رأيت فيها وجوهكم

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – عمان، ٢٠١٦.
(٢) لوسيفر، ص ١٤٧.
(٣) دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢.
(٤) الخداع يعود بثوب جديد، ص ٩.
(٥) دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٥.
(٦) قالت ضحى، ص ٣٩.
(٧) منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠١.

الماكرة الكالحة. كنتم تقفون حينذاك في مجلس الملائكة متظاهرين بالوداعة والبراءة في حين أنكم تنتظرون على أحر من الجمر فرصتكم لتكشفوا عن الشر الذي يعتمل في قلوبكم والغباء الذي تمتلئ به رؤوسكم... يمكنكم أن تقولوا أنني كنت شريرا بما يكفي لأضلل هذا القديس أو ألعب مع هذا الدرويش، لكن لا يمكن لكم أن تنسبوا إليّ شركم الذي لم تكن لي يد فيه... لقد أردت في البداية أن أمثل معكم دور الشرير، كما في فيلم كاوبوي أمريكي، فإذا بكم أسوأ مني ألف مرة. تورطت بكم حتى كرهت كل ما لصق باسمي ظلما وبهتانا من جرائم يفترض أنني ارتكبتها على مر التاريخ. يا للمهزلة! إنكم لم تكونوا تحتاجون إلى الشيطان لترتكبوا جرائمكم التي لم تخطر في بالي يوما."[١]

متلازمة هاكلبيري فين

التلاميذ الذين يهربون من المدرسة ويتجنبون دروسهم ومسئولياتهم وواجباتهم يُوصفون بأنهم يعانون من "متلازمة هاكلبيري فين" Huckleberry Finn Syndrome. و"هاكلبيري" هو الطفل الذي أبحر بقارب مسروق في "المسيسبي" في رواية "مارك توين" Mark Twain التي تحمل اسم "مغامرات توم سوير" The Adventures of Tom Sawyer. "على مسافة ثلاثة أميال وأسفل مدينة سانت بيتريبورج، وعند نقطة لا يزيد اتساع نهر المسيسبي فيها عن ميل، توجد جزيرة ضيقة طويلة مغطاة بالغابات، لها حاجز ضحل عند رأسها، وتأمل الغلامان المكان بعيون فاحصة، ثم قررا أن تصبح جزيرة جاكسوب ميدانا لمغامراتهما."[٢]

تتطور المتلازمة في مرحلة الرجولة فتجعل المصابين بها يكرهون العمل ورتابة إلتزاماته. " أربعمائة وعشرة أمتار هي المسافة المحسوبة بين مقر العمل وأول نقطة انتظار الحافلة"، هكذا كتب "محمد بن جبار" في روايته "أربعمائة متر فوق مستوى الوعي."[٣] معظم هؤلاء

---

(١) الأسلاف، ص ٣٠٧، ٣٠٩.

(٢) مارك توين، توم سوير، ترجمة: ماهر نسيم، مكتبة الأنجلو المصرية – دار الجيل، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١١٨.

(٣) **دار الأمل** للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ٢٠١٥، ص ٤.

الأشخاص لا يستمرون في وظائفهم كثيرا ويتحاشون الالتزام وينظرون في الساعة دوما متمنين أن تنتهي ساعات العمل Clock Watchers ويغيبون عن دوامهم دون عذر Job Hopper ويتطلعون ليوم الجمعة Thanks God It's Fridayأو يوم الخميس في عالمنا العربي "اليوم هو الخميس. كم أحب أيام الخميس! فهي تأتي قبل يوم العطلة الأسبوعية. لكن هذا الخميس أحبها إلى قلبي على الإطلاق، فهو اليوم الأخير قبل عطلة الصيف."[(١)] ثم يُصاب هؤلاء بالكآبة مساء الأحد الذي يمثل انتهاء العطلة الأسبوعية Sunday Night Syndrome، ويُصابون بالاكتئاب يوم الاثنين Monday Morning Syndrome. من رواية "كلهم أعدائي" لرجاء عليش نقرأ: "نظر عادل إلى ساعته وتنهد في ارتياح عندما وجدها تشير إلى الثانية بعد الظهر ميعاد الانصراف الرسمي من العمل فهاهو يوم آخر من تلك الأيام الكئيبة التي تتوالى كنسخ الكربون قد انقضى وبعد دقائق سيكون في طريقه إلى المنزل المكان الوحيد الذي يحس فيه بشيء من الهدوء وراحة البال."[(٢)]

وتصيب المتلازمة كذلك الأشخاص الذين يعيشون حياة بوهيمية يشربون ويحتفلون ويسهرون وينامون إلى ما بعد الزوال معتمدين على ما لديهم من وسائل للعيش.[(٣)] تناول "توفيق الحكيم" هذه الفكرة في الدراما الروائية "الخروج من الجنة".[(٤)] في المسرحية المذكورة لم يُخرج البطل من دعته سوى هجران زوجته المتعمد، ونتيجة لهذه الصدمة تدفق إنتاجه الشعري، تماما كما تطرح شجرة الموز بعد تعرضها شواشيها للقطع أو كما تضع بعض الحشرات الطائرة بيضها بعد تعرضها للسلع من المصباح الكهربي، أو على حد قول "حياة الياقوت" في روايتها "كاللولو":[(٥)] "نضجت وصرت أعلم أنه بلا مرارة لا نكبر، وبلا منغصات لا ننضج، وإن لم نتألم، لا نتعلم. لقد حفظت الدرس جيدا. كل مؤرق مورق."

عاد "محمد جلال" فتناول نفس الفكرة في روايته "الهلالية"[(٦)] ففقدان الحب الأول متمثلا في "جليلة" فجر طاقة الفن داخل بطل الرواية "عمرو"، ولو أنه حطم حياته.

---

(١) سلام عبود، زهرة الرازقي، دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٣، ص ٧.

(٢) كلهم أعدائي، ص ٥.

(٣) عالج هذه الفكرة في السينما "حسين حلمي المهندس" في سيناريو فيلم "سيدة القصر"، ١٩٥٨.

(٤) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٠.

(٥) ناشري للنشر الإلكتروني، ٢٠١٢.

(٦) كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٩٦.

كما تصيب المتلازمة كل من يرفض قيود الحذاء ورابطة العنق والأعراف والواجبات الاجتماعية ونصب المدن، فيرمي بهذا كله وراء ظهر وينطلق نحو الطبيعة، نحو "الصحراء الكبرى" أو الغابات كما فر أبطال مسرحية "شكسبير" "كما تشاء" As You Like It[1] إلى غابة "أردين" Arden التي يقول عنها "الدوق أميان": "حسنا، يا رفاقي في المنفى، ألا ترون بأن حياتنا هنا هي أرق وأعزب من حياة القصور؟... إننا هنا في مأمن من الأخطار ... إننا هنا لا نلقى من عقاب سوى عقاب آدم ولا نتحمل من مشقة سوى تلك التي تنتج عن تعاقب الفصول."[2]

لسان حالهم يقول: "يا أخي المهموم المربوط في ساقية الحياة، فك قيدك وارحل إلي حيث عاش نبي الله يحيي. يا أخي الذي يعمل طيلة ساعات النهار وجزء من الليل وينام من شدة الإعياء والتعب وطعامه في فمه، فك قيدك وارحل. يا أخي الذي بات لا يعرف الأيام من شدة تشابهها حتى غدت نسخة بالكربون، فك قيدك وارحل. يا أخي المقيد برابطة العنق وسيور الحذاء وحزام السيارة وأعباء المعيشة وطلبات البيت وكسوة الشتاء وضرائب الحكومة، كفكف دمعك والعق جرحك واحلل قيدك وارحل. ارحل كما رحل بحيرا الراهب وأهل الكهف وروبين هود." لسان حالهم يردد مع "محمود الورداني" في روايته "رائحة البرتقال":[3] "تُسلمني الشوارع للشوارع والحواري للسكك الضيقة دون أن أتمكن من الركون للهدوء."[4]

يأخذ "فاضل العزاوي" بأطراف الحديث قائلا في روايته "القلعة الخامسة":[5] "ما الذي تقدمه لكم الوظائف في المدن؟ النقود؟ ولكن ما جدوى النقود، إذا كان الثمن هو

---

(١) في فيلم "البحر بيضحك ليه"، ١٩٩٥ عالج "محمد كامل القليوبي" فكرة التخلص من "متلازمة الهامستر" Hamster Syndrome وترك الحياة في الحارة السريعة Fast Lane والمعروفة أحيانا بـ "متلازمة البيج ماك" Big Mac Syndrome. كتب "نبيل أبو حمد" في روايته "العطيلي: "تظل في عجلة من أمرك. في سباق مستمر مع الحياة. لماذا تريد ابتلاع العالم بسرعة." (دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١، ص ٨).

(٢) وليم شكسبير، كما تشاء، ترجمة: ج يونس، دار نظير عبود، بيروت، ١٩٨٨، ص ٣١.

(٣) دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩١.

(٤) رائحة البرتقال، ص ٣٣.

(٥) منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٠.

حريتكم، اهجروا الوظائف اذهبوا إلى الريف، حيث لا شرطة ولا قوانين أو محاكم أو سيارات مسرعة في الشوارع! اذهبوا إلى الغابات وتعلموا أن تحبوا الحيوانات والشجر هناك فقط توجد الجنة، التي تبحثون عنها عبثا، إن كل ما يعوزكم لرؤية الجنة هو قليل من الشجاعة، قليل جدا."[١]

واحدا من الذين ذهبوا إلى أحضان الطبيعة البكر هو "إسماعيل غزالي" في روايته "موسم صيد الزنجور"[٢] واستشعر عن حق هذا التباين، بل وعجز اللغة أو ربما عدم اكتراثها بوصف الظواهر الدقيقة العفوية التي تحدث في الهواء الطلق يقول متسائلا: "ماذا يعني أن تسقط ريشة بازي في كأس شايك؟ ماذا يعني أن تخضب قبرة صحو قيلولتك؟ ماذا يعني أن يطهم نعيق الغربان حزنك المبهم؟ ماذا يعني أن يرسم البجع خطا عموديا في أفق ذاكرتك المغبونة؟ ماذا يعني أن يداهم تأملك النحاسي تناسل دوائر الرعب على صفحة المياه حيث تدحرجت حبة بلوط وغطست كحكاية طفلة مهملة؟ ماذا يعني أن ترى وجهك في دلو غجرية وردت مياه البئر بكرا وأصيلا؟ ماذا يعني أن يستحم وعيك المثلوم بلهاث الفجر في الصرود؟ ماذا يعني أن يزحف العشب المضيء في شهقتك وأنت تتطهر بملمس زهر وحشي لم تظفر به لغة القواميس بعد؟ ماذا يعني أن ترفع نظرتك إلى الصخور البديعة المطلة بشموخ مريب في الأعالي وتنحت في برهة أشكال العالم القلق؟ كل هذه الترنيمة الفينيقية، هاجستني وأنا أتلذذ بطعم الغياب الأخضر على ضفة البحيرة الرصاصية، الغياب الذي يلغي الحضور القاتم للمدينة وصخب الأشياء المياومة والطاحنة."[٣]

تُسمى هذه الظاهرة الأخيرة في الولايات المتحدة بـ "متلازمة جيمي بوفيه" Jimmy Buffett syndrome ونجدها حاضرة بقوة عند الروائيين "إبراهيم الكوني" و"أحمد إبراهيم الفقيه". كتب "الفقيه" في مطلع روايته "هذه تخوم مملكتي"[٤]: "بين الزمن الهارب والزمن الذي يرفض المجيء منطقة صفراء، مفازة صحراوية يغطيها الحصى وتحرقها شمس الظهيرة.

---

(١) القلعة الخامسة، ص ٨٤.

(٢) دار العين، القاهرة، ٢٠١٣.

(٣) موسم صيد الزنجور، ص ١٨، ١٩.

(٤) رياض الريس، بيروت – لندن، ١٩٩١.

وأنا نائم في سريري يلفني الظلام أرقب نفسي، أركض وسط الخلاء ألاحق ظل طـائر أسـود يعبر الفضاء فوق رأسي، أريد أن أحتمي به من شراسة الشمس التي تـشتعل في قبـة الكـون. نائم في غرفة نومي، ولكن الطائر يقودني إلى حلقات من النساء والرجال الذين يرقصون فوق الرمل. بشر ينـصبون خيـامهم ويقيمـون عرسـا في الـصحراء، يـضربون الطبـول ويعزفـون موسيقى القرب المـصنوعة مـن جلـود سـوداء. نـساء يزغـردن ورجـال يطلقـون صـيحات الابتهاج. أفرح بانبجاسـهم المفـاجئ وسـط العـراء. أتقلـب في سريـري وأركـض نحـوهم أصافحهم وأعانقهم فاكتشفت أنهم جميعا بشر من دخان."[١]

صـحيح أن "الفقيـه" ربـما لم يغـادر غرفـة نومـه، لكنـه رسـم صـورة عميقـة للـذوبان والانصهار في الطبيعة على نحو يذكرنا بفكرة "التدوير" في أبيات "وليم وردثورث"[٢]:

طرحت فلا حول لها ولا قوة.

وذهب عنها السمع والبصر.

ولحقت بدورة الأرض اليومية.

مع الصخر والحجر والشجر.

وأبيات "شكسبير" في "العاصفة" The Tempest:

علي عمق خمسة باعات تحت الماء،

يرقد والدك كما يرغب ويشاء،

وعظامه إلي مرجان تتحول

وعيونه اللؤلؤية حوله تتجول...[٣]

وأبيات أخرى للشاعرة الأمريكية "ماي فراي" May Fryeكتبتها عام ١٩٣٢:

---

(١) ص ٥.

(2) A Slumber did my Spirit Seal.

)3) Full Fathom Five.

لا تقف علي قبري وتنتحب

لا أرقد فيه. أنا لم أمت.

أنا الرياح وقت هبوبها

أنا ندف الثلج برفق سقوطها.

أنا زخات المطر الناعمة

أنا حقول الحَب الناضجة[١]

الانصهار في الطبيعة يعبر عنه "عباس أحمد" في روايته "البلد"[٢] بهذه الكلمات: "مد ذراعه شيئا فشيئا نحو الشجر المهدل حول الشرفة. أيتها الأشجار. غدا أذهب. وأكون شيئا آخر... غدا أذهب وألتقي بك. وأصبح ورقة فيك. أو عصارة في عروقك."[٣] يعبر عنه أيضا "عماد شيحة" في "موت مشتهى"[٤] فآمنة كما في مقطوعة "اعطني الناي وغني"[٥] تود "لو كان بمستطاعها، أن تتخلص من كل ثيابها وتستلقي عارية فوق حشائش نضرة تهسهس تحت ضوء البدر المكتمل فتأتي ظلال غيمة تحط فوقها لتمتنع عن عينيه الفضوليتين وتهطل رهاما لا يتوقف إلا وقد ابتردت واستعاد جسدها فتوته فرجعت صبية تركض بين الجرود وفوق صخورها وتربتها التي تعفر نعليها، تقطف أوراق الخبيزة الخضراء العاتمة أو الأصابع الشوكية البيضاء للعكوب المحاطة بأوراقه الشائكة الخضراء، أو الأزهار الصفراء الهفهافة التي تكلل أوراق وعروق البابونج الذي يفترش مساحات واسعة، وحالما يزداد ابترادها تستقلب الطقس وتحيل الفصل، فتثب بين تلك الصخور على صدى وقع الريح التي تهب شمالا وغربا كأنما تتوالد في كهوف الجبال دون أن تمزق النسيج الكتيم للغيوم الرمادية الكثيفة وتُشحب نور النهار فتُضفي بهاء على التماعات البرق وتصلبات نصاله التي تشق الغيم

(1) Do Not Stand at my Grave and Weep .

(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

(٣) البلد، ص ٤٦.

(٤) دار السوسن، دمشق، ٢٠٠٥.

(٥) من قصيدة جبران "المواكب"، وصدحت بها "فيروز".

بزرقتها الفولاذية قبيل كل قرقعة رعد، قافزة بثوبها الكحلي المنقط بالأبيض وقد رفعت الريح أطرافه كاشفة سروالها الأبيض المزركش بكشكاش مخرمة عند كاحليها ترفرف كأجنحة الحمام فوق نعليها الأسودين، مثلما لعبت بجديلتيها الفاحمتين وكادت تطيح بمنديلها الأبيض والفراشات الملونة التي تطايرت حول حوافه. من مكان لآخر تنحني لتلتقط أقماع الفطر المتفقع فجأة عن أدمة التربة السمراء، ثم تضعها في سلة قصبية تصر الريح على انتزاعها من مرفقها."[1]

التوحد مع الطبيعة نجده أيضا في رواية "أطفال السبيل" لطاهر الزهراني.[2] كتب الرواي: "أبي، سائق التاكسي، الذي قُتل أثناء حادثة احتلال الحرم، لم نعرف عن موته أي تفاصيل؛ سوى تلك الرصاصة التي استقرت في جمجمته، لنأخذه بعد ذلك من ثلاجة الموتى، لنحمله إلى البيت ونغسله، ثم ندفنه، وندفن معه كل التفاصيل، لم يبق منه إلا قارورة جمعت فيها بقايا غسله الأخير، وبضعة كتب. أما القارورة فقد أخذتها أنا وناجي ذات يوم، وذهبنا بها إلى البحر، سكبها ناجي في البحر، وذكر أن أبانا من الآن فصاعدا هو البحر!"[3]

كما نجده في رواية "ربيع جابر" "بيروت مدينة العالم":[4] "أهل القرم عندهم خرافة تقول إن هذه الصخور أجسام غزاة أتوا من البحر."[5] وهي نفس الفكرة التي أكد عليها "صبري موسى" في "فساد الأماكن"[6] حيث يتمنى "نيكولا" أن يتحول إلى صخرة في جبل "الدرهيب": "وتذوب كما حلمت في تلك الطبيعة التي سحرتك بروحها الجذابة، والوحشية عن الحضر الذي قدمت منه وتيبس وتصبح صخرة من الصخور في قلب الدرهيب العظيم الذي أعطيته قلبك وروحك."[7]

---

(١) موت مشتهى، ص ١٣- ١٤.
(٢) رياض الريس، بيروت، ٢٠١٣.
(٣) أطفال السبيل، ص ٢٥.
(٤) ج٢، المركز الثقافي العربي- دار الآداب، الدار البيضاء- بيروت، ٢٠٠٥.
(٥) بيروت مدينة العالم، ص ٣٣٩.
(٦) دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٦
(٧) ص ٩.

أما "حيدر حيدر" فقد قدم في روايته "الزمن الموحش"[١] قطعة "باستورالية" Pastoral يحلم فيها البطل وحبيبته، آدم وحواء الجديدان، بالرجوع إلى الطبيعة والاندماج فيهـا كـما لـو كانا في بداية الكون البكر: "تمنيت أن أطويها تحت ضلعي وأمضي مخترقا بها حدود العالم؛ نحو الجزر النائية. نحيا على ضفاف الأنهار وفي الجبال الموحشة وداخل الكهوف... على الـصخور وعلى جذوع الأشجار، نفصد دمنا ونكتب أشعارا. نستحم في ميـاه عذبـة لم يمسـسها جـسد إنسان؛ وتحت أشعة شمس جديدة نبكي ونغنى ونرقص؛ نلتحم في ليالي الـشتاء ونلـد نـسلا جديدا... ثم نموت كالأشجار في العراء بلا طقوس دون أن يُقرأ حرف على قبرنا."[٢]

قطعة أخرى من التدوير والانصهار في الطبيعة يقـدمها لنـا "راضي شـحادة" في روايتـه "الجراد يحب البطيخ":[٣] "الوطن مرشوم بشقائق النعمان الحمراء مكسوة بلون الـدم والنـار والثورة. الحنّون يصبغ نفسه بدماء نابلس والبرقوق يلبس دماء عدلا ونصوّر، ويروي عطشه من دماء الشهداء. الأرض التي رويت بالدماء تنبت حنّونا وبرقوقا وشقائق النعمان ليمتد إلى الشاطئ، ومن يريد أن يتزوج البلاد وينعم بوردها وزهرها عليه أن يدفع لها مهـرا غاليـا مـن الدماء."[٤] وهنا يقترب "راضي شـحادة" أو ربـما استحـضر أو ربـما اسـتعار فكـرة الـورود الحمراء التي تنمو على دماء المقاتلين من "جون مـاكري" John McCrae الـذي ضـمنها في قصيدته "في ميادين فلاندرز" In Flanders Fields خلال الحرب العالمية الأولى أو الحـرب العظمى، وتحديدا ربيع ١٩١٥.

أخيرا وعودة للمتلازمة نقول أن الريف الجميل كما صورة "عبد القـادر بـن الـشيخ" في روايته "ونصيبي من الأفق"[٥] قد يقدم حلا لأولئك الذين لا يـستطيعون الهـروب تمامـا إلى أحضان الطبيعة. "الريف هو الأقرب إلى الطبيعة والفطرة، ويكون إيقاع الزمن الهادئ حـافزا للتأمل، فضلا عن أن وطننا العربي تتجلى طبائعه الأصيلة في الريف، لأن الزراعة والرعي هما

(١) دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣.
(٢) الزمن الموحش، ص ١١٨.
(٣) مصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠.
(٤) الجراد يحب البطيخ، ص ٤٨٧.
(٥) دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٨٤.

أقدم الحرف فيه."[١] يقصد الناس الريف داخل وخارج بلادهم طلبا للسلام وصفاء الذهن وراحة البال ولو لفترة قصيرة كما في العطلات أو خلافه. نجد لذلك أثرا في رواية "صلاة من أجل العائلة" للكاتبة "رينيه الحايك":[٢] "نتنقل بين المزارع. ننام في العـراء وسـط الحقـول. بعض المزارعين يعرض علينا مكانا للنوم. نسرح مع الماشية. مئات من الأبقار تنقط برؤوسها أخضر الحقول والمروج."[٣]

عقدة لوليتا

للشاعر الإنجليزي "لي هنت" Leigh Hunt (1784 – 1859) قصيدة مشهورة بعنوان "جيني قبلتني" Jenny Kissed Me. تدور القصيدة حول فتاة اسمها جينـي قبلـت الـشاعر العجوز على حين غرة وبدون مقدمات. حركته هذه القبلـة فكتـب القـصيدة، لكـن مـا بـين السطور نقرأ قصة طويلة عنوانها ليس "جيني"، بل "لوليتا":

عندما تقابلنا

قفزت جيني من مقعدها وقبلتني.

أيها الزمن. أيها اللص الذي يسلبنا

كل شيء جميل.. سجل على لساني:

قل عني متعب، قل عني حزين.

قل أن الصحة والثروة جافياني.

قل أني أتقدم في العمر، لكن أضف

أن جيني قبلتني.

---

(١) محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة (١٤٣)، الكويت، ١٩٨٩، ص ١١٦.
(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.
(٣) صلاة من أجل العائلة، ص ٤٥.

حين يشتهي الرجال اليافعون الفتيات الصغيرات دون سبب واضح أو بدعوى تجديد الشباب وضخ إكسير الحياة فإنهم يعانون من "عقدة لوليتا" Lolita Complex نسبة إلى رواية "فالدمير نابوكوف" Valdimir Nabokov والتي تحمل نفس الاسم. تدور الرواية حول رجل عجوز مهووس بفتاة عمرها اثني عشر عاما حتى تحول إلى قاتل.[١]

كتب "نابكوف" مصورا ملمحا لهذا الهوس: "الخميس: كان يوما قائظا ولقد استطعت أن أرى من نافذة الحمام دولوريس (لوليتا) وهي ترفع الغسيل من حبل ممدود في الباحة الخلفية من البيت.. ثم رأيتها تخرج من الباحة.. كانت ترتدي قميصا شفافا وسروالا رجاليا أزرق.. وكانت كل حركة من حركاتها تضرب على أوتاري الباطنية الحساسة.. في جسدي الداعر المتيقظ.. فخرجت أنا كذلك إلى الحديقة وجلست على الدرج وما لبثت أن جلست هي الأخرى على درجة أدنى وأخذت تلتقط الحصى بين قدميها.. ما أروع قدميها؛ إنني أستطيع أن أقضمها كما أقضم قصب السكر.. وأن ألعق بشرتها الناصعة الحليبية كما ألعق الحلوى."[٢]

نجد أثرا لهذه العقدة في رواية "بدر زمانه" لمبارك ربيع،[٣] وتحديدا في العلاقة بين "الحاج مهدي" و"فطومة". عرج الروائي "علي المقري"، على "لوليتا" في روايته "حُرمة".[٤] في هذه الرواية ناقش الكاتب فكرة المسكوت عنه والمحرم وتابوهات الجسد. لامس "واسيني الأعرج" الحكاية في "أصابع لوليتا".[٥] في رواية "حالة الدكتور حسن" يقدم لنا "إحسان عبد القدوس" نموذجا آخر لعقدة "لوليتا" أو اشتهاء الفتيات الصغيرات. الدكتور "حسن" الذي يعلم أن لزوجته ماض يلتقط بائعة نصيب من الشارع رغم أنه من

(١) عالج "صلاح فؤاد" قضية زواج الخليجيين من مصريات صغيرات في السن في فيلم "لحم رخبص"، ١٩٩٥. وعالج محمود إسماعيل العلاقة بين شتاء الرجولة وربيع الشباب في فيلم "الساحرة الصغيرة"، ١٩٦٣.

(٢) (المترجم غير مذكور)، دار أسامة، دمشق، بدون تاريخ، ص ٤٩، ٥٠.

(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

(٤) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

(٥) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.

كبار الاقتصاديين ثم "يدخل بها الحمام ويظل يغسل فيها ثلاث ساعات"[١] وكأنه يغسل ماضي زوجته الذي يثقل على عقله.[٢]

أما "عبده خال" فذهب أبعد من ذلك في "لوعة الغاوية"[٣] حين قدم لنا "مبخوت"، الشخص المتحرش بالفتيات الصغيرات، المنتهك لعذريتهن: "جبرانة أقسمت أنها رأته أكثر من مرة يعبث بمفاتن الصبايا الصغيرات، ويقودهن إلى داخل داره قبل زواجه وداوم على ذلك بعد زواجه، حيث كان يستغل خروج زوجته للسمر أو المؤانسة بزيارة الجارات وحضور المناسبات، ليقوم بأفعاله الدنيئة."[٤] والتحرش بالفتيات الصغيرات له صدى سابق مع اختلاف الراوي.

في "يومية هروب" لخيري عبد الجواد:[٥] "كنت فتاة صغيرة حين حدث ذلك، فقد كنت ألعب مع الأطفال أمثالي، وكان يوجد رجل يسكن جنب بيتنا، وكان كبيرا في السن، وكان ينظر لي دائما في الروحة والجيئة نظرات لم أكن أرتاح إليها، رغم إنني كنت طفلة لا تعرف عن الدنيا أي شيء سوى اللعب، وتحين الرجل فرصة، وجدني أقف في الحارة وحيدة فقال لي إنه يريد أن يريني لعبة جديدة وأخذ يتحايل عليّ حتى أخذني عنده، ثم إنه أخذ يتحسس جسدي ويقبلني في فمي وهو يضمني، فخفت وأخذت أصرخ، لكنه وضع يدا على فمي، ويده الأخرى أخرج بها شيئا من بنطلونه ووضعه، فكاد يغمى عليّ، وأحسست وكأن سيخا محميا يكوي جسدي، ولما فرغ تركني من بين ذراعيه، وأنا مكومة على الأرض وقد سالت دمائي على فخذي فارتعبت وبكيت بكاء شديدا من رؤية الدماء ومن الحرقة الشديدة

(١) حالة الدكتور حسن، ص ٩٧.

(٢) إسقاط مشابه استخدمته "سهام بدوي" في روايتها "مشتهيات". في هذه الرواية يشاهد يوسف أمه مع رجل غريب في موقف صادم. لاحقا يقبل الزواج من "فريدة" رغم علمه بأنها فقدت عذريتها في لحظة إثم. يوسف المولع بأفلام "البورنو" لا يقرب زوجته مطلقا، بل يكتفي بممارسة شعائر البغض عليها وكأنه يتقيا على أمه. في إحدى المرات تستيقظ فريدة لتجد جسمها مكتوب عليه بأحمر الشفاه "عاهرة" باللغة الإنجليزية. (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٧).

(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

(٤) لوعة الغاوية، ص ٢٢.

(٥) مركز الحضارة العربية، القاهرة، ١٩٩٩.

التي تحرق جسدي، وأخذ هو يخوفني تارة ويرغبني أخرى ويقول لي: لا تخبري أحدا بما حدث حتى لا أقتلك. وبالفعل لم أخبر أحدا لكني أصبحت ذابلة لا آكل ولا أشرب وزاد نحولي، وكانت أمي ترقبني ولم تخف عليها حالتي فصارت تلاطفني وتجرجرني في الكلام حتى حكيت لها ما حدث، فأخذتني من يدي وذهبت بي إلى القسم فأخذوا أقوالي واستدعوا الرجل فلم يستطع الإنكار أمامي، وأخذ جزاءه في الحبس. أما أنا، فقد عانيت كثيرا في حياتي من تلك الفعلة والتي كلما تذكرتها اشمأزت نفسي من الرجال، وكبرت ونما جسدي وأنا نافرة من الرجال، ولا أطيق الاقتراب منهم."[١]

في رواية "أهداب" للكاتب "ياسين رفاعيّة"[٢] يقابل الفنان الهرم "عصام" فتاة في الثامنة عشر. "أهداب" تحاول تعويض الآخرين بجسدها عن ما لقوه من فقد ومعاناة. هذا هو منطقها في الرواية فهي تسعى لتعويض "عصام" عن فتاته التي عرفها في سن المراهقة ولم يستطع الاقتران بها. بادرت بالتحرش بالرجل السبعيني الذي مر بمراجعات مع ضميره، لكنه في النهاية قرر الاستمتاع بالجسم المتفجر أنوثة والذي يحتوي على كمية هائلة من "الكولاجين" تجعله طري الملمس شهي الطعم مثل لحم "البتلو". من ناحية أخرى تسكت أهداب عن تحرش والدها "فؤاد" بها عن طريق الملامسات أثناء نومها تعويضا له عن زواجه البائس من أمها المتجبرة "وداد". وبذلك نرى أن "أهداب" لها منطق في التعامل مع الأمور وهو – وإن كان فاسدا – إلا أنها مقتنعة به. تمر الأيام وتتزوج "أهداب" وتنجب طفلين تسميهما "فؤاد" و"عصام" لتنقل الوصاية الجنسية إلى وصاية أبوية. وتنتهي الرواية بأن يوصي الفنان بلوحة "أهداب" العارية إليها والتخلي عن فكرة بيعها بالرغم من ثمنها المرتفع في إشارة إلى أن الفن الذي يخلد الجمال ليس للبيع، وأنه هناك أشياء مثله ليست للبيع.

وفي رواية "ليلة عسل" لمؤنس الرزاز[٣] نقرأ في مشهد ليلة زفاف الرجل الثري من الفتاة الغضة الصغيرة وافتتانه بها: "فما أن فتح الباب مشرق الوجه زاهر الجبين، حتى رأى لارا تغط في نوم عميق فوق السرير، بكامل ملابسها! عن له، بعد أن سيطر على خيبته وإحباطه،

(١) يومية هروب، ص ١٩، ٢٠.

(٢) دار الساقي ، بيروت، ٢٠٠٨.

(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

فدنا من مخدعهما على رؤوس أصابع قدميه، ثم جلس على طرف السرير بخفة لـص محـترف. وأخذ يفك أزرار الجهة العليا من ثوبها بيد متأنية ذات روية. ثـم سـحب طـرف الثـوب مـن الجهة السفلى بحركة رقيقة رفيقة لم تشعر بها لارا التي أدركهـا الإعيـاء فأطلقـت نوبـات مـن الشخير. لم يعد ثوبها يغطي سوى جزء محدود من جـسدها. فلـما حملـق جمـال بـك بـالأجزاء المكشوفة، رأى بشرتها زهرية يانعة تضج بشموخ يافع. اغرورقت عيناه بالدموع. وأدرك أنـه يعشق هذه المرأة الربيعية، عشقا فيه حرائق تضطرم، وشرار يتطاير، ولهيب تلسع ألـسنته كـل مسام من مسامات كيانـه، وزلازل جعلـت لبـه يطـيش، ودفعـت قلبـه إلى أن يـنطح قفـصه الصدري باستماتة وبلا هوادة، كأنه طير عظيم يحتضر، فبعثت به الحياة من جديد، بكل قوتهـا وعنفوانها."(١)

متلازمة مدام بوفاري

تـشير "متلازمـة مـدام بوفـاري" Madam Bovary Syndromeأو "البوفاريـة" Bovarism إلى المرأة الساخطة الناقمة على حياتها، والتي لا تشعر بالرضا عن حالهـا. أخـذت المتلازمة اسمها من روايـة تحمـل نفـس الاسـم كتبهـا رائـد الواقعيـة، "جوسـتاف فلـوبير" Gustave Flaubert عام ١٨٥٧.

تدور الرواية حول "إيما"، فتاة تكره حياة الريف التي نشأت فيها وترنو لمـا هـو أحـسن وتعتقد أنها تستحق حياة أفضل. تعيش أسيرة الكتب والمجلات التي تؤكد لديها هذا الشعور وتساعدها على نسج خيوط الحياة الوردية التي تتطلع وتتوق إليها. أصيب أبوها بكسر وجاء من يطببه. تزوجت "إيما" من الطبيب الشاب، لكنها لم تنـل الـسعادة التـي كانـت تحلـم بهـا فنقمت على حياتها وزوجها. أقامت علاقات محرمة مع رجال آخـرين واتفقـت مـع أحـدهم على الهرب بعد أن اقترضت من أجله، لكنـه فـر بمفـرده تاركـا لهـا الـديون وشـبح الـسجن فأقدمت على الانتحار.

"متلازمة مدام بوفاري" متلازمة مركبة وحين نسعى إلى تفكيكها نجد العناصر التاليـة: أولا المرأة التي تكره الحياة في الريف وتصبو إلى الانتقال إلى المدينـة وتمثلهـا في الـسرد العـربي

(١) ليلة عسل، ص ٣٦.

"فتحية" بطلة رواية "النداهة" ليوسف إدريس أو "مسعودة" في "غدا يوم جديد" لعبد الحميد هدوقة[1] والتي تقول: "أنا لم أتزوج به، تزوجت المدينة بالحلم! آخر رعاة القرية أقرب إلى قلبي منه لكن المدينة."[2] ثانيا المرأة المبذرة التي تقترض لتنفق وتقترب منها شخصية "حلومة" في رواية "باب الليل"[3] لوحيد طويلة والتي ورطتها صديقتها وعشيقها فوقعت على شيكات بدون رصيد وانتهى بها المطاف في السجن. ثالثا وأخيرا الزوجة الخائنة كما في "احترس من الدولار" لمحمد نور الدين،[4] و"شجرة اللبلاب" لمحمد عبد الحليم عبد الله.[5]

في النقطة الأخيرة نقرأ لفلوبير: "وظل طيلة الشتاء يتسلل إلى حديقة دارها في بهيم الليل ثلاث مرات أو أربعا في الأسبوع، وكانت إيما قد تعمدت أن تأخذ مفتاح الباب، فظن شارل أنه ضاع. واعتاد رودولف أن يرمي مصاريع النافذة بحفنة من الرمل كلما جاء، لينبهها، فتقفز مجفلة. بيد أنها كانت تُضطر أحيانا إلى التريث في اللحاق به، إذ كان شارل يهوى الحديث إلى جوار المدفأة، ولا يكاد يكف. وكان التعجل في انتظار نهوضه يفري فؤادها، ولو أوتيت نظراتها قوة لرفعته من مكانه وطوحت به من النافذة!... تتناول كتابا وتأخذ في مطالعته... فلا يلبث شارل أن يصعد إلى السرير... يولي الحائط وجهه وينام. فتتسلل مبتسمة، متهدجة الأنفاس، وليس عليها سوى قميص النوم."[6]

كما نقرأ لجبران خليل جبران: "قال باكيا: هي المرأة، المرأة التي... فتحت أمامها خزائني وجعلتها محسودة بين النساء على الملابس الجميلة، والحلي الثمينة والمركبات الفخمة، والخيول المطهمة. المرأة التي أحب قلبي، وسكب على أقدامها عواطفه ومالت إليها نفسي فغمرتها بالمواهب والعطايا. المرأة التي كنت لها صديقا ودودا ورفيقا مخلصا وزوجا أمينا قد خانتني وغادرتني وذهبت إلى بيت رجل آخر."[7]

---

(١) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

(٢) غدا يوم جديد، ص ٣٥.

(٣) منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٣.

(٤) دار الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٨.

(٥) مطبوعات مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٤٩.

(٦) جوستاف فلوبير، مدام بوفاري، ترجمة: محمد مندور، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٥٣.

(٧) الأرواح المتمردة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٢.

متلازمة السيد دارسي

السيد "دارسي" هو بطل رواية "جين أوستن" Jane Austin "الكبرياء والهوى" Pride and Prejudice. يُظهر السيد "دارسي" خلال الرواية رومانسية تجعل الفتيات يقعن في حبه وعشقه. يعجبن به "من أجل ثروته وطول قامته الجميل، وتقاطيع وجه الفاتنة، وملامحه التي تنم عن النبل."(١) تتكون لدى بعضهن ما يُسمى بمتلازمة السيد "دارسي" Mr. Darcy Syndrome والتي تشير إلى بحثهن دون طائل عن رجل مثله حين يقررن الارتباط. ترسم هؤلاء الفتيات صورة لزوج المستقبل على نسق السيد "دارسي" ويصبن بالإحباط مع الاختلاف بين الواقع والخيال. يجب أن لا نغفل أن رواية "الكبرياء والهوى" كُتبت عام ١٨١٣ وأن مظاهر الرومانسية قد تراجعت في الوقت الحالي مع سرعة إيقاع الحياة وتفحل مشاكلها ومع نشوء الأفكار البرجماتية في التعامل مع مفرداتها. في عصر السينما لعب "عمر الشريف" و"آلان ديلون" Alain Delon و"توم كروز" Tom Cruise وغيرهم دور فتى الأحلام ومعبود الجماهير. من ناحية أخرى تغيرت مواصفات فارس الأحلام من الشهامة والوسامة إلى الثراء والسلطة والشهرة، ولا بأس بوجود هذا وذاك.

في رواية "حميد خيدوس" "زفاف الجنازة"(٢) نقابل "سعيد" وهو فتى مدلل تعشقه المراهقات ويعجبن برومانسيته ويقمن معه علاقات لا تخلو من الشبق و"الإيروسية". في رواية "الدين الرابع" يقدم لنا "أحمد إبراهيم"(٣) نموذج فتى الأحلام الذي يجمع بين الوسامة والثراء والعلم والوضع الاجتماعي: "تومض ابتسامته الساحرة من طرف خفي بوجهه، موحية براحة وهدوء محببين، مع ثقة بالنفس لا محدودة، شعره المصفف بعناية ينساب للخلف بنعومة وحرية تتدلى منه خصلة جانبية بعفوية محببة. نظارته الـ Ray Banالإيطالية بإطارها الفضي وزجاجها الرمادي المائل للسواد تُخفي عينين واسعتين تفيضان بالثقة. ساعة يده الـ Rolex السويسرية تحيط ساعده. عطره الـ Clive Christian المميز برائحته المذهلة، عطر فريد يحوي مزيجا من الياسمين والقرنفل والليمون والبرجموت، جميعها تُضفي عليه هالة

(١) جين أوستن، الكبرياء والهوى، ترجمة: أمين سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦. ص ١٦.

(٢) مؤسسة النخلة، وجدة، ٢٠٠٣.

(٣) مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

من الاحترام والتقديس الساحر. وجهه المستدير وعيناه الواسعتان تشعان ذكاء نادرا؛ ذكاء تراه في كل قسمة من قسمات وجهه الوسيم مع غمازتي خديه وذقنه الحليق بعناية وابتسامته الواثقة، كل هذا يجعل منه لوحة متكاملة لذلك الملهم الواعد. حازم السعدني، أحد أشهر الوجوه الشابة المؤثرة في مصر، بل هو الأكثر تأثيرا على الإطلاق، قدوة الشباب وحلم الفتيات، ذلك الذي تربع على عرش التنمية البشرية في مصر والوطن العربي. بأناقة وثباته، بذلته الـ Pierre Cardin الشبابية السوداء تُضفي عليه ذلك المظهر الجاد لرجال الأعمال المتأنقين؛ خطوط طولية بيضاء بالكاد تطفو على الهامش، تحفظ له طابع الشباب العصري."[1]

ويتابع "محمد مجدي" رسم الصورة في روايته "كل الأمور السيئة" قائلا: "وقف أمام المرآة يضع بعض الكريم على شعره ويصففه Spanish إلى الخلف. عدل ربطة العنق ووقف ينظر للمرآة نظرة أخيرة على هندامه.. شعر أسود فاحم. ذقن خفيفة فيما تُسمى بالـ Dirty بين الشباب. قميص أبيض يتماشى مع بشرته شديدة البياض، بدلة وربطة عنق ينافس سوادهما ليل شتاء طويل. وأخيرا وضع يده بجيب البدلة الداخلي لتفقد مقتنياته قبل الخروج. ركن السيارة في مكان بعيد نسبيا عن الملهى الليلي الذي يحتفل بليلة رأس السنة. ترجل وفي خطوات واثقة ذهب إلى البوابة، دفع ثمن تذكرة الدخول. انتقى لنفسه كرسيا على البار. طلب مشروب ريد بول، وأخذ يراقب رجلا وفتاة وهما يرقصان كأنه آخر يوم في حياتهما. الرجل مفتول العضلات يرتدي قميصا ذا أزرار مفتوحة حتى صدره."[2]

عقدة فرانكشتاين

الخوف من العقول الإلكترونية و"الروبوتات"، "الجسمال"، "الإنسالة" أو الآلات التي تعمل بالذكاء الصناعي Artificial Intelligence أو التكنولوجيا بشكل عام Technophobia والتوجس من أن تستبدل العقول البشرية وأن ينقلب السحر على الساحر بلوره "إسحاق إسيموف" Isaac Asimov في رواياته. تناولت رواية الخيال العلمي العربية

(١) الدين الرابع، ص ٧، ٨.

(٢) كل الأمور السيئة، ص ٧.

Science Fiction هذه الفكرة في روايات "نهاد شريف" ونخص منها "قاهر الزمن"[(١)] التي نقرأ من ظهر غلافها: "ينجح الطبيب في سرية أن يهيئ أول جهاز من نوعه للتبريد. وبعد سلسلة طويلة شاقة من التجارب تدرجت من الحيوانات الدنيا إلى أن وصلت للإنسان.. فإنه يبدأ في اختطاف مجموعة مختارة من عباقرة العلماء من مختلف الجنسيات يبردهم ويحتفظ بهم في قاعته الخفية التي يسميها "قلعة النائمين".

كما نجد نفس المنحى في رواية "السيد من حقل السبانخ" لصبري موسى[(٢)] وفي قصة "الإنسان الباهت" لطيبة الإبراهيم[(٣)] و"العنكبوت" لمصطفى محمود[(٤)] و"الحب المستحيل" للكاتب "موسى ولد ابنو".[(٥)] كتب "عبد الله مكسور" معربا عن خوفه من التكنولوجيا في روايته "أيام في بابا عمرو":[(٦)] "تصيبني عادة حمى كراهية التكنولوجيا فأجلس زمنا طويلا دون أن أفتح بريدي الإلكتروني أو حسابي على الفيس بوك هربا من حياة افتراضية أوجدها واقع الاغتراب."[(٧)] وفي رواية "حدائق الله" للصافي السعيد[(٨)] نقرأ: "سألت إيزابيل: إلى أين سيقودنا كل هذا الذكاء الاصطناعي؟ فقالت: ربما إلى التلاشي."[(٩)] أما "محمد نجيب مطر" فقد تعرض لفكرة التقنية من زاوية سكان الكواكب الأخرى Aliens في روايته "غرباء بيننا".[(١٠)]

أما مصطلح "عقدة فرانكشتاين" Frankenstein Complex فيُعزى لشخصية "فيكتور فرانكشتاين" الذي ظهر في كتاب "ماري ولزستونكرافت شيلي" Mary Wollstonecraft Shelley والذي يحمل نفس الاسم.

(١) دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٢.

(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

(٣) المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٤) دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.

(٥) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٩.

(٦) فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.

(٧) أيام في بابا عمرو، ص ١٦.

(٨) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٢.

(٩) حدائق الله، ص ١٢.

(١٠) حروف منثورة للنشر الإلكتروني، ٢٠١٥.

"فيكتور"، طالب فطن في إحدى الجامعات الألمانية لا يقف أمامه عائق نحو التجريب والاكتشاف، توصل إلى طريقة لبعث الحياة في المادة (راجع بيجماليون). جمع أجزاء من الموتى وقام بتوصيلها، لكنه ارتكب خطأ في المعالجة نتج عنها مسخا هم بالهروب من المختبر لتتوالى الأحداث. أعيدت قضية "فرانكشتاين" إلى الواجهة مرة أخرى مع قضية الاستنساخ الآدمي Cloning[1]والأسئلة الأخلاقية التي صاحبت هذه الظاهرة من على شاكلة هل المُستنسخ له روح وإرادة؟ وهل سيُحاسب؟ ومن يحدد إذا كان خيرا أو شريرا؟ عكست السينما العالمية والوطنية هذه الشخصية التي تتحرك مثل الآلة في العديد من أفلام الرعب.

في رواية "فرانكشتاين في بغداد"[2] للروائي "أحمد سعداوي" يلعب دور "فيكتور" شاب يُدعى "هادي العاتك" ومختبره الحقيقي هو شوارع بغداد المترعة بدماء طائفية والمتخمة بجثث تُقتل كل يوم بدم بارد بسبب المذهبية. ٢٠٠٥ هو زمن تقريبي للرواية، لكن تقطيع الأوصال بدأ قبل هذا التاريخ واستمر بعده. يقوم "هادي" بتجميع الأعضاء ولصقها لتنشأ عنها كائنات مُخلطة تمارس عملية الانتقام والثأر. وتبقى حقيقة أن الشريط الوراثي للأشلاء المبعثرة يثبت أن أصحابها عراقيين ولا يميز بين سني أو شيعي أو كردي أو خلافه.[3]

وأما المسخ البشري Freak فموجود في "أحدب نوتردام" Notre-Dame de Paris لفيكتور هوجو Victor Marie Hugo. نقابل مسخا آخر في رواية "أرانب" لسلوى بكر:[4] "نهض بحركة لا شعورية وجلس في السرير للحظات متأملا صورته المنعكسة على مرآة باب الدولاب المواجه له، ليكتشف أن لا جديد تحت الشمس، فصورته المعتادة هي هي: وجه شاحب ممصوص بفك علوي بارز قليلا وأنف وفير متكور تكورا يجعله لا ينسى أبدا قول

---

(١) تناولت "أميمة خفاجي" قضية استنساخ البشر من عظام الموتى في روايتها "البعث" (المركز العربي للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٤)، كما تناولت الاستنساخ أيضا "صفاء النجار" في روايتها "حسن الختام" (دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٤).

(٢) منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠١٣.

(٣) عالج العراقي "جمال حسين علي" هذه الفكرة أنفا عام ٢٠٠٨ في روايته "أموات بغداد" (دار الفارابي، بيروت).

(٤) مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤.

الشاعر: هذا جناه أبي عليّ."[1] كتب "السيد نجم" في روايته "أشياء عادية في الميدان":[2] "وبقى أمام المرآة لبرهة طالت، كأنه يتمنى، لو يرى سري جديدا ينسلخ خلف جلد قفاه وقدميه وبطنه وفرة رأسه الصلعاء، من خلف كل الحدود التي رسمت كرشه البارز، وقامته القصيرة، وقدميه المفلطحتين ، وأنامله الفئرانية التي لا تتناسب أبدا مع جسمه الربعة."[3]

مسخ آخر يقدمه لنا "الطيب صالح" في "عرس الزين":[4] "يولد الأطفال فيستقبلون الحياة بالصريخ، هذا هو المعروف ولكن يُروى أن الزين، والعهدة على أمه والنساء اللائي حضروا ولادتها، أول ما مس الأرض انفجر ضاحكا وظل هكذا طول حياته. كبر وليس في فمه غير سنين. واحدة في فكه الأعلى والأخرى في فكه الأسفل. وأمه تقول أن فمه كان مليئا بأسنان بيضاء كاللؤلؤ. ولما كان في السادسة ذهبت به يوما لزيارة قريبات لها، فمرا عند مغيب الشمس على خرابة يشاع أنها مسكونة، وفجأة تسمر الزين مكانه وأخذ يرتجف كمن به حمى، ثم صرخ. وبعدها لزم الفراش أياما، ولما قام من مرضه كانت أسنانه جميعا قد سقطت، واحدة في فكه الأعلى، وأخرى في فكه الأسفل. كان وجه الزين مستطيلا ناتئ عظام الوجنتين والفكين وتحت العينين، جبهته بارزة مستديرة، عيناه صغيرتان محمرتان دائما، محجراهما غائران مثل كهفين في وجهه، ولم يكن على وجهه شعر إطلاقا. لم تكن له حواجب ولا أجفان، وقد بلغ مبلغ الرجال وليست له لحية أو شارب. تحت هذا الوجه رقبة طويلة، (من بين الألقاب التي أطلقها الصبيان على الزين "الزرافة") والرقبة تقف على كتفين قويتين تنهدلان على بقية الجسم في شكل مثلث. الذراعان طويلتان كذراعي القرد. اليدان غليظتان عليهما أصابع مسحوبة تنتهي بأظافر مستطيلة حادة (فالزين لا يقلم أظافره أبدا). الصدر مجوف، والظهر محدودب قليلا، والساقان رقيقتان طويلتان كساقي الكركي، أما القدمان فقد كانتا مفرطحتين عليهما آثار ندوب قديمة (فالزين لا يحب لبس الأحذية)."[5]

(١) الأرانب، ص ٧، ٨.

(٢) روايات الهلال، القاهرة، ٢٠١٣.

(٣) أشياء عادية في الميدان، ص ٨.

(٤) دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.

(٥) عرس الزين، ص ١١، ١٢.

عقدة الدكتور جيكل والسيد هايد[١]

"كل حياة الإنسان إزدواجية."[٢]

"أمضي بدوني.. أتخلى عني... كنت أخرى وصرت أنا.. كنت أنا وصرت أخرى."[٣]

"في المرآة واجهتني نفسي وكأنها شخص آخر.. أقف أمام نفسي بوجهين. وجه المرآة، صامت، كتوم، لم أفهم من ملامحه شيئا، وجهي الذي اشعر به لم يعد يستوعبني بتلك الكذبة التي أرتدي... لم أرفع عيني نحو المرآة، غسلت وجهي، وحضرت نفسي وكأنني أتعامل مع شخص آخر."[٤]

"قضية الدكتور جيكل والسيد هايد الغريبة" Dr Jekyll and Mr Hyde هي رواية قصيرة خيالية كتبها الأسكتلندي "روبرت لويس ستيفنسون" Robert Louis Stevenson. وتتناول الرواية الصراع بين الخير والشر داخل النفس البشرية. تشير العقدة أيضا للأفراد الذين يعانون من ازدواجية الشخصية Duality of Personality.[٥]

"ناهد" في رواية "إحسان عبد القدوس" "بئر الحرمان"[٦] تعيش حياة منضبطة نهارا وتتحول مع قدوم الليل إلى امرأة لعوب. في رواية "فاطمة عبد الحميد" "حافة الفضة"[٧] نقابل شخصية ذات وجهين أو وجهين لعملة واحدة، "فضة" و"لجين"، عانت "فضة" من الانتهاك وهي بعد طفلة[٨] على يد خالها فأطلقت العنان لشخصية "لجين" التي تدخل بها

(1) Colin Davis, "From psychopathology to diabolical evil: Dr Jekyll, Mr Hyde and Jean Renoir", Journal of Romance Studies, 2012, 12 (1): 10.

(٢) محمد زفزاف، الثعلب الذي يظهر ويختفي، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٦-٧.

(٣) علي المقري، حرمة، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢، ص ١٧٠.

(٤) فضيلة الفاروق، مزاج مراهقة، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٧، ١٨.

(٥) نقلت السينما المصرية هذه المتلازمة في فيلم "عفريت مراتي"، ١٩٦٨.

(٦) الشركة العربية، القاهرة، ١٩٦٢.

(٧) طوي، بيروت، ٢٠١٣.

(٨) ومصابة على الأرجح بمتلازمة الشخص المُنتَهَك Battered Person Syndrome وفيها يُطلب من الشخص تقديم خدمات جنسية Sexual Favors.

على الإنترنت، وهي شخصية نزقة وشهوانية. نجحت "فاطمة عبد الحميد" في الإلباس على القارئ وجعلته يسأل: "هل لجين هي مزدوج فصامي أم جنية قرينة أم مجرد انعكاس وردف مشوه لفضة؟" كتبت في صدر الرواية كاشفة النقاب عن هذه الحيرة واللبس: "لم تكن لجين تختلف عني كثيرا، غير أنها بالطبع ليست أنا، هي أشبه بسكين فاكهة بمواجهة صلابة البصل، فهي أكثر رقة ومحاكاة للصدق والنقاء، بينما أنا وجه العملة الآخر، ولكن مهلا... ليس بالضرورة النقيض. من فينا ابتكرت الأخرى؟ ومنذ متى وهي معي تسكن خطواتي؟ وهل لها نفس تاريخ ميلادي؟ لا أعرف."[١]

في "حواء ذات الوجوه الثلاثة" تتناول "أمينة السعيد"[٢] قصة ازدواج حقيقية بطلتها امرأة كاثوليكية" متشددة دينيا. يحكي زوجها قائلا: "منذ يومين تلقيت من المصرف الذي أودعه مدخراتي القليلة كمبيالة بمبلغ ضخم لا يصدقه العقل... قدرتي المالية تعجز تماما عن مثل هذا الإسراف الجنوني: فساتين للسهرة كلها حمراء اللون خليعة الشكل عارية الصدر والظهر.. معاطف من الصوف الغالي قد تلائم الغواني، لكنها لا تليق مطلقا بزوجة فاضلة... حقائب وأحذية من أفخر وأندر أنواع الجلد.. جلابيب نوم كلها أيضا حمراء شفافة ومحلاة بالدانتيلا المزركشة.. زجاجات من العطور الرخيصة التي لا تستعملها سوى نساء الليل."[٣]

اقترب الكاتب "نور الدين فارح" من هذه الحبكة في رواية "خرائط".[٤] "عسكر" شاب يتيم الأبوين ينشأ في كنف عمه تحت رعاية "مسرا"، خادمة حبشية، يتعلق بها. عمه رجل ذو نفوذ، يتحرش بـ"مسرا" مقابل تستره على هويتها الأثيوبية. ينتقل عسكر إلى "مقديشو" للعيش مع أقارب أمه، وهناك تسلم بطاقة هويته التي تثبت جنسيته الصومالية، لكن صراع الهوية كان قد شرخه إلى نصفين.

---

(١) حافة الفضة، ص ٧.

(٢) دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٠.

(٣) حواء ذات الوجوه الثلاثة، ص ٢٧، ٢٨.

(٤) منشورات الجمل، كولونيا، ١٩٨٦.

هذا وينبغي علينا أن نفرق بين "ازدواجية الشخصية" و"ترميز الشخصية" ففي الأولى نحن أمام شخصيتين يقوم بهما فرد واحد وهو واع تماما[١] لما يفعله (حتى يكون الفرق واضحا بين هذه الظاهرة والانفصام)،[٢] أما الترميز ففيه تستنسخ الشخصية كرمز كما في رواية "حارس التبغ" لعلي بدر.[٣] كما ينبغي أيضا أن نفرق بين الوجوه والأقنعة فالوجه صادق والقناع نفهمه من اسمه. تعدد الوجوه لا يعني تعدد الأقنعة. كتب "عبد الله لغزار" في روايته "فتنة السنونو":[٤] "سعيد هذا، جسد المحنة على الأرض.. وجه للجنون ووجه للحكمة، وجه للشقاء ووجه للنقاء، ووجه للقبح... ووجه للحزم ووجه للهم، ووجه للحلم ووجه لتاريخ الألم."[٥] ونبقى مع نفس الفكرة التعبيرية، لكن هذه المرة مع رواية "التابوت" لرفعت العلان:[٦] "رحت أفرك أجزاء وجهي، دخلت حماما مجاورا انظر في المرآة: بدا وجهي سعيدا مما ساعد في بقائي مدة طويلة انظر فيها إليه، تفحصته جيدا وكسوته بعدد من التعابير المختلفة، حينا ارسم تعبيرا وقورا وذا شأن وحينا محترما مع ظل ابتسامة، وبعدئذ محترما بدون ابتسامة."[٧]

وأخيرا قد نجد شخصية لا تعاني من الازدواجية، لكنها مغرمة بارتداء أكثر من قناع أو تفعل عكس ما تقول[٨] أو تتقمص أكثر من نمط. نجد هذه الظاهرة بوضوح في رواية "نجيب محفوظ" "قلب الليل".[٩] بطل الرواية "جعفر" يلبس عمة الأزاهرة تارة، أول لنقل التدين الظاهري، وتارة أخرى نراه مغني. هذا التشويش يجعله يتزوج من غجرية ثم يعود

---

(١) وحتى هذا الوعي بالانفصامية قد يلتبس على القارئ كما في رواية "زينب عفيفي" "اسمي حنفي" (نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٠).

(٢) عالج "أيمن بهجت قمر" الانفصام في فيلم "آسف على الإزعاج"، ٢٠٠٨.

(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

(٤) فالية للطباعة والنشر والتوزيع، بني ملال (المغرب)، ٢٠١٤.

(٥) فتنة السنونو، ص ٣٣.

(٦) اللجنة الوطنية العليا لإعلان عمان عاصمة للثقافة العربية، عمان، ٢٠٠٢.

(٧) التابوت، ص ٢٣.

(٨) يُوصف الشخص الذي يقول عكس ما يفعل بأن لديه "متلازمة جون لينون" John Lennon Syndrome نسبة لأحد أعضاء فريق "البيتلز" الشهير.

(٩) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧

ويتزوج فتاة أرستقراطية. يعربد بلا حدود ويستقيم لأقصى حد! في رواية "نسر بجناح وحيد" لهيفاء بيطار[1] نقرأ عن ثنائية الشرف المعلن والعهر الخفي على نحو يذكرنا بمحجوب عبد الدايم، بطل "نجيب محفوظ": "انقطعت السكرتيرة الفاتنة عن العمل لأشهر بسبب زواجها من موظف مغمور، لكنها عادت للعمل عند عشيقها رب العمل، صار كريم يلمحها مع الزوج والعشيق، يتأمل هذا الثلاثي بسخرية أليمة، يتساءل: أترى اللعبة مكشوفة تماما بينهم.. أم أن كل واحد منهم يفضل التمثيل والاختباء وراء قناع الشرف."[2] الأقنعة أيضا حاضرة في رواية "سارة" لعباس محمود العقاد:[3] "هي تارة أم رءوم تفيض بحنان الأمهات حتى ليوشك أن تسع به أطفال العالمين... وهي تارة أخرى شريدة بوهيمية لم تستقر قط في دار ولا وطن، وما استقرت قط مع عشيق. لها صورة إلى جانب سرير لو نحيت عنها السرير جانبا لمثلت لك راهبة خاشعة تهم بالصلاة، أو ضحية من ضحايا الآلهة تُساق إلى محراب القربان. ولها صورة على سفح الهرم لو أخفيت منها الهرم لخلتها حورية مخمورة في أرض يونان القديمة تهم بالرقص في كروم باخوس."[4]

ونختم هذا الجزء بإحالتين: الأولى من رواية "خان زاده" من تأليف "لينة كريدية"[5] تقول فيها: "ومن قال إن لي وجها واحدا؟ أنا المتعددة الوجوه، متعددة الأقنعة؟"[6] أما الثانية فمن رواية "خليل النعيمي" "لو وضعتم الشمس في يدي"[7] ومنا نقرأ: "سأحاول اليوم أن أكتشف نفسي وأن أكشف للآخرين عن أقنعتي."[8]

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.

(٢) نسر بجناح وحيد، ص ٨٣.

(٣) نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٦.

(٤) سارة، ص ١٠٨.

(٥) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.

(٦) خان زادة، ص ٦٠.

(٧) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١.

(٨) لو وضعتم الشمس في يدي، ص ٢٠٧.

متلازمة دونكيشوت

تشير "متلازمة دونكيشوت" Don Quiote Syndrome إلى الشخص الذي يتتبع السراب ويحارب الأوهام تماما كما فعل بطل "سيرفانتس" الذي قاتل طواحين الهواء.

من أمثلة الأشخاص المصابين بهذه المتلازمة "أحمد عبد الله الجهيني" بطل رواية "هاتف المغيب" لجمال الغيطاني.(١) في الرواية يسمع "الجهيني" صوت يطلب منه التوجه حيث تغيب الشمس. قرر "الجهيني" الرحيل إلى المغرب، حد نهاية العالم القديم وبداية بحر الظلمات ربما مستحضرا "ذو القرنين" ورحلته العجيبة. ما وصل إليه "الجهيني" كان يمكنه الوصول إليه في موطنه. المحصلة هي لا شيء سوى الأوهام والسراب.(٢)

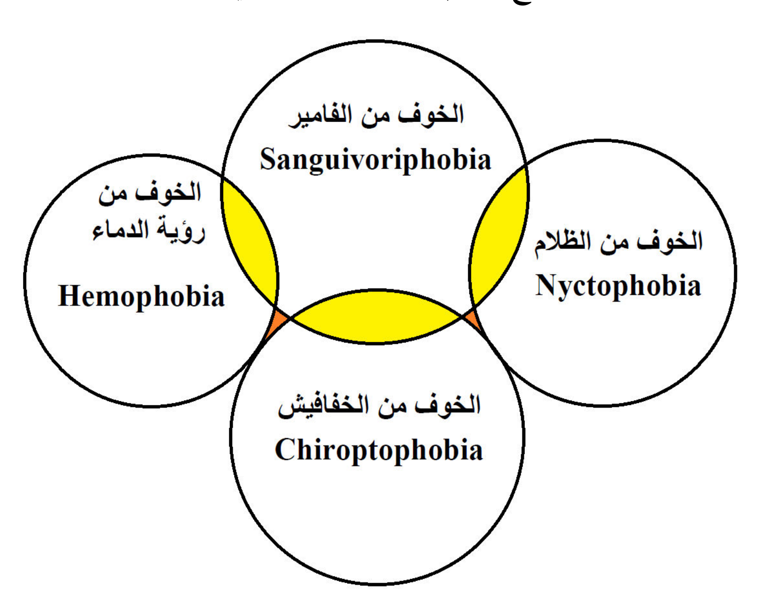
أما "محمد نصار" فقد أقر بما يلي في روايته "تجليات الروح":(٣) "جلنا يرتدي عباءة دنكشوت، يصارع العدم بسيفه ولسانه، وآخرون يمضغون القيم والفراغ، يحيكون منها حللا تليق بكل مقام."(٤)

متلازمة رينفيلد

اشتقت "متلازمة رينفيلد" Renfield Syndrome اسمها من شخصية ظهرت في رواية "دراكيولا" Dracula للكاتب "برام ستروكر" Bram Stroker عام ١٨٨٧. في الرواية يعتقد "رينفيلد" أن شرب الدم يجلب للأجسام القوة ويعطيها طول العمر. قبلها وفي القرن الخامس عشر انتشرت في ألمانيا وهولاندا وإيطاليا ظاهرة "هوس العض" Biting Mania.(٥)

(١) روايات الهلال، القاهرة، ١٩٩٢.
(٢) راجع كتاب "محمود أمين العالم"، "البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة"، دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٧١.
(٣) دار الأمل للنشر، غزة، ٢٠٠٣.
(٤) تجليات الروح، ص ٦.
(5) https://esoterx.com/2015/08/05/bad-habits-the-15th-century-nun-biting-mania /

شكل رقم (١٠)
أنواع الرهاب المرتبط بظاهرة الفامبير



لم نجد خيطا لمصاصي الدماء Vampires في السرد الروائي العربي اللهم المحاولة الرقمية للكاتب "أشرف الفقيه" في تناول القصة التاريخية للكونت "دراكيولا" في روايته "المُخوزِق"،[١] والتي يقول فيها: "لم تكد راية السلطان محمد الفاتح ترفرف على الأراضي شمال الدانوب حتى عادت القلاقل تعصف بها. بدأ الأمر حين وُجد والي ولاشيا العثماني، رادو بيك، منهوش الحنجرة في حمام قصره. تلت ذلك سلسلة وقائع مرعبة تستعصي على الوصف. تهامس الأهالي باسم كونت ولاشيا السابق: فلاد دراكولا، الشهير بالمُخوزِق، والذي لم يدخر وسعا لدفع المد العثماني عن عرشه، إلى أن قُتل سنة ٨٨١ هـ. بُعث دراكولا من الجحيم.. تقمص الشيطان روحه ورجع لينتقم من الأتراك. هكذا انتشرت الخرافة، لترسخها المزيد من الجثث مثقوبة الأعناق. وحين بدأت تلك الجثث تغادر قبورها لتلتحق بجيش سيدها الشيطاني، لاحت في أفق البلقان ثورة محركها الرعب الأعمى، وخرافات العوالم السفلية. هكذا، اختار السلطان محمد أن يرسل تابعه الموهوب، أورهان إفندي، ليكشف حقيقة الخرافة.. ويُخمد أسطورة المُخوزِق."[٢]

(1) http://sibawayhbooks.com/book.php?id=565

(٢) راجع الرابط الإليكتروني السابق.

أيضا في رواية "بدر الديب" "أجازة تفرغ"[(١)] يتساءل الفنان بشكل مجازي: "ماذا أفعل لأمسح ما ارتكبت معهن أو أمسح عن وجوههن غضب التعقب لي والرغبة في مص دمي؟"[(٢)] وفي رواية "الطريق إلى عدن" لعمر محمد الطالب يُستبدل الدم البشري بدم الحيوان: "إن القوة التي أحس بها يوم أن سقته (الساحرة) التي كانت تسكن حي النبي دم الثور وهو يُذبح، سقته دمه وهي تقول: اشرب إن هذا الدم سوف يجعلك رجلا يهابك الجميع. (وشربت. أعجبني الدم وطلبت المزيد وشربت.)"[(٣)]

متلازمة سكارليت

في رواية "ذهب مع الريح " للأمريكية "مارجريت ميتشل" Margaret Mitchel، تسوف البطلة "سكارايت أوهارا" Scarlet O' Hara مشاكلها إلى الغد، ربما لأنها لا تريد التفكير فيها فتُفسد الحاضر، فأحيانا لا يفيد التفكير في شيء لم يحدث بعد، وكما يقول الأمريكيون أنفسهم "لا تعبر الجسر قبل أن تبلغه" Don't cross the bridge until you reach it. "الغد لم يأت بعد والغد هو يوم آخر Tomorrow is another day ولكل حادث حديث ولا تتوقع البلاء قبل وقوعه"، كل هذه العبارات تساند الطرح الأول، لكن في الواقع هناك من يرجأ أموره لأنه لا يريد مواجهتها، الأمر الذي يتعارض مع التخطيط السليم للمواجهة والتناول المضبوط للعواقب. أما "سكارليت" التي حاصرتها المشاكل فقد أجلتها للغد لأنها – على حد قولها – لا تستطيع التفكير فيها اليوم، وستفكر فيها غدا، ربما تمهل وتمنح نفسها الفرصة لتفكر وتتدبر Sleep on it.

يختم "فهد العتيق" روايته بنفس عنوانها "كائن مؤجل".[(٤)] "الإرجاء والتسويف والتأجيل"، هذه الكلمات هي مفاتيح "متلازمة سكارليت" Scarlet Syndrome، الحاضرة في السرد العربي ففي رواية "أوزيراك" يحدثنا مؤلفها "محمد نجيب مطر"[(٥)] عن بلدة ساكنة

(١) الكرمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
(٢) أجازة تفرغ، ص ٤٧.
(٣) الطريق إلى عدن، ص ٤٢.
(٤) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٢٩.
(٥) دار غريب، القاهرة، ٢٠١٤.

تسير حياتها بإيقاع السلحفاة. كل شيء فيها بطيء. سكانها لديهم بعض من البلادة والهدوء وطول البال يحسدون عليه. ليس لديهم مشكلة فما لا يفرغ منه اليوم يؤجل للغد ولا داعي للعجلة. جاهزين دائما لاستخدام أمثال محبطة من نوعية "هي الدنيا طارت" و"بكره يحلها الحلال" و"يا مستعجل عطلك الله" و"ربنا خلق الدنيا في ست أيام".(١)

متلازمة بوليانا

عُرف الفيلسوف الألماني "ليبنتس" Godefroi Guillaume Leibnitz بتبنيه مبدأ التفاؤل. بعد قرنين من وفاته ظهرت رواية "إلينوار بورتر" Eleanor Porter "بوليانا" Pollyanna، وهو اسم البطلة التي أعطته لـ "متلازمة بوليانا" Pollyanna Syndrome. تُشير المتلازمة المذكورة إلى الشخص الذي يرى الدنيا وردية ويفرط في التفاؤل على نحو قد يُوصم بالحمق. الغريب أن الرواية خرجت للنور عام ١٩١٣ قبل عام واحد من اندلاع مجزرة "الحرب الكبرى" أو الحرب العالمية الأولى، تلك الحرب التي ألقت بظلال القتامة والكآبة على العالم بأسره. ومرة أخرى يُعزى شهرة قصة "بوليانا" إلى إنتاج عملا من الرسوم المتحركة عنها.

تعلمت "بوليانا" اليتيمة من أبيها أن ترى شيئا جميلا أو تجد شيئا مبهجا في أي موقف يمر بها. تنظر إلى نصف الكوب الممتلئ وتلمع عينيها بنجوم الآمال. وحتى بالرغم من وقوع حادث لها وعدم قدرتها على المشي فقد استمسكت بالأمل والتفاؤل حين شعرت بتأثيرها الإيجابي على الآخرين. تذكرنا حكاية "بوليانا" بقصة "كانديد" Candide أو "المتفاءل" لفولتير Voltaire، والإشارة هنا للمعلم "بانجلوس" Pangloss الذي تنتهي وقائع أيامه أيضا بشكل مأساوي.

في رواية "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" مزج "أميل حبيبي"(٢) بين التفاؤل والتشاؤم مستنبطا لفظة "المتشائل" والتي تشير إلى التشاؤم المبرر والتفاؤل

---

(١) تُسميها الدكتورة "إيملي فولكيل" Emily Voelkel بـ "متلازمة بمجرد أن..." As Soon As Syndrome. (http://www.apa.org/gradpsych/2015/01/corner.aspx)

(٢) دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٨.

المفقود الذي ساد عقب النكسة.[1] سوداوية الرواية تذكرنا – ربما – بالروائي الإنجليزي "توماس هاردي" Thomas Hardy والذي اتخذ التشاؤم أسلوب حياة فالمتشائم لا يخسر شيئا لأنه يتوقع الأسوأ، ولم يكن هناك أسوء ولا أحلك من نكسة ١٩٦٧ وما تلاها من سنوات ووقائع.

عقدة جريزلده

تُشير "عقدة جريزلده" Griselda Complexإلى الأب الذي يريد أن يحتفظ بابنته فيرفض خُطابها ويضع أمامهم العراقيل ليفروا. هذا الأب يحب ابنته حبا شديدا لدرجة أن لا يريد أن يزوجها ولا يريدها أن تبتعد عنه. وردت قصة " جريزلده" في مصادر أدبية عديدة أهمها "ديكاميرون" Decameronللكاتب الإيطالي "جيوفاني بوكاتشيو" Giovanni Boccaccio.[2]

وهنا يجب أن نفرق بين الأب الذي يستبقي ابنته دون زواج ليستغلها ماديا ويحصل على راتبها والأب الذي يشترط تزويج البنت الكبرى أولا والأب الذي يستبقي ابنته لأنه لا يطيق العيش دونها (غالبا تكون الزوجة متوفية) فيبالغ في طلبات الزواج حتى يرحل الخطاب عنها أو يلصق بهم العيوب حتى تنفر منهم الابنة. في رواية "إبراهيم نصر الله" "شرفة العار"[3] نقابل نموذجا رابعا ورائعا لهذا لأب أو ربما هو خليط من كل هؤلاء فالأب "أبو الأمين" يرفض تزويج ابنته مبكرا ويصمم على إتمامها لدراستها (وقد تكون حجة ليستبقيها في المنزل)، ثم نراه في مرحلة لاحقة يستلم راتبها، وينتهي الأمر بقتلها على يد أحد أخوتها فيما يُعرف بجرائم الشرف. وفي رواية "أرض زيكولا" نقرأ: "البلدة كلها تعرف أن هذا الرجل غريب الأطراف.. يريد أن يُزوج ابنته الوحيدة لشخص فريد من نوعه.. أي فريد هذا؟!.. لا أحد يعلم.. الكل يعلم أن مصير ابنته العنوسة لا غير.. طالما أبوها ذلك الرجل."[4]

---

(١) مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، عالم المعرفة (العدد ١٨٨)، الكويت، ١٩٩٤، ص ١٩٨.

(٢) عالج يوسف معاطي هذه العقدة في سيناريو "عريس من جهة أمنية"، ٢٠٠٤.

(٣) منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠.

(٤) عمرو عبد الحميد، صرح للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠، ص ١٠.

في رواية "ربيع جابر" "كنت أميرا" نجد أسبابا أخرى غير كل التي ذُكرت آنفا: "١٠ سنوات بعد موت والدتها، ٢٠ سنة بعد خروجها من بطنها الدافئة المعتمة إلى عالمنا، ولا زواج بعد. ماذا يفعل المسكين باولو؟ خصوصا وأن الكلام السيئ شاع في الجزيرة. بعضهم يقول أن باولو لا يقبل بتزويج الفتاتين لأنه يريدهما لنفسه، وبعض يقول إنهما هما اللتان تريدانه، وبعض ثالث يزعم أنهما لا تريدانه لا هو ولا غيره بل تريدان ما حصلتا عليه دوما. وما هو هذا؟ الجواب خبيث: سميلا حصلت على ليديا. وليديا حصلت على سميلا."[١] وهو نفس السبب الذي من أجله يرفض أخو "ليلى" تزويجها في رواية "فريج المُرَر" لحامد الناظر[٢] فقد كان ينام معها، وأنجب منها ثلاثة أطفال قامت "ليلى" بقتلهم ودفنهم مثل القطة التي تأكل أولادها!

في رواية "كوكو سودان كباشي" لسلوى بكر[٣] يستمر تأثير الأب وتمتد عنوسة البنت حتى بعد رحيل والدها وتُغلف بشيء من العقدة الإلكترية: "ضغينتي الكبرى التي طالما حملتها لأبي هو أنه نجح وعلى نحو غير مرئي أو محسوس، في إبعاد كل الرجال الذين حاولوا الاقتراب مني منذ أن صرت شابة يافعة تلفت أنظارهم، فكلما توهمت أني وقعت في غرام أحدهم سرعان ما يداخلني شعور بأنه بالونة ملونة ضخمة ستنفجر وتتبدد عند أول شكة دبوس لها، فالمقارنات بين أي من الذين عرفتهم وبين أبي سرعان ما تتداعي بداخلي، وتحول بينهم وبيني وتتحول إلى قوة مركزية طاردة تنفرني من كل شاب مهما كان، حتى ذلك الذي بدا لي كامل الأوصاف ذات مرّة، أو الرجل الناضج المقطوف لتوه من شجرة، سرعان ما أقنعت نفسي بأنه ثقيل الظل، روحه لا تعرف الخفة وبدا لي كائناً بلا طعم أو لون أو رائحة كفاكهة هذه الأيام المصنوعة صنعاً بالأسمدة وهرمونات الزراعة."[٤]

(١) كنت أميرا، ص ١٩.

(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ٢٠١٤.

(٣) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٤.

(٤) كوكو سودان كباشي، ص ١٢،

متلازمة الرجل الثالث

تشير هذه المتلازمة إلى وجود قوة غيبية أو أرواح غير مرئية تقدم العون والدعم لشخص ما في وقت حالك وتجربة عصيبة. هذا ما أورده بعض المغامرين وهم يتسلقون الجبال أو يخوضون في الثلوج أو خلافه. ومن هؤلاء "السير إرنست شاكيلتون" Sir Ernest Shackleton خلال رحلته وصاحبه إلى القارة القطبية الجنوبية عام ١٩١٤.(١)

اطلع الكاتب المشهور "ت. س. إليوت" T. S. Eliotعلى ما قاله أو كتبه "شاكيلتون" وتأثر كثيرا بالفكرة لدرجة أنه خصص لها السطور ٣٥٩ إلى ٣٦٥ من قصيدته الأشهر "الأرض اليباب" The Waste Land:

من هو ثالثنا السائر دوما إلى جوارك

عندما أحصى عددنا، لا أجد سواك وسواي معا

لكن عندما أتطلع أمامي إلى الطريق الأبيض

هناك شخص آخر دوما إلى جوارك

ينساب ملتحفا بعباءة بنية، مدثرا رأسه بغطاء

لا أدري إن كان رجلا أم امرأة

لكن من ذلك السائر إلى جوارك؟(٢)

تبلورت "متلازمة الرجل الثالث" Third Man Syndrome إذن بفضل تلك الأبيات لإليوت، لكنها تكررت في أعمال أدبية أخرى منها منها على سبيل المثال رواية "الحمامة الوحيدة" Lonesome Doveوالتي كتبها "لاري ماكمورتري"Larry McMurtry عام ١٩٨٥. في هذه الرواية توجد قوة خفية أو روح أنقذت البطل وأرشدته الطريق بعد ان اشرف على الهلاك.

---

(1) Ernest Henry Shackleton, South: The Endurance Expedition, Penguin Classics, London, 1914, P. 204.

(٢) ترجمة الدكتور "نبيل راغب".

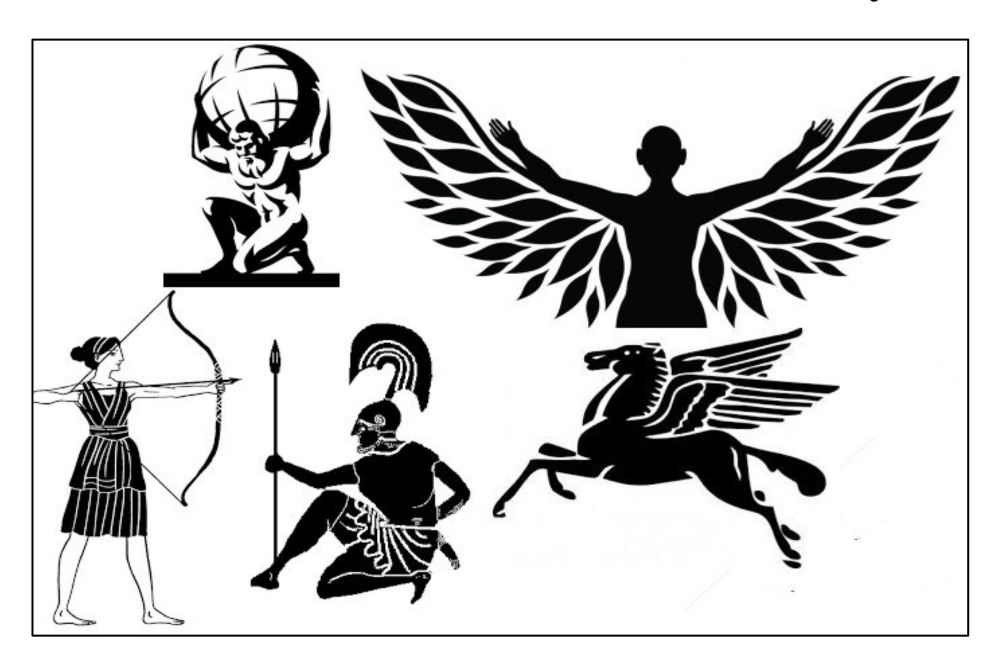
يسميها "إيريش ماريا ريمارك" في روايتـه "كـل شيء هـادئ في الجبهـة الغربيـة" بـالقوة الخفية: "ولا يكاد صفير القنبلة يشق الفضاء حتى يعـود الإنـسان آلاف الـسنين إلى الـوراء.. فإن الغريزة الحيوانية المندسة في طبائعنا تتيقظ فجأة وتحمينا من الهلاك.. وليست هذه الغريزة هي الوعي.. بل هي حاسة أشد وأرهف إدراكا. ومحال أن يصل الإنـسان إلى تفـسيرها، فـإن الجندي يسير في طريقه بلا تفكير ولا انتباه.. وفجـأة يرتمـي عـلى الأرض.. وإذا عاصـفة مـن الشظايا تتطاير فوقه وحوله دون أن تمسه بأذى.. وهو مع ذلك لا يذكر أنه سمع صوت مرور القنبلة وفكر في إلقاء نفسه على الأرض.. لكنـه لـو لم يـستجب لهـذا الحـافز الخفـي الـذاتي لاستحال في لحظة كتلة مختلطة من اللحم.. فالذي ألقانا على الأرض وأنقذنا من الهـلاك هـو تلك البصيرة الداخلية في نفوسنا.. ولولاها ما عاش إنسان وطئت قدماه ميدان القتال."(١)

في رواية "أمس انتهينا" يكاد مصطفى يفقد حياتـه في حـادث، لكـن ينجـو مـن المـوت بأعجوبة. يدس المؤلف فكرة وجود مـن أنقـذه عـلى النحـو التـالي: "في طريـق العـودة مـن العاصمة إلى حريملاء بعد انتهاء المؤتمر قطـع أحـد الجـمال الـسوداء الهائمـة الطريـق فجـأة. أغمضت عيناي بعد أن تيقنت أن دهسه محقق. هذه الحيوانات قوية جدا لدرجـة أنهـا تقلـب السيارات؛ كما يدفع أصحابها ديات لو تركوها تهيم على وجهها في الطرق. لا أعرف بالضبط ماذا حدث؟ وجدت نفسي في السيارة وقد صُفت على جانب الطريق الخالي ولا أثر للجمـل! كيف حدث هذا؟! لم أضع قدمي على المكابح. أنا متأكد من ذلك. على أي حـال، حمـدت الله على النجاة. جلست حوالي ربع ساعة والسيارة واقفـة كـما هـي أحـاول أن أسـتعيد أعـصابي وأفهم ما حدث. شممت رائحة سـجائر في الـسيارة! أخـذت أبحـث مـن مـصدر الرائحـة فوجدت مطفأة السجائر قد خرجت عن منيمها نتيجة لاندفاع السيارة. كان بها بعض أعقاب السجائر القديمة. ربما كانت تخـص مالـك الـسيارة التـي ابتعتهـا منـه. تفحـصت الأعقـاب فوجدتها من نفس النوعية التي تدخنها أمي!"(٢)

(١) كل شيء هادئ في الميدان الغربي، ص ٥٢.
(٢) أمس انتهينا، ص ٩٨ – ٩٩.

الفصل السابع
عقد ومتلازمات مستوحاة من شخصيات أسطورية

عقدة أخيل – عقدة أدونيس – عقدة أنتيجون– عقدة أطلس – عقدة أتريـوس – عقـدة ميديا – عقدة كاساندرا – عقدة كرونوس – عقدة ديانا – عقدة إلكترا – عقـدة إيكـاروس – عقدة جوكاستا – عقدة فيدرا – عقدة نارسيسيوس – عقدة هريكليز– عقدة أوديب / عقدة لايوس / عقدة أوريستيس – عقدة بوليكراتس – عقـدة ديموسـتيني – عقـدة كليمنـسترا – عقدة هيرمس – متلازمة بيجاسوس – متلازمة الملك آرثـر/ لانـسيلوت – عقـدة ليليـت – عقدة أشمون[١]



(١) ربما يجدر بنا أن نشير إلى أن جميع العقد والمتلازمات الواردة فيه عدا عقـدة "الملـك آرث / لانـسيلوت" و"ليليت" و"أشمون" مردها إلى الميثولوجيا الإغريقية التي لعبت دورا كبيرا في تغذية علـم الـنفس بـما يحتاج لتوصيف نوازع النفس البشرية ودوافعها وميولها ومشاربها.

عقدة أخيل

"عقدة أخيل" Achilles Complex هي عبارة عن حالة يمر بها بعض الناس تكون خطيئتهم المميتة Fatal Flaw هي التكبر والغطرسة الشديدة وركوب الرأس[1] لدرجة أنهم يعتقدون أن بإمكانهم القيام بأي شيء دون الحاجة إلى مساعدة خارجية. تعود التسمية إلى حرب طروادة حين أخبرت الآلهة "أخيل" أنه لن يستطيع قتل كل الطرواديين دون مساعدة خارجية، لكنه شن الهجوم بالرغم من ذلك مؤثرا المجد على الحياة المديدة الأمر الذي أفضى إلى قتله.[2]

المصابون بهذه العقدة هم المصعرون خدهم للناس، الرافعون أنوفهم في السماء، الذين يحسبون أنهم يستطيعون خرق الأرض أو التطاول إلى شموخ الجبال تماما كما في قصة "لوسيفر" Lucifer في "الفردوس المفقود Paradise Lost للشاعر الإنجليزي "جون ميلتون" John Milton. لا شك أن الغرور والكبر هو أول ما أُرتكب في الكون من خطايا. في التراث العربي يمكن تشبيه "عنترة" بأخيل في قوته وشجاعته، كما يمكن تشبيه "المتنبي" به في أنفته وغطرسته. ومعلوم أن المتنبي هو الشاعر الذي قتله شعره أو بالأحرى بيتين من الشعر يقول فيهما:

الليل والليـــل والبيـــداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

أنا من نظر الأعمـى إلـى شعري   وأسمعت كلماتي من بـه صـمم

أما نقطة ضعف "أخيل"، نقصد "كعبه" فيستدعي قصة شعر "شمشون" الجبار. سر القوة قد يكون فانوس سحري كما في أسطورة "علاء الدين" أو حبوب طبية كما "في أرض النفاق" ليوسف السباعي.

تُصيب "عقدة أخيل" الحكام والأشخاص المستبدين المتغطرسين.[3] في رواية "شيء من الخوف" لثروت أباظة نقابل شخصية "عتريس" الذي يمثل حاكم البلاد من ناحية

(١) لا نعتقد أن أخيل كان يبحث عن الشهرة لأن صيته كان قد ضرب الأفاق في ذاك الوقت. الباحثون عن الشهرة المقرونة بالبطولة يُوصفون بأن لديهم "متلازمة بيولف" Beowulf Syndrome.

(٢) عالج "عبد الفتاح البلتاجي" هذه العقدة في فيلم "الغواص"، ٢٠٠٦.

(٣) تُعرف هنا بمتلازمة "هيبرس" Hubris Syndrome.

والشخصية القوية في القرية من ناحية أخرى. حاولت "فؤاده" التي تمثل مصر وحبيبة البطل منذ الصغر أن تثنيه عن جوره وأن تنزع من قلبه الغطرسة والتعالي والتكبر الذي زرعها فيه جده (الجانتا) Junta أو مجموعة الضباط الأحرار الذين حكموا مصر بعد ثورة ١٩٥٢، لكنه ركب رأسه واستفحل عناده فجاءت نهايته حرقا كما كانت نكسة ١٩٦٧ التي أنهت عمليا حياة "عبد الناصر" بعد ثلاث سنوات من وقوعها، هذا الحاكم الذي اختزل الدولة في شخصه كما كتب عنه "صلاح عبد الصبور" في مسرحية "بعد أن يموت الملك":(١)

أنا الدولة(٢)

أنا ما فيها.. أنا من فيها

أنا بيت العدل وبيت الحكمة

بل إني المعبد والمستشفى والجبانة والحبس

بل إني أنتم.. ما أنتم إلا أعراض زائلة تبدو في صور منبهمة

وأنا جوهرها الأقدس

عقدة أدونيس

أدونيس" Adonis في "الميثولوجيا" اليونانية هو إله الخصوبة،(٣) صياد جميل أحبته "أفروديت" بالرغم من توسلات الآلهة نظرا لجمال جسده فنصفه كان لرجل ونصفه لإله. قتله خنزير بري أثناء الصيد، ومن دمائه نبتت زهرة "شقائق النعمان". أحبته "بيرسيفوني" Persephone في العالم السفلي. جرى الاتفاق على أن يُمضي الربيع والصيف على ظهر الأديم مع "أفروديت" والخريف والشتاء في باطنه مع "بيرسيفوني" تماما كما يوزع الزوج المُعدد أيام الأسبوع بين زوجاته. كان يُقام له عيد يُسمى "أدونيا" Adonia احتفالا بموته وعودته إلى الحياة.(٤)

---

(١) دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣.

(٢) العبارة لملك فرنسا، "لويس الرابع عشر"، وكان أحد الطغاة L'état, c'est moi.

(٣) تجدر الإشارة إلى أن لأدونيس أصول فينيقية وبابلية، وهناك من يربط بينه وبين المسيح ﷺ.

(٤) أمين سلامة، معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٥، ١٦.

تصيب عقدة "أدونيس" Adonis Complex الرجال الذين يفتقدون الثقة في أنفسهم إذ تجعلهم يتوهمون الضآلة. أمام المرآة يرون أجسامهم ضامرة وبنيتهم هشة وأعضائهم الجنسية منكمشة متراجعة،(١) حتى لو كان العكس هو الصحيح. تتحول هذه الحالة في المراحل المتقدمة منها إلى رفض الرجل لقالبه وشكله، ثم ينكمش هو شخصيا وينأى عن الناس.(٢)

أما الرجال الأكثر إيجابية والذين يرغبون في لفت انتباه كل ما يحمل تاء التأنيث ويسعى إلى تقليد الأبطال والصناديد فيذهبون للصالات الرياضية لزيادة المركب العضلي لديهم ويسرفون في تناول البروتين والمنشطات والأحماض الأمينية لنفخ العضلات ويدقون الوشم ويقعون فريسة للإعلانات التي تروج لتكبير القضيب وإنبات الشعر. في الحقيقة لقد لعب الإعلام دورا خطيرا في تفشي هذه العقدة لدى الشباب عن طريق ما يبثه من سموم.(٣)

انكب الشباب هذه الأيام على ابتياع الملابس الفاخرة والساعات والنظارات وخلافه مما يظهر به نجوم المجتمع من أبطال السينما ولاعبي كرة القدم. إنها عقدة مهلكة مدمرة قد تُفضي للموت والعجز، ناهيك عن أنها لا تُولي اهتماما بالعقول والتثقيف، بل تكتفي فقط بالتأنق والمظهر وكل ما هو من شأنه زيادة الجاذبية الجنسية للرجال Sex Appeal في نظر المرأة التي لعبت دورا خطيرا في تفحل الظاهرة عن طريق الافتتان بالمشاهير واللهاث ورائهم والحرص على التصوير معهم، أو الانجذاب للرجال المختلفين على وجه العموم.

---

(١) عالج "إبراهيم الخضير" هذه العقدة من زاوية العجز الجنسي الذي أصاب "منصور" في رواية "رحيل اليمامة" (دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٨). عرف سكان جنوب شرق آسيا "متلازمة العضو المنكمش" ويُطلقون عليها اسم "كورو" Koro. إذا كان سبب الانكماش هو البرد وانخفاض درجة الحرارة فتُعرف الظاهرة بـ "متلازمة السلحفاة" Turtle Syndrome.

(٢) تُعرف هذه الظاهرة في اليابان بمتلازمة الخوف والقلق من العلاقات Taijin Kyofusho Syndrome. وغالبا ما يُصنف المصابون بها بأنهم أشخاص مثبطين للهمم، محبطين للغير، مصاحبتهم غير ممتعة ويفسدون أي مناسبة أو نشاط يتواجدون به فيما يسمي بـ Party Pooper Syndrome أو "متلازمة البطانية المبتلة" Wet Blanket Syndrome.

(3) Harrison Pope & et al, The Secret Crisis of Male Body Obsession, Simon and Schuster, New York, 2000, P. 60 .

في رواية "القنافذ في يوم ساخن" كتب "فلاح رحيم":[١] "لاحظ على الحائط صورة لتشي جيفارا.[٢] عندما سألها عنه وقد ذهب به الظن إلى أنها قد تكون ذات ميول يسارية، أعلنت باستغراب أنها لا تعرفه وأن كل ما يهمها في الصورة هو جاذبية الرجل الكبيرة ووسامته الاستثنائية."[٣] تأثير وسحر "جيفارا" على النساء نقله أيضا "ياسر أحمد" في روايته "عكس الاتجاه":[٤] "وشم تاتو على ظهر يدها، وبادج دائري تشبكه في صدر حقيبتها، وأحيانا كانت ترتدي صورته في قلادة تعلقها على صدرها. كانت تروي أساطيره وكأنه بطل خرافي والرمز الأبدي للنضال والحرية. ما بين الحين والآخر كانت تحشره في الحديث. تشي أرنستو جيفارا كان رجلها المثالي وأيقونتها الأثيرة."[٥]

في رواية "طارئ" يصف "أمير عاطف"[٦] البطل قائلا: "طارق عفت الشيمي: شاب وسيم ذو شعر أسود ناعم، مهندم، جسم متناسق، يلعب كمال الأجسام."[٧] ومن رواية "رحمة" لميسون سرور[٨] نقرأ: "رامز شاب وسيم في الثامنة والعشرين من عمره، أبيض البشرة ذو وجه مستدير، وعينان خضراوتان، وشعر ناعم كستنائي أقرب إلى البني قصير جدا، متوسط الطول ذو جسد رياضي جدا مفتول العضلات."[٩]

قدم الروائي "ناصر الظفيري" هذه الشخصية في روايته "أغرار".[١٠] بطل الرواية مستنسخ من "ستيف ماكوين" Steve McQueen و"جورج كلوني" George Clooney في وسامتها Hunk. لديه شيء من ملاحة "يوسف" عليه السلام الأمر الذي جعل ممرضات

(١) دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٢.

(2) Guevara.

(٣) القنافذ في يوم ساخن، ص ١١٠.

(٤) (٤) دار العين، القاهرة، ٢٠١٢.

(٥) عكس الاتجاه، ص ١٧٥.

(٦) نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٧) طارئ، ص ٩.

(٨) دار سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.

(٩) رحمة، ص ١١.

(١٠) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.

المستشفى يتجمعن حول سريره ليُمتعن أعينهن من جماله، كما أن صديقات زوجته يتحرشن به في مشهدين يستدعيان امرأة العزيز ونسوة "يوسف". من ناحية أخرى يهتم البطل ببناء جسمه فيعدو في اليوم ثمانية أميال ويزاول تمرينات رياضية عنيفة ويهتم بنفخ عضلاته حتى تصبح مفتولة. جسده الخرافي "الهوليودي"[(١)] وفحولته الجنسية تؤهله بامتياز للظاهرة "الأدونيسية" التي مر بها كما يشير العنوان.

وفي رواية "صلصال" لخضير عبد الأمير[(٢)] نقرأ: "يتدرب في أحد النوادي الرياضية لكي ينمو جسمه وتنتفخ عضلاته ويمتلئ جسده قوة... بدت له الأيام سريعة وهو يتدرب يوميا في ناد للحديد ويعود مساء ليلقي بنفسه فوق فراشه متنسما هواء الغروب فوق سطح الدار لا يكاد أن يحرك جسمه، في الصباح كانت آثار رياضة الحديد تظهر قليلا، كان يحسها في صدره وعضده وفي كتفه وحتى ظهره ثم بدت تشده عضلات جديدة إلى مرافقة الحديد يوميا وانشغل في تكوين جسم متناسق. لم يكن وحده، إذ بدأ يتدرب في كل مكان، في البيت والزقاق ويقتني المجلات الرياضية."[(٣)]

العضلات القوية المنتفخة موجودة أيضا في رواية "ديناميت" لزياد عبد الله[(٤)] ومنها نقرأ: "جسد غسان كان صيفيا في عز الشتاء، يصرخ بسلمى عاريا طيلة الوقت، لا يطيق الملابس، لا يريد لعضلاته المفتولة أن تغيب عن ناظريها، وكلما حدقت فيه أكثر كلما وجدت بشرته البحرية محملة بشمس أودعت كل أشعتها فيها. كان مالحا، رشيقا، بالخفة الموهوبة للقفز، للفرح الذي أحست به مع غسان من اللحظة الأولى.. لا للخجل، قال لها كل شيء فيه. وأمست من دون عناء مشغولة بنبشه مساماتها، واستقبال ذاك الذي ينغرز فيها كقرن حيوان أسطوري."[(٥)]

---

(١) تُعرف هذه الظاهرة أيضا بـ "متلازمة هوليود".

(٢) دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦.

(٣) صلصال، ص ٤٥، ٤٦.

(٤) دار المدى، دمشق، ٢٠١٢.

(٥) ديناميت، ص ١٩.

عقدة أنتيجون

"أنتيجون" Antigoneهـي ابنـة "أوديـسيوس" Odysseus و"جوكاسـتا" Jocasta. عندما نُفي "أوديب" من طيبة رافقتـه لترشـده الطريـق. في طريـق العـودة وجـدت أخويهـا يتنازعان على العرش الأمر الذي أدى إلى اقتتالهما ومـوتهما. منـع الملـك، "كريـون" Creon ، دفن أحدهما وهو "بولونيكيس" Polynices ، لكنها تحدت أوامره وأقامت المراسـم المعتـادة فعاقبها الملك بأن دفنها حية.[1] تشير "عقـدة أنتيجـون" Antigone Complex إلى الأخـت المحبة لأهلها الواصلة لأرحامها، كما أنها عقدة المرأة الممزقة بين العقـل والعاطفـة والواجـب والقانون. كتب "سوفوكليس" Sophocles مسرحية تناول فيها هذه القصة كـما تـصدى لهـا "فرويد" بالتحليل.

يمكن اقتفاء "عقدة أنتيجون" في شخصية "سلمى" في رواية "ملكـوت هـذه الأرض" للكاتبة "هدى بركـات"[2] التـي تتـولى رعايـة أخواتهـا بعـد وفـاة الأم، وفي روايـة "بدريـة الشحي" "الطواف حيث الجمر"[3] تقوم "زهرة" على خدمة أبيهـا وأخوتهـا الـذكور. تقـوم بدور "أنتيجون" "فتحية" في رواية "أبو بكر خالـد" "النبـع المـر"،[4] و"فاطمـة" في روايـة "سكينة فؤاد"، "ليلة القـبض عـلى فاطمـة".[5] كافحـت الأخـيرة مـن أجـل تربيـة أخوهـا "جلال" وأختها "نفيسة" وعاينت التمزق بين العاطفة تجاه أخوها واتخاذ قرار بتجريسه حين علمت أنه ينتهج سبل غير شريفة لكسب المال وتحقيق المكاسب السياسية.[6]

تدور الرواية الأخيرة حول "جلال"، بطل من ورق، صنعته أختـه حـين قامـت بعمليـة فدائية في القنال ضد الإنجليز ثم أعطت إحساسا بأن أخوها هو من قـام بهـا لتنقلـب حياتـه وتتهافت عليه الصحف حتى يُصبح سياسيا مرموقـا. "جـلال" الجاحـد يـشعر بـأن وجـود

(١) معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، مرجع سابق، ص ٤٧.
(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.
(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦.
(٤) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.
(٥) كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٨٠.
(٦) راجع أيضا عقدة ويندي Wendy Complex.

"فاطمة" في مسرح الأحداث يسبب له المعرة فأرسل مندوبين من مستشفى الأمراض العقلية إلى بورسعيد للقبض على شقيقته. تصعد فاطمة إلى سطوح المنزل وتهدد بإلقاء نفسها إذا اقترب أحد منها، ثم تبدأ في سرد قصتها على الحشد المتجمع لتعري البطل المزيف وتُسقط عنه ورقة التوت.

لقد ضحت "فاطمة" بنفسها من أجل أختها بعد وفاة والديها وضحت بخطبتها للصياد "سيد"، وفضلت عملها في حياكة الملابس، لكن "جلال" تنكر لصنيعها وحبس "سيد". الشخص الذي يظل عمره كله يخدم ويسدي المعروف للآخرين، لكنه ينسى نفسه ولا يحصل على ما يريد ولا يأخذ مكانه اللائق والمُستحق في الحياة كفاطمة مثلا يُصنف تحت "متلازمة وصيفة العروس"Bridesmaid Syndrome.

فيما يتعلق بفكرة حصول أهل الميت على جثته وتكريمها بدفنها هي فكرة نبيلة لها جذور دينية وضاربة في أساطير الشعوب برمتها. في رواية "جناحها الريح وغيمة ماطرة" لآسية السخيري[١] نقرأ: "هي جثث غمرت رائحة عفونتها الفضاء الضيق.. أجل هي جثث لا يُكرمها الدفن."[٢] في "منافي الرب" لأشرف الخمايسي[٣] نقابل "حجيزى" الذي عاش قرابة القرن من الزمان يفتش عن حكمة الله في الدفن. في هذا السياق يمكن الإشارة إلى رواية "الحرب في بر مصر" ليوسف القعيد حيث يصبح هدف الفلاح المسكين أن يحصل على جثة ابنه ليواريه الثرى. تنشأ الفاجعة والأزمة حين يتعذر الحصول على الجثة أو حين يتعذر الدفن لسبب أو لآخر. في رواية "من مكة إلى هنا" للصادق النيهوم[٤] ينزل الأب المفجوع البحر بقارب ليبحث عن جثة ابنه الغريق. بشكل رمزي وعجائبي صور "هاني الراهب" أيضا هذه الفكرة في روايته "رسمت خطا في الرمال".[٥] كتب يقول: "حملت الجثة وخرجت بها. لم أدر أين أذهب. حملتها فوق الصحراء السوداء وفوق المدن الغريقة. طوفت فوق الرمال والقصور والغابات ومشاعل منشآت النفط. وصلت إلى البحر العربي. رأيته خير مكان أوسد فيه هذا

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون – مكتبة مدبولي، بيروت – القاهرة، ٢٠٠٧.
(٢) جناحها الريح وغيمة ماطرة، ص ١٤.
(٣) دار الحضارة، القاهرة، ٢٠١٣.
(٤) من مكة لهنا، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، ص ١٣.
(٥) دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٩.

الكيان الجميل."[1] يختم "محمود شاهين" روايته "الأرض الحرام"[2] بهذه الكلمات: "سيروا بجثث ذويكم وهيموا في الأرض، وليكن الله في عونكم! فانطلقوا على وجوههم هائمين، يبحثون عن أرض ليست محرمة يدفنون فيها جثث قتلاهم!"[3] وفي رواية "حدائق الرئيس" لمحسن الرملي نقرأ: "لقد قُتلوا في بغداد أو في الطريق إليها، وبغداد الآن فوضى تغص بالجثث المجهولة والمفخخات والأجانب والكذب، وربما من الاستحالة العثور على جثثهم. قال: الأفضل دفن الرؤوس، وإن تم العثور على الأبدان لاحقا، فلا بأس أن تُدفن مع الرؤوس أو منفصلة أو في محل العثور عليها.. إن أولادنا ليسوا بأعز أو أفضل من سيد الشهداء الحسين وحفيد رسول الله الذي دفنوا رأسه في مصر أو الشام وجثته في العراق. عجلوا بدفن الرؤوس فإن إكرام الميت دفنه."[4]

عقدة أطلس

تشير "عقدة أطلس" Atlas Complex إلى شخص لديه قناعة بأنه يحمل هموم العالم كله فوق كتفيه، وأن هذه المشاكل لا تنتهي كما لو أنه قد كُتب عليه العذاب الأبدي مثل "سيزيف" Sisyphusوصخرته الذي يرفعها إلى قمة الجبل فتتدحرج ويعود لسيرته الأولى.[5] تُشير العقدة أيضا إلى الشخص الذي يعتمد على نفسه في مجابهته للقدر وما كُتب عليه. و"أطلس" في "الميثولوجيا" الإغريقية هو أحد العمالقة الذين حكم عليهم "زيوس" Zeus بحمل القبة السماوية نتيجة لجرم اقترفه. تشير العقدة أيضا إلى المعذبين لأنفسهم الذين لا يُطيقون العيش دون حزن أو مشاكل.

نقابل هذا الشخص المثالي الذي يحمل هموم الناس فوق كتفيه في رواية "دموع على سفوح المجد" للروائي "عماد زكي".[6] تدور الرواية حول "عصام"، الطبيب الذي يتألم

(١) رسمت خطا في الرمال، ص ٢٦٩، ٢٧٠.
(٢) منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣.
(٣) الأرض الحرام، ص ٣٩٦.
(٤) حدائق الرئيس، ص ١٠.
(٥) عالج "أسامة أنور عكاشة" هذه الفكرة في مسلسل "رحلة السيد أبو العلا البشري"، ١٩٨٥.
(٦) دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.

للمصابين بالسرطان ويشعر بأحزانهم وفاجعتهم ويبذل قصارى جهده ليخفف عنهم ويهون عليهم، كما يتمنى أن يهتدي إلى علاج لهذا المرض الفتاك والذي حار فيه الطب والدواء، لكن القدر لم يمهله كثيرا فمات في حادث سير عبثي وهو في ريعان الشباب. في رواية "التوت المر" لمحمد العروسي المطوي نقرأ عن الشاب "عبد الله" الذي يشكل مع رفاق آخرين جمعية لإنقاذ الشباب من تعاطي المخدرات. ونقرأ من رواية "حكايات شارع البحر" لاحمد والي[1] عن شخصية الأسطى "عبد الودود" الحلاق: "أول من تجد عند حدوث حريق يحمل جرادل المياه ويحفز الناس حتى إذا جاءت عربة الإطفاء وجدت كل شئ قد انتهى وخمد الحريق فلا تعمل غير محضر إهمال للمنكوبين."[2]

كما نقابل هذا الشخص المثابر المنتج في رواية "محمود توفيق حسين" "حجر الكحل"[3] ومنها نقرأ عن الشيخ مصبح واستصلاحه للأراضي ليزرع فيها الخير: "كان رجلا صبورا طويل النفس منشغلا بترك بصمة في حياة أهله. صعدت في رأسه فكرة أرقته، وأصر على أن ينفذها، واتفق مع بعض الجمالين الفقراء من أهل الريف على أن يحملوا له على جمالهم في الزنابيل الضخمة من الخوص طميا أسود من حميل الفيضانات، ومن زيادات الأراضي، ومن التلال المتكونة عن حفر الترع والمصارف... أخذ التل المتواضع ينمو ويتراكم... مرت الأيام، حتى صار التل بعد قرابة الست سنوات جبلا أسود ضخما في الوادي من الطمي ومن كسيح الزرائب من الروث، وكلف الشيخ مصبح الشغيلة أن يخلطوا هذا الطمي والزبل برمل الأرض، فاستحالت تربة الوادي تربة على أحسن الخصائص."[4]

عقدة أتريوس

"أتريوس" Atreus في الأسطورة اليونانية رجل خانته زوجته مع أخيه، ونتيجة لذلك عافت نفسه كل ما يُذكره بها بما في ذلك أولاده منها. وتشير "عقدة أتريوس" Atreus

(١) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٥.
(٢) حكايات شارع البحر، ص ٥٤.
(٣) دار القمري، القاهرة، ٢٠١٤.
(٤) حجر الكحل، ص ١٤، ١٥.

Complex إلى كره الرجل لأولاده من زوجة خانته أول لنقل إحجامه عنهم.[1] خيانة المرأة، وهو الشكل الأكثر رفضا في المجتمعات الشرقية، حاضرة في السرد الروائي العربي. نجدها مثلا في "اختلاس" لهاني النقشبندي[2] وفي "أنا وهي والأخريات" لجني فواز الحسن. أما شعور الرجل السلبي تجاه أولاده من زوجة خانته أو فضحته أو لوثت سمعته فنجده في رواية "نجيب محفوظ" "قصر الشوق".[3] صحيح أن "هنية"، أم "ياسين"، لم تخن "أحمد عبد الجواد"، لكنه بعنجهيته اعتبر زواجها المتكرر بعد طلاقها منه نوع من الخيانة لسيرته واسمه. نتيجة لذلك دأب على تقريع ابنها، "ياسين" والتهكم عليه وعلى تكرار زواجه رابطا بين ذلك وبين زيجات والدته لتنتهي المقاربة بمفهوم "ابن أمك" و"ابن هنية". كتب "محفوظ": "خير إن شاء الله، هذا ما ردده أحمد عبد الجواد في نفسه وهو يطالع ياسين مقبلا نحوه في الدكان. كانت زيارة غريبة وغير متوقعة، أعادت إلى ذاكرته زيارته القديمة لدكانه، يوم جاءه ليشاوره فيما ترامى إليه من اعتزام المرحومة أمه الزواج للمرة الرابعة."[4]

عقدة ميديا

إذا قلبنا الآية تُسمى الظاهرة بعقدة "ميديا" Medea Complex التي خلدها "يوربيدس" Euripides في مسرحية تحمل اسمها. والإشارة هنا للمرأة المهجورة أو الشريكة التي تشعر أن زوجها يخونها كلما خرج من البيت. هذا الشعور في حد ذاته يخلق متلازمة فرعية تُعرف بـ"متلازمة تايجر وودز" Tiger Woods Syndrome نسبة إلى لاعب الجولف الأمريكي الوسيم والشهير والذي افتضح أمر خيانته لزوجته، عارضة أزياء سويدية، مرات ومرات.

هذا وتتراوح خيانة الزوج من معاشرة نساء أخريات إلى مجرد التفكير فيهن أثناء مضاجعة زوجته كما صورها "عماد محمود الأمين" في روايته "الرفيقة وداد":[5] "كانت عيناه

(١) عالج "عبد الحي أديب" هذه العقدة في فيلم "امرأة في الطريق"، ١٩٥٨.
(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٧.
(٣) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧١.
(٤) قصر الشوق، ص ١١١.
(٥) التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٣.

تنبشان خبايا هذا الجسد المثير، رجع بذاكرته إلى الوراء، إلى الماضي القريب والبعيد، فكم من مرة غفا وهو يحلم باجتياحه، وكم من مرة استخدم مخيلته ليضاجعها تارة في الحقل وطورا في الخيمة على سطح منزله، وكم من مرة قبلها بعنف وشهوة بينما أم أمين تنتشي بين يديه متسائلة عن سر هذه الخبرة والقوة والحنان التي تهبط عليه فجأة من حين إلى آخر، ثم تتفاجأ به يبعدها بجفاء حالما ينتهي ويدير وجهه إلى الجهة المقابلة من الفراش."[1] فكرة النوم مع الزوجة والتفكير في أخرى، والذي يُدخله بعض علماء الدين في مراتب الزنا، هذه الفكرة أوردها "محمد الفخراني" في روايته "فاصل للدهشة":[2] "يُمسك عضوه المتشنج يُقحمه فيها بخبطات متسارعة، لاهثا باسم واحدة من الممثلات المثيرات اللاتي يلصق صورهن بمواجهته على صفيح العشة، يتخيل أنه يضاجعهن بدلا من امرأته."[3] ومن رواية "ورد النيل" لمحمد سليمان[4] نقرأ: "حقا هي تكبره في السن، لكنه ما زال يحلم بها، طيفها مازال يُعشش في رأسه منذ كانت تلج الدرب في ثوبها القصير الذي يكشف عن ساقيها الرائعتين، لتزور زوجها الأول المريض، كان يرصدها في شبق في الداخلة والخارجة، ولدهشته كانت تبتسم له!! من يصدق أنه من فرط عشقه لها، كثيرا ما يجامع زوجته الخرساء وهو يتمثلها!!"[5]

في رواية "أبواب الفردوس" لناطق خلوصي[6] نقابل شخصية "فطم" التي يسبها زوجها ويضربها ويهجرها في الفراش ويحقر أنوثتها ويطفئ فتنتها ثم يتزوج عليها. كل هذا دفع الأنثى المطعونة في كرامتها وكبريائها إلى الانتقام منه بالنوم مع شاب صغير من أقاربه.

عندما تتحقق الزوجة من خيانة الزوج بالفعل قد ترحل دون صخب أو تقرر التحدي والانتقام. نقابل النوع الأول في رواية "نادرة العويتي" "المرأة التي استنطقت الطبيعة"[1]

(١) الرفيقة وداد، ص ٢٥.

(٢) الكتب خانة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.

(٣) فاصل للدهشة، ص ٧.

(٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥.

(٥) ورد النيل، ص ٢٠ – ٢١.

(٦) منشورات ميزوبوتاميا، بغداد، ٢٠١٣.

تقول "نعيمة" بعد أن اكتشفت خيانة زوجها: "ليتني لم أقرأ خيانة حسن بعيني.. ليت الدقيقة الفاصلة بين هنائي وشقائي قد غابت من عمر الزمن."[2] انسحبت "نعيمة" في صمت، لكن أخريات تدفعهن غريزة المرأة إلى التفكير في الانتقام. المرأة التي تم خيانتها قد تفكر في نبذ أولادها مثلا فتتخلى عنهم نظرا لتلك الطعنة التي سددها الزوج نحوها. في حالات أخرى ترفض الأم كيدا ونكاية في الأب أن ترضع أولادها حتى ولو تضوروا جوعا. أما "ميديا" التي قدمت تضحيات كبيرة لزوجها، لكنه خانها وتزوج من أخرى فقد ذهب بها كيد المرأة لقتل الزوجة الجديدة بدافع من الغيرة ثم قتلت ولديها من الزوج الخائن. عقدة "ميديا" هي أيضا عقدة الزوجة المقهورة المحترقة بنار هجر زوجها وخيانته لها "فعندما يهجر جيسون زوجته ميديا وولديه الصغيرين من أجل الزواج بفتاة أصغر سنا، يرمي بزوجته ميديا في سلة المهملات من أجل زوجته الجديدة، فتقف ميديا هنا وقفة غاضبة لتنتقم منه انتقاما مروعا."[3]

في رواية الكاتبة "ابتسام شاكوش" "الوجه المكسور"[4] نقابل هذه الأم المصابة بعقدة "ميديا" والتي تترك بنتها بعد طلاقها عند جدتها لتتزوج من جديد. لا يروق لها رؤية بنتها ذلك لأنها تذكرها بتعاستها مع أبيها. ينعكس ذلك الشعور بالنبذ بالطبع على الابنة، "نعمة" أو "لعنة" كما تدعوها جدتها. "نعمة"، الرواي العليم والشخصية الأساسية في الرواية، تشعر بالحرمان والتخلي. تقول في موضع من الرواية: "لا يعترفون حتى بإنسانيتي. أمي لا تطيق رؤيتي. ربما كنت أذكرها بفشلها مع أبي. وتجربتها التي تود أن تنساها. رؤيتي تسبب لها التوتر العصبي. جدتي تأمرني بالتزام القبو حين تأتي أمي لزيارتها مع زوجها، فهو الآخر لا يطيق ذكري."[5]

---

(١) المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ١٩٨٣.

(٢) المرأة التي استنطقت الطبيعة، ص ٢٨.

(٣) جوردون إكستراند، غضب ميديا وعقدة النساء المهجورات، ترجمة: أثمار عباس، دار نينوى، دمشق، ٢٠١٠، ص ٩، ١٠.

(٤) إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩.

(٥) الوجه المكسور، ص ٣٦.

في الأنماط الحديثة لعقدة "ميديا" قد تكتفي المرأة بسبب كرهها الشديد لزوجها باستخدام وسيلة من وسائل منع الحمل وكأنها تعاقبه بألا تحمل منه أو تنجب له، وإذا حدث الإنجاب فإنها تلجأ إلى إجهاض نفسها كما فعلت "عفاف" في رواية "سحر خليفة" "مذكرات امرأة غير واقعية".[١] الإجهاض نكاية في الزوج موجود أيضا في رواية "طابق ٩٩"، لكنه اقترن بملمح مختلف لعقدة "ميديا"، وهو قيام الزوجة بخيانة الزوج ردا للصفعة التي وجهها إليها وعملا بمبدأ العين بالعين والخيانة بالخيانة. كتبت "جنى فواز الحسن":[٢]

"هل تظن أني لم أكن أشم روائحهن التي طالما ملأت ثيابك، يداك التي كانت تمتد لجسدي وشت بك. كان دائما فعلا ناقصا، والتأوهات التي أطلقتها وملأت الغرفة، كانت ربما شعورا بالأسى، لأن نفسي المختنقة بعطور عاهراتك كانت تئن. كانت تئن تحتك، وتئن في فراش غيرك، لأنك كذبت عليّ...

- اصمتي.

- آه لا، ما زلنا في البداية.

- اصمتي.

- شربت ضعف ما كنت تشرب وأحيانا كنت آتيك مباشرة بعدما أنتهي من عشاقي. أتعرف؟ مرة تركت آثار منيّ رجل على يدي ولما جئت مسحتها بوجهك، بجسدك.

- اصمتي يا عاهرة.

- عاهرة ماذا؟ أنت العاهر. أتعرف؟ ضاجعتهم أحيانا هنا في سفرك... أتريد أن تعرف أكثر أم يكفيك؟

- اصمتي.

- حملت منك وأجهضت الجنين ولم أخبرك. لم أكن أريدك والدا لطفلي. أنت لا تستحق ذلك...

---

(١) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢

(٢) ضفاف - الاختلاف، الرياض / بيروت / الجزائر، ٢٠١٤.

- اصمتي."[1]

وتمتد مظلة "عقدة ميديا" لتشمل أيضا المرأة التي يمتنع عنها الرجل ويـصدها ويـرفض حبها أم عطايا جسدها. ويكون الانتقام في هذه الحالة مكيـدة أنثويـة تفـضي إلى الـسجن كـما فعلت "زليخة" بيوسف الصديق أو حتى القتل بيدها أو بيد مـأجورة كـما فعلـت "دولـت" بسليمان في رواية "محمد جمال الدين" "حدائق الذاكرة": "اللطمة التي نالتهـا مـن سـليمان في المرة الأخيرة أخرجتها عن صوابها، فالرجل لم يكتف برفض الزواج منها، بـل امتـد ذلـك إلى رفضه مضاجعتها بعد أن هيأت نفسها لاقتناصه وسـقوطه في أحـضانها مثـل ثمـرة ناضـجة تسقطها شجرة ملت ثقلها على الأغصان."[2]

عقدة كاساندرا

الشخص الذي يقرع ناقوس الخطر محذرا من وقوع كارثة أو اقتراب جائحة لكن النـاس لا يعيرون اهتماما، وغالبا ما تقع النوائب ليكتشف النـاس صـدق كلامـه، لكـن بعـد فـوات الأوان يـصفه علـم الـنفس بأنـه مُـصاب بعقـدة "كاسـاندرا" Cassandra. بعـض الأفـراد والحكومات لا يديرون الأزمات إلا بعد وقوعها. يرون إرهاصات الأزمة أمامهم، لكنهم لا يتخذون القرار المناسب حيالها. الأشخاص الذين لا يعبئون بهذه التحذيرات مصابون – على الأرجـح – بـأعراض "متلازمـة لـيس خـلال فـترة حيـاتي" "Not in My Lifetime Syndrome"، أي أن الكارثة لن تقع وشيكا ولن أشهدها خلال سنين عمري، ربما بعد موتي، وهذا النوع من الإرجاء هو خداع للنفس. كما يعتقـد المـصابون بهـذه المتلازمـة "أن الأشـياء السيئة تحدث فقط للآخرين."[3]

حذر "نجيب محفوظ" من وقوع كارثة نكسة ١٩٦٧ في روايته "ثرثـرة فـوق النيـل"،[4] وكذلك فعل "يوسف إدريس" في "العيب"[5] و"الحرام"،[6] لكـن تحـذيراتهم تلقفتهـا آذان

(١) طابق ٩٩، ص ١١٨.
(٢) حدائق الذاكرة، ص ٥٩، ٦٠.
(٣) عمرو علي العادلي، الزيارة، دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٤٦.
(٤) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٥) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٨.
(٦) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٩.

صماء وينطبق عليها قول "عمرو بن معد يكرب" "لقد أسمعت لو ناديت حيا / لكن لا حياة لمن تنادي". في رواية "وا إسلاماه" لعلي أحمد باكثير(١) نقابل الشيخ سلامة الذي يحذر سكان القاهرة من قدوم التتار، فلا يجد منهم سوى السخرية.

هذا الشخص الذي يتنبأ بالمصائب ربما يلقى السخرية والتهكم، بل قد يُتهم بالتآمر وبالعمل لحساب طرف ثالث. في الأساطير اليونانية امتلكت "كاساندرا" Cassandra القدرة على التنبؤ بالمستقبل، لكن لم يكن لها القدرة على الإقناع بسبب ضعف صوتها وعدم وضوح نطقها والاستعاضة عن ذلك بلغة الجسد وحركات هستيرية يظن من يراها أنها معتوهة.(٢) أخبرت الطرواديين أن أسوارهم ليست كلها منيعة وأنه سيتم اختراقها، لكنهم لم يعيروها أي اهتمام، بل تهكموا من كلامها. "كاساندرا هي ابنة ملك طروادة أحبها "أبولو" فأهداها القدرة على التنبؤ بالمستقبل، لكنها لم تبادله الحب فعاقبها بأن لا يُصدق أحد نبوءاتها عن المستقبل.(٣) إذا نُعت شخص بأن لديه "عقدة كاساندرا" Cassandra Complex فإنه يعلم بأن شيء فظيع على وشك الحدوث، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا حيال ذلك، ولن يلتفت له أحد.

عقدة كرونوس

"كرونوس" Cronus في الأساطير اليونانية هو أحد الجبابرة وقائد "التيتانيين" Titans وكان قد اغتصب ملك أبيه. تقول النبوءة أن واحدا من أبنائه سيخلعه من منطق "كما تدين تدان" فقام بابتلاعهم بعد الولادة. ثم حدث أن أعطته زوجته حجرا بدلا من رضيعها "زيوس" فبلعه. تم إخفاء "زيوس" في "كريت" وحين شب أجبر والده على تقيأ أخوته.(٤)

---

(١) دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٤٥.

(4) Pascale – Anne Brault, "Playing the Cassandra", in "Bound by the City: Greek Tragedy, Sex Difference and the Formation of the Polis, (ed.) Charles Shepherdson, State Univ. of New York Press, Albany, 2009, P. 198.

(5) (ibid), P. 198.

(٤) آرثر كورتل، قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٦٩.

تشير "عقدة كرونوس" Cronus Complex إلى الشخصية المحبة للهيمنة والتسلط على الآخرين، بل وسحقهم إن استدعى الأمر. وتظهر العقدة في الأب الطاغية والأخ المتسلط والزوج العنيف والحاكم المستبد. والعقدة لها حيز ووجود كبير في الشرق والعالم العربي.

نجد هذا الأب الطاغية في "حكاية زهرة" لحنان الشيخ،[١] ونلمس عنفه داخل رواية "فضيلة الفاروق" "تاء الخجل"[٢] في ثنايا هذه الكلمات: "اكتشفت أن الوالد هو الذي رمى بابنته من أعلى الجسر.. قال أنه خلصها من العار لأنها أُغتصبت."[٣] أما كراهية الأب السلطوي الذكوري الشهواني فحاضرة أيضا في رواية "حفلة الموت" للكاتبة "فاطمة الشيدي"[٤] ورواية "زاوية حادة" للروائية "فاطمة سلطان المزروعي".[٥] في رواية "ستر" تقدم لنا "رجاء عالم"[٦] تركيب لفظي جديد أو مترافقة (متصاحبة) لفظية Collocation جديدة، "الأب السلطاني": "من دخلتها الأولى على ذلك الأب السلطاني يومها كان المجلس الشاسع غاصا بالأولاد والأحفاد وأبناء وبنات العمومة، بلاط ملكي يتوج في صدره الأب، وكل من يدخل يتقدم بفروض الولاء."[٧] أما "عبد الله سلوم السامرائي" فقد كتب في روايته "جدار الخوف":[٨] سأرحل عن بلاد يسرق الأب فيها ابنته.. يبيعها.. سأكفر بالأبوة تذبح البنوة بخنجر الغدر."[٩]

أما الزعيم الطاغية الذي يستخف بشعبه فالأمثلة عليه كثيرة، خذ مثلا "كاليجولا" و"نيرون" و"چنكيز خان" و"أبو عبد الله السفاح" و"الحجاج بن يوسف" و"أحمد باشا الجزار" و"هتلر" و"موسوليني" و"ستالين". إنه الزعيم المستبد الذي يختزل الدولة في

(١) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٤.

(٢) دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣.

(٣) تاء الخجل، ص ٣٩.

(٤) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.

(٥) دار العين، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٦) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥.

(٧) ستر، ص ٨٢.

(٨) مطبعة العدالة، بغداد، ١٩٨٣.

(٩) جدران الخوف، ص ٢٨٥.

شخصه كما فعل "فرانكو" في أسبانيا و"أنور خوجا" في ألبانيا و"ماركوس" في الفلبين و"تشاوشيسكو" في رومانيا و"نورييجا" في بنما و"ميلوسيفتش" في يوغسلافيا و"بينوشيه" في شيلي و"هيلا سيلاسي" في أثيوبيا. يتخيل الكثيرون أن هؤلاء الطواغيت لا يمكن أن يغادروا ولا يصدق الناس حين يرحلون بالفعل أو حين يموتون. تُسمى هذه الظاهرة بـ "متلازمة فيدل كاسترو" Fidel Castro Syndrome.

هذا الزعيم حاضر بقوة في الرواية العربية على نسق روايات الدكتاتور في أمريكا اللاتينية، خاصة "مائة عام من العزلة" و"خريف البطريرك" و"الجنرال في المتاهة" لماركيز Márquez . نخص من هذه الروايات "الزعيم يحلق شعره" لإدريس علي[(١)] والتي صور فيها شخصية العقيد "القذافي"، ورواية "عالم صدام حسين" لمهدي حيدر،[(٢)] ناهيك عن روايات أخرى منها "مجنون الحكم" للروائي بنسالم حميش[(٣)] و"الكرنك" لنجيب محفوظ[(٤)].. الخ.

من رواية "نوم الديك" لحافظ محفوظ[(٥)] نقرأ هذه السطور التي تعبر عن الخراب والفساد اللذين يحلان بالبلاد التي يحكمها طغاة وجبابرة: "عز الدين واحد من مئات الشباب الذين وجدوا أنفسهم في السجون بلا أي ذنب. هذا ما يريده الحاكم ومن يعارضه يدفع الفاتورة. هذا ما نعيشه يا ميلاد. بلادنا سائرة إلى ما لا يحمد عقباه. خرجنا من الاستعمار لاستعمار أكبر. يا ليت فرنسا ما خرجت. ماذا ربحنا من الاستقلال؟ علم ونشيد وطني؟ والظلم والفقر والمحسوبية والجهوية والاحتقار والمذلة والركاكة والبلادة."[(٦)] وتتابع "نتيلة التباينية" في روايتها "طريق النسيان":[(٧)] "ذهب استعمار وجاء آخر.. تحول

(١) دار وعد للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.
(٢) منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٣.
(٣) رياض الريس، بيروت، ١٩٩٠.
(٤) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٥) دار مومنت كتب رقمية، لندن، ٢٠١٤.
(٦) نوم الديك، ص ١٤٢.
(٧) الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٧.

زمن الاستقلال إلى زمن كلاب وعيشة كلاب بسبب أولاد الحرام.. إنه زمن النهش وزمن العض في الجلد واللحم والعظم."[1] ويلتقط طرف الخيط "حسين الواد" الذي كتب في روايته "روائح المدينة":[2] "كنا في عهد دولة الاستعمار والحماية نسمع ونعرف ونعلم ونغضب ونسب ونشتم ونصرخ ونركل بأرجلنا. وكنا في عهد دولة الاستقلال والسيادة نسمع ونعرف ونتململ ونسكت... من كان يتصور؟ من كان يصدق؟"[3]

عقدة ديانا

تشير "عقدة ديانا" Diana Complex إلى المتمردة Animus.[4] "ديانا" هي ربة الصيد العذراء في الأسطورة اليونانية. عالج "وليم شكسبير" هذه العقدة في مسرحيته "ترويض النمرة" Taming of the Shrew.[5] في رواية "رشا سمير" "بنات في حكايات"[6] تصف الكاتبة شخصية "سارة" بقولها: "متمردة حتى النخاع."[7]

يبدأ التمرد الأنثوي على الجنس أو النوع فالبنت مهيضة، مكسورة الجناح وغير مرغول فيها. يُخطأ من يظن أن الوأد انتهى بظهور الإسلام. الوأد ما زال يُمارس ضد المرأة: وأد وجهها وعقلها وروحها وحرياتها وحقوقها. من رواية "الست زبيدة" لنوال حلاوة:[8] "ونبت في أعماقي رفض لهذا التمييز بين البنت والولد، وكنت أقولها لهم بصوت عال، وأثور عليهم لأنني لست وعشت تمييزا غير منصف، انتفضت مشاعري وجعلتني أتمنى لو ولدت ذكرا."[9]

---

(١) طريق النسيان، ص ١٠٠.
(٢) دار الجنوب، تونس، ٢٠١٠.
(٣) روائح المدينة، ص ٧٣.
(٤) راجع نظير "كارل يونج" Carl Jung المعروفة بـ Anima and Animus.
(٥) عربت السينما المصرية هذه القصة في "آه من حواء"، ١٩٦٢.
(٦) مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.
(٧) بنات في حكايات، ص ٧.
(٨) دار سندباد للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.
(٩) الست زبيدة، ص ٥٢.

مؤكد أن بذور التمرد تختمر في مرحلة الطفولة المبكرة. في رواية "أشرعة ممزقة" لسوزان مصطفى[١] نقرأ عن بذور التمرد التي تُنثر في البدايات على لسان "ختام": "ضروب الإهمال والأحاسيس المؤلمة بانعدام الوزن والأهمية شوهت طفولتي، ضروب المرارة أفسدت أنوثتي فعجزت عن فرض ذاتي بصورة طبيعية، إشعاري بالإثم ما فتئ ينكأ جرحي... آثمة لأني لم أمت يوم أرادت أمي قتلي، آثمة لأني لست بجمال أخوتي، آثمة لأن المرارة شوهت روحي، ما كان مني إلا أن أطلقت صرخة انبعثت من كل كياني أوقدت نار تمردي، أعلنتها حربا شعواء على كل ما حولي ومن حولي. تجسدت صرختي عدوانية وشراسة وغطرسة وعنادا، أصبحت عنيدة بصورة شيطانية.. فبعد أن كنت قد تعودت قضاء حاجتي في المرحاض عدت لأتبول وأتغوط في كل مكان.. في ساحة الدار، فوق الأسرة والمناضد والكنبات، ووسط الغرف.. كنت كثيرا ما أخلع ثيابي كلها لأركض في أرجاء البيت عارية أسوة بأخي فتلاحقني شتائم أمي وصراخها."[٢]

تشير "عقدة ديانا" أيضا إلى ظاهرة "البنت المسترجلة". في الحقيقة، أحد أشكال التمرد في المجتمعات الذكورية أن تقوم أو تُضطر الفتيات إلى تقليد الرجال في اللباس[٣] Cross Dressingوتخشين الصوت والتدخين بكافة أنواعه حتى ينلن الحظوة من الأسرة والمجتمع الذكوري. تنطبق العقدة مؤخرا على الفتيات اللاتي يخضعن لمشرط الجراح ليغيرن جنسهن.[٤]

يبدأ الميل إلى الذكورة أو التذكير في مرحلة مبكرة جدا من حياة الفتاة التي لديها هذه النزعة. من رواية "نبيذ أحمر" لأمينة زيدان[٥] نقرأ: "لبست ثوبا صبيانيا لففت به خروجي

---

(١) حوران للطابعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢.

(٢) أشرعة ممزقة، ص ٢٦، ٢٧.

(٣) في المقابل هناك من الرجال من يشعر برغبة لارتداء زي النساء. كتب "رؤوف مسعد" عن هذه الظاهرة في روايته "إيثاكا" قائلا: "كنت أرتديها أحيانا في شقتي وأستعرض أمام المرآة. قررت أن أمارس التجربة بطريقة مختلفة. فوضعت الثياب النسائية في حقيبة وذهبت بالسيارة إلى مكان منعزل وارتديتها وعملت ماكياجا وسقت السيارة إلى أماكن هادئة. سقت ببطء وتعمدت أن ألتقي بنظرات الرجال الباحثين عن امرأة. أسمع غزلهم وأتقبله بابتسامات وأحيانا بضحكات خجولة أو مغناجة حسب ما أقرر." (ص ٢٥).

(٤) عالجت السينما المصرية هذا التوجه في "الآنسة حنفي"، ١٩٥٤.

(٥) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٧.

الثائر من رحم أمي، وأغلقت الدائرة المفتوحة في انحيازي إلى أمي ومرآتها دون أن يتملكني الرضا، وبلا خوف أصبحت الصبي الذي أراده أبي، وتبرأت من مقولات أمي."[1]

من رواية "عبد الكريم ناصيف" "الطريق إلى الشمس" نقرأ عن "شمس" التي تتنكر في زي الرجال: "صدقني أنا نفسي نسيت أنني فتاة.. حين جعلني طول قامتي ومتانة بنيتي أشعر أنني قوية كالفتيان قادرة على فعل ما يفعله الصبيان بل مذ كنت صغيرة كان يستهويني اللعب مع الصبيان، فأمضي إلى حيث هم أجري كما يجرون، ألعب كما يلعبون أتحدث كما يتحدثون، يوماً بعد يوم كنت أبتعد عن لذاتي البنات أبغض أكثر فأكثر لعبهن وأحاديثهن.. كنت أرى نفسي أكبر من أن يسعني الخدر، وأكثر نشاطاً من أن أعيش عيش الحريم.. مثلي مثل الصبيان.. ذارعي قوية وقلبي شجاع.. ولكي أكون مثلهم رحت أقلد مشيتهم بل صرت ألبس كما يلبسون.. والدي أعجبته اللعبة."[2]

في رواية "سعيدة تاقي" "إني وضعتها أنثى"[3] نقابل مهدية، البنت الوحيدة بين أخوة من الذكور. لم تتصالح مع جسمها، وحين بدت عليها نتوءات الفتنة ما كان منها إلا أن "أدخلت رفقتها إلى الحمام شريطا قطنيا طويلا نظفته في السر دون أن تلاحقها عينا الأم... كان الشريط مثل أشرطة عديدة ملكا لأخيها رضوان، يضمد بها التواء كاحله حين يعود من مباريات كرة القدم. لفت الشريط بإحكام في ثلاث دورات غير كاملة حول ثدييها المستديرين، وأوثقته بممسك حديدي استعارته من درج الحياكة... حين استوت لاحقا في وقفتها في الطابق العلوي أمام شاشة التلفزة المطفأة، تيقنت من ذكائها وهي ترى جسدها قد استعاد شكلا مسطحا."[4]

في رواية "زوجة تختلف" لحسن الحلبي[5] نقابل هذه الشخصية الأنثوذكرية أو "أجديستيس"[1] أو جنس ثالث Shemale: "منيرة كانت تعيش تأنيب الضمير.. لقد رأت

(١) نبيذ أحمر، ص ٥٩.
(٢) الطريق إلى الشمس، ص ٣٦٥.
(٣) دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٥.
(٤) إني وضعتها أنثى، ص ٣٧.
(٥) دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٨.

الأوراق الرسمية التي تشير كلها إلى أن هناك عيبا في أعضائها التناسلية.. تأنيب الضمير كان يأتيها لأنها تعرف أن نزار سيكون زوجها بدون أن يدخل بها! زواج بدون زواج! المهم أن اللحظة الحاسمة جاءت.. فأول ما لاحظه نزار أن صدرها صغير! ثم كان نظره إلى بقية أعضائها.. لاحظ هذا التشوه غير عادي.. والحقيقة أن منظر التشوه غريب جدا.. أعضائها التناسلية تجمع ما بين شكل الأعضاء الأنثوية والذكرية في آن واحد."(٢)

المرأة المتنكرة لأنوثتها تمثلها "جودة" في رواية "مراتيج" لعروسية النالوتي. في قصة "عيناك قدري"(٣) لغادة السمان نقابل هذه الفتاة المسترجلة Tomgirl،(٤) كما نجدها في الشخصية الفدائية(٥) سواء كانت "سهير" في رواية "عصافير الفجر" لليلى عسيران(٦) والتي كتبت فيها: "لقد انخرطت بين صفوفهم بتلقائية طالما تمنتها وبسهولة لم تكن تتوقعها، لقد دفعتها الحياة معهم إلى قفزة هائلة، حطمت كل رواسب التقاليد الماضية، التي علمتها أنه من العيب أن تختلط بالشبان"(٧) أو "وردة" في رواية "صنع الله إبراهيم" التي تحمل نفس

---

(١) ابنة "زيوس" والتي ولدت ولديها العضوين.

(٢) زوجة تختلف، ص ٦٦.

(٣) مجموعة "عيناك قدري"، منشورات غادة السمان، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٢.

(٤) تسميها نازج الأعرجي بالشخصية "الأنثوذكرية"، أفق التحولات في الرواية العربية (مجموعة مؤلفين)، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٣٢. يُسمى الشاب المخنث "نانسي" Nancyوالاسم العلمي هو Anima. ميل الرجال إلى تقليد المرأة تناوله "إبراهيم الحجري" في روايته "صابون تازة": " كان شبيها بالمرأة في كل شيء، كان شديد الإعجاب بنفسه، كثير العناية بمظاهرة الخارجية، وكان يكلف والدتي، بعد وفاة أبي، مصاريف زائدة، بل كان يقتسم معها أحيانا أشياءها الخاصة: الدهون، العطر.. وكان يجالسها أثناء قدوم زائرات، كان يغريه مجلس النساء، ومع مرور الوقت أصبح ملازما لهن، وكائنا لطيفا لديهن، وأصبحت أشك فيما بعد ما زال يمتلك شيئا من الرجولة، ولعل أمي باتت تبحث له عن عريس ما." (دار رواية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١، ص ٢٧). الخنوثة حاضرة أيضا في رواية "طرشقانة" لمسعودة بو بكر، وفيها يقرر الرسام "مراد"، المجافي لجنسه والمغترب عن طبيعته، إجراء عملية جراحية في فرنسا لتغيير جنسه، ومن ثم أصبح "ندى". (دار سحر للنشر، تونس، ١٩٩٩).

(٥) راجع أيضا شخصية "زهرة" في رواية "ليلى أبو زيد" "عام الفيل" (مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٣).

(٦) شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩١.

(٧) عصافير الفجر، ص ٨٧.

الاسم.[1] "وردة" شخصية حازمة مثلها في الحياة "جيفارا" ولديها أهداف، وكان إسترجالها ضرورة لتكمل صورة المناضلة. في رواية "أنا أحيا" للكاتبة "ليلى بعلبكي"[2] نقابل المرأة المتمردة على حياتها الزوجية وأنوثتها. بطلة الرواية، "لينا فياض" تدخن وتقص شعرها الطويل وتذهب إلى السينما دون رفيق وتصاحب رجل وتتمادى في علاقتها به. في رواية "هيثم حسين" "إبرة الرعب"[3] تقول "نضال" بطلة الرواية إذا جاز الوصف أنها "أمضت ٢٣ سنة بصورة ذكر."[4] نجدها أيضا في شخصية لم تحظ بجمال كبير، وهي "نعمة حمدي" في رواية "حسيب كيالي" "مكاتيب الغرام".[5] في رواية "طفل الرمال" للطاهر بن جلون[6] يقرر أب رُزِق بثمانية بنات أن يجعل الأخيرة تنمو ذكرا في لبسها وطبعها. فرض الأب هيمنة الثامنة (أحمد) على أخواتها البنات وسلمها أعماله لتديرها، بل وزوجها بنت عمها المصابة بالصرع!

هذه الشخصية موجودة أيضا في رواية "رشيد بوجدرة" "تيميمون":[7] كانت صراء... فتاة قليلة الكلام، منطوية على نفسها، صعبة المعاشرة. وكأنها غائبة عن الوجود... عديمة التأثر... بانت لي صراء كالشخص الذي لا يهمه أمر ولا يتكلف في أمر. أو، بالأحرى، كانت الفتاة ذات شواذ وأشجان وانحرافات. وكان الناس من حولها وكأنهم يسبحون في تفاهتهم وشهواتهم بالنسبة لأنوثتها الغريبة والممزوجة بشيء من الرجولة."[8] في رواية "أنا هي أنت" للروائية "إلهام منصور"[9] نقرأ: "حين انتقلت سهام إلى المرحلة المتوسطة، أخذت تنعزل عن رفيقاتها البنات، رفضت أنوثتها، حتى قيل عنها إنها Garcon Manque وحين حاضت للمرة الأولى كان يوم حداد مرير بالنسبة إليها، لكن أمها هدأت من روعها وأفهمتها معنى

(١) المستقبل العربي، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.

(٣) ضفاف/ منشورات الاختلاف، بيروت/ الجزائر، ٢٠١٣.

(٤) ص ١٥٢.

(٥) دار الفارابي، بيروت، ١٩٥٦.

(٦) ترجمها من الفرنسية: محمد الشركي، دار توبقال، الدار البيضاء، ٢٠٠١.

(٧) دار الاجتهاد، الجزائر، ١٩٩٤.

(٨) تيميمون، ص ٢١.

(٩) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٠.

الحيض وأنها أصبحت امرأة وأن هذا الأمر طبيعي وهو حال كل الفتيات، لكـن سـهام، وإن تفهمت كلام أمها ظلت ترفض هذا الواقع، وتحولت أيام الحيض عندها إلى فـترة مـرض وألم شديد إلى أن مرت السنة الأولى وفعلت العادة فعلها وبدا الأمر المرفوض لابد منه.(١) كانـت تعبر عن ذلك بنفورها من كل لباس أنثوي، ترتدي دائما السـروال والقمـيص ولا ترتـاح إلا بالحذاء الذكوري، وأمها تتألم لأنها كانت تريد وتحب أن ترى ابنتها أنيقة، جميلة وأنثى."(٢)

وفي رواية "شخصيات حول بديعة" لمصطفى عوض(٣) نقرأ: "هذه الفتاة صـاحبة رأس المال، ورغم ما بها من جمـال وأنوثـة ولكنهـا تخفـي كـل ذلـك بتـشبهها بالرجـل في الملـبس والمسلك، حتى أن متعاملين معها ينادونها بالمعلم نجية لا المعلمة نجية، ومن ينطق ذلك عـن طريق الخطأ والنسيان لا يعلم ماذا يحدث له، على أقل تقدير ستنظر له تلك النظرة التي تكـاد أن تكون كسهم على وشك ثقب عينيه التي أرشدته عن أنوثتها."(٤)

وفي رواية "بنات الرياض" لرجاء الصانع(٥) ومنها نقرأ: "إحدى قصص رصيف خمـسة المشهورة والتي تناقلتها الأجيال في جامعة عليشة قصة أروى. هل توجد بين طالبات عليـشة من لم تسمع بأروى؟! كانـت أروى طالبـة مليحـة التقـاطيع، يميزهـا شـعرها القـصير جـدا ومشيتها المسترجلة. كان الكل يخاف من أروى والكل يطلب ود أروى. إحدى البنات تقـسم أنها رأت أروى في أحد الأيام جالسة على رصيف شـارع خمـسة وقـد ظهـر طـرف الـسروال الرجالي الأبيض من تحت تنورتها السوداء الطويلة! وأخرى تؤكـد أن صـديقة لهـا كانـت قـد رأتها وهي تلف يدها حول خصر إحدى الفتيات بطريقة مشبوهة!"(٦)

---

(١) تُعرف هذه الأعراض بـ "متلازمة ما قبل الحيض" Premenstrual Syndrome.

(٢) أنا هي أنت، ص ١٠، ١١.

(٣) حسناء للنشر، الإسكندرية، ٢٠١٥.

(٤) شخصيات حول بديعة، ص ٩١، ٩٢.

(٥) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٧.

(٦) بنات الرياض الرياض، ص ٦٩.

في رواية "موت مشتهى" لعماد شيحة تقص البطلة شعرها لأنه يفصلها عن الخلطة بالفتيان: "كان أكثر ما يثير غضبها أن يشد أحد شعرها الطويل المسترسل أو يجرها من جديلتيها المضفورتين على جانبيها، كان نقطة ضعفها وافتراقها عن الصبية..

- أمي قصي لي شعري.
- لم يا حبيبتي؟...
- إنه يزعجني!...
- لكنه جميل ويجعلك أكثر جمالا. انتظري بعد سنتين أو ثلاث ستتباهي به أمام صديقاتك وسيحسدنك على طوله وجماله ولمعانه...
- لا أريده قصيه لي!...
- اخرسي! الفتاة يجب أن يكون شعرها طويلا.

أخفت وجهها وعينيها فقد طفر دمعهما دون إرادتها. وفي الليل أمام مرآة صغيرة راحت تتأمل.. كيف ومن أين ستقصه! لكنها أطفأت النور وأمسكت بالمقص وأخذت تجزه كيفما اتفق دون عناية أو تفكر رامية الخصل الطويلة جانب سريرها شاعرة أنها ارتاحت من أعبائه إلى آخر عمرها!"(١)

عقدة إلكترا(٢)

"إلكترا" في الأساطير اليونانية هي ابنة الملك "أجاميمنون" Agamemnon والملكة "كليتمنسترا" Clytemnestra. من أوائل العقد التي تم تحليلها في الأدب "عقدة إلكترا" Electra Complex. تُسمى أيضا بعقدة أوديب Oedipus الأنثوية، وتشير إلى تعلق البنت الشديد بأبيها الذي يمثل حبها الأول ورغبتها في الاستحواذ عليه وكرهها لأمها التي تشاركها فيه وتستأثر به في أوقات كثيرة.(٣)

---

(١) موت مشتهى، ص ١٢٧، ١٢٨.

(2) Bell, Robert E. (1991). Women of Classical Mythology: A Biographical Dictionary. California: Oxford University Press. pp. 177–178.

(٣) راجع كتاب "النزوع الجنسي للأنثوي" لجاك أندريه، ترجمة: اسكندر معصب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٤٩.

الفتاة ضرة أمها كما يقولون. كل فتاة بأبيها معجبة لأنه لا أحد غيره يُشعرها بأنها أميرة. ترى الفتاة المصابة بهذه العقدة تسير خلف والدها في المنزل. تناوله أغراضه. تحضر له خفيه. تجلس بجواره وعلى حجره. تجره من يده لتريه دميتها وتشده من ذقنه لينظر إليها.

في رواية "زينب حفني" "عقل سيء السمعة"[١] تحب "وجدان" أمها وتكرهها في آن واحد، والكره هنا ربما يكون مرده الخفي لمشاعر "إلكتيرية" أو بسبب مرض نفسي ورثته عنها على نسق بيت "أبي العلاء المعري": "هذا ما جناه عليّ أبي"[٢] أو الشاعرة الأمريكية "سيلفيا بليث" والتي كتبت عن أمها "لا شيء بيننا"[٣] There is nothing between us، والعبارة يمكن تأويلها بأنه لا صلة بيننا أو لا شيء يقف حائلا دون تحقق علاقتنا، وهو مرة أخرى تأكيد لفكرة الحب والكره المختلط. من رواية "الأوبة" لوردة عبد الملك[٤] تتساءل البطلة: "لو أنك يا الله أخذت أمي وتركت لي أبي، ماذا كان سيخرب على ظهر هذه البسيطة؟"[٥]

يمكن تتبع "عقدة إلكترا" في رواية "باهية الطرابلسي" "امرأة ليس إلا" [٦] حيث تشعر "ليلى" بالغيرة من زوجة أبيها التي حلت محل أمها الراحلة وأخذت مكانها. تدور رواية "الرواية الملعونة" لأمل جراح[٧] حول مراهقة فقدت أمها ثم نسجت خيوط أحلامها حول والدها معتبرة إياه فارس أحلامها. أما رواية "لا أنام"[٨] لإحسان عبد القدوس فتدور حول فتاة مراهقة انفصل أبواها. عاشت "نادية" في كنف الأب وأصبح كل حياتها. قرر الأب

(١) نوفل - دمغة الناشر هاشيت أنطوان، بيروت، ٢٠١٥.

(٢) تناولت "سهى زكي" هذه الفكرة في روايتها "جروح الأصابع الطويلة"، دار الدار، القاهرة، ٢٠٠٨. وكتبت "نجوى بن شتوان" في روايتها "وبر الأحصنة: "يتناقل الإنسان البؤس أبا عن جد"، منشورات مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٥.

(٣) من قصيدة "ميدوسا" Medusa.

(٤) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.

(٥) الأوبة، ص ٣٦.

(٦) ترجمتها من الفرنسية: الزهراء رميح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥.

(٧) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.

(٨) دار القلم، القاهرة، ١٩٦٩.

الزواج مجددا.[(١)] نزل الخبر على الفتاة كالـصاعقة وقـررت بـدافع مـن الغـيرة عـلى أبيهـا أن تتخلص من الزوجة الجديدة فسعت إلى إيهام الأب بطريق غير مباشر بوجود علاقة آثمة بـين الزوجة الجديدة وأخيه. في رواية "تفاحة حواء" لناطق خلـوصي[(٢)] تـستغل "حـواء" مبيـت أمها التي تكرهها عند جدتها فخففت ملابـسها واضـطجعت بجـوار أبيهـا قائلـة في سرهـا: "ستكون ليلتي أنا فعلا... لن تهرب مني.. ومازلنا في أول الليل."[(٣)]

وفي مرحلة الارتباط تبحث الفتاة المصابة بـ "عقدة إلكترا" عن رجل يُشبه أباها بـشكل كبير. "فقد تنظر إلى زوجها نظرتها القديمة إلى الأب الذي كانـت تخـشاه أو تحترمـه احترامـا أعمى أو الذي كان يُرضي كل نزواتها ويغض النظر عن أخطائها ونقائصها. فهي تبحث عـن صورة الأب وتستجيب له بالأسلوب نفسه الذي كانت تصطنعه عندما كانت طفلة."[(٤)]

عقدة إيكاروس

" حين رأت منار النجوم في السماء، قالت: أريد نجمة!

قال لها أبو الأمين، وقد أجلسها على ركبتيه: النجمة بعيدة.

قالت له: نركض إليها بسرعة.. بسرعة!

فقال لها: لكنها عالية، لن نستطيع.

فقالت: نصعد على الكرسي ونأخذها!

فقال: الكرسي لا يكفي.

فالتفتت إلى برميل في زاوية الحوش، وقالت: نصعد على البرميل!

فقال: إنها أعلى.

(١) أحيانا يقرر الأب الزواج من أخت زوجته الراحلة أو ممرضتها أو صديقتها، لكن هذا لا يغير شـيئا مـن شعور الابنة المصابة بعقدة إلكترا حيال الزوجة الجديدة.

(٢) دار ضفاف، الشارقة – بغداد، ٢٠١٤.

(٣) تقاحة حواء، ص ٧٠، ٧١.

(٤) يوسف مراد، سيكلوجية الجنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٩١.

إلى السطح!

إنها أعلى.

نضع البرميل فوق السطح!

إنها أعلى بكثير.

عندي فِكرة!

وما هي أيتها المفكرة؟

قالت: أصنع جناحين وأطير!

فكرة معقولة! قال لها بفرح، وأضاف: اصنعي جناحين إذن. هل تريدين مساعدة؟!

لا، قالت له بثقة أدهشته، ثم قفزت عن ركبتيه، وراحت تحرك ذراعيها بتسارع، إلى أن أحست بأنهما تحولا إلى جناحين.

سألها: مستعدة لأن تطيري؟!

فأجابت: نعم."[١]

السطور السابقة من رواية "شرفة العار" لإبراهيم نصر الله وتؤكد على فكرة الطموح والطيران. نفس الفكرة في حد نجدها في رواية "عبد العزيز بركة ساكن" في روايته "الطواحين":[٢] "أخذ الريش ينمو على ساعدي اللذين أصبحا فيما بعد: جناحي. كان في البدء زغبا ناعما، ثم نمت الأرياش العصفورية الصغيرة البيضاء الرمادية بكثافة مذهلة، وهي تطول وتقوى، مكونة جناحين ضخمين، لهما ألوان زاهية قوية. كان صوته يأتيني مكثفاً من عمق لا سبر لأغواره: ركزّي... راقدة كنت على لحاف من الأخشاب الرطبة، مفترشة أرض المحراب بغير وسادة، رجلاي ممدودتان، مستقيمتان، يداي موضوعتان في تواز مع جسدي، أنا أرتدي ملابس القطن الدافئة، كنت عارياً تماما، كالشمس في ظهيرة ذلك اليوم، ركزي... ثم أضاف الصوت العميق السهل الساحر: أفرغي العظام، خففي وزنها حتى تصير كعظام

(١) شرفة العار، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.

الحدأة، خفيفة كالريح: تصير ريحا. الصوت المكثف العميق الواسع، يغوص في لب عظامي، فينخرها، يتجول بين مسام لحمي، تتبخر الشحوم والعضلات، والإرادة في الهواء، هواء المحراب المعطر، يكهربني، الصوت السهل المنساب في دمي: يسحرني، والآن... طيري."[١]

"إيكاروس" Icarus في الأساطير اليونانية شاب لم يكن لطموحه سقف ولا حد. وقديما قال العرب "إن طموح المرء إذا جاوز فعله نكبه" إشارة إلى الطموح المدمر. أراد هذا الرجل أن يرتقي ويطير - بالرغم من تحذيرات أبيه - بفضل جناحين من الريش ألصقهما إلى جسمه بالشمع. أذابت حرارة الشمس الشمع فهوى ولقي مصرعه. قال الإمام الشافعي "ما طار طير وعلا وارتفع / إلا كما طار وقع"، لكن يجب أن لا ننسى أن حقائق اليوم هي أحلام الأمس، وأنه لولا "إيكاروس" ما ظهر الأخوان "رايت" Brothers Wright.

لدينا صدى لهذه الحكاية في قصة "عباس ابن فرناس". استخدم وليم شكسبير شخصية "إيكاروس" في مسرحية "هنري السادس" Henry VI، كذلك فعل "كريستوفر مارلو" في "مأساة الدكتور فاوستس"ثيقغ Henryn. وتشير "عقدة إيكاروس" Icarus Complex إلى الأشخاص الذين لا يضعون حدا لطموحهم الزائد Over-ambition الذي قد يتسبب في مصرعهم كما في تراجيديا "ماكبيث" Macbeth لوليم شكسبير.

يُصاب بهذه المتلازمة الأشخاص الذين يشعرون بأنهم كالسمكة الكبيرة في حوض صغير Small Pond, Big Fish Syndromeوأنهم مقيدون وأن بإمكانهم فعل ما هو أكثر وتحقيق ما هو أحسن. السقف الحقيقي لطموحهم هو السماء أو ربما أبعد. يشعرون أن الإطار الذي يحوط بصورتهم صغير وأنهم يستحقون إطارا أكبر وحياة أفضل.[٢]

عالج "أحمد خالد توفيق" هذه العقدة في روايته "مثل إيكاروس".[٣] تدور الرواية حول "محمود السمنودي" الذي يدفع ثمن المعرفة الزائدة. أراد هتك الحجب وتعدي الحدود

---

(١) الطواحين، ص ١١.

(٢) أما الأشخاص الذين يهولون لقدراتهم زاعمين أنهم يمتلكون مهارات فائقة فيُقال عنهم أنهم مصابون بـ "متلازمة بحيرة وبيجون" Lake Wobegon Syndrome.

(٣) دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥.

فنال عقابه. خلق الله الإنسان بين منزلتين، وعليه ألا يتطلع لعالم الملائكة الشفاف بما لديهم من خواص ولا أن ينحدر لبهيمية الأنعام. الفضول والرغبة في المعرفة المحرمة هو ما أخرج أبونا آدم من الجنة. طلب المعرفة تعني إماطة اللثام عن الحقائق، والاقتراب من شمس الحقيقة يصيب الإنسان بالاحتراق. ليس كل ما يُعرف يريح القلب، و"لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم".[1] تبدأ الرواية من النهاية بمشهد مقتل "السمنودي":

- "أنت تعرف القتيل..

- بالطبع أعرف القتيل.. لكن لا أعرف ما يعرفه. لو كنت أعرف ما عرفه محمود السمنودي لكنت أتشحط في الدم مثله الآن. الجهل قد ينقذك.. ما لا تعرفه لن يؤذيك. الظلام يفيد....

- أنت تعرف القتيل..

- أعرفه وأعرف أنه مات لأنه اقترب من الحقيقة أكثر من اللازم. لم يتحمل واحترق وذاب جناحاه. مثل إيكاروس."[2]

لكن يبقى الجانب الإيجابي في القصة والذي ينبغي ألا نغفل عنه، ألا وهو: أن الله قد خلق الإنسان ليتدبر ويتأمل ويُعمل عقله، وأن من الأمانة أن يجتهد الإنسان في الوصول إلى المعرفة حتى لو نال بعض العنت والمشقة. لقد حدث هذا لصنوف من البشر على مر التاريخ. "جاليلو" Galileo مثلا قال بكروية الأرض. صحيح أن الكنيسة الكاثوليكية حددت إقامته، لكنه انتصر للحقيقة رغم أنها تسببت في عذاباته. يُعرف هذا الشعور بـ "متلازمة جاليليو" Galileo Syndrome.

عقدة جوكاستا

تشير "عقدة جوكاستا" Jocasta Complex إلى الملكة اليونانية التي مارست الحب المحرم مع ابنها أو ما يُعرف بسفاح المحارم. مارست الإمبراطورة الرومانية "أجريبينا"

---

(١) المائدة، ١٠١. الأسئلة التي يجب ألا تُطرح تُعرف بـ "متلازمة سقراط" Socrates Syndrome.

(٢) مثل إيكاروس، ص ١٣.

Agrippina الجنس مع ابنها ثمانين مرة بغية شفائه من الأرواح الشريرة التي تقمصته وأصابته بلوثة من الجنون فكان يتخيل أشياء غير حقيقية. نصحها أحد الأطباء بهذا الأمر؛ ولم يعترض الإمبراطور. لم يتماثل الابن للشفاء، بل أدمن ممارسة الجنس مع أمه التي تحولت إلى مومس لا تهدأ شهوتها إلا بعد أن يضاجعها ابنها عدة مرات تصل إلى ستة في اليوم.

تجاسرت الرواية العربية على تناول قضية "زنا المحارم" في أعمال عديدة نخص منها مثلا "ظلال الوأد" لمنيرة السبيعي[(١)] و"فياجرا الوجع" لسماح أبو العلا.[(٢)] في رواية "محمد شكري" "الشطار"[(٣)] يواقع الأب ابنته، وفي رواية "الطاهر بن جلون" "ليلة القدر"[(٤)] يستمتع القنصل بأخته: "سمعت صرخات مرتخية، متبوعة بحشرجات. رأيت... القنصل منكمشا في حضن أخته. كانت تعطيه الثدي. وكان يرضع كأحد الأطفال. لم أفلح في تبين أيهما كان يُصدر تلك الحشرجات من المتعة... وبينما كان يرضع، كانت تمسد له قدميه وساقيه... عندما رأيتهما خارجين، ملفوفين في فوطتين كبيرتين، فهمت بأن ميثاقا سريا يجمعهما حتى الموت."[(٥)]

كتب "إسماعيل النقيب": "ويكفي هذه القصة لبيان عمق المأساة التي لا يظهر منها سوى ما هو على السطح مثل جبال الجليد في البحار أكثرها تحت السطح، وقد حدثني طبيب صديق: إن إحدى الأمهات قد لجأت إليه لستر ابنتها.. وطلبت منه إجهاضها لأنها حامل.. بعد أن أخطأت مع زميل لها وعدها بالزواج ثم تخلى عنها. ولو أن أباها عرف فسوف يقتلها. ووافق الطبيب حماية للأسرة ومنعا للجريمة وتشريد أسرة بكاملها، ولكنه استمع من الفتاة بعد العملية وهي لم تتخلص بعد من أثر المخدر.. أن الذي فعل فعلته معها هو.. أخوها لأنهم سبعة من الأشقاء ينامون في غرفة واحدة، وكانت أحيانا ما تشاهد أباها وأمها في حالة حب ليلا... وفي إحدى الليالي كانت بجانبه ليلا.. وحدث ما حدث وهما بين النوم واليقظة."[(٦)]

---

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.

(٢) دار غراب للنشر والتوزيع، القاهرة.

(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠.

(٤) ترجمة: محمد الشركي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.

(٥) ليلة القدر، ص ٦٩.

(٦) الحب في الزمن الخطأ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٩، ٢٠.

علاقة أخرى بين الأخت والأخ يرصدها لنا "أشرف الخمايسي" في رواية "أهـواك":[1] "ونوارة تحب أخاها، لا تحبه حب الأخت للأخ، قلنا تحبه حب الأنثى للذكر. وفي البدء كـان الذكر، والذكر في البدء كان جلدة طرية لا تتجاوب مع اللعب، لكنه مـع طـول المـراودة بـدأ يشتد، وبعد خمس سنين صار يضرب في الهواء حاملا ثمرة فراولة حمراء صغيرة، ونوارة تحـلي لياليها، تضع ثمرة الفراولة داخل فمها وتمصها، وثمرة الفراولة لا تعطيها عصيرا... وحبيبي أخي، قمر السماء، قمر سمائي، نور حياتي، لا أعـرف كيـف أتزوجـه، لكـن أعـرف كيـف لا أتزوج، وأعرف كيف أبقى له."[2]

لكن الرواية العربية ظلت تقدم رجلا وتؤخر أخرى أمام معاشرة الأم لابنهـا. غالبـا مـا يأتي هذا النموذج عن طريق القدرية وعـدم معرفـة الطـرفين كـما في أسـطورة "أوديـب" أو بالإيحاء أن هذه المعاشرة ربما كانت تحـدث مـع غيـاب الـدليل القـاطع عـلى وقوعهـا كـما في "السراب" لنجيب محفوظ بين "كامل" وأمه الـذين تقاسـما الفـراش. ربـما اعتقـدت الأم أن الجنس هو استمرار للرضاعة وأن الطفل لا يكبر في عينيها وأنها بذلك تحـتفظ بـه لنفـسها أو تحافظ عليه طاهرا من نزق الأخريات!

قد تتم المعاشرة أيضا في قالب غرائبي يموه عليك الحقيقة والخيال كـما في روايـة "أمـس انتهينا". تبدأ الرواية بتقديم إشارات ملتبسة حول وجود هذه العلاقة: "تنهدت أمـي تنهيـدة طويلة، ثم اقتربت من صدري وراحت تشم ملابسي وتوشوشني:

- هل أنت جائع؟
- قليلا... ماذا لديك؟
- بابريكا.
- الرحمة يا أمي، ألا تجيدين غير هذه الوجبة الحارقة؟!...
- ألا تعلم أن الأكل الحار مفيد للرجل؟...

---

(١) دار الربيع العربي، القاهرة، ٢٠١٥.
(٢) أهواك، ص ٥٨، ٥٩.

عادة ما كنت أمسك بتنورتها دائما حتى أشعر بالأمان ومن شدة خوفي أن أفقدها... لكنها حين كفت عن ارتداء جواربها أمامي، ضاع مني الكنز تماما مثل جودر الصياد في ألف ليلة وليلة.

- تُندي.. هل أخلع لك الحذاء وأدلك أصابع قدميك؟
- لا.. فقدماي دافئتان.
- رقبتك إذن؟
- لا.
- هل أمشط لك شعرك؟
- لا.
- هل أضع لك طلاء الأظافر الأحمر الذي تحبينه؟
- لا."[1]

تمضي الرواية ليكتشف "مصطفى" في النهاية أن "برينا" الفتاة التي نام معها غير مرة هي أمه "تندي"، وأنه ربما لا وجود أصلا لتلك الفتاة "برينا": "أنكرت وجودي والزمن الذي يمضي حولي والأماكن التي أعرفها. لابد أنني أشاهد عرضا سخيفا. بدأت أشك في أني مجنون أو ممسوس أو مريض نفسيا؟... قررت أن أواجه أمي بكل شيء. قررت أن أبث لها هواجسي وظنوني. قررت أن أحسم معها هذه الأمور الملتبسة. قررت أن أبرأ من الهوى ومن الجنون. أتت تُندي في موعد الزيارة. ناولتها الأوراق والصورة؛ ولم أنبس ببنت شفة، فأخذتهم في صمت! خرجت بعد يومين من المستشفى. رافقت تُندي بالقطار إلى بودابست. لم أتكلم نهائيا واكتفيت بالنظر عبر النافذة إلى المروج الخضراء فتارة أرى برينا تلهو بها وتارة أرى كائنا ضبابيا عجيبا يتشكل كالذي ظهر لتشايكوفسكي قبل أن يكتب سيمفونيته السادسة المحيرة... قبلت تُندي خدي. نظرت إليّ ولسان حالها يقول: أنا فرحك وحزنك

(١) أمس انتهينا، ص ١٤، ٣٤.

وقربك وبعدك ويقينك وشكك وحبك وكرهك وجنتك ونارك وشموخك وانكسارك... بدأت قطرات المطر تسقط فوقنا على استحياء. أشارت أمي إلى أنه يجب علينا العودة لمرسى القوارب. تذكرت برينا وكيف كنت ألهو معها تحت المطر بالمحمية. تذكرت الصورة التي التقطها لها أمام قصر فرساي المجر فأخرجت هاتفي لألقي نظرة عليها. كانت الصورة ما زالت موجودة، لكن برينا لم تكن بها. نعم... لقد كانت تندي هي من تقف أمام القصر! لا بأس... فقدت القدرة على الاندهاش كما قلت لكم. لتكن مشيئتك يا أمي. وضعت الهاتف في جيبي ومددت يدي دون أن تشعر تُندي فأخرجت القلب الكريستال وتركته يسقط في الدانوب كما سقطت إيزادورا في النيل. أحسست أن المياه بالكامل قد خُضبت بلون القلوب. هطلت دموعي من جديد وتساقطت في مياه النهر ليحملها في جريانه إلى بلجراد وسيليسترا وسولينا وإلى حيث تعيش حبيبتي الجنية الصغيرة."[١]

وأخيرا في موضوع معاشرة الأم لابنها أو العكس نقول أنه يمكن أن يستخدم الشكل العجائبي مع تأثير مغيبات العقل كالمخدرات والخمر. في هذه النقطة كتب "محمد نعيم الحمراني" في روايته "الهروب إلى اليابسة":[٢] "هناك في المدن الكبيرة، تعيش النساء شبه عاريات والرجال غارقون في الخمر والمحارم وكنت أمضي أيامي سابحا في بحر من الخمر، أجالس النساء حتى الصباح، ارتكبت أشياء كثيرة، أسرق أصدقائي وأسلب كل من في طريقي. في أحد الأيام لا أعلم كم احتسيت من العرق، دخلت منزلنا، لا أعلم أنها أمي مزقت ثيابها، ضربتها بشدة حتى سال دمها عندما استيقظ أبي، أخرج مسدسه وسدد إلى رأسي ثلاث رصاصات. بكت أمي بشدة بجوار جسدي وبعد سبعة أيام من دفني، شعرت بحرارة تسري فيّ.. تريد أن تفجر الأوردة، تريد أن تفجر المخ وتسير إلى الأقدام، إنني ما زلت حيا،[٣] هذا ما اكتشفته، نفضت التراب عن جسدي وخرجت."[٤]

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤٥، ١٤٥.
(٢) دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢.
(٣) راجع "متلازمة لازاروس".
(٤) الهروب إلى اليابسة، ص ٧٨.

عقدة فيدرا

مازلنا نتحدث عن سفاح المحارم. قلنا أن "عقدة جوكاستا" تركز على العلاقة الآثمة بين الأم والابن، أما "عقدة فيدرا" Phaedra Complex فتُشير إلى زوجة الأب التي تقع في حب ابنه. تزوجت "فيدرا" من "ثيسيوس" Theseus وأحبت ابنه "هيبولوتس" Hippolytus، وعندما صدها أوعزت إلى أبيه بقتله.

في رواية "محمد البساطي" "فردوس"[1] نقابل امرأة ثلاثينية متزوجة من رجل دائم الغياب. تنشأ بينها وبين ابنه علاقة ملتبسة. الابن، "سعد" في طور البلوغ ينظر إلى "فردوس" نظرات اكتشاف ممزوجة بنظرات اشتهاء، وزوجة الأب تملك جسدا فائرا يحتاج لمسات دافئة أو على الأقل نظرات تمجد منحنياته وكنتوراته. ولأن "فردوس" تملك نفسا لوامة، ولأن "سعد" لا يملك جسارة الفعل، فقد اكتفت زوجة الأب بالمتعة في الحلم. هذه المتعة المبتورة تتحول إلى علاقة كاملة في رواية "هشام مطر" "اختفاء"،[2] فبعد اختفاء الأب يطلق الابن العنان لرغبته المكتومة في ممارسة الحب مع زوجة أبيه.

زوجة الأب في رواية "أنفي يطلق الفراشات" تلصق تهمة التحرش بالابن، ربما لأنها لم تنل منه ما أرادت أو لأنها أرادت أن تُلقي به في الشارع: "توفيق.. توفيق وتضربني بكعب حذائها؛ هكذا توقظني زوجة أبي... تزوجها بعد طلاق أمي مباشرة... قادرة على تغيير شخصيتها كما يتغير ماء النهر... منذ زواجها من أبي في يوم شتائي ممطر وهي توجه نحوي تهما لا علاقة لي بها. وفي صباح يوم ما أطلقت صراخها كبركان فاجتمع الناس حولنا. كان أبي من ضمن المجتمعين مندهشا عائدا مذعورا من عمله... بعد ذلك حدثته ببطء وهو يوجه نظراته المتفحمة نحوي."[3]

وربما من المناسب أن ننهي هذا الجزء بأبيات من قصيدة "عبد الله الفيصل" والذي انتصر فيها للابن لأنه لم يصدق أن ابنه، فلذة كبده، يخون عهده مع زوجته الشابة:

---

(١) دار بيروت، القاهرة، ٢٠٠٢.

(٢) ترجمة: محمد عبد النبي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٢.

(٣) محمد نعيم الحمراني، دار ألواح، مدريد، ١٩٩٩، ص ١٥.

أكاد أشك في نفسي لأنـــــي أكاد أشك فيك وانت مـــــني
يقول الناس إنك خنت عهـدي ولم تحفظ هواي ولـــــم تصني
يكذب فيك كـــل الناس قلبي وتسمع فيك كل الناس أذنـــي
وكم طافت عليّ ظلال شـــــك أقضت مضجعـــي واستعبدتني
على أني اغالـــط فيك سمعـــي وتبصـــر فيك غـير الشك عيني
وما أنا بالمصـــدق فيك قـــولا ولكـــني شقيت بحـــسن ظني

عقدة نارسيسيوس

كتـب "سـيف الإسـلام بـن سـعود" في روايتـه "قلـب مـن بـنقلان":[1] "كـم نحـن نرجسيون.. وكم نحب ذواتنا... يُخيـل لأكثـر النـاس أن الزمـان بـدأ بهـم وأن لا تـاريخ إلا تاريخهم وأن مسيرة البشر بدأت بصرختهم الأولى."[2]

تشير "عقدة نارسيسيوس" Narcissus Complexأو "العقدة النرجسية" أو النرجسية Narcissism إلى الحـب الـشديد للـنفس والتبـاهي والاغـترار بهـا والأنانيـة والخـيلاء Egomania. تُعرف العقدة أيضا بـ "متلازمة شاؤل" Saul Syndrome نسبة إلى أول ملوك بني إسرائيل الذي أورده القرآن باسم "طالوت". يُشار إلى هـذه العقـدة أيـضا بــ "متلازمـة ساحر أوز" Wizard of Oz Syndrome كما ظهرت أعراضها على شخصية الملكـة الـشريرة في قصة "بيضاء الثلج" Snow White، كما تُعرف أيضا بـ "متلازمة بيبي ليبـو" Pepe Le Pew Syndrome نـسبة إلى هـذه الشخـصية الكرتونيـة الفرنـسية. تـصيب المتلازمـة أيـضا الأشخاص الذين يشعرون بـأهميتهم الزائـدة في مؤسـسة مـن المؤسـسات، وأنـه بـدونهم لا يستقيم العمل فهم الذين يملكون الخيوط كلها في أيديهم وهم مـن يعرفـون مفـاتيح وأسرار العمل. وهكذا تتفاوت الحقول الدلالية التي ظهرت فيها النرجسية كما يلي:

---

(١) دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٤.

(٢) قلب من بنقلان، ص ١٤.

جدول رقم (٣)

عقد ومتلازمات النرجسية

"عقدة نارسيسيوس" Narcissus Complex	أسطورة إغريقية
"متلازمة طالوت" Saul Syndrome	شخصية دينية
"متلازمة ساحر أوز" Wizard of Oz Syndrome	قصة للأطفال
"متلازمة بيبي ليبو" Pepe Le Pew Syndrome	شخصية رسوم متحركة فرنسية للأطفال

عودة لقصة "نارسيسيوس" نقول أنها قصة الفتى الذي فُتن بجماله ووقع في حب ذاته.(١) وكما تروي الأسطورة الإغريقية القديمة، كان هذا الشخص يتميز بمظهر جميل. في أحد الأيام شاهد انعكاس صورته في ماء البحيرة، لكنه لم يستطع الوصول إليها فتملكه اليأس. يُقال أنه هلك في البحيرة وتحولت قطرات دماءه إلى زهرة النرجس.(٢)

من أجل ذلك ربما ينهر الأب ابنه في رواية "يحيي يخلف" "تفاح المجانين"(٣) عن النظر في المرآة: "كان والدا عابسا، فإذا جمعت شفتي وأطلقت صفيرا في لحظة صفاء ينتهرني، ويقول أن الصفير يجمع الشياطين كما أنه كان ينتهرني إذا أطلت النظر في المرآة، ويقول أن على المرء ألا يعجب كثيرا بنفسه، لأنه إذا أُعجب بنفسه أصبح متغطرسا."(٤) شيطان المرايا موجود في رواية "امرأة في المنام" لمحمود أبو عيشة:(٥) "يطل عليها في المرآة، وهي صبية تتأمل مفاتنها الشابة، يبتسم لها مغذيا حسا نرجسيا، تتحسس ضفائرها الطويلة الفاحمة بزهو... ترى نفسها جميلة، جميلة الجميلات، تدور حول نفسها في المرآة."(٦)

قدمت "هيفاء بيطار" الأنثى النرجسية المغرورة المتعالية التي تشعر بأهميتها في رواية "امرأة من طابقين".(٧) بطلة الرواية، "نازك" حائرة بين طابقين: الماضي والحاضر، الطهر

(١) عالج "محيي الدين عارف" هذه العقدة في فيلم "المراية"، ١٩٧٠.

(2) Moore, N. E., Toward a Clarification of the Concept of Narcissism, The Psychology Study of the Child, Vol. 30, 1975, pp. 243 – 276.

(٣) دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢.

(٤) تفاح المجانين، ص ١٤.

(٥) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.

(٦) امرأة في المنام، ص ١٥.

(٧) مكتبة بالميرا، اللاذقية، ١٩٩٩.

والعهر، العقل والقلب، لكن نرجسيتها أسقطتها في الخطيئة وحطمت حياتها. في رواية "كوليت خوري" "ليلة واحدة"[(١)] نقابل "رشا"، شخصية لديها أنا متضخمة. تقول في متن الرواية: "أنا موضع البحث والاهتمام. أنا سر الفرحة"[(٢)] في ترديد لصدى صوت "عشتار": "أنا إينانا، دافئة الأطراف قد استحممت. بالعنبر ثغري قد طليت، بالكحل عيني قد صبغت."[(٣)]

في رواية "يوسف عز الدين عيسى" "عواصف"[(٤)] نقرأ: "كانت الشغالة الجديدة، واسمها خواطر، في أوائل العشرينيات من عمرها، قوية مليحة الوجه... ولم يكن يضايق الأب من خواطر سوى كثرة وقوفها أمام المرايا، فهي لا تمر على أية مرآة أو أي سطح يعكس الضوء دون أن تنظر ولو نظرة خاطفة لترى صورتها أو تصلح خصلات شعرها."[(٥)] كما كتب "محمود دهموش" في روايته "ثمن الأحلام"[(٦)]: "تأملت ناهد ثوبها الموشى في المرآة.. دارت حول نفسها نصف دورة في محاولة لرؤيته من الخلف وسألت شقيقها وهي تكاد تتيه فخرا بالثوب: ألا ترى أنني سأكون أكثر البنات أناقة في حفل زفافك."[(٧)]

تبحث المرأة عن صداقة المرآة دائما منذ استواء عودها وحتى انحناءه.[(٨)] في مرحلة مبكرة مع تفجر أنوثتها وخروج براعمها أو ربما في مرحلة سابقة عن ذلك. كتبت "شيرين سامي" في "قيد الفراشات":[(٩)] "وقفت أمام المرآة تتفحص جسدها وربما لأول مرة تتعرى أمام المرآة، وتلاحظ الانتفاخ الصغير الذي طرأ على نهدها فاستوى كحبات البرتقال السكري

---

(١) المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٠

(٢) ص ٢٨.

(٣) صموئيل كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة: نهاد خياط، مطبعة علاء الدين، دمشق، ١٩٩٣، ص ١٣٥.

(٤) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.

(٥) عواصف، ص ١٩١.

(٦) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٧) ثمن الاحلام، ص ٢.

(٨) ظاهرة نظر المرأة الأربعينية والخمسينية في المرآة ملتاعة ومرتعبة من مظاهر الشيب يُعرف بـ "متلازمة الفزع من المرآة في منتصف العمر" Mid-life Mirror Angst Syndrome.

(٩) دار نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

الصغير، والالتفاف الغريب الذي لف جسدها، فخصرها يكاد ينثني من نحافته التي تنتهي بانتفاخ آخر أكبر، لأول مرة تفكر في جسدها وتنشغل به، تلمسه برهبة وكأنه شيء مقدس. تفكر في مواطن جماله واستدارته، وفي أي مشد صدر سيناسبها أكثر."[1] ومن رواية "الكودية" لنبيل راغب نقرأ هذه الكلمات: "لم تكن في قريتها مرآة لترى فيها نفسها سوى المرآة الصغيرة الكالحة المشروخة التي كانت أمها تستخدمها في التقاط شعيرات وجهها. أما في بيت نسيم فوجدت أكثر من مرآة بطول القامة، وكثيرا ما انتهزت فرصة خلو الشقة لتتعرى كما ولدتها أمها وتتأمل المرتفعات والمنحنيات. وتداعب الشعيرات المتكاثفة أسفل البطن وأعلى الفخذين فتشعر بتوتر لذيذ يكاد يمزج جسدها إربا."[2]

المرآة النرجسية حاضرة أيضا في رواية "زينب حفني" "لم أعد أبكي":[3] "دلفت إلى الحمام الكائن داخل غرفة نومها، وقفت أمام المغسلة، أخذت تتأمل ملامحها بإعجاب. ابتسمت بغنج. تدرك كم هي فاتنة: شعرها الكستنائي المتموج يغطي سحابة ظهرها؛ وجهها الأنثوي الجذاب؛ حاجبيها الكثيفان المرسومان بعفوية؛ عيناها الواسعتان المغروس فيهما فصان عسليان؛ شفتاها المكتنزتان؛ أنفها الشامخ الصغير؛ بشرتها الغضة، البضة؛ جسدها الملفوف النحيف؛ طولها الفارع؛ نهداها البارزان؛ مشيتها المتبخترة."[4] كما أنها موجودة أيضا في رواية "نبيل راغب" "بنات مصر الجديدة"[5] ومنها نقرأ على لسان البطلة: "خرجت من البانيو كحورية بزغت من بين أمواج المحيط. ارتديت أبهى ما عندي من ملابس. كان فستاني أحمر يحيط خصره الدقيق حزام أسود لامع مع حقيبة وحذاء من نفس الجلد واللون. أما جدائلي الذهبية فتركتها تنساب على كتفي في شقاوة وهج الشمس. جففت جسدي الذي تأملت كل هضابه، ومنحنياته، وجباله، وبراكينه، وقممه، ودهاليزه، وكهوفه الرطبة المبتلة، وغابته بشجيراتها الغضة الرقيقة التي لم تتعرض بعد لهبات الرياح الساخنة أو فيضان الينابيع المتدفقة! ظللت أدور عدة مرات أمام المرآة."[6]

(١) قيد الفراشات، ص ٢١.
(٢) الكودية، ص ١٠.
(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٤.
(٤) لم أعد أبكي، ص ٩.
(٥) مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٠.
(٦) بنات مصر الجديدة، ص ٣٢.

وصحيح أن المرآة لا تكشف إلا المظهر الخارجي، لكنها تعكس الزهو والخيلاء والإعجاب بالنفس. من رواية "حجي جابر" "لعبة المغزل"[(١)] نقرأ: "أمام المرآة، مررت إصبعها على حواف شفتها العليا، وهي تضبط مسار أحمر الشفاه. أزاحت غرتها يمينا... ثبتت قلادتها بحيث تنتهي عند فتحة صدر فستانها الأصفر الطويل. كانت مزهوة بفتنتها الطاغية، تحب لونها الخلاسي اللاهب، وقوامها الفارع النابت من عمق التراب الأفريقي. مغرمة هي باستدارتها السافرة، وانحناءاتها الغَنِجة. وكانت ممتنة لمرآتها القادرة على استدعاء كل هذا البذخ دفعة واحدة. أطالت النظر. هذه المرة لم تكن تنظر إلى نفسها، كانت تنظر إلى المرآة، إلى الكائن الذي يشاركها غرفتها الضيقة ذي النافذة الوحيدة، وعوارض السقف الخشبية. كان يستهويها دائما أن تنسج حوارا صامتا مع مرآتها."[(٢)]

ومن النرجسية الأنثوية إلى النرجسية الذكورية، أصل الأسطورة، نرصد حضور المرايا من جديد: "تأملت نفسي في المرآة بفخر. شعري الناعم المصفف مع الخصلات التي قد تنكفئ على جبيني من حين لآخر فتزيدني وسامة. عيناي العسليتان الواسعتان. أخذت أختبر نظرتها الناعسة التي أعرف تأثيرها التي أعرف تأثيرها على المعجبات. الساعة الـ Casio التي تزين معصمي، وبذلتي الـ Calvin Klein الفضية تلمع عليّ. أخذت أختبر تعبيرات وجهي في المرآة... تأملت قائمة عطوري المتراصة على التسريحة، ثم مددت يدي واخترت عطر Fahrenheit Dior... غمرت وجهي وكتفي وتحت إبطي برشات متتابعة."[(٣)] في رواية "حرب الخشب" لهند هيثم[(٤)] نقابل "عبد الله" وهو شخص مفتون بشعر رأسه، ويسرف في العناية والزهو به. في رواية "حوض الشهوات" لمحمد اليحيائي[(٥)] لا ينظر البطل في المرآة، بل يعيش فعليا داخلها: "من أنا سوى رجل يعيش في مراياه... ويوم خرجت من مراياي اصطدمت بالهواء."[(٦)]

---

(١) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٥.

(٢) لعبة المغزل، ص ١٠.

(٣) أحمد عبد المجيد، عشق، نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ص ١٢.

(٤) مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٣.

(٥) دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٥.

(٦) حوض الشهوات، ص ٣٤.

عقدة هريكليز

"عقـدة هريكليـز" Heracles Complex هـي عقـدة الأب الـذي يـشعر بـأن أولاده يقاسمونه اهتمام وحب زوجته، وأنهم أنداد له، لذا يسعى إلى إقصائهم وإبعادهم أو التخلص منهم ولو حتى بالقتل Filicide. هذه العقدة تصيب العديد من الآباء بعد إنجاب الأبناء، بل وقد تشمل الآباء الذين يطلبون من زوجـاتهم عـدم الإنجـاب مطلقـا أو تـأخيره لفـترة كـي يستمتعوا بحياتهم أو يبنوا لهم مستقبلا مـضمونا. بعـض الأزواج قـد يـتمادي فيطلبـون مـن زوجاتهم إجهاض أنفسهن كما طلب "سليمان" من "منى" في رواية "خارج الجـسد" لعفـاف البطاينة،[١] وحتى إذا تعذر الإجهاض لا تجده متحمسا للأطفال. كتبت "سعاد سليمان" على لسان بطلة روايتها "آخر المحظيات":[٢] "كان يتعمد أن يسافر قبل ولادتي بأسبوعين، ويعود بعدها بعشرة أيام وربما أكثر، لا ألمح في عينيه لهفة أو إقبال على الاحتفال بالمولود."[٣]

هذا وتعتبر هذه العقدة المقابلة لعقدة "أوديب"، فبدلا من كره الولد لوالده يكره الوالـد ابنه. عالج "عبد الحميد جودة السحار" هذه العقدة في رواية "الحفيد".[٤] كتب يصف اغتمام "شفيق" حين علم بحمل زوجته "نبيلة": "وظل وجه شفيق مسودا وهو كظيم ولـولا بقيـة من حياء لعض أنامله من الغيظ. وخرجت نبيلة، ولمـا رأت زوجهـا قـرأت في وجهـه الحـزن فسارت مطرقة وإن كانت تفكر في العاصفة التي ستهب إذا خلا كل منهما بـصاحبه. وعـادوا إلى السيارة صامتين وانطلقت بهم وهم في شرودهم، وظل شفيق ونبيلة يغشاهما وجوم حتـى إذا ما أغلق عليهما باب شقتهما انفجر شفيق في غيظ."[٥]

تعطينا "وفاء عبد الـرحمن" تفاصـيل أكثـر في روايتهـا "رغبـات شـيطانية":[٦] "عـاش طفولته حرمانا أسقط روحه، يتلهف لحظة رضا من والد يبني الوقت بقسوة، يشده من فراشه بعنف وقت صلاة الفجـر، وحـين يـراه يلعـب بـشقاوة مـع أختـه الـصغرى، وحـين يـأمره

(١) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٤.
(٢) دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢.
(٣) آخر المحظيات، ص ٢٨.
(٤) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٣.
(٥) الحفيد، ص ٨٩.
(٦) فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، ٢٠١١.

بالمذاكرة! شعر في كثير من المرات أن والده يحقد عليه، لم يتمكن من نزع صورته يهدده بعد أن يضربه وهو في الخامسة من عمره: إن بكيت نزعت لسانك وعلقتك على الجدران."[1]

الأم المنصرفة إلى الأبناء على حساب الزوج هي من تخلق لدى الأخير الاستعداد للإصابة بهذه العقدة. الأم هي من تستطيع ببعض الحنكة والفطنة أن تكون المعادل الموضوعي في التفاعل بين الأب والابن وأن توازن بين كفتي الميزان. في رواية "تغريبة بني حتحوت" يقدم لنا "مجيد طوبيا"[2] نموذج لهذه الزوجة التي تهمل زوجها وتكرس نفسها للطفل وحسب، الأمر الذي قد يخلق أوضاع مختلة وتعقيدات غير محببة، ومن روايته نقرأ: "ثم أنها نفرت من الحبل والولادة وعافت الجنس، وصارت ترفض حنان زوجها، ونذرت نفسها لرعاية وحيدها الذي أصبح البكري وآخر العنقود معا، وبقيت ممتنعة على زوجها، فكتم حزنه في نفسه وجنح إلى الصبر عدة أسابيع ثم عاد يطلبها في الفراش فخجلت واستسلمت من غير رغبة، فلما شعر بها باردة مرتعشة امتنع."[3]

عقدة أوديب / عقدة لايوس / عقدة أوريستيس

شكل رقم (١١)

عقدة أوديب في مقابل عقدة إلكترا



(١) رغبات شيطانية، ص ٨.

(٢) دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨.

(٣) تغريبة بني حتحوت، ص ١١.

تشير "عقدة أوديب" Oedipus Complexإلى تعلق الابن بالأم بشكل غير عادي وغيرته من أبيه وحنقه عليه لأنه ينافسه في حبها وينازعه فيها ويقاسمه إياها.[١] حين يكبر هذا الصبي وينوي الزواج يختار فتاة تذكره بأمه، وقد تفشل علاقاته بالجنس الآخر بسبب تمزقه وتشتته بين أمه وزوجته.

يرى "فرويد" أن هذه العقدة هي العقدة الأم KernKomplex[٢] وأنها من أهم العقد النفسية قاطبة. "تحتل عقدة أوديب، إذن، مركزا بالغ الأهمية إلى أبعد حد في عمل فرويد. فهي ليست مجرد عقدة بين العقد؛ إنها بنية العلاقات التي نصبح من خلالها ما نحن عليه."[٣] الأب في الأسطورة هو "لايوس" Laiusحاكم طيبة والأم هي "جوكاستا" Jocasta. أخبر العراف "لايوس" بأن ابنه القادم سيقتله ويتزوج أمه.[٤] أخذ الملك الرضيع، "أوديب"، وطلب من أحد الرعاة قتله بعيدا.

نتوقف هنا لنقول أن الأب الذي يرغب في الفتك بابنه هو مصاب بعقدة "لايوس" Laius Complex. وتمتد العقدة لتشمل الملك الذي يقتل ولي عهده والحاكم الذي يتخلص من نائبه وهكذا الأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ.[٥] "سليمان القانوني" مثلا قتل ابنه وولي عهده "مصطفى"، كما قتل ابنه "بايزيد". وقيل أن "بيبرس" هو من تخلص من "قطز" إلى آخره. ونجد هذه العقدة في رواية "محمد جبريل" "اعترافات سيد القرية"[٦] والتي يقوم فيها

(١) في روايته "طوق الطهارة" استنبط "محمد حسن علوان" مصطلحا جديدا للإشارة إلى تعلق الابن الشديد بأبيه وهو "حالة أوديب أبوية" (دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٨٢). ومن أعراض هذه الحالة رغبة الأب أن يقتفي الابن أثره في الوظيفة ويضرب على منواله في شتى مناحي الحياة، وهو ما عبر "جلول قاسمي" في روايته "سوانح الصمت والسراب" بقوله: " فكان صهيب كما أراد أبوه لا كما أراد"، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٣، ص ٣٥.

(2) Maud Ellmann (editor), Psychoanalytic Literary Criticism, Longman, London, 1994, p. 11.

(٣) بول روزن، الحريم الفرويدي، ترجمة: ثائر ديب، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٥، ص ١٣.

(٤) لاحظ التشابه بين هذه الأسطورة وقصة إبراهيم وإسماعيل وكذا الفرعون وموسى.

(٥) إذا قلبنا الآية، أي الابن الذي يتمرد على والده فتسمى بـ"متلازمة أبسالوم" Absalom Syndrome. و"أبسالوم" هو أحد أبناء نبي الله "داوود".

(٦) دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٤.

"زاومخو" بتقديم ابنه كقربان للفرعون طلبا للأراضي والسؤدد. أما الابن أو النائب أو ولي العهد أو رقم "اثنان" بشكل عام الذي يرنو إلى التقدم درجة للأمام فيُقال عنه أنه مصاب بـ "متلازمة الأمير شارلز" Pirnce Charles Syndrome، والإشارة هنا لولي عهد إنجلترا الذي غزا الشيب رأسه ولم يجلس على العرش.

نعود إلى "أوديب" فلقد خالف الراعي رغبة الملك وأعطى الطفل لملك "كورينثا"، "بوليبوس" الذي لم يُرزق بطفل فنادى به وليا للعهد. شب "أوديب" محبا لأمه وأبيه. عرف حين استقرأ طالعه أنه سيقتل أبيه ويتزوج أمه ففر من "كورينثا" حتى يدرأ هذه النبوءة ويبطل مفعولها. قابل في الطريق الملك "لايوس" فنشاجرا وقتل "أوديب" أباه الحقيقي دون علم منه. ثم حدث أن تخلص "أوديب" من الوحش الذي كان يتربص بطيبة ففرح لذلك أهلها ونصبوه ملكا عليهم وتزوج من "جوكاستا" أمه وهو يجهل ذلك. نزل الوباء بطيبة وكشف العرافون عن السبب وظهر الراعي، صاحب لحظة التنوير Piffany، ليؤكد القصة. وهكذا سار "أوديب" في طريق مرسوم غير قادر على معاندة مصيره وما كُتب عليه. فقأ عينيه وغادر "طيبة" هائما على وجهه.

عقدة "أوديب" موجودة بقوة في أعمال عدد كبير من الكتاب في شتى أرجاء المعمورة. ربما من المناسب أن نخص منهم "هاملت" الذي حصر "إبراهيم العريس" ١٢٠ اقتباسا مباشرا ومعلنا له في أكثر من ثلاثين بلدا.[(١)] فسر الدكتور "فائق مصطفى" والدكتور "عبد الرضا علي" أوديبيته على هذا النحو: "لا يستطيع أن يثأر لأبيه من أمه وعمه اللذين قتلا الأب. فهاملت لم يقتل الأم لأنه كان يحمل في لاشعوره تجاهها عاطفة آثمة مكبوتة. كما لم يقتل العم لأنه لو قتله فكأنه يقتل نفسه. وهكذا يظل في مترددا بين الإقدام والإحجام. ويتظاهر بالجنون حتى يعفي نفسه من القيام بواجب الثأر."[(٢)] هذا بينما يرى آخرون أنه كان مصاب بالنورستانيا Neurasthenia أي "خور الأعصاب".[(٣)] أما الدكتور "عادل صادق"

(١) من الرواية إلى الشاشة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٥.

(٢) في النقد الأدبي الحديث – منطلقات وتطبيقات، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص ١٧٧.

(٣) لوك بنوا، إشارات، رموز وأساطير، ترجمة: فايز كم نقش، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٠١.

فقد كتب عن أزمة "هاملت": "كان يعاني العقـدة الأوديبيـة وتمنـى لاشـعوريا مـوت أبيـه. ولسوء حظه كان عمه على علاقة بأمه وقتل أباه فعلا. لقد ارتكب هذا العم جريمتين في حـق هاملت، قتل أباه وأفسد أمه. المتوقع مـن هاملـت أن يقتـل عمـه انتقامـا، لكنـه لم يفعـل.. لم يستطع. إن عمه خلصه من منافسه وهو أبوه الذي كان يشعر بـالغيرة منـه ويتمنـى زوالـه... ولقد عجز عن أن يتخلص من أبيه ولكن عمه أدى المهمة بالنيابة عنه."[1]

اقترب "هشام غرابية" في رواية "المقامة الرملية" من عذاب "هاملـت". بطـل الروايـة، "الخميس ابن الأحوص" يبحث عن أمه "الثريا" التـي اختطفهـا قاتـل أبيـه "عبـاس". وفي خضم هذا يصنع لأمه تمثال من التبر ليجسد حبه "الأوديبي" لها.[2]

"د. هـ. لورانس" D. H. Lawrence هو صاحب رواية "أبناء وعـشاق" Sons and Lovers، وهي رواية مصبوغة بألوان السيرة الذاتية للكاتب نفسه.[3] إن العقدة النفسية التي تولدت لدى لورانس نفسه (بول Paul في الرواية) كان سببها تعلقه الزائد بأمـه والـذي أثـر بالسلب على أي علاقة مع امرأة أخرى. كان ممزقا بين أمه وبين أي امرأة أخـرى. كـان شـبح الأم يقف بينه وبين كل فتاة تجذبه نحوها. لسان حالها يقول:

سأقذف بك إلى أعماق المحيطات،

لكنك ستنتهي إلى شاطئي

كرسالة بحر.

سألقي بك إلى عنان السماوات،

لكنك ستحط على نافذتي

---

(١) الغيرة القاتلة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١١٩.

(٢) فاطمة بدر، "تحولات السرد في روايات مـا بعـد الحداثـة"، مجلـة الأكـاديمي، عـدد ٤٦، كليـة الفنـون الجميلة، جامعة بغداد، ص ٩٨، ٩٩.

(3) Yan Liu, Oedipus Complex in Literature Works, Journal of Language Teaching and Research, Vol. 2, No. 6, pp. 1420-1424, November 2011 © 2011 Academy Publisher in Finland .

كحمامة زاجلة.

سأطلقك في أزحم الطرقات،

لكنك ستهيم وتعود لعتبة بابي

كقطة أليفة.(١)

يظل "بول" رهن حبس أمه التي توهمه أنها تمنحه الحرية، لكنها في الواقع تطلقه بينما تمسك بالحبل الذي يعيده لها ثانية. مر بعلاقات متعددة انتهت كلها بالفشل. تطرق "عزت الأمير" لهذه الفكرة في روايته "رغبة سرية".(٢) بسبب الأم في هذه الرواية يصرح البطل أن "مشكلته أنه عاجز دائما عن امتلاك عشيقته."(٣)

خلال الموسم المسرحي لعام ١٩٢٦ / ١٩٢٧ حظيت مسرحية "الحبل الفضي" Silver Cord للكاتب الأمريكي "سيدني هاورد" Sidney Howardبشهرة كبيرة. جاءت المسرحية كصدى صوت لرواية "لورانس" وفيها تعمل امرأة متسلطة في إفساد العلاقات الغرامية لأبنائها الذكور. أعطت المسرحية الحياة لمتلازمة أوديبية هي "متلازمة الحبل الفضي" Silver Cord Syndrome.

عالج "ممدوح رزق" "العقدة الأوديبية" في روايته "الفشل في النوم مع السيدة نون".(٤) وسارت "وداد السكاكيني" على درب "لورانس" في روايتها "الحب المحرم".(٥) في هذه الرواية تدعي أم "سهيل" كذبا أنه و "نديدة" أخوين في الرضاعة فيذهب الحبيبين كل إلى حال سبيله. يسافر "سهيل" إلى ألمانيا ويفشل في علاقة ثانية مع "جوزفين"، ثم يتزوج عقب عودته من فتاة عادية اختارتها له أمه، لكن للمرة الثالثة تفشل العلاقة لأنها لا تحمل قلب "نديدة" ولا عقل "جوزفين"، بل هي مسخ انتقتها أمه بعناية كي لا تمثل أي عائق بينها وبين

(١) ترجمة الباحث لقصيدة "مروة رخا" التي تبدأ بالبيت I Will Drop You in the Deepest Oceans.

(٢) دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠.

(٣) رغبة سرية، ص ٦٩.

(٤) دار الحضارة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٥) دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤.

علاقتها بابنها. في رواية "أمس انتهينا" يلجأ الكاتب إلى الغرائبية ليجعل الأم تتشكل كالجنية في ثلاث شخصيات تعاشر الابن، بطل الرواية، حتى لا يخرج من قبضتها وعن طوعها.

البحث عن "ريبلكا" Replica للأم نجده في روايات "جبرا إبراهيم جبرا" ففي "البحث عن وليد مسعود"[١] يفتش البطل وينقب عن امرأة بها كبرياء أمه، وفي "السفينة"[٢] يقول "عصام": "كان وجه لمى يذكرني بوجه أمي أيام كنت طفلا، أمي بفوطتها التي تؤطر وجهها بالسواد فيبرز جمال قسماتها التي لم أنسها قط."[٣] في "الطموح" لعرعار محمد العالي[٤] لا يثق البطل إلا في أمه الأمر الذي حكم على علاقته الجامعية بالفتاة "طيبة" بالفشل بالرغم من أنها تُصنف كملكة جمال. في رواية "فضاءات مدينة" تنتهي علاقة "ماجد" وزوجته بالطلاق لأنه على حد قول المؤلف "رضا صالح":[٥] "لم يكن يتوقع ما رآه منها، تعجب اشد العجب، سرى في اعتقاده أن الزوجة، سوف تكون بالطبع على شاكلة أمه، تكون في البيت ظلا ودفئا وأنسا، يبعث على الحياة، ويمنح للوجود إشراقا وتفاؤلا."[٦]

يمكننا تتبع العقدة في الرواية العربية أيضا في "إبراهيم الكاتب"[٧] للمازني وفيها لم يستطع حب امرأة بسبب حبه لأمه وفي شخصية "محسن" وعلاقته بأمه في "عودة الروح" لتوفيق الحكيم[٨] وفي رواية "السراب"[٩] لنجيب محفوظ والتي تظهر فيها العقدة بشكل واضح. بالرغم من ذلك يصف الدكتور "عز الدين إسماعيل" "كامل"، بطل رواية "السراب" بأنه مزيج من "دميتري" في "الأخوة كرامازوف" و"هاملت" ومن نفسه. وبما أن شق كبير من شخصية هاملت يدين لعقدة "أوريستيس" Orestes Complex فإنه يمكن

(١) دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٩.

(٢) دار الآداب، بيروت،١٩٧٠.

(٣) السفينة، ص ٦٤.

(٤) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٨.

(٥) بيت الياسمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.

(٦) فضاءات مدينة، ص ٧.

(٧) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٨) عقدة أوديب في الرواية العربية، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٩) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.

تفسير شخصية "كامل" في ضوء هذه العقدة.[1] تمثل "عقدة أوريستيس" الابـن الـذي لديـه رغبة في قتل أمه،[2] وقد تتطور الرغبة إلى قتلها بالفعل Matricide كـما فعـل "كـاليجولا". تعود العقدة لقصة "أوريستيس" الذي قتل أمه " كليمنسترا" Clytemnestra وعشيقها.[3]

تبدأ رواية "السراب" بالبطل، الرواي العليم، يستعيد ذكرياته بتقنيـة "الفـلاش بـاك"، طفل نشأ في بيت كبير في منطقة "المنيل" مع أمه المطلقة وجده الذي كان ضابطا كبيرا قبـل أن يتقاعد. حظى "كامل" بالتدليل في هذا البيت (متلازمـة الطفـل المـدلل Pampered Child Syndrome)،[4] وشعر بكره تجاه والده الذي لم يره. في إحدى المناسبات مزق صورة عرسـه مع أمه. كان أبوه عربيدا وسكيرا انفصل عن زوجته آخذا معه طفليه، الأكبر والأوسط، بيـنما بقي "كامل" في حضانة أمه. نشأ "كامل" خجولا، لا يعرف اللعب ولا يتقن إدارة الحـديث، كما ملأت أمه أذنيه بقصص الخوف من العفاريت Phasmophobia والمجرمين الأمـر الـذي زاد من فشله اجتماعيا. حصل على التوجيهية والتحق بكلية الحقوق، لكنه فـشل فيهـا بـسبب مقرر مادة الخطابة. التحق بوظيفة بالثانوية العامة. توفى والده ونال ميراثا لا بأس بـه. تـزوج من فتاة شاهدها في الترام. في ليلة الدخلة شعر "كامل" بالعجز واستمر الأمر فتوجـه لزيـارة طبيب نفسي. بدأ "كامل" يشك في سلوك زوجته "رباب". أخذ يراقبها، وفي الأثنـاء تعـرف على امرأة شهوانية من العباسية أخرجته من خجله وعذريته.[5] قضت "رباب" نحبهـا أثنـاء عملية إجهاض فتيقن "كامل" أنها كانت تخونه، وتبين له أن عشيقها هو الطبيب النفسي، وأنه أحد أقاربها.

---

(١) التفسير النفسي للأدب، مرجع سابق، ص. ٢٥١.

(٢) العقدة المقابلة، أي قتل الابـن لأبيـه Patricide، يمكـن تتبعهـا في روايـة "الأخـوة كرامـازوف" The Brothers Karamazov لدستويفـسكي Dostoyevsky وفي روايـة "نجيـب العقيقـي" "أرض الله" (الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٧٧).

(3) Carl Figlio, Psychoanalysis Science and Masculinity, Brunner Routledge, Philadelphia, 2001, p. 166.

(٤) أو "متلازمـة الطفـل الغنـي" Rich Kid Syndrome. تُعـرف هـذه المتلازمـة في الـصين بــ "متلازمـة الإمبراطور الصغير" Little Emperor Syndrome، وتُعزى إلى سياسة الطفل الواحـد التـي فرضـتها الدولة على الأسر الأمر الذي دفع الأبوين إلى التعلق بوحيدهما وتدليله وتوفير كافة سبل الراحة له.

(٥) في رواية "علوية صبح" "اسمه الغرام" يهتاج "بسام" فقط على الخادمات. (ص ١٨٤.)

كان "كامل" مفتونا بأمه لا ينام إلا إذا تسلق كتفهـا، وفي المقابـل بالغـت الأم في تدليلـه حتى أنها ألبسته فساتين البنات وتركت شعره ينمو مثلهن، كما كان يستحم معها وهي عارية، واعتاد النوم بجانبها حتى قبيل زواجه. في تحليل العقدة يمكننا أن نقول أن "كامل" – بالرغم أنه لم يقتل أمه كما فعل أوريستيس – إلا أنه قتلها معنويـا، ومـن ثـم سـاهم في موتهـا. دفعـت "الأوديبية" "كامل" إلى اختيار زوجة تذكره بأمه، وعليه لم يستطع معاشرتها لأنها صورة لهذه الأم فاكتفى بممارسة العادة السرية. يؤكد ذلك أنه نجح جنسيا مع امرأة العباسـية، ولم يـشعر بالذنب معها.(١)

في كتابه "الواقعية في الرواية العربية" يخلع "محمد حسن عبد الله"(٢) على "كامل" عقدة أخرى هي "عقدة الضحية" (٣) Victim Complex أي ضحية الوراثة فهو يذكر من البدايـة أنه ورث عن أمه وقفة التمثال واشتعال القلب والهيئة الجميلة.(٤)

في رواية "قبر راحيل"(٥) نقابل نسخة أخرى من "الأوديبية" في شـخص "آسر" الـذي تنحصر علاقاته النسائية في الفراش وحسب بـسبب "بيوريتانيـة" Puritan أمـه التـي تعتـبر النقيض لوالدة "كامل": "كانت أم آسر امرأة متدينة، لكنها كانـت تـؤمن بالأحجبـة والرقـا والحروز، وكل شيء عندها إما عيب أو محرم.. كانت تبخر البيت صباح يوم الجمعـة وتـصنع عروسة ورق ثم تخرمها بالإبرة وهي تعرج على أسماء الجيران والأقارب والمعارف في جملـة لا تتبدل تبدأ بـ :من عين... (فلان وعلان). لم تـسمح بوجـود تلفـاز في المنـزل، وكانـت دائـما تطلب من آسر أن يغمض عينيه إذا مرت امرأة سافرة أو شاهد صورة في مجلة أو خلافه. كـان آسر يخاف من الاحتلام لأن أمه كانت توبخه عندما تجـد بقعـا في غياراتـه الداخليـة. لم تكـن تسمح له بالاستحمام بمفرده؛ كانت تصر على وجودها معـه لتتأكـد مـن نظافتـه، وكـان آسر يبذل مجهودا كبيرا حتى لا ينتصب قضيبه أمام أمه فتوبخـه. كـان يغمـض عينيـه ويـستدعي

(١) راجع "التفسير النفسي للأدب"، مرجع سابق، ص ٢٤٢ – ٢٦٣.
(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٤٧٨.
(٣) تعرف أيضا بعقدة الشهيد Martyr Complex.
(٤) السراب، ص ١٢.
(٥) مرجع سابق.

مشاهد تخرجه من هذا المأزق: السفن في القناة، أهداف نادي الإسماعيلي، النداهة وأبو رجل مسلوخة[١]... بعد الحمام كانت أمه تلبسه الملابس الداخلية بالمقلوب درءا للحسد! كان لدى آسر قطة شيرازي جميلة اسمها كيتي. كان يحب هذه القطة بشكل جنوني... يطعمها ويلعب ويتكلم معها. كانت كيتي تؤنس وحدته في هذا العالم. في يوم من الأيام زاد مواء كيتي وأخذت تجري في البيت وتحك ظهرها وتنبش السجاد بمخالبها. استشارت أمه جارتها فعلمت منها أنها تتهيأ للزواج... كان الأب يعود من العمل قاصدا بيت زوجته الأولى فيتناول غداءه ويأخذ قيلولته ثم يستيقظ بعدها لينطلق إلى زوجته الجديدة فيبات عندها حتى الصباح. في غضون ذلك كان آسر ينام بجوار والدته. لا يدري، لكن نورا غريبا كان يشع من جسمها وهي نائمة؟! لم يكن يعرف هل هذا النور بسبب شفافيتها أم بسبب بياض جسمها الشديد؟ ذات ليلة ماتت وهي نائمة بجواره دون سبب واضح!"[٢]

عقدة بوليكراتس

"بوليكراتس" Polycrates هو طاغية أزاح أخويه وانفرد بالحكم. حاز الثروة والجاه والصيت والسلطان. بالرغم من ذلك انتابته المخاوف من زوال كل هذا النعيم. نصحه المستشارون بتقديم قربان للآلهة. انتقى "بوليكراتس" أفضل وأنفس خواتمه وألقاه في البحر. في المساء وجد الخاتم في بطن سمكة طُهيت لعشائه. أدرك أن الآلهة لم تقبل قربانه فزادت وساوسه ومخاوفه. لم يعر اهتماما إلى نبوءة ابنته التي ترى موته في ميدان المعركة، بل ذهب إلى حتفه. يذكرنا "بوليكراتس" الذي مضى إلى حتفه بالرغم من تحذيرات ابنته بالإمام "الحسين" الذي ترك الحجاز الذي يتمتع فيه بالأمن والمكانة السامقة ثم مضى إلى "كربلاء" وهو يعلم أنه مخذول ومقتول. صاغ "جورجي زيدان" هذه الفكرة في روايته "غادة كربلاء".[٣]

أما "عقدة بوليكراتس" Polycrates Complex فتُشير إلى القلق من عدم وجود ما يُقلق! ويُصاب بالعقدة أو يُوصف بأنه مصاب بها الأشخاص الذين تتوفر لهم كل سبل الهناء

(١) وأمنا الغولة والمستذئب.. الخ. وتعرف هذه الكائنات مجتمعة بـ Bete Noire، ولكل منا نصيب من رهابها.
(٢) قبر راحيل، ٤٦ ، ٤٧، ٤٨.
(٣) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.

من مال ونفوذ وهيمنة، لكـنهم يفتقـدون إلى راحـة البـال وإلى الطمأنينـة، ويتوجـسون مـن ضربات القدر الذي يقف لهم بالمرصـاد ليـسلبهم أعـز مـا يملكـون، وكـأن عقلهـم البـاطن يستكثر عليهم كل هذا وينشد نوعا من العقاب ينزل بهم. تقترب مقولة "اللهم اجعله خـير" التي ينطق بها المصريون بعد الضحك لفترة طويلة من تفسير العقدة التي تطرح أيـضا سـؤالا ملحا حول مفهوم السعادة وسبل تحقيقها.

تدور رواية "اللعبة" ليوسف الصائغ[1] حول طبيب ناجح يملك كل مقومات الـسعادة من عيادة مشهورة ومنزل أنيق وزوجة رائعة، لكنه يبدأ في محادثة زوجته في الهـاتف متقمـصا شخصية رجل يرغب في التعرف عليها. وصحيح أن الأمر بدأ بالصدفة البحتة، لكنـه تمـادى في الموضوع، وكانت نتيجة لعبه بالنار أنه اكتوى بها. الإنسان العاقل لا يفتح بابـا لا يـستطيع غلقه أو زحزحة حجر لا يستطيع رفعه. في رواية "نجيب محفوظ" "الشحاذ"[2] نقابل "عمر الحمزاوي" وهو محام ناجح وميسور الحال يسكن منـزلا فخـيما ولديـه زوجـة جميلـة وأولاد رائعين، لكنه يترك نفسه لأعراض مرض نفسي عضوي ويرمي كـل هـذا وراء ظهـره ويلقـي بنفسه في أحضان الرزيلة.

لامس "جمال ناجي" هذه العقدة في روايته "الحياة على ذمة المـوت" فنوفـل الـذي حـاز العز والجاه والثراء الفاحش من شركات وقصور وخدم أجانب مهموم بـالموت ملبـوس بـه: "وهواجس الموت تنادي لحظة خلوده إلى الفراش، قبيل النوم: تحلق مثـل كائنـات كهفيـة في مخيلته التي تدعوه إلى التريث في إغماض جفونه، من أجل إقـصاء تلـك الكائنـات: تريـث يـا نوفل! يسمع الصوت أو لا يسمعه، فيُبقى عينيه مفتوحتين، واجمتين في سقف غرفتـه الزاخـر بمجسمات الجبس الوردية، يُبقيهما مفتوحتين حتى تخذلانه، فينام، على الرغم من إيمانـه أن في النوم موت مؤقت، وأن ساعات النوم ليست سوى ساعات موت مدفوعة مقدما، كالفوائـد البنكية! كالاستحقاقات اليومية التي يجب الوفاء بها في أوقاتها!"[3]

(١) مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٨٣.
(٢) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٣) الحياة على ذمة الموت، ص ٢٠.

عقدة ديموستيني

لعلنا نذكر جميعا خطبة "مارك أنتوني" Mark Anthony في رثاء "القيصر"، تلك التي أثارت الجموع ضد "بروتس"، أو خطبة الدكتور "مارتن لوثر كينج" Martin Luther King الخاصة بحلمه أو خطبة تأميم قناة السويس. هذه الخطب المفوهة حفرت لنفسها مكانا في التاريخ. لابد وأن نشير أيضا إلى أن الخطابة راسخة في تاريخ العرب. "انتابتني نوبة من الخطابة. تبدو هذه الخصال متأصلة في القوم، ما إن يجد أحد منا الآخر يصغي حتى يعتلي روحه كمنبر.. أولا وثانيا وثالثا... شيء غريب... ما إن تتاح فرصة لأحد حتى يظن نفسه الحجاج بن يوسف، يمتشق سيفه ويبدأ هياجه اللغوي."[١]

من أبرز خطباء اليونان القديمة "ديموستيني" Demosthenes (484 – 322 ق م). امتهن المحاماة وكان يترافع بخطب نارية للدفاع عن موكليه. عارض توسع "مقدونيا" مما جعله مطاردا من قبل "فيليب المقدوني" ومن بعده "الإسكندر الأكبر".

نشأ ألثغ فجاهد ليتغلب على هذه المشكلة. وصل به الإصرار أن وضع حصاة في فمه. عكف على التمرن على الخطابة واستخدام لغة الجسد Body Language المناسبة أمام المرآة. مع مرور الأيام نجح في علاج اعوجاج لسانه.

تشير "عقدة ديموستيني" Demosthenes Complex إلى الشخص الذي يتفنن ويبرع في استخدام الكلمات النادرة الكبيرة قليلة الاستخدام والكلمات المعسولة، وكذا التركيبات النحوية المعقدة والمطولة ويستخدم لغة الجسد بشكل بارع حتى يعوض بها عن شعور بالنقص والدونية في نفسه،[٢] وفي حالة "ديموستيني" نفسه ربما تلعثمه في الكلام وهو بعد صغير، بالإضافة إلى انتمائه إلى أسرة متواضعة لا تُحسب على النبالة. ربما كان "ديموستيني" يعاني من الشق اللغوي في "متلازمة إسبرجر" Asperger Syndrome. في المقابل يُوصف الشخص الذي لديه مشكلة في الإفصاح ويرتكب أخطاء نحوية وسيمانتيكية (لها علاقة

(١) حافة النسيان، مرجع سابق، ص ٢١١.

(2) Raymond J. Corsini, The Dictionary of Psychology, Routledge, New York, 2002, P. 263.

بـالمعنى) Semantic بـأن لديـه "متلازمـة جـورج بـوش الابـن" George Bush Jr. Syndrome. ومعروف أنه كان لهذا الرئيس أخطاء تعبيرية قاتلة تُعرف الآن بـ "هراء بـوش" Bushshit.

في رواية "سحر خليفة" "ربيع حار" كان "أحمد" كما يقـول الـدكتور "نبيـه القاسـم": "يعاني من التأتأة والخجل وإيثار الوحدة، لولا تنبيه الأستاذ لوالده بأنـه ذكـي ويملـك طاقـة فنيّـة كبـيرة ويحـب الاهـتمام بـه فاشـترى لـه والـده آلـة التـصوير التـي فجّـرت مواهبـه في التصوير."[1] بعد خروجه من سجن الاحتلال الصهيوني في قضية ملفقة نجـد "أحمـد" وقـد تحول إلى شخصية أخرى تماما في شجاعته وجسارته ومواجهته للواقع.

لدينا طفل آخر يعاني من التأتأة في رواية "عبد الله المفلح" "حكايـة وهابيـة":[2] "أذكـر أنني بكيت مرة حين وصلني الدور في الامتحان النهائي لمادة القرآن الكـريم في الـسنة الثانيـة الإعدادية... طلب مني المدرس... في نهاية اليوم الدراسي أن أمـر عليـه في غرفـة المدرسـين. أخبرني أنه أعطاني نتيجة قريبة من العلامة الكبرى... لأن الحديث النبوي يـذكر أن مـن يقـرأ القرآن وهو يتعتع فيه يكون مع الملائكة الكرام الـبررة!... تـؤلمني الـشفقة بأشـد ممـا تـؤلمني السخرية، وتؤلمني الشفقة المبرهن لها بالكتاب والسنة بشكل مضاعف. كانت التأتأة هاجسا، والالتفاف عليها موهبة حقيقية. كنت أحلم باليوم الـذي أتخلـص منهـا فيـه، أدفنهـا للأبـد. الأكيد أن هذه التأتأة كرسـت لـدي الرهـاب الاجتماعـي وعمقتـه بطريقـة غـير مـسبوقة أو مهزومة."[3]

طفل ثالث لديه نفس المشكلة قدمه لنا "أسـامة حبـشي" في روايتـه "موسـم الفراشـات الحزين"[4] ومنها نقرأ: "ولدت بعيب في النطق – يقول عنـه الـبعض التهتهـة، وأيـضا لـدي حرفان لا أستطيع نطقهما أبدا؛ هما الراء واللام، كل كلمة بداخلها اللام والراء أجـد صـعوبة

(١) جريدة الإتحاد الإماراتية، ١٢ أكتوبر ٢٠٠٧.

(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٣.

(٣) حكاية وهابية، ص ٤٥، ٤٦.

(٤) دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، القاهرة، ٢٠١٠.

في النطق بها، ومع ذلك.. أعتبر نفسي محظوظ؛ لأنني لا أنطق كلمات: الحرب – السلام – النار. نعم أعرف رسم هذه الكلمات، وأعرف أن أخطها، أتخيلها، ولكنني لا أنطق بها أبدا نطقا كالآخرين، وأحيانا أشعر بالحزن والضعف عندما أنطق كلمات أخرى بصورة مشوهة.. مثل: وردة / فراشة / زهرة / بحر... وعندي مشكلة أخرى.. هي أن لي قدما أطول من الأخرى قليلا، لذلك؛ أعرج عندما أمشي، ولا أستطيع الجري بحرية – كسائر الأطفال."[١]

عقدة كليمنسترا

تشير "عقدة كليمنسترا" Clytemnestra Complex إلى الزوجة التي تقتل زوجها لأنها تحب قريب له أو لديها عشيق آخر. ومن معناها يتضح لنا أنها عقدة شائعة ومتفشية في زماننا فكم من المرات نشرت الصحف أخبارا تجسد هذه العقدة. ربما لو جاز لنا أن نُعطي هذه العقدة اسما آخر لكانت "آنا كارنينا" Anna Karenina، بطلة "تولوستوي" Leo Tolstoy الشهيرة، بيد أن "آنا" لم تقتل زوجها، على الأقل جسديا لأن القتل المعنوي يقع مع حدوث الخيانة.

في رواية "حافظ محفوظ" "ارتباك الحواس" تتآمر "ماجدة سالم ريان"[٢] مع عشيقها "دياس كراولي" لقتل زوجها "رضوان الحربي" وإلقاء جثته في البحر. وفي رواية "عطش الليل" للكاتب "عبد القادر الدحمني"[٣] نقابل "مسعود" مدمن الخمر والتردد على الحانات. يحب زوجته، "عزيزة"، بالرغم من أنها عقيم، لكن "عزيزة" تخونه غير عابئة بأي قيم. حين مرض تخلت عنه ونقلته لغرفة أخرى خوفا على نفسها. في النهاية قتلته لتهنأ بالسقوط والرذيلة. وحين حامت حولها الشبهات حاولت درأها، لكن السجن كان مصيرها في النهاية.

عقدة هيرمس

استمر التوحد اللغوي على الأرض منذ هبوط آدم من الجنة ورسو سفينة نوح، وبينهما حوالي ألف سنة كما أورد "ابن كثير" في "البداية والنهاية". كانت أرض بابل أقدم ناحية

(١) موسم الفراشات الحزين، ص ١٣.

(٢) دار سحر للنشر، تونس، ١٩٩٦.

(٣) دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ٢٠٠٩.

عمرها بنو نوح عليه السلام وفيها تبلبلت[١] الألسنة كعقاب من الله حسب رواية بـرج بابـل The Tower of Babel كما وردت في التوراة- سـفر التكـوين[٢] إذ قيـل أن الأرض كلهـا كانت ذات لغة واحدة وكلام واحد فشاء سكانها بناء مدينة وبرج تبلغ قمته السماء. "ونـزل الرب ليرى المدينة والبرج اللذين شيدهما بنو الإنسان، وقال: إن البشر كلهم واحد، وإن لهـم جميعاً لغة واحدة .وقد شرعوا في عمل هذا، ولن يعصى عليهم شيء فكروا في صنعه. فلننـزل ونبلبل عليهم لغتهم لكي لا يفهم بعضهم كلام بعض. وهكذا فإن الرب شـتتهم مـن هنـاك على وجه الأرض كلها، وكفوا عن بناء المدينة، ولذا فإن اسمها بابل، لأن الـرب هنـاك بلبـل لغة الأرض جميعا، ومن هناك شتتهم بعيدا عن وجه الأرض كلهم."[٣] فجأة أصـيب النـاس بنوع غريب من "الأفازيا" أو السكتة اللغوية، ومن ثـم تفرقـوا ورحلـوا إلي جميـع الأصـقاع متحدثين بلغات متباينة. تحققت حكمة الله في خلقه شعوبا وقبائل وألـسنة مختلفـة. اسـتقر في ضمير الصفوة والنخبة أن المشقة التي تُبذل في الترجمة والأموال الباهظة التي تُنفق عليها هي جزء من الكفارة عن خطايا بابل.

"عقـدة هـيرمس" Hermes Complex هـي عنـوان كتـاب ألفـه "شـارلز لوبلانـك" Charles Le Blanc وترجمته المنظمة العربيـة للترجمـة ببـيروت عـام ٢٠١٣. "هـيرمس" في الأساطير اليونانية مبدع ومخترع، وهو من أهدى "أبولو" Apollo القيثارة فكافأه الأخير بأن جعله مبعوث الآلهة يحمل الرسائل إلى شتى البقاع. تبين لهيرمس فيما بعد أن هذه المهمة ثقيلـة ولا تتيح له الإبداع لأنه لا يستطيع تغيير نص الرسالة التي يحملها.

تشير "عقدة هيرمس" إلى العبء النفسي الذي يتحمله المترجم حتى ينتهـي مـن مهمتـه وخوفه من الزلل. يُقال أن المترجمين، خاصة الفوريين، عرضـة للإصـابة بـالنزيف الـدماغي، ربما بسبب هذا الضغط. تصف "ربـاب كـساب" "رضـوى" في روايتهـا "فـستان فـرح"[٤] بقولها: "تنحر نفسها في أعمال الترجمة."[٥]

(١) لاحظ أن الفعل Babble في الإنجليزية يعني التفوه بكلمات مشوشة غير مفهومة.
(٢) لم ترد هذه القصة في القرآن الكريم، وكل ما ورد عن بابل هو قصة الملكين "هاروت وماروت".
(٣) تك (١١ عد ١-٩)
(٤) دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢.
(٥) فستان فرح، ص ٩١.

يقولون جوازا أن المترجم هو المؤلف الثاني للكتاب، وهذا ليس صحيح فعليه أن يتحرى الدقة ويعصر مخه ليجد انسب الألفاظ، وهو بعد هذا كله منسي لا يتذكره أحد ومتهم يُلقى عليه عبء التقصير وعدم الفهم. وقصة ترجمة القرار ٢٤٢ معروفة فحرفي التعريف (الألف واللام) كادا يتسببا أو لنقل تسببا بالفعل في واحدة من أعنف مشاكل العصر، ففرق كبير أن "تنسحب إسرائيل من أراض تم احتلالها عقب حرب ٦٧" وبين "تنسحب إسرائيل من الأراضي التي تم احتلالها عقب حرب ٦٧".

في رواية "شهوة الترجمان" لشربل داغر[١] نقابل المترجم الضائع بين لغتين وهويتين ثقافيتين. في رواية "المترجمة" لليلى أبو العلا[٢] تنجح "سمر" السودانية في مد جسور التقابل بين الشرق والغرب في اقترانها بالاسكتلندي "راي" بعد إسلامه.

في رواية "هياج الإوز" تعترف "سلام": "لم أكن موفقة في الترجمة أمس."[٣] وفي موضوع آخر من الرواية نقرأ: "قبل ثلاثة أيام، أو أربعة، استُدعيت للترجمة بين المحقق في دائرة الهجرة، وبين ثلاث سيدات سودانيات. أعترف أنني لفقت معاني كثير من الكلمات لم أفهمها. والكلمات، التي فهمتها، اضطررتهن إلى تكرارها مرتين."[٤] صحيح أن احتراف الترجمة مهنة نبيلة، لكنها ليست كذلك عندما تستأجره القوات الغازية كما هو الحال مع "توفيق" الذي يعمل لصالح قوات الاحتلال الأمريكي في رواية "الشاهدة والزنجي"،[٥] أو عندما يتعين عليه أن ينقل رسالة بغيضة. في هذه النقطة نستدعي رواية "حنا مينه" "حمامة زرقاء في السحب"[٦] وفيها يجد رجل عربي يرافق ابنته المصابة بالسرطان في مستشفى بلندن نفسه في موقف يتعين عليه أن يعمل مترجما لامرأة عربية يرقد زوجها في إحدى غرف المستشفى وعلى وشك أن يقضي نحبه بسبب نفس المرض. "كان كبير الأطباء قد جاء وقال

(١) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠١٥.
(٢) ترجمة: الخاتم عدلان، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣.
(٣) سليم بركات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص ٤١.
(٤) المرجع السابق، ص ٨٩.
(٥) مهدي عيسى الصقر، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
(٦) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.

كلاما ترجم الرجل بعضه وامتنع عن ترجمة البعض الآخر. لقد أصدر كبير الأطباء، بواقع الحرفة ولياقتها، حكمه المنتظر بالموت."[١] ويبدو أن بطلة "حراس الهواء" لروزا ياسين حسن[٢] مقتنعة بهذه الفكرة كما نستشف من الحوار التالي: "بادرتها بعربية فصحى:

– بليز مدام صوفي، علينا أن نغير ترجمة كلمة Officer. لفظة ضابط وحدها تجعل أولئك المساكين يرتجفون والدماء تصعد إلى وجوههم.. لا يمكن أي عربي أن يتخيل ضابطا مدنيا!

– ..!

– إنه تاريخ طويل عشش في خلايا المخ، وليس من السهل تغييره!! Well, I know that.. الدقة في الترجمة هي المطلب الأول، لكن طرقات قلوبهم تصلني من بعيد كعصفور في قبضة صياد.. هل تفهمين عليّ مدام؟

الاستغراب، كل ما كان ينضح به وجه صوفي، مصغية كانت دون أي تعبير آخر على ملامحها. ربما كان شرحي غير واف! خاصة تغيير أية كلمة في الترجمة سيتطلب إقناعا أكبر بالتأكيد، هذا إذا لم أُطالب برفع كتاب إلى مكتب السفير... ابتسمت صوفي ببطء، ثم مدت يدها لتربت على كتفي.

– برافو أنات.. برافو.. أنت رائعة.

قالتها بعربية مجعلكة، وأردفت:

– بالنسبة لي هذه المحبة في قلبك أهم من الدقة الحرفية في الترجمة."[٣]

صحيح أن الترجمة جسر بين الشعوب، لكن بسبب فقدان شيء في الترجمة Lost in Translation قد يكون مرده للثقافة أو عدم وجود المقابل اللفظي أو خلافه فإن المترجم مُتهم دوما بخيانة النص كما تقول العبارة الإيطالية Traduttore, traditore، "أيها المترجم،

(١) حمامة زرقاء في السحب، ص ٢٠.
(٢) دار الكوكب (رياض الريس)، بيروت، ٢٠٠٩.
(٣) حراس الهواء، ص ١٢، ١٣.

أيها الخائن". وكلمة "الخائن" تلك أو فكرة الخيانة هي مفتاح رواية "المترجم الخائن" للكاتب "فواز حداد".[1] تدور الرواية حول "حامد سليم" الذي خان أمانة الترجمة وحاول أن يُضفي شيئا من الإبداع على رواية عكف على نقلها فغير نهايتها ظنا منه أن النهاية الجديدة مناسبة أكثر وموائمة للشباب. قامت الدنيا ولم تقعد واستغل خصومه هذه الواقعة ليهدموا مستقبله المهني والفني.

متلازمة بيجاسوس

يُوصف الشخص الذي لديه مهمة نبيلة وسامية والذي لا يتراجع عن تحقيقها ويعاود الكرة حين يصيب الفشل مساعيه ويجتهد تحت أي ظرف ويثابر حتى يصل إلى مبتغاه حتى لو واجه الموت بأن لديه "متلازمة الحصان المجنح" أو "متلازمة بيجاسوس" Pegasus Syndrome، ذلك الذي استطاع بعد عنت الوصول إلى قمة جبل "الأولمبس" Olympus.

وممن يوصف بأنه حامل لهذه المتلازمة "زيد" في رواية "اسعد الأسعد" "بطعم الجمر"[2] حيث قطع مسافة كبيرة حتى يعود إلى غزة، وهناك انخرط في المقاومة. لا يمكن أن نغفل أيضا "فهمي" في "بين القصرين" لنجيب محفوظ[3] حيث ظل يناضل سعيا لجلاء الاحتلال عن مصر حتى وافته المنية في إحدى المظاهرات. هناك كذلك "إبراهيم حمدي" في رواية "إحسان عبد القدوس" "في بيتنا رجل"[4] الذي كتب عنه "إحسان": "واتسعت ابتسامة إبراهيم. لقد كان أبوه يريده أن ينال ليسانس الحقوق. وكان يتصوره قاضيا. وكان أحيانا يتصوره وزيرا. إنه لن يكون قاضيا أو وزيرا... سيمنح أباه ذكرى لا تنسى. وهذا هو كل ما يستطيع أن يعوض به أباه. ذكرى يزهو بها أمام الناس. وتوالت الصور في خياله. صور زملائه في المدرسة الثانوية. وصور زملائه في الجامعة.. كم أحبهم.. وكم أحبوه. إنه يستطيع الآن أن يرى هذا الحب. يكاد يلمسه بيده... واستعرض كل مغامراته الوطنية. كل المظاهرات التي اشترك فيها. وكل العمليات التي قام بها. وأيامه في السجن... يحس وهو

(١) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٨.

(٢) دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، ٢٠١٤.

(٣) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦

(٤) دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٩.

مقدم على خطته الجديدة، أنه يدفع الثمن للناس كلهم. إنه يضحي بحياته من أجل الناس كلهم. ما عدا نوال. إنه يريد أن يعيش من أجلها. إن موته ليس تضحية من أجلها، إنه تضحية بها، وهو لا يريد أن يتشبث بالحياة، إنه محتاج الآن لكل جرأته، وكل استهتاره، وكل زهده، حتى يحقق الخطة التي قررها."[1]

متلازمة الملك آرثر/ لانسيلوت

الملك "آرثر" King Arthur هو شخصية أسطورية لحاكم إنجليزي. تزوج من "جوينيفر" Guinevere التي وقعت في حب صديقه الحميم "لانسيلوت" Lancelot. تشير "متلازمة الملك آرثر/ لانسيلوت" King Arthur / Lancelot Syndrome إلى امرأة متزوجة وتحتاج هذا الزواج ليجعل منها شخصية ذات شأن في المجتمع ويغطي تكاليف حياتها ويوفر لها مطالبها، لكن في نفس التوقيت تريد رجلا آخر غير الزوج، رجلا تنشأ تتطاير الشرارات حين يلتقيا، شخص تحس معه أنه خلق من أجلها وأنها خلقت له وأن لقائهما هو أمر حتمي. لدينا نموذج مكرر في التاريخ الإنجليزي لملك آخر، لكن هذه المرة حقيقي. الملك هنري الثامن تزوج من "آن بولين" Ann Boleyn وجعل منها ملكة، لكنها بعد فترة راحت تبحث عن الكيمياء المفقودة لدى شخص آخر.

نجد أثرا لهذه المتلازمة في رواية "إحسان عبد القدوس" "إني راحلة".[2] فتاة تتزوج من شخص موسر ينتمي لطبقة عالية، يوفر لها حياة رغيدة، لكنها تفشل في الشعور نحوه بالحب. الزوج المنبوذ يبحث عن الحب مع أخرى تماما مثل الملك "هنري"، صاحب الخليلات المتعددات. تهرب البطلة مع شاب كانت تعرفه من أيام الطفولة وأرادت أن تتزوجه آنفا. هذا الشاب هو من يُشعل نار الحب في قلبها، لكن النهاية تأتي مأسوية لكليهما. تحاول البطلة الدفاع عن هروبها إلى أحضان الحبيب الأول قائلة: "أخشى أن أُتهم بالإباحية والزندقة، إذا أنا تحدثت بشيء عن ليلتنا الأولى.. ليلة تشاركنا في الفراش والغطاء.. ومزجنا الروح بالروح، والجسد بالجسد. أنا أعلم أنها أشياء لا تُكتب ولا تُقال.. فنحن في عالمنا هذا، المملوء بالعجائب، ندعي الاشمئزاز من الحديث فيما لا نشمئز من فعله... كلكم تتمنون أن أذكر ما

(١) في بيتنا رجل، ص ٣٦٧، ٣٦٨.

(٢) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٧.

حدث، ولو كتبته لأقبلتم على قراءته بلهفة الجائع المحروم، فإذا ما انتهيتم منه هززتم الرؤوس أسفا، وقلبتم الشفاه احتقارا ... أتذكرون ذلك الشيخ المعمم الذي قرأ وكتب، وأباح لي بكتابته أن أرقد في فراش إنسان غريب، وأرتمي في أحضان رجل لا تربط بين قلبينا صلة... إلى الجحيم. أنتم، وعقودكم... إن زوجي الحقيقي هو ذلك الرجل الذي ربطتني به مواثيق الحب.. إن ما فعلته معه مشروع في عرف نفسي.. أما ما فعلت فيما مضى.. فقد كان هو الفسق لا محالة، الفسق المشروع بالإكراه، إكراه العقود الزوجية.[١] هذا من الناحية النظرية.. فإذا أتينا على الناحية الواقعية فأقسم لكم أني جنيت من المتعة في ليلة واحدة ما لم أجنه في شهور وسنوات."[٢]

في رواية "زهرة اللوتس" تعيد "أميمة الخش"[٣] إنتاج كلمات "إحسان عبد القدوس" فالمرأة – من وجهة نظرها – تزني إذا نام معها إنسان لا تربطه بها علاقة حب حتى ولو كان زوجها، وتعف حين تنام مع شخص يحبها حتى لو كلم تكن على ذمته!!

عقدة ليليت

"هناك من يستحضر الأرواح، أنا أستحضر الأجساد، لا أعرف روحي ولا أرواح الآخرين، أعرف جسدي وأجسادهم."[٤]

"إنني جئت إلى هنا لأختبر أنوثتي الطاغية أمام رجال ليسوا كالرجال جاهاً ومالا ومهابة، لا لشيء إلا لعقدةٍ التصقت بي، واكتشفتها مؤخرا؛ فلا يرضي غروري سوى تهافت الرجال عند أقدامي، مقدمين فروض الحب عشقاً ومالا وذهباً."[٥]

تشير "عقدة ليليت" Lilith Complex إلى المرأة التي لا هم لها إلا إغواء الرجال، لكنها لا ترتبط مع أي منهم بعلاقة مثلها في ذلك مثل بنات الهوى. هذه المرأة مغرمة بصيد الرجال.

---

(١) بعد مرور سنوات، بل عقود على كتابة هذه الكلمات يعود صداها على لسان الروائية "حوراء الحداد" التي كتبت في روايتها "أوركيد": "إن العيش على مسروقات عشقية، أصدق من العيش بعاطفة باردة مشروعة." (دار مسعى للنشر والتوزيع، ٢٠١٤، المنامة، ص ٢٠٨).

(٢) إني راحلة، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

(٣) دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٣.

(٤) سلوى النعيمي، برهان العسل، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠، ص ١١.

(٥) بشائر محمد، ثمن الشوكولاتة، فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، ٢٠٠٧.

نقرأ من رواية "الطريق إلى عدن" لعمر أحمد الطالب: "إنها امرأة شريرة رواء هذه منذ أوقعت عبد السلام في حبائلها وهاهي تصطاد الآخر، الله وحده يعلم كم من الرجال اصطادت هذه المرأة الداعرة."(١) في رواية "مواويل الغربة" للطيفة الحاج(٢) تخبر "ابتسام" "وفاء" بأن "حاتم تزوج من امرأة أخرى، يعرفها منذ سنين. يقولون إنه شجعك على الرحيل إلى كندا، ليخلو له الجو معها. إنها امرأة لعوب، عملها اصطياد الرجال، وقد استطاعت بألاعيبها ايقاعه في شباكها، فاتخذها عشيقة له فترة من الزمن، إلى أن أقنعته بالزواج منها."(٣) و"ليليت" في الأساطير السامية هي "شيطانة الليل". تجد هذه المرأة سعادة وإشباع حين تفتن شخص وتجعله يتعلق بها ويدور في فلكها.

كتب "سكيب داين يونج" Skip Dine Young في صفحة ٦٣ من كتابه "السينما وعلم النفس" عن الشخصية الغاوية قائلا: "يُشير هذا النمط إلى المريضة النفسية الشهوانية التي... تتباهى باستعراض جاذبيتها الجنسية على كل المحيطين بها، بمن في ذلك القائمون على رعايتها."(٤) وفيما يلي الوجوه المتعددة لهذه العقدة:

شكل رقم (١٢)

الوجوه المتعددة لعقدة ليليت



(١) الطريق إلى عدن، ص ٣٧.

(٢) الفارابي، بيروت، ٢٠٠٠.

(٣) مواويل الغربة، ص ١٧٦.

(٤) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٥.

صور "أحمد أبو خنيجر" إغراء المرأة في روايته "خور الجمال"[١] وفيها تسعى "عائشة" وبنت الراعي لإغواء سائس الجمال: "يا جمّال.. سمع النداء النسوي القريب. وجد نفسه دون إرادة منه يقف أو يلتفت. كانت عائشة الفلاتية، والتي وقفت أمامه... كانت عائدة من النهر تحمل جرتها المليئة، وقد تبلل صدر الجلباب قليلا، فصار ملتصقا بالنهدين النافرين، وبدت الحلمتان كحبتي تمر، وضعت يدها على رسن الجمل، قريبا من يده، وهمست: عايزة أفوت من تحت جملك... تحركت حتى وقفت بين الجمل والجمّال، معطية ظهرها للجمّال غير القادر على الحركة؛ وعملت أنها تمسح رأس الجمل، بين عينيه، وهي تتراجع قليلا حتى التصقت مؤخرتها بالجمّال، والجمل نفر بوجهها متأففا، وعائشة من فزعها ارتمت بحضن الجمّال، وهي تمسح الرذاذ الذي غطى وجهها، وتضحك وحركت أردافها وقالت بنعومة: حوش جملك عني."[٢]

في بعض الأحيان يكون هذا الإغواء آخر ما تقدمه هذه المرأة فلا تسعى لتطوير العلاقة لأبعد من هذا. يكفيها هذا الإحساس بأنها مرغوبة وفاتنة وأن الرجل يلتفون حولها ويجرون وراءها على نسق "إيرما لا دوس" Irma La Douceالذي قدمها "أليكساندر بريفور " Alexandre Breffortفي موسيقاه.

في أحيان أخرى تكون المرأة ذاتها "ماكينة جنس" Sex Machineلا تهدأ ولا تتعب من ممارسة العلاقات الحميمية. يُسمى هذا الشيء مرض السوداء (السويداء) Nymphomania أي المرأة الشهوانية. قدم "جمال ناجي" هذا النموذج في رواية "سنوات الإنهاك" ممثل في شخصية "سندس".[٣] من رواية"السرسرية" لخالد أحمد[٤] نقرأ: "كانت شبقة بدرجة مرضية، حيث كانت تستمتع بإظهار مفاتنها لأي شخص ذكر كان أو أنثى، وتستمتع بسماع السباب يوجه إليها، ولا أدري إن كان خليفة قد حدد إقامتها في المنزل بسبب هوسها، أم إن إقامتها المحددة في المنزل هي سبب هوسها."[٥]

---

(١) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٢) خور الجمال، ص ٥٠، ٧١.

(٣) وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ٢٠٠٨.

(٤) دار المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.

(٥) السرسرية، ص ١١٧.

نقرأ من رواية "قبل وبعد" لتوفيق عبد الرحمن[١] عن "قدرية" التي لم يمنعها كونها على ذمة رجل أن تنام مع آخرين: "ضغطها إليه بقوة دون إحساس بالخجل أو العيب أو الحرام، مستثارة وهي ترتجف بالرغبة وتحس بالبلل، وباشرها وهي تلهث. كان المقاول الكبير هو رجلها الأول، وركب فرس مراهقتها الفائرة، وأشعل في رحمها النار... عندما انتهت من قصتها، أجلستها على حجري، قبلتها في فمها، أخرجت ثديها الأبيض الوردي من السوتيان وفتحة الجلباب، ولقمت حلمته الوردية بفمي، دسست يدي بين فخذيها وأخذت أحركها صعوداً وهبوطاً وهي تتأوه.. قالت – وهي جيلي بين يدي– هيجتني.. ندخل جوه.. قمنا إلى الداخل ونحن متعانقان، وقد أمسكت في يديها بحذائها، ساعدتها في خلع جلبابها وألقينا به عند مربع الضوء الذي تصنعه الشمس الداخلة من النافذة عند طرف السرير، ثم قميصها الستان الأسود والسوتيان الأسود، وانطلق نهداها أبيضين ورديين، فأمسكت بهما بيدي أستشعر ليونتهما واستدارتهما وأهصرهما، وهي تتأوه وتغنج، ثم مددت يدي أتحسس ردفيها وأنا أخلع عنها لباسها الأسود الصغير، وخلعت ملابسي بسرعة، ثم أنمتها على السرير، ثم أخذت أقبل جسمها الأبيض الوردي الحريري الساخن ويدي تستقر بين ردفيها، ويدي الأخرى تهصر ثديها، وفمي يطوف برقبتها ثم أذنها، ثم لقمت شفتيها الدسمتين ودفعت لساني داخل فمها أتذوق رضابها، ورفعت نفسها لي وأنا آخذها، وساقاها الملفوفتان مشبوكتان خلف ظهري، وهي تحرك جسدها صعوداً وهبوطاً وقد صار جسدي جزءاً منه. رفعت حمى الشهوة سخونتنا وزادت ارتعاشتنا، ثم أحسست بماء الحياة يصعد من أعمق أعماقي لينبثق داخلها في اللحظة التي تسارعت فيها انقباضات رحمها وأناتها وهي تضغطني إليها بفخذيها وترجف.. خذني. ثم أطلقت آهة طويلة واهنة وأرخت يديها وساقيها، قبلتها في فمها ولم أخرج منها."[٢]

في رواية "حياة السيد كاف" كتب "علي الشدوي"[٣] عن هذه المرأة النشطة جنسيا Sexually Active، زوجته الحديثة، وكان طبيعيا مع هذا السلوك أن يشك في عذريتها:

(١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٢) قبل وبعد، ص ٢٢، ٢٣.

(٣) طوي، لندن، ٢٠٠٩.

"لابد من تكونوا معي لكي تصدقوا ما حدث. في البداية لاحظت عليها تصرفات غير طبيعية، لكنني ظننت أن فرحة لقائنا الأول شتتت عقلها، بعد أن أغلقت الباب، خلعت ملابسها واندفعت نحوي. طرحتني أرضا، ثم شرعت تلتهم جسدي كحيوان مفترس،[1] لم تكتف بذلك، بل راحت تطلق صرخات عجيبة... لعدة سنوات، وقبل أن أنام تتحول اللحظات إلى عذاب. هل كانت عذراء؟ لم أكن أعرف. أقول لنفسي: لقد دلفت إليها بمنتهى السهولة كمن يغرس دبوسا في إسفنج. أحرقت الأسئلة ذهني: لماذا لم تتمنع؟ أين الدم الذي يقولون؟"[2]

مشهد آخر للمرأة التي ترتقي مع الجنس إلى عوالم أخرى يقدمه "عماد البليك" في روايته "دماء في الخرطوم":[3] "رغم أنها استحمت قبل نصف ساعة، إلا أنها دخلت الحمام من جديد برغبة أن تتأمل جسدها، بعد أن استرجعت في ذهنها صورا متناثرة لمجذوب وهو يقبلها ويضمها إلى حضنه متحسسا حلمتيها النافرتين.. ليبدأ رضاعة ثدييها مثل طفل صغير، قبل أن يخلع ملابسها دون أن تعي ذلك، لتدخل في نشوة لا تكتمل إلا بغرس أسنانها الأمامية في كتفه، وهي مثل لبؤة جائعة. إذا كان باولو كويهلو قد حدد: أن الفراغ من الشهوة الجنسية ينتهي بإحدى عشر دقيقة فقط، كما جاء في روايته: إحدى عشر دقيقة، فإن زينب كانت ترى أن تلك الدقائق لا تعد، ربما هي قرون طويلة ممتدة يكون فيها جسدها قد تلاشى تماما، وتكون روحها قد صعدت إلى الكواكب البعيدة التي جاء منها أجداد البشرية، كما يُصور فيلم خيال علمي شاهدته قبل أكثر من سنة، في السينما بصحبة مجذوب. لا تنتهي تلك القرون التي يمحي فيها الزمن، ويصبح نسيا منسيا إلا مع الفجر، لأن زينب وبمجرد أن تحس بقضيب زوجها وقد ولج ما بين فخذيها، تكون قد غاصت في بحر من النوم العميق المطرز بالأحلام الجميلة."[4]

---

(١) بعض الرجال يثيرهم رومانسية المرأة أثناء الجماع. كتبت "هالة البدري" في رواية "امرأة ما": "تثيرني في النقلة المذهلة التي تحدث لعينيك، من الصحو الكامل وأنت جالسة بجانبي إلى الغياب في أقل من الثانية، لحظة أن أغشاك، يتوه السواد في البياض." (دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٦٠).

(٢) حياة السيد كاف، ص ٩، ١٠، ١١.

(٣) دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨.

(٤) دماء في الخرطوم، ص ٢٦٩-٢٧٠.

المرأة المستعرة تمثلها أيضا "رواء" في "قبر راحيل": "خلعت ملابسها الضيقة وانهارت على الفراش. نزعت بعضا من شعر صدره في عنف وغرست أظافرها الطويلة في ظهره كنمرة تنقض على فريستها. قبضت على شفتيه بشدة حتى توجس منها خيفة وأحس أن نابيها سيبرزان من منبتهما ليمتصا دمه كدوقة باثوري Báthory المسماة بإليزابيث. عضت كتفيه وحلمتيه حتى صاح من الألم والنشوة. هذه أول مرة يشعر فيها أن ثديي الرجل لهما فائدة. كانت رواء من النسوة اللاتي يفضلن أن يكون لهن اليد العليا والغلبة والكلمة الأخيرة في الفراش... كما أن العين لا تشبع من النظر؛ وكما أن الأذن لا تشبع من الخبر؛ وكما أن الأرض لا تشبع من المطر؛ وكما أن الأمواج لا تشبع من القمر؛ وكما أن المدن لا تشبع من البشر؛ وكما أن الطيور لا تشبع من الشجر فإن الأنثى أو بالأحرى رواء لا تشبع من الذكر. ملأت الشقة والدنيا صراخا الأمر الذي اضطره لوضع كفه الأيمن في فمها. ذكرته رواء بما قرأه عن الجارية ظُلمة التي يضرب بها المثل في العُهر والقوادة. كان لها تيس تؤجره ليعشر ماعز القوم، وكانت تجلس لتتابع المضاجعة لأنها تحب صوت الجماع. ذكرته أيضا بعائشة بنت طلحة حين دعاها زوجها للفراش وكان عندها ضيفة فغابت فترة ثم عادت إليها وجبينها يتفصد عرقا. بادرتها الضيفة مستنكرة نخيرها وشخيرها وهي من بيت عربي أصيل، فأجابتها عائشة: إن الخيل الأصيلة تشرب بالصفير."[1]

في روايته "كفاح طيبة"[2] قدم "نجيب محفوظ" الغانية المستحوذة في شخص "رادوبيس" والتي بسببها فقد الفرعون الشاب عرش البلاد،[3] وقدم نموذج "المومس الفاضلة" في شخص "حميدة" في "زقاق المدق"، وسارت على نهج "حميدة" شخصية "رمانة" في رواية "الطاهر وطار" "رمانة".[4]

لكن بائعة الهوى هنا في "متلازمة ليليت" هي الأنثى اللعوب والتي قد يقترن فسادها مع الخيانة الزوجية، وهذا ما نجده في "سارة" التي حاكها "تركي الحمد" في رواية

---

(١) مرجع سابق، ص ٢٠، ٢١.

(٢) دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠.

(٣) راجع كتاب "فاروق عبد القادر" "في الرواية العربية المعاصرة"، كتاب الهلال، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٠.

(٤) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.

"الشميسي"[(١)] ورواية "نساء عند خط الاستواء"[(٢)] لزينب حفني.[(٣)] كتب "عبد العزيز بركة ساكن" يصف مشهد الخيانة الزوجية في رواية "مخيلة الخندريس":[(٤)] "دخلت حوش جارك الواسع، بغريزة الحياة الفاعلة فيك، وجنون الفوبيا، الذي ظل يطاردك منذ سنوات طوال. توجهت مباشرة إلى غرفة المعيشة، وبكل ما لديك من قوة دفعت الباب لتدخل، فوجئت بشيء غريب، وجدت زوجتك الحبيبة، تقفز على مسبار جسد جارك الطيب، مثل فرس في سباق فاشل، كانا في تمام عريهما. على الرغم من صدمة الحدث إلا أنك لاحظت أن ظهر زوجتك كان جميلا كما لم يكن من قبل، وأنها كانت تستمتع بالفعل، شاهدت جارك أولا، حيث أن زوجتك كانت تعطي ظهرها للباب، ظهرها العَرِق الجميل الذي لم تتعرف عليه من الوهلة الأولى؛ لأنها كانت تعطي ظهرها للباب، ظهرها العَرِق الجميل الذي لم تتعرف عليه من الوهلة الأولى؛ لأنك عندما فوجئت بهما يرقصان رقصة الحب، صرخت قائلا: آسف، آسف. بالطبع كنت تظنها امرأة أخرى صادها جارك، يشاع عنه أنه صائد ماهر للنساء، ويُهمس بأنه يعجبهن. في اللحظة التي أردت أن تنسحب فيها، وتعود لأمطارك المرعبة في الخارج، التفتت زوجتك الجميلة إليك، كان وجهها عَرِقا، ومغطى بشعرها الغزير الأسود، شفتاها كبيرتان مكتنزتان، بدا الجانب الذي يواجهك من صدرها ناهدا، جموحا وبارزا كأنه كوخ صغير من الشيكولاتة. أنت تعرف أن المرأة تصبح في قمة جمالها، ومنتهى أنوثتها، أثناء ممارستها الجنس."[(٥)]

وإذا كان "بركة ساكن" قد أمسك بطرف السرد في هذا الموضع لأن المشهد كله مشين ولا يقوى رجل على حكيه عن امرأة كانت على ذمته فقد تجرأ "مصطفى"، بطل "أمس انتهينا" على ذلك، واشترك مع الزوج المخدوع الأول في سلبيته تجاه الحدث: "وضعت المفتاح النحاسي في كالون الباب وأدرته فأحسست بشعاع من سنا البرق ينطلق نحو قلب

(١) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣.
(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.
(٣) راجع كتاب "نزيه أبو نضال" "التحولات في الرواية العربية المعاصرة"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٣٨.
(٤) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.
(٥) مخيلة الخندريس، ص ١٣.

الشقة. كان صوت التلفاز عاليا كالعادة ويبث أغاني فجة مقيتة، لكن دلال لم تكن بالردهة. توقعت أنها في المطبخ. تركت باب الشقة مفتوحا وسرت نحو غرفتي كالسائرين نياما. اقتربت من الحجرة وأن أسمع أصوات طقطقة وصرير وهمهمة وغمغمة. وجدت دلال تمتطي شيئا في فرجها وتعلو وتنزل عليه. كانت هائجة بشكل كبير. لم أرها في هذه الحالة من النشوة من قبل، ولا حتى معي. لم يبد منها سوى ظهرها الممشوق ومؤخرتها المكتنزة. يسمون هذا الوضع – قنديل البحر– Jellyfish لأن مؤخرة المرأة تترجرج مثل القنديل. عقدت الدهشة لساني ووقفت مذهولا! تمنيت أن يكون ما تعتليه دلال آلة جنسية من النوعية التي تُثبت في الأرض أو ما عداها، لكن خاب ظني. لقد كان تحتها رجل تتأجج الشهوة بين أصابع قدميه التي راحت تعزف موسيقى الهوس. تصلبت في مكاني وأنا أنظر تحتهما إلى مفرش السرير الذي طرزته أمي بيدها... أحسست أن دلال هي المرأة التي مثلت كل أفلام الجنس. أحسست أنها من ثبتت الرايات الحمر عبر التاريخ... أحسست أنها اختزلت تاريخ العاهرات والخائنات برمته. أحسست أن اسمها ولا غير سواه يحتل قاموس الكلمات البذيئة: عاهرة وداعرة وبائعة هوى ومومس وبغي وقوادة... أحسست أنها هي التي من أجلها وضعوا درس المرفوعات في اللغة والروافع في الفيزياء. توقفت دلال لحظة عن الهز والرهز لتعصب شعرها، فأمسك شريكها بثدييها وراح يجذبهما إليه. أراد الرجل أن يغير الوضع. أرهقه جسد دلال الممتلئ. قاما ليجددا نشوتهما بشكل مختلف ففوجئا بي أقف على عتبة باب الغرفة. لا تعليق. انكمش قضيب الرجل في ثوان معدودة. نظر إلى دلال ولسان حاله يقول لها: يا فاجرة، تخونينني مع زوجك!... كان الرجل يرتدي الواقي الذكري. أردت أن اشكره لأنه يتبع إجراءات الجنس الآمن. أردت أيضا أن أعتذر له لأني قطعت عليه شهوته. يذكرني هذا بماري أنطوانيت عندما داست خطئا على قدم السَّيَّاف وهي تتقدم نحو المقصلة فقالت له بأخلاق الملوك: "المعذرة يا سيدي، لم أفعل ذلك عن قصد!"[١]

لمتلازمة "ليليت" كما اسلفنا وجوه عديدة منها الأنثى اللعوب التي لا تتورع خراب البيوت Home Wrecker. في رواية "أيقونة بلا وجه" تقدم لنا "هيفاء بيطار"[٢] هذه الشخصية ممثلة في "أحلام" التي خانت صديقتها "نبوغ" مع زوجها وأنهت علاقتهما

(١) أمس انتهينا، ص ٦٨، ٦٩، ٧٠.

(٢) دار نلسن، السويد، ٢٠٠٠.

الزوجية. في روايتها "كلما عاد الربيع" عالجت "إقبال بركة"[(١)] هذا الموضوع، خاصة حين يرتبط بتوهم الشريكة بوجود من يريد أن يخطف حبيبها منها.

ومنها اللعوب التي تتعمد فضح الشريك مع تقديم الدليل كما فعلت "مونيكا ليونسكي" Monica Lewinsky في قصتها مع الرئيس الأمريكي "بيل كلينتون" Bill Clinton. اللعوب التي تجمع بين الزوج والحبيب والعشيق كما في رواية "بيار روفايل" "لا تلمني"[(٢)] والتي منها نقرأ: "ستكون للاثنين معا. للعشيق رفيق، وللحبيب فؤاد.. و .. للزوج عادل أيضا. كانت بهية من النساء اللواتي يردن الاستئثار بكل رجل تقع عليه عيونهن، لا فرق لديهن بين وضيع ورفيع ولا بين أنوف وحقير. لا يقمن للشرف وزنا ولا للطهر والعفاف أي مقام."[(٣)]

من وجوه "متلازمة ليليت" أيضا العاهرة التي تمارس الجنس بالثمن. في رواية "العشق الدمشقي" لدياب عيد نقرأ: "دعاني بروس للعشاء ذات يوم وقال ستحضر اثنتان من العاهرات. دهشت حين سمعت مع أنني أحوج ما أكوت لامرأة، ذكر لي أن بعض أصدقاء السفارة قد أعطوه رقما هاتفيا اتصل به بعد تردد شديد وقد حضرت واحدة إليه قضت معه ليلة، ثم جاءت أخرى، وهو مطمئن إلى سلامتهن رغم جهلهن بالإنكليزية وكونهن مهتمات بالثمن. في تلك الليلة وبعد الطعام والشراب كان بروس يحب رؤية رقص البطن. لذلك حين أخذت الطويلة ترقص له أخذت الثانية إلى الغرفة. ورغم امتعاضي من موقفها إذ سارعت إلى خلع ثيابها دون كلمة أو حركة ثم استلقت على السرير منتظرة، رغم ذلك لم استطع التعفف أمام جسد امرأة حتى لو كانت عاهرة غبية."[(٤)]

من نماذج "متلازمة ليليت" أيضا الخليعة التي تعشق ما يُعرف بالتعري[(٥)] أو الإستعراء Nudity كسلاح من أسلحة الغواية على نسق "إستربتيز سالومي". يقول " حسني حسن"

(١) كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٨٥.

(٢) دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.

(٣) لا تلمني، ص ٦٧.

(٤) العشق الدمشقي، ص ١٥٨.

(٥) التعري لدى المرأة هو أيضا فعل من أفعال الحرية، وهذا ما عبرت عنه "نورة الغامدي" في روايتها "وجهة البوصة" : "جدة عارية، وأنا أريد أن أعانقها عارية... أتحرق لممارسة جنون التعري تحت سماء جدة." (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٢١.)

على لسان "كمال"، بطل روايته "المسرنمون":[١] "كل إنسان يخجل من عريه"،[٢] لكن بعض النساء تُصاب بهوس التعري Nudomania الذي لا يكشف فقط عن مفاتن أجسادهن بل يشف أرواحهن المأزومة. في رواية "أسود دانتيل" لحرية سليمان[٣] نقابل هذه المرأة التي "تتمشى في الشارع بأزياء غريبة. بذوق امرأة فاجرة. بلوزات مفتوحة عند الصدر. تنانير قصيرة وفساتين ضيقة. تضع أقراطا كبيرة. وأحذية بنعول حادة."[٤]

في رواية "ريا النهر" لجبور الدويهي[٥] نقرأ: "راحت تخلع ثيابها على مهل... لم تقفل الشباك الذي يطل على الجسر والطريق العامة. داعبت كتفيها العاريين وفخذيها وبحثت عن مرآة فلم تجد... لم تعرف كم مضى على وقوفها وسط الغرفة. اقتربت من الشباك المفتوح. فليرها المارة وسائقو السيارات العابرون فوق الجسر وليرها الأب جبرايل من فوق، من إحدى نوافذ دير مار سمعان إذا كان واقفا خلفها! التصقت بالنافذة فأحست ببرودة الزجاج على نهديها المرتخيين."[٦] المرآة المفقودة موجودة في رواية "سيدي وحدانه" للكاتبة "رجاء عالم"[٧] وأمامها تتعرى البطلة: "ركعت جمو إلى مبخرتها تحرك أواح العود حتى تضببت الحجرة بالدهن. أدارت فونوغرافها ثم قامت لمرآتها وبدأت تتجرد."[٨] وفي رواية "آمال مختار" "نخب الحياة" نقرأ: "وقفت عارية أمام المرآة.. فكرت أن أعيد رسم شفتي، ثم عدلت بقلم.. تتبعت خطوط جسدي على المرآة."[٩]

في رواية "جورة حوا" للكاتبة "منهل السراج"[١٠] تتعرى "مي" في المرسم أو بيت الفنانين. وفي رواية "هدرا جرجس" "مواقيت التعري"[١١] نقابل شخصية "سناء" التي تجد

---

(١) دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.

(٢) المسرنمون، ص ١١.

(٣) نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٤) أسود دانتيل، ص ٢٢.

(٥) دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٨.

(٦) ريا والنهر، ص ١٤٦، ١٤٧.

(٧) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨.

(٨) سيدي وحدانه، ص ٥.

(٩) نخب الحياة، ص ١٠

(١٠) دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٥.

(١١) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨.

متعة في التجرد من ملابسها: "وما عليها إلا أن تقف عارية أمام موجات الرياح الباردة – أحستها ساخنة تكوي جسدها – وتنتظر فتاها الذي يرسل مع الرياح خلاصة رجولته مفتته."[1]

في رواية "اسمه الغرام" تقدم لنا "علوية صبح" مشهدا آخر من إدمان التعري والتجرد: "كنت أخلع ثيابي وأقف طويلا أمام المرآة قبل أن أذهب لملاقاته. أتفقد جسمي الذي كان مشدودا، وبشرته الرخامية كما لو أني ذاهبة إليه بلا شيء يغطيني... وكنت أحيانا أبتسم في المصعد حين أفكر لم لا أبدأ بخلع ثيابي فيه وأدخل عارية إليه... وبمجرد أن نسقط ثيابنا عن جسدينا، كان يبتعد كل منا قليلا إلى الخلف لنرى بعضنا البعض عاريين."[2]

أما "نبيل سليمان" فقد أخذنا إلى التعري كما كان في بدء الخليقة في روايته "في غيابها":[3] "فيما تبقى من النهار كانت هبة تنفث سحرها في سعد: زمن مطير وغابات لا متناهية ودببة سمراء ووعول وقطعان من الماعز الأسود: انظر يا حبيبي نحن عريانان نتقدم قطيع عراة، ومن العراء إلى المغاور... سنحفر في الصخور مسكنا ومدفنا، ونقد من الصوان نصالا، ومن سواه أزاميل وفؤوسا ومقاحف ومكاشط، وسنطبع على الطين بصمات أقدامنا وورعنا وشبقنا، كما يطبع وحيد القرن أو السلحفاة أو الكركدن."[4]

هذا وكثير من الروايات العربية المكتوبة بمداد ذكوري وأنثوي مترعة بالعري والجنس. وفعل الإستعراء محبب لدى النساء والرجال على حد سواء، ومما يدلل على هذا وجود شواطئ ونوادي وحمامات له. بطل رواية "علي الدميني" "الغيمة الرصاصية" يتردد على نوادي العراة في أثينا.[5] العري له نصيب وافر في الرواية العربية لأن المرأة اللعوب التي نتحدث عنها تريد أن يحظى جسدها بإعجاب الرجل، وفي نفس الوقت تريد أن تحافظ على بكارتها؛ والرجل في المقابل يقنع بما يرى ويدخر تلك المشاهد لقادم الأيام أو ربما ينتهي الأمر

---

(١) مواقيت التعري، ص ٣٣.
(٢) اسمه الغرام، ص ١٤٩.
(٣) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩.
(٤) في غيابها، ص ٢٩.
(٥) دار الكنوز الأدبية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٥٤.

بنكاح يده لينتهي الأمر عند هذا الحد. نقرأ من رواية "إبراهيم فرغلي" "أبناء الجبلاوي":[1] "تمارس نوعا من انتزاع الاعتراف، لأؤكد لها أنها جميلة، وأن جسدها هو أجمل ما شاهدته، وأن ردفيها أجمل ما رأته عيناي. ومن جهتي كنت أردد ذلك، تحت ضغط نرجسيتها المفرطة. وكالعادة استدرجتني لمنطقها، وأوهمتني أن ما نفعله هو ممارسة جنسية، بينما الأمر لا يعدو كونه طقسا للاستعراض. تتعرى تدريجيا. تجلس على الفراش أو أريكة غرفة النوم المواجهة للمكتب، وفقا لمزاجها، ثم تتيح لي، بكرم بالغ، أن أتأملها كيفما شئت. أما الشرط الذي بموجبه تمنحني عريها هذا بهذه الأريحية فهو: ممنوع اللمس."[2]

أما يحيى حقي فيتحدث في قصته القصيرة "كان" عن نوع مختلف من العري هو عري الروح: "ليس العري لاصقا بجسدي بل بروحي."[3]

عقدة أشمون

للآلة الجنسية أهمية خاصة في حياتنا. وربما يبدأ الاهتمام بها مع التلهف لإنجاب الذكور ثم ختانهم. نشعر بهذا الشغف في تلك الكلمات من رواية "خلف السدة" لعبد الله الصخي[4] والتي تصف ولع الأم بالوليد الذكر: "طوقت خصره بخيط قطني ناعم يتدلى منه جرس ذهبي فوق عضوه الذي كثيرا ما كانت تقبله بافتخار أمام الرجال والنساء."[5]

مع البلوغ يشتد الاهتمام بالقضيب. نرى ملمحا لذلك في رواية "شارع بسادة" لسيد الوكيل[6] ومنها نقرأ: "نبت في عاناتنا شعر... دفع في جيب أحدنا صورا لنساء ورجال عرايا وفي أوضاع يخجل الواحد من وصفها، قال: من منكم يملك عضوا أكبر؟ من منكم أكثر منيا من أخيه؟"[7]

---

(١) دار العين، القاهرة، ٢٠١٠.

(٢) أبناء الجبلاوي، ص ٢٤.

(٣) مجموعة "سارق الكحل"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٧.

(٤) دار المدى، دمشق، ٢٠٠٨.

(٥) خلف السدة، ص ٢٣.

(٦) دار الناشر، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٧) شارع بسادة، ص ٢٢.

الآلة الجنسية الصديق المقرب للرجل يتفقده بين الفنية والأخرى كما أوضح "قاسم الغزالي" في روايته "الدار البيضاء – جنيف رقم الرحلة J 5408":[١] "أحرك أصابع يدي في جيب البنطلون، استشعر أعضائي التناسلية من تحت الملابس الداخلية، دون أن يحصل تماس مباشر بيننا.. تعم وجهي ابتسامة فرح خفيف. كل شيء في مكانه الطبيعي وعلى ما يرام، أعضائي التناسلية هنا، والمحرك جاهز ومتأهب لأية عملية مهما كانت خطرة، أعضائي تسجل وقوفها الرمزي وتضامنها معي، إنها تنتصب لإلقاء التحية."[٢] وغالبا ما يدور حديثا بين الرجل وعضوه بين الحين والآخر، فهما صديقين أو زميلين كما كتبت "نجوى بركات" في روايتها "يا سلام":[٣] "تحسس لقمان عضوه. هيا، انهض يا زميل، أعدك بيوم ليس كالأيام. مرر إصبعا تحته ولكزه، فرفع الزميل رأسه متململا، ثم عاد يرتمي على بطنه وينام. لا رغبة له اليوم. لا بأس. لا رغبة للقمان أيضا. ربما حمله مساء إلى مارينا. ألم تقل له وتلح عليه عشرات المرات؟"[٤]

ومع الرجولة تتنامى أهمية الآلة الجنسية ويزداد معها الشعور بالفحولة والقوة. البعض يشعر بالرغبة في اللف على النساء والعاهرات متباهيا بهذه الآلة. في رواية "بين الحب والحرب" يشعر "اللخمي" أنه هناك شبها بين قضيبه و"عمود السواري"[٥] وهو عمود روماني بالإسكندرية يشبه المسلات الفرعونية:

- "عرفت مطرح امرأة نظيفة تكري فرجها للوجهاء فقط مثلنا.
- حقا؟

(١) شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١٣.
(٢) الدار البيضاء – جنيف رقم الرحلة J 5408، ص ٥٠.
(٣) دار الآداب ، بيروت، ١٩٩٩.
(٤) يا سلام، ص ٧.
(٥) يُطلق عليه "أيمن الدبوسي" "السارية الرومانية" في سياق حديثه عن الجنس عبر كاميرا الويب Cypersex: "أين محظوظة الفرج التي ستفوز بهذه السارية الرومانية. كان هناك عرض من صديقتي الكندية – سيدني – اقترحت أن ننتقل إلى سكايب ونفتح كاميرا الواب، ليستمني كل منا على الآخر." (انتصاب أسود، ص ١٤٤).

- نعم، لكنها تشترط فقط أن تكون حليق اللحية لأنها تتأذى من شعر اللحى.
- ماذا تقول يا لخمي! تريدني أن أحلق لحيتي فتضيع هيبتي!
- أنت وشأنك. المرأة ممتلئة وبيضاء كالقشطة.
- وماذا أيضا؟
- تمنح كل زبون خمس أقداح من البوظة.
- جميل.
- وتطل مشربيتها على عمود السواري. حين تنظر إليه وأنت تضاجعها تشعر بأنك الفحل الأوحد على وجه البسيطة.
- حقا؟"[1]

ومن رواية "نوكيا" لباسم سليمان[2] نقرأ عن التفاخر والتباهي القضيب: "تستطيع معرفة شهرة أعضائنا من ولع النساء الغربيات بها، والعناء الذي يتكبدنه ليحظين بمضاجعة من يشتهر بجعل أربع نساء ينمن وهن منهكات الفروج."[3]

المرأة إذن هي التي تُقدر أهمية هذه الآلة والفحولة التي تحملها وحجمها حين تُضخ فيها الدماء. كتب "عبد الباقي يوسف" في روايته "بروين":[4] "تمد يدها إلى عضوي. تقول: هذا لي. لهالة، هاهو ينهض على هالة مثل حصان كما اعتدته. دعه يخترق معدتي وكبدي. دعه يقبل زهرة هالة، ويمزقها. ألم يحن لزهرتي؟.. تأخذني في حضنها. تمسك برأسه، وتدسه في عتمة الوردة."[5] ومن رواية "الفخ" لعماد طراد[6] نقرأ عن هذه النقطة: "تروي كيف كانت تحلم

(١) بين الحب والحرب، ص ٤٨.
(٢) ليليت للنشر والتوزيع - أرواد للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية - طرطوس، ٢٠١٤.
(٣) نوكيا، ص ٧.
(٤) مركز رام، دمشق، ١٩٩٧.
(٥) بروين، ص ٢٢.
(٦) دار المدى، دمشق، ٢٠٠٧.

به كل ليلة منذ سنوات قبل زواجهما... تراه يأتي فراشها عاريا تماما بجلده المحروق بأشعة الشمس وعضلات كتفيه القوية وفخذيه الأشبه بعمودي الكنيسة. لكنها عندما تزوجته ودخل فيها بشكل واقعي اكتشفت كم كانت أحلامها هزيلة وتافهة. وحين رأت قضيبه أول مرة أحست بشيء يشبه طعم الخوف أو الإغماء أو السعادة أو الفرح أو التوجس أو الحذر أو مزيج منها كلها. أو كما حكت لبعض النسوة.. يومها قلت في داخلي: يا يسوع المسيح ساعدني.. هل سيدخل هذا كله فيّ!! لكن بعد لحظات عرفت، وأنا في حالة أشبه بالغيبوبة بأني أنا التي دخلت إلى شيء رائع.. ربما الجنة أو ملكوت السماوات. كان أمتع شيء في الكون.. وفيما بعد عرفت بأن عليها كي تحافظ على جنتها أن تجاريه. فهو كان يتحرك فوقها دون توقف ساعتين كاملتين، يتركها بعد ذلك هامدة بلا حراك."[١]

هوس المرأة بالقضيب يتناول "عبد الحميد هدوقة" صورة غريبة له في روايته "بان الصبح"[٢] حين تهجم أرملة في حمام للنساء على وشم للقضيب دقته امرأة أخرى على فخذها تحاول القبض عليه والإمساك به. والجنس الفموي هو أحد مظاهر الافتنان بالقضيب. تصف بطلة "الأوبة" لوردة عبد الملك قضيب زوجها الذي تبغضه بالثعبان، لكن مع الرجل الذي أحبته تقول: "أداعب ذلك الكائن الجميل بأطراف أصابعي، أقبله وأرشفه حتى أذوق بطرف لساني شيئا من لزوجته. وبوجل أدفن وجهي في الحديقة البابلية الجميلة."[٣] ومن رواية "دنيا" لعلوية صبح[٤] نقرأ: "وبإصبعي وعيني رحت أرسم ذلك المثلث ما حول عضوه وأسفل بطنه. قبلاتي ولمساتي المتسابقة على منطقته الحميمة ألهبت انفعالاتي. وصار أنين الرجوله المتأججة يعلو فيه، وأنا أقبل خصيتيه صعوداً حتى الخط الفاصل ما بين سرته وعضوه، نزولا حتى تلك المساحة الضيقة ما بين دبره وخصيتيه، ورائحة عضوه الخاصة تعبق أنفي."[٥]

---

(١) الفخ، ص ٢٧، ٢٨.

(٢) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٠.

(٣) الأوبة، ص ٨٧.

(٤) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٦.

(٥) دنيا، ص ٨٧.

ومن هنا وبناء على كل ما ذُكر عاليه يأتي الخصي كعقاب شديد الوطأة والألم على الرجل. في رواية "فيوليت والبكباشي" لعمرو كمال حمودة[١] يتعرض "أرسان" للإخصاء: "في لمح البصر كان مرميا في السيارة إلى السجن الحربي، وقد تخدر أثناء الطريق. دخلت السيارة من البوابة وتوقفت عند المستشفى الصغير الملحق بالسجن. حمله جنديان وساروا به في ممر قصير ثم إلى غرفة مضاءة، تفوح منها رائحة التعقيم. يقف الطبيب على استعداد ومعه ممرضان. أجريت عملية جراحية. عندما أفاق كان معصوب العينين. جسده به تنميل شديد وإحساس كامل بالضعف. حملوه إلى السيارة الجيب، ليست لديه القدرة على الكلام أو السؤال؛ أعادوه إلى المنزل من باب البلكونة، وتركوه بعد أن قال له أحد الجنود: مبروك إحنا خصيناك. لا بقيت راجل ولا ست! كان يبكي بكاء حارا بلا صوت وفيولا تجلسه على الفوتيل في الصالة ثم ترفع العصابة. لم تكن على علم بما حدث، ولم تسأله عما حدث.. فلقد تبدل تماما، وانكمش على نفسه بدرجة مذهلة وأصبح جسده على هيئة علامة استفهام."[٢] يختم "محمد هجرس" روايته "اقتلوا يوسف"[٣] بقوله: "يضيع صوت يوسف.. ويُسحب من يديه إلى داخل حجرة مظلمة، وخلفه ضابط في يده مقص غليظ يحركه فيحدث صوتا.. الوزير يقف على باب الحجرة.. يوسف يصرخ كامرأة تلد. يخرج الضابط بالمقص يقطر منه الدم وفي يده الأخرى قطعة من اللحم الطري تُشبه أصبع اليد.. يراها الوزير فيشمئز وهو يقهقه."[٤]

هذا ومعلوم أن هناك من الشعوب من يقدس الآلة الجنسية الذكورية[٥] ويرثي فقدانها أو عجزها عن الوفاء بدورها ويسعى لإيجاد الوسائل لتقويتها ويقيم لها المهرجانات.[٦] تقول الأسطورة الفرعونية أن "إيزيس" عندما بعثر "ست" جسد زوجها "أوزوريس" ظلت تجمع أشلاءه فاهتدت إلى ثلاثة عشر جزء، لكن الجزء الأخير وهو قضيب زوجها تبين أن سمكة

(١) هفن للترجمة والنشر والبرمجيات، القاهرة، ٢٠١٠.

(٢) فيوليت والبكباشي، ص ١٥١.

(٣) مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٤) اقتلوا يوسف، ص ١٣١.

(٥) حسن نعمة، موسوعة الأديان السماوية والوضعية: (١) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤، ص ٤٠، ٤١.

(٦) مهرجان القضيب في بلدة "كوماكي" بوسط اليابان حيث يقدسونه كرمز للخصوبة، ويصنعون له نموذجا من شجر السرو بطول مترين ونصف!

قد أكلته. سمكة صغيرة ضيعت هذا الكبرياء فما كان من إيزيس إلا أن استعاضت بمجسم خشبي عن هذا الجزء، وربما كان ذلك أول "دلدو" Dildo[1] في التاريخ.

و"أشمون" Eshmun هو إله الخضرة Vegetation وتجدد الحياة عند فينيقي مدينة "صيدا". وقصة "أشمون" هي قصة شاب ترك مسقط رأسه، بيروت، في رحلة صيد بالغابة فوقعت في حبه الإلهة "عشتار" Astronae وحاصرته بالغرام، لكنه رفض معاشرتها فخصى نفسه.[2] تذكرنا قصة "أشمون" بحكاية طالما ترددت من على المنابر عن شاب ورع دعته امرأة، لكنه تعفف ولما حاصرته لطخ نفسه بالغائط حتى تنفر منه. من رواية "مصطفى نصر" "ظمأ الليالي"[3] نطالع: "تقرأ قدرية الجريدة. تُحدث مديحة ضاحكة في حياء، شاب ريفي متدين يقطع ذكره بالموس فيغمى ليه. ينقلونه إلى المستشفى. يقول أنه فعل هذا خوفا من الفتنة."[4]

في رواية "حين رحلت"[5] نقابل "سالم" الذي يدور بينه وبين بطلة الرواية هذا الحوار على "الإنترنت" ويتضح منه أنه أخصى نفسه.[6] "سألته مرة إن كان رجلا أو امرأة... فأجابني أنه كان رجلا! قلت: الآن فهمت يبدو أنك متحول جنسيا. أعرف أنه أمر صعب أن تكون رجلا في داخلك امرأة. الكثير من المشاعر تختلط عليك، وتتمنى أنك غير موجود أصلا. ربما هذا هو سبب ضياع إيمانك كما قلت لي مرة. قاطعني: أنا رجل مخصي! صدمني ذلك وبعث في داخلي موجة من التشتت والذهول. كتبت ببطء: كيف... سالم، أنت تمزح. من فعل هذا بك؟... رد بإصرار مخيف: أنا، أنا، أنا. أنت من؟ أنا الذي خصيت نفسي؟"[7]

---

(١) تُسميه "منى برنس" في روايتها "إني أحدثك لترى" بالعضو البلاستيكي. (دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٨).

(2) Sue Batolucci et al, Medical Eponyms, Lippincott Williams & Wilkins, Baltimore, 2005, P. 219.

(٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٤) ظمأ الليالي، ص ٣٤.

(٥) سهام مرضي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.

(٦) يُعرف الإخصاء الذاتي أو قطع أي جزء من الجسم بـ "متلازمة فان جوخ" Van Gogh Syndrome، نسبة إلى الرسام الهولندي الشهير الذي قطع أذنه.

(٧) حين رحلت، ص ٢٥.

الإخصاء الذاتي أو محاولة فعل ذلك نجدهما في رواية "تراتيل العدم" لمها حسن:[1] "اتجه إلى المطبخ جالبا سكينا قوية وحادة، وحين حز السكين على ذلك المكان، أحس بألم شديد، وبغتة، نفرت دماء قليلة، فأحس بالخوف، فقد أرعبه مشهد الدم، ولكن رائحة الدم الطازجة، سوف تترك فيه لذة قادمة. ارتدى ملابسه، وذهب إلى حديقة قلعة جده، في الجزء الخلفي من الحديقة، حيث لا يأتي أحد إلى هناك... أعاد محاولة التخلص من ذلك الجزء المتسبب في تخويفه، خلع بنطلونه، وربط عضوه بحبل، وربط الرأس الآخر للحبل بجذع شجرة التوت القوية، وأخذ يشد جسده، ليقتلع ذلك النتوء من جذوره، كما تخلع الضرس المسوسة."[2]

تُعرف "عقدة أشمون" Eshmun Complex أيضا بـ "عقدة الخصاء أو الإخصاء" كما مثلتها صرخة "غالب هلسا": "ردي لي رجولتي. ما تفعلينه عملية إخصاء، إخصاء، إخصاء!"[3] تشير العقدة إلى خوف الذكر من حسد القضيب أو حدوث جرح أو قطع أو فقدان للعضو الذكري الذي يمثل الهيمنة الذكورية. وحتى الختان الذي هو واجب شرعي هناك من ربطه بهذه العقدة خاصة حين يتم في سن متقدمة وبدون مخدر. افتتح "أمين معلوف" روايته "ليون الأفريقي"[4] بهذه الكلمات: "خُتنت أنا حسن بن محمد الوزان، يوحنا – ليون دومديتشي، بيد مزين."[5]

ونقرأ من رواية "نجم والي" "مكان اسمه كميت":[6] "عندما كان في الثانية عشرة... قاده... أبوه إلى أحد جراحي المدينة. فقد أخبره ذلك اليوم بأن ختانه قد حان، ولا يمكن تأجيله. لقد بوغت صالح بالخبر آنذاك، وتأسف على ضياع قلفته التي كان يتفاخر بها أمام زملائه... تلك الليلة سأل أباه، فيما إذا سيتفق مع الطبيب على تبنيجه، فأجاب بأنه أمر

(١) دار الكوكب (رياض الريس)، بيروت، ٢٠٠٩.
(٢) تراتيل العدم، ص ٢٣.
(٣) الخماسين، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٩٧.
(٤) ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٧.
(٥) ليون الأفريقي، ص ٩.
(٦) دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٧.

طبيعي. كلا لم يفعل الطبيب ذلك. ما زال يتذكر المشهد. كان ملقى على السرير، وقد أمسك أبوه بيديه، في الوقت الذي أمسك عمه فيه برجليه، فيما راح مقص الطبيب يشتغل هناك عند القلفة."(١)

يتابع "أحمد أبو دهمان" وصف عملية الختان لكن وسط طقوس قبلية في روايته "الحزام"(٢) قائلا: "كان لدينا في القرية واحدا من أشهر الختانين في المنطقة... يبدأ الخاتن بإزالة الجلد المحيط بالذكر، بسكين لا تلتصق بها قطرة دم، وكأنها صُنعت من ضوء، وإمعانا في الاختبار والنظافة معا، فإن العملية تطال ما حول الذكر من الفخذين وأسفل البطن، والفتى كالرمح؛ سادرا في قصيدته وخنجريه وزغاريد النساء، وهو أول من يعرف أن أي اهتزاز أو ارتباك في كلمة واحدة، أو نظرة واحدة، يعني موته الاجتماعي، وأن أي بنت أصيلة لن تقبله عشيقا أو زوجا أبدا."(٣)

كما تشير "عقدة أشمون" في شق آخر إلى العجز الجنسي والربط وعدم قدرة القضيب على العمل بكفاءة. يبدأ الإحساس بالضعف الجنسي حين لا يشعر الرجل بالاستثارة عندما يرى أو يقترب من النساء. كتب "كريم كطافة" في روايته "حصار العنكبوت":(٤) "سنين طويلة كاد فيها أن ينسى جسد المرأة، ورائحة المرأة... ينظر للنساء كما ينظر للرجال، متجسدات خارجية ليس فيها شيء استثنائي متفرد، لا رائحة، لا توق، زمن مر لم يشعر خلاله بذلك الانجذاب الذكوري الغريزي لجسد الأنثى، حتى الانتصاب لم يشعر به."(٥) في رواية "جبور الدويهي" "حي الأمريكان"(٦) نقابل الفران العنين الذي "ينام من دون زوجة. يُقال إنهم صعقوا أعضاءه بالكهرباء خلال سنوات سجنه الطويلة فصار عاجزا."(٧) من

---

(١) مكان اسمه كميت، ص ٣٣.

(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١.

(٣) الحزام، ص ٢٦، ٢٧.

(٤) دار نون للنشر، رأس الخيمة، ٢٠١٤.

(٥) حصار العنكبوت، ص ٢٤.

(٦) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.

(٧) حي الأمريكان، ص ١١.

رواية "ذهب مع النفط" لعبد الله خليفة[1] تعاتب "فريدة" زوجها "سلمان" قائلة: "كل مرة تقول ذلك، وتدفعني إلى السرير وتتعرى وتكتسحني بالقبل ولا شيء يحدث."[2] وفي رواية "سولو" لماجد الجارد[3] نعلم أن للرجولة بعد ثالث غير بعد المظهر أو بعد التصرفات والمقصود هنا بعد الأداء الجنسي: "أحقا أنا مشكوك فيه؟! ورجولتي على المحك؟ لم أكن أتخيل ذات يوم أنه علي أن أثبت رجولتي.. هذا شاربي كث، وهذا شعري من حول أذني، وصلعتي اللامعة، وهذا صوتي الأجش."[4] في رواية "هسيس اليمام" لسعد سعيد[5] يفقد "ورد" قضيبه أو بالأحرى يتم بتره في عملية جراحية فيوصف عمليا بالعاجز ويُطعن في رجولته: "رجع من المستشفى مجروحا، مهزوما ومكلوما.. أنقذوا حياته هناك، ولكنهم اقتلعوا ما تبقى من صنم رجولته بعد الحادث، وحوروا له مسالكه ليتمكن فقط من إفراغ اليوريا التي يجب أن يتخلص منها ليعيش... أصبحت رجولته هاجس."[6]

صورت "دُنى غالي" هذا العجز في روايتها "منازل الوحشة":[7] "أجرب مع هذه الإخفاقات أن أهون على أسعد، ولكن بغير قناعة تامة. هو زوج حساس سريع في التقاط الإشارات. تكرر فشل محاولته لمرتين... انسحب بعيدا عني إلى الجهة الأخرى من السرير ثم نهض ليشغل سيجارة. قلت من دون احتراس أو توقع: لنا جولات ثانية. كانت مجرد محاولة عفوية لمداراة الموقف. خجلت من ذلك."[8] ونفس الفكرة كررتها "نور عبد المجيد" في "أحلام ممنوعة":[9] "جن جنون جابر ويزداد جنونه كل ليلة لينهض في الصباح من فراشه أكثر انكسارا وذهولا.. كل الرجال حمقى. لا هم لهم سوى الطعام والجنس... جن جابر

(١) دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠.
(٢) ذهب مع النفط، ص ٣٠.
(٣) نادي مكة الثقافي – مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٤.
(٤) سولو، ص ٤٣.
(٥) منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٥.
(٦) هسيس اليمام، ص ٢١.
(٧) دار التنوير، بيروت، ٢٠١٣.
(٨) منازل الوحشة، ص ١٣، ١٤.
(٩) مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.

عندما بدأ يشعر أنه لا يستطيع أن يكون رجلا.. الرجل هو فقط من يقوى على ممارسة الجنس... هو رجل طالما كان قادرا على مضاجعة زوجته ويوم يفشل يصبح مجنونا.. ولكن رغم هذا هي مشفقة عليه. حاولت كثيرا أن تهمس في أذنيه أن كل هذا لا يهم... الحياة لم تنته لأن جابر مضى عليه أكثر من شهر يحاول ولم يستطع... لماذا يصرخ ويبكي ويلعن الأرض بأكملها عندما يحاول ولا يستطيع؟! لماذا أصبح يقتطع معظم الجنيهات القليلة التي يكسبها ليشتري حبة زرقاء أو قطعة حشيش."[1] في رواية "الضباع" لإبراهيم الخليل[2] نعاين مشهدا آخر للعجز وما أكثرها في الرواية العربية لأنها تتخطى عجز الفراش لعجز اللسان وعجز الإرادة وعجز الفعل: "حنت قامة ريانة كالصفصاف. عارية يغسلها العرق، والعطر، والضوء... حدق في الجسد الأبيض وسط غيمة خانقة من الذل والتراجع والجدب، وبدأ الإيقاع الموحش، يدق كأجراس الكنائس تحت المطر، شتاء الياسمين، وبرودة الثلج تسري في جسده كالخيول: التاريخ جرثومة دخلتك. استباحت ذكورتك، حولت عروقك إلى أسلاك من النحاس البارد، تركتك عاجزا... هذه عائشة، أنثاك، جدول من اللحم – الحليب – الدفء، وأنت مطفأ، مجرد صقيع يتوسل عجزا أصم، مسلوب الفعل."[3]

للخصيان تاريخ طويل من الألم والمعاناة في ظل الإمبراطورية العثمانية وفي ممالك ودول سابقة، كما تم تأصيله في أدبيات عديدة. كان عصر الخصيتين واحدا من أبشع طرق القتل. أوردت جريدة الأهرام في عدد ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥ خبر مقتل عائلة في بني مزار وبتر أعضائهم الذكورية، الأمر الذي يُحيل سر الرغبة في التخلص من الآلة الجنسية حتى بعد الموت إلى وقتنا الحالي.

في رواية "قتلة" لضياء الخالدي[4] يُقتل الوصي ويُقطع قضيبه ويوضع في فمه.[5] في رواية "الميتة الثالثة والأخيرة لعبد شويخ البدوي" لأسعد الهلالي[6] تقطع "هدية" قضيب

(١) أحلام ممنوعة، ص ١٤.
(٢) دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٠.
(٣) الضباع، ص ١٢، ١٣.
(٤) دار التنوير، بيروت، ٢٠١٢.
(٥) عالج محمد دياب فكرة جرح قضيب المتحرش في سيناريو فيلم "٦٧٨" الذي ظهر عام ٢٠١٠.
(٦) دار الشؤون، بغداد، ٢٠١٠.

"السركال" بمدية وارتها تحت الوسادة. في رواية "بنات بلدنا" لمحمد قرانيا[١] تسبب "ليلى" لعصام عاهة مستديمة أو على حد قول الكاتب "أعدمت ذكورته".[٢] نقرأ من رواية "الجازية بنت المنصور" للطيفة المفيد:[٣] "**مزيج من المشاعر تغمرني، ألم، رعب وغضب فوجدت فرصتي سانحة للانتقام. أمسكت عضوه بيدي وغرزت فيه أظافري بكل ما تبقى لدي من قوة. كنت أريد أن استأصله.**"[٤] في رواية "كش وطن" يمتزج الخوف على القضيب بكوابيس "فانتستيكية": "قام أحدهم بحز قضيبي المنتصب، قطعه وألقاه في جهنم، تركوني هناك أصرخ وأنا أشاهد النار تأكله."[٥] في رواية "التشهي" لعالية ممدوح أصيب ذكر "سرمد برهان الدين"[٦] بالضمور والانكماش نتيجة للسمنة المفرطة. في رواية "وقائع حارة الزعفراني" عرج "جمال الغيطاني"[٧] على هذه العقدة. ونظرا لأن التفاوت في وجودها واستخدامها هائل بين البشر فقد أخذ بمبدأ المساواة بين الجميع. استيقظ سكان الحارة من الذكور ليجدوا أنهم جميعا وبدون استثناء قد أُصيبوا بالعنة.

كتب "عبد الرحمن منيف" "في روايته "حين تركنا الجسر" التي استحضر فيها "العجوز والبحر" لإرنست هيمنجواي:[٨] "قلت أخاطب شيئا مجهولا: العجز يسري في الدم، وسيأتي يوم لا ينسل رجال هذه الأمة إلا الأقزام والمشوهين.. والأقزام والمشوهون لا يعرفون إلا أن يموتوا رخيصين! بصقت بحقد وقلت: أنا زكي نداوي.. العجز في دمي، البلاهة في دمي.. ولا أستحق شيئا! وبيأس تابعت أقول: أنا رجل مخصي، والطيور.. خاصة البط، تعرف ذلك!"[٩]

---

(١) منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦.
(٢) بنات بلدنا، ص ٣٨٤.
(٣) رابطة كاتبات مغربيات، الرباط، ٢٠١٥.
(٤) الجازية بنت المنصور، ص ٣٠.
(٥) كش وطن، ص ١١٦.
(٦) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٧.
(٧) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.
(٨) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨.
(٩) حين تركنا الجسر، ص ١٧، ١٨.

تعرج "علوية صبح" في روايتها "مريم الحكايا"[1] على نوع آخر من الخصي، ألا وهو خصي الحيوان: "كان أصحاب الحيوانات يستدعونه أحيانا كثيرة لخصي حيواناتهم، ذلك أن ذكورها تبقى في تهيج دائم كلما مشت خلف الإناث واشتمت رائحتها. يخصي حسن ذكر الغنم أول ولادته. يأتي بمغيطة ويشدها على الخصيتين لتبقى فترة من الزمن تضغطا عليهما، حتى تسقطا بعد ذلك لوحدهما يابستين... وكان الشاطر حسن يلتذ أكثر ما يلتذ حين يخصي صغير الثور، العجل، لإحساسه بالغيرة من الثور الذي يكفي وحده لمئتي بقرة في القرية."[2]

وفي رواية "أنين القصب" لحسن حميد[3] نقرأ: "وهناك.. قرب مستنقع مائي ضحل مليء بالطحالب والأعشاب، احتشد بعض الرجال مع عجولهم؛ جاؤوا إلى رجل كهل، قوي البنية.. ليسلموه عجولهم من أجل إخصائها.. بدت العجول مستنفرة وقد استشعرت الخطر الداهم الذي ينتظرها.. فما إن يبدأ الرجل فعل الإخصاء مع أول عجل حتى تثور العجول، وتملأ المكان بالحركة، والدوران، والخوار المر على الرغم من أنها مشدودة بالأرسنة! حالة الإخصاء الأولى تثير الرعب، والخوف، والهيجان لدى العجول، وهي ترى واحدا منها ارتمى على الأرض وثبت بالحبال والعصي الطويلة على الرغم من مقاومته العنيفة، وحفره الأرض بقوائمه التي يود لو أنها تتحول إلى أجنحة فتفر به إلى خارج حلقة الإخصاء. لكن ما إن يثبت العجل حتى يباعد رجلان ما بين قائميه الخلفيتين بقوة شديدة.. عندئذ يتقدم الرجل الكهل القوي نحو العجل ويباشر عمله، وما هي إلا لحظات فقط وينتهي من إخصائه، والعجل يقاوم ويمانع ويرغي زبدا.. فلا تكون النتيجة سوى إخصاء، وألم، وسحب للعجل نحو المستنقع المائي.. فيُرمى فيه، ويُرش بالماء لكي يهدأ ويستكين! عندئذ ما من أحد يبتهج أكثر من القطط الجسورة التي تمر من بين الأقدام المحتشدة لالتقاط ما أفرزته عملية الإخصاء."[4]

ومن الغنم والثيران إلى الخيول والتي يرى "أسامة علام" في إخصائها إلجام للرجل لأن آلة الحصان هي رمز للقوة الجنسية، يؤكد ذلك أن تماثيلها المنحوتة تحرص على إظهار هذه

(١) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.

(٢) مريم الحكايا، ٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ٢٠١٣.

(٤) أنين القصب، ص ١٨.

الآلة: "لم يكن الحصان ما تم إخصاؤه بل هو شخصيا، فيصعد الألم ببطء وحدة من أطراف أصابع قدمه إلى رأسه، ويطلق صرخة مدوية كرد فعلي أولي وتلقائي."[١]

أما "سلوى النعيمي" فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك حين رأت أن كل الأشياء والمفردات حولها مخصية تفتقر للفعل والإرادة والتعبير. كتبت تقول في روايتها "برهان العسل": "أكتب كل الكلمات الحساسة ولا يتعرف الحاسوب إلى أي كلمة منها. يضع تحت كل كلمة خطا أحمر، وكأنه بُرمج بالتقية هو الآخر. حاسوب عذراء! حاسوب مخصي على الأصح. من خصي اللغة؟ من خصي الحاسوب؟"[٢] في رواية "الإغواء الأخير" لعفاف البطاينة[٣] نقرأ عن "إخصاء الألسنة"، أي قطعها في الغالب حتى يعم الصمت ولا ينطلق في الأفق صوت معارض في بلادنا الجائرة: "زمان كانوا يخصون العبيد حتى يحافظوا على نقاء نسل السلطان، واليوم يخصون ألسنتنا حتى يحافظوا على شرف السلطة."[٤]

وأخيرا فيطيب لنا أن نقول أن فعل الإخصاء بالنسبة للرجل لا يوازيه عند المرأة استئصال الأرحام أو المبايض وحسب، بل يضم أيضا الإجهاض Abortion. والإجهاض هنا يشمل الطمث Menstruationوالسقط Miscarriage، وكلاهما يفجع المرأة. في رواية "اسمه الغرام" لعلوية صبح تقرن العمة رقية الطمث بالشؤم والبلاوي والمصائب، أما الأم فتقرنها بالنجاسة.[٥] بالرغم من ذلك فإن الطمث لا يحرم الأنثى من ميزة الفرصة المتبقية حتى يداهمها اليأس وكذلك الإجهاض، لكن عندما يتكرر الإجهاض تتشوه النفوس ويصبح كل شيء في حياة الأنثى وحولها سقطا. كتبت "علوية صبح" في روايتها "مريم الحكايا": "كلنا أجهضنا جنينا أو حلما أو ذكريات، المدينة أجهضت المدينة، والشوارع أجهضت الشوارع، والأبنية أجهضت الجدران، القرى أجهضت القرى، والبشر أجهضوا حياتهم.. كلنا أجهضنا، حتى أنا، أجهضت على الأقل يدي لكي لا أكتب."[٦]

---

(١) تولوز، دار دون، القاهرة، ٢٠١٤، ص ١٧.
(٢) برهان العسل، ص ١١٨.
(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.
(٤) الإغواء الأخير، ص ٦٢.
(٥) ص ٨٨.
(٦) مريم الحكايا، ص ٣٠٩.

وأما الإجهاض المتعمد نتيجة لحمل سفاح نجده حاضرا أيضا في السرد العربي. نتابع تفاصيله في رواية "حسن حميد" "جسر بنات يعقوب".[1] تنتهي العملية بقتل الجنين والبكاء عليه الذي هو أيضا بكاء على الجسد الذي انتهكته الخطيئة والحياة التي (كان) من (الممكن) أن (تكون) أفضل: "كانت الواحد منهن كلما ظهر بطنها، تلجأ إلى أختيها لمساعدتها على رمي ما فيه كائنا ما كان الذي تحمله! فتتعاون الأختان مع الأخت الثالثة، ومن أجلها، وباستعمال كل الوسائل، كصرر الخرق، والحجارة الصغيرة المربوطة بالقماش، والدق على الظهر والبطن وبابتلاع أقراص الفحم والقفز من فوق الأشياء المرتفعة، وبرفع الأخت الحامل من تحت إبطيها ودقها إلى الأسفل دقا عنيفا، أي إلى أن يهبط الجنين، وساعتئذ يُحمل في مهابة ويدفن في مقبرة وسط نشيج خافت من بكاء مر محموم."[2]

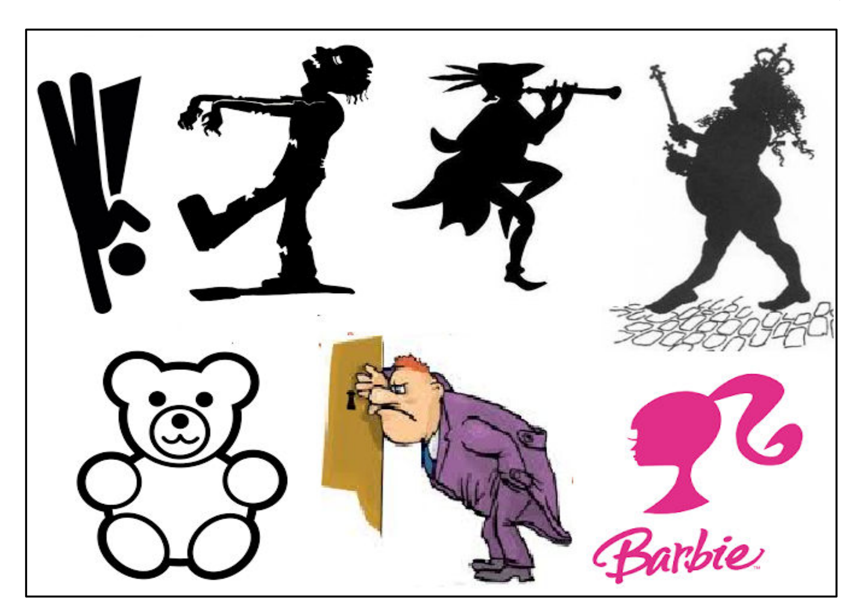
(١) دار السوسن للنشر والتوزيع والطباعة، دمشق، ٢٠٠١.

(٢) جسر بنات يعقوب، ص ٢٧٣، ٢٧٤.

الفصل الثامن

عقد وذهان ومتلازمات مستوحاة من شخصيات فلكولورية وفانتازية وكرتونية وكاريكاتيرية

متلازمة ملابس الإمبراطور الجديدة – عقدة باربي – عقدة سوبرمان– متلازمة توم المتلصص على عورات النساء – عقدة شوتارو – عقدة لوهينجرن – متلازمة ماوكلي– متلازمة ولتر ميتي – متلازمة عازف المزمار– متلازمة الساحرة الشمطاء – متلازمة الدبدوب – ذهان ويندبجو



متلازمة ملابس الإمبرا ـور الجديدة

تعود أصول "متلازمة ملابس الإمبراطور الجديدة" Emperor's New Clothes Syndrome إلى قصة "دنماركية" للأطفال كتبها "هانز كريستيان أنديرسون". نشرت القصة عام ١٨٣٧ وتدور القصة حول خياطين أقنعا الملك بأن يحيكوا له ملابس لا يراها الحمقى

والدونية. حين استعرض الإمبراطور رعيته لم يجرؤ أحد على الإفصاح بأن الإمبراطور لا يرتدي أي ملابس حتى لا يقال عنهم أنهم أغبياء. فجأة صاح طفل بذلك، لكن الإمبراطور تجاهل هذا القول وتابع السير في موكبه،[١] ولسان حاله ربما يردد مع "حمدي البطران": "الملابس لا تستر العورات."[٢] وفي القرآن "ولباس التقوى ذلك خير."[٣]

المصابون بهذه المتلازمة يدعون المعرفة حتى لا يقال عنهم أنهم جهلاء. يُسمى هذا الشخص في الموروث الفلكلوري بأبي العريف Mr Know It All.[٤] ما بين السطور تشي المتلازمة بأنه من قال لا أعلم فقد أفتى، وأنه ليس كل شيء يُقال. الصراحة الزائدة قد تؤدي إلى مشاكل. من أجل ذلك استنبطت اللغات ما يعرف بالعبارات المخففة Politically Correct Words (Euphemism) فمثلا الشخص الكذوب Liar يُسمى "مقتصد في الحقيقة" Economical with the Truth وهكذا.

في رواية "لا أحد" لسليمان فياض[٥] يخلع البطل ملابسه كاملة ويسير في الشوارع النجدية عار كما ولدته أمه، ولم يلحظه أو يكتشف عريه غير "حواء" تماما كما بدأت الخليقة. أما تأويل المتلازمة فنجده في قصة "الحادث" ليوسف إدريس حيث يقوم زوج بزيارة "أم الدنيا" بصحبة زوجته. يدعي الزوج معرفة كل شيء ويتحدث في كافة الأمور ويفتي بدون علم.[٦] ومن رواية "المصري" لمحمد أنقار[٧] نقرأ: "كنت أمثل رغم عن نفسي دور الصديق الذي يحلو له أن يهيمن على محاوريه بالتعالم وادعاء المعرفة الشمولية واستعراض معلومات المنجد والانتساب إلى أسرة ذات ماضٍ تليد."[٨]

---

(١) أورد القصة كاملة "سليمان مظهر" في كتابه "أساطير من الغرب"، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٥٤، لكنه نسبها للإنجليز.

(٢) يوميات ضابط في الأرياف، روايات الهلال، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٤٦.

(٣) الأعراف، ٢٦.

(٤) أو "متلازمة أليك الأريب" Smart Alec Syndrome.

(٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢.

(٦) مجموعة "أرخص ليالي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

(٧) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٨) المصري، ص ٢٧.

عقدة باربي

حين ظهر فيلم "الدمية تشاكي" Chucky ومظاهر القتل والتوحش لديها طالع المثقفون المراجع ليكتشفوا وجود "فوبيا" تُدعى "رهاب الدمي"! تناولت "شيرين هانئ" هذه الفكرة في روايتها "صندوق الدمي"[(١)] التي نقرأ منها: "اندفعت رنا نحوها إلا أنها شعرت بعشرة أزواج من الأسواط تلسع جسدها وتلقيها بعيدا.. كانت الدمي العشر تقف حاجبة خلفها السيدة خوشيار.. دمي لا يتعدى الواحد منها ٤٠ سم إلا أنها تستخدم خيوطها الفضية كأسواط لاسعة كأسواط قنديل البحر."[(٢)] يطل علينا هذا الخوف من جديد في رواية "مي خالد" "جيمنازيوم":[(٣)] "تدلف إلى فراشها شبه مغلقة العينين، لأنها إن التفتت حيث تحب أن تريح جنبها، ستواجهها فترينة زجاجية بحجم الحائط العريض، يتوسطها اثنان وعشرون كلبا خزفيا بأحجام مختلفة، تصوب نحوها عيونها بوسعها. تشد الغطاء إلى رأسها دون أن تطفئ الأنوار وتندم كيف لم تخبر مديرة القصر، أنها منذ الصغر تعاني من فوبيا العرائس."[(٤)]

الوضع مختلف بالنسبة للدمية "باربي" لأنها عروسة لطيفة وجميلة. تشير "عقدة باربي" Barbie Complex[(٥)] إلى النساء اللواتي يبذلن ما في وسعهن من جراحات تجميل Plastic Surgeries وخلافه ليبدين مثل العروسة "باربي" الشقراء ذات الخصر النحيف والصدر البارز والسيقان الطويلة.[(٦)] الهوس بعمليات التجميل في حد ذاته ظاهرة تُعرف بـ "متلازمة مايكل جاكسون" Michael Jackson Syndrome، نسبة إلى مغني "البوب" الأمريكي الأسود الشهير والذي أجرى العشرات من عمليات التجميل ليبدو كالبيض حتى انتهى الأمر به مسخا منفرا Freak. ينصب اهتمام هؤلاء الفتيات على المظهر دون الجوهر ولا يلتفتن إلى تثقيف عقولهن. وتمتد المتلازمة لتشمل الزوجة التي ترفض الإنجاب حتى لا يتشوه جسمها والتي تجهض نفسها حتى يبقى صدرها مشدودا.

---

(١) الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢.

(٢) صندوق الدمي، ص ٣٤٩.

(٣) دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.

(٤) جيمنازيوم، ص ٨.

(٥) ومن الدمي التي وردت في "متلازمات ثقافية" الماتروشكا الروسية Matryoshka Doll Syndrome.

(٦) قدم "شربل قطان" عرضا تاريخيا مذهلا لهذه الدمية في روايته "حقائب الذاكرة" (مؤسسة نوفل، بيروت، ٢٠١٠).

في رواية "حديقة حياة" كتبت "لطيفة الدليمي"[(١)] عن "سوزان": "قامتها الرشيقة وجسدها الشهواني الغريب وآفة الزمن تنام في خلاياها، وهي تكافح الزمن بكل قواها.. بعمليات التجميل والرياضة والوقوف عند عتبة الشباب التي امتدت بها ولبثت تتشبث بها. لا يبدو أنها ستتعرض لما تتعرض له النساء الأخريات من ذبول وترهلات لأنها تسخر ثروتها وخبرتها لصيانة هذا الجمال ونحته وتطويره كأنها تملك منحوتة أو مادة قابلة للتبديل والتعديل والإضافة."[(٢)]

كتبت "رانيا السعيد" على لسان بطلة روايتها "هوس"[(٣)]: "وقفت عارية أمام المرآة أحملق في نفسي من رأسي حتى أخمص قدمي، من أين أبدأ. تساءلت، هل بعملية تجميل لصدري الأشبه بجوارب رياضية؟[(٤)] أم العملية النسائية التجميلية التي أوصت بها الدكتورة ناهدة الولي من ثلاث سنوات؟ أم جلسات ليزر لإزالة الشعر من جسدي كله؟"[(٥)]

يُعرف نموذج "باربي" بـ "متلازمة جريس كيلي" Grace Kelly Syndrome أو "متلازمة مارلين مونرو" Marilyn Monroe Syndrome. الغريب أنه يُشار إلى الأخيرة في الولايات المتحدة باللفظ Bimbo، بمعنى الفتاة الشقراء التي لا تتمتع بقدر كاف من الذكاء. يرتبط بعقدة "باربي" رهاب تناول الطعام Pro - Ana فبعض الفتيات يمتنعن عن الأكل من أجل التنحيف والحصول على قوام عارضات الأزياء الأمر الذي ينتهي بهن كهياكل عظمية.[(٦)] كتبت الدكتورة "مرفت عبد الناصر": "أما المشكلة الحقيقية في مسألة التخسيس

(١) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.

(٢) حديقة حياة، ص ٨٦.

(٣) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.

(٤) تُعرف ظاهرة عدم بروز الثديين عند المرأة بـ "متلازمة البانكيك" Pancake Syndrome.

(٥) هوس، ص ٨٢، ٨٣.

(٦) الاسم العلمي للظاهرة هو Anorexia Nervosa، ومن أشهر المصابين بها الممثلة الأمريكية "أودري هيبورن Audrey Hepburn. عام ١٩٦٩ ظهرت رواية الكاتبة الكندية "مارجريت أتوود" Margaret Atwood "امرأة صالحة للأكل The Edible Woman. بطلة الرواية، ماريان Marian، تكتشف وجود حالة من عدم الانسجام بين عقلها وجسمها فكفت عن الطعام بغير سبب بيولوجي أو فيسيولوجي واضح إلا الهاجس الذي انتابها بأنها تأكل لحم بشري.

فهي النجاح الزائد فيه بمعنى الوصول إلى الرشاقة بشكل متطرف ومرضي والذي قد يؤدي على إصابة المرأة بمرض يسمى فقدان الشهية."[1]

ويرتبط بها أيضا التمادي في ممارسة الرياضة بغية حرق السعرات الأمر الذي قد يصيب المرأة بانتكاسة صحية، خاصة إذا تجاوزت الأربعين. وتُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة شارون ستون" Sharon Stone Syndrome، نسبة إلى الممثلة الأمريكية التي كادت أن تفقد حياتها بهذه الكيفية. "غادة" في "عقدة سليمان"[2] لا تهتم إلا بالرياضة والرشاقة: "تعمل غادة مدربة للجمباز في نادي الجزيرة. عودها ممشوق ووجها جميل، لكن عضلات ساقيها وذراعيها أكبر من التعاريج الأنثوية في جسمها. تقضي أوقات طويلة في النادي مع لاعبات الجمباز، وتعود إلى البيت متعبة تحمل أكياس الفاكهة والجزر والخيار والخص والسمك المشوي."[3]

والجدير بالذكر أن النحافة قديما لم تكن من مظاهر الجمال، بل العكس تماما، لكن المعطيات قد تغيرت. كتب "محمد حسين هيكل" في روايته "هكذا خُلقت"[4] على لسان بطلتها: "ولقد كنت إذ ذاك أُعنى بملاحظة السيدات المبرقعات وما يسبغه عليهن الحجاب من جمال يزيد عيونهن النجل روعة وبراعة. كنت نحيفة القوام معتدلة، وكانت والدتي لا تفتأ تلفتني إلى هاتيك السيدات الممتلئات يتحدث جسمهن البض عن معاني النعمة، وتكاد تؤنبني لنحافتي، بل لقد كانت تذكر لي أن من هاتيك السيدات من تشعر بنحافة جانب من جسمها، فتطلب من الخياطة بأن تضع تحت الحبرة أسلاكا أو تحشوها فتستر هذه النحافة."[5]

عقدة سوبرمان

(١) هموم المرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٥٩.
(٢) محمد عزب، دار إبداع، القاهرة، ٢٠١٥.
(٣) عقدة سليمان، ص ٤٣، ٤٤، ٥٢.
(٤) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.
(٥) هكذا خُلقت، ص ١٧.

حين ينتاب الشخص شعور بأن من مسئوليته أن ينقذ الآخرين ويمتطي حصانه الأبيض في نجدة المعوزين والمحتاجين فإنه يُوصف بأنه يعاني من خليط يجمع بين "البطل البيروني" Byronic Heroو"متلازمة السامري الطيب" Good Samaritan Syndrome و"عقدة سوبرمان" Superman Complex أو "سبيدرمان" Spiderman أو"باتمان" Batman أو "زورو" Zorro هو شخصية أمريكية من المجلات المصورة تأثر بها الأطفال بشكل كبير حتى خُيل لبعضهم أنهم يمكنهم الطيران مثله.[1]

في سياق متصل تُصيب "متلازمة البطل" Hero Syndrome وهو لب ما نتحدث عنه الأشخاص الذين ينشدون الصيت والبطولة، ومنهم من هو مؤهل لذلك كالعاملين في مجال الإطفاء والشرطة والجيش.. الخ، أو ربما رجل بسيط الذي تستدعيه البطولة فيلبي ويمثله "إبراهيم العمر" في رواية "أديب نحوي"[2] "متى يعود المطر" والذي حفر بئرا بمفرده لينقذ القرية من الجفاف، أو حتى لو كان شابا ينشد إعجاب فتيات المدرسة كما في رواية "عراقي في باريس" للكاتب "صموئيل شمعون":[3] "كنت أبيع الأزبري أمام مدرسة البنات، حين أخذت بعض التلميذات بالصراخ: حية، حية، حية. كانت أفعى كبيرة جدا، طولها متر ونصف تقريبا، بدت لي متعبة، تناولت الحجارة ورحت أركز ضرباتي على رأسها، حتى تجمدت في مكانها. وبجرأة، لا أعرف من أين جاءتني، جرجرت الأفعى من ذيلها أمام أعين البنات اللواتي رحن يهتفن: جويي قتل الحية، جويي قتل الحية. ولولا فراش المدرسة الذي أخذ الأفعى وألقى بها في مكان خرب، ربما كنت خلعت قميصي، مثل هرقل، وأدخلت يدي بين فكي الأفعى لأشقها إلى نصفين. حين رويت لأمي كيف قتلت الأفعى وأنقذت البنات،

(١) في رواية "أسرار صغيرة" كتبت "ريتا خوري": "أنا الابنة التي ظنت نفسها يوما سوبرمان، فتدثرت بوشاح أمها الأحمر، ووقفت على حافة الشرفة مستعدة للطيران عندما انطلقت صافرات إنذار النسوة تولولن في سماء الحي بكل ما أوتين من قوة." (دار بلومزبري، الدوحة، ٢٠١٢، ص ١٣). تكرر نفس الشيء مع ظهور شخصية "هاري بوتر" كما ظهرت متلازمة تحمل اسمه Harry Potter Syndrome وفيها يتخيل الطفل بأنه يمتلك قدرات سحرية كالطيران عن طريق امتطاء عصا مكنسة وهلم جره.

(٢) دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٠.

(٣) الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠١٢.

أخذت تضرب على خديها بكلتا يديها وتصرخ: يـا مجنـون، يـا بـن المجنونـة... ألا تعـرف أن الأفعى تملك روح الثأر."[1]

ومن لا يملك جرأة فعل البطولة يحلم بها. كتبت "ياسـمينة صـالح" عـن "لخـضر"،[2] بطل روايتها الذي أعطاها اسمه: "كان يعشق الأفلام البوليسية، وأفـلام الجاسوسـية! تلـك التي تُشعره أن القوة كائن حي، وأنه يستطيع بطريقة ما أن يصبح بطلا كذلك البطل الهلامـي الذي يتكرر في الأفلام التي يراها.. يُقتل ولا يمـوت، إذ يـراه في فـيلم جديـد متقمـصا دورا آخر.. كان يرى نفسه جاسوسا لحساب شبكة ما، مغامرا وقادرا على تخطي الصعاب، ليلتقـى في النهاية بحبيبة جميلة ودافئة، تقول له: أحبك.. كـما تقولهـا البطلـة للبطـل الوسـيم مفتـول العضلات..! لطالما أنقذه خياله من الكآبة والقهر اللذين يطاردانه كل يوم، ولكنه كان يُصعق حين تظهر ملامحه على زجاج واجهة ما، فيكتشف أنه لن يكـون بطـلا، وألا فتـاة سـتقول لـه أحبك، لأنه لا يثير أكثر من الشفقة كمتسول يطلب الحنان بدل الخبز."[3]

يُعّرف "شـوقي ضـيف" البطولـة في صـدر كتابـه "البطولـة في الـشعر العـربي" قـائلا: "البطولة في اللغة الغلبة على الأقران، وهي غلبة يرتفـع بهـا البطـل عمـن حولـه مـن النـاس العاديين ارتفاعا يملأ نفوسهم له إجلالا وإكبارا، وقـديما كـان البطـل في القبيلـة وفي عهـود الحياة الأولى للأمم يُعد شخصا مقدسا، بل لقد كانوا يظنونه أحيانا من سـلالة الآلهـة، وكأنـه هبة تهبها لهم، حتى لا يقعوا فريسة لمن سواهم، وحتى لا يسقطوا في مهاوي لا قـرار لهـا مـن الاضمحلال والفناء. وعلى نحو ما كانوا يقفون أمـام خـوارق الطبيعـة مـشدوهين حـائرين شاعرين كأنما تحوطها هالة سحرية، كانوا يقفون أمام البطل مذهولين كـأنما يـستر في طوايـاه قوى خفية، وهي قوى مكنت له في رأيهم من الإتيان بـالخوارق في البـسالة وقتـال أعـدائهم، وهي خوارق لا تقف عند نجاته من القتل بل تمتد إلى نجاتهم معـه نجـاة جعلـتهم يـشعرون بقوة أنه هو الذي يهبهم الحياة. ومن أجل ذلك عبـدوه أحيانـا، وخاصـة في عهـود الإنـسانية الأولى، حتى ليُطلق على بعض فتراتها فترة عبادة الأبطال، حـين كـانوا يـتراءون لمـن حـولهم

(١) عراقي في باريس، ٢٨٣، ٢٨٤.
(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.
(٣) لخضر، ص ٤٦.

رموزا لقوى خفية غيبية مجهولة، أو بعبارة أخرى رموزا لأشياء إلهية مقدسة، بل كأنها الآلهة هي التي أنجبتهم لحماية من حولهم بما يأتون من معجزات القوة والشجاعة، وهي معجزات دفعت الناس إلى عبادتهم أحيانا كأنهم حقا آلهة بيدهم حياتهم وكل ما يحفظها عليهم من أسباب الرزق والبقاء."[١]

تعددت أوجه البطل الحامي المُحرر في الرواية العربية فمرة يكون "الفتوة"، وتارة يكون ضريح شيخ مبروك أو قوى غيبية حتى لو كانت متوهمة.. إلى غير ذلك. وقد يكون الأب هو البطل والمثل الأعلى في حياة ابنه. كتب "زهير جبور" على لسان بطل روايته "موسيقا الرقاد":[٢] "يا أبي، ألأنك أبي تعلقت بك، أم لأنك رجل خيالي وبطلي الأول، لست أدري، لكنها الحقيقة التي لم تغب يوميا."[٣] هذا وقدم كتاب "النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة" قائمة بالروايات التي تناولت هذا الرمز.[٤]

متلازمة توم المتلصص على عورات النساء[٥]

تشير "متلازمة توم المتلصص على عورات النساء" Peeping Tom Syndrome إلى ظاهرة نفسية تصيب الرجال وتدفعهم إلى التلصص على النساء حتى محارمه. تعود أصول المتلازمة إلى الحكاية الشعبية "ليدي جوديفا" Lady Godiva التي عاشت في القرن الحادي عشر في إنجلترا، وطلبت من الحاكم أن يكف مظالمه عن سكان مسقط رأسها، إقليم "كوفنتري" Coventry. وافق الحاكم بشرط أن تسير عارية في شوارعه فقبلت المرأة. في اليوم المحدد أغلق تجار البلدة جميعاً حوانيتهم وأوصد سكانها نوافذ بيوتهم، بحيث أصبحت الشوارع خالية تماما تضامنا مع السيدة الكريمة وردا لجميلها. فشلت مؤامرة الحاكم في إذلالها، لكن الخياط البصاص[٦] "توم" كان الوحيد الذي تلصص عليها فأصابه العمى.[١]

---

(١) دار المعارف (سلسلة اقرأ)، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٩.

(٢) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

(٣) موسيقا الرقاد، ص ٢٢.

(٤) نضال الصالح، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

(5) Marina Warner, "When Godiva streaked and Tom peeped", The Times, 10 July 1982.

(٦) تذكرنا هذه القصة – إلى حد ما – بحكاية "سمعان الخراز" في التراث القبطي.

كتب الدكتور "عبد المنعم الحفني" في "الموسوعة النفسية الجنسية" :"والتبصص الجنسي Voyeurism من الأفعال الجانحة التي يُكثر منها المراهقون، والمتبصص يزيد من شهوانية عينيه... والكثير من المراهقين يختلسون النظر إلى أخواتهم عاريات، وينظرون عليهن من نوافذ الحمام، أو من ثقب الباب."(٢)

نبدأ بالتلصص على الخادمة الذي كتب عنه "عمرو كمال حمودة" في روايته "فيوليت والبكباشي" قائلا: "توجه إلى الحمام، فحلق ذقنه واغتسل ثم تعطر وظل يجلس ويتحرك بهدوء وتلصص، مراقبا الظبية التي انغمست في تنظيف الشقة تاركة الغسيل يغلي داخل صفيحة على الوابور المرتفع الصوت. بعد ساعتين قامت أم فتحي بشطف الغسيل وعصر الكتل لتصفي المياه النظيفة منها.. ثم حملت الكتل إلى البلكونة لنشرها على الحبال وهنا وقف أرسان خلفها في الصالة على بعد مترين فقط ينظر في شبق إلى فخذيها الظاهرين بوضوح لشفافية الجلابية.. فاهتاج.. وانتقل لغرفة النوم وأغلق الباب ثم ارتكز على السرير مستمنيا في استمتاع."(٣) في رواية "المُرسي والأرض" لفريد محمد معوض(٤) يتلصص "شوكت" على "بكرية" حين تخلع قميصها أمام الفرن لتساعد أمه في الخبيز.

ومن التلصص على الخادمة إلى التلصص على الجيران. في رواية "هاني الراهب" "المهزومون"(٥) نجد الرواي: "يتسرق من نافذة مطبخه نظرات طويلة نحو جارته الفاتنة."(٦) التلصص على الجارة موجود أيضا في رواية "حرية سليمان" "أسود دانتيل": "جارتنا أخت الحلاق.. كانت عانسا والصيف يشعل ضجرها، حينها تتمدد على سرير يواجه النافذة؛ فتسلم ساقيها لعجينة العسل المطاطية، فيستحيل بياضها لكتلة لهب في دقائق.. أضحى العرض المذهل عادة تخلب لب أبي في عمق الليل، تطير النوم من عينيه، ما

---

(1) Charles Coe, Lady Godivia: The Naked Truth, Harvard Magazine, July – August (2003).

(٢) مرجع سابق، ص ١٧٣.

(٣) فيوليت والبكباشي، ص ٨٦.

(٤) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٢.

(٥) دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨

(٦) المهزومون، ص ٢٧.

إن نختفي أو نغفو حتى يتسلل في الظلمة إلى هذا الجزء من الشرفة، يمكث هناك دون أن يشعل الضوء، يتيح له المكان الذي اختاره الكشف عن مساحة كبيرة من غرفة الستائر الحمراء، لم يكن يتأملها فحسب؛ وإنما تتلوى بمقلتيه محترقة مخه الملتهب. تحتشد الدماء بوجنتيه وأذنيه وتنفر عروقه اللحظة التي تقع فيها عيناه على الفخذين العاريتين."(١) وقد يستتبع – أو لنقل – يستلزم التلصص على الجيران ابتياع منظار على حد قول "محمد الخالدي" في روايته "سيدة البيت العالي":(٢) "أصبح أكثر المتيمين بنورة يملكون نظارات مقربة."(٣)

في رواية "سبع جنات" لمنير مطاوع(٤) يقترب الجار أكثر حتى يصبح عمليا في حجرة جارته ويتلصص عليها وهي نائمة: "يدخل غرفة نومي بخطى متلصصة. يتردد قليلا، وبعد لحظة، يتسلل إلى الفراش ويقترب مني، وأنا نائمة. يصدمه حالي، أتمدد بالعرض.. ذراع مفرودة على امتدادها تماما، وأخرى تائهة الاتجاه.. والغطاء لا يقوم بواجبه، فأبدو عارية من أسفل إلا من طرف رقيق من الغطاء، يعري أكثر مما يداري. لأول مرة في حياتك تشاهد خفايا ما تحت الرداء.. تسيطر عليك طبيعتك المتأملة لكل شيء، فتترك لعينيك فرصة السياحة في المنظر، معالم الأنوثة متاحة لك.. ومكشوفة وأنا نائمة."(٥)

في رواية "ظلال الجفر" لوليد أحمد دماج(٦) نقابل من يتلصص على منازل الحي أو البلدة: "كم لذ لي قضاء الليالي الطوال أتلصص على المنازل لرؤية الفتيات الغافلات والتمتع بمرأى أجسادهن العارية، أهيم من منزل لآخر متسلقا الجدران، علّي أحظى برؤية جسد عار."(٧) في رواية "أحمد خلف" "الحلم العظيم"(٨) نقابل فتى يتلصص، تسمعا هذه المرة، على الزقاق برمته: "ذات ليلة باردة، اكتشف الولد، أن همس المتزوجين في غرف النوم، يُسمع

(١) أسود دانتيل، ص ٢٢.
(٢) مطبعة فن الطباعة، تونس، ٢٠٠٧.
(٣) سيدة البيت العالي، ص ١٦.
(٤) دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٦.
(٥) سبع جنات، ص ٧.
(٦) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.
(٧) ظلال الجفر، ص ١٥.
(٨) دار المدى، دمشق، ٢٠٠٩.

بعد الحادية عشر، ولأن نوافذ البيوت تكاد حافاتها تلامس أرض الزقاق، فأن الكلمات تعبر إليه واضحة، كان همسا ناعما ودافئا مليئا بالتوسلات الرقيقة، اللينة وآهات يغص بها الضحك الماجن، حيث تخفيه الحركة الدائمة على سرير الجسد، أصاغ السمع في الهواء، والزقاق خال والقلب يرتجف، بات حتما عليه الاقتراب من السلك الدقيق ليستمع أكثر. كان الفتى يحث سمعه على التقاط الكلمات المغمسة بالارتخاء والشد وميوعة الساعة."[1]

ومن أعمال التبصص أيضا على الجيران معاينة غسيلهم وملابسهم الداخلية. نقرأ في رواية "خيوط القدر": "سمعت صوت جر أثاث في الشقة العلوية فتذكرت الست أنوار وحديثها هذا الصباح عن الفتاة المطلقة التي انتقلت للعيش هنا. رأيت ملابسها الداخلية على حبل الغسيل أمس. هذا أمر مخجل، لكن ألوانها كانت جميلة وزاهية وشهية. تمنيت لو سقطت هذه القطعة السوداء على حبل الغسيل عندي فألتقطها وأشمها وأخبأها ولا أعيدها إلى صاحبتها. ضج جسمي بالشهوة والشكوى حتى تمنيت لو تناسل بنو البشر وتكاثروا بحبوب اللقاح مثل النبات."[2]

ونتابع نفس الهوس في رواية "غالية آل سعيد" "سنين مبعثرة":[3] "أصبحت ملابس كوليت مصدر إغراء لناجي. الملابس عبارة عن قطع حريرية صغيرة بسبب الرشاقة التي عند كوليت؛ قطع مزينة بتطريز يدوي وخرز زاهي الألوان... يقضي ناجي وقت المدرسة في رغبة ملحة للعودة للبيت بسرعة لرؤية القطع قبل أخذها من على حبل التجفيف. وعن عودته للبيت، يهرع للحديقة تحت ستار لعب الكرة إلا أن هدفه هو رؤية قطع الملابس الجميلة المغرية وهي ترفرف طائرة على حبل الغسيل من جهة إلى جهة. كانت مغرية وكأنها تنادي عليه الاقتراب منها، لا يستطيع فعل ذلك. ويظل في شوق وشغف متمنيا أن يلمس طرفا من ملابس كوليت الداخلية... قرر اقتحام الحاجز الفاصل بين الحديقتين رغم صعوبة الخطوة وخطورتها. قفز من على الحاجز ووجد نفسه وجها لوجه أمام مصدر الإغراء يتمايل بهدوء. وبسرعة خاطفة تناول قطعة وطواها ثم وضعها في جيبه."[4]

(١) الحلم العظيم، ص ٩.
(٢) خيوط القدر، ص ٨٧.
(٣) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٨.
(٤) سنين مبعثرة، ص ٣٥، ٣٦، ٣٧.

في رواية "شارع برايندلي" كتب "ماجد العنزي"[(١)] على لسان بطله: "الظلام حالك هنا، نور الشمس الهارب من تلك النافذة هو وسيلتي للسير في ردهات هذا المنزل الصغير، بدأت في البحث عنك خلسة وسط هذه التحف الثمينة حتى وجدتك تمارسين عادتك الصباحية، تأخذين حماما دافئا قبل أن تباشرين عملك المنزلي. نظرت إليك من ثقب الباب لأستمتع بشيء لا أراه دائما، جسد عار تماما، وشعر ممتد لأقصى طول ممكن على استقامة ظهرك وماء يستبيح كل منطقة بجسدك ليمر من خلاله."[(٢)] مازلنا مع الهوس بالمرأة وهي تستحم ونقابل هذه المرة "عزيز" في رواية "فاتحة مرشيد" "مخالب المتعة" والذي نعلم أنه أحدث ثقبا بمهارة في الباب ليتلصص على زوجة أبيه الشابة: "عاش عزيز مع والده السي علّال الذي لم ينتظر طويلا هو الآخر، بعد طلاقه، ليقترن بفتاة تُدعى بشرى تدرس في الثانوية نفسها التي يعمل بها كحارس عام. لكن انفتاح عزيز المبكر على الحب وشغفه بالمرأة، سبب بعض الضيق لسي علّال الذي كان يغار منه على زوجته الجميلة، وهو لم يتعد بعد الرابعة عشرة من عمره. خاصة وأن بشرى كانت من المعجبات بخفة دم عزيز وقدرته الرهيبة على تسليتها وجعل ضحكتها قهقهة مجلجلة. وذات يوم مشؤوم، ضبطه والده – الذي حضر البيت قبل ميعاده – وهو يتلصص من ثقب بباب الحمام على زوجته وهي تستحم بكل اطمئنان. لم يكن ثقب المفتاح. بل ثقبا أحدثه عزيز بكفاءة عالية بحيث يرى منه كل ما يجري في الحمام. كان ذلك آخر يوم له في بيت والده."[(٣)] ومن التبصص على المرأة وهي تستحم إلى الدخول عليها زعما أن ذلك تم عن طريق الخطأ ننتقل مع رواية "القلوب البيضاء" ليوسف القعيد:[(٤)] "في بيت خالتها لم تضايقها سوى نظرات زوج الخالة. كانت النظرات تمزق ملابسها وتخترق حتى لحمها. خيوط النظرات مثل الأسلاك العارية تلسع لحمها. دخل عليها الحمام أكثر من مرة وهي عارية تماما. وقال في كل مرة أن دخوله كان بطريق الخطأ واعتذر بصوت هامس وعينين فاجرتين وفحيح الرغبة يزيد من قوة صوت تنفسه. اقتحم غرفة نومها ليأخذ شيئا ما وهي نائمة في الفراش وتلكأ وهو ينظر إليها."[(٥)]

---

(١) دار الفكر العربي، الدمام، ٢٠١١.

(٢) شارع برايندلي، ص ١٢، ١٣.

(٣) مخالب المتعة، ص ١٣، ١٤.

(٤) دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.

(٥) القلوب البيضاء، ص ٧٢.

هذا ويعتبر التفرس Ogling هو أيضا نوع من التبصص رغم أنه يتم في الشوارع والأماكن العامة ذلك لأن المرأة في الغالب لا تعلم به، وهو لا شك يتم عن دون رغبة منها. ورغم أن غض البصر مطلب شرعي وهو من آداب الطريق، إلا أن العديد من الرجال يستمتعون بهذا الفعل وتلك الحملقة حتى لو كانوا يسيرون برفقة زوجاتهم. كتب "محمد شكري" في بداية روايته "السوق الداخلي"[1] واصفا مشهدا من الصدام في الطريق أو ما يمكن أن يُسمى بظاهرة "الدومينو" Domino Effect بسبب مرور فتاة جميلة: "دفعني من الخلف. استدرت. اصطدمت بشخص آخر. اعتذر لي الشخص الثاني. اعتذرت للشخص الأول الذي كان يلاحق فتاة مرت قدامه بلباس قصير، مؤخرتها ممتلئة، مشيتها راقصة. تركت الشخص الثاني يتخطاني. وهو أيضا تلتهم عيناه وجه ومؤخرة امرأة."[2] في رواية "عماد براكة" "عطر نسائي"[3] يتفرس أحد المتظاهرين مؤخرات المتظاهرات: "حكى لي أحد طلاب دفعتي بأنه دائما يمشي في مؤخرة المسيرات والمظاهرات ليتمعن الهتافات السرية (مؤخرات الطالبات)."[4] وفي رواية "نهاد سيريس" "حالة شغف"[5] نطالع مشهدا آخر للبحلقة والحملقة والاحتجاز والتحرش: "وفكرت بأن تنهض هي أيضا ولكنها كانت ستحتك بالرجل إن نهضت فظلت على جلوسها، ولأول مرة نظرت في وجهه هكذا عن قرب. كانت عيناه محمرتين، ينظر في عينيها كأنه يخترقهما. كأنه يتفرج على شيء لا يملكه أحد سواها. حينها شعرت أن عليها أن تهرب. أصبح الأمر خطيرا. تململت في مقعدها ونظرت إليه برجاء أن يتركها تنهض وترحل، ولكنه، مستفيدا من كونهما أصبحا وحيدين في المقصورة، مد يده نحو وجهها وراح يتلمسه. ارتدت إلى الوراء وصارت ترتجف."[6] وفي رواية "قرابين لمزارات بعيدة" لظافر النجار[7] نقرأ عن التطلع والتفرس في المرأة: "كانت

(١) منشورات الجمل، كولونيا، ١٩٩٧.
(٢) السوق الداخلي، ص ٥.
(٣) دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، ٢٠٠٧.
(٤) عطر نسائي، ص ١٩.
(٥) دار عطية للنشر، بيروت، ١٩٩٨.
(٦) حالة شغف، ص ٢١، ٢٢.
(٧) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.

روحه تختلج بعنف كلما لمح نظرة حالمة من عيني أية فتاة أو امرأة. وكان جسده الفتـي يعذبـه، يتمرد عليه، ويدفعه لارتكاب ولو حماقة ما مع امرأة ما. وجاءت ريمة. طفلة كبرت على حين غرة. وغدا ثدياها ينفران من صـدرها بوقاحـة مخجلـة. ضـبطته وهـو ينظـر إليهـا بـشغف، فابتسمت تلك الابتسامة الماكرة التي طفحت مع حمرة شديدة على وجهها. مما أربكـه لدرجـة أضحكتها."[1]

ونتقل من التبصص على المرأة الغريبة إلى التبصص على الأم وما قـد يخلفـه مـن صـدمة نفسية عميقة واهتزاز للصورة المقدسة في ذهن الطفل. نجد ذلك حاضرا في رواية "علي بدر" "بابا سارتر":[2] "كان يشم رائحة شبيهة برائحة الجنس التـي انبعثـت مـن شـق البـاب يـوم تلصص على أمه في حجرة نومها. حملته أمه في ليلة تشرينية مـاطرة عنـوة إلى سريـره، وغطتـه بالملاحف والبطانيات، ثم حكت له قصة السعالي التـي تظهـر في صـالة المنـزل لـيلا. كانـت تحاول إقناعه بكل الوسائل أن ينام، كانت تمنيه بوعود في الصباح، إلا أنه أدرك أن ما يدور في خلد أمه هو شيء آخر، أدرك أنها في عجلة لأمر آخر غير نومه، وكـان ينظـر إلى بريـق عينيهـا الذي يلصف وقسمات وجهها وهي تكذب.. فتظاهر أمامها بالنوم. خمد جسده دون حـراك، فذهبت مسرعة إلى حجرتها بعد أن أطفأت الأنوار، إلا أنه تململ في فراشه، ثم وضـع طاقيـة النوم القطنية على رأسه وخرج من حجرته ليقـف أمـام حجرتهـا، ويـداه في جيبـي بيجامتـه وقدماه حافيتان تتحسسان بـرودة الـبلاط. كـان جـسد أمـه العـاري يتحـرك عـلى الـسرير، وصدرها الناتئ، معصورا في يد والده، كان جسداهما يتلامسان بعنف، فانتابه اشمئزاز مريع، كان يقف غير مصدق ما يرى، كان يسمع صوت أمه كريها وهي تتأوه، فيخنقه ويـصم أذنيـه حتى تولد لديه نوع من الهستيريا... هبط السلم راكضا نحو البـاب الخـارجي وفتحـه بعنـوة وهو يصرخ. أخذ يركض في هروب ليلي عبر البساتين المحيطة بالمنزل المنيـف. كانـت صـورة أمه تتلاحق في ذهنه."[3]

---

(١) قرابين لمزارات بعيدة، ص ٦٥.

(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

(٣) بابا سارتر، ص ١٤٩.

ومن التلصص على الأم إلى تلصص الأم على ابنها وهو يفض بكارة زوجته. هذا ما صوره "واسيني الأعرج" في "سيدة المقام".[1] ومن فعل التبصص إلى التلصص نقول أن للأخير أشكال أخرى. دأبت "كلوديا كاردينالي" في فيلم "يوميات عاملة تلفون" Diary of a Telephone على التصنت على مكالمات النزلاء والزبائن. في رواية "البوسطجي" ليحيي حقي[2] يتلصص "عباس" على خطابات أهل القرية انتقاما منهم بعد أن فرقوا بينه وبين الغازية التي رافقها، وهو ما يفعله أيضا موظف البريد، "يوسف"، في رواية "ص ب ١٠٠٣" لسلطان العميمي.[3] في رواية "يوسف يا مريم" ليامي أحمد[4] يتلصص البطل على حساب حبيبته على مواقع التواصل الاجتماعي: "كنت أتلصص يوميا على حساباتك وأعرف ما تسمعين وكل الأشياء التي بها تعجبين."[5] وفي رواية "سعار" للكاتبة "بثينة العيسى"[6] تتلصص "سعاد" على مجلس والدها الذي يحادث امرأة أخرى غير والدتها. وقد يقترن التلصص بالعبث في أشياء الآخرين وعدم احترام ملكياتهم كما في الحكاية الشعبية "الفتاة ذات الجدائل الذهبية والدببة الثلاثة" Goldlocks and the Three Bears.

وكما أنه لدينا "توم" المتلصص على عورات النساء، لدينا أيضا "الأخ الأكبر" Big Brother is Always Watching You كما ورد في رواية "جورج أورويل" George Orwell الشهيرة "١٩٨٤". ترصد هذه الرواية مخابرات الدولة البوليسية التي تتلصص على رعاياها في منازلهم وتراقب هواتفهم وتنتهك خصوصياتهم، بل وتقتحم بيوتهم فيما يعرف بزوار الفجر. المواطنون أو الرعايا في هذه الدول الشمولية غير مسموح لهم بالتفكير؛ عليهم فقط أن يتبعوا الأوامر ويُمنع عليهم الاجتهاد بأي شكل من الأشكال.[7]

---

(١) دار ورد للطباعة، دمشق، ٢٠٠٦.

(٢) مطبعة المجلة الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٣) ثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١٤.

(٤) دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٥) يوسف يا مريم، ص ٢٩٤.

(٦) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.

(٧) تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة لا دوران للخلف" No U-Turn Syndrome. نحت هذا المصطلح "سيم ونج هو" Sim Wong Hoo ليصف سلوك السائقين السنغافوريين الذين لا يدورون للخلف =

الحوائط لها آذان، تلك التي يسميها "عبد القادر بلحاج نصر" بـ "الآذان اللاقطـة".[(١)] "حتى بينك وبين نفسك لا تقل أي شيء.."، هكذا كتب "محمد أمنصور" في روايتـه "دمـوع باخوس".[(٢)] تناولت الرواية العربية فكرة التجسس والخـوف مـن الـسلطة المتـصنتة مـرارا وتكرارا ونخص منها مؤخرا رواية "أمير تاج السر" "صائد اليرقات"[(٣)] الذي كتب عن هذه العيون المتلصصة على كل شيء وأي شيء بحجة حماية الوطن. في رواية "الـسائرون نيامـا"[(٤)] نعرف أن البصاصين أكثر من الحصى. رصد "جمال الغيطاني" أيضا هذه الظـاهرة في "الزينـي بركات"[(٥)] والتي تتناول شخصية كبير البصاصين أو العساسين زمن المماليك. أما "مـصطفى عبيد" فقد عنون روايته الصادرة عام ٢٠١٦ "البصاص"[(٦)] وفند فيها أن ما يجـري الآن مـن أعمال التبصص هو استمرار لما كان يحدث في الماضي. يرى "محمد الهجابي" العيـون المترصـدة في كل مكان. كتب في روايته "موت الفوات":[(٧)] "كائنات غروية ورغوية وزئبقيـة لا شـكل لها تترصدني عند كل منعطف زقاق أو شارع. أحيانا أحس بهـا كـما لـو تـسمرت في مواضـع بعينها، داخل الشقة... أشعر بها في أحايين أخرى وقد اتخذت هيئة عين لا تطرف تتفـرس فيّ من وراء زجاج مرآة الحمام ومن قلب زجاج جهاز التلفاز ومن بؤبـؤ مـصباح الـسقف ومـن داخل أكرة الباب ولعلها تشخص من بالوعة حوض الميـاه، ومـن رسـم بالجـدار."[(٨)] ومـن

=إلا إذا وجدوا لافتة تسمح لهم بذلك. في دول أخرى يقوم سائقي السيارات بالدوران للخلف طالما لا يوجد لافتة تمنع ذلك. الالتـزام أمـر طيـب، لكـن المتلازمـة تـشير بـشكل أوسـع إلى سـلطوية الدولـة وبيروقراطيتها وكبح الأفكار الخلاقة لدى مواطنيها. وربما من أفضل ما يعبر عن المتلازمة أبيات "نـزار القباني": "خمسة آلاف سنة ونحن في الـسرداب... / يـا أصـدقائي جربـوا أن تكـسروا الأبـواب / أن تغسلوا أفكاركم، وتغسلوا الأثواب."

(١) جي باب سويقة، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ٢٠٠٨، ص ١٢.

(٢) منشورات الموجة، الرباط، ٢٠١٠، ص ٢٠٥.

(٣) ثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١٠.

(٤) سعد مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

(٥) دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١.

(٦) دار الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة.

(٧) إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥.

(٨) موت الفوات، ص ٣٤.

رواية "سر الشارد" لعبد الله عيسى السلامة[1] نقرأ حول نفس الفكرة: "لقد اقتضت التعليمات أمورا أخرى: العيون الآلية منبعثة في كل مكان في الجناح.. في الغرفة.. في الصالة التابعة لها.. في السقوف، في النوافذ.. وكذلك في الآذان الآلية.. أجهزة تصوير، وأجهزة تصنت.. وربما كان من سوء حظ العميد أن ليس ثمة أجهزة لتصوير حركات الأفكار داخل الأدمغة.. ولا أجهزة تصنت لسماع حوارات الأفكار فيما بينها داخل الرؤوس."[2]

من رواية "أمل" للمؤلفة "دينا نسريني"[3] نقرأ: "نجمتان خضراوان هو ما كنا تعودنا أن نرسمه على دفاترنا وصور حافظ الأسد كانت تراقبنا في كل زاوية وشارع لتذكرنا دوما: الأرض أرضه، البلد بلده. وإن كان في حنجرتك بقايا صوت، فلديك من الأجهزة الأمنية أربعة تتناهش لحمك فيما بينها و(توديك لورا الشمس) كما كانت تصفها الهمسات المذعورة. سواء كنت في سريرك مع زوجتك، أو حتى في الحمام! كلمة "أسد" كانت تخضع للرقابة المطلقة، فقد كانت توأمة لنظرة غريبة من الخوف والترقب، وتترامى إلى مسامعنا دوما، قصص من ذهبوا ولم يرجعوا، ودوما للطائشين تذكرة بأن الثمن لن يكون فرديا فالأسرة كلها ستدفع الثمن."[4]

في رواية "أساتذة الوهم" لعلي بدر[5] يمتزج تلصص الدولة مع تبصص الشخص: "كان يعرف أنه مُراقب ومعروف، أنه معلوم لا من قبل الناس أو القراء فقط، ولكن على الأقل من قبل السلطة. السلطة تعرف به أين ينام، وماذا يأكل، وماذا يشرب، وماذا يقرأ أيضا.. السلطة هي المتلصص الأكبر، هي التي ترقب الناس دون أن تظهر لهم مباشرة... هي المتلصص الذي يعرف كل جالس في حمامات وتواليتات بغداد... في تلك الفترة تعمقت لدى عيسى رغبة كبيرة في أن يتلصص على الآخرين كي يشعر بأنه يرى ولكنه خفي وغير مرئي بالمرة. رغبة تصاعدت بقوة في داخله، رغبة حادة ومتفجرة في داخله لا يمكنه أن يخفيها أو

(١) دار البراق – دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩.

(٢) سر الشارد، ص ٨٠.

(٣) نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٤) الأمل، ص ٧.

(٥) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١.

الخلاص منها، رغبة أن ينظر إلى الآخرين، من يعرفهم ومن لا يعرفهم من ثقب الباب.. إنها رغبة البصاص الأبدي، رغبة المتلصص، وهذه النظرة كان يراها قائمة على غرار نظرة السلطات، السلطة الأمنية من قبل الدولة، أو من المجتمع."(١)

في دولة "الأخ الأكبر" الكل يتلصص على الآخر حتى يشك الإنسان في أقرب الأقرباء إليه. ليس معك إلا خوفك: "أن تخاف ظلك، وأن تهمل مرغما مفردات غزيرة في المعجم، بذريعة التحايل على الرقيب، أو التحايل على المخبر بنظارته السوداء من بقايا الأفلام الأبيض والأسود، وعلى نادل المقهى المتلصص بذريعة تلميع رخام الطاولة ومنفضة السجائر وحمل الفناجين الفارغة، وعلى زميل العمل برقمه الحزبي المتقدم، وعلى عسكري الهجرة والجوازات في المطار. تقف أمام الكون مضطربا من تهمة مجهولة، فيما هو يدقق بياناتك الشخصية على شاشة الحاسوب."(٢)

في دولة الأخ الكبر حتى الساسة ورجال الأمن يتلصصون على بعضهم البعض في محاولة لجمع أوراق اللعب لقادم الأيام. عليك أن تذل الكبير وتفسده وتسجل له الأخطاء كي تكسر كبرياءه ويصير مثل الخاتم في إصبعك فلا يجرؤ على التطاول أو النكوص على ما يُطلب منه. نجد هذه الفكرة في رواية "بنسالم حميش" "بروطابوراس"(٣) وفيها يتحول وزير البر والبحر من فاعل إلى مفعول به: "أنا خادم الدولة الأوفى... أحترس طوال الوقت وأفتح حواسي لما تأتي به الرياح من أنباء... لا أنام إلا بعين واحدة وعند الضرورة القصوى. ضحك الرجل القوي ضحكة منكرة وهو يسأل ساخرا: وليلة أمس، ألم تسهرها كلها في حضن مومس حولاء ذلت خال على انفها ومساحيق؟ ألم تكثر في الشراب وأكل اللوز والهريسة؟"(٤)

---

(١) أساتذة الوهم، ص ١٧٦، ١٧٧.

(٢) خليل صويلح، جنة البرابرة، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٢٧.

(٣) إبداعات شراع، وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال، طنجة، ١٩٩٨.

(٤) بروطابوراس، ص ١٧، ١٨.

عقدة شوتارو[١]

اشتهاء الجنس المثلي معروف ومرصود في السرد الروائي منذ أمد. نجد عمل قوم "لوط" في "الخبز الحافي" مثلا لمحمد شكري، والشذوذ عند "أبو مطلق" في رواية "محمد حسن الحربي" "أحداث مدينة على الشاطئ"،[٢] وكذلك "حسين" في رواية "المناضل" لعزيز السيد جاسم[٣] وعند "زاهر" في "كوبنهاجن، مثلث الموت" لحسين السكاف.[٤] في رواية "كتيبة الخراب" لعبد الكريم جويطي[٥] نقابل "فقيه ضبط يعبث بمؤخرة صبي من صبيان كتابه."[٦]

"بيضة النعامة" لرءوف مسعد[٧] نقرأ: "هناك أيضا مسيو فوبير اللوطي مدرس اللغة الفرنسية والذي كان بحكم إقامته في الداخلية يشرف على السكن الذي أعيش فيه. سويسري متضرج الوجه، مكلبظ. يمور جسده صحة وعافية. كان أيضا يجعل من ترعة الإبراهيمية الميدان الليلي لنشاطه.. فهناك المراكبية الصعايدة الأشداء الذين لا يرفضون وجبة شهية من اللحم الأبيض بعد أيام الضنك على المركب الشراعي."[٨]

ونظرا لتفحل الظاهرة فإن كل الذكور مثليين، كما جاء في رواية "مفيد النويصر" "الواد والعم"[٩] إلى أن يثبت العكس: "حكايات اللوطيين الذين كنا نكتشف وجودهم بيننا من رفقاء الطفولة والشباب كانت تجعلني أفكر في كل من ألتقيه للمرة الأولى أنه ربما يكون مثليا إلى أن يثبت العكس.. كنت أضطر كثيرا إلى مراقبة الحركات اللاإرادية التي تصدر عن البعض بعين الخبرة التي تجعلني أستطيع أن أميز بين الرجل الحقيقي والرجل الذي تسكنه

(١) http://www.urbandictionary.com/define.php?term=Shotaro+Complex

(٢) الفارابي، بيروت، ١٩٨٦.

(٣) دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٢.

(٤) دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٥.

(٥) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.

(٦) كتيبة الخراب، ص ٥٩.

(٧) مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤.

(٨) بيضة النعامة، ص ٢٣.

(٩) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧.

امرأة، بيد أن ثمة صنفا آخر من هؤلاء لم يكن يكلفك عناء الحيرة والتفكير فيشرع في الإعلان عن هويته أمامك بمص شفتيه، أو لثم إحداهما للأخرى بالتناوب، أو بتعمد الاستدارة أمامك والتهادي في مشيته ليبدي ليونة وخضوع ومطاوعة ردفيه الأنثويين، لربما تكون لك حاجة فيهما، فيوفر عليك عناء بحثك عن رفيق."[١]

حين يشتهي الرجال البالغين الغلمان Pedophilia فإنهم يوصفون بأنهم يعانون من "عقدة شوتارو" Shotaro Complex. تعود التسمية لشخصية ظهرت في حلقات كرتونية يابانية. قدمت لنا الأسطورة اليونانية نموذجا عتيقا لهذه الظاهرة في اعتداء "لايوس" جنسيا على الطفل "خروسيبوس".[٢] في رواية "يا كوكتي" لجنان قاسم حلاوي[٣] نقرأ عن هذا الفعل الذميم:

- "وأنت لماذا هربت؟
- خفت أن يلقوا القبض عليّ بسبب جبار.
- جبار؟ ماذا به؟

- ألم تسمع بالقصة؟ ضاجعته. أهله يقولون أنهم سيخبرون الشرطة. لأنني فتقت مؤخرته، كان إسته ضيقا جدا حتى أنني استخدمت السمنة لإيلاج أيري فيه، مع ذلك فُتق الإست."[٤]

من رواية "حارث النسيان" لكمال الخمليش[٥] نقرأ هذه السطور: "كان جوزي، إضافة إلى حسن خلقه، وسيما وسامة استثنائية تكاد تكون أنثوية، فكانت تلاحقه، بسبب ذلك، نزوات كل الذين يستهويهم الجمال الذكوري، ولاسيما أحد الحلاقين الذي اشتهر، فيما بعد، بميله إلى افتراش الغلمان. قصدت دكانه ذات ظهيرة لحلق رأسي، فإذا بي أقع على جوزي

(١) الواد والعم، ص ١٧.
(٢) عبد المعطي شعرواي، أساطير إغريقية (ج ٢)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٨٦.
(٣) رياض الريس، لندن – قبرص، ١٩٩١.
(٤) يا كوكتي، ص ١٠٨.
(٥) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.

داخله وهو يرتـدي سرواله بإرتبـاك وتحشم، كـان الحـلاق قـد نـسى اغـلاق بـاب دكانـه بالمفتاح."(١)

في رواية "عبد العزيز الصقعبي" "اليوم الأخـير لبـائع الحـمام"(٢) نطـالع مـشهدا آخـر للغلمة: "حرص على التسلل بهدوء حتى لا يتسبب في إيقاظ صديقه الذي أخـبره بـأن لديـه حماما نادرا... هوسه الذي تنامى في حب اقتناء النادر من الحمام جعل قلبه يخفـق بعنـف... لم يلمح أقفاص حمام داخل السيارة، بل سمع تأوهها داخل الخيمة، لصوتين أحدهما ناعم يتـألم والآخر صوت صاحبه، جالب الحمام، كان باب الخيمـة مغلقـا وثمـة فرجـة صـغيرة يعرفهـا دخيل تتيح له مشاهدة ما بداخل الخيمة دون أن يلحـظ ذلـك أحـد. كـاد أن يـصرخ عنـدما لاحظ ذلك الصاحب في وضع مريب مع غلام يصغره بسنوات."(٣)

في رواية "عائشة" للبشير بن سلامة يتخذ "الطاهر" غلاما له يعاشره. وفي روايـة "عبـد خال" "ترمي بشرر"(٤) نقابل رجل يجلس على كرسي الاعتراف طواعيـة. يقـر المعـترف بأنـه انتهك براءة العديد من الأطفال، ثم واصل جرائمه بالانتقال لخدمة رجل استعمله للاعتـداء جنسيا على خصومه لكسر نفسهم ومساومتهم! وفي رواية "زينة" لنوال السعداوي"(٥) نقابل الرجل الذي يعاشر طفلا معاقا من أطفال الشوارع. في "شارع العطايف" لعبد الله بخيـت(٦) تحول بطل الرواية، "ناصر"، إلى قاتل لكل من اعتدى عليه جنسيا وهو بعد صغير، ثـم تلـذذ بتقطيع أجزاء من أجسامهم. مرارة الاغتصاب الذكوري نلمسه في روايـة "صـلاح صـلاح" "بوهيميا الخراب"(٧) على لسان بطلها الذي يتعرض للاغتصاب في السجن يقـول: "لم أفهـم الشرف على أنه مجرد إدخال حياء في إست. مع اغتصابي الأول تهت في فلك بحـري ومخـرت

(١) حارث النسيان، ص ١٩.
(٢) أثر للنشر والتوزيع، الدمام، ٢٠١٢.
(٣) اليوم الأخير لبائع الحمام، ص ١٥٩، ١٦٠.
(٤) منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٩.
(٥) دار الساقي، بيروت، ٢٠١١.
(٦) دار الساقي، بيروت – لندن، ٢٠٠٩.
(٧) دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩.

الجداول والضفاف وأنا أبحث عن سم قاتل لأمره إلى جسدي دفعة واحدة. خرجت من المرحاض وفخذاي ترتعشان. تمددت على السلم مرة أخرى. وحينما شعرت أني أستطيع النهوض وقفت ذائبا مع قلق مغادر وأكملت صعودي إلى التابوت الوثني مرددا الصلوات لإلهة سومرية."[١]

عقدة لوهينجرن

تشير "عقدة لوهينجرن" Lohengrin Complex إلى الأشخاص الذين يتشبثون بمبادئ العدل والنصرة ودرأ الظلم، يعيشون من أجل الآخرين ويهلكون أنفسهم في سبيل إسعادهم على حساب أنفسهم تماما مثل الشمعة التي تذوب لتنير للآخرين دروبهم. لهذه العقدة خطوط تماس مع "متلازمة الأم تريزا" Mother Teresa Syndrome في التضحية من أجل إسعاد الآخرين. في الأسطورية الألمانية ذهب "لوهينجرن" إلى مملكة مات عنها عاهلها ليساعد ابنته "إلسا" Elsa على الاحتفاظ بالمملكة. أحس من واجبه أن يجير من استجار به، وأن يدفع الجور ويُعلي قيم الحق ويعيد الحقوق المسلوبة إلى ذويها. حذر "لوهينجرن" "إلسا" من السؤال عن اسمه وهويته. تزوج "لوهينجرن" من "إلسا" وتفانى في خدمة المملكة. في يوم من الأيام سألت الملكة السؤال المحظور فأوضح أصله وفصله وأخذ قاربه الذي تجره طيور البجع وعاد من حيث أتى.

قدم لنا "عز الدين شكري" هذه الشخصية المثالية النادرة في روايته "فخر الدين"،[٢] رجل سليم الفطرة، يحترم ذاته، لا يتخلى عن مبادئه، يناوئ الظلم، لا يتخلى عن إنسانيته، يحب الناس، يواسيهم، يضحي من أجلهم، يسعى لإسعاد كل من هو حوله، يفتش عن الخير... إلى آخره Philanthropy. وكما عاد "لوهينجرن" من حيث أتى بعد أن أنجز مهمته انتهت حياة "فخر الدين" بالقتل على يد مجهولين. نجد هذه الشخصية أيضا أو بعض منها في رواية "الدخان" لنوار العبيدي[٣] الذي أضفى عليه روحا وطنية لأن جزء غير يسير من همه

(١) بوهيميا الخراب، ص ٢٦.

(٢) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٥.

(٣) مطبعة المعارف، الجزائر، ٢٠٠٣.

انصرف لدفع المحتل الذي خلف مليون شهيد في الجزائر. يقول "نوار العبيدي" على لسان بطله "أحمد": "آه ما أحلى أن نشقى من أجل الآخرين، سعيد من يكافح لغيره، سأكافح من أجل الآخرين، سأكافح من أجل ابني علي الذي لم تضعه زكية بعد، سأعلمه كيف يقهر العدو، وكيف يكره الاستعمار وكيف يرفض الظلم والقهر."(١)

متلازمة ولتر ميتي

الشخص الذي لا يستطيع التكيف مع الواقع في مكان عمله، ويفشل في التأقلم مع مجتمعه يُوصف بأنه يعاني من متلازمة العصفور الأزرق" Bluebird Syndrome. تعود المتلازمة إلى مسرحية كتبها "موريس ماتيرلينك" Maurce Materlinck والتي تطرح فكرة الشخص الرافض لواقعه، المتطلع لمستقبل أفضل، لكنه لا يبذل من الجهد ما يكفي لينال ما يحلم به.

أما "متلازمة ولتر ميتي" Walter Mitty Syndromeفتُشير إلى الشخص الهارب من حقائق الحياة، الغارق في أحلام اليقظة Day Dreaming، والسارح في عالم من الأوهام. أخذت المتلازمة اسمها من شخصية ابتدعها كاتب الكاريكاتير الأمريكي، جيمس ثيربر، James Thurber، والتي ظهرت لاحقا عام ٢٠١٣ في فيلم أمريكي بعنوان "الحياة السرية لولتر ميتي" The Secret Life of Walter Mitty.

هذه المتلازمة موجودة في رواية "عوليس" Ulysses للروائي الأيرلندي "جيمس جويس" James Joyce وفي عالم "أحمد إبراهيم الفقيه" ورواية "السراب" لنجيب محفوظ. في رواية "طائر النار" لقمر كيلاني(٢) نقابل "صفية" كنموذج جيد وحي للمتلازمة فهي "تعيش أحلام اليقظة وتتخيل نفسها في حياة أخرى خالية من البؤس والوحدة."(٣) تصل أحلام اليقظة إلى الشطط المستحيل كما في رواية "محمد حسين يونس" "على شفا الموت – على

(١) الدخان، ص ٤٩.

(٢) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١.

(٣) فادية المليح، المرأة في رواية قمر كيلاني، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢١، العددان الأول والثاني، ٢٠٠٥، ص ٥٣.

شفا الجنون":[1] "أما والدته فكانت لها أحلامها الخاصة.. لقد كانت مريضة مثله بأحلام اليقظة... وكان حلمها الأعظم أن تراه ضابطا في الحرس الملكي.. ثم.. ترى واحدة من اللائي يبدأ أسماؤهن بحرف الفاء – فريال – فوزية – فادية .. واحدة من أميرات مصر.. تحبه.. تتزوجه.. فيصبح ابنها أميرا."[2]

في رواية "زمن القلب" يخلط "عرعار محمد العالي"[3] بين الحلم والحقيقة التي يسميها "زمن العقل" بينما يُسمى الحلم باسم الرواية: "تفتحت أعين الطبيب على مكان فسيح، جال بنظره فرأى أشجارا باسقات، حيوانات تحملق فيه، ينهض من مكانه، سار طويلا، أنهكه التعب، فاستلقى على ظهره، غاب في سبات عميق، تسلط عليه حزمة من الضوء المشع القوي فتحدث في جسمه شرخا عميقا ثم تخرج منه لتشكل هيئة جسم."[4]

أخيرا حين يستيقظ الشخص من النوم أو يعود من شروده وأحلام يقظته فلا يعرف أين هو In the Middle of Nowhere ويستمر هكذا لفترة حتى يحدد موقعه وإحداثياته فإنه يوصف بأن لديه "متلازمة كرستوفر كولومبس Christopher Columbus Syndrome" الذي وصل أمريكا ولا يعرف أين هو وعاد إلى إسبانيا ولا يعلم أين كان. عبر عن هذه المتاهة وذلك التيه "عبد اللطيف اللعبي" في روايته "تجاعيد الأسد"[5] "لكن قبل كل شيء أين أنا؟ في أية مدينة أو بالأحرى فوق أي كوكب؟ ما وراء أم في جهة أخرى؟ على أي شيء ممدد أنا، وواقف مثلما هو وضعي؟"[6] وكتب "محمد حسن عبد الله" في روايته "الشعلة وجبل الجليد":[7] "أنا قلعة مهزومة.. أنا سفينة.. تبحث عن ربان، انا لا أعرف من أنا."[8]

---

(١) دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٥.

(٢) على شفا الموت – على شفا الجنون، ص ٩.

(٣) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤.

(٤) زمن القلب، ص ١٣٤.

(٥) ترجمة: محمد الشركي، توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٩.

(٦) تجاعيد الأسد، ص ٩.

(٧) مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٥.

(٨) الشعلة وجبل الجليد، ص ٨٦.

متلازمة عازف المزمار

من القصص الفولكلورية الشهيرة "حكاية عازف المزمار" Pied Piper والتي كتب عنها "جوته". يُحكى أن مدينة ألمانية انتشرت بها الجرذان بشكل مخيف فأكلت المحاصيل وشاركت الناس طعامهم وبيوتهم. رصدت البلدية ألف قطعة ذهبية لمن يخلصها من هذه الفئران. في يوم من الأيام جاء رجل وأخذ يعزف بمزماره فإذا بالجرذان تخرج من جحورها بالآلاف ثم تتجه نحو النهر وتلقي نفسها فيه. طالب العازف بالألف قطعة الذهبية، لكن البلدية حنثت بوعودها بعد أن عاينت زوال الخطر. أراد عازف المزمار أن ينتقم. في حلكة الليل أخذ يعزف نغمة مختلفة فإذا بمئات الأطفال يخرجون كالمُنَوَمِين مغناطيسيا ويتجهون نحو منطقة جبلية ثم اختفوا بالكلية ولم يعد منهم أحد.

في روايته "الإرهابي" أعاد "عبد الله ثابت"[١] إنتاج الأسطورة مع الاستعاضة عن الفئران بالبقر: "يقولون إن الحكيم فلان يستطيع أن ينظر إلى الأبقار نظرة واحدة فقط، فتثور على صاحبها وتهرب وتمشي خلف هذا الساحر."[٢] أما "متلازمة عازف المزمار" Pied Piper Syndrome فهي باختصار انقياد الناس وراء القائد وسيرهم خلفه دون مناقشته في المسار أو الطريق أو خلافه كما لو كانوا مغيبين عن الوعي أو منومين مغناطيسيا. العقول المغيبة المنقادة موجودة في رواية "أميرة عز الدين" "عهر مقدس".[٣] تدور أحداث الرواية في العصر الفرعوني وتصور كاهنا يقدسه الناس ويمشون في أثره كالعميان. عازف المزمار ليس شرطا أن يكون إنسانا فقد يُستبدل بمغيبات أخرى كالخمر والحشيش مثلا في رواية "نجيب محفوظ" "ثرثرة فوق النيل"، أو رواية "ربع جرام" لعصام يوسف[٤] والذي كتب يقول فيها: "الغريب في موضوع الحشيش أن كل شيء مضحك: القطرة مضحكة.. الكلام مضحك.. وأيضا السكوت مضحك.. نسمة الهواء تساعد على زيادة الإحساس بالسلطنة،

(١) دار الساقي، بيروت، ٢٠١١.

(٢) الإرهابي، ص ٢٠.

(٣) نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.

(٤) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٨.

تجعلك طيرا في السماء، فتضحك أكثر وأكثر. كانت الجلسة كل يوم في النادي تبدأ بعد الغروب حتى الساعة الثانية عشرة، نقضيها في الضحك والحكايات والحواديت."[1]

متلازمة الساحرة الشمطاء

"نيوفوندلاند" New Foundlandهي مقاطعة كندية خرجت منها أسطورة "الساحرة الشمطاء" والتي تُعرف الآن بـ "متلازمة الساحرة الشمطاء" Old Hag Syndrome. تشير الخرافة إلى ساحرة "ماكبيثية" عجوز تجثم على صدر النائمين ليلا وتسبب لهم ما يُعرف بالجاثوم أو الكابوس Nightmare أو شلل النوم Sleep Paralysis. تنازع الطب "الفيسيولوجي" وعلم النفس الظاهرة، لكن المؤكد أنها موجودة في حياتنا، وأنها للبعض تمثل متلازمة ومتوالية وإكتوارية من العذاب.

الجاثوم بمعناه المجازي أو الواقع الكابوسي موجود في السرد الروائي العربي بوفرة. نراه في "الكابوس" لأمين شنار[2] و"كوابيس بيروت" لغادة السمان و"كوابيس هلسنكي"[3] ليوسف أبو فواز و"جاثوم" لشريفة محمد.[4] أما الكابوس الفعلي فيمكن تتبعه في رواية "التبر" لإبراهيم الكوني[5] حيث يعاني "أوخيد" منها. كتبت "ناديا خوست" في رواية "وداع ولقاء في بلاد الشام":[6] "نهضت نفيسة من فراشها مرتعشة القلب... شعرت بخفقان قلبها على يدها... ما الذي أيقظها فجأة مرتعشة القلب؟ حلم؟ لا تتذكر من الحلم إلا أنها كانت تسقط وتسقط ولا تصل على القاع. لا تتذكر أين كانت، ولماذا هوت!"[7] ولمنتصر القفاش هذه الكلمات التي نقرأها من روايته "مسالة وقت":[8] "نزل من السرير

---

(١) ربع جرام، ص ١٣.

(٢) دار النهار، بيروت، ١٩٦٨.

(٣) دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠١١.

(٤) دار أثر، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٤.

(٥) الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٩٩١.

(٦) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.

(٧) وداع ولقاء في بلاد الشام، ص ٨.

(٨) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٨.

ووقف وسط الغرفة ليتأكد من أنه لا يحلم. وعندما شك أنه ما زال في الحلم خرج من غرفته وعاد إليها وفتح الشباك وأطل منه. مستحيل أن يكون في حلم إلا إذا كان من الأحلام التي ترى نفسك فيها وأنت تحاول أن تستيقظ وتتخلص مما تحلم به."(١)الأفاعي والدوامة هي موضوع هذا الكابوس الذي أورده "فؤاد صادق مفتي" في روايته "لحظة ضعف":(٢) "وجد نفسه ملقى وسط كوم من الأفاعي الصفراء الضخمة، وهي تتلوى فوق بعضها البعض.. وتخرج ألسنتها بين فنية وأخرى كأنما... وغاص في أعماق الدوامة حتى النهاية."(٣)

في رواية "وليمة لأعشاب البحر" لحيدر حيدر نقرأ: "تندفع آسيا من تحت الكابوس واثبة عن الفراش.. بوغتوا بها، وباندفاعتها، وبهذه الصرخة الانتحارية. كانت الآن تندفع كالعاصفة في الرواق الطويل رافعة ذراعيها الطويلتين وهي تمزق شعرها وتضرب الجدران."(٤) وفي رواية "غالب هلسا" "الضحك"(٥) يقول الرواي عن كابوسه الذي يتم تصويره بأكثر من كاميرا وزاوية: "ما زلت أرى ذلك الطفل مقرفصا على الجبل مستغرقا في البكاء.. أراه من مختلف الزوايا، من سفح الجبل يبدو كشاهد قبر.. من الجو حط كطائر ليستريح، من قمة جبل آخر كتلة ضئيلة مرتعشة وسط شفافية زرقاء.. وحلمت مرة أن قدمه انزلقت فهوى.. صحوت مرعوبا وأنا أراه داميا ممزق الثياب، في قاع العالم."(٦)

في رواية "بورتريه الوحدة" يبرع "محمد حامد"(٧) في وصف الأعراض التي تنتاب الشخص الذي يعاين كابوسا ويحاول عبثا درأ ودفع الجاثوم عنه يقول: "أنا مكتئبة وتداهمني الكوابيس، ليلة البارحة راودني حلم كئيب: رأيتني في بحيرة من دخان، وسمعت أصوات تكسر سلاسل، وظللت أسقط على رأسي وأختنق، وتخدشني أشواك نباتات ضعيفة، وتزداد

---

(١) مسألة وقت، ص ١١٥.

(٢) مكتبة تهامة، جدة، ٢٠٠٠.

(٣) لحظة ضعف، ص ١٩، ٢٠.

(٤) وليمة لأعشاب البحر، ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(٥) دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

(٦) الضحك، ص ٤٧.

(٧) جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١.

الظلمة ويضيق نفسي، فأنتفض حتى أخرج من حلمي، وأجدني أتنهد وتتسارع أنفاسي وتمطر، ويصيبني الغرق فأموت، استيقظت مفزوعة فوجدتني في غرفتي، وسريري بلله العرق، وألهث، قلبي يكاد يخرج من صدري، وأطرافي زرقاء وترتعش، حاولت أن أصرخ فخذلني عجزي، كأن كل الكلمات تلاشت، بقيت أتنفس بصوت مرتفع لعل أنفاسي تُسمع، وبدأت البكاء بهستريا مرعبة، شعرت أن حلقي يخدشه نشيجي، استيقظت هنا ثانية فوجدتني انتقلت بين حلمين وأكاد أقسم أنها لحظة يقظة. لا أدرك ما حدث بالتحديد، رفعت جسدي ببطء وأعياني حمل نفسي، لأول مرة أسخط من وزني على الرغم من أنه لا يتجاوز أربعة وخمسين كيلو."[1]

في رواية "لا تقصص رؤياك" يتجاوز "عبد الوهاب الحمادي"[2] النهي اليعقوبي الذي يحمله العنوان ويستهل روايته قائلا: "جميعنا يطارد حلما، بعضنا يدركه وبعضنا لا يفعل. وأنا مثل الجميع لدي حلم، بل أحلام قد تبدو للبعض ضئيلة وقد تبدو لآخرين عظيمة، لكن حكايتي التي أرويها ليست بسبب حلم طاردته، بل بسبب حلم طاردني!... فيما مضى من عمر لم ألق بالا للأحلام ولا لوجهها الآخر.. الكوابيس، وبطبيعة الحال لا أكترث للأبراج وأكره الغيبيات بشدة، أؤمن بالـ Cash Value، ما هو فقط أمامي... يقول الناس أنك تستطيع الهروب من كل شيء في الدنيا عدا الموت، ولم ينتبه أحد إلى أن للموت شقيقا أصغر هو النوم.. الميتة الصغرى، لن يمكنك الإفلات منها. عندما يغلق المنام عليك بابه وتغرق في ظلامه يفتح لك من الجهة المقابلة باب الأحلام... مستلق.. ظلام ولا أثر لأي ضوء. بعد تحديق.. ألمح نقاطا مضيئة متناهية الصغر، فأستوعب أنها.. السماء، تتراقص النجوم وتتحرك، فجأة ينشق الظلام عن وجه.. مألوف مرتعب: سيقتلونني.. يصرخ ثم يهيل التراب عليّ ويردم القبر حتى أختنق وأفزع من النوم، هذه هي الصيغة التي ارتكز عليها الكابوس الذي لا يترك أسبوعا دون أن يهجم. مرة ربضت أراقب من يهيل التراب وفور أن يسويه تأتي بومة بيضاء، ثلجية، تقف على القبر وتنعب".[3]

---

(١) بورتريه الوحدة، ص ٢٥.

(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٤.

(٣) لا تقصص رؤياك، ص ٨، ٩، ٢١، ٢٢.

وكما أن كابوس "بسام" هو مركز رواية "لا تقصص رؤياك" فإن الحلم، أو بالأحرى تأويله وتفسيره، هو أيضا محور رواية "خيوط القدر": "تطلعت في البحر مرة أخرى فشاهدت قرب محطة الرمل فتى يرخي الحبال لطيارة ورق كي تعلو وترتفع، وكان على جسم الطائرة وجه امرأة جميلة. أحسست أنني رأيت هذا المشهد من قبل كما يقول الفرنسيون Déjà vu أو بالأحرى أحسست أني حلمت به Deja rêvé... فجأة تذكرت حلم البارحة... نعم، رأيت في المنام أني أمسك خيطا وأحاول سحبه بينما أمسكت فتاة لا أذكر منها سوى عينيها الجميلتين بالطرف الآخر.. نفس العينين البنيتين التي رأيتهما لتوي. ظللت مشغولا بالحلم مهموما به... فتحت كرستين درج المكتب وأخرجت كتيب من وضعها مزجت فيه بين تفسيرات ابن سيرين ورؤى يوحنا وتحليلات فرويد وأساطير العالم القديم... بدأت البحث بينما انهمكت أنا في إعداد كوبين من الشاي. بعد مضي بعض الوقت انطلقت قائلة:... الشعرة صلة ومنها شعرة معاوية وشعر الصيد رزق. الحبل ميثاق وعهد. إذا رأيت نفسك تتسلقه ظهرت على أعدائك وإذا رأيت نفسك تتدلى وتنزل من عليه دل ذلك على الإحباط والفشل. إذا رأيت نفسك تمشي عليه فأنت في موقف خطير. أما إذا رأيت نفسك مقيد به فأنت تسير وراء قلبك وتطلق له العنان أو أنك مسلوب الإرادة كالدمي المشدودة إلي الخيط، وإذا ربطت به حصانك دل ذلك على امتلاكك لزمام الأمور. الخيط دليل وبينة وخيط العنكبوت وهن. الخيط المعقود زواج والخيوط المعقودة سحر وخيوط الشمس نور وهداية. لضم الخيط في الإبرة أمر صعب أو مؤامرة والحياكة بها شفاء أو... الخيط الأبيض الفجر والأسود الليل والأحمر شغف وإحساس ورغبة وحب. وفي الأساطير الصينية خيط القدر وهو خيط أحمر يربط بين الرجل والمرأة اللذين قُدر لهما اللقاء وربما الزواج.. انتهى."(١)

أما عن شق السحر في عنوان المتلازمة فنقول أن الخوف من السحر والسحرة والمس والشعوذة Wiccophobia موجود في السرد الروائي العربي بوفرة. نجده في شخص "جمو بنت بيكوالي" التي تعد الأعمال السحرية في رواية "سيدي وحدانه" لرجاء عالم. في رواية "المعلم عبد الرازق" لسعود المظفر(٢) يُمس "راشد" بسبب زجره لحفنة من الكلاب السوداء لبستها الجن، وهو نفس ما حدث لأبي فرج في رواية "نافذة الجنون" لعلي أبي الريش.(٣)

---

(١) خيوط القدر، ص ٦٠، ٦٤، ٦٦، ٦٧.

(٢) مطابع النهضة، مسقط، ١٩٩٠.

(٣) مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠٠٩.

متلازمة الدبدوب

الدبدوب أو "تيدي بير" Teddy Bear هو في الأساس شخصية كرتونية تُنسب للرئيس الأمريكي "تيودور روزفلت"Theodore Roosevelt . "تيدي" كان اسم التدليل له، كما كان له واقعة أثناء رحلة صيد رفض خلاله إطلاق النار على دب جريح. ومن الشخصية الكرتونية ظهرت الدمية التي غزت العالم بأسره. غالبا ما يرتبط الأطفال بهذه الدمية، لكن حين يكبرون يخف هذا الهوس. بالرغم من ذلك يرفض بعض الأطفال إعارة دميته أو لعبته لأي شخص آخر، ربما لأنها تذكره بأيام الصبا.

تشير "متلازمة الدبدوب" Teddy Bear Syndrome إلى الشخص الذي ينفصل عن حبيبته أو خطيبته أو زوجته، لكنه لا يريد أن يراها بصحبة رجل آخر. تُصنف المتلازمة على أنها نوع من حب التملك. وغالبا ما تُصيب هذه الأعراض الرجال أكثر من النساء.

في رواية "أمس انتهينا" نجد أثرا واضحا لهذه المتلازمة في شخص "مطلق" السعودي الذي طلق امرأته، لكنه يبعد عنها الرجال، ويريدها فقط التفرغ لتربية أولاده منها نقرأ: "في ليلة من الليالي دقت صيته، الحجازية، آخر من سرح مطلق هاتف أستاذ أردني من أصل فلسطيني كان يعمل بفرع الجامعة في حريملاء. لابد وأنها حصلت على الرقم من أحد الطلاب أو من صفحة الأستاذ على موقع الجامعة. كان الرجل يقيم بمفرده ويحب السهر. سحره صوتها. تحدثا بالشهور بصفة يومية عن الحب والجنس والغرام والشوق وعن أشياء أخرى كثيرة. بعث لها الأستاذ الجامعي يوما رسالة من جواله كتب فيها: أي شيء في العيد أهدي إليك يا ملاكي؟ مستحضرا قصيدة إيليا أبو ماضي، فردت عليه: الزواج. فعلا أعرب الرجل عن رغبته في الزواج منها مسيار. كان مُهددا بالاستغناء عنه من قبل الجامعة فوجدها فرصة سانحة للمكوث في المملكة. علم طليقها بالأمر. اصطحب أستاذ الجامعة إلى البر قائلا له:

- عندنا مثل في بلادنا يقول: يا غريب... خليك أديب؛ وأديب هنا معناها مهذب.
- وما علاقتي بهذا المثل؟!
- أترى هذا الجبل هناك؟

- نعم.
- يذكرني بجبلي أجا وسلمى في حائل حيث ولدت.
- حقا.. وما الذي أتى بك إلى هنا؟!
- كان على أبي دية.
- لم؟!
- قتل رجلا تعرض لمحارمه.
- ثم؟!
- ثم عفا عنه أولي الدم نظير دفع الدية ورحيلنا عن البلد. هل تريد أن تعرف قصة أجا وسلمى؟
- لا بأس.
- عشق الشاب أجا فتاة اسمها سلمى، لكن أهلهما رفضا تزويجهما. في يوم من الأيام هربت سلمى مع رفيقها أجا، فطاردهما القوم حتى أمسكوا بهما بين الجبلين، وهناك قتلوهما وصلبوهما.
- ماذا تريد أن تقول؟!
- ابعد عن طليقتي أيها الغريب.
- ها قد قلتها بلسانك.. طليقتك.
- وأم بناتي. اسمع.. تذكرت الآن أنها كانت الطلقة الثالثة.
- طلقة.. فعلا.. اسم على مسمى.
- إذا احتجت إلى تيس مستعار فسوف أرسل لك؟
- ماذا تقول؟!
- مُحلل.
- هذا لا يرضي الله أن تجعل طليقتك كالبيت الوقف.

- لقد حذرتك. رمي شبكة الصيد أسهل من سحبها ولمها. لن تصطاد في منطقتي؛ لن أسمح لك بذلك. لقد حذرتك وقد أعذر من أنذر. آه.. بالمناسبة نسيت أن أقول لك الطريقة الأخرى التي نتداول بها مثل الغريب. الغريب ذيب.

- ذيب؟!

- ذئب.. وبما أن الذئاب جُبلت على العيش في البراري، فاستمتع بالمكان.

- ضحك مطلق ضحكة حمقاء وترك الرجل في البر كعقاب له لأنه تجرأ وفكر أن يتزوج طليقته على سنة الله ورسوله!"[1]

ذهان ويندیجو

تعود أصول "ذهـان وينـديجو" Wendigo Psychosis إلى قـصة فلكلوريـة نـشأت في منطقة البحيرات العظمى بين كندا والولايات المتحدة عن وحش ضخم يأكـل لحـوم البـشر. يشير الذهان إلى حالة من الاضطراب الذهني، وفيه يشتهي المصاب به اللحم البـشري بـشدة Cannibalism. لقد ذكر "المقريزي" مثلا في "اتعاظ الحنفـاء" أن المـصريين خـلال "الـشدة المستنصرية" أكلوا الجيف ولحم الحيوان والبشر، وهناك من يأكل اللحـم البـشري دون علـم منه أو جبرا تحت التهديد، لكن المصابون بذهان "ويندیجو" يفعلون ذلـك مـع وفـرة الطعـام وقدرتهم عليه. التاريخ يحفل بوقائع كثيرة لأكل لحوم البشر، وهناك قبائل تفعل ذلـك كنـوع من الموروث الثقافي.

لا يتوقف أكل اللحم البشري عند كابوس يمر به النائم كما كتب "عبد الفتـاح رزق" في روايته "الوليمة":[2] "ظهر العشاء عبارة عن جسم آدمي مـشوي منـزوع اليـدين والـساقين ولكنه غير منزوع الرأس. تفرست في الوجه ضمرت ملامحه مـن أثـر الـشواء وعرفـت عـلى الفور أنه وجه أخيها... كادت تصرخ ثانية ولكنها رأت أمها تقطع بالسكين شريحة كبيرة مـن الفخذ وتقدمها إلى أبيها. انتظرت حتى رأت أمها تضع في الطبـق الـذي أمامهـا شريحـة مـن

(١) أمس انتهينا، ص ٨٩، ٩٠، ٩١.

(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

الكتف. نظرت إليهم جميعا فرأتهم يأكلون اللحم بالشوكة والسكين فبدأت هي أيضا تأكله."[١]

ولا يتوقف أكل لحوم الغير عند الإطار العجائبي كما في رواية "الجرذان" ليحيي بزغود[٢] وفيها يتحول البشر بشكل "كافكاوي" إلى جرذان قاضمة قاطعة، كما لا يتوقف أكل لحم الغير عند المعنى المجازي كتشبيه الغيبة والنميمة Backbiting بمن "يأكل لحم أخيه ميتا"[٣] أو كعبارة "أكلك حيا" Eat you alive من التراث الشعبي العالمي أو كقول "وردة عبد الملك" في روايتها "الأوبة": "هل تعرف حينما أسترجع حياتي، لا أحد ولا شيء يؤلمني مثل فلوة... هي من نهش لحمي."،[٤] ولا يتوقف كذلك عند مشهد جنسي ساخن يتخيل طرفاه أكل لحم شريكه كما يقول "راوي حاج" في روايته "لعبة دين يرو":[٥] "شددتها فاستلقت قربي، وأنا أنشب بلحمها كجرو جائع. ربتت بلطف على جراحي ولعقتها"،[٦] بل يتعداه إلى أكل هذا اللحم فعليا.

قدم "توماس هاريس" Thomas Harris عام ١٩٨١ سلسلة من روايات الرعب البطل في إحداها طبيب يُدعى "هانيبال ليكتر" Hannibal Lecter وهو سفاح يأكل لحم ضحاياه.[٧] في رواية "بلاغ" للكاتب "عمر عودة"[٨] يعرج المؤلف بالذكر على طبيب آخر يأكل لحم زوجته بعد قتلها ليمارس عليها سحر "النكرومانسر". في رواية "الطريق إلى عدن" لعمر الطالب نقرأ عن "الكانيبالية" المغلفة بغلالة من الغرائبية: "دعا عبد السلام أخاه بشيرا ليدفع السيارة معه، نظر إليه بشير نظرة غريبة، بدا له أخوه للحظات كأنه صورة فوتوغرافية

(١) الوليمة، ص ٣٠.
(٢) منشورات منتدى رحاب بوجدة، بوجدة (المغرب)، ٢٠٠٠.
(٣) الحجرات، ١٢.
(٤) الأوبة، ص ٣١.
(٥) ترجمة: فدى الحاج يونس، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢.
(٦) لعبة دي نيرو، ص ٢٠٧.
(٧) حولته السينما الأمريكية إلى عمل شهير عام ١٩٩٠.
(٨) دار الرسم بالكلمات، الجيزة، ٢٠١٥.

لشبح مخيف، حدق أحدهما في الآخر، بدا له وجه بشير يشبه وجوه الكائنات الخرافية التي تسكن كهوفا تحت الأرض وتقتات على لحوم البشر."[1]

في روايته الأبوكاليبتية، "عطارد"، كتب "محمد ربيع"[2] يذبح الأب زوجته وأولاده في عيد الأضحى ثم ينتقي أجزاء من أجسادهم لطهيها في قدور على النار"أثبتت التحقيقات والاعترافات أن الأب قتل عائلته بالساطور، ثم انتظر عدة ساعات ريثما يحضر لما بعد ذلك، أعد سكينا صغيرا، وقدور طهي متعددة، وقطع بصلا، وقشر ثوما، وعصر مقدارا كبيرا من الطماطم، ثم، بسكينه الصغير الحادة، قطع شفاههم وأنوفهم وآذانهم، واقتلع أعينهم، ثم قطع أجزاء صغيرة من السواعد والأفخاذ، واستأصل ثديي زوجته، ووضع الأعين في قدر صغيرة، والآذان والشفاه في قدر أكبر، وقطع اللحم في قدر ثالث، والثديين وضعهما في وعاء من الفخار، وأضاف ما قطعه من بصل وثوم وطماطم إلى القدور، وطبخ كل هذا في مطبخه. تصاعدت رائحة الطعام تشير إلى طبخ لحم عيد الأضحى فلم يرتب الجيران في شيء."[3]

وفي رواية "حسن الجندي" "الجزار"[4] نجد مشهدا صادما آخر لـ "الكانيبالزم": "بدأ يفيق، ويحاول أن يتذكر ما حدث قبل لحظات الإغماء؛ لكن قبل أن يفتح عينيه، اخترقت أنفه رائحة طعام شهي، تشبه رائحة شواء اللحم، ولكنها رائحة أثقل بكثير. يبدو أن هناك الكثير من التوابل التي أضيفت لهذا الشواء. حاول أن يفتح عينيه، لكنه شعر بثقل جفونه، مع تنميل تام في أطرافه، فلم يشعر بيده ولا قدمه، لكن حاستا السمع والشم كانتا تعملان على أكمل وجه، فأنفه تجد رائحة الشواء وأذنه تسمع صوت احتكاك شوكة بطبق ما، ثم صوت مضغ. بدأ الثقل في جفونه يضيع تدريجيا، حتى استطاع بمجهود أن يفتح عينيه، لكنه لم ير شيئا في البداية، وكأن على عينيه طبقة من الدموع، تحجب الرؤية، وتجعلها صعبة... ما زالت الرؤية مشوشة، ولكنه قادر على التمييز، حيث رأى رجلا يجلس على أحد أطراف مائدة الطعام، وأمامه طبق صغير.. يحتوي على شيء ما يبدو أنه قطع لحم مشوي. الرجل يأكل باستمتاع... توقف الرجل عن المضغ وهو ما زال ينظر له مبتسما، ثم قال:

(١) الطريق إلى عدن، ص ٢٠.
(٢) دار التنوير، بيروت، ٢٠١٥.
(٣) عطارد، ص ٩.
(٤) دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.

- قطعة لحم شهية أشبعت جوعي.. أعذرني وددت لو تشاركني في تذوق ذلك اللحم اللذيذ، ولكن أعرف أنك ستمانع لأسباب شخصية.

قال الرجل العبارة السابقة، ثم أشار بإحدى يديه في اتجاه معين... بعد مجهود استطاع تحريك رقبته لأسفل قليلا ليجد أن هناك لونا أحمر يقابل عينيه أثناء نزولهما لأسفل... فجأة شاهد الرجل شيء ما عند قدمه... لقد رأى نفسه لا يرتدي سروالا وفخذيه مقطعين، وأجزاء من لحمهم غير موجودة وعظام الفخذ يظهر جزء منها له!"[(١)]

حين يتحول آكل لحوم البشر إلى أكل لحمه هو Autophagia يُعرف ذلك الأمر بـ "متلازمة ليش – نيهان" Lech – Nyhan Syndrome. ومرة أخرى نفرق بين من يفعل ذلك الأمر طواعية أو مجبرا. قيل مثلا أن الدوقة البشعة، "إليزابيث باثوري"، Elizabeth Bathory كانت تجبر الفتيات من خادماتها على عض أنفسهن ونهش لحومهن. أما من ينهش لحمه تحت هذه المتلازمة فنجد أثرا له فيمن يقضم أظافره أو يعض على شفتيه حتى تدمى فيبلع دمه. من رواية "خلف العالم" لسهام مرضي[(٢)] نقرأ: "ارتباكها الزائد سببه أنها حصلت ذلك اليوم على تقرير يثبت خلل عمل الغدة الدرقية عندها ويسمح لها بالراحة لمدة أربعة أيام، كتبها لها الدكتور وهي تقول في نفسها: أربعة أيام من أكل الأظافر، والخس!"[(٣)]

بعض الكائنات أيضا تأكل نفسها في حالات معينة: أفعى الجرذ والقرش والإخطبوط وصرصار الليل... الخ، بل إن جثث الموتى تأكل نفسها حين تجيف ويخرج منها الدود فيلتهمها ثم ينـدحر ويموت. يقول "الأزهر الصحراوي" في روايته "وجهان لجثة واحدة":[(٤)] "جثتي فوق الرصيف تهاجمها جيوش الذباب الأزرق، تحيط بها جرذان وفئران، والدود الأبيض ينهش طراوة الأمعاء والمعدة."[(٥)] تحمل دفوف اللغة هذا المعنى أيضا فالتعبير الاصطلاحي "يأكل نفسه" أو Eat yourself حاضرا في اللغتين العربية والإنجليزية

---

(١) الجزار، ص ٧ – ٩.

(٢) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٤.

(٣) خلف العالم، ص ١٣.

(٤) منشورات النايا، دمشق، ٢٠٠٧.

(٥) وجهان لجثة واحدة، ص ٩.

ولو كان المعنى مجازيا. وبين المعنى الحرفي والمعنى المجازي يختتم "صنع الله إبراهيم" روايته "اللجنة"[١] بعبارة: "عندئذ رفعت ذراعي المصابة إلى فمي، وبدأت آكل نفسي."[٢] وكانت اللجنة قد حكمت على البطل بذلك لمجازفته في تحصيل المعرفة، وعدم امتلاكه الرؤية والشغف اللذين يؤهلانه للحصول على المعلومة الدقيقة.

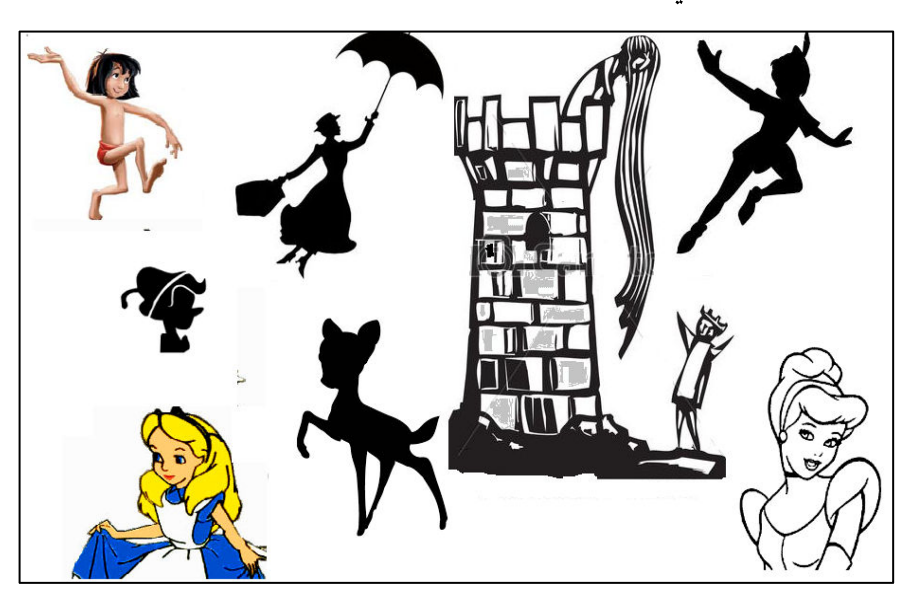
(١) دار الكلمة، بيروت، ١٩٨١.

(٢) اللجنة، ص ١٥٤.

الفصل التاسع

عقد ومتلازمات مستوحاة من أفلام ديزني

عقدة سندريلا – متلازمة بيتر بان – متلازمة ويندي – عقدة بامبي – متلازمة بينوكيو – متلازمة أليس في أرض العجائب – متلازمة ماري بوبنز– متلازمة بوكاهونتـاس – متلازمـة رابونزل – متلازمة ماوكلي



عقدة سندريلا[1]

تصف "عقدة سندريلا" Cinderella Complex خوف النساء من الاستقلالية. ترتكز العقدة على فكرة أن نساء كُثر لا يعتقدن أن بإمكانهن رعاية أنفسهن، وأنهن يحتجن رجـل، أو ظل رجل، ليعتني بهن وينقذهن. النـسوة الـلاتي يـصبن بهـذه العقـدة ينتهـي بهـن الحـال في علاقات غير ناجحـة. فتيـات كثـيرات في وطننـا العـربي ينتظـرن "عـريس الهنـاء" Prince

(1) Colette Dowling, **The Cinderella complex. Women's hidden fear of independence,** New York, Summit Books, 1981.

Charming، هذا الغائب الحاضر الذي يأتي على صهوة جواده ليغير حياتهن إلى الأفـضل.[1] الكثير منهن يغلفن انتظارهن بالأماني والأحلام وقد ينتهي الأمر بخفي حنين.

كتب الدكتور "أحمد عكاشة" يصف هذه الشخـصية بأنهـا "تتميـز بـاعتماد شـامل عـلى الآخرين أو السماح لهم بتولي مسئولية جوانب مهمة في حياة الـشخص... وعـدم الاسـتعداد لمطالبة هؤلاء الآخرين (الذين يعتمد علـيهم الـشخص) بـأي مطالـب حتـى ولـو منطقيـة، والإحساس... والميل إلى التعامل مع المحن بإلقاء المسئولية على الآخر."[2]

كتبت "بدرية البشر" في رواية "هند والعسكر":[3] "كنت أتخيل نفـسي مثـل سـندريلا، يتيمة من دون أم. كنـت أرى في زوجـة أبيهـا الظالمـة صـورة أمـي التـي تـضربني وتكلفنـي بالأعمال الشاقة في المنزل. كنت أطمح دائما إلى الخلاص من هـذا المنـزل الـذي لا يحبنـي فيـه أحد. عندما عرفت أن الأمير الشاب هو الـذي خلـص سـندريلا مـن عـذاب زوجـة أبيهـا، قررت أن أبحث بدوري عن أمير شاب أحبه، فوجدت ابن جارنا الوسيم سالم الذي يكـبرني بعشر سنوات، فهو الوحيد الذي يمكن أن يكون في سن الأمير. كان قلبي يخفق كلما مر سـالم أمام باب منزلنا وأنا واقفة أنظر إلى الشارع. ينظر إليّ ويبتسم، وأنا أمد قدمي مرة وأنـا ألـبس الحذاء ومرة من دونه، فهو سيلبسني الحذاء الذهبي."[4]

قدمت لنا الروائية "مـريم الغفـلي"، نموذجـا أقـل اعتماديـة أو اتكاليـة مـن "سـندريلا الحقيقية"، لكن أكثر شجنا، ربما لأنها استحـضرت نمـوذج "بوليـوود" في تكثيـف الأسـى. عنوان الرواية "بنت المطر"،[5] وهي حشرة متناهية الصغر، يميل لونها للأحمر المخملي، تظهر وتختفي في موسم الأمطار، خجولـة تتـوارى عـن الأنظـار، كريمـة تقابـل الأصـابع الممتـدة بالرائحة الذكية التي تفرزها كشجرة النخيل التي تكافئ من يلقي صـوبها الأحجـار بـالتمر، وكل هذه الصفات تنطبق على بطلة الرواية "لطيفة".

---

(١) تُعرف هذه الظاهرة بـ"متلازمة الفارس الأبيض" White Knight Syndrome.

(٢) آفاق في الإبداع الفني، دار الشروق، ٢٠٠١، ص ٩.

(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.

(٤) هند والعسكر، ص ٣٢.

(٥) دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٩.

"لطيفة" فتاة يتيمة الأم تسومها زوجة أبيها العذاب.[1] بعد وفاة الأب تقترن زوجة الأب برجل فظ يتلصص على جسد "لطيفة" Voyeurism. أخيرا تتخلص زوجة الأب من "لطيفة" عن طريق تزويجها لرجل هرم لا يُنشد سوى التطبيب والتمريض. يقضي زوج لطيفة نحبه وتكتشف أن زوجة أبيها استبدلت ذهب صداقها بذهب صيني كما استولت على ميراثها سابقا. ينتهي الحال بلطيفة في الشارع فتأوي إلى بيت خادمتها البنغالية، وتُتهم بممارسة الفاحشة في هذا البيت. تعود إلى "دبي" لتجد ثروة تهبط عليها من جدتها الراحلة. تحلم بالزوج الذي يعوضها عن بؤسها ويحملها إلى عالم آخر، ويأتي هذا الزوج في شخص "محمد، ابن جارتها، وهو رجل مطلق وخلوق تقابلت معه "لطيفة" غير مرة بصدف "سيرينديبية" عجيبة.

متلازمة بيتر بان

الروائي الأسكتلندي، جيمس ماثيو باري، James Matthew Barrieهو من ابتكر شخصية "بيتر بان" الذي يعيش في دعة ولا يرغب في الكبر. بالرغم من أن الشخصية ظهرت في كتاب أدبي، إلا أن توجهاتها مالت إلى الأطفال، وساعد على ذلك تحويلها إلى فيلم رسوم متحركة حقق نجاحا مبهرا.

تشير "متلازمة بيتر بان" Peter Pan Syndrome إلى الرجال الطفوليين الذين لا ينضجون، بل يعيشون في مرحلة الطفولة على راحتهم في دعة وكسل بدون مسئوليات. إذا سمعت عبارة "لم ينضج بعد" ففتش عن "متلازمة بيتر بان". أما الفتيات اللاتي يعشن في طور الطفولة ولا يردن الخروج منه فيُوصفن بأن لديهم "متلازمة تنكر بيل" Tinker Bell Syndrome نسبة إلى شخصية أخرى من عالم "والت ديزني".

تُسمى ظاهرة "بيتر بان" أيضا بـ "الشخص المأنتخ" Couch– Potato Syndrome. المصابون بهذه المتلازمة تجدهم – رغم كبر سنهم – ينخرطون في اللعب (ألعاب الفيديو وخلافه) ويشاهدون الكارتون متسمرين أمام التلفاز أو ملتصقين به (متلازمة إدمان التلفاز

(١) تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة زوجة والد سندريلا" Cinderella Stepmother Syndrome.

(Soap Opera Syndrome. يعشقون الكسل والبقاء في الفراش ويتنصلون من المسئولية، وغالبا ما يكون لديهم ارتباط لصيق بالأم قد لا يرقى إلى "عقدة أوديب" (راجع مثلا شخصية "كامل" و"صابر" في روايتي "نجيب محفوظ" "السراب" و"الطريق")، بل يندرج تحت مصطلح "ابن أمه" His Mama's Boy الذي ما زال حبله السري مرتبط بها أو تنتابه الرغبة في الرجوع إلى رحمها والاحتماء بها، أي أنه يعتمد عليها اعتمادا كبيرا في تسيير حياته.[١]

تُعرف هذه الظاهرة بـ"متلازمة الكنجارو" Kangaroo Syndrome. هذا الرجل الطفولي منقاد لأمه لأنها من تنتقل به وتنقله، كما أنه متردد، يعجز عن اتخاذ قرار دونها، خانع وقريب من شخصية "التنبل". في بعض الأحيان يتمنى هذا الشخص لو رضع من صدر أمه، ليس سدا لجوع أو رغبة في شبع، لكن لتعويض الإحساس بعدم الأمان. من رواية "حكاية مجنون" ليحيي إبراهيم[٢] نقرأ: "وأنا أرضع مع نادية ثدي أمي في خيالي."[٣]

يتخذ بعض الناس وضعية "الكنجارو" أو الجنين في الرحم أثناء نومهم، وهي الهيئة التي تعكس هشاشتهم وارتباطهم بأمهاتهم. نقرأ لهلال شومان من روايته "ليمبو بيروت":[٤] "اضطجع كجنين في بطن أمه. عانق نفسه. أغلق نفسه على نفسه. الركبتان مضمومتان تلمسان الصدر، ومثنيتان حتى تكاد قدماه تلمسان مؤخرته. يداه تجمعان رجليه أكثر، وتطويان ركبتيه أكثر."[٥] ويُسمي "محمد عبدالكريم" هذه الوضعية في روايته "سبعة أرواح"[٦] باحتضان الذات: "بجسدها الأبيض الممتلئ تنام سوسن على سرير فخم في غرفة نوم واسعة غير متناسقة وهي ترتدي قميص نوم أزرق قصيرا يُظهر أكثر مما يخفي. تنام سوسن في وضعية الجنين وذراعاها ملتفان حول نفسها كأنها تحتضن نفسها لتطمئن."[٧] من

(١) عولجت هذه الفكرة في فيلم "ابن عز"، ٢٠٠١ ودراما "يتربى في عزو"، ٢٠٠٧.
(٢) منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٠.
(٣) حكاية مجنون، ص ٧.
(٤) دار التنوير، بيروت، ٢٠١٣.
(٥) ليمبو بيروت، ص ١١.
(٦) المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.
(٧) سبعة أرواح، ص ٣٧.

رواية "أوراقي.. حياتي" لنوال السعداوي[١] نقرأ: "تنكمش داخـل جلبابهـا المـزركش."[٢] ومن رواية "بوركيني" لمايا الحاج: "جسدي متكور على نفسه."[٣]

الرغبة في العودة إلى رحم الأم كما يعبر عنها "سيد فرج" بطل روايـة "الحـريم" لحمـدي الجزار:[٤] "لو.. لو.. لو أعود للرحم الذي جئت منه، وددت أيضا من كل قلبي أن أولد مـن جديد، وأن أخرج للنور"[٥] قد توازيها على نحو تبـادلي الرغبـة في العـودة إلى الرضـاعة مـن صدرها. كتب "علي أبو الريش" في رواية "الغرفة ٣٥٧"[٦] بأوديبية واضحة: "عندما كنـت في التاسعة وقبل أن تغيب أمي كنت أدس رأسي الصغير في صدرها , فتلمـزني نـاهرة بلهجـة ودودة: كف عن هذا يا ولدي , لقد كبرت , بينما أنا كنـت أسـكر في الرائحـة حتـى الثمالـة , وأغوص أكثر وهي تلكزني , وتهز منكبي بحفاوة أم رؤوم , كنت أشعر أن كائناً ما يـستقر في هذا الصدر , ويستفزني لأوغل أنفي , وفمي في المكان الذي ما عاد مكـاني كـما كانـت تقـول أمي , ولكنني أشعر بالغبن عندما تشتد لهجتها فظاظة , فتتركني على وجل , خشية أن يـشهد أبي هذا المنظر , الذي كان ينازعني ملكية هذا الصدر ومن دون أن أعلم."[٧]

في رواية "بثينة العيسى" "تحت أقدام الأمهات"[٨] نقابل هـذه الشخـصية أو بـالأحرى الظروف التي تخلق هذه الشخصية. في هذه الرواية تستبدل "بثينة" الأم بالجـدة. لقـد سـعت الجدة المهيمنة لجعل "فهاد" رجل البيت، لكن ربـما اسـتعجلت رجولتـه فـأتى الأمـر بنتـائج عكسية. وحتى حين وجدته يرقص مع بنات خالاته مرتديا فستانا وواضعا مساحيق الزينة لم تتفهم طبيعة السن وبراءة التصرف، بل أخضعته لملابـس الرجـال وتخلـصت مـن الـدمي في

---

(١) دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٥.
(٢) أوراقي.. حياتي، ص ٢١.
(٣) بوركيني، ص ١١.
(٤) دار صفصافة، القاهرة، ٢٠١٤.
(٥) الحريم، ص ٢١٩.
(٦) دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
(٧) الغرفة ٣٥٧، ص ٢٠٩.
(٨) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.

المنزل وألحقته بحلقات الشعر النبطي.[١] في "الأيدي الناعمة" لتوفيق الحكيم[٢] نقابل الأرستقراطي الذي يعيش في دعة قصره رافضا العمل أو التواكب مع التغيرات الحادثة في المجتمع.

في رواية "مالك" لمحمود بكري[٣] يعترف البطل أنه طفولي ولا يريد أن يكبر: "نظرت له نظرة تعجب كيف لشاب يبدو عليه العقل والرصانة أن يتعلق بشيء كهذا.. كيف له أن يستوقف البائع ويشتري ويبدأ في الأكل ببساطة هكذا من بين عيون الناس التي دوما منشغلة بمراقبة بعضها البعض.. استمر حديثهما طول الطريق حول غزل البنات وكيف أن شابا في عمره مهتم بهذه الأشياء ذات الطابع الطفولي. أوضح لها أنه رغم أنه رجل يُعتمد عليه إلا أنه طفل لا يريد أن يكبر."[٤]

وفي رواية "مؤنس الرزاز" "عصابة الوردة الدامية" نقابل رجلين ناضجين يلعبان الكرة بفردة حذاء في الشارع ويضحكان من قلبيهما: "قال أبي إننا – أنا ومعتصم – نتصرف أحيانا كالأطفال الأشقياء... قال معتصم من وراء السور الذي يفصل بيتينا إنه يحن إلى أيام لعب كرة القدم في الحارة. سألني إذا كنت أتذكر. ومرت هبة هواء طرية... قلت: وما الذي يمنعنا من اللعب الآن؟ طار معتصم من الفرح، دخل بيته، غاب وهو يحمل حذاء كبيرا قديما. قال إنه لا توجد لديه كرة قدم وإن هذا الحذاء يُشبه كرة القدم. ثم خرجنا إلى الشارع، وضعت حجرين في أوله، حجر قرب الرصيف الأيمن، وحجر قرب الرصيف الأيسر. قلت إن هذا هو مرماي. فاقتدى بي وأعد مرماه، وبدأنا نلعب، نركل الحذاء القديم، حذاء أبيه الضخم، وانضم إلينا أولاد الحارة وطارت عقولنا فرحا. والدي زعق في وجهينا، قال إننا فضيحة. قال وقد مضى شعاع الغضب في عينيه: ألا تستحي على طولك يا معتصم؟ هل رأيت في حياتك رجلا بلغ سن الرشد يسد الطريق العام أمام السيارات ليلعب بحذاء؟"[٥]

---

(١) ص ١٧٩، ١٨٣.

(٢) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٨.

(٣) دار الرسم بالكلمات، الجيزة، ٢٠١٤.

(٤) مالك، ص ١٢.

(٥) عصابة الوردة الدامية، ص ٥، ٦.

وتبقى حقيقة أن كل من يحمل بين جوانحه طفل صغير مهما كبر وارتفعت منزلته، بل أن دورة الإنسان تعيده في مرحلة الشيخوخة إلى طبائع الصغر، أو كما يقول المثل "مكبركم مصغركم".

متلازمة ويندي

في قصة "بيتر بان" أيضا نطالع شخصية "ويندي" Wendyالتي تأخذ على عاتقها مسئولية حماية الآخرين. الفتيات اللاتي يتطوعن في لعب دور الأم حيال الأخ والأخت وتعتني بكلب أو قطة الأسرة وخلافه يوصفن بأنهن مصابات بمتلازمة "ويندي" Wendy Syndrome.[1] لعبت هذه الشخصية "بدرية" تجاه أختها الصغيرة "أحلام" في رواية "قماشة العليان" "أنثى العنكبوت".[2] الأم "مريضة مزمنة بالانفصام وبلا أمل في الشفاء... أنجبتني لتحضنني شقيقتي الكبرى بدرية ذات الأعوام الخمسة عشر وتمنحني ما استطاعته من حنان ورعاية واحتضان، فنشأت لا أعرف لي أم سوى بدرية." ثم تصف "أحلام" الصغيرة ليلة زواج "بدرية" قائلة: "ما زلت أذكر حتى اليوم ليلة زفاف شقيقتي بدريه... كنت في السادسة من عمري على وجه التقريب... بقيت تلك الليلة محفورة في ذاكرتي لا تبرحها... أحسست بالفقد والحرمان والضياع."[3] لكن وبالرغم زواجها ظلت بدرية نصيرها وسندها Godmother.

عقدة بامبي

الغزالة "بامبي" Bambi هي شخصية "كرتونية" من إنتاج "ديزني". في الحقيقة هي شخصية خلقها الكاتب النمساوي، "فيلكس سولتين" Felix Salten، في كتابه "بامبي – الحياة في الغابة" Bambi, Life in the Woods، لكن شهرتها جاءت على يد "ديزني". في القصة تُقتل أم "بامبي". تسعى الغزالة الصغيرة للعثور على رفيق، وينصحها أبوها بتوخي الحذر والاحتراس من البشر.

---

(١) عالج "يوسف جوهر" هذه العقدة في فيلم "نادية"، ١٩٤٩ و"سمير عبد العظيم" هذه العقدة في فيلم "أفواه وأرانب"، ١٩٧٧ كما عالجها "بلال فضل" في فيلم "بلطية العايمة"، ٢٠٠٨.

(٢) دار الكفاح، الدمام، ٢٠٠٦.

(٣) أنثى العنكبوت، ص ١٠، ١١.

تشير "عقدة بامبي" Bambi Complex إلى الأشخاص مفرطي الحساسية والتعاطف مع الحياة البرية والحيوانات. هؤلاء الأشخاص لديهم قدرة خفية وغريبة في التعامل مع الحيوانات والتواصل معها وكسب ودهم. في رواية "حلم على نهر" لجار النبي الحلو[1] نقابل "سيد" الذي يستطيع - كما يفعل الرفاعية – صرف ثعبان أحاط ببيض الدجاج. يصفه الكاتب بأنه "يكلم الحيوان والطير"[2] كما لو كان سيدنا سليمان. ومن رواية "الزهرة الصخرية" لمحمد الرواي[3] نقرأ: "."قال الشيخ عسران: إننا لا نعيش هنا وحدنا، الخراف والماعز تشاركنا هذه الأرض وخيراتها. فى البيوت والشوارع والأحواش والمزارع، إنها أكثر منا عددا، تخرج إلى رزقها معنا فى الفجر وتعود مع حلول الليل، تألفنا ونألفها، تعرفنا واحدا واحدا بأسمائنا وأصواتنا."[4]

تشير المتلازمة لهؤلاء الذين تتنامى لديهم مشاعر غاضبة ضد الصيد وذبح الحيوانات بما في ذلك الأضاحي كما ترى "بريجيت باردو"Brigitte Bardot ،[5] بل و"فاطمة" في رواية "اليهودي الحالي": "أوضحت أختها: تبكي من الفجر.. أبي أمر الجزار بذبح الخروف المخصص للتضحية في العيد. ماطلتنا يومين، وصباح اليوم، كان هو الوقت الأخير من أيام الذبح الشرعية، لهذه المناسبة. في أول يوم، قالت إنه يحتاج إلى علف أخضر، ومزيد من الملح، حتى يصير طعم لحمه ومرقه شهيين. في اليوم الثاني أقنعتنا أن ذبحه، وهو جائع وظامئ، يعتبر حراما في كل دين ومذهب. لا يرد لها أبي طلبا، لكنه.."[6]

في رواية "الأطلسي التائه" لمصطفى لغتيري[7] يمتنع البطل عن تناول اللحوم بسبب حزنه لذبح بعض الخرفان التي يقوم برعيها ويرتبط معها بصلات حميمة: "كان يحز في نفسي

(١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

(٢) حلم على نهر، ص ٢٨.

(٣) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩١.

(٤) الزهرة الصخرية، ص ٢٦.

(٥) بالرغم من أن الدين الإسلامي حث على الرفق بالحيوان، إلا أن الغرب قد تفوق في هذا الشق. في رواية "امرأة خارج الحصار" لرجاء أبو غزالة تشعر "زبيدة" أن كلبة زوجة أخيها الأجنبية تعيش أفضل منها. (رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٩٥).

(٦) علي المقري، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٨.

(٧) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.

أن يُذبح كل يوم تقريبا واحد من رعيتي، لذا تدريجيا عافت نفسي اللحوم، حتى أنني لم أعد قادرا على وضع قطعة منها في فمي."[1]

هؤلاء الأشخاص يذهبون إلى ما هو أكثر من ذلك فينتقدون إجراء البحوث على الفئران وخلافه وقائمة من الأنشطة مثل مصارعة الديوك والثيران وحيوانات أخرى أشار إليها "ضياء الجبيلي" في روايته "بوغيز العجيب":[2] "أيضا كان بوغيز الزنجي محظوظا في المهارشة، لكنه لا يستخدم الديكة في هذا المجال، إنما يعتمد على الكلاب والسماني والجرذان والعقارب التي يجيد البحث عنها، ويقضي وقتا في تربيتها وتدريبها على القتال مع أخريات من جنسها في المقاهي."[3]

يسوؤهم رؤية الحيوان محبوس في أقفاص أو حدائق الحيوان. كتبت "غادة السمان" في روايتها "كوابيس بيروت"[4] حول هذه النقطة قائلة: "خلف السور، كانت الأقفاص المختلفة الأحجام والأشكال مرصوصة ومتلاصقة كما في مقابر الفقراء.. الشمس لا تطالها ولا الرياح ولا الندى ولا السماء الزرقاء.. وداخل الأقفاص كانت هناك مجموعة كائنات حية تشبه البشر في تنوعها: كلاب مختلفة الأنواع.. بودل وكانيش وكلاب صيد.. قطط رمادية وبلدية وشامية.. أرانب بيضاء حمر العيون.. أرانب رمادية وسوداء.. فئران بيض. فئران ملونة.. أسماك ملونة صغيرة تسبح في الأكواريوم المضيء كأنها فراشات مائية.. عصافير مكسورة الخاطر والجناح.. بلبل وحسون وببغاء وغيرها.. حيوانات من مختلف الألوان والأشكال والأمزجة يجمعها القفص، والسجن، والبؤس.. كانت متعبة، فلا القطط تموء تماما ولا الكلاب تعوي جيدا ولا العصافير تغني."[5]

قدم "عبد الرحمن منيف" نقدا لاذعا للإنسان الذي يسرف في الصيد الجائر وقتل الحيوانات للاستفادة من عاجها وفرائها وخلافه: "أفاقت الحيوانات.. ذات يوم، فإذا بها تجد

---

(١) الأطلسي التائه، ص ٥٦.
(٢) منشورات مؤسسة الدوسري للثقافة والإبداع، المنامة، ٢٠١١.
(٣) بوغيز، ص ٢٢.
(٤) منشورات غادة السمان، بيروت، ١٩٧٦.
(٥) كوابيس بيروت، ص ١٤.

نفسها أمام شيء جديد، لم تألفه من قبل. وقد حاولت كثيرا أن تقيم صلات عاقلة مع هذا الحيوان. وافق في البداية، لكن مع الأيام، أخذ يوقع بينها ويقتلها، وقد تسبب في انقراض أعداد كبيرة من الحيوانات الرائعة التي كانت تعيش على الأرض، ولما تكشفت نوايا هذا الحيوان الجديد، ابتعد عنه الجميع، ذهبوا بعيدا وتركوا له كل شيء، لكنه لم يكتف، بدأ يحاصر الحيوانات ويقتلها في كل مكان."[١]

صورة من صور تعذيب الحيوان وغياب ثقافة العطف عليه والرأفة به بوجه عام في العالم العربي بالرغم من الحث على ذلك من قبل الدين الإسلامي الحنيف قدمها لنا "عبد الله البصيص" في روايته "ذكريات ضالة":[٢] "وإذا بصبيين في مثل سني يجريان خلف كلب ضال، اندس الكلب خلف سيارة أمي المرسيدس، كان كلبا هزيلا ومرعوبا، وبدا أنه مصاب ويعاني من كدمات قذف الحجارة... وقفت أتأملهما وهما يلتفان حول السيارة ويحاولان إخراج الكلب، أحدهما بالعصا والآخر بالحجارة... ركضت معهما في الشوارع خلف الكلب المنكوب أشاركهما النيل منه."[٣]

الحيوانات هي ما تشكل كتاب "كليلة ودمنة" وحبكة روايتي "جورج أورويل" George Orwell "مزرعة الحيوانات" Animal Farm و"الأجمة" لحسن أوريد.[٤] قصة "توفيق الحكيم" مع الحمار معروفة.[٥] الناقة هي بطلة رواية "ناقة الله" لإبراهيم الكوني،[٦] والكلب هو بطل رواية "ممر الصفصاف" لأحمد المديني،[٧] وهو السارد في رواية "عبد الهادي سعدون" "مذكرات كلب عراقي"،[٨] ومشارك في البطولة في رواية "حافة النسيان"

---

(١) شرق المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – المكتبة العالمية، بيروت – بغداد، ١٩٨٦، ص ٨.
(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٤.
(٣) ذكريات ضالة، ص ٧٠، ٧١.
(٤) دار الأمان، الرباط، ٢٠١٤.
(٥) حمار الحكيم، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٦) دار سؤال، بيروت، ٢٠١٥.
(٧) المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ٢٠١٤.
(٨) دار الثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١٢.

لأحمد علي الزين.[١] الهر يقاسم العجوز البطولة في رواية "عباس بيضون" "ألبوم الخسارة".[٢]

في رواية "أرض السواد" لعبد الرحمن منيف[٣] نجد حيوانات الدار كلها منزعجة لمقتل "بدري". وفي رواية "محمد مستجاب" "أبو رجل مسلوخة"[٤] تصبح الدار الريفية البسيطة مرتعا للحيوانات التي تعيش مع الإنسان في انسجام واضح وتعزف سيمفونية طبيعية: "لم يكن مسقوفا سوى حجرة واحدة صغيرة تخزن فيها أمي الجبن والسمن، وتربي في جحورها الأرانب وعلى نافذتها الحمام... لم يكن ثمة باب في البيت إلا لهذه الحجرة والباقي سداح مداح، نخيل ودواجن وكلاب... لكن تعديلا أو تطويرا أصاب بيتنا، فقد تم عمل سقف مؤقت من البوص... وكان سقف البيت لا يصمت أبدا طوال الليل، فالكائنات الدقيقة أو الغليظة تهيم حبا ليليا في السعي بين تكوينات البوص الناشف: السحالي والبعوض والذباب والعصافير والعقارب... والثعابين... تستعيد الضفادع ألحانها، وتتجاوب في قاعة عزف البركة بأصداء تفوق قاعات... ميلانو وبرلين... وأوبرا القاهرة أيضا."[٥]

أما تعاطف الإنسان مع الحيوان وهو موضوع المتلازمة[٦] فنجده في "بين الحب والحرب"[٧] ممثلا في انهيار "دوق بربون" حين رأى الحيوانات تُذبح على شاطئ البحر بالإسكندرية، وكان مُصابا في الغالب بـ "رهاب الدم" Hemophobia.[٨] نجده أيضا في

---

(١) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.

(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.

(٤) مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٥) أبو رجل مسلوخة، ص ٥، ٦، ٧.

(٦) إن التعاطف مع الحيوان قد يصل لحد إيثاره على الإنسان وتقديمه عليه، خاصة في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، وقد يأخذ منحى لا يخلو من المبالغة، فمثلا شعرت الأمريكية "تامرا ديلاني" Tamara Delaney بأن الأمريكيين يعزفون عن تبني الكلاب الكبيرة السوداء فيما يُسمى هناك بمتلازمة الكلاب الكبيرة السوداء Big Black Dog Syndrome فأنشأت صفحة على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" لتوعية الناس ضد خطأ هذا السلوك وحثهم على الرأفة بالكلاب السوداء.

(٧) مرجع سابق.

(٨) تناول "الخير شوار" هذا الرهاب في روايته "ثقوب زرقاء"، دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.

علاقة بطلة "مذكرات امرأة غير واقعية" بقطتها، وفي رواية "ونسة" لسامية بكـري[1] حيـث تُربي البطلة مجموعة من "الهامستر" أو الفئران البيضاء في شقتها. في رواية "أميمـة الخمـيس" "الوارفة"[2] نعلم أن جدة "أدريان" تستيقظ كل يوم فتتناول رغيفـا مـن الخبـز وتقطعـه ثـم تضعه على حافة النافذة لتأكل منه الطيور.

في رواية "حلم وردي فاتح اللون" قدمت لنا "ميـسلون هـادي"[3] مـشهدا جمـيلا مـن التعاطف والتناغم والوئام بين الإنسان وكل ما يعيش حوله من حيوانات وحـشرات وكأنهـا جـزء مهـم مـن وجـوده وبيئتـه: "عـادت العـصافير والبلابـل إلى التـنطط وتبـادل الأسرار والقهقهات.. وكان صندوق القمامة قد امتلأ بأكياس مكورة ومعقودة بإحكام. كنت أملأهـا كل يوم بورق وقداح الأشجار المتساقطة إلى الأرض. الديدان التي كنت أعثر عليها في الزوايا كانت أجمل من أن تجرفها المكنسة.. وبيوت النمل التي تشبه فتحاتها فوهات البراكـين، تـشي بأن أربابها من أصحاب الذوق الرفيع."[4] ويكرر "محـسن الـرملي" في روايتـه "ذئبـة الحـب والكتب" فكرة التعاطف مع الهوام والحشرات بقوله "أنـا هيـام، صـديقة النمـل وحـشرات الحديقة، كنت أطعمها وأؤنسها أيام القصف كي لا يصيبها الذعر وتشعر بالجدران."[5]

في رواية "قمر" لمريم البنا[6] تعكف البطلة عـلى الاهـتمام بكـلاب الـشوارع فتـوفر لهـا المأوى والطعام في مشهد مناوئ لمشهد قذفها بالحجارة في رواية "رائحة الفحم" لعبد العزيـز الصقعبي:[7] "كان الكلب ينبح مزعجا أهل الحي، مـستدعيا قطيعـا مـن الكـلاب، وكانـت الفكرة هي القضاء عليها وطردها من الحي (لنقذفها بالحجارة.. لنقذفها بكل مـا تقـع أيـدينا عليه)"،[8] أو مشهد قتلها في روايـة "الـساحة الـشرقية" لعبـد القـادر الـشاوي[1] الـذي لا

---

(١) دار روافد، القاهرة، ٢٠١٤.
(٢) دار المدى، دمشق، ٢٠٠٨.
(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.
(٤) حلم وردي فاتح اللون، ص ١٧.
(٥) ذئبة الحب والكتب، ص ١٧.
(٦) وكالة إسفينكس، اا‌القاهرة، ٢٠١٥.
(٧) أثر للنشر والتوزيع، الدمام، ٢٠١٢.
(٨) رائحة الفحم، ص ٦.

يُسميها "ضالة"، بل "مهجورة": "وجاءت عليه فترة نظم فيها حربا شهيرة ضد الكلاب الضالة (الضالة؟)... كل الكلاب ضالة حتى تجردت براندة من كلابها... وقيل أنه صرف على هذه الحرب شيئا كثيرا من لحم البغال، إذ كان يوصي بوضع السم عليها، فترمى إلى الكلاب... وقال من كان حاضرا منهم في تلك الأيام أن جثث الكلاب المقتولة يوم سوق الخميس كانت تملأ براندة بالروائح الكريهة النتنة."(٢)

كتب "محمد المنسي قنديل" في "انكسار الروح" مصورا واحدا من مشاهد هذا التعاطف بين صبي وقطط وليدة، والقاسم المشترك هنا هو البراءة التي تفتقدها الكائنات الحية حين تكبر وتتبدل: "رأيت القطط الصغيرة على الدرجة الأخيرة قرب مدخل البيت مكومة ومرتعدة، تلتصق ببعضها البعض التماسا للدفء. خمس قطط، أذكر عددها... لم تكن معها أمها الكبيرة التي ظللت اسمع مواءها طوال الليل لعلها ضجرت من كثرة الشكوى، وقلة الطعام فتركت الصغيرات ورحلت، كانت القطط جائعة وبردانة، عرفت ذلك لأنها كانت ترتجف بالطريقة نفسها التي أرتجف بها، جلست بجانبها، تحسست شعرها الناعم وعظامها الطرية، تقوست أجسادها تحت لمسات أصابعي وهي تهر في صوت خافت، تتوسل إليّ أن أفعل شيئا ما، تلفت حولي حتى أتأكد من أحدا لا يراني، أنزلت حقيبتي المدرسية من فوق ظهري، أخرجت السندوتش الذي لفته أمي في عناية حتى آكله في فسحة المدرسة، بدأت أقطعه إلى قطع صغيرة وأضعه أمامها."(٣)

مشهد آخر للتعاطف مع الحيوان يقدمه لنا "قنديل" آخر من قناديل الرواية العربية، "فؤاد قنديل"، في روايته "بذور الغواية":(٤) "الأيدي كانت تعمل في خدمة العجول، ترفع السبلة وترش العلف وتملأ لها خزانات المياه، وتمر على أجسادها بحثا عن أي حشرة أو كدمة أو لا قدر الله ورم أو التهاب.. لكني كنت أتوقف لحظات أمام عيونها.. كانت أجمل مما أتصور.. ويبدو أن لها لغة. وفي رأسها أفكار وأحلام تستحق الظهور وتحتاج إلى التعبير، فمن

(١) نشر الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٩.
(٢) الساحة الشرقية، ص ٩، ١٠.
(٣) انكسار الروح، ص ٦.
(٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.

يترجم لنا من؟... شعرت بحنان غريب يتسلل إليّ ويدفعني لاحتضانها ومداعبتها.. ربتت على ظهور الجميع وأحسست قربا منها وتشابها غامضا بيني وبينها."[١]

أخيرا قد يتطور حب الحيوان إلى عبادته Zoolatry كما في الحضارات القديمة، كما قد يتطور الربت والعناق الذي تحدث عنهما "قنديل" إلى ما يعرف بهوس معاشرة الحيوان Zoophilia، ذلك الهوس الذي نجده في قصة "الزوجة الثانية" لأحمد رشدي صالح، وفي "الخبز الحافي" لمحمد شكري، وفي "العفاريت" للروائي "إبراهيم الحجري"،[٢] وفي رواية "مريم الحكايا" لعلوية صبح ومنها نقرأ: "يومها ولت العنزة التي كانت أمامه هاربة بعدما شلح سرواله وحاول أن يدخل عضوه في مؤخرتها... ركضت العنزة... وهو يركض خلفها ممسكا بعضوه حتى غابت عن عينيه... يتمنى لو كان عضو الثور الذي يدخل في البقرة عضوه، بل يشعر بمتعة تدغدغه حين يتخيل ذلك، وحين يرى الثور يرفع قائمتيه الأماميتين ليصعد على ظهر البقرة حتى يكاد يكسره."[٣] تناول "صلاح دهني" هذه الفكرة أيضا في روايته "ملح الأرض"[٤] بقوله: "ففي ذات مرة، جاء إلى دكانه الراعي شبلي أبو الجود في آخر الموسم. وكان شبلي في تلك الأيام شابا لعينا قد حط رحاله في القرية منذ سنين قليلة، ولكن سمعة سيئة للغاية طارت عنه منذ الأسابيع الأولى لإقامته. إذ فوجئ عدة مرات وهو يمارس علاقات شاذة ومخجلة حقا مع تلك الدواب السمحة الأنيسة التي يوكل أصحابها أمرها إليه."[٥]

متلازمة بينوكيو

هناك أناس يكذبون كما يتنفسون. الكذب بنوعيه آفة، الأبيض وغير الأبيض، سواء كان في الأول من إبريل أو أي يوم من أي شهر آخر. ومن العجيب أن ينصح المثل العربي "الكذوب" بأن يكون "حفوظ" بدلا من حثه على ترك الكذب. "الكذب ليس له رجلين"

---

(١) بذور الغواية ، ص ١٨.

(٢) دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٣.

(٣) مريم الحكايا، ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٤) منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٢.

(٥) ملح الأرض، ص ٣٩.

كما يقولون، لكن "حسن كمال" يرى أن له ثلاث أرجل كما كتب في روايته "الأسياد":(١) "للكذب ثلاث أرجل.. الأولى هي أن تجيد الكذب، والثانية أن يتوافر لك عدد من الحمقى الذين يكررون الكذبة بلا وعي، والثالثة هي أن يكون من يعرفون الحقيقة جبناء بما يكفي ليسكتوا عما يعرفون أنه كذب."(٢)

كلنا يعرف شخصية "بينوكيو"، وحكاية كذبه واستطالة منخاره كلما كذب. كتب القصة الإيطالي "كارلو كولودي" Carlo Collodi عام ١٨٨٠ وأنتجتها شركة "ديزني" عام ١٩٤٠ بعد ستين عاما من مولدها محدثة بعض التغييرات التي تناسب العصر. تدور الرواية حول دمية تتمنى أن تتحول لطفل، لكن كذبها كان يحول دون إتمام هذه الرغبة. تشير "متلازمة بينوكيو" Pinocchio Syndrome إلى الشخص معتاد الكذب أو مدمن الكذب الذي يكذب ويكذب ليغطي على كذبه الأول فيعيش في مستنقع من الزيف.

من رواية "كيفية ألا أكون هكذا" لأحمد ماضي(٣) نقرأ عن الكذبة التي تغطي كذبة أصغر حتى تصبح حياة المرؤ مستنقعا من الكذب: "ولابد أن تكذب أيها الموظف الجديد توطئة لكذب أكبر قد أعوزك فيه... إذن فالكذب.. ثم الكذب ثم الكذب هو نشيد الصباح الذي سأردده في مؤسستي الجديدة."(٤) أما "عفاف السيد" فقد عنونت روايتها الصادرة عام ٢٠٠٣ بـ "السقان الرفيعة للكذب"،(٥) مستحضرة المثل المصري الذي يقول "الكذب ليس له رجلين".

في رواية "سيرة الشيخ نور الدين" كتب "أحمد شمس الدين الحجاجي" عن "إلهام":(٦) "كانت مصابة بداء الكذب، تكذب بسهولة لا تقل عن سهولة مضغ اللبان."(٧) في رواية

(١) دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥.
(٢) الأسياد، ص ٩.
(٣) مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٩.
(٤) كيفية ألا أكون هكذا، ص ٩٢.
(٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
(٦) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.
(٧) سيرة الشيخ نور الدين، ص ٢٤.

"غازي القصيبي" "أبو شلاخ البرمائي"[١] نقابل شخص كثير الكذب، و"الشلخة" على حد قول بطل الرواية هي "المبالغة العظيمة".[٢] في رواية "مرافئ الحب السبعة" لعلي القاسمي[٣] تعيش "أثيرة" كذبة مؤلمة نسج خيوطها زوجها الطبيب الفاقد للخصوبة بأنها عاقر، وحين دخلت في علاقة أخرى اكتشفت أنها حامل فكانت الرذيلة – وللمفارقة – الوسيلة التي فتحت عينيها على الحقيقة!

في رواية "أثير النشمي" "أحببتك أكثر مما ينبغي"[٤] نقابل هذه الشخصية متمثلة في "عزيز" الذي يدمن الكذب ويستمرأ الزيف: "مؤمنة أنا بأن جميع مواليد أبريل كاذبون!.. ولقد كنت تكذب عليّ! كثيرا يا عزيز.. كاذب أنت كأبريل، مزهر أنت كربيعه.. أيجتمع خريف الكذب وربيع الفصل معا؟ صدقني فيك اجتمعا.. لطالما كنت ربيعي وكذبة عمري التي صدقتها طويلا وأحببت العيش فيها.. لطالما كان الكذب بنظري شديد السواد، لكنك كنت تزهي كذبك بألوان لم أعرفها مع سواك... أأخبرتك مسبقا بأن أكاذيبك ساذجة؟!.. أتدرك كم هي مضحكة أعذارك؟.. أترى فيّ امرأة غبية تنطلي عليها أكاذيب رجل ينبض قلبه في صدرها ويحتضر قلبها بين أضلعه التي ضاقت على فؤاد يخفق له وحده..؟!"[٥]

من أكبر المخاطر أن يتحول الكذب الهذر كما في "كذبة إبريل" All Fools' Day إلى مهلكة أو مضيعة كما في "متلازمة الطفل المحذر من الذئب" The Boy Who Cried Wolf. أُشتق هذا التعبير الاصطلاحي من القصة رقم ٢١٠ لإيسوب Aesop. تقول القصة أن طفلا اعتاد الصياح "ذئب!" "ذئب!"، وكلما توجه إليه القرويون لا يجدوا شيئا. ذات يوم صرخ الطفل بنفس الكلمات فلم يعره أحد انتباه. كان الذئب يهاجم فعلا وأكل الغنم. العبرة من الحكاية أنه علينا أن نهذب الأطفال الذين يدفعهم خيالهم المتقد إلى الكذب، ناهيك عن الاهتمام بأي تحذير كما لو كان حقيقيا.

---

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

(٢) أبو شلاخ البرمائي، ص ٢٠.

(٣) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢.

(٤) دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.

(٥) أحببتك أكثر مما ينبغي، ص ٢٢.

أما خلط الكذب بالمبالغة على منوال شخصية "أبو لمعة" فنجدها في رواية "أيام مجاور" لسليمان فياض:[1] "إثر سهرة ليلة راح الشاويش عبد السميع يحدثنا، ونحن مشدوهون لأدائه بما يحكيه، ولا نستطيع له تكذيبا ولا تصديقا، كأنه يحكي حكايا من حكايا ألف ليلة وليلة، وألاعيب من ألاعيب البطال والشاطر شيحة. حكى عبد السميع في تلك الليلة حكاية مطولة عن عربة بضاعة انزلقت عجلاتها عن قضبان قطار الصعيد. وتعطل القطار عن متابعة سيره على أسوان. وكانت العربة في منتصف القطار. ومع توقف القطار، توقفت حركة كل القطارات القادمة إلى أسوان، والقادمة إلى القاهرة. وقدم صعيدي مجهول وطلب فصل العربة عن العربة التي أمامها، والعربة التي وراءها، وحين تم ذلك تقدم الصعيدي المجهول، وانحنى بجسده على مؤخرة العربة، وصاح مستعينا بالله: يا قوي، ورفع عربة البضاعة بكفيه وساعديه، وأعاد وضع عجلاتها على القضبان، وسارع رجال السكة الحديد بربط صواميلها المفكوكة جيدا، وواصل القطار مسيرته إلى أسوان. وحين بحث المسئولون عن ذلك الصعيدي لمكافأته، لم يعثروا له على اثر. علق عبد السميع قائلا: كان واحدا من أهل الله الذين يجوبون البلاد."[2]

وببعض الاجتهاد يمكن تصنيف بعض القطع السردية العجائبية أو الغرائبية أو الفانتستيكية ضمن هذا النوع من الكذب الباثولوجي أو المرضي Pathological Lying فالكاتب يكذب على القارئ ويعرف أنه يشطح والأخير مستمتع بالشطحات الزمانية والمكانية مع تيقنه بأنها ضلال لا يمت للواقع والحقيقة Pseudologica Fantastica.[3] أعتمد "حسن نصر" في روايته "سجلات رأس الديك"[4] على العجائبية بشكل كبير وكذلك فعل "إبراهيم درغوثي" في روايته "وراء السراب.. قليلا".[5] في رواية "أبواب

(١) روايات الهلال، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٢) أيام مجاور، ص ٤٤.

(٣) راجع "بهاء الدين نوار" "العجائبية في الرواية العربية المعاصرة: مقاربة موضوعاتية تحليلية"، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٣.

(٤) دار سيراس للنشر، تونس، ٢٠٠١.

(٥) دار الإتحاف للنشر، تونس، ٢٠٠٢.

المدينة" لإلياس خوري[1] نقرأ بإيحاءات "كفكاوية – ماركيزية": "قال لي الرجل الذي كان يحرس القبر أن الملك يريدني. ذهبت إليه. لا أذكر شيئا، كان سواد وكان كل شيء يشبه الطائر، ولكن عندما خرجت حبلت وأنجبت ثلاث بنات في ثلاثة أيام."[2]

في رواية "أمس انتهينا" تزيد جرعة الشطحات لتصل إلى حد كبير من ما فوق الطبيعة: "تقول أمي أنها ولِدت آخر مرة مع الثورة المجرية عام ١٩٥٦، لكنها لم تفقد أبدا حيويتها ونعومتها وشبابها... تقول أنها عاشت في أماكن كثيرة قبل أن تظهر في المجر. تقول أنها برمائية وأنثوذكورية. تقول أنها زَوَجت إليزابيث الأولى وكاترين الثانية في السر. تقول أنها اصطادت الأشباح في برج لندن وقلعة أدنبرة وقرية بهانجرا وعمارة رشدي. تقول أنها هي من رصت الجماجم في كنيسة سيدليك ووضعت القائم الحديدي أعلى جبل خوفو وطهت الجزر الأحمر في منخفض القطارة. تقول أن دلتا النيل تتفرع من مبيضيها. تقول أنها هي من جعلت البحر الأحمر يصنع علامة النصر. تقول أنها هي التي تمنع قارة أمريكا الجنوبية من السقوط. تقول أنها هي من زرعت جذر شبه الجزيرة الهندية في المحيط. تقول أنها كانت مع ملك المجر أندرو الثاني في حصار المنصورة أثناء الحملة الصليبية الخامسة. تقول أنها شهدت موت راسبوتين. تقول أنها أُخذت سبية على يد المغول حين خربوا المجر وأنها ربطت مبيضيها بشعر حصان وأنها عشيقة ديانا، إلهة الصيد. تقول أنها اختبأت في جراب كنجارو وسبحت في حمم أيسلندا ونامت تحت ثلوج سيبريا! تقول أنها هي من صنعت رسوم نازكا ونصفت مثلث برمودا وعزفت الهارب على خطوط الطول! تقول أنها عاشت في قارة أطلانتس وأنها من ضحايا الهولوكوست وأنها غيرت جلدها سبعين ألف مرة. تقول أنها أم الإسكندر وأنها هي التي رقصت لهيرودوس ووضعت السم لسقراط! تقول أنها هي التي أضحكت الموناليزا وتسلقت جبل إيفرست وحكمت على سيزيف بالعذاب الأبدي. تقول أنها شاركت في تحنيط مرنبتاح وزينت المحظيات في حرملك السلطان بايزيد وقطعت الأشجار في غابات الأمازون!!!"[3]

---

(١) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.

(٢) أبواب المدينة، ص ٥٠.

(٣) أمس انتهينا، ص ٣٤، ٣٥.

ومن أمثلة رواية الشطحات "رحلة زاعم" لثائر زكي الزعـزوع:(١) "وقـد اعتكفـت في كهف الباغوز عشر سنوات، ثم هبطت من الكهف عارية، شعرها الأسود الفاحم قـد نبتـت عليه زهور جميلة، ونهداها ينسكب منهما الحليب، فيسيل أمامها نهـرا مـن أنهـار الجنـة، تـرك الأطفال صدور أمهاتهم وصاروا يلعقون الحليب من تحت قدميها، وفجأة، انتـشرت الزهـور التي كانت تغطي رأسها على الأرض، وصار حليبها يرفد الفرات بدفق غريب، فـابيض مـاء النهر. كان المشهد يشبه الحلم، زهية تسير فيرفع الفـرات موجـة ويـسلم عليهـا، تهـز رأسـها فتنحني النخلات الشامخات كأنهن سكارى."(٢)

مثال آخر للشطحات "الفانتاستيكية" المعجونة بماء التناص من رحلة الإسراء والمعـراج يقدمه لنا "أحمد قرني" في روايته "صلاة إبليس":(٣) "أخذ يسألني عن أشـياء في الخـور وأنـا أجيبه، وطلب وصفا لنخلات عطية، قلت طلعها نور، وجريدها ذهـب ولـون بلحهـا أحمـر ليس كالأحمر الذي نعرفه، بهت الجافي وأنا أقص عليه، ثم سـألني عـن وادي الحلفـاء، قلـت فحيح الأفاعي تقشعر له الأبدان، وثعابينها تطير وسنطها كـالكلاب، حينهـا صـمت الجـافي قليلا.. ثم قال: صاحبكم كان نائما واستيقظ، مجرد حلم لا قيمة لـه. كيـف يـذهب إلي أرض الخور ويعود ما بين العصر والمغرب؟"(٤)

متلازمة أليس في بلاد العجائب

لكل منا في عقله مقياس رسم يميل إلى تحديد النسب والتقريب إلى الأحجـام الطبيعيـة. إذا طلبت من شخص أن يرسم على ورقة دولاب مثلا فإنه سيحاول أن ينقلـه بنـسبة تقريبيـة طبيعية. الأطفال فقط يفتقدون لهذه النسب، ومن ثم نجدهم يرسمون رأس الإنسان أكبر من جسمه وهكذا. كلما كبرنا كلما تم صقل مقياس الأبعـاد التقريبـي لـدينا. الاخـتلال في رؤيـة أحجام الأشياء هو عنوان متلازمـة "ألـيس في بـلاد العجائـب" Alice in Wonder Land Syndrome.

(١) منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.
(٢) رحلة زاعم، ص ١٩، ٢٠.
(٣) دار النسيم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
(٤) صلاة إبليس، ص ١٤٨.

قصة "أليس في بلاد العجائب" كتبهـا الإنجليـزي "لـويس كـارول" Lewis Carroll للأطفال عام ١٨٦٥. تدور القصة حول فتاة فضولية دخلـت جحـر أرنـب لتنتقـل إلى عـالم خيالي من الحيوانات والنباتات. المشوق في القصة أن "أليس" استطاعت فـرض إرادتهـا عـلى مخلوقات العالم الجديد. كانت شركة "ديزني لانـد" هـي مـن سـاهمت في ذيـوع هـذه القـصة وعالميتها حين أنتجت فيلما كرتونيا عنها.

لاحقا بعد تسعين عاما من ظهور القـصة، وتحديـدا عـام ١٩٥٥ اكتـشف عـالم الـنفس الإنجليزي "جون تود" John Todd أن "لويس كارول" كان يعاني مـن أعـراض نفـسية أو صداع نصفي مزمن جعله يرى الأشياء أكبر أو أصغر من حجمها الطبيعي، وهذا مـا نقلـه في روايته. تشير متلازمـة "ألـيس" أيـضا إلى التـشوش لـيس في الأحجـام[1] وحـسب، بـل في الزمان[2] والمكان.[3] نقرأ من رواية "الزمن الآخر" لفكري عمر:[4] "كانـت ملامـح نعيمـة تتبدل أمام ناظريه كل لحظة. نعيمة تتمدد. تصير عملاقا، ثم تتقازم لتعود مـرة أخـرى قريبـة من شكلها الذي يعرفها به سيد."[5]

التحـــول واخـــتلاف النـــسب في رؤيـــة الأشـــياء موجـــود في روايـــة "المـــسخ" Die Verwandlung لفرانز كافكا Franz Kafka الذي يستيقظ ليجـد نفـسه قـد تحـول لحـشرة عملاقة. وعند "فيليب روث" Philip Roth الذي كتب رواية قصيرة بعنوان "الثدي" The Breast، وفيها يستيقظ البطل ليجد نفسه قد أصبح عملاقا مـن ذوات الثـدييات. التبـاين في الأحجام مع اختلاف الحبكـة الروائيـة موجـود أيـضا في "رحـلات جـاليفر" Gulliver's Travelsللكاتـب "جوناثـان سـويفت" Jonathan Swift إلى بـلاد الأقـزام والعملاقـة Lilliput & Brobdingnag.

(١) في "متلازمة تشارلز بونيه" Charles Bonnet Syndrome التي يتوهم المـصاب بهـا بوجـود أشـخاص وهميين حوله وقد يتحدث معهم، قد يراهم اقل حجما مما هم عليه.
(٢) عالج يوسف السباعي هذه الفكرة في سيناريو فيلم "الليلة الأخيرة"، ١٩٦٣.
(٣) عالج بسام إسماعيل هذه النقطة في سيناريو فيلم "رسالة إلى الوالي"، ١٩٩٨.
(٤) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.
(٥) الزمن الآخر، ص ١٩٦.

في رواية "٣١٣" لعمرو الجندي[١] يستيقظ البطل ليجد نفسه في غرفة معزولة ومصاب ببعض الكدمات والجروح. في رواية "كاشف الأسرار" لهدى الشوا،[٢] والتي وجهتها الكاتبة للناشئة، يستيقظ البطل ليجد نفسه في سوق بغداد وقد أخذ قفزة زمنية ارتدادية كما لو كان يركب آلة الزمن، وتحديدا إلى عام ١٢٤١ ميلادية. أما اختلاف الأحجام في السرد العربي فقد أشار "عصام عيسى رجب" إلى "قامات مزورة"، وهي قصة قصيرة كتبتها "أنيسة عبود"، وفيها يستيقظ البطل، "سعيد" ليجد نفسه قد تحول إلى قزم. وحين نزل إلى الشارع وجد أن غالبية الناس الذين يعرفهم قد تغيروا أيضا وأن كل منهم أخذ الشكل المغاير لطبيعته فمثلا "سعدون" الذي يسجل المواليد والوفيات اختفى شعر وجهه وتخنثت هيئته ونعم صوته.[٣]

متلازمة ماري بوبنز

"ماري بوبنز" Mary Poppins هي شخصية "بيداجوجية" ظهرت في فيلم من إنتاج "ديزني" عام ١٩٦٤. تُعرف هذه الشخصية أيضا بالمربية الطائرة حيث كان لها ملكات سحرية ويمكنها التحليق بمظلة المطر. أهم ما يميز هذه الشخصية مثاليتها وحبها الشديد للدقة والانضباط والإتقان والنظام. نشأت مصطلح "متلازمة ماري بوبنز " Mary Poppins Syndrome ليُجمل كل هذه المعاني ويضعها في جراب الشخص المصاب بالمتلازمة.

نجد أثرا لهذه المتلازمة في رواية "زوجة أحمد" لإحسان عبد القدوس،[٤] الزوجة المُضحية المثالية التي ترعى بيتها وأسرتها على أكمل وجه. تقول في مطلع الرواية: "يعتقد الناس أني وزوجي أحمد أسعد زوجين في مصر.. والسعادة التي تبدو في حياتي الزوجية، والتي يراها الناس، هي الثوب الخارجي.. ولكن الناس لا تعلم كيف حِكت هذا الثوب،

(١) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٣.

(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.

(٣) http://www.kafkarabic.com/index.php/ar/ar-kafka/ar-kafka-articles

(٤) دار الأخبار، القاهرة، ١٩٧٢.

ولا تدري أن هذا الثوب قد فُتق عدة مرات، ولا تدري كيف أحافظ عليه حتى أصونه من البقع، وحتى يبدو دائما كأنه ثوب جديد نظيف."[1] السيدة التي تمضي وتدير حياتها وشئونها بمثالية وحسن ترتيب كما يقول الكتاب نجدها أيضا في رواية "لمياء ماجد" "أبناء ودماء":[2] "وهي الحب الأول والأخير لأحمد، والمثال الأعلى لطفلتيها في الأناقة وحسن التصرف. وعلى الرغم من وجود مربية للفتاتين التوأمين هي حميدة، فضلا عن خادمات للتنظيف وللشئون المنزلية الأخرى، لم تسمح لأحد بأخذ مكانها أو القيام بأي دور يجب أن تقوم به سيدة المنزل. فهي التي تطعمهما، وتصحبهما إلى المدرسة في أول أيام الدراسة. وهي التي تراجع معهما دروسهما. ورابع المستحيلات أن تشاهد الطفلتان أي فيلم قبل أن تراه أولا حتى تتأكد أنه خال من مناظر مبتذلة أو من كلمات قد تخدش نقاء ابنتيها."[3]

متلازمة بوكاهونتاس

تُعزى "متلازمة بوكاهونتاس" Pocahontus Syndrome إلى قصة حقيقية، لكن الفضل في ذيوعها كان للفيلم الذي أنتجه "ديزني" عام ١٩٩٥. "بوكاهونتاس" فتاة من الهنود الحمر، الابنة البكر لزعيم قبيلة. ولدت عام ١٥٩٥ في "فيرجينيا"، وكان لها دور بارز في مساندة القوات البريطانية المستعمرة لأمريكا. في أحد المواقف أنقذت العقيد "جون سميث" John Smith من القتل. هربت "بوكاهونتاس" وتزوجت من رجل إنجليزي وغيرت اسمها إلى "ريبيكا رولف" Rebecca Rolfe. وافتها المنية عام ١٦١٧ أثناء زيارتها لإنجلترا.

تشير "متلازمة بوكاهونتاس" إلى امرأة من الهنود الحمر تتزوج أو ترغب في الزواج من رجل أبيض، لكن المتلازمة بمعناها الأوسع تضم زواج أي امرأة من رجل ينتمي لمعسكر الأعداء. ربما من أشهر الأمثلة التاريخية "شمشون ودليلة" وزواج أرملة "لوذريق" Rodrigo من "عبد العزيز بن موسى بن نصير" بعد سقوط "طليطلة". نجد هذا الاقتران -

(١) زوجة أحمد، ص ١٣.
(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.
(٣) أبناء ودماء، ص ٣١.

أو لنقل الانجذاب - أيضا في قصة "عايدة" و"راداميس" في الأوبرا الشهيرة، وزواج "زبيدة البواب" بمينو، القائد العسكري الفرنسي.

في السرد العربي نجد هذه العلاقة في رواية "وليد أسامة خليل" "أحببت يهودية".[1] في رواية "سدوم" لعبد الحميد شوقي تحبل "كاميليا" العربية من شاب يهودي تبادله الحب. تناولت "راوية جرجورة" أيضا هذه المتلازمة في روايتها "على شاطئ الترحال".[2] بطلت الرواية، "سارة"، يهودية تقع في حب شاب عربي يُدعى "إبراهيم"، وعلينا أن نلاحظ الأسماء ودلالتها الدينية والتاريخية. من خلال الرواية تعكس "جرجورة" فكرة التعايش من وجهة نظر عرب الداخل، أو عرب ٤٨ والتي قد لا يتفق معها سكان غزة مثلا، وهي نفس الفكرة التي مزجتها "عائشة" بالدفاع السلبي والتهدئة Passivity في رواية "مقدسية أنا" لعلاء مهنا.[3] حاولت "خولة حمدي" أيضا الظفر بعلاقة ناجحة في روايتها "في قلبي أنثى عبرية"[4] بين "ندى"، الفتاة اليهودية و"أحمد"، الشاب المسلم. في رواية "ستة أيام" لحليم بركات[5] يحب "سهيل" "ناهدة"، لكنها تنتمي لدين مختلف.

في رواية "قبر راحيل" يقع الشاب المصري، "فؤاد"، الذي أُرسل لإسرائيل لدراسة مجتمع "الكيبوتز" في حب الفتاة اليهودية "ريناه": "مرت الأيام وامتلأ دفتر فؤاد بالحبر وامتلأ قلبه بالحب لريناه. زاده القرب منها عشقا لها وبادلته هي نفس الشعور. كان يعمل معها في الحقول ويقف بجانبها في نوبة الحراسة على الأبراج. كانت تهرب إلى غرفته يوم السبت أو "الشابات" فتستحم وتشاهد التلفاز وتأكل الطعام الساخن وتدخن السجائر. بدونك أشعر أني أعمي حقا. هكذا كتب طه حسين لزوجته الفرنسية سوزان، وهكذا كان حال فؤاد مع ريناه. ذهبا معا للسباحة في بحيرة طبرية. حين رآها بملابس البحر أدرك أن حبه لها قد فاض فملأ الكروم والزروع وأنه لم يعد بمقدوره أن ينأى عنها. تذكر نادية لطفي

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٤.
(٢) مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠١٥.
(٣) مؤسسة عبد المحسن القطان - المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، رام الله - عمان، ٢٠١١.
(٤) دار كيان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.
(٥) دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦١.

- لويزا وهي تسبح شبه عارية في بحيرة طبرية في فيلم الناصر صلاح الدين وتذكر السهم الذي أصاب صلاح ذو الفقار - عيسى العوام. قالت له لويزا: هذا درس لك يا عربي. المرة القادمة لن يصيب السهم كتفك بل قلبك. نعم أصاب سهم ريناه قلبه فلم يعد يرى غيرها ولا يسمع إلا صوتها."(١)

ومن رواية "مراد الضفري" "الوطن ليس هنا"(٢) نمر على نفس الفكرة حيث يدور هذا الحوار بين "أماليا" الإسرائيلية و"طارق":

- "ما ذنبي إن كنت إسرائيلية وأحبك يا طارق؟ هل نملك أن ننتقي مسبقا من نحب؟ هل أملك أن أشترط جنسية الرجل وديانته قبل أن أحبه؟ أنا لا أفهمكم أنتم العرب، تقتلون الحب بكل برود بسبب السياسة والعروبة والمبادئ القومية وكأن الحب آخر اهتماماتكم في اللائحة!

- ما يفرقنا يا أماليا أكبر مما يجمعنا.. التاريخ والهوية والمبادئ وكل الأشياء التي تنتمي إليها تفرقنا ولا تسمح لنا حتى بهذه اللحظات المسروقة من تاريخ أهلنا. بين أهلي وأهلك قصص مكتوبة من الرصاص والمجازر واحتلال وطن. لا يمكنني أن أمارس معك الحب يا أماليا وأهلك يمارسون القتل ومصادرة أحلام شعبي. سيل القبلات ولحظات العشق الجميل التي منحتني إياها لا يمكن أن تخنق أصوات دبابات الميركافا وطائرات الأباتشي وأضواء الفسفور الأبيض الذي أحرق شعبي. لا يمكنني وأنا أتلذذ بجسدك أن أنسى كيف رقصت عصابات الهجانا على أجساد أطفال شعبي."(٣)

بقي أن نشير إلى أن المتلازمة بمعناها الشمولي هي زواج امرأة ورجل ينتميان لمعسكرين متفاوتين تماما في الفكر أو الجنس أو الإيديولوجية أو الدين. وبشيء من التخيل يمكننا أن نقول أن المتلازمة تشمل أيضا الاختلاف في الطبيعة كما في قصة "إيريل" Ariel، "الحورية الصغيرة" The Little Mermaid التي قدمها "ديزني" معتمدا على قصة "هانز كريستيان

(١) قبر راحيل، ص ١٧٢.
(٢) مطبعة سوماكرام، الدار البيضاء، ٢٠١٤.
(٣) الوطن ليس هنا، ص ٢٩.

أنديرسون". عروسة البحر تلك مصابة بهذه المتلازمة فما إن رأت الأمير "إريك" Eric حتى وقعت في حبه ثم ضحت بأسرتها ومملكتها وصوتها وجسمها حتى تتحول إلى امرأة وتتزوجه.

تؤمن شعوب عديدة بوجود حوريات البحر وتخلع عليهن نفس الأوصاف. توجد جنيات البحر ونداهاته في أسطورة "أودسيوس" وفي الموروث الثقافي لمجتمعات متباعدة لا يوجد بينها اتصال جغرافي أو تاريخي: سكان "الفلبين" وشعوب البحر الأسود، و"الإسكيمو" و"الإنجليز" وقبائل "غينيا الجديدة" وصيادي الأسماك في بحيرة "البرلس". تتفق الشهادات حول رؤية حورية جميلة نصفها امرأة ونصفها سمكة تملك عيوناً واسعة وجدائل طويلة، تطل برأسها من الماء فجأة أو تجلس على إحدى الصخور البعيدة تمشط جدائلها الذهبية. وغالبا ما يسحر جمالها رجلاً من الصيادين فيقفز نحوها فتخطفه وتأخذه معها إلى أعماق البحر. تحدث الرحالة العربي، "المسعودي"، عنهن وقال أنهن يظهرن للصيادين في بحر الروم وإنهن ذوات حُسن وجمال ولهن أثداء وشعور كبنات حواء. وذكر المؤرخ "القزويني" و"ابن زولاق" في تاريخه أن جماعة من الصيادين أسروا اثنتين من "بنات الماء" فتزوج بهما اثنان. فأما الأول فوثق بصاحبته حتى إذا غفل عنها قفزت إلى الماء وهربت منه. أما الثاني فكان يربطها دائما، فعاشت معه زمنا طويلا وولدت له صبيا. وذات يوم ركبوا القارب ولم يربطها على غير عادته فقفزت إلى الماء تاركة ابنها على المركب فأسف عليها أسفا شديدا. وبعد أعوام كان الرجل وابنه يصطادان في القارب حين أطلت من الماء فجأة ورمت لهما عددا كبيرا من الياقوت والجواهر ثم اختفت إلى الأبد.

هناك أيضا عشق الجن للنساء والذي نقله في السرد الروائي كثيرون منهم "محسن الموسوي" في روايته "درب الزعفران":[1] "تلبستها روح ذكر من الجن... تلبستها الروح لدرجة العشق، وغاصت في ثنايا جسدها... استعانوا بشيخ مجرب في استنطاق الأرواح وفك ارتباطها بأجساد المعشوقين."[2] وهناك أيضا "محمد المزيني" الذي كتب في رواية "مفارق

(١) دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠.

(٢) درب الزعفران،، ص ١١٦، ١١٧، ١١٨.

العتمة":[١] "راح يصف بالتفاصيل الدقيقة أن ابن الجان الأكبر تزوج إنسية عرفها باسمها ونسبها وأنجبت منه أبناء أقسم أنه يراهم كل ليل يتلبسون صور قطط وكلاب."[٢]

لكن المتلازمة أيضا تشير من طرف خفي إلى فكرة العمالة، فبوكاهونتاس نفسها قدمت الدعم للإنجليز ضد بني جلدتها. وفكرة العمالة وخيانة الأوطان قديمة ومطروقة وموجودة في كل عصر ومكان. خذ مثلا "رحاب" Rahabالتي ذُكرت في الكتاب المقدس ومكنت اليهود من دخول أريحا. في رواية "سحر خليفة" "باب الساحة" [٣] نقابل "نزهة" التي تذهب إلى "نتانيا" وتصادق الضباط، وتوشك أن تقع في مستنقع العمالة الذي يقع فيع بعض مواطني غزة.[٤] في رواية "الطوق والأسورة" ليحيى الطاهر عبد الله يعمل "مصطفى" في "الكامب الإنجليزي". في رواية "مالا تذوره الرياح" لعرعار محمد العالي[٥] يذهب "البشير" إلى باريس ويتعاون مع الفرنسيين ضد الجزائريين من بني جلدته، بل ويرافق امرأة فرنسية. وفي رواية "ستيمر بوينت" لأحمد زين[٦] يقع "سمير" في حب المستعمر الإنجليزي لأنه جلب الحضارة إلى عدن. ومن رواية "الغزو عشقا" لنجلاء محرم[٧] نقرأ: "معضلة لا سبيل لفهمها.. أن يعجب المقهور.. باستمرار قهره.. بقاهره."[٨]

متلازمة رابونزل

للشَعر نصيب وافر في التراث البشري والسردي. يُقال أن السيدة "رحمة"، زوجة نبي الله "أيوب" باعت جديلتها لتطببه وتطعمه، ولدينا "متلازمة دليلة" Delilah Syndrome وقصتها مع "شمشون" مشهورة. في رواية "اعشقني" قدمت "سناء الشعلان"[٩] الوجه

(١) دار الكفاح، الدمام، ٢٠٠٨.

(٢) مفارق العتمة، ص ٦٦.

(٣) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.

(٤) عالج إبراهيم مسعود فكرة العمالة في سيناريو فيلم "إعدام ميت"، ١٩٨٥.

(٥) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٢.

(٦) دار التنوير، بيروت - القاهرة - تونس، ٢٠١٥.

(٧) مطابع آيات، الزقازيق، ٢٠٠٥.

(٨) الغزو عشقا، ص ١٥٦.

(٩) مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.

الأنثوي لشمشون بقولها: "لكنها هي دون النساء من تملك شعرا غابة، طوله يتجاوز طـولها، فيسعى وراءها على الأرض، عندما نام في حضنها التف شعرها على جسديهما ووهبهما شرنقة عشق دافئة حريرية، ليلته أدرك أن صاحبة الـشعر الطويـل هـي أقـوى امـرأة في مملكتـه."[1] واستكمالا للصورة السابقة نجد "فاطم" في رواية "الخباء" لميرال الطحاوي تقاوم النوم خوفا على ضفيرتيها معتقدة أن هناك من يريد قصهما.[2]

الشعر تاج المرأة كما يقولون. الشعر الطويل الجميل موجود في رواية "نحيب الرافـدين" لعبد الرحمن مجيد الربيعي:[3] "أين امرأته من رانيا خليل مثلا، تلك اللبنانيـة الـساحرة التـي كان يثمل من رائحة البراري السمحاء التي تفوح من شعرها الطويل."[4] ومن رواية "زهور كرام" "قلادة قرنفـل"[5] نقـرأ:"أطلقتـه.. أدخلـت أنفـي فيـه، واستنـشقت شـعري، كـان حاضرا.. موجودا.. كان هنا.. هو الذي قال لي لا تقصيه، اتركيه يتحرك فوق ظهـرك، دعيـه يرقص كلما اهتزت خطواتك... تمنيت لو كان شعري أكثر طولا.. لو غطى كل جسدي.. لـو رقص فوقي، وتماهى مع جسدي."[6] ومن رواية "محطة النهايات" لعارف علـوان[7] نقـرأ: "فكت عقدة شعرها فانحلت شرائط من ذهب، انسدلت وغطت ظهرهـا وبلغـت خـصرها ولامست ذوآبات عروة بنطلون الجينز"[8] وهي نفس الصورة التـي وردت في صـفحة ١٠٤ من رواية "أمس انتهينا" لمحمد عزب: "في الفندق طلبت مني نهيلة أن آخذ شيئا من أطـراف شعرها بالمقص لتتحلل من الإحرام. رفعت حجابها فسقط على كتفيهـا طريـق الحريـر. نعـم شعر أسود طويل كالحرير؛ فضلا عن أن رائحته ذكية."

(١) اعشقني، ص ١٣٣.
(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١).
(٣) دار نقوش عربية، تونس، ٢٠١١.
(٤) نحيب الرافدين، ص ٣٤.
(٥) دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٤.
(٦) قلادة قرنفل، (، ص ١٧٩).
(٧) منشورات الجمل، كولونيا، ١٩٩٧.
(٨) محطة النهايات، ص ٣٠٤.

وقص الشعر الطويل الجميل خسارة، لكنه يعبر عن التضحية أو الكمد. في رواية "سيد الملكوت" للمثنى الشيخ عطية[١] تقص "نوارة" الثكلى جديلتها تعبيرا عن الحزن: "طلبت أمي المقص، وناولوها إياه. نظرت النساء إليها بحزن، وصرخن صرخات الويل.. تلك هما جديلتا نوارة. أجمل جديلتين معروفتين لهن، وأجمل مرجوحتين لقلبي الطفل. شعر أمي المنفسح وهي تمشطه أمامي حتى الينابيع. جديلتا أمي اللتين طالما لففتهما حول جيدها وأنا أدور وألعب."[٢]

الرجل المُشعر كتب عنه "زين عبد الهادي" في روايته "دماء أبولو":[٣] "كان جسدي يمتلأ بالشعر يوما بعد آخر، حتى ظننت أنني سأتحول إلى قرد، وكنت شبيها بجدي إلى حد كبير، فقد كان كتلة من الشعر برأس صلعاء."[٤] الشعر الطويل على رأس الرجل موجود في رواية "حمام زنوبيا" لرياض معسعس:[٥] "بقيت مشكلة الشعر الطويل، فأنا كباقي رجال البدو لا نعرف الحلاق. إذ كان شعري عقائص وجدايل وغدائر تغطيه الكوفية، ولو أني قصدت حانوت الحلاق لرفض أن يقص لي هذا الشعر الذي لم يعصف به المقص منذ سنين الطفولة، فهممت أن أقصه بنفسي، وما أن أتممت حتى بات رأسي كرأس الأجرب. فلم يكن من زيارة حانوت الحلاق مهرب، وعندما رآني قال: أي عاصفة عصفت برأسك، أم أن أحدا قص شعرك قضما بأسنانه."[٦]

وهناك أيضا الافتتان بشعر العانة كما أورد "محمد البساطي" في "أوراق العائلة":[٧] "يده تزحف على بطنها، آه. شعر العانة. هنا القضية. أصابعك تمشطه، تنكشه، تسويه، متعة الدنيا، وتأتي الواحدة منهن وتزيله، آه والله، تنظف نفسها لتُرضي رجلها، تمد يدك وكأنك

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.
(٢) سيد الملكوت، ص ٢٠٦.
(٣) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧.
(٤) دماء أبولو، ص ١٤.
(٥) دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠١٢.
(٦) حمام زنوبيا، ص ١٧٢.
(٧) روايات الهلال، القاهرة، ٢٠٠٣.

تلمس رأس زغلول الأقرع."[١] وإزالة شعر العانة لا ينفصل عن حف شعر المرأة وتجهيزها للعرس: "سحبتها سواعد كثيرة إلى الغرفة، جردتها من ملابسها، وعملت على انتزاع الشعر من كامل جسدها بلبخات من المعقود السكري... دجاجة نُتف ريشها."[٢]

هناك أيضا الرغبة في شد ونزع الشعر Trichotillomania . كتب "رجب عطا أبو سرية" في روايته "دائرة الموت":[٣] "وجدوا الفتاة ابنة السبعة عشر عاما، تصرخ وتشد شعرها، فتخرج خصلاته الناعمة بين كفيها كوبرات ذيل فرس."[٤] وهناك "متلازمة ويرولف" Werewolf Syndrome والتي تشير إلى نمو الشعر بكثافة في الوجه أو خلافه. هناك أيضا شخصية "ليني" Lennie في رواية الكاتب الأمريكي "جون شتاينبيك" John Steinbeck "رجال وفئران" Of Men and Mice حيث نجد هذا الطفل مغرما بالربت على فراء الفئران النافقة، وكان "طارق إمام" قد قدم صورة مماثلة في رواية "هدوء القتلة"[٥] حيث نقرأ عن الناسك الذي "كانت الفئران تتقافز في حجره، تلتهم فتات الخبز الذي يتبقى من طعامه، وبيده المقدسة تعود أن يُملس على فرائها."[٦] ص ١٠).

تشير "متلازمة رابونزل" Rapunzel Syndrome إلى تلك الفتاة التي اعتادت أكل شعرها مما قد يتسبب في حدوث انسداد معوي ويتطلب تدخل جراحي. أما الخرافة كما تناولها "ديزني" فهي قصة الفتاة المخطوفة التي تسدل شعرها من البرج ليصعد عليه البطل الذي ينقذها، وهنا نذهب مع "أميل حبيبي" الذي افتتح روايته "سرايا بنت الغول"[٧] بأسطورة فلسطينية تحكي عن "فتاة صغيرة محبة للاستطلاع خطفها الغول في إحدى جولاتها الاستطلاعية اليومية. تبناها وأسكنها قصره المشيد في أعالي جبل. فذهب ابن عمها يبحث في البراري. وكانت مشهورة بجدائل شعرها الطويلة والتي لم يمسها مقص. فكان يناديها، وهو

---

(١) أوراق العائلة، ص ٢٥.
(٢) ليانة بدر، عين المرآة، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٥٥.
(٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.
(٤) دائرة الموت، ص ١٢٨.
(٥) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧.
(٦) هدوء القتلة، ص ١٠.
(٧) رياض الريس، لندن – قبرص، ١٩٩٢.

يبحث عنها: سرايا، يا بنت الغول، دلي لي شعرك لأطول! فسمعته. فدلت له جديلة. فتعلق بها وصعد عليها. فدست مخدرا في شراب الغول. فنام لا حراك فيه. فانسلت مع ابن عمها وعادت إلى قريتها."[١] وهي نفس الأسطورة التي تناولتها "زهور ونيسي" في روايتها "لونجة والغول":[٢] "أتدرين من هي لونجة بنت الغول؟ تلك التي تحكي عنها جداتنا، تلك الفتاة الجميلة التي لا يمكن أن يصل إليها أحد لأنها تسكن قصرا عظيما عالية أبراجه تناطح السحاب هو قصر الغول."[٣]

متلازمة ماوكلي

تشير "متلازمة ماوكلي" Mowgli Syndromeإلى قصص حقيقية أو أسطورية لأشخاص عاشوا بين الحيوانات منذ صغرهم على منوال "طرزان". يتُعرف هذه الطائفة بـ "الأطفال المتوحشين" Feral Children، ربما لأنهم يفتقرون إلى الأنماط الاجتماعية والسلوكية للبشر. تغطي المتلازمة أيضا الرغبة التي تجتاح بعض البشر في أن يُصبحوا نوع معين من الحيوانات أو يُمسخوا كحيوانات Zoanthropy وكذا ما يُعرف بظاهرة الإستئذاب Lycanthropy.[٤] ينجح هؤلاء الأشخاص في الجمع بين الطبيعة البشرية والحيوانية والانصهار في أحضان الطبيعة، لكنهم يفشلون في التعايش وفق القواعد الثقافية للمجتمعات البشرية. ورد المصطلح في كتاب "وندي فلاهيرتي" Wendy Flaherty"كهف الأصداء" Cave of Echoes. أما شخصية "ماوكلي" فقد وردت في "كتاب الأدغال" Jungle Book للأديب البريطاني "روديارد كيبلينج"Rudyard Kipling، لكن شهرتها العالمية تُعزى إلى الفيلم الذي أنتجته شركة "ولت ديزني". يُشار في هذا السياق إلى قصة "حي بن يقظان" لابن طفيل وكذلك رواية "روبنسون كروزو" Robinson Crusoe للكاتب

(١) سرايا بنت الغول، ص ١١.
(٢) إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٣.
(٣) لونجة والغول، ص ١٤٢.
(٤) من الغريب أن نسبة كبيرة من الأطفال المتوحشين عاشوا مع الذئاب. أما الخوف من الذئاب فيُشار إليه بـ "متلازمة ذات الرداء الأحمر" Little Red Riding Hood Syndromeفالذئب في أحد إصدارات القصة أكل الجدة.

"دانيال ديفو" Daniel Defoe، 1719 [١] وقد استفاد الأخير من الأول بـشكل كبـير. وفـيما يلي قائمة بأشهر هؤلاء الأشخاص:

جدول رقم (٤)

بعض أمثلة للأشخاص الذين عاشوا مع الحيوانات

م	الاسم	الوقت التقريبى والمكان	الحيوان الكفيل
١	رومولوس وريموس Romulus and Remus	٧٧١ قبل الميلاد روما	رضعا من أنثى ذئب ويُعزى بناء روما إلى أسطورتهما[٢]
٢	ميمي لوبلانك Memmie Le Blanc	١٧٣١ فرنسا	--
٣	فيكتور الأفروني Victor of Aveyron	١٧٩٧ فرنسا	--
٤	فتاة اللوبو The Lobo Wolf girl	١٨٤٦ تكساس	الذئب
٥	لوكاس Lucas	١٩٠٤ جنوب أفريقيا	القرود
٦	كامالا وآمالا Kamala and Amala	١٩٢٠ الهند	الذئاب
٧	شامديو Shamdeo	١٩٧٢ الهند	الذئاب
٨	أوكسانا مالاجا Oxana Malaga	١٩٩١ أوكرانيا	الكلاب
٩	جون سابونيا John Ssabunnnya	١٩٩١ أوغندا	القرود

في قصة إيسوبية[٣] تحت عنوان "دببة بيضاء / دببة سوداء" عرج "محمد المخزنجـي"[٤] على هذه المتلازمة. تبدأ القصة بمشهد عجيب حيث نرى مجموعة من الدببة السوداء مقيـدين

(١) تناولت السينما الأمريكية هذا القصة أيضا في فيلم "منبوذ" Cast، 2000.

(2) A New Classical Dictionary for Schools, London, 1797, P. 376.

(3) Aesopic.

(٤) مجموعة "حيوانات أيامنا"، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.

إلى جذوع الأشجار وآخذين في الرقص وهم وقوف على أقدامهم الأمامية. وهناك امرأة تنظم هذه الأوركسترا يُشار إليها بـ مجنونة الدببة". "تبدو في نحو الثلاثين، وقد خرب الجنون والبؤس ملاحة وجهها".[1] ثم يسر أحد الحضور في أذن صاحب الحكاية: "أقسم أنها تعاشر الدببة بالليل، ويمكنك أن تتأكد من ذلك بنفسك.. سأقودك لترى ذلك."[2] وتمضي الحكاية فتعرف أن الدببة تحب النساء وأن الصياديين يستغلوا ذلك في الإيقاع بها، وأن المرأة المجنونة كانت يوما هذا الطعم الذي يغري الدببة بالخروج ثم ينهال عليها الرصاص. ما حدث أن المرأة تعثرت ووقعت فأحاط بها الدب. "خطا الدب خطوتين... فصارت المرأة في حضنه... تمدد من فوره على جنبه بعد أن أحاط المرأة المبهوتة بأطرافه الأربعة. صارت تتوسد كتفه، كأنه يحاذر أن يطأها بثقله حتى لا يصيبها بسوء."[3]

وفي رواية "أسرار" لنور الدين فارح[4] يسأل "كالامان" جده "نونو" عن تلعثمه أمام فتاته "شولونغو" وفشله في مجارتها جنسيا فأجاب: "أظن أن أم شولونغو كانت قد ولدتها عندما كانت النجوم في منزلة من الشؤم الشديد. وكانت قد وُلدت دوغان، أي طفلة يجب وأدها. وهذا ما حاولت أمها فعله فقد حملت الطفلة إلى الأدغال ورمتها هناك. لكن شولونغو نجت، وعاشت في عقول القرويين... لا أستطيع أن أثبت صحة هذه الأمر، لكن الرواية التي سمعتها تفيد بأن لبؤة تبنتها وربتها مع أشبالها."[5]

ومن رواية "دم البراءة" لإبراهيم ناصر الحميدان[6] نقرأ: "بعد بضعة شهور عاد مصعب إلى المنزل.. كيف عاد الغائب المفقود؟ لا أحد يعلم حتى هو نفسه – بعد أن فقد حاسة النطق – لم يعد يستطيع توضيح ما حدث له ومن انتشله من تلك الكهوف التي تقاذفته فيها حتى انبسطت الأرض أمامه في حقول خضراء يانعة.. أُقصي في طرف من الغرفة مثل هر

(١) حيوانات أيامنا، ص ٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٤) ترجمة: خالد الجبيلي، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٧.

(٥) أسرار، ص ٨.

(٦) منشورات النادي الأدبي، جازان، ٢٠٠١.

ينتظر أن يدفع له ببعض الطعام وعيناه تتفحصان المكان باستغراب كـأنما دخـل الغرفـة لأول مرة. ولما اقتربت منه زوجته مبتسمة وطرحت عليه بعض الأسئلة. نظر إليها ببلاهة وحـاول أن يتكلم بيد أن صوته خرج مثل مواء القطة البرية، بل أنه اقترب مـن زوجتـه حـين انحـسر رداؤها عن جزء من فخذها فأخذ يشمشم لحمها ثم نهش منه بهجمة خاطفة، كـادت تـصرخ وغطت الجزء وهي تحس بألم الناب الـذي انغمـر في أطـراف فخـذها... مـصعب ذاك الـذي التاث عقله حين هبط على الأرض السفلية وقد تحول إلى آكـل للحـوم البـشر.. اقفلـوا عليـه الباب وأخذوا يرمون إليه باللحوم من النافذة لينقض عليها مثل أي حيوان شريـر ويفترسـها بين فكيه اللذين أصبحا مثل فكي ذئب. بعد أن كبرت أنيابه وهربت من داخـل فمـه وحتـى أظافره تكورت مثل أظافر حيـوان مفـترس وأصـبحت مدببـة وحـادة تمـزق اللحـوم النيئـة بسهولة، وشعره تهدل إلى ما تحت رقبته رصاصيا مندمغا بلون فاتح مـن الـشعيرات البيـضاء التي اندست من سالفيه اللذين يسيح منهما القمل وينحدر إلى ذقنه الكثة. يصدر همهمة طيلـة الوقت مـن نظـرات عدائيـة يطـوح بهـا في كافـة الأنحـاء وتـساعده عـلى اقتنـاص الـذباب والحشرات الصغيرة التي يهرسها دون رحمة بين اصابعه المتسخة دوما."[١]

تنطبق المتلازمة أيضا بشيء من التحفظ على البـشر الـذين أمـضوا حيـاتهم معـزولين في منطقة نائية منذ الصغر ثم انتقلوا للعيش في الحواضر (لنقل مثلا مـن سـيبيريا لموسـكو ومـن الربع الخالي للرياض ومن أحراش الأمازون لريو دي جينيرو...)، كما تنطبق أيـضا عـلى مـن أمضوا فترة طويلة في الحبس الانفرادي أو الاحتجاز في الأقبيـة وخلافـه،[٢] وأخـيرا تنطبـق المتلازمة بشكل أقل حدة على الأشخاص الذين تضطرهم طبيعة عملهـم إلى البقـاء في عزلـة عن الناس أغلب شهور السنة كمن يعمل في السفن التجارية أو الغواصات الحربية أو أكشاك السكك الحديد النائية أو محطات الأرصاد الجوية أو الفنارات.[٣]

---

(١) دم البراءة، ص ١١٥، ١٣٢.

(٢) عند خروج هؤلاء الأشخاص إلى المجتمع يفشل شـق مـنهم في التفاعـل معـه ويُـصابون بــ "متلازمـة الانهيار الاجتماعي Social Breakdown Syndrome.

(٣) عالجت السينما المصرية هذا الموضوع في "زوجتي والكلب"، ١٩٧١ و"المنسي"، ١٩٩٣.

في رواية "ربيع جابر" "يوسف الإنجليزي" نقابل تلك الشخصية التي نتحدث عنها: "في سجن القلعة البيضاء في بلجراد عاش (نور الدين) كالكلب. يتنفس هواء ما تحت الأرض، ويأكل كسرة خبز في الصباح، وكسرة عند المغيب... وحده في العتمة. نسيه الباقون... أكل ونام، لكنه لم ير غير الظلمة الحالكة... صار يحلم بأيامه القديمة... بعد سنتين في السجن حدث زلزال. لم يكن زلزالا. حامية القلعة البيضاء التركية كانت تقصف الجزء الصربي من بلجراد. ارتجاج المدافع تسبب بتصدع الحيطان تحتها... تحولت الزنانين تحت الأرض إلى متاهة من الحيطان المتداعية والدخان القاتل... هرب السجناء منحدرين نحو السهول... خرج من تحت الأرض بعد أشهر. كان طوال الأشهر الفائتة محجوزا وسط حيطان تداعت فوقه كسقف خيمة. ينبش التراب ويأكل الديدان... أعماه النور وأحرق عينيه. مشى على أربع يدب على الأرض... نار في عينيه. وصراخ لا يخرج من فمه. نسى الكلام ولم يعد يبصر... كان يهمهم كحيوان."(١)

وفي رواية "طارق إمام" "هدوء القتلة" نقابل الراهب أو الناسك الذي يعيش معزولا في كهف(٢) وسط الحيوانات: "يتحسس ذيولها المتطاولة الملتوية المنفلتة على الدوام من بين أصابعه. من أنوفها الدقيقة تتساقط نقاط الدماء وتذوب في جلبابه، ولكنه رغم ذلك لم يكن يخشى الطواعين. ليست الفئران وحدها شريكة صباحاته.. يخرج النمل من جحوره وتتمدد السحالي على الحوائط، ومن الكوة المفتوحة في الجدار الذي يسند ظهره إليه تدخل النسور مدومة الهواء الشحيح."(٣)

(١) يوسف الإنجليزي، ص ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧.

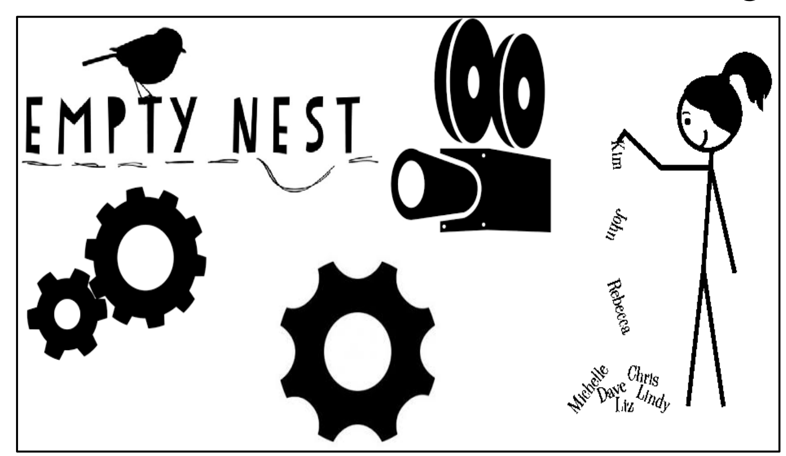
(٢) راجع "متلازمة ديوجين".

(٣) هدوء القتلة، ص ١٠.

الفصل العاشر

عقد ومتلازمات أخرى

متلازمة العش الخالي – متلازمة مواعدة كبار السن – متلازمة توأم الروح – متلازمة الأفلام الطويلة – متلازمة الحنين إلى الماضي – متلازمة الأب الآبق – متلازمة اليوتوبيا – متلازمة الإطار الثالث – متلازمة لوحة المفاتيح التخيلية – متلازمة ناتاشا – متلازمة ١٦٦١ – متلازمة الشخص البخيل – متلازمة ذكر أسماء الأشخاص المهمين – متلازمة الدخل المزدوج مع عدم وجود أطفال – متلازمة الكنة والحماة – متلازمة الطرف الوهمي – متلازمة الثراء المفاجئ



متلازمة العش الخالي

تُصيب "متلازمة الزوج المتقاعد" Retired Husband Syndrome الرجال على المعاش وتُشعرهم بالإحباط والإحساس بعدم الأهمية وبأن دورهم قد انتهى وأنهم أدوا ما عليهم. يزيد الإحساس بهذه المتلازمة في المجتمعات التي تقدس قيمة العمل مثل اليابان وألمانيا. في مجتمعات أخرى كالولايات المتحدة ينخرط المتقاعدون في أعمال البر والإحسان Charity. عالج "وليد إخلاصي" هذه المتلازمة في رواية "رحلة السفرجل"[1] وقارب وقارن فيها بين

(١) رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٨.

فكرة التقاعد والموت. لم تنجح قهوة المتقاعدين أن تخرج "السفرجل" من همومه ووحدته، ولم يستطع العيش دون هدف.

في رواية "عائلة من فخار" لمحمد مفلاح[1] قضى "لخضر" ٢٧ سنة في مؤسسة للمكيفات الهوائية قبل أن تُطبق سياسة الانفتاح الاقتصادي والخصخصة. "أصبح العمل عبادته الوحيدة. كان يقصدها بعد صلاة الفجر ولا يعود إلى البيت إلا بعد غروب الشمس، وفجأة انهارت أحلامه وأصبح شيخا وحيدا، لا أصدقاء له، ولا مال لمواجهة المستقبل المجهول."[2]

في المجتمعات الشرقية قد تكون المرأة لا تعمل أو يقل عمرها عن الزوج ببضع سنين، ومن ثم تعاني مع الزوج من هذه المتلازمة وآثارها السلبية. يزيد هذا الإحساس بالوحدة وانتهاء الرسالة وعدم جدوى الحياة حين يترك الأبناء بيت العائلة إلى حياتهم الخاصة. تُسمى هذه الظاهرة بـ "متلازمة العش الخالي" Empty Nest Syndrome.

تصيب "متلازمة العش الخالي" الآباء والأمهات الذين يرحل عنهم أبنائهم وبناتهم إلى المدن الجامعية أو بعد تركهم المنزل عقب الزواج أو خلافه.[3] تشبيه بيت الأسرة بالعش قديم يوحي بالدفء والحب، لكن هذا العش معرض أيضا للزوابع والأعاصير وهجوم المفترسات، ثم أنه لا يسع الأبناء جميعا عقب بلوغهم فيتعين عليهم الرحيل. تلك هي سنة الحياة التي عبر عنها الإنجيل بعبارة "من أجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته".[4] في قناعتنا تصيب هذه المتلازمة الآباء والأمهات في الشرق أكثر من نظرائهم في الغرب لأن فترة إقامة الأبناء في البيوت الشرقية أطول نسبيا من الفترة التي يمضيها أقرانهم في الغرب.[5]

---

(١) دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ٢٠٠٨.

(٢) عائلة من فخار، ص ٤٧.

(3) Richard A. Kasschau, Understanding Psychology, Glencoe/McGraw, Ohio, 2003, P .

(٤) تك، ٢: ٢٤.

(٥) عندما يرفض الشبان مغادرة بيت الأسرة في الغرب فإنهم يوصفون بأن لديهم "متلازمة تانجاي" Tanguy Syndrome. هذه الشخصية ظهرت في فيلم فرنسي عام ٢٠٠١. Deirdre Van Dyk, "Parlez- Vous Twixter" Times, 21st March, 2005. أما الشباب الذين يتركون منازل العائلة =

في روايته "من يؤنس السيدة" للكاتب "محمود الريماوي"،[1] نقابل سيدة مسنة تعاني من "متلازمة العش الخالي" فقد توفى زوجها ورحل عنها أولادها ومعهم بهجة البيوت. من قال أن البيوت حوائط وخشب وبلاط ومياه وكهرباء وحسب؟! عندما تنطفئ شموع البيوت وترحل يهون بعدها أي شيء. عثرت العجوز على سلحفاة صغيرة في الطريق العام. شعرت بالشفقة عليها من أقدام المارة وإطارات السيارات، وقررت أن تحملها للبيت علها تؤنس وحدتها، كما أنها حققت لها فرصة استعادة دور الأم، حتى ولو كانت أما بديلة لحيوان ضعيف يحتاج للمساعدة (راجع متلازمة بامبي). تحولت الرواية إلى "أليجوري" Allegory بمعنى أنها قصة رمزية قد تحدث لأي إنسان. لعبت السلحفاة الصامتة الناعسة دوما دورا مزدوجا فهي أيضا وحيدة وبطيئة وضعيفة فضلا عن أنها، لسبب ما، غادرت كنف أمها وفقدت الدفء والحماية.

وفي رواية "العاشق ينتظر" لعلي أبو المكارم[2] ترفض الأم الحياة بعد هجرة ابنها إلى أستراليا: "كان مشغولا بصورة غير عادية بصحة زوجته النفسية التي أصابها الاكتئاب بعد هجرة ابنهما إلى استراليا... فقدت قدرتها على التوازن، وأخذت تقضي ساعات طويلة في صمت مطبق."[3]

في بعض الأحيان تبدأ المتلازمة أو أعراضها قبل مغادرة الأبناء لمنزل العائلة. نقرأ من رواية "سوزان الراسخ" "امرأة على أرجوحة الزمن":[4] "ينتابني بين الحين والآخر شعور امرأة تمرد الجميع عليها بعد أن كبروا.. فروا بعيدا عنها.. تركوا حضنها الدافيء كالقفص الفارغ.. الزوج مشغول.. وولدي يتلهان بشؤونهما كل على طريقته الخاصة.. فيها قليل من الدراسة والكثير من الانشغال بالكومبيوتر واللهو مع الأصحاب. ونهارات عطل صيفية

=للعمل والاستقلالية أو للزواج ثم يعودون إليها بسبب فقد الوظيفة أو الفشل في الزواج أو خلافه فيُصنفون تحت "متلازمة البومرانج" Boomerang Syndrome والتي تعني العودة أو الإياب.

(١) دار فضاءات، عمان، ٢٠٠٩.

(٢) دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٢.

(٣) العاشق ينتظر، ص ١٣، ١٤.

(٤) دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧.

يقضونها خارج البيت ولا يعودان إليه إلا في ساعات متأخرة على الرغم من احتجاجي المتكرر الذي أصبح لا وزن له."[١]

متلازمة مواعدة كبار السن

بعض الفتيات يرغبن في الارتباط برجال في عمر آبائهن حيث ينشدن العقلانية والخبرة. ينطبق هذا ربما على "سراب"، بطلة رواية "جبرا إبراهيم جبرا" "يوميات سراب عفان".[٢] أخريات يفعلن ذلك من أجل المال والراحة، ربما كما في رواية "الطريق" لنجيب محفوظ.[٣] تزوجت "كريمة من صاحب "البنسيون" وهو رجل طاعن في السن فيما يُسمى في اللغة الإنجليزية بـ May – December Marriage وانتهى الأمر بخيانته. نموذج آخر لزواج المصالح المتبادلة يقدمه لنا "محمد برادة" في "بعيدا عن الضوضاء، قريبا من السكات":[٤] "كانت (رقية) باستمرار تتردد على منزلنا قبل أن تتزوج من رجل يكبرها بثلاثين سنة، له دكان للثياب والأجواخ في قيسارية الرباط، يحبها ويدللها، ما جعله يُملكها فيلا وسيارة قبل موته منذ سنتين... زوجها كانت تدلله وتحترمه، تطعمه وتغدق عليه الحنان والاهتمام أمام الآخرين. كأنما غريزتها كانت توجه خطواتها لتضمن، بعد موته، استقلالا ماديا ووضعية تقيها من دواير الزمان وإذلال من يستلذون امتهان المرأة."[٥] يُعرف هذا الزواج أيضا بـ "متلازمة بول ماكرتني" Paul McCartney Syndrome نسبة لمغني فريق "البيتلز" Beatle الشهير والذي تزوج بعد وفاة زوجته من فتاة تصغره بخمسة وعشرين عاما تُدعى "هيثر ميلز" Heather Mills. انتهى الزواج بالطلاق وربحت الفتاة منه مبالغ طائلة.

تُعرف هذه الظاهرة بمتلازمة مواعدة كبار السن Sugar Daddy Syndrome وتوازي Gold Digger Syndrome عند الشباب المُحَلل أو التيس المستعار وأولئك الذين يسعون للارتباط بنساء طاعنات في العمر من أجل ذهبهن ومالهن وحتى يحققوا الثراء السريع -Get

(١) امرأة على أرجوحة الزمن، ص ١٩ – ٢٠.
(٢) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢.
(٣) الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٤) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.
(٥) بعيدا عن الضوضاء، قريبا من السكات، ص ٧، ٨.

Rich- Quick Syndrome،[1] أو حتى من أجل الانتقال إلى العيش في وسط مختلف كما فعل "إبراهيم" بزواجه من "مارجريت" في رواية "خالد البري" "رقصة شرقية"[2] حيث انتقل للإقامة معها في لندن، ومن قبله "فريد" الذي عاش مع عجوز باريسية في رواية "جورجيت حنوش" "عشيقة حبيبي"،[3] ومن بعده "أحمد عز الدين"، خريج الحقوق الذي لم يشفع له تفوقه ليتبوأ مقعدا في النيابة العامة فينهمك عبر الشبكة الدولية للمعلومات في التعرف على أي امرأة أجنبية تساعده على السفر والخروج من مصر.[4]

وقد يكون الثمن ضئيل جدا لا يتجاوز أجرة غرفة في مدن الغربة كما أوضح "أنيس بن عمار" في روايته "الغائب": "وتمر الأيام طويلة وشاقة. تتقلص النقود في الجيوب ويصبح صوت صاحبة البيت وهي تطالب بالمبلغ الشهري للإيجار أغنية صباحية نستيقظ عليها في معظم أيامنا. يفتح لها أشرف الباب ويمارس عليها ما تبقى في جعلته من كلام منمق. يعدها بأيام قليلة مقبلة ستعوض صبرها خيرا. يلامسها في أماكن حساسة من جسدها بعفوية شيطانية. تقتنع كلارا بكل وعوده وتمنحنا فرصة أخيرة في كل مرة. بعد ذلك تنسحب في استحياء خفي إلى شقتها في الدور العلوي لتعيش لياليها على بقايا لمسات أشرف ومعسول كلماته. ثم لا تلبث أن تعود بعد أيام معدودات لتطالبنا بنفس الحق. ومع كل مرة تتزايد حلاوة العبارات على شفتي أشرف وتتوغل يداه في أماكن أكثر سخونة من جسدها النحيف المقزز. عبر الأسابيع يتحول غضبها إلى عتاب.. ومن عتاب إلى دلال.. ومن عتاب إلى غنج.. ومن عمق كل ذلك يعود لينفجر صرخات لذة تحت جسد أشرف. ها هي تنتفض تحت جسمه كالفرخة المذبوحة وتشهق زفرات رجوع الروح إلى الجسد بعد موت طويل!!"[5]

---

(١) يُلقبه "إبراهيم بادي" في روايته "حب في السعودية" بالرجل المومس أو "الجيجلو"(Gigolo دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٧).

(٢) دار العين، القاهرة، ٢٠١٠.

(٣) المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٤.

(٤) خالد الخميسي، سفينة نوح، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٥) الغائب، ص ٤٢.

ربما توارد الخواطر هم ما جمع بين "أنيس بن عمار" و"نضال كرم" فقد كتب الأخير في روايته اسبرانزا":(١) "موجة غضب عصفت به مُطلقا سيل شتائمه ما إن قرأ نص الرسالة التي وصلته من شركة الاتصالات تُذكّره بوجوب تسديد الفاتورة، كما أخبرها، لاعنا حظه مما يعانيه من عوز يرزح تحت سطوته. دست بعض أوراق نقدية تحت الوسادة وغمزته ضاحكة بأنها ستعود يوم غد لتتذوق طعم فحولته، محذرة إياه ألا يفرط بماء رجولته."(٢)

متلازمة توأم الروح

"سيحتويك حتما توأم روحك.. لا تتعجلي."(٣)

افتتح "أحمد الصاوي محمد" روايته "الشيطان لعبته المرأة، والمرأة لعبتها الرجل"(٤) بالكلمات التالية عن دور النجوم في ترتيب قدر الأحبة ولقاء العشاق على الأرض: "في السماء نجوم يرصد بعضها بعضا، قد تتوارى وتحتجب ولكنها لا تتناكر أو تفترق. وعلى الأرض أقدار قد تختفي عن بعضها شهورا وأعواما، ولكنها تعود حتما فتلتقي، مهما حارت ودارت، فهي تتربص ببعضها على رغمها، إذ كُتب عليها اللقاء من الأزل."(٥) وكتب "سعد حامد" في روايته "البحث عن النسيان":(٦) "رأيتها وأنا واقف في حديقة بيتنا المطلة على الطريق شاردا مستغرقا في أحلام اليقظة.. مرت أمامي كأنها طيف أو كأنها خيال.. ولا أدري لماذا بدا لي لحظتها أن هذه الفتاة هي قدري المكتوب، وأن القدر قد سجل اسمها أمام اسمي مدى الحياة."(٧)

---

(١) دار ليليت للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٥.

(٢) اسبرانزا، ص ٩.

(٣) منى الشافعي، ليلة الجنون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ١١٨.

(٤) كتاب أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٧٠.

(٥) الشيطان لعبته المرأة، والمرأة لعبتها الرجل، ص ٥.

(٦) دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٣.

(٧) البحث عن النسيان، ص ٣٣.

آخرون يتحدثون عن الكيمياء بين الرجل والمرأة أو "عن الطاقة الإيجابية والسلبية". في رواية "سلوى بكر" "وصف البلبل"[1] يؤكد البطل لحبيبته أنهما التقيا منذ آلاف السنين، أو على حد قول أحدهم:

في البدء كانت الكلمة

كان اسمك

محفورا في قلبي

محفوظا في رحم أمي

نحن لم نلتق البارحة

نحن عشنا الدهر معا

ولما وجدنا في أفواهنا ألسنة

رحنا نبوح بالسر دون فهم

بأنا عشنا الدهر معا دون علم[2]

قد يتأخر اللقاء، لكنه يحدث، أو على الأقل هذا ما كتبه "حسن محسب" في روايته "لحظة طيش":[3] "حلمت كثيرا بفتاة مثلك.. لقد انتظرت طويلا.. كنت أتوقع ظهورك في كل لحظة.. يوم دخلت المدرسة لأول مرة في حياتي توقعت أن أراك بين زملائي الأطفال.. يوم دخلت الجامعة توقعت أن أراك.. يوم صرت موظفا توقعت ظهورك.. كنت أنتظرك، تشقين قلب السماء كالبرق وتأتين تزلزلين جوف الأرض كالبركان وتأتين.. تتعلقين بحزمة من خيوط الشمس والقمر تأتين.. تلتفين بنسمات الهواء وتثقبين كل الحواجز وتأتين.. لكن انتظاري لك طال ثلاثين سنة كاملة."[4]

---

(١) سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣.

(٢) الأبيات للمؤلف.

(٣) كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٧٦.

(٤) لحظة طيش، ص ٤.

في روايتها "حوادم" والتي تعني (حـواء وآدم)، وبهـا يحـدث الاكـتمال كتبـت "بهيجـة مصري إدلبي:[١] "أنا نصفك الغائب عنك."[٢] ومن رواية "وردة الفجـر" لـسيد التـوي[٣] نقرأ: "أصبحت لي. نصفي الثاني عاد إليّ، أنا اليوم أنا."[٤] أما "محمـود عبـد الوهـاب" فقـد كتب يصف غياب النصف الآخر قائلا على لسان "سامح"، بطل روايته "سيرتها الأولى":[٥] "نصفي الميت يجذبني إلى الموات/ ونصفي الحي ينجو بي في الاتجاه الآخر/ وأنا في المنتصف/ أأغادر نفسي وأهرب من هذا وذاك؟ وإلى أين أسير ونفسي تلازمنـي؟ وإذا ارتـدت لي نـسمة لعاد كل شيء والتأم / وإذا لم تعد؟"[٦]

خُلقت حواء من ضلع آدم. عندما هبطا إلى الأرض ظلا يبحثان عن بعضهما حتـى جمـع الله الشتيتين. استقرت قصة البحث هـذه في الفلكلـور الـشعبي لثقافـات عديـدة في الـشرق والغرب. لكل آدم حواء خاصة به. يعتقد الكثيرون بوجود مـا يعـرف بتـوأم الـروح Twin Souls / Soul Mates . في "الميثولوجيا" اليونانية وطبقا لما أورده "أرسطوفنيس" في "حلقـة دروس أفلاطون" حوالي ٣٨٥ ق. م. فإن البشر خُلقوا من أربعة أذرع وأربعـة أرجـل ورأس بوجهين، ولأن "زيوس" توجس من قوتهم فقد شطرهم نصفين وكتب عليهم أن يظلوا طيلة حياتهم في بحث مستمر عن شقائقهم.[٧] تقول الأسطورة الـصينية أنـه يوجـد "خـيط أحمـر خفي Red String of Fate يربط أولئك الذين قُدر لهم اللقاء بغـض النظـر عـن الوقـت أو المكان أو الظروف. الخيط قد يطول ويتشابك، لكنه أبدا لن ينقطع.

قد يكون توأم روحك في آخر المعمورة، وقد يكون في المنـزل الـذي أمامـك. لأن نـسبة كبيرة من بني البشر لا تجد هذا الحبيب المجهول في العالم المادي فإنهم يسعون للبحـث عنـه في العالم الافتراضي Virtual World بكل مستوياته. تستطيع أن تصل لهذا العـالم بـضغطة عـلى

(١) دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٥.

(٢) حوادم، ص ١٦.

(٣) دار زينب، تونس، ٢٠١٥.

(٤) وردة الفجر، ص ٣٤.

(٥) دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٦.

(٦) سيرتها الأولى، ص ١٢.

(7) Plato's Symposium, Arnhem, P.Gouda Quint, 1887.

زر واحد بفضل الفضاء الالكتروني الذي يلتقي فيه الغرباء من شتى أرجاء المعمورة عبر الأثير فيتعارفون ويتحدثون في غرف الدردشة Chat Rooms وقد ينتهي بهم المقام بالوقوع في الحب On-line Romance وقد يتطور هذا الغزل إلى مواعدة على الإنترنت E-date.[١] القصة لم تتغير والبحث لم يتوقف، لكن الوسيلة تفاوتت وتباينت. بعض الناس يرسل صورته وبياناته إلى الصحف والمجلات بغرض التعارف. بعض الناس يكتب اسمه وهاتفه على النقود الورقية وعلى الأحجار والأشجار ومقاعد الدراسة وحوائط دورات المياه والبعض يلقي برسالة زجاجية في البحر Message in a Bottle.

تشير "متلازمة توأم الروح" Soul Mate Syndromeإلى الشخص الذي ينتظر العثور على نصفه الآخر، "شقيق النفس" كما يُقال. "أن تعيش هنا"، كما كتب "سنان أنطون" "يعني أن تُمضي ثلاثة أرباع عمرك في الانتظار. انتظار أشياء نادرا ما تجيء: غودو، الثورة، الباص، الحبيبة."[٢] وقد يطول الانتظار والبحث دون جدوى. تقول "هنوف الجاسر" في روايتها "ليتني امرأة عادية": "يولد رجالنا للعيش، وتولد نساؤنا للانتظار، انتظار الفرص، الحب، الحياة."[٣] تؤكد "هيفاء بيطار" هذا المعنى وتستفيض في شرحه: "مزيج من النعاس والإعياء يجعلها تحس جسدها رخوا ملتصقا بالمقعد[٤]... كانت يسراها تخربش على الورقة الأخيرة في الدفتر، وترسم دوائر وخطوطا متشابكة[٥]... توقفت عن الخربشة وأخذت نفسا عميقا...

(١) عالجت السينما الأمريكية هذه الظاهرة في "لديك بريد" You have Got Mail، 1998. وتُسمى الظاهرة بـ "متلازمة صديق الكتابة الديجتال" Digital Pen- Pal Syndrome. أما الحب في العالم الافتراضي فقد تناولته أقلام كثيرة منها "ربيعة ريحان" التي كتبت في روايتها "طريق الغرام": " كنت أجنح إلى فتح الإيميل وأتطلع إلى صف الرسائل الكثيرة الواردة، وأرى الأسماء والعناوين الإلكترونية، وأنقر فاتحة بريد يوسف وكلي شوق، أتخيل ما يعدني من معان جديدة وأفكار موحي. كتابات غيرت واقع حياتي وجعلتني أفتح نوافذي لأستقبل تلك الإشارات التي يرسلها إلي، والمشاعر الحنون التي تمتلئ بها روحي. أنا بانتظارك، موحية وجذابة هذه الكلمة لامرأة رومانسية مثلي." (دار توبقال، الدار البيضاء، ٢٠١٣، ص ٢٢٦).

(٢) إعجام، منشورات الجمل، بيروت - بغداد، ٢٠١٣، ص ٢٣.

(٣) دار كلمات للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٤.

(٤) يُعرف الجلوس لفترة طويلة بـ "متلازمة سبونج بوب" SpongeBob Syndrome.

(٥) تُعرف هذه الخربشة بـ Doodling، وهي هامة جدا في التحليل النفسي لطبيعة الشخصية ورغباتها. كتبت "لطيفة الزهير" في روايتها "أنثى لرجل واحد": "ورقة يملؤها البياض، والبياض يملؤه دوائر =

وطرح ذهنها الخامل، مثل جسدها في جلسته التي تبدو أبدية تساؤلا بـدا لهـا عميقـا... مـاذا أفعل بهذا الجسد الشبق اللين الطري؟ ونيسان يولد الحياة والخصب... تحس بأنوثتها تتلـوى في جسدها مثقلة متخمة بالشوق، ثمرة ناضجة جاهزة للقطـاف تكـاد تـسقط مـن ثقلهـا... ابتسمت وهي تستعيد الحلم نفسه، رجل الأحلام الـذي سيحتـضنها ودومـا تتخيـل جذعـه عاريا أسمر، قويا وعضلاته مشدودة، ودوما يرتاح وجهها على صدره."[1]

ننام كل يوم على أمل أن نجد الفرحة، ثم نفتح عيوننا عـلى نفـس الأثـاث ونفـس المتـاع ونفس الأشياء. أيام محبطة وحياة زائفة. لماذا لا نحصل على ما نريد؟! لماذا نؤجل أحلامنـا أو نتنازل عنها؟! لماذا نحلم بالفرح ونนال الدموع؟! لماذا لا يأتي هذا الغد الذي يقولون عنـه أنـه أفضل؟! لماذا يأتي غد خال الوفاض فنضطر إلى أن ننتظر غدا غـيره؟! أيـن هـو هـذا الحبيـب المجهول؟ أين يختبأ؟

بعض الأشخاص يرسمون صورة في خيالهم لهذا الآخـر ويهتمـون كثـيرا بتفاصـيل قـد تجعل الاهتداء إليه أو إليها ضرب من المستحيل. نجد أثـرا لهـذه المتلازمـة في روايـة "التـوأم المفقود" لسليم مطر،[2] وفيها يقول بطل الرواية عن المرأة التي يبحث عنها: "إني لا أعرفـك أيتها السيدة، لكني أشعر كأني انتظرك منذ زمن طويل... كما ترين فإني متعب وحزين، أبحث عمن يعينني في محنتي."[3] أما بطل "سجين المرايا"[1] فإنـه يعثـر عـلى شـقيقة الـروح قـدرا:

=سوداء متداخلة... رسمتها وأنا أفكر وقتها.. لم أحس باللوحـة الـسريالية إلا بعـد الانتهـاء!... تـشبه شبكة لن تتفكك من ذهني ويدا طويلة انتظرها تُمد إليّ لكنها بعيدة المبتغـى." (دار مـدارك للنـشر، دبي، ٢٠١٥، ص ٨). أما "حسن أحمـد" فقـد اسـتبدل الـورق بالرمـال. كتـب يقـول في روايتـه "الـذكرى للحبان": "تعب الهادي من الجلوس على الأرض فمد رجليه واستلقى عـلى ظهـره سـاندا رأسـه بيديـه وأخذ يتمعن في أغصان التبلدية العالية. أما حسين فقد كان يجلـس قبالتـه متربعـا عـلى الأرض يمـسح الرمل بيده ويرسم عليه أشكالا وخطوطا." (مطابع دار الخليج، الشارقة، ١٩٨٠، ص ٢٥). نجد نفس الصورة في مفتتح رواية "أحلام محرمة" لمحمود حامد: "كانـت الـشمس البرتقاليـة فـوق الميـاه، وثمـة قوارب تتأرجح، وكنت تخط بإصبعك تخطيطات لا معنى لها. ولا تنظـر إلى البحـر أبـدا." (منـشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٣، ص ٥).

(١) قبو العباسيين، دار السوسن للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٥، ٦.

(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١.

(٣) التوأم المفقود، ص ٣٠.

"هناك، حيث كنت أجلس وحيدا بين عشرات المتفرجين، كنت أنت من بينهم. فتاة حضرت لمشاهدة فيلم لبطلها المفضل، فيما كنت غارقا في خيالي أشاهد ذلك الفيلم الرومانسي، وأحلم بقصة تشبهها تجمعني بنصفي الآخر الذي لم أبحث عنه قط، بل كعادتي انتظرت القدر ليرسله إلي. كنت هائما في الحب. كنت عاشقا يعشق لا أحد. كان الحب في أعماقي كبيرا... ولكني كنت أحتفظ بكل هذا الحب الذي لا حدود له داخل أسوار قلبي، في انتظار الساكنة الأولى... لم أتوقع يومها بأنه مع نهاية الفيلم وانصراف الحضور ستكون بداية قصتي."[٢]

السينما والأفلام الرومانسية وترسيخ فكرة البحث عن النصف الآخر أو الاهتداء إليه، كل هذا نجده أيضا في مطلع رواية "مطبخ الحب" لعبد العزيز الراشدي:[٣] "كنا ننام في الصالة عاريين. لم نشأ أن نلج غرفة النوم، لأن رغبتنا لم تستطع الانتظار؛ فقد فاجأتنا الشهوة ونحن نتابع فيلما أمريكيا يحكي قصة حب عاجلة، بين غريبين، التقيا صدفة في محطة صغيرة، ببلدة بعيدة. ودون تفكير، وجدا نفسيهما يتبادلان القبل بعد نقاش قصير عن الغربة؛ بعد أن اكتشفا أنهما يُكملان كلام بعضيهما، وأن لقاءهما مقدر ومكتوب.. ولأن مثل هذه الصور تذكرنا بما حصل بيننا... مع فارق في التفاصيل والمكان."[٤]

متلازمة الأفلام الطويلة

تشير "متلازمة الأفلام الطويلة" Epic Movie Syndrome، بالرغم من صعوبة تعريف أو تحديد ملامح كلمة "ملحمي" Epic، إلى التأثير الذي يخلفه مشاهدة أفلام جميلة ومبهرة ومترعة بالرومانسية وتنتهي نهايات سعيدة على من يتابعها حين يعود إلى واقع حياته المعاش الذي يعج بالمتناقضات والقبح والشقاء وعدم تحقيق الأماني والأحلام المؤجلة. لا شك أن الأثر الذي تتركه هذه الأفلام كبير لاسيما لو كانت من النوعية التي تدر الدموع من عيون المشاهدين Tear- jerkers.

(١) سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.
(٢) سجين المرايا، ص ٢١.
(٣) دار الأمان – ثقافة للنشر والتوزيع، الرباط – أبو ظبي، ٢٠١٢.
(٤) مطبخ الحب، ص ٥.

في رواية "أطراس الكلام"[١] نقابل "رؤى" المغرمة بسكب هذه الدموع أثناء مشاهدة الأفلام الهندية الطويلة التي تستخف بعقل المشاهد: "وهاهو وجه رؤى أيضا.. رؤى الحبيبة.. رؤى الرومانسية التي برغم شغفها بالدراسة إلى درجة الجنون... كانت تتسلل من مدرستها خلسة لأصحبها، في غفلة من عيون أسرة من الذكور الطائشين الغيورين كانت الأنثى الوحيدة فيهم... لمشاهدة أحد الأفلام الهندية، تاركة لي يدها أعبث بها في ظلام الصالة على هواي، شريطة أن أدعها تذرف ما شاءت من دموع على أحداث (ميلودرامية) غير قابلة للتصديق."[٢]

دموع أخرى نجدها في رواية "المصري" لمحمد أنقار ومنها نقرأ: "اشتد تعلقي بنجمات الأفلام وبطلات الروايات والقصص باحثا فيها عن صورة مجسمة لعايدة بنت آل شداد. فتنت بغادة الكاميليا والممثلة الاسبانية ماريصول، والفرنسية كاترين دي نوف. قضيت كثيرا من أمسياتي في سينما المنصور، القاعة المخصصة لعرض الأفلام العربية، باكيا مع عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش ومحمد عبد الوهاب."[٣]

تناولت "بدرية البشر" هذه المتلازمة في روايتها "غراميات شارع الأعشى".[٤] بطلة الرواية مولعة بالأفلام Cinephile خاصة المصرية التي تعيش معها أجمل لحظات حياتها وترى فيها عتقا لروحها المكبوتة ومع بطلاتها من النساء تحقق آمالها المنشودة حين تتقمصهن لبعض الوقت: "أفكر في عالم أشبه بالأفلام المصرية التي كنت أشاهدها مساءات الخميس على تلفزيوننا بالأسود والأبيض؛ فهي كل ما أعرفه عن العالم الخارجي، وقد منحت خيالي صورا شاهدت نفسي فيها أركب الباص كما تفعل سعاد حسني، وآكل الذرة على شاطئ النيل مثل فاتن حمامة."[٥] الهوس بالأفلام موجود أيضا في رواية "هالة كوثراني" "استديو بيروت":[٦] "تعود إليّ الأفلام التي سجنت نفسي فيها منذ صحبتني أمي إلى إحدى دور

---

(١) عبد القادر الركابي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.
(٢) أطراس الكلام، ص ١٢.
(٣) المصري، ص ٢٨.
(٤) دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.
(٥) غراميات شارع الأعشى، ص ٦، ٧.
(٦) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٨.

السينما في عز الحرب في بيروت. كانت القاعة المزينة بالمخمل قذرة ورائحتها نتنة، لكنني استمتعت أنا وأمي بفيلم - نساء صغيرات – الذي لا أنساه، بوجه الممثلة الملائكي الذي تمنيت أن أحصل عليه، أن يصبح وجهي، أن أصحو صباحا لأجده زين رأسي في المرآة."[١]
الهوس بالأفلام الأجنبية موجود أيضا في رواية "ما رواه النوم" لهلال شومان.[٢]

متلازمة الحنين إلى الماضي

عام ١٦٨٨ قام الطبيب السويسري "جوهانس هوفر" Johannes Hofer بكشف النقاب عن رغبة الإنسان الملحة للعودة إلى أرض الوطن واستعادت ذكريات الماضي.[٣] أُتفق على تسمية هذا الشعور بـــمتلازمة الحنين إلى الماضي Nostalgia Syndrome. الحنين إلى الماضي وإلى الأيام الخوالي The Good Old Days بما فيها من سكينة ومحبة شعور أصيل في الوجدان الإنساني. عنونت "سهير عبد الله رخامية" إحدى رواياتها بـ "حنين"[٤] وأسهبت في مضمون جاء مطابقا للعنوان. يرى الروائي "عبد القادر الشاوي" أنه لا يصح حاضرنا إلا إذا تصالحنا مع ماضينا. يعبر عن كليهما بكلمتي "هنا" و"هناك": "يحن (ش) إلى الماضي حنينا صافيا مدوخا وهو لا يرى نفسه هنا إلا حين يستذكر أيامه هناك، مسافة ووهم إذكار مشبع بالرغبات والتوجع. الماضي يعود إليه كأن ذكرياته الطرية ما وقعت في حياته الطفولية إلا بالأمس."[٥]

في بعض الأحيان يتمادي الشخص في استمراء هذا الشعور حتى يصير متلازمة عنده، بحيث يصبح هذا الشخص يعيش عمليا في الماضي أكثر من الحاضر وأكثر من تصوراته حول المستقبل. ولا يحتاج الأمر التكهن بأن الشخص الذي يفعل ذلك لديه إشكالات مع الحاضر بحيث يهرب من أزماته إلى الماضي. تترسخ لدى هذا الشخص قناعة بأنه لا شيء يَفضُل الماضي بأيامه ومفرداته فالسيارة القديمة أفضل والكتاب القديم أفضل والحذاء القديم أفضل

---

(١) استديو بيروت، ص ٧٩.

(٢) دار ملامح للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨.

(3) http://harvardmagazine.com/2001/09/hypochondria-of-the-hear.html

(٤) دار ليليت للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٤.

(٥) كان وأخوتها، نشر الفنك، الدار البيضاء، ٢٠١٠، ص ١٧.

واللاعب القديم أفضل... وهكذا فيما يُعرف الآن بـ "متلاومة مايكل جوردن" Michael Jordan Syndrome، نسبة إلى لاعب السلة الأمريكي الشهير، والذي يرى المتابعون أنه لن يتكرر.

برعت "رواية العودة" التي ميزت الأقلام الفلسطينية التواقة للإياب إلى حضن الوطن واستعادة مباهجه واجترار الذكريات بين ثناياه وجوانبه كما مثلا في روايتي "مريد البرغوثي" و"غسان كنفاني" "رأيت رام الله"(١) و"عائد إلى حيفا"(٢) في رسم ملامح الحنين وإضفاء جرعة من المرارة عليها وإطلاق تنهدات من الحسرة المعجونة بوجع سنين البعد والغربة داخل وخارج الوطن السليب الأسير المخطوف. في رواية "حينما كان للشوارع أسماء"(٣) تحكي الجدة للحفيدة عن بيتها المقدسي قائلة: "الحنين يخنقني. أرى القرية وبيتي المبني من الحجر الجيري. أرى المذياع الذي ابتاعه جدك عندما ذهبنا إلى سوق المدينة القديمة. وضعنا المذياع في المطبخ. أرى النوافذ ذات الأقواس المطلة على التلال، وكل نافذة كأنها إطار من الحجر. استطيع أن أشم رائحة أشجار الياسمين واللوز في حديقتي وأتذكر أشجار الزيتون التي حُصدت ثمارها. هذه الذكريات استقرت في قصبتي الهوائية حتى أنني لا أجسر أن أستحضر ذكريات غيرها خشية ألا أستطيع التنفس... لن أرى أبدا المكان الذي ولدت فيه ولا البيت الذي دخلته كعروس. وأشجار زيتوني يا حياة! أوه، كم أفتقدها! كان لدينا إحدى عشرة شجرة تحيط ببيتنا."(٤)

وخلا "رواية العودة"، نجحت الروائية "شعاع خليفة"، في اللعب على أوتار "النوستالجيا" بحساسية مفرطة وذوق سليم في رواية "العبور إلى الحقيقة"،(٥) كذلك فعلت "إنعام كجه لي" في "طشاري"(٦) عندما قارنت بين عراق التسامح والمحبة والألفة وعراق

(١) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.

(٢) دار العودة، بيروت، ١٩٨٥.

(٣) رندة عبد الفتاح، ترجمة: أميرة ونبيل نويرة، بلومزبيري، الدوحة، ٢٠١٠.

(٤) حينما كان للشوارع أسماء، ص ٤٧.

(٥) مؤسسة دار العلوم، الدوحة، ١٩٩٣.

(٦) دار الجديد، بيروت، ٢٠١٣.

التباغض والتفجيرات والقتل على الهوية. نجح "نعيم عطية" في استرجاع ذكريات الطفولة بألوان حيوية في "يوميات طفل قديم".[1]

كما أجاد "غائب طعمه فرمان" في الإمساك بتلابيب الماضي والحنين إلى المكان والزمان الغابر في – لنقل – كل رواياته. أول عمل روائي نشره "فرمان"، "النخلة والجيران"،[2] ١٩٦٥، : "كان يمثل اختبارا فعليا لذاكرة المهاجر في تحيل الردة إلى الوطن، حيث تشف الأماكن والأزمنة والروائح والحوادث لتأتلف في أصفى ما يكون عليه الذهن قدرة على استحضار الحنين إلى الوطن عبر الإمساك بالعيني والملموس في الأماكن والشخصيات."[3] تعرض "عدنان فرزات" للتفاصيل الدقيقة في روايته "رأس الرجل الكبير":[4] "كان يزور أماكن بينه وبينها حكايات دافئة، كغرفته القديمة في بستان الزهرة، الملاصقة لغرفة صهيب الفقيرة، ومقهى القصر، والفندق السياحي، والأحياء القديمة المقابلة لقلعة حلب، قبل أن يستريح في مقهى أمام القلعة، فوق مقاعدها المصنوعة من القش بعد جولة في خان شونة."[5]

جعل "أسامة الشاذلي" بطل روايته "نوستالجيا"[6] يستيقظ فاقدا الذاكرة ثم يبدأ في بناء الماضي من جديد حتى يتعرف على هويته. أما "عاطف أبو سيف" فقد استهل روايته "حياة معلقة"[7] بالبطل وشرشف فيه رائحة زوجته يأخذه إلى الماضي: "أمسك طرف الشرشف الأحمر ذي الوردات البيضاء مثل حقل ربيعي، سحبه إلى أعلى جسده، وأخذ نفسا عميقا. مازالت في الشرشف رائحة آمنة. كان يفعل هذا كل صباح. ثمة أشياء تستطيع دائما أن

---

(١) دار الحضارة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥.

(٢) دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٩.

(٣) مصطفى عبد الغني، الاتجاه الإنساني في الرواية العربية، مركز الرياض للمعلومات والدراسات الاستشارية، الرياض، ٢٠٠٦، ص ١٤٣.

(٤) دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١١.

(٥) رأس الرجل الكبير، ص ٥٦.

(٦) دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٣.

(٧) الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.

تسحبنا بعيدا في الماضي وترحل بنا، دون أن ندرك أنها بهذا تؤكد لنا أنها لم تعد إلا من الماضي."[1]

نجد الحنين إلى أيام الصبا أيضا في رواية "صدفة بتجمعنا": "في الأيام الخوالي، أيام الصبا والذكريات الجميلة، أحلي أيام العمر كنا نعود إلى مدارسنا عقب انتهاء الشهر القبطي توت، اللي يقول للحر موت، أو قل بعد الاحتفال بعيد النصر في السادس من أكتوبر. في شهر بابه الذي يبدأ في الثلث الأول من شهر أكتوبر وينتهي في الثلث الأول من شهر نوفمبر، كنا نخش ونقفل الدرابة، أي الطاقة أو الشراعة اتقاء للبرد، وقد ارتدينا الملابس الشتوية. كان للبيجامات الكستور التي تباع في الكساء الشعبي أزرار جانبية حتى تبقي بطوننا وظهورنا دافئة. وإذا حالفك الحظ وكان لك قريب في الجيش فمنحك جورب من الصوف وابتاع لك والدك كاوتش ملون من باتا بسبعين قرش فقد نلت الدنيا وما فيها. كانت أمهاتنا تعد لنا سندوتشات الحلبة المعقودة أو المفتقة والسمن بالسكر والمورتة والعجوة بالبيض حتى تتولد في أجسامنا الطاقة التي تعيننا على تحصيل العلم في الأجواء الباردة. عندما نعود إلى البيت كنا نجد العدس بالخبز المقدد في انتظارنا تتقدمه عبارة: كلوا وادفوا. ده الدفا عفا. كان الدفء الشغل الشاغل لأمهاتنا، لكن أهم من دفء الأجسام كان دفء المشاعر وأهم من دفء البيوت كان دفء القلوب."[2]

متلازمة الأب الآبق

تشير "متلازمة الأب الآبق" Deadbeat Dad Syndrome إلى الأب المُفَرِط الكسول، المُخل بواجبه من حيث الإنفاق على أسرته أو دفع النفقة في حالة وقوع الطلاق. وإجمالا تُشير المتلازمة إلى الأب النزق المتجبر الذي لا يراعي مصالح أسرته بل يُسهم في ضياعها وانقسامها وتشتتها، الأب غير المسئول الذي يعيش لنفسه ويُهمل زوجته وأولاده، الأب الخائن للأمانة والراعي المُضيع لرعيته.

(١) حياة معلقة، ص ٨.

(٢) صدفة بتجمعنا، ص ١١، ١٢.

عالج "أحمد خلف"، هذه المتلازمة في روايته "موت الأب".[1] نقابل في الرواية هذا الأب الصلف القاسي. يتسبب هذا الأب في هروب ابنه البكر، "إسماعيل"، من البيت. ثم أدمى قلب زوجته، أم الأولاد، مرة أخرى حين تزوج من فتاة تصغره بعشرين سنة وأحضرها لتعيش معها في المنزل. زد على ذلك أن هذا الأب المتجرد من الإنسانية والإحساس يقتل أخيه "نوح" (راجع عقدة قابيل).

الكره الأوديبي للأب نجده في "الشمعة والدهليز" للطاهر وطار. والأب العنيف موجود أيضا في "الخبز الحافي" لمحمد شكري حيث يسب الأم ويركل ابنه دون رحمة ويتسبب في قتل ابنه الآخر: "أخي يبكي، يتلوى ألما، يبكي الخبز. يصغرني. أبكي معه. أراه يمشي إليه. الوحش يمشي إليه. الجنون في عينيه. يداه أخطبوط. لا أحد يقدر أن يمنعه. أستغيث في خيالي. وحش. مجنون امنعوه. يلوي عنقه بعنف. أخي يتلوى. الدم يتدفق من فمه. أهرب خارج بيتنا تاركا إياه يسكت أمي باللكم والرفس. اختفيت منتظرا نهاية المعركة. لا أحد يمر. أصوات ذلك الليل بعيدة وقريبة مني. السماء. مصابيح الله شاهدة على جريمة أبي. الناس نائمون."[2] يسدد الأب النزق ركلات إلى الأم في رواية "عفاف بطاينة" "خارج الجسد": "وتتصارع أمي مع ثور تعلو حوافره جسدها، نسمع دقات ركلاته فوق جسدها، سقط سن من أسنانها حين اصطدم حذاؤه بفمها. تمسح بكم ثوبها الأسود الذي لم يعرف جسدها غيره دموعها ودمها."[3]

ومن رواية "الغائب" لأنيس بن عمار نقرأ عن كره للأب حتى بعد موته: "أرجوك كفي عن بكاء والدي يا أماه. فمهما هطلت أمطار عينيك المريضتين، لن تكفي لغسل دمامل جسدك وهو يمزقك يائسا ومخمورا قبل أن يرتمي جانبا ويشخر كمحرك مكسور إلى طلوع الفجر. أقسم أنني كنت سأكسر عليه الباب لأقتله في ليلة من تلك الليالي المغروسة في ذاكرتي كغابة من الشوك الأحمر... أقسم بشرفك يا أبي، ذلك الذي لم يبق لك منه شيء، بأنني عاملت ساقطات حي السان لوران أشرف مما كنت تفعل مع أمي... أفنت عمرها وعظامها في

(١) دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢.
(٢) الخبز الحافي، ص ٩.
(٣) خارج الجسد، ص ٢٠.

خدمتك. ماذا فعلت من أجلها...؟ سأجيب بـدلا عنـك لأن المـوتى لا يتكلمـون: لا شيء! تآمرت عليها مع الزمن فامتصصتها جسدها وبصرها. صحيح أنـك كنـت رجلهـا، ولكنـك كنت رجلا دون رجولة! تذكرت أنني أكبر إخوتي الثلاثـة وأنـت تبـصق عـلى وجهـي يومـا وتصرخ: ليس عندي فرنك واحد يا بن العاهرة! إن كنت تريد أن تأكل فاذهب وأنزل سطلا أو سطلين من الأسمنت في أي حظيرة من حظائر البناء كما يفعـل الرجـال. هيـا اغـرب عـن وجهي قبل أن أحطم رأسك بهذا الإبريق!"[١]

متلازمة اليوتوبيا

تشير "متلازمة اليوتوبيا" Utopia Syndrome إلى الأشخاص الحالمين بالجنـة المفقـودة والمدينة الأفلاطونية الفاضلة، الخالية من الشرور والعامرة بالحـب والوئـام والـسلام. حلـم الكثيرون بهذه المدينة وكتب عنهـا العديـد مـن المـؤلفين مثـل "الفـارابي" و"تومـاس مـور" Thomas More و"فرنسيس بيكون" Francis Bacon، لكنها ظلت عصية وبعيـدة المنـال. تُعرف هذه المتلازمة أيضا بـ "متلازمة الوادي الـسعيد" Happy Valley Syndrome نـسبة إلى روايـة "راسـلس" Rasselas للكاتـب الإنجليـزي "صـمويل جونـسون" Samuel Johnson.

تناول العديد من الروائيين فكرة "اليوتوبيـا" التـي تتحـول إلى "ديـستوبيا" Dystopia حزينة مجحفة، أو لنقل مستعيرين عنـوانين للكاتـب "تـشارلز ديكينـز" "الآمـال العـراض" Great Expectations التي تنتهي بـ "أوقات صعبة" Hard Times.

من هؤلاء الكتـاب "سـلام إبـراهيم" في "الحيـاة لحظـة"[٢] و"أحمـد خالـد توفيـق" في "يوتوبيا"[٣] و"أحمد القرملاوي" في "التدوينـة الأخـيرة"[٤] والتـي كتـب في مطلعهـا: "إلى الجنـة الغارقـة في الـضباب والأوهـام، أُهـدي قـصتي.. كـي ينكـشف الـضباب، وتـنجلي

(١) الغائب، ص ١٣، ١٤، ١٥.

(٢) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٣) ميريت، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٤) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٤.

الأوهام.."،[1] هناك أيضا "سهيل إدريس" في رواية "أصابعنا التي تحترق"[2] والتي سعى فيها إلى: "أن يخلق صورة مدينة فاضلة وفق وجهة النظر الاشتراكية مثل المعايير الولزية H. G. Wells لذلك يرى أن الحب، والأمن، والقانون، واستخدام المال في الطريق الصحيح، وتكريم المرأة يجب أن تسود البلاد العربية لكي تقترب من المدينة الفاضلة المنشودة."[3] يعطينا "حنون مجيد" معلومات أكثر عن هذه المدينة في روايته "المنعطف"[4] بقوله: "المدينة الكبيرة الواسعة والشوارع المستقيمة الممتدة، كما لو بلا حدود، كما في الحياة، الحياة فيها آمنة سعيدة، لا يحرسها حراس ولا ينام على أعتاب بيوتها مشردون."[5]

في رواية "المدينة الأخرى" قدم "خيري الذهبي"[6] هذا الحوار بين "أدهم" و"لاميس" حول المدينة الطوباوية التي حلم ببنائها في الصحراء:

- "سأذهب إلى الصحراء.
- وتتركني؟
- تعالي معي.
- لا أحب الصحراء، لا أحتمل وحشتها.
- سأبني المدينة الأولى بها. تعالي.
- والمسارح، والمراقص، وبوتيكات الملابس الأنيقة؟
- مدينة جديدة بشوارع طويلة مستقيمة ورياض أطفال، ونواد للعشاق، ومسارح للباحثين عن الراحة بعد عناء العمل.

---

(١) التدوينة الأخيرة، ص ٥.

(٢) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨.

(٣) حامد صدقي وآخرون، صورة المدينة في رواية "أصابعنا التي تحترق" في ضوء نظرية يتوبيا لجورج ولز"، فصلية "إضاءات نقدية"، السنة الرابعة، العدد ١٤، يونيو ٢٠١٤، ص ٩.

(٤) مكتبة الدرة، بغداد، ٢٠٠١.

(٥) المنعطف، ص ٥٥.

(٦) منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥.

- وحتى تقوم هذه المدينة كيف نعيش؟
- لن نعيش، بل سنبني.
- وحين نبني هل نتوقف عن العيش؟
- لن نحس بالتوقف عن العيش، فلذة البناء ستنسيك كل اللذات."(١)

في رواية "الواجهة" اقترب "يوسف عز الدين عيسى"(٢) من تحقيق حلم "اليوتوبيا"، لكن المنغصات كانت أكبر من حلمه. كتب يقول: "رفع الرجل المرتدي الروب رأسه الذي يشيع في الشيب، ونظر إلى الجماهير التي أمامه ولزم الصمت نحو دقيقة، ثم قال: ما أجمل أن يكون الإنسان نقيا كالماء العذب، طاهر النفس، نظيف اليد واللسان. إنني أباركم جميعا، وأتمنى لكم من السعادة وسعة الرزق وراحة البال ما أنتم جديرون به أيها الأصدقاء. ما أجمل أن نحنو على الضعيف ونساعد الملهوف. لقد سرنا منذ سنوات عديدة على هدى هذه المبادئ النبيلة الجديرة بمدينة طاهرة كمدينتنا. منذ عصور بعيدة موغلة في القدم، لم تقع في مدينتنا جريمة واحدة؛ إذ ليس تحت سمائها رجل منحرف أو أنثى معوجة الأخلاق. ولم تمتد يد لتسرق، ولم ينطق لسان بالفحشاء؛ مما دعا إلى إلغاء المحاكم وهدم السجون التي أقيم في مكانها مدارس ومساكن وحدائق رائعة الجمال. ولا بد أنكم لاحظتم أنني توقفت عن الوعظ والإرشاد فترة من الزمن؛ حيث لم يع لهما ضرورة، إذ ماذا أقول لأناس أطهار أبرار أمثال أهل مدينتنا."(٣)

متلازمة الإطار الثالث

كم هي متشابكة علاقات الحب، وكم هي حزينة فهناك مثلا مثلث العشق Eternal Love Triangle الذي تطول وتقصر أضلاعه وتحتد وتنفرج زواياه. إنه مثلث الحب والوجد والهوى. هذا المثلث الأبدي الذي يضم فتاتين ورجل أو رجلين وفتاة. إنه مثلث البعد والصد

(١) المدينة الأخرى، ص ٩ ، ١٠.
(٢) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.
(٣) الواجهة، ص ٩.

والجوي. إنه مثلث برمودا الذي أغرق ملايين القلوب المبحرة بلا أشرعة أو قلوع. إنه مثلث العشق والحزن والموت الذي يلتقي فيه ضلعان فقط في كل اتجاه من الاتجاهات الأصلية بينما يبقي الثالث خارج الحسابات الهندسية.. خارج المشاعر الإنسانية.. خارج الزمن.

المرأة والزوج والعشيق أو الحبيب، الرجل والزوجة والعشيقة أو الحبيبة، تلك هي الأضلاع الأبدية لهذا المثلث القاسي. إنه المثلث الذي جمع "جوينفر والملك آرثر ولانسيلوت" King Arthur, Guinevere and Lancelot أو ذاك الذي جمع "مارك وتريستان وإيزولد" Marke, Tristan and Isolde أو الذي جمع "سكارليت أوهارا وآشلي ويلكس وميلاني هاملتون" Scarlett O'Hara, Ashley Wilkes and Melanie Hamilton، أبطال "ذهب مع الريح" وكذا ابن "زيدون وابن عبدون وولادة بنت المستكفي".

تُصدر "هديل قاسم" روايتها "شُبهة"[1] بإهداء يضم هذه الكلمات: "لصديقتي التي التقيت بها صدفة بعد ثلاث سنوات ممسكة بيدها طفلها الصغير يحمل اسم حبيبها الذي قد عاهدها على أن يبقى بجانبها، فأبت بأن يحاسب على عهده فأسمت صغيرها باسمه! ولسؤالها المتكرر لزوجها لم أسميت ابنتي رغد."[2]

بكلمات بسيطة في روايته، "المغتربون"، عبر "محمد الاحسايني"[3] عن هذا المثلث بقوله: "يتشبث زيد بهند، ولا تلبث هند بدورها، أن يتزوجها عمرو، فتصبح هنا، مشكلة المشاكل."[4] يعرج "محمد صوف" على فكرة "الحب من طرف واحد" في روايته "دعها تسير"[5] وفيها تحب "نعيمة" "السي محمد" و"السي محمد" يحب "كريستين" و"عمر" يحب "وفاء" و"وفاء" تحب شخصا آخر. يختصر "محمد الجيزاوي" الحديث بقوله: "الحب الذي رفضته والحب الذي رفضني."[6] وفي موضع آخر من نفس الرواية: "أحببت أنا سارة حينما

(١) المكتبة الشعبية ناشرون، نابلس، ٢٠١٥.
(٢) شُبهة، ص ٦.
(٣) وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٨.
(٤) المغتربون، ص ١٨.
(٥) مطبعة الشروق، الدار البيضاء، ١٩٩٧.
(٦) في صحتك يا وطن، دار ليلى، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٥.

كانت غارقة في حب غيري وأحبتني هي في الوقت الذي قررت فيه أن ترحل عني."[١]
الثالوث الشهير موجود أيضا في رواية "العودة إلى الحب" لعبد البديع عبد الله،[٢] ويمثله الزوج "أحمد" والزوجة "ليلى" والحبيب "شوقي"، وكذلك "ظفيرة وحمدي ومنير بك" في رواية "من يحب الفقر" لعبد العزيز هلال.[٣]

أما "أميرة المضحي" فقد كتبت في روايتها "أنثى مفخخة"[٤] قائلة: "يومها قالت لي بأن اسمها شمس، وهذه بداية معرفتي بزوجة الرجل الذي أحب كما لم تحب امرأة رجلا من قبل، وغريمتي الشرعية والمجهولة. شعرت بأني سأختنق والدموع تتشردق في قلبي، فأطفأت السيجارة وشربت قليل من الماء وغصة ألم تشعرني بالمرارة. تذكرت صورتها بجانب سريره. يا له من قاس، كيف استطاع أن يحدثني عنها وعن حبه وخيبته، برغم معرفته بحبي وولعي وجنوني به."[٥]

في رواية "الينابيع" لعبد الله خليفة[٦] يعشق "محمد العواد" "مي"، لكن الأخيرة تتزوج من "الشيخ حامد"، صاحب السلطة والمال. في رواية "صدفة بتجمعنا" لمحمد عزب يقع الصديقان، "أدهم" و"سيف" في حب "هالة"، ويبدو أنها أيضا بادلتهما نفس الشعور، ثم كان عليها الاختيار فاختارت الأول، وبعد موت الأخير، أدركت أنها كانت تحبه هو. في رواية "جنين ٢٠٠٢" أعفت الفتاة الصديقين من الحرج لأنها، على حد قول المؤلف "أنور حامد"[٧] "لم تحب أي منا ووفرت علينا المواجهة المحرجة."[٨]

في "مثلث العشق" تبقى الزاوية الثالثة بلا مؤنس، وفي "متلازمة الإطار الثالث" Third Wheel Syndrome يبقى هذا الإطار بلا رفيق أو شريك كما في "التروسيكل" Tricycle. في

(١) المرجع السابق، ص ٢١٩.
(٢) منشورات روح العصر، القاهرة، ١٩٨٢.
(٣) إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٤.
(٤) مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠.
(٥) أنثى مفخخة، ص ١٣ – ١٤.
(٦) مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢.
(٧) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤.
(٨) جنين ٢٠٠٢، ص ٢٨.

الأعياد والحفلات أو المناسبات الاجتماعية تجد لكل شريك شريكة إلا هـذا الـشخص الـذي يبقى وحيدا بلا قرين أو رفيق. أحيانا لا يتجاوز نصيبه من العشق غير الحب مـن غـير أمـل. "الحب من طرف واحد... أستاذ الهندسة يرسم لنا على اللوح خطين متـوازيين، يمتـدان مـن أول اللوح حتى آخره، وهو يؤكد بأنهما لا يلتقيان مهما امتدا."[1]

في رواية "أرحام سماوية" نقابل هذا الشخص الذي تمنعـه مجموعـة مـن الأسـباب مـن الاقتران بامرأة ويخبر العنوسة الذكرية: "مضت على برسوم سنوات طويلة يشتهي النساء ولا ينال منهن شيئا. لم تهتم به امرأة قط. فقد الأمل في العثور على امرأة ترضى به زوجـا لهـا. كـم من مواسم للزواج أتت عليه وخرج منها مكسور الخاطر خفيض الرأس لأن الإناث تفـضل الذكر القوي المتأنق؟! لماذا يحصل شخص على كل ما يريد من مال وطعام ونساء ولا يجد آخر ما يتقوت به ويعيش محروما مشتاقا إلى امرأة يبث لهـا همـه فتـسمعه وتواسـيه وتمـشط شـعره بأناملها وتخبره أنه مازال في الحياة أمل؟! من الصعب أن تشعر أن وجودك وفقدك وحضورك وغيابك وحياتك ومرضك وجوعك وشبعك وابتسامك وحزنك وألمك وفرحك وجرحك ونصرك لا يفرق كثيرا عند الآخرين! ما أقسى أن تعيش لا يهتم بك أحد ثم تموت فلا يبكـي عليك أحد!.. علق برسوم في ورشته صور للأميرة ديانـا ونيكـول كيـدمان ومـارلين مـونرو واكتفى بالنظر إليهم وتخيلهم في حياته. إلى متى سيظل يتقلب في الفراش وحده؟!"[2]

تناولت "ياسمينة صالح" نفس الفكرة في روايتها "لخضر": "هل كان ممنوعا من الحب، كعملة ممنوعة من الصرف؟ لم يشعر قط بما يشعر به الآخرون الذين أحيانـا تنظـر إلـيهم فتـاة نظرة إعجاب وتمضي.. كل الذين ينظرون إليه يمضون بلا التفاتة، وحين يحاول أن يتحلـق في فتاة تعجبه، يشعر أنه يثير السخرية بشكله البائس وثيابه الرثة..! فهل كـان عليـه أن يواصـل عمره خاليا من الحب؟ فجأة صار يشعر أنه قاب قوسين مـن الانهيـار قبالـة حياتـه الكئيبـة، وعمله، والوجوه التي يقابلها يوميا ليحكي معها الكلام نفسه وليسمع منها الرد نفسه."[3]

---

(١) فاروق وادي، طريق إلى البحر، دار ابن رشد، بيروت، ١٩٨٠، ص ١١.
(٢) أرحام سماوية، ص ١٣٢، ١٣٣.
(٣) لخضر، ص ٤٦.

وأحيانا تتحول النقاط الثلاث إلى نقطة حين تنطبق الأضلاع كلها بل تنسحب إلى نقطة واحدة تدور حول نفسها بلا مؤنس ولا شريك. في رواية "دينا سليم" "الحلم المزدوج"[(١)] يفتش البطل الذي يعاني الوحدة عن المرأة، عن "أفروديت"، في الكتب ولا تغادر أمانيه حدود الورق: "ما أكثر المرات التي سرق فيها حبيبته، من بين السطور، رأى فيها أفروديت، إلهة الحب والجمال... زارها في صخرتها الغارقة بمياه البحار الصافي، كان كاللبن الرائب، بهرته الأمواج المزبدة، دعته إليها، يلبي لها طلبها خاشعا. رمى بجسده المرهق في أعماق المياه، ناشدها إنقاذه من لوعة الوحدة: أعوم في مياهك يا أفروديت، امنحيني سر الهوى، أرسلي لي سلوى المنى، أفرغي رئتي من كأس النوى. يلمح وجهها بين بياض الفراغات والنقاط السوداء، يلوح لها بقلمه، يمد خطا يجعل خياله أكثر إثارة وتشويقا، أيام متواصلة من خطوط الأوهام، أحلام تصطادها الأوراق."[(٢)]

A Dear John Letter أو خطاب يبدأ بعبارة "عزيزي جون" هو تعبير يُشير إلى إنهاء العلاقة العاطفية بين فتاة وشاب فشل في الاحتفاظ بها، وغالبا ما يخرج من قصته بـ "متلازمة القلب الكسير" Broken Heart Syndrome. في أحيان كثيرة يهيم فتى بفتاة، لكنها تبقيه دائما في دائرة الأصدقاء أو الإخوان. لا تنظر إليه كحبيب ولا تتخيله مطلقا كذلك، لكن لا بأس من استخدامه ككتف تبكي عليه وأذن تستمع إلى شكواها، والأنكى من ذلك أنها ربما استخدمته كرسول غرام. تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة جوفي الأخ الكبير" Goofy Older Brother Syndrome، نسبة إلى شخصية من عالم "ولت ديزني".

متلازمة لوحة المفاتيح التخيلية

تُشير "متلازمة لوحة المفاتيح التخيلية" Phantom Keyboard Syndrome أو "متلازمة الفأرة التخيلية" Phantom Mouse Syndrome إلى مدمني الكومبيوتر والإنترنت. هؤلاء الأشخاص حين يتركون الحاسوب أو "اللاب توب" لفترة يحركون أصابعهم وأيديهم كما لو كانوا جالسين أمام "الكومبيوتر".[(٣)]

(١) دار العودة، بيروت، ٢٠٠٣.

(٢) الحلم المزدوج، ص ٤، ٥.

(٣) هناك أيضا متلازمة التوهم بأن هاتفك المحمول يرن Phantom Ringing Syndrome.

الحاسب الشخصي والشبكة الدولية للمعلومات موجودان بوفرة في السرد الروائي العربي. في رواية "سفينة نوح" لخالد الخميسي[١] نقابل "أحمد عز" الذي يستخدم "الإنترنت" للتعارف على فتاة أجنبية ترسل له ليهاجر ويعيش في الخارج. في رواية "كلب بلدي مدرب" لمحمد علاء الدين[٢] نقابل شاب يتكسب عيشه من كتابة ورفع القصص الإباحية على "الإنترنت". في رواية "قطط إنستجرام" لباسمة العنزي[٣] تستخدم الراوية صفحتها لتطبق منها سهام النقد المجتمعي.

متلازمة ناتاشا

تشير "متلازمة ناتاشا" Natasha Syndrome إلى الفتيات الروسيات والأوكرانيات فائقات الجمال اللاتي تركن روسيا نظرا للظروف الاقتصادية الضاغطة وتدفقن على دول عديدة وامتهن الدعارة فيها. يُسميهن "محمد زفزاف" بصفة عامة في روايته "محاولة عيش" بـ "المومسات الوافدات".[٤]

خرجت الدعارة من المعابد وسكنت البيوت ذات الرايات. هناك دول تنظمها وتجبر البغايا على إجراء الفحوصات الطبية. على النقيض هناك دول تجرم البغاء. ومن أشهر البغايا في الأدب والسينما "بيل وتلنج" Bell Watling في رواية "مرجريت ميتشل" "ذهب مع الريح" والغانية في فيلم "امرأة جميلة" Pretty Woman والذي قامت ببطولته چوليا روبرتس Julia Roberts...الخ.

تشير المتلازمة بشكل عام إلى السياحة الجنسية أو ما يُعرف أحيانا بـ "متلازمة السكرتيرة الكندية" Canadian Secretary Syndrome.[٥] من رواية "العاشقان" لأحمد عبد الله متولي[٦] نقرأ هذه الكلمات: "قدمي تسير فوق أسفلت شارع بيزووتر Bays Water.. أشياء

(١) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٢) دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.

(٣) دار العين، القاهرة، ٢٠١٥.

(٤) منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٢، ص ١٠٧.

(5) Jeff Heinrich, "Sex Tourism in Full Boom", Ottawa Citizen, Ontario- Canada, 8th of January- 2007.

(٦) المجلس الأعلى للثقلفة، القاهرة، ١٩٩٧.

طريفة لا تنتهي ورحت أفكر في تهافت الفتيات على الزنوج، زنوج في كل مكان، وفي البارات، جئن نساء من بولندا والمجر وبنات من الصرب والبلغار.. جئن يعملن في تجارة الرقيق الأبيض."[١]

هناك شوارع عالمية عُرفت بالسياحة الجنسية، خذ مثلا (شارع سان دينيس بباريس وشارع ٧ بأنقرة والهرم بالجيزة والمتنبي بدمشق وزقاق عبد الله قش بتونس وشارع بورتلاند بهونج كونج ودي والين بأمستردام حيث تقف الفتيات عرايا في فاترينات العرض مثلها في ذلك مثل أي منتج يباع ويشترى ويسترد ثمنه إذا كان به عيوب ومنطقة لانجستراس في زيورخ وسوق شبرد في لندن وشارع لاينهول في بلفاست وشارع القطن في أبردين وشارع ١٤ في واشنطن العاصمة وشارع ٤٢ في نيويورك وشارع الملك في ميلبورن وشارع أوجستا بسان بولو)...الخ. تعرضت رواية "جواد السحب الداكنة" لعبد الجليل المياح[٢] للدعارة في "البصرة" القديمة من خلال شخصية "نارية". في رواية "السوافح.. ماء النعيم" لفريد رمضان[٣] نرى "نساء يمتهن الوقوف عند عتبات الأبواب... ليؤجرن أجسادهن."[٤] كتبت "بتول الخضيري" في روايتها "كم بدت السماء قريبة" ناقلة لقطة من حي "سوهو" Soho اللندني:[٥] "يدخل المرء ليجري مكالمة هاتفية بعشرة بنسات من صندوق الهاتف العمومي الأحمر، فيخرج محملا ببطاقات دعاية مغرية: ففي تعطيك خدمات خاصة، شقراء وسيقان، جميلة ماربل آرش تدعوك لحلم من الشرق الأقصى، هل جربت يابانية من قبل، تايلندية ليست في عجلة من أمرها، سيدتك الدافئة تنادي، عذابك سر سعادتي، مرفقة بأرقام تلفونات وصور من أجساد برونزية وزئبقية مرسومة على البطاقات."[٦] ننتقل إلى حلب ونقرأ أن الدعارة المقننة في رواية "بيلان" لموسى رحوم عباس:[٧] "بلغا بوابة قديمة، يقف

(١) العاشقان، ص ٢٧.

(٢) مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ١٩٦٨.

(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.

(٤) السوافح.. ماء النعيم، ص ٢٠.

(٥) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

(٦) كم بدت السماء قريبة، ص ١٥٨.

(٧) بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ٢٠١١.

أمامها شرطي ضخم البطن... تقدم حسينوه من الشرطي، وهمس في أذنه، ثـم وضـع في يـده شيئا، وهو يبدو كمن يسلم عليه، فضحك ذلك الشيء الضخم ومسح شاربيه الكثـين، وهـو يقول بصوت ممطوط:... تفضل!!... شخصت عينا الحاج جاسم فجـأة، تجمـدت الكلـمات على شفتيه... وصرخ كثور: حسينوه، انظر، هـل تـرى مـا أراه؟ إنهـا عاريـة، عاريـة تمامـا!! كالقطن الأبيض جسدها، كالقطن، كالقط... هذا مكان للمتعة يـا حجـي، وهـؤلاء النـسوة جاهزات لكل ما تريد!... جأر الحاج بصوت أعلى من سابقه، يعني (سوق القحاب)."[1]

نرى هذه الفتاة الروسية في شكل راقصة في رواية "العاطل" لناصر عراق[2] أُتهم البطـل بقتلها. ونرى الأجنبيات عامة، "ميرا" و"باولا" و"رادميلا"، لا يفعلن شيء سوى الجنس في رواية "عبد الرحمن منيف" "قصة حب مجوسية".[3] في رواية "عمـرو عبـد الـسميع" "الـدم والعصافير"[4] نقرأ: "إش.. إش.. بتروشكا تريـشكوفا.. فتـاة مـن جورجيـا، عـصفت بهـا إضرابات السقوط المزلزل للإتحاد السوفيتي... قطبا ماليا عملاقـا مـن البحـرين، ضـاجعها، فبهرته بحرفية ونمكية ابتكاراتها الخلاقة، وبـذمتها وتفانيهـا في الأداء.. ليقـرر أن يـضمها – وصديقها – إلى مجموعة مقتنياته البشرية، التي يحفـل بهـا قـصره في المنامـة... كـان صـديقها يدفعها لتتقن عملها الجديد، سبب نعمائهما، واستقرارهما، فطفـق يحـضها عـلى تعلـم أصـول الرقص الشرقي... وتجاوبت إش إش مع التعلم بـسرعة لافتـة... أصـبحت راقـصة القـصر الأولى، التي تشعل – كل يوم – حريقا من الإعجاب بين ضيوف الشيخ، ثم تطفئه مياه حمـام السباحة، حين تعوم فيه – مع زميلاتها – عاريات."[5]

متلازمة ١٦٦١

لا يُشير الرقم "١٦٦١" في "متلازمة ١٦٦١" Syndrome ١٦٦١ إلى عام ١٦٦١، بـل إلى المرأة التي يعتقد من يراها من الخلف بأنها في السادسة عشر من عمرهـا Sweet Sixteen

---

(١) بيلان، ص ١٧، ١٨.

(٢) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١١.

(٣) غدير رضوان، المرأة في روايات سحر خليفة، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٦، ص ٤٣.

(٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.

(٥) الدم والعصافير، ص ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠.

ربما نظرا لظهرها الممشوق ومؤخرتها الناتئة، لكن ما إن تلتفت حتى تبدو في الواحد والستين من الأمام.(١)

في رواية "روزا ياسين حسن" "حراس الهواء" نقابل هذه المرأة: "في ممر السفارة الطويل كانت تهرول! حذاؤها الشرقي من جلد البقر، الذي لا تنتعل إلاه، لا يكاد يطأ الأرض الصقيلة، وذيل الفرس يتطوح مناوشا ظهرها... لم أتمكن من اللحاق بها آخر الممر حتى كادت أنفاسي تتقطع: مدام.. مدام صوفي!! استدارت دِهشة كأن شيئا لم يكن، وابتسمت تحييني. من يرى وجه مدام صوفي، مديرة العلاقات العامة في السفارة، لن يقتنع أنه لظهر المرأة نفسها! من الخلف لن أصدق أنها تجاوزت الخامسة عشرة أو السادسة عشرة على أبعد تقدير، أما وجهها فيغص بتجاعيد دقيقة تحول صفحته الناصعة إلى ما يشبه ساحة حرب."(٢)

كتب "عبد خال" عن ملاحة الجسم ودمامة الوجه في "لوعة الغاوية": "كل رجال الحي يشيحون بنظرهم عن وجهها متحاشين رؤية فكها السفلي المعوج والكاشف عن لهاتها المدلاة والمبللة برذاذ فمها المتجمع بين فرجات أسنانها المبعثرة على فكيها وعدم انطباقهما.(٣) ذلك الانحناء المشين تسبب بانزواء وانكماش عينها اليمنى. تصيبها حالة نشوة لمقدم أي رجل غريب لعله يقع فريسة قدها الممشوق قبل أن يكتشف عيبها. مع مقدم الغرباء تحرص على تغطية وجهها جيدا، وتنشط في إظهار فتنة جسدها بلف عباءتها ولملمتها بين يديها لإظهار تقاسيم وانثناءات أعطافها وارتجاج ردفيها."(٤)

نقابل هذه المرأة أيضا في رواية "خيوط القدر": "عندما تأكدت صاحبة العقار من رفضي ساومتني عن نفسها أو قل راودتني عن نفسها مقابل إعارتي المبلغ ذاته بوصل أمانة. تحللت من الروب ووقفت هناك تنفث دخان سيجارتها وترقب رد فعلي. شاهدت في عينيها حجرة النوم والفراش... كانت كبيرة في السن وتشبه "البامية الشايخة" وكانت تسرف في

---

(١) Lisa Armstrong, "Age- Old Dilemmas", The Times, London, 18th of July – 2007.

(٢) حراس الهواء، ص ١١، ١٢.

(٣) المرأة التي تملك هذا الفك وتلك الأسنان يُقال عنها أن لديها "متلازمة حنا مونتانا" Hannah Montana Syndrome.

(٤) لوعة الغاوية، ص ٩.

الأكل أمام التلفاز حتى أصبح جسمها مثل القرنبيط... صبغت شعرها بلـون أحمـر عجيـب ووضعت على وجهها مساحيق متنافرة. كان جسمها مترهلا وبشرتها مجعـدة. لم يفلـح الـشد ولا الرفع ولا النفخ ولا الحقن في إعادة ماء الحيـاة إلى جـسمها الـذي فقـد الكـولاجين فـلا أكسير الحياة ولا الزئبق الأحمر قادر على مناوئة التيبس والتصلب الذي أصيب بهـما. صـدرها مرتخي وخصرها مختفي. ساقاها ملتصقتان وقدماها كبـيران. ظهرهـا مقـوس وبطنهـا تـشبه إبريق القهوة. ولأن قانون الحسن يقضي بأن المرأة القبيحة تملك شيئا واحدا حسنا فقد كانـت فتاكـات تملـك عجيـزة نـافرة ومتراقـصة وثقيلـة، وكانـت هـذه المـؤخرة الرجراجـة كفيلـة وحدها بأن تسيل لعاب أي رجل وتجعل ركبتيه تـصطكان. يمكـن للمـرء عـلى أي حـال أن يغطي وجهها بورقة جرائد كالموتى على الطرق السريعة ويـستمتع بهـذه العجيـزة. يمكنـه أن يغمض عينيه ويستمتع بعرض الأنوار الداخلية أو يستحضر وجها من وجوه نجمات الـسينما أو راقصة أو عارضة أزياء أو خلافه ويستحلب اللذة."[١]

وعلى الوجه المقابل للمتلازمة يمكننا القول بأن الشخص الذي يُفتن بامرأة من الخلـف هو عاشق للمؤخرات Assphilic. ونجد هذا النموذج في رواية "فاصـل للدهـشة" لمحمـد الفخراني ومنها نقرأ عن "بدري" الذي يركب الحافلات ليلتصق بمؤخرات النساء.

متلازمة الشخص البخيل

الشح صفة مذمومة في النفس البشرية. كتب "جوجـول" Gogol عـن هـذه الشخـصية الكريهة في رواية "الأنفس الميتة"Dead Souls . بطل هذه الرواية شديد البخل، كما أنه يحتفظ بما يلقيه الناس من مخلفات. تعرف الظاهرة الأخيرة بـ "متلازمة فـأر الكراكيـب Pack Rat Syndrome. نجد أثرا لــ "متلازمـة الـشخص البخيـل" Penny Pincher Syndrome في رواية "سحر خليفة" "باب الساحة" حيث تُضطر الزوجة أن تـسرق زوجهـا المقـتر عليهـا. نجده أيضا في شخص "على حمامة" في رواية "علاء الأسواني" "نادي السيارات".[٢]

في الحقيقة ينبغي علينا التفريق بين الشخص البخيل وبين الشخص الحريص في التعامـل مع المال أو المتاع والذي لا يحتفظ بـ "الكراكيب" حبا فيها، بل للانتفاع منها بالشكل الأمثـل

(١) خيوط القدر، ص ٣٠، ٣١.

(٢) دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣.

وإعادة تدويرها، وهي فكرة نبيلة تصب في خانة الترشيد والتوفير والحفاظ على البيئة Recycling. تناول "بهاء طاهر" النقطة الأخيرة في روايته "نقطة النور" في شخص "الست أنصاف" التي تبتاع الأشياء القديمة أو "الروبابيكيا" من الجيران وغيرهم وتخزنها في سحارة بالشرفة.

نقابل هذه الشخصية أيضا بشكل مستفيض في رواية "خيوط القدر" ممثلة في أسرة مصرية بسيطة فالأب يقوم بجمع الصفحات البيضاء من الكراسات والكشاكيل القديمة والذهاب بها للمطبعة لقصها وتنضيدها حتى يتم استخدامها من جديد. في موضع آخر نقرأ: "كل شيء في حياتي مستعملا أو أعيد استخدامه... علمتنا أمي – رحمة الله عليها– التدبير والتدوير، وكانت تستحق دكتوراه فخرية من أكبر جامعات العالم في الترشيد. الحاجة أم الاختراع والعوز يجعلك تستنبط الأفكار وتستخدم الأشياء حتى الرمق الأخير: فضلات الأكل للطيور، الورق يمكن الكتابة على وجهه الآخر أو وضع البطاطس المحمرة عليه ليشرب الزيت، صفائح السمن كشوالي زرع، قشر البرتقال للكعك وبواقي الكرنب كمخلل.. الخ... كانت –أضاء الله قبرها– تتردد على محل خردوات في زنانيري. تشتري من هناك كل شيء يساعدك على توفير المال: إبرة كبيرة أو مسلة لإصلاح الحفايات أو الشباشب، أساتك لتدكيك الجوارب والغيارات الداخلية.. كانت تقلب ياقات قمصاننا البالية وتخيط عليها شريط بلاستيك رقيق وشفاف حتى لا تبلى سريعا، كما كانت تشتري بواقي صوف المصانع بالكيلو من الساعة بكرموز لتصنع لنا بإبر التريكو بلوفرات للتدفئة... كانت أمي تقسم رغيف الخبز أربعة أجزاء حتى يظل نظيفا، ثم تحمص الباقي حتى يعيش أطول وقت ممكن أو تصنع به الثريد أو فتة العدس. كانت كذلك تنشف ما يتبقى من العيش الفينو ثم تقطعه شرائح وتقدمه لنا مع الشاي بالحليب عوضا عن البقسماط. كانت – جعل الله قبرها روضة من رياض الجنة – تحتفظ ببواقي الأرز في الفريزر ثم تضعه مع الأرز الجديد قبيل تشربه، وكنا لا نميز بين كليهما. كانت أمي حاذقة في خلط القليل بالكبير وإضافة الرديء إلى الطيب: قليل من القهوة الكولومبية مع البن البرازيلي، قليل من اللحم البلدي المفروم مع اللحم المستورد، قليل من اللبن الجاموسي مع أكياس اللبن التي كانت تحصل عليها في النوبتجية بالمستشفى.... كانت أمي من أوائل من استخدم مصطلح – تنظيف الثلاجة –

الذي لا يعني مطلقا تنظيفها بالماء والصابون، بل إخراج بواقي الطعام منها وتناوله على الغداء كفرصة أخيرة قبل أن يُلقى إلي الدواجن... كانت تنزع القشطة من الحليب وتخزنها في الثلاجة ثم تضعها على نار هادئة وتخلطها بالسمن الصناعي حتى تعيش أكبر فترة ممكنة. كانت رحمها الله أول من استنبط صابون الوجه متعدد الألوان؛ كانت لا ترمي بروة صابون غسيل الوجه بل تضيفها لقطعة الصابون الجديدة، وهكذا تعددت الألوان والأشكال. كانت أمي كذلك أول من صنع مرقة الدجاج وكانت تحصل على كميات كبيرة من الشوربة من مطعم المستشفى. كان الطهاة عادة ما يتخلصون من الكميات الزائدة فكانت أمي تأخذها وتطبخ بها خضارنا بدون لحم أو قرديحي كما يقولون، كما كانت تبخر المياه وتحفظ البهاريز في أكياس وتضعها في الفريزر... نعم.. كل شيء في حياتي مستعملا. عندما كنت صغيرا كانت أمي تجلب لي الكتب الخارجية وأوراق الدروس الخصوصية من معارفها، وكنا نجلس بالساعات نمسح بالممحاة الكتابة الموجودة بالقلم الرصاص. العجلة الوحيدة التي امتلكتها كانت لابن جار لنا أصبح حجمها غير مناسب له... هاتفي مستعمل وملابسي مستعملة قادمة من الخارج. عادة ما تكون هذه الملابس للموتى من الأوربيين.... أحذيتي من الباعة الذين يقفون بعربات أو يفرشون بضائعهم في محطة مصر وقد تكون مسروقة من الجوامع. أحصل علي الأدوية من رفوف المساجد أو بعض العينات الطبية من مركز صحة الحضرة حيث أعرف ممرضا هناك... أشتري بواقي تنظيف الجبن الرومي أو التركي كما يسمى في الإسكندرية. صحيح أن به فطر واضح، لكني معدتي كمعدة النعام قادرة على هضم الزلط. أخلط شاي التموين بنوع آخر جيد نسبيا حتى يستمر معي لفترة. البسكويت الذي أشق به ريقي مع القهوة كل صباح يسمى كسر واشتريه بالكيلو من منفذ المصنع في السيوف. أشتري معلبات الطعام من الرف المخصص للأصناف التي أوشك تاريخ صلاحيتها على الانتهاء أو بها عيوب أو خبطات أثناء النقل والتداول فتباع بنصف الثمن. بالأمس ابتعت جوارب من مخلفات مصر للطيران وقف رجل يبيعها بالجملة. صحيح أنها قصيرة، لكني أستخدمها للتدفئة وأرتدي فوقها جوربا آخر. أشتري أيضا تي شرتات الدعاية الخاصة بالشركات والتي يحصل عليها أناس من الأبواب الخلفية ويعرضونها للبيع بأسعار متدنية. البطانية التي أفرشها على السرير للتدفئة من كهن الجيش. أقرأ الصحف المجانية التي تأتي لقضاة المحكمة وأستعير

المجلات المرتجعة من بائع جرائد يقف على الناصية. إطار النظارة التي أرتديها صيني يباع على الرصيف بعشرة جنيهات. ملابسي الداخلية فرز ثاني من شركة كابو... بدأت أحس أني أيضا مستعمل ومستنزف ومستهلك ولا أصلح لشيء. اشتقت كثيرا لرائحة الأشياء الجديدة حين تفضها. أدخل محلات كثيرة فقط لأشم هذه الرائحة التي يمتزج فيها البخور مع النفتالين. تولدت لدي عقدة جمع الشنط البلاستيك الخاصة بالمحلات الكبيرة والعلامات التجارية المشهورة التي يطلقون عليها اسم ماركة أو سينيه. لدي العشرات منها وكذلك ورق السوليفان الذي لا أعرف حقيقة ماذا سأفعل به؟! ما الجديد إذن في حياتي؟! لاشيء. والآن تعرض عليّ الست أنوار زوجة مستعملة. تقول أنها تزوجت لمدة شهر فقط... استعمال طبيب... تذكرت أبيات لنزار يقول فيها: يكفيه ذلا أنه قد جاء ماء البئر بعدي. هل يمكن أن تشرب من بئر تعكر مائه؟! ألا يشبه ذلك من يغلي تفل الشاي أو يدخن أعقاب السجائر السبارس أو ينحت قشر البطيخ أو يستحلب نوى ثمار المانجو أو يمصمص عظام الفروج أو يمضغ علكة كانت في فم غيره؟! صحيح أن المرأة متجددة مثل الأرض والأرض لمن يحرثها، لكن أول قطفه وأول ايد أوالبشاير لا يضاهيها شيء في الوجود."[1]

متلازمة ذكر أسماء الأشخاص المهمين

"متى استعبدتم الناس وقد خلقتهم أماتهم أحرارا"، كانت هذه مقولة عمر بن الخطاب وهو يناول القبطي السوط ليضرب "ابن الأكرمين". حين قامت الثورة الفرنسية رفعت شعارات "الحرية والمساواة والإخاء". حققت فرنسا الحريات من حرية الصحافة والتجمع والانتقال والرأي والاعتقاد وخلافه. الثورة البلشفية ركزت على المبدأ الأخير فقدمت للعالم مصطلح "الرفيق". أما مبدأ "المساواة" فقد بقي بعيدا عن التحقق قبل وبعد الثورات. وإن حاججت باحثا في هذه الثورات أن "الناس متساوون كأسنان المشط"[2] فسيقول لك أن حتى أسنان المشط متفاوتة في الطول وفي المسافة بينها. تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة مزرعة الحيوان" Animal Farm Syndrome.، ففي هذه الرواية الشهيرة لجورج أورويل رفعت

(١) خيوط القدر، ص ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤.
(٢) حديث ضعيف، موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة – ج ١٥، حديث رقم ٢٧٩٩٥.

ثورة المزرعة شعار "كل الحيوانات سواسية". بعد مرور فترة واستيلاء الخنازير على الحكم والتفرد به والاستحواذ على المميزات غيروا الشعار إلى "كل الحيوانات سواسية، لكن بعض الحيوانات أكثر سواسية من الآخرين" All animals are equal, but some animals are more equal than others، وقد تناول "يوسف السباعي" هذه المتلازمة في روايته "رد قلبي".[1] في هذه الرواية بشر "السباعي" بعهد جديد بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ تسود فيه المساواة بين طبقات المجتمع المصري، لكن هل حققت الثورة هذه المساواة واتت على المحسوبية والرشاوي والواسطة؟!

حين نتناول الواسطة على سبيل المثال التي تجرمها الدساتير والقوانين نجد أنها حاضرة في مصر وغيرها. ببساطة لكل إنسان المفاتيح التي يستخدمها حين تضيق به الحياة أو تتأزم أو يقع في موقف سيء أو يريد أن يحقق شيئا ما كالفوز بوظيفة أو إنهاء معاملة أو خلافه Pulling Strings. يقول المثل المصري "من له ظهر لا يُضرب على بطنه". ونحن نقول بدورنا من ليس له ظهر فليس له في جمهوريات الموز سوى الضياع والحسرة. كتب "سعيد سالم" في روايته "الشيء الآخر":[2] "شاب تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بتفوق ثم حصل على الماجستير، ينتحر بإلقاء نفسه في النيل لأنه لم يُقبل في امتحان بوزارة الخارجية رغم تفوقه على الممتحنين كافة، وذلك لأنه – حسبما أعلنوه على الملأ – غير لائق اجتماعيا لانتمائه إلى أسرة فقيرة."[3]

تشير "متلازمة ذكر أسماء الأشخاص المهمين" Name Dropper Syndrome إلى ما يقوم به البعض من دس أسماء أشخاص مهمين بارزين في كلاهم حتى يوهم مستمعيه أنه شخصية لها علاقات، وقد يكون كل هذا من باب الكذب والاحتيال، وأنه يستخدم هذه الأسماء دون معرفة حقيقية بهم.

هذه الفكرة حاضرة في رواية "خليل حسن خليل" "الوارثون"[4] بالرغم من صدق البطل وعدم تقصده لاستخدام أسماء أشخاص كبار لينال الوظيفة. في المقابل نقف على

(١) مكتبة مصر للمطبوعات، القاهرة، ١٩٩٨.
(٢) دار مطابع المستقبل ومكتبة المعارف، بيروت، ٢٠٠٤.
(٣) الشيء الآخر، ص ٥.
(٤) مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨.

المعنى الحقيقي لعدم المساواة والمحاباة: "دخل على النائب العام بخطوات واثقة، وقامة سامقة...

- نعم؟

نعم وأنا واقف، ولا يدعوني للجلوس؟ هل هذا الرجل يعلم أنني أحمل المؤهل نفسه الذي يحمله؟ ربما أكون أكثر منه تفوقا... هذه الحجرة المترفة، ومقاعدها الفاخرة، هي حجرة الدولة، التي ينتمي لها حسن، كما ينتمي هذا الرجل. إنه يؤدي وظيفة عامة. يتقاضى ماهيته من الضرائب، التي يدفعها الفقراء، أكثر مما يدفعها الأغنياء. جلس على أحد المقاعد. وأجاب النائب العام:

- جئت لساعدتك، لتعييني وكيلا للنائب العام.

سأله النائب العام سؤالا غير متوقع:

- من الذي قال لك أن تحضر إلى مكتبي؟

- لا أحد.

تبرم النائب العام قائلا:

- السكرتير قال أن حيدر باشا هو الذي أرسلك.

- الحق أن حيدر باشا لم يفعل، ولكن ياوره قال لي أن الباشا تحدث مع الباشا النائب العام.

- معالي حيدر باشا لم يحدثني.

سكت برهة...

- ... سوف أذكر لك شرطا أساسيا من شروط القبول في وظائف النيابة العامة. الشرط الأول ليس التقدير: ممتاز أو جيد جدا. ولكن يجب أن يكون المتقدم من أسرة.

رد حسن في الحال:

- أنا من أسرة وكل الناس من أسر.

- هل أنت ذكي، أم تتذاكى عليّ، الأسر معناها الأسر الكريمة، ذات الثراء، والوجاهة، والوضع الاجتماعي المميز. هل فهمت؟"(١)

متلازمة الدخل المزدوج مع عدم وجود أطفال

العقم وعدم القدرة على التلقيح أو التخصيب، وكذا الحمل والإنجاب أمور موجودة في حياتنا وفي الروايات التي تعكس واقعها المعاش. في رواية "رشاد أبو شاور" "سأرى بعينيك يا حبيبتي"(٢) نقابل "صخر" العقيم الذي لا يستطيع أن يمنح زوجته طفلا، بل ويداري هذا الأمر بشرقية دونية لرجال يخجلون من أن يعرف الآخرون عنهم أنهم معتلين ولا يتورعون عن إلصاق العيوب بقريناتهم. يؤكد هذا الطرح "سيف شمس الدين الألوسي" في روايته "العودة إلى جذوري البدوية"(٣) بقوله: "كم يشعر الإنسان البدوي بالعار إذا لم يكن لديه أولاد."(٤)

في "قلادة قرنفل" لزهور كرام نقابل "زهرة" المرأة القروية البسيطة العقيم، وكذلك "نعمة" في رواية "الفراغ العريض" لملكة الدار محمد عبد الله.(٥) في رواية "حياة أخرى" لهدى عيد نقابل "فاطمة"،(٦) امرأة متعلمة ومثقفة، لكنها محرومة من الإنجاب. في رواية "ليلة الغياب" لمسعودة بو بكر(٧) تنعت "فائقة" رحمها بالخيانة: "من لك يا فائقة؟ انهار كل شيء.. خانك رحمك، وخذلتك أمومتك... والزوج يبحث عن أنثى ولود.. أرض خصبة توازي فحولته."(٨) المرأة العقيم أو "النخلة الذكر" كما تُعرف في العامية المصرية موجودة

(١) الوارثون، ص ٨ – ١٢.

(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.

(٣) دار ميزوبوتاميا، بغداد، ٢٠١٤.

(٤) العودة إلى جذوري البدوية، ص ١٧.

(٥) المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون، الخرطوم، ١٩٧٢.

(٦) دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٢.

(٧) دار سحر للنشر، تونس، ١٩٩٧.

(٨) ليلة الغياب، ص ٢٦.

أيضا في رواية "السيد الذي رحل" لمحمد قطب[١] ومنها نقرأ: "ودخلت إلى حجرتها، وأطلت في المرآة، لاحت عيناها الخضراوان وشعرها المسترسل ووجهها المشرب بحمرة الشفق فارتعش قلبها واهتز جسدها وتمتمت في اطمئنان واثق: إن لم ألد فمن يلد! لا يُتصور أن يحمل هذا الجمال جدبا وانقطاعا."[٢] ولعل من المناسب أن ننهي النقطة بهذه الكلمات من رواية "في معنى أن أكبر" لليلى الجهني:[٣] "إنني أكبر و وأبلغ أربعيني دون طفل ومع ذلك فإن اسمي لن يُمحى كما تظن نسوة كثر حول، وحياتي لن تفضي إلى خواء. ما أنجبته عصي على الموت، وكل ما أعرفه عن الحياة جعلني أدرك أن الخلود حلية من يعي لا من يتكاثر."[٤]

تشير "متلازمة الدخل المزدوج مع عدم وجود أطفال" DINK Syndrome (Double Income, No Kids) إلى زوجين، كل منهما يعمل وله دخل، لكن ليس لديهما أطفال، مع اختلاف الأسباب: عجز الرجل، عقم المرأة، الاتفاق على عدم الخلفة، القسمة والنصيب... الخ.

في رواية "هيفاء بيطار" "أفراح صغيرة.. أفراح أخيرة"[٥] تلجأ البطلة العقيم إلى التلقيح الصناعي، لكن دون جدوى. تقدم هيفاء بيطار في هذه الرواية تراكيب لفظية واستعارات لغوية جديدة ثم تقع في حب ما تكتب وتستنبط: "رحم متخشب، رحم متخشب لم تنبت فيه بذرة... توقفت عن الكتابة، أصابها انقباض، تساءلت كيف ابتدعت هذا التعبير الآن (رحم متخشب)؟ هل حمل أختها له علاقة بما كتبته أم أن ما كتبته كان يتكون في دورق إحباط يوم الجمعة؟ مهما يكن فهو رحمها بالتأكيد، أتحاول أن تكتب قصيدة.. أوه أما انتهت من هذا الموضوع يا هيام؟! سألت نفسها فحين همت بشطب ما كتبته، عدلت عن فكرتها بقوة مفاجئة هبت فيها، لا، لن تشطبه، بل ستتركه، رضيت عن ابتكارها لهذا التعبير، أحب الربط بين العقم والحب... ما أسهل أن تضيع سنوات عمرك، ما أسهل أن تحترق الأعصاب، آلاف

---

(١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

(٢) السيد الذي رحل، ص ١٢٨.

(٣) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٩.

(٤) في معنى أن أكبر، ص ٣.

(٥) الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠٠٨.

الأيام تعاقبت، آلاف الليالي، وأنت توسدين رأسك على وسادتك، وتحلمين الحلم ذاته، تحلمين بدائرة مجهرية صغيرة تنطلق من مبيضك طوال سنوات الانتظار، تكون نواة طفل.. ترى ألم يَرِق مبيضك طوال سنوات الانتظار، ويفرز بويضة جاهزة للقاح؟! بويضة واحدة فقط."[١]

العجيب أن بعض النساء يشعرن حين تُخصب بويضاتهن، أو هذا ما أورده على الأقل "محمد الأشعري" في روايته "القوس والفراشة":[٢] "وفي لمح البصر تتالت أمامي مشاهد من حياته السريعة، منذ صباح ذلك اليوم الذي أعلنت فيه زوجتي وهي تقوم من فراش النوم، وترفع شعرها إلى الأعلى بيديها المفتوحتين، أنها متأكدة من إخصاب بويضتها إثر تلك المضاجعة الطويلة والهادئة لليلة أمس."[٣]

ونعود إلى "هيام" المثقفة الجميلة التي شارفت على الأربعين بلا طرح أو ثمر فنجدها قد أُصيبت على الأرجح بأزمة نفسية جعلتها تتخيل حملا كاذبا ووهميا Phantom Pregnancy:[٤] "ورغم أنك لم تؤمني يوما بالمعجزات، ولم تقرئي في كتاب مقدس، إلا أنك سافرت إلى لبنان، وصعدت الدرج الحلزوني الذي يضيق ويضيق لينتهي بتمثال العذراء مريم... وهناك وقفت بخشوع عند قدمي العذراء وقرأت ما كُتب بخط عريض، - يا سيدة لبنان صلي من أجلنا - وانهمرت دموعك سخية... كنت قد سمعت أحاديث النسوة أن شفاعة العذراء، ساعدت فلانة وفلانة فحملت، وفعلا أحسست بعد أيام كأن شيئا بك تغير... وقصدت الطبيب مهتاجة من الفرح... وببرود أجري لك تفاعل الحمل السريع وكان سلبيا."[٥] الحمل الوهمي تناوله "سليمان فياض" في روايته "وبعدنا الطوفان":[٦]

(١) أفراح صغيرة.. أفراح أخيرة"، ص ٢٦، ٢٧، ٤٢.
(٢) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١١.
(٣) القوس والفراشة، ص ١٥، ١٦.
(٤) حمل كاذب آخر أو لنقل بعض أعراض الحمل يشعر بها الزوج تضامنا وتعاطفا مع زوجته، وتسمى هذه الظاهرة بـ "متلازمة كوفاد" Couvade Syndrome.
(٥) المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣.
(٦) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

- "أنا حامل. لم تأتني العادة الشهرية تسع دورات. تقيأت. دارت بي الأرض. سمعت ضربات قدميه ويديه في جنبي. أمسكته بيدي غير مرة.

فقال حسن مؤكدا:

- يا سيدتي. أنت حامل بالوهم. ليس في رحمك شيء."[1]

في رواية "أرحام سماوية" يأخذ الطبيب "رامز" وسيدة الأعمال "سجدة" خطوة أكثر شططا فقد جربا التلقيح الصناعي أكثر من مرة دون طائل: "كان لديهما المال اللازم للذهاب إلى أفضل المراكز التي يديرها أحد أصدقاء رامز لخوض تجربة طفل الأنابيب. كررا المحاولة أكثر من مرة، لكن دون جدوى. زادت المرارة في حلق الدكتور رامز وزوجته التي دعته للزواج عليها. لا شك أنه يشتاق إلى طفل يداعبه؛ طفل يحمل اسمه؛ يفتخر به بين أقربائه؛ يُنهي حالة السأم والضجر التي تتملكه؛ يضمه لصدره؛ يقبله في فمه؛ يشم رائحته؛ يملأ الفيلا صراخا وضحكا؛ يمتطي ظهره؛ يلعب معه؛ يتلقفه من فوق المقاعد؛ يشتري له لبس المدرسة؛ يعلمه العوم وركوب الدراجات.. لكنه يحب سجدة ويريد أن ينجب منها لا من غيرها."[2]

يقرر الزوجان أن يقوما سرا وبمساعدة أحد أصدقاء "رامز" بعملية استئجار رحم Surrogacy، رغم أنها غير مُقننة في مصر، لكن الرغبة في الإنجاب دفعتهما إلى المضي في هذا الدرب. وشاءت الظروف أن يقع الاختيار على "عطيات"، خادمة صعيدية معوزة أخفت عنهما أنها قبطية. ونتحول هنا إلى "عطيات" لنرصد مراحل الحيرة لديها في قبول هذا الأمر: "أمضت عطيات الليل مسهدة، ولم يغمض لها جفن وهي تفكر في عرض مدام سجدة. إذا وافقت هل يعني ذلك أنها ستفقد عذريتها؟ لكن ما جدوى العذرية في وجود الفقر؟ ما أصعب أن تفقد المرأة بكارتها بمشرط الطبيب لا بفرج الحبيب، لكن فقدان غشاء البكارة بمشرط الجراحة أفضل من أخذ الشرف بيد الزوج وأمه وأخته كما فعلوا بصديقتها المسلمة حبيبة والتي ساءت نفسيتها بعد هذه الواقعة. فقدان غشاء البكارة أفضل من ترقيعه.. نعم

(١) وبعدنا الطوفان، ص ٩٨.

(٢) أرحام سماوية، ص ٨٣، ٨٤.

فلولا الدكتور رامز ربما كانت عطيات تهيم في الإسكندرية وتمارس الرذيلة. لا شك أن أمها ستحزن كثيرا في قبرها. لطالما طلبت منها أن تحافظ على غشاء بكارتها. لا بأس فقد حافظت عليه ولم تسمح لرجل باختراقها. ثم أن الغاية نبيلة وربما كانت سببا في إسعاد شخصين.. لكن الدكتور رامز مسلم.. أجل، لكنه أيضا طيب وعطوف. ثم أن هذا حمل غير تقليدي ولا تشارك فيه إلا بالغذاء الذي يدفع الدكتور رامز ثمنه. تعرف أسرة مسيحية ترسل أرزا وزيتا ودقيقا لبعض المسلمين الفقراء في الصعيد. ما الفرق بين هذه الحالة وحالتها كأم حاضنة؟! ثم أن البتول حملت دون مباشرة.. ثم أنها لم تفكر كثيرا في أمور الدين من قبل، بل وليست من المترددين على الكنائس والمتابعين للقداس والمواعظ... ألح طيف أمها عليها تلك الليلة كثيرا. تذكرت كيف كانت تضع بيض الدجاج ليفرخ مع بيض البط، وكيف كانت أنثى البط تعامل كلاهما بنفس القدر من الاهتمام! تذكرت كيف كانت أمها تنتقي بيض الدجاج الملقح، وكم كان جميلا أن ترى الأفرخ لحظة خروجها من البيض."[١]

متلازمة الكنة والحماة

الصراع بين الكنة أو الزوجة والحماة صراع إرادات أوجد متلازمة تحمل هذا الاسم Mother & Daughter – In- Law Syndrome ويذكرنا بصراع أو بالأحرى بـ "متلازمة توم وجيري" Tom and Jerry Syndrome. يصبح هذا الصراع على أشده عندما يكون الزوج هو الابن الوحيد. كلتاهما، الزوجة والأم، تسعى إلى الاستحواذ على الابن الذي يبقى حائرا بينهما وقد تتحطم حياته بسبب هذا النزاع. الحماة تنظر إلى الزوجة على أنها سارقة لابنها والزوجة تنظر للحماة على أنها امرأة متسلطة تريد التحكم في بيتها.[٢] في بعض الأحيان تلعب الأخت الكبيرة دور الحماة.

هذا الصراع موجود في السرد الغربي، لكنه لا يصل إلى هذه الدرجة من الحدة كما هو في الشرق نظرا لتفاوت الثقافات. تناول "توفيق يوسف عواد" هذا الصراع في قصته "قميص

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) عالجت السينما المصرية هذا الصراع في أعمال عديدة نذكر منها "حماتي قنبلة ذرية" و"حماتي ملاك" و"الحموات الفاتنات" و"أم رتيبة" و"الشقة من حق الزوجة".

الصوف"،[1] كما تناولته "ليلى الأطرش" في رواية "ليلتان وظل امرأة"، كما أنه موجود أيضا في رواية "زكية عبد القادر" "آمنة"،[2] وفيها تتدخل أم الزوج في الكبيرة والصغيرة وتصنع الأحجبة للتفريق بين الزوجين. وهذه النماذج السردية تأتي على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر.

من رواية "أيام القبوطي" لسهام بيومي[3] نقرأ: "كانت الغيرة قد أكلت قلب نساء الدار، فما أن وصلا حتى أخذت حماتها تلقي إليها الأوامر بالأعمال التي يجب أن تقوم بها وهي توجه إليها السباب، وانتهزت بقية نساء الأسرة الفرصة للاحتكاك بها، وانتحين بها جانبا وتكالبن عليها."[4] كتب "عبد الرحمن فهمي" في روايته "دموع رجل تافه"[5] معلقا على شجار بين الزوجة والحماة: "وكنت أعرف أن زوجتي تكذب، وأنها ردت على أمي كلمة بكلمة، وأنهما ظلتا تتبادلان الشتائم، حتى خرجت زوجتي منهزمة، فهي دائما تنهزم أمام قاموس أمي المختار. ولكنني ابتسمت وتظاهرت بتصديقها. وعندما أرجع إلى البيت ستقول لي أمي أن زوجتي هي التي شتمتها، وأنها علت صوتها حتى لمت الجيران، وأنها أخذت تهدئها وتقول لها عيب يا بنتي.. وأنا في مقام أمك.. وربنا وصى بالوالدين إحسانا.. إلى آخر هذه الأسطوانة التي تحكيها لي كل مرة. وسوف أتظاهر أيضا بتصديقها، وأطيب خاطرها بكلمتين، وقد أزعق لزوجتي أمامها بعد أن أغمز لها بعيني."[6]

لكن الزوجة تنتصر في مواقف أخرى. في قصتها "عمر الجنة" استنبطت "حنان الشيخ"[7] شخصية "فاتن" التي تتصنع الجنون وتنتحل شخصية مغايرة حتى تتخلص من حماتها، بل وزواجها: "هجمت على أم زوجي أعضها من أنفها. لطالما كرهت أنفها... تنظر إلى السماء وتنادي مستنجدة بالله حتى يخبرها عن الإثم الذي اقترفته من غير أن تدري.. إذ

---

(١) مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥.

(٢) منشورات قلم، تونس، ١٩٨٣.

(٣) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٤.

(٤) أيام القبوطي، ص ٢٧.

(٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٦) دموع رجل تافه، ص ٩٧ – ٩٨.

(٧) من مجموعة "أكنس الشمس عن السطوح"، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٤.

لابد أن الله ينتقم منها بجنوني هذا: ماذا فعلت غير أني اخترتها زوجة لابني لأنها تنحـدر مـن أفضل العائلات فأجيبها على دعائها هذا برفع قدمي إلى السماء، اسأل الله أن يخبرني لماذا أشعر بهذا الحر. أطلب منه (الزوج) أن يرمي لي بعض القطع الثلجية حتى تمدني بالبرودة، وأنا أرفع تنورتي حتى أتلقاها، فيهجم زوجي ويحاول أن يسدل تنورتي ويـستر لحمـي... لا أسـمع إلا صوت يتساءل، يلوم ويندب لأنه لا يعرف أن يتخذ قرار في مسألتي. هي التي اعتـادت عـلى تسوية كل الأمور، بينما يكتفي زوجي بترديد جملـة: لا حـول ولا قـوة إلا بـالله... تـصيح أم زوجي: مجنونة أقر الطبيب بهذا... سأزوجك مـن أخـرى بعـد أن نعيـدها إلى أهلهـا... أمـا الأولاد فلا بـأس علـيهم في مدارسـهم الداخليـة... الـزواج مثـل كـل شيء في الحيـاة حـظ ونصيب، من قال أن التفاح الذي ينخره الدود ليس بأحمر وليس بشهي من الخارج."[1]

أما "أحمد خيري العمري" فقد خلق علاقة متأزمة بين الكنة والحماة في روايتـه "ألـواح ودسر"[2] لدرجة أن الأولى تتجاهل أو تتغافل – كنوع مـن التـشفي والانتقـام – عـن إنقـاذ الأخيرة الأمر الذي أودى بحياتها: "والدة زوجي، كانت قد خرجت في الليل لتتأكـد مـن أن أحدا لم يمس مؤونة الطعام التي تخصها، عندما سقطت في البئر، وظلت تـصيح إلى أن ماتـت دون أن يسمعها أحد... بيني وبينكن يا سيدات، لقد سمعتها تصرخ ولكني تجاهلت الأمـر، لم أكن أدري أنها ستموت. ولم أخبر زوجي بأني سمعتها كي لا يغضب."[3]

متلازمة الطرف الوهمي

حين يفقد شخص ذراعه أو قدمه أو ساقه فإنه أحيانا ينتابه شعور بأن إحساسا ينبض في موضع هذا الجزء الذي لفه الثرى. "الجسم يحن"، هذه هي العبارة العامية التي تشير إلى ذلك الشعور النبيل والموجع، وتُستخدم بشكل رئيسي لوصف الثدي الذي ينز الحليب بعـد فطـام الطفـل. وإجمـالا تعـرف هـذه الظـاهرة بــ "متلازمـة الطـرف الـوهمي" Phantom Limb Syndrome، وكلمة "وهمي" هنا تعني أن هذا الطرف أو العضو غير موجود، لكن الشخص

(١) أكنس الشمس عن السطوح، ص ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦.
(٢) دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩.
(٣) ألواح ودسر، ص ١٨.

يتوهم وجوده. في الحقيقة، يبدأ هذا الشعور مباشرة بعد عملية الفقد أو البتر Amputation. يقولون أن الوزغ إذا فقد ذيله ينمو له آخر، والشجرة إذا بُتر ساقها نما جذعها من جديد ما لم تُجتث من الجذور، لكن الإنسان – مع الأسف والأسى – لا ينعم بهذه الميزة، والأجهزة التعويضية أو الأطراف الصناعية – مع تقدمها – تبقى كما يشير اسمها "صناعية"، أي ليست كتلك التي خلقها المولى عز وجل.

الإعاقة وذوي الاحتياجات الخاصة وبتر الأوصال واستئصال الأطراف، كلها حاضرة بقوة في الرواية العربية خاصة مع ما تعج به المنطقة العربية من حروب وما يرقد في ثراها من ألغام، ناهيك عن تلوث طعامها وهوائها.

تخبر المرأة الفقد في مرحلة مبكرة مع الختان الذي يعني للمرأة أكثر مما يعني للرجل، فربما فقدت معه المتعة واللذة، وكلاهما حق أصيل للكائن البشري، مثله في ذلك مثل الطعام والشراب. من رواية "نهاية سري الخطير" لزكية خيرهم[١] نقرأ: "أمسكوني وأنا اصرخ بكل ما لدي من قوة، وقطعوا جزءا من جسمي بشفرة غير معقمة، أُصبت بعدها بالتهاب عدة أسابيع حتى كدت أن أموت وأغم عليّ."[٢]

ومن مرثية الشفرتين إلى مرثية الأثداء المستأصلة والآلام النفسية الأنثوية المصاحبة لها والتي يُمكن أن توصف بأنها طويلة كالمعلقات، وممتدة في السرد الروائي العربي. يكفي فقط أن نشير إلى رواية "يوميات امرأة مشعة" لنعمات البحيري[٣] ورواية "غايب" للكاتبة "بتول الخضيري"[٤] ورواية "ممرات للفقد" لهويدا صالح[٥] ورواية "العراء" للمؤلفة "حفيظة بيبان".[٦]

في رواية "صائد اليرقات" لأمير تاج السر يفقد رجل الأمن "عبد الله حرفش" ساقه اليمنى أثناء الخدمة وبسببها. من رواية "الطيور لن تعود" لعبد المقصود محمد[٧] نقرأ: "كان

(١) دار زاوية للفن والثقافة، الرباط، ٢٠٠٨.
(٢) نهاية سري الخطير، ص ٢٢٣.
(٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.
(٤) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.
(٥) الدار العربية للعلوم ناشرون – نادي جازان الأدبي، بيروت، ٢٠١٤.
(٦) دار نقوش عربية، تونس، ٢٠١٢.
(٧) روايات الهلال، القاهرةن ١٩٨٥.

يبيع في القطارات فوقع بين قطارين وفقد ذراعه الأيمن."[1] في رواية "بئر زينب" لندى شعلان[2] يفقد "خلال" قدمه بسبب "الغرغرينا". في رواية "البلاد وأشلاء العباد" لأحمد ماضي[3] يصيب ورم خبيث فخذ "طاهر" ويتقرر بتر ساقه فيلحق بصديقه "فريد" الذي فقد ذراعه آنفا. وفي رواية "الأرض لا تحابي أحدا" لعلوان السهيمي[4] يفقد بطل الرواية ساقه وهو بعد طفلا. في رواية "النزول إلى البحر" لجميل عطية إبراهيم[5] يفقد "سيد" ساقه في حادث قطار. وفي رواية "ابتسام عبد الله" "ميسوبوتاميا"[6] نقابل هاني الذي يعاني الإعاقة نتيجة لحادث ألم به: "أقوم من الفراش بصعوبة، أمد يدا، التقط بها العكازين، أسير متوكئا عليهما أدفع القدم اليمنى أولا وأسحل اليسرى، أدفع وأسحل.... لقد جعلوني أستعير قدمين من الألمنيوم، فهل أنا قادر على التآلف معهما في يوم ما!"[7]

في رواية "قبر راحيل" يفقد "مراد" ساقيه بعد أن انهار عليه جدار وهو يبحث عن الآثار مما سبب له ألما نفسيا رهيبا بعد أن صار مقعدا حبيس الكرسي المتحرك: "نظر مراد إلى البردية حيث علقها من سنوات. ما زالت ألوانها زاهية. راحت عيناه تمسح الكلمات ثم تسمرت أمام العبارة التي تقول: ومن هز حجر وقع على رجليه. نظر مراد إلى ساقيه وجرت الدموع في مآقيه... رغم أن مراد لا يحب الجلوس في الخارج منذ الحادث لأنه يكره نظرات العطف والشفقة في عيون المارة، لكنه أخذ مذكراته ودفع كرسيه المتحرك نحو الشرفة. بعد لحظات من جلوسه في الشرفة لمح جارهم عم راضي عائدا من عمله المضني في الفاعل ومعه بؤجته التي يخرج بها في الصباح وبها بعض الخبز اليابس والجبن وربما بيضة أو بيضتين. كان الرجل يسير محنيا من ألم الكد في حمل الطوب والأسمنت، لكن وجهه كان قريرا ويعكس نوعا غريبا من الإذعان والرضا والتسليم والانقياد لمشيئة الله وقدره... ناوله مراد كيس بلاستيك نظر

(١) الطيور لن تعود، ص ٢٨.

(٢) دار نوفل، بيروت، ٢٠١٥.

(٣) مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ٢٠١٢.

(٤) دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.

(٥) دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

(٦) دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١.

(٧) ميسوبوتاميا، ص ٤٥، ٤٦.

الرجل فيه فوجد به أحذية. ارتسمت على وجهه علامات الفرح، لكنه سارع بإخفائها... أخذ عم راضي الأحذية وانصرف شاكرا وداعيا لمراد. تنهد الأخير حين تذكر الجندي الألماني كيمرش في فيلم: كل شيء هادئ في الجبهة الغربية، وكيف أنه انتزع حذاء مقاتل سقطت طائرته، ثم أصيب هو نفسه واضطر الأطباء في المستشفى الميداني إلى بتر ساقه، فانتقل الحذاء إلى صديقه مولر وهكذا.. كم هي رخيصة حياة الإنسان، أرخص من زوج من الأحذية!"[١]

متلازمة الثراء المفاجئ

كثيرا ما شاهدنا في الأفلام القديمة هبوط ثروة من السماء على بطل الرواية سواء عن طريق العثور إلى كنز تقوده الصدفة إليه أو عن طريق الوراثة. والكثير من البشر يتمنون حدوث هذا الشيء لهم، لكن أحيانا تكون هذه الثروة سببا في الحيرة والإحباط وتغير المزاج والانحراف وخلافه، وهو جوهر "متلازمة الثراء المفاجئ" Sudden Wealth Syndrome.

في رواية "ماجدولين" للكاتب الفرنسي "ألفونس كار" تهبط هذه الثروة على "ستيفن" فحصل له نوع من الجفاء لفتاته التي تدير له ظهرها بالتبعية. يصاب "ستيفن" بلوثة ويصيب الوهن جسده وتسوء حالته ويُحمل إلى المصحة. في رواية "الظل والصدى" ليوسف حبشي الأشقر[٢] تهبط ثروة مماثلة على "إسكندر" فتفتنه الحدائق المنسقة والمشغولات الفنية والتحف، لكنه يقع فريسة للتخبط والارتباك وتؤثر سلبا على علاقته بحبيبته "مونا".

متلازمة الانزعاج من صوت معين

بعض الأشخاص لديهم حساسية من صوت معين وينزعجون منه بشدة Selective Sound Sensitivity Syndrome. تُعرف هذه الظاهرة أيضا بـ "الميزوفونيا" Misophonia. ومن جملة هذه الأصوات: صوت مضغ الطعام مع فتح الفم، السعال المتكرر، التجشؤ، صرير القلم على السبورة، التنفس بصوت عال، الشخير، مضغ العلكة، الأصوات ذات الإيقاع المتكرر... الخ.

---

(١) قبر راحيل، ص ١٥٠، ١٥١.

(٢) دار النهار، بيروت، ١٩٨٩.

نقرأ من رواية "أرحام سماوية" لمحمد عزب: "صحيح أنه يكبرها بسبع سنين؛ وصحيح أنه لا يعرف الألف من كوز الدرة؛ وصحيح أنه يعاني من النسيان وله ذاكرة مثل المنخل؛ وصحيح أنه لا يمتلك شيئا قيما بين أذنيه ولا يرتقي مصعده إلى الدور الأخير؛ وصحيح أن لديه حول بسيط في عينه اليسرى؛ وصحيح أن بعض بقع التينيا تنتشر في رقبته؛ وصحيح أنه لا يتكلم كثيرا، وعندما يتكلم يكون صمته أفضل من حديثه؛ وصحيح أنه لا يغسل وجهه بعد الاستيقاظ ولا يمشط شعره ولا يربط سيور حذاءه ويرتدي أشياء عجيبة، وملابسه متنافرة ومتسخة؛ وصحيح أنه لا يهتم بنظافته الشخصية ولا يغسل يديه بعد الأكل؛ وصحيح أنه كثير العرق ورائحة قدميه لا تطاق؛ وصحيح أنه ينظف أسنانه ومنخاريه بأظافره الطويلة المتسخة؛ وصحيح أنه يتجشأ ويبصق في الشارع؛ وصحيح أنه يطفئ سجائره فيما تبقى من أكواب الشاي؛ وصحيح أنه يمضغ الطعام بصوت مرتفع ويلحس ملعقة الشاي بعد تقليبه؛ وصحيح أنه يجز على أسنانه وهو نائم محدثا صريرا مزعجا؛ وصحيح أنه فقير ومعدم، لكنه أفضل الموجودين لأنه ببساطة لا وجود لهم."[١]

(١) أرحام سماوية، ص ١٢٩.

الفصل الحادي عشر
هوس وولع

هوس السرقة – الولع بالكلمات – الهوس بأجساد الموتى – هوس "عبده مشتاق" – هوس الاغتسال – الولع بترديد الألفاظ الخارجة – الهوس بالأرقام – هوس البوكاكي – هوس الرقص[1] – هوس الذهب



هوس السرقة

يصيب "هوس السرقة" Kleptomania الفقراء والأغنياء على حد سواء. قد يُقدم المتيسرون والموسرون على سرقة أشياء عديمة أو قليلة القيمة ليسوا بحاجة إليها. أغلب المصابين بجنون السرقة أو السرقة المرضية من الجنس اللطيف.[2] ويندرج تحت هذا التصنيف شق من "سرقة المعروضات" من المحال والحوانيت Shoplifting.

تعرضت "أجاثا كريستي" Agatha Christie لهذا الهوس في روايتها "جريمة في بيت الطالبات". رواية "مها تبتسم للملائكة"[3] تضم طفلا مصاب بجنون السرقة. في روايته

(١) للقائمة كاملة راجع مسرد الهوس والرهاب في فهارس الدراسة.

(٢) عالج "فيصل ندا" مرض السرقة في فيلم "المتعة والعذاب"، ١٩٧١.

(٣) علي عيد محمد، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٢.

"مولانا" يرصد "محمد العون"[1] ما تردد عن إصابة الملك فاروق بـ "الكليبتومانيا" حيث كان يستولي خلسة على الولاعات المذهبة وعلب السجائر الثمينة وخلافه. في رواية "بقايا النجوم" لعبد الوهاب داود[2] نقابل شخصية "أحمد ماضي" الذي يُتهم بسرقة أحذية أعضاء النادي!"

في رواية "مي التلمساني" "أكابيللا"[3] نقرأ: "توقفت أمام قفص كبير من المعدن يحتوي على عدد من البضائع الرخيصة والمخفضة. استندت إلى القفص بكلتا يديها، ثم انحنت كأنها تتفحص شيئا داخله. أخرجت من القفص علبة متوسطة الحجم تشبه علبة صابون حمام فاخر ووضعتها بسرعة في حقيبة يدها ثم وضعت فوقها الإيشارب الذي تلفه حول عنقها. ابتعدت عن المكان بخطى بطيئة وغابت عن نظري... في أثناء لحاقي بها شعرت بخجل لأني شاهدة على حادثة سرقة بطلتها صاحبتي، وزاد من خجلي لأني قررت في اللحظة ذاتها أن ألوذ بالصمت وأمتنع عن سؤالها عن الشيء الذي خبأته في حقيبة يدها... أخذت أفكر في الأشياء التي ضاعت مني منذ سنوات... كل الأشياء التي اختفت بلا تفسير، المعروف منها والمنسي، ما اتهمت الخادم بسرقته وما اتهمت نفسي بتضييعه، الخاتم الذهبي ذا الفصوص الحمراء، الطقاطيق الأنتيك الموضوعة على الباهو في الصالون، رزمة النقود التي تبخرت من درج الكومودينو، الأفلام والكتب وأشرطة الموسيقى والمناشف الصغيرة وزجاجات العطر وأمشاط الشعر الملونة والملاعق المصنوعة من الفضة والتماثيل الخزفية وأدوات الزينة وألعاب الأطفال وقطع الملابس الداخلية المستوردة وبضع دولارات وعملات قديمة. فكرت في أصدقائنا المشتركين، ومواقف مشابهة عشناها معا وتعجبنا لضياع الشيء دون أن ننتبه... لوهلة تصورت أني لا أعرف عايدة، أو أنها ليست صاحبتي، بدت مثل شخص غريب اعترض طريقي برهة قصيرة من الزمن ثم اختفى وراء ركام من الأشياء الضائعة. كنت أعرف أنها كاذبة محترفة، وأضيفت إلى تلك الصفة صفة السرقة."[4]

(١) الحضارة للنشر، القاهرة، ٢٠١٠.

(٢) دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٦.

(٣) دار شرقيات، القاهرة، ٢٠١٢.

(٤) أكابيللا، ص ١٩، ٢٠، ٢١.

الولع بالكلمات

"إذا كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب". هذا صحيح فأحيانا تخوننا الكلمات أو تعجز عن التعبير عن دواخلنا. كتبت "زهرة عمر"[(١)] في روايتها "الخروج من سوسروقه":[(٢)] "لقد عضضت على الكلمات، ثم ابتلعتها، لتبقى في جوفي كالشظايا تجرحني... عندما لا تستطيع أن تفعل شيئا لا جدوى من تفتفة الكلمات."[(٣)] وفي روايته "نبض" كتب "أدهم الشرقاوي"[(٤)] عن عجز اللغة أحيانا بقوله: "أنوثتك الطاغية أكبر من أن تُحشر في سطر أو تُعتقل بنقطة... أعرف يا نبض أني إذ أكتبك أُحمل اللغة فوق ما تستطيع." [(٥)]

لكننا وبالرغم من ذلك لا نستغني عن الكلمات ولا يمكن أن نعيش بألسنة مقطوعة. "نحن نتجمل بالكلمات"، هذا ما كتبته "أحلام مستغانمي" في روايتها "فوضى الحواس":[(٦)] "نختارها كما نختار ثيابنا، حسب مزاجنا ونوايانا. هنالك أيضا، تلك الكلمات التي لا لون لها، ذات الشفافية الفاضحة، كامرأة خارجة توا من البحر بثوب خفيف ملتصق بجسدها، إنها الأخطر حتما، لأنها ملتصقة بنا حد تقمصنا."[(٧)]

في البدء كانت الكلمة والكلمة كانت "كن" فكان بإذن الله، و"عيسى ابن مريم" عليه السلام الذي لم يختلف البشر في شخص قدر اختلافهم عليه كان كلمة، و"المتنبي" الذي حاز البلاغة قتلته بضع كلمات. حياتنا كلها كلمات وأسماء. الكلمة أقوى ما يملك الإنسان. الكلمة تولد وتقترن بأخرى وتمرض وتتعافى وتتقاتل مع بعضها وتعيش على أنقاض أترابها وتغير جلدها وتموت. كم من الكلمات تحتفظ المعاجم التاريخية برفاتها وشواهد قبورها!

(١) من أصول شركسية.

(٢) دار أزمنة للنشر، عمان، ١٩٩٢.

(٣) الخروج من سوسروقه، ص ٢٣١.

(٤) دار كلمات للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٥.

(٥) نبض، ص ٧، ٨.

(٦) دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨.

(٧) فوضى الحواس، ص ٣٢.

نعم.. الكلمة مثلها مثل الكائنات الحية تتزوج وتحمل وتنجب وتسافر قاطعة مسافات لا يقطعها البشر.

كلام فارغ وكلام من ذهب وكلام من القلب وكلام الليل وكلام رجالة وكلام مزوق وكلام معسول وكلام موزون وكلام في الهواء. من الناس من يحافظ على كلمته ومنهم من يلحس كلامه؛ من الناس من يلعب بالكلمات ومن الناس من يجرح بالكلمات. من الناس من يزبد ويرغي في الكلام ومنهم من يصوم عن الكلام.

من الناس من يبيع الكلمات ويتاجر بها. أي الكلمات تشتري؟ قل لي مقاسك أعطيك الكلمة التي تناسبك؟ اشتري كلمة واحصل على الثانية مجانا! هذه الكلمة يمكن فكها وإعادة تركيبها. هذا نوع جديد من الكلمات يصعب إزالته. هذه كلمة معمرة. هذه كلمة يمكن إعادة ملأها. هذه كلمة ياباني أصلي. هذه كلمة رخيصة لا تساوي ثمن تصنيعها. من يشتري كلمات جديدة تنزل السوق لأول مرة؟ من يشتري الكلمات؟

الحرف أساس الكلمة والكلمة أساس الجملة، واللغة في مجملها كائن جميل وسر جليل. هناك من يتعامل مع اللغة ومفرداتها كمطية، وهناك من يتعامل معها بقدسية فتراه مهووسا بالحروف مولعا بالكلمات والأمثال والدلالات Verbomania. يعطي هذا الشخص كل تركيزه لمعاني الكلمات ومشتقاتها وأصولها ومرادفاتها ومقابلاتها، كما أنه عاشق للغة بوجه عام وبعلومها ونشأتها وتطورها وعائلاتها. وعيه اللغوي مختلف عن الآخرين. طريقة استقبال أذنيه للكلمات متباين عن الآخرين.

كتب بيتر أكرويد Peter Ackroyd: "هناك مرض يتمثل في حب الكلمات بشكل كبير يُسمى "لوجوفيليا" Logophilia يظهر على المصابين به في مرحلة الطفولة، لكنه وللأسف الشديد ليس له علاج."[1] المصابون بهذا المرض دائمي الشرود ويأتون بأفعال غريبة، كما أنهم متأخرين ببضع ثوان عما يحدث أمامهم فهم ببساطة يحللون الصوت قبل الصورة والكلمة قبل الفعل. أما أغرب ما في هذا المرض اللاعضوي أن حامليه لا يعرفون أنهم مصابون به، بينما يعتقد الآخرون أنهم مصابون بـ "المناخوليا".

(١) Visions from an Addiction to Fiction, The Times, London, 20th March, 2002.

في رواية "فاطمة المرنيسي" "نساء على أجنحة الحلم"[(١)] نقرأ عن أهمية وخطورة الكلمة: "حدثتني أمي في تلك المناسبة عن ضرورة مضغ كلماتي قبل النطق بها: أديري لسانك في فمك سبع مرات وأنت تزمين شفتيك قبل النطق بكلمة، إذ أنك تخاطرين بنفسك إذا ما أطلقت الكلام. تذكرت حينها قصص ألف ليلة وليلة، وكيف أن كلمة واحدة في غير محلها قد تجلب المصائب لمن ينطقها، إذا هي لم تعجب الخليفة. وقد يحدث أن ينادي على السياف في الحين. إلا أن بإمكان الكلمات أن تنقذ من يتحكم في نسجها بحذاقة، وتلك حال شهرزاد راوية ألف ليلة وليلة. كان الخليفة سيقطع رأسها ولكنها نجحت في إيقافه بسحر الكلمات."[(٢)]

"في البدء كانت الأحرف."[(٣)] والهوس بالحروف موجود في رواية "لغة السر" لنجوى بركات"[(٤)] ورواية "المباءة". في الأخيرة يقدم لنا "محمد عز الدين التازي"[(٥)] هذه الشخصية التي تحدثنا عنها آنفا. بطل الرواية، "قاسم الورداني" رجل خفيف العقل عوضه الله بقدرة على نقش ورسم الحروف، ورأى أن يوظف ملكة الإزميل في الحفر على شواهد القبور فيتكسب منها عيشه. مع مرور الأيام تنشأ علاقة خاصة بينه وبين الحروف حتى تصير كل حياته فيلطع بها جسده كما لو كانت وشما أو بلغة العصر "تاتو" Tatoo. يسير في الشارع عاريا إلا من حروفه التي تواري سوأته. لكل حرف عنده دلالة وشكلا وإيقاعا ولونا. الضاد مثلا تشير في كلمات عديدة إلى الأشياء المكروهة كما في "ضجر وضير وضيق وضنك وضلال وضجيج وضوضاء وضياع" وحرف الحاء يعطي سعة كما في "حب وحياة وحلم وحق وحكمة". وحين تمتزج الحروف وتتزاوج تعطي معاني محددة فحرف الجيم والنون إذا اجتمعا مثلا أخرجا كلمة لها علاقة بالغيب مثل "جن وجنين وجنة وجنون وجنينه". "قاسم... تجذبه إمالات الحروف فينجذب معها. يخلق حروفه من أبجديات قد تكون غير معروفة... الحروف لن تموت. القبور... تبقى في أماكنها، الحروف تصير حمائم والحمائم لها أجنحة، والأجنحة ترسم بخفقها المعنى في الفراغ."[(٦)]

---

(١) ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل، نشر الفنك – المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨.

(٢) نساء على أجنحة الحلم، ص ١٨.

(٣) إبراهيم محمد النملة، عبث، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٧.

(٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.

(٥) مكتبة الأمة، الدار البيضاء، ٢٠٠٥.

(٦) المباءة، ص ١٢، ٤٥، ٥٣.

نقابل نموذجا آخر في "قبر راحيل" في شخص "بليغ" الذي لم يستطع – حتى ليلة زفافه – التوقف عن تحليل الكلمات في عقله الباطن: "يقولون إن من يفكر في امرأة أخرى وهو يعاشر زوجته فكأنه يزني. لم يكن بليغ يفكر في امرأة أخرى، بل في معشوقته الأبدية، الكلمات. الكلمات مثل النساء منها الرشيقة ومنها الممتلئة؛ منها القصيرة ومنها الطويلة؛ منها خفيفة الوقع ومنها ثقيلة الدم؛ منها المعسولة ومنها المرة المنفرة؛ منها من له وجه واحد ومنها من هو "بوشين"؛ منها الرقيقة ومنها الفجة الصادمة؛ منها القديمة كالخمر المعتقة ومنها الجديدة التي على كل لسان. في يوم الدخلة خلع بليغ فستان زوجته ثم راح يحملق في صدرها. كانت ناهد تلبس مشد أو حمالة صدر أكبر حجما من ثدييها لتخفي صغر حجمهما.[(١)] أطال بليغ النظر فسألته ناهد في حرج: عجبك البرا؟ تمنت ناهد في قرارة نفسها أن يقول لها أن ما أعجبه هو صدرها أو خصرها أو... أو... أو... الحقيقة لقد كان بليغ يفكر في أصل الكلمتين الإنجليزية Braوالفرنسية Soutien!! ظل ينظر إلى الحجرة بمفرداتها: "أودا" تركية، "دولاب" فارسية، "كوميدينو" إيطالية، "كوفرته" إنجليزية و"شيفونيرة" تقريبا روسية."[(٢)]

كتب "مصطفى الفارسي" في روايته ""حركات"[(٣)] بأن الحروف لها "ألقابها وطبائعها وخواصها.. ولها أسرار وآثار."[(٤)] مواطنه "نصر بلحاج الطيب" خط هذه الكلمات في روايته "الأيام الحافية":[(٥)] "لامست أصابع قدميه حافة بساط سميك تكدست فوقه الكتب. لاحت الحروف كفراشات تحط على صحراء معشبة. بهرته الكتب بحروفها.. رسخ في أعماقه... عشق مجنون للحرف العربي."[(٦)] في رواية "ندبة الهلالي" لعبد الرزاق بوكبة[(٧)]

---

(١) في المقابل لدى بعض الفتيات عقدة من الصدر الضخم، وهذا ما كتبت عنه "منهل السراج" في روايتها "على صدري"، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت – دمشق، ٢٠٠٧.

(٢) قبر راحيل، ص ١٠٢.

(٣) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨.

(٤) حركات، ص ١١.

(٥) بدون دار نشر أو ذكر مطبعة (على النفقة المؤلف الخاصة)، تونس، ٢٠٠٢.

(٦) الأيام الحافية، ص ٥٤.

(٧) منشورات ANEP، الجزائر، ٢٠١٣.

نعرف أن للحروف رائحة: "ستشتم رائحتي إذا كنت قادرا على أن تشتم هـذه الحـروف."[١] وفي رواية "ميكانيك الغرام" لعلي سرور[٢] نعـرف أن الحـروف تـضرب وتركـل: "راحـت أحرف الكلمات تبرز نافرة. تبرز وتنقر وتدخل كالمسمار، وتحفر وتـضرب، وتخـط وتنبـت في رأسي ظنونا وتحليلات."[٣] في صفحة ١٥ من روايـة "لمبيـدوزا" لعبـد الـرحمن عبيـد نقـرأ: "منحوني في الأخير حروفا تأكل دماغي."[٤] ومن رواية "تانجو وموال" لمي خالـد[٥] نقـرأ: "عادت الحروف الطبيعية إلى مواقعها في أبجديتي، لكنني استمرأت لعبة التلعـثم، خـصوصا بعد أن راقت لي ألعاب تدريبات التخاطب في عيادة الطبيب الوسيم الدكتور عادل. عـشقت بازل الحروف الملونة التي تطور عشقي منها إلى لعبة السكرابيل لتكوين الكلمات ثم إلى الولـع بالقواميس وفك شفرات الحروف الأعجمية."[٦]

ومن عشق المعاجم إلى عشق اللغة بوجه عام نقابـل الـشيخ "عبـد الـرؤوف" في روايـة "مصطفى أمين" "سنة أولى حب"،[٧] مدرس اللغة العربية الذي ينعي موت اللغة لأن حالهـا لا يسر عدو ولا حبيب، ناهيك عن أن تلاميذه ارتكبوا أخطاء فادحة في حقها: "قـال الـشيخ إنه رأى في كراريسهم لغة الضاد تُذبح أمامه، يُسفك دمهـا الغـالي، تُغتـال في الطريـق العـام، تُطعن في ظهرها بالخناجر والسكاكين! وكان الشيخ يتكلم وكأنـه يبكـي، يلـوح بـالكراريس وكأنه يلطم خديه. وكان صوته يتهدج تارة، ثم يجلجل تارة أخرى، وهو ينتقـل مـن مرحلـة الرثاء إلى مرحلة المطالبة بالثأر والانتقام."[٨]

---

(١) ندبة الهلالي، ص ١٦٦.
(٢) مركز الطب الطبيعي، صيدا، ٢٠٠٧.
(٣) ميكانيك الغرام، ص ١٩.
(٤) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠١١.
(٥) دار العين، القاهرة، ٢٠١٢.
(٦) تانجو وموال، ص ٦٤.
(٧) دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.
(٨) سنة أولى حب، ص ٨.

الهوس بأجساد الموتى

يُسمى الهوس بأجساد الموتى بـ "النيكرومانيا" أو "النيكروفيليا" / Necromania Necrophilia. يتراوح هذا الولع بالرغبة في تحنيط الموتى والحفاظ على أجسادهم إلى معاشرتهم جنسيا. عام ٧٢٤ ميلادية كان الخليفة الأموي "يزيد بن عبد الملك" يلهو مع جاريته الأثيرة "حبابة" فشرقت بحبة رمان وقضت من فورها. جن جنون يزيد فأخذ يقبلها ويشمها ويرشفها ويفعل بها ما يريد رافضا أن يأخذوها منه حتى جيفت. استخلصوها من بين يديه ودفنوها فأمر أن يُنبش قبرها. بقى على هذا الحال حتى هلك بعد أربعين يوما. ربما كانت تلك واحدة من أغرب قصص "النيكروفيليا" في التاريخ.[1]

لـ "بترونيس" Petronius قصة قصيرة كتبها في القرن الأول للميلاد بعنوان "أرملة إيفاسز" The Widow of Ephesus، وتعتبر من أوائل الأعمال الأدبية التي تناولت "النيكرومانيا": "فيما مضى في مدينة إيفاسز كانت هناك زوجة اشتهرت بإخلاصها لزوجها حتى أن العديد من نسوة المدن والقرى المجاورة اعتدن أن يحتشدن فقط ليحدقن بهذه المرأة الاستثنائية. بعد موت زوجها وجدت هذه السيدة أن العرف الشائع بأن تسير الأرملة وراء المشيعين منكوشة الشعر ضاربة صدرها بيديها غير كاف للتعبير عن حزنها، فأصرت على إتباع الجثة إلى القبر، وهناك جلست لتحرس الجثمان وتبكى وتنوح ليلا ونهارا. وبالرغم من شدة حزنها إلا أنه كان من الجلي أن موتها سيكون من التضور جوعا، ولم يستطع على الإطلاق والديها أو حتى الحكام إقناعها بالمغادرة وذهبت سدى آخر محاولة لإقناعها. وفى وقت قصير أصبحت كل إيفاسز في حداد على هذه المرأة الخارقة. انقضي اليوم الخامس على التوالي والسيدة بدون طعام، إلى جوارها خادمتها المخلصة تشارك مخدومتها الحزن وتعيد إشعال المصباح كلما انطفأ وميضه. استقر الرأي لدي العامة على أن هذه السيدة تعد بمثابة مثال حقيقي للحب والإخلاص الزوجي."[2]

في رواية "تبليط البحر" للروائي "رشيد الضعيف"[3] نقابل نوع مختلف من الهوس بأجساد الموتى وهو سرقتها من أجل التشريح في كلية الطب. ومن رواية "جسد أول لنبيل

---

(١) أورد القصة "الأصفهاني" في "الأغاني".

(٢) نقلها للإنجليزية "وليم أروسميث" William Arrowsmith وترجم الباحث الاقتباس.

(٣) رياض الريس، بيروت، ٢٠١١.

نعوم[١] نقرأ حول نفس الفكرة: "هذا الرجل الذي يتهمه أبي بالسرقة، وخاصة سرقة وبيع جسد عمتي عايدة، مقسما أن أحد أصدقائه الأطباء، رآها أشلاء تتداولها أيدي بعض طلبته بكلية الطب. هذا المجرم باعها، أختي الجميلة، ومن يدري مدى ما نكل بها؟ الوغد اللئيم ابن الزانية."[٢] نفس الموضوع تناولته "لمياء السعيد" في روايتها "التُّربي"[٣] ومنها نقرأ: "هؤلاء الموتى ليس لهم أهل للسؤال عنهم، وأيضا يتم إرسال أعضاء فقط للدفن من المستشفيات، فبعد بترها يتم إرسالها للدفن، وأنا أبيعها بالقطعة، وسألت، وعرفت التسعيرة وأن الإنسان كاملا أرخص من القطع، وأنه كلما كانت الجثة حديثة كلما كانت أغلى."[٤]

في رواية "الصحفي"[٥] يتناول "محمد الناغي" سرقة الأعضاء البشرية من الأطفال بغرض زرعها في أجسام أخرى. أما "شيرين هانئ" فقد قدمت في رواية "نيكروفيليا"[٦] رؤية جيدة لهذا الهوس. في رواية "مشرحة بغداد"[٧] يقدم لنا "برهان الشاوي" شخصية "آدم"، حارس المشرحة والذي يصاب كمساعد الطبيب بالرغبة في مضاجعة الموتى وممارسة الجنس مع جثث النساء.[٨] العجيب أنه خرج علينا من شيوخ الفتنة من يحلل ما أسماه "مضاجعة الوداع" وفيها يمكن للزوج مضاجعة زوجته الميتة في خلال فترة زمنية لا تتجاوز ست ساعات من وفاتها، وقد تم دحض الفتوى.[٩]

في رواية "المعجزة" لمحمود طرشونة"[١٠] تقرر امرأة نبش قبر حبيبها وحمل هيكله العظمي إلى بيتها: "تسللت إلى المقبرة منذ الزوال حتى لا يشك الحارس في ما عقدت عليه

(١) دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٨.

(٢) جسد أول، ص ٤٦.

(٣) أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، الجيزة، ٢٠١٥.

(٤) التُّربي، ص ٩٢.

(٥) دار إبداع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٦) الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.

(٧) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.

(٨) مشرحة بغداد، ص ٢١، ٢٢، ٣١.

(9) http://sbhhbs.ahlamontada.net/t2511-topic

(١٠) حقوق النشر محفوظة للمؤلف، مطبعة علامات، تونس، ١٩٩٦.

العزم... أخفيت فأسا في كيس كبير من القماش الأبيض لا يشك أحد أن فيه خبزا تعود الناس توزيعه على الفقراء. ثم جلست بجانب القبر أنتظر انتشار الظلام.. وطال انتظاري وحيدة بين القبور البيضاء، واللحود المنغرسة في جوف البعض منها... لكنها جميعا لا تهمني... إلا واحدا... غابت الشمس وبدأ الظلام ينتشر، ويقيني أن الحارس عاد إلى بيته متأكدا من خلو المقبرة إلا من الأموات. آن الأوان لإخراج الفأس من الكيس والشروع في الحفر. أعرف أن الكشف عن العظام وإخراجها عمل شاق بالنسبة إلى امرأة وحيدة مثلي، لكني تحملته... إني أريده لي وحدي، ولا أريد غيره شريكا لما تبقى من عمري. سأناجيه في كل وقت فيسمع مناجاتي. نعم، سيسمع مناجاتي وسيرد بمثلها. أعرف أن لا أحد يصدق ذلك. لكن ما شأني بتصديقهم وتكذيبهم؟ هم لا يؤمنون إلا بما يرونه بأعينهم ويسمعونه بآذانهم. أما أنا فلي حواس أخرى لا يعرفونها أرى بها وأسمع."[١]

للروائية "سحر الموجي" طرح لا يخلو من غرابة ووجهة نظر فهي ترى أن "النيكروفيليا" لا تقتصر على الهوس أو النوم مع الجثث، بل إن معاشرة المرأة مكرهة أو دون حب هو أيضا نوع من "النيكروفيليا". في روايتها "دارية"[٢] تقول البطلة متحسرة: "قبلت تنام مع جثة يا سيف."[٣]

هوس "عبده مشتاق"

يشير هوس أو متلازمة "عبده مشتاق" Wannabe Syndrome إلى الشخص الذي يتحرق لشغل منصب مرموق. التعبير "عبده مشتاق" هو شخصية اخترعتها الصحافة المصرية[٤] للتدليل على هذه المتلازمة الأمر الذي يؤكد فكرة قدرة العالم العربي على خلق تعريفات وأسماء للمتلازمات الثقافية. في توقيتات التشكيلات أو التعديلات الوزارية يجلس "عبده مشتاق" بجوار الهاتف ينتظر مكالمة ترفعه لدرجة "معالي".

(١) المعجزة، ص ١٥، ١٦، ١٩.
(٢) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٣.
(٣) دارية، ص ٨٧.
(٤) "مصطفى حسين" في أخبار اليوم.

في رواية "حضرة المحترم" قدم "نجيب محفوظ"[1] هذه الشخصية ممثلة في "عثمان بيومي" الذي يطمح في أن يحتل منصب المدير العام. يعيش حياة يعتريها الفسق، لكنه يتوسل بسورة "الكرسي" لتحقيق مأربه على نهج "صلى وصام لأمر...". "لقد اعتقد بيومي"، كما يقول "أحمد النعيمي" في كتابه "إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة" "أنه لو حصلت الطفرة وحقق أمنيته الكبرى، بالوصول إلى منصب المدير العام فإن ذلك سينقله من أسفل لأعلى."[2]

الوظيفة واللقب مرتبطان. يتحول الاشتياق إلى المنصب العام إلى الاشتياق إلى اللقب السحري الذي يفتح الأبواب المغلقة سواء كان "باشا" أو "بيه" أو حتى "أفندي"، ولا بأس ببعض المال الذي يّبذل لينال الشخص هذا اللقب، وما دفعه اليوم سيجني أضعافه غدا. تناول "محمد عبد الحميد جودة السحار هذه النقطة في روايته "الحصاد":[3] "قال سليم بك شلبي لابن أخيه عثمان، وهو في طريقه إلى مكتبه في صدر الغرفة:

- ألم يتصل بك أحد من الحزب؟

- لا.

- قال لي رفعة الباشا أن الإنعامات الملكية ستُوقع اليوم.

- ... هم بأن يمد يده إلى التلفون ولكن كبرياءه منعه، فأخذ يعبث في الأوراق الموضوعة أمامه، ويقرأ ما سُطر فيها دون أن يعي مما يقرأ شيئا، ونهض يذرع الغرفة جيئة وذهابا.

- فكرت طويلا في العشرة آلاف جنيه التي دفعناها ثمنا للباشوية المنتظرة، فوجدت أنها لا تستأهل مثل هذا المبلغ الكبير. عشرة آلاف جنيه لقاء كلمة!

(١) دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٧.
(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٨٩.
(٣) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٩.

– ... لو كنت تفهم لما كان هذا حالك. أبواب الوزارات كلها ستُفتح في وجوهنا ما دمنا نحمل الباشوية. الموظفون سيتنافسون في تلبية رغباتنا، الأرض البور التي اشتريناها ستشق فيها ترعة، أربعة آلاف فدان من الأرض البور تصبح جنة وارفة الظلال، ألا يساوي ذلك ما دفعناه؟"[١]

هوس الاغتسال

يُصيب "هوس الاغتسال" Ablutomaniaالأشخاص المصابين بوسواس قهري وخوف من الجراثيم Verminophobiaوالعدوى.[٢] المصابون بهذا الهوس لا يكفون عن غسل أيديهم بمناسبة أو بدون، ودوما يراودهم إحساس بأنها غير نظيفة تماما مثل "الليدي ماكبيث". المصابون بهذا الهوس قد تظهر عليهم أيضا أعراض "متلازمة إكبوم" Ekbom Syndrome فيتوهمون أن أجسادهم تغزوها حشرة معينة كالقمل أو البراغيث، وتراهم دائما يهرشون أجسامهم. المصابون بهذا الهوس أيضا يكرهون الذهاب إلى المراحيض ويشعرون دائما أنهم لم يتطهروا من بولهم ويخافون من برازهم Coprophobiaوالظاهرة الأخيرة موجودة أكثر في المجتمعات الإسلامية حيث التطهر من الخبيثين أمر حتمي لنظافة الإنسان وإقامة شعائره بشكل صحيح.

كتب "المازني" في "إبراهيم الثاني": "وكان يفزع من الثعابين والحشرات والهوام بأنواعها."[٣] في رواية "منصورة عز الدين" "وراء الفردوس"[٤] نقابل هذه الشخصية التي تنكب على غسل يديها مرارا وتكرارا دون قناعة بنظافتها على نحو يذكرنا بالليدي "ماكبث": "منهكة تماما خرجت سلمى من الحمام بعد أن قضت ما يقرب من الساعة في غسيل يديها، خرجت مستسلمة تماما لإحساس عدم النظافة الذي بدا يلازمها مؤخرا.. وكي تتخلص منه تحاشت النظر إلى كفيها الذين كانتا قد تحولا إلى اللون الأحمر بفعل الدعك المتواصل."[٥]

---

(١) الحصاد، ص ٥، ٦، ٧.
(٢) يُقال أن موسيقار الأجيال، "محمد عبد الوهاب"، كان مصابا بهوس الاغتسال.
(٣) إبراهيم الثاني، ص ١٠٩.
(٤) دار العين، القاهرة، ٢٠٠٩.
(٥) ص ٣٤.

في رواية "التي تعد السلالم" لهدى الجهوري[١] نقابل "زهية" المهووسة بالنظافة. في رواية "وليد عودة" "كنز القيصر المفقود"[٢] نقابل "عادل" الذي يغسل الصحون أكثر من مرة: "كان عادل من أولئك الأشخاص المهووسين بالنظام والترتيب والنظافة، فكان كثيرا ما يعيد غسل الصحون في منزله بعد أن تخرج زوجته من المطبخ، وقد كان هذا الأمر يسبب الكثير من الحرج بينهما في بداية حياتهما الزوجية، ولكن مع الأيام تفهمت مني طبيعة زوجها."[٣] وفي رواية "مسافة بين الوجه والقناع" لنبيل عبد الحميد[٤] نقابل "جليلة هانم" وهي امرأة مصابة بوسواس النظافة. من رواية "الأوبة" لوردة عبد الملك نقرأ: "أغتسل سبع مرات متتاليات بالماء والصابون والسدر ويظل هاجسي هو القذارة."[٥]

الولع بترديد الألفاظ الخارجة

"استبدلوا شعري بالكلمات القبيحة."[٦]

البذاءة Obscenity والولع بترديد الألفاظ الخارجة Coprolalia هو جزء من "متلازمة توريت" Tourette syndrome. المصاب بهذه المتلازمة لا يتوقف عن السب واللعن والشتم والحلف بالطلاق وسب الدين والبصق وخلافه فتراه يلعن ويسب إذا تعثر وتراه يروي النكات البذيئة ويكتب الألفاظ النابية على جدران دورات المياه ويتصل بالهواتف الأرضية ليتبادل الكلام الخارج مع شخص لديه / لديها ميول Scatalogia إلى آخره.[٧] في رواية "الحرس في حقل الشوفان" The Catcher in the Rye قدم الأمريكي "جيروم سالنجر" Jerome David Salinger هذه الشخصية، ورغم أنها تصم الرواية بالبذاءة، لكنها تضفي عليها أيضا شيء من الواقعية لأن الظاهرة موجودة ومرصودة على أي حال، ويكفي أن تسير في الشوارع لتلتقط أذنك هذه الكلمات بسهولة.

(١) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.
(٢) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.
(٣) كنز القيصر المفقود، ص ٢٢-٢٣.
(٤) دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٧.
(٥) الأوبة، ص ٨٠.
(٦) عبد الباقي قربوعة، زغب الخوخ، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٣٣.
(٧) عالج جليل البنداري هذه النقطة في سيناريو فيلم "لوعة الحب"، ١٩٦٠.

السب والشتم واللعن موجودون في رواية "محمد شكري" "الخبز الحافي" وفي رواية "منينة بلانشيه"[١] من جانب سكان القرية لأم البطل "أحمد ولد خيبوزي" لأنها تزوجت كافر على حد قولهم. من رواية "ليلة في سجن المالكي" لعبد الستار حتيتة[٢] نقرأ: "الأب، شاذا، صموتا، غريب الأطوار، يستثار لأتفه الأسباب، لدرجة أن الذبابة، التافهة، التي تحوم أمام وجهه، يتعارك معها، يسبها.. ويسب الزوجة والأطفال، وقد يحطم كل ما تطاله يداه."[٣]

وفي رواية "سعادته السيد الوزير" لحسين الواد:[٤] "لو لم أزر ابن خالتي ما كنت، اليوم، أساق سوقا إلى دار خالتي مطوقا بجميع الألفاظ الخبيثة التي تبدأ بحرف الخاء من مصفى لغتنا وخليطها. لو كنت عرفت قبل اليوم هذا الذي عرفته الآن من مخبوء حكمة هذا اللسان الفذ في انتقاء الأسماء لمسمياتها ما كنت فكرت، لحظة واحدة، لا في زيارة خالتي ولا في المرور على ابن خالتي."[٥]

في رواية "امرأة سيئة" تقدمنا "شهد الغلاوين"[٦] لعالم السباب في العالم الافتراضي على الشبكة الدولية للمعلومات والتي تُعطي الغرباء الفرصة ليكونوا على سجيتهم دون قيود اجتماعية: "دخلت لعوالم أخرى وتعرفت على محمد، ذلك البدوي الأصيل التحمت به في ظل غياب أحمد وبدر وكان رجلا ناريا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، تعلمت أبجديات الحياة على يديه حتى خرجت بلسان شوارعي من الدرجة الأولى. كان وجوده له الأثر الأكبر على تمرسي بلغة الشارع والشتائم الجنسية التي لم أفهم مدلولاتها إلا بعد ما تبادلت معه لغة البارات وكأني أتابع فلما أجنبيا ساقطا."[٧]

---

(١) محمد ولد أمين، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.

(٢) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٣) ليلة في سجن المالكي، ص ١٠.

(٤) دار الجنوب، تونس، ٢٠١١.

(٥) سعادته السيد الوزير، ص ٣٣.

(٦) دار الفكر العربي للتوزيع والنشر، الدمام، ٢٠١٢.

(٧) امرأة سيئة، ص ٢٥.

في رواية "نجمة في التراب" لغازي العبادي[1] نعرف شيئا عن بذاءة الأزقة: "وجدت نفسك في الزقاق الضيق، هناك كانت أم حميد الأرملة ما تزال تنشر بسطتها في عنق الزقاق، وبينما راح واحد من صغارها يتبرز قربها، امتعضت جدا من المنظر المقزز... مجموعة من الأفواه التي يُشبعها لحاء الشجر وتأكل حتى قشور بثور الجدري... غير أنك في نهاية الأمر عدلت عن إبداء أية ملاحظة للمرأة خشية سلاطة لسانها الذي لا قبل لك برد ملاحظاته الفجة."[2]

الألفاظ النابية الخادشة الصادمة موجودة أيضا في رواية "خالد خليفة" "مديح الكراهية"،[3] والغريب أنها تجري على ألسنة الفتيات: "حين أرى طالبات صفي يرخين سوتياناتهن معرضات أثدائهن للهواء والشمس في الباحة لإغراء الشباب المتقاطرين على دروب مدارس البنات أشعر بغضب من دنسهن، أتحاشى النظر إلى حركاتهن، والاستماع إلى أحاديثهن، يصفن الأوضاع الجنسية للقاء رجل وامرأة، يروين هذه السير بشغف شديد، أحيانا بأسماء الأعضاء الصريحة."[4]

من رواية "القلاع المتآكلة" لأحمد ساري نقرأ: "حينما رويت قصتي مع تلك العاهرة للجيلاني، قهقه بصوت عال وقال: وماذا تنتظر من قحبة تتاجر بفرجها؟ أن تقرأ عليك أشعار نزار قباني أو المعوذتين؟... لم أندهش من جواب مرشدي إلى الماخور، فهو معروف ببذاءاته الدائمة، ولا يكاد ينطق جملة إلا ويزينها بلفظة فحش مقذعة، لا تكاد تخرج عن دائرة ما تحت الحزام. وهذا الفحش منتشر إلى حد ما وسط الرجال وبين الأولاد المراهقين، بحيث صار مبتذلا ومقبولا. أما أن تتدفق هذه الألفاظ الوسخة على لسان امرأة، فكان أمرا غريبا وجديدا عليّ."[5]

---

(١) دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨.
(٢) نجمة في التراب، ص ٨٣.
(٣) أميسا للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦.
(٤) مديح الكراهية، ص ٢٤، ٢٥.
(٥) القلاع المتآكلة، ص ١٤٧.

ويرتبط بهذا الولع هوس آخر بترديد الكلمات البذيئة Dirty Words بين الرجل والمـرأة أثناء المعاشرة الجنسية Pillow Talk. نقرأ من رواية "عيد العـشاق" لـسامر أبـو هـواش:[1] "كان اندهاشه من نفسه يوازي اندهاشه بها. كانت المرة الأولى التي يطلق فيها كلـمات خـلال ممارسة الجنس، كلمات فاحشة، شديدة الفحش، إلى درجـة أنـه كـان يـتفحص وقعهـا عليـه، وعليها على حد سواء، لحظة خروجها من بين شفتيه."[2]

أحيانا يطلب الرجل المرأة أن تسبه وتقلل من شأنه وتحط من قدره وتهينه وتـضربه أثنـاء المواقعة، هذا رغم ما قد يتمتع به من مكانة في المجتمع.[3] قـدم "إسـماعيل ولي الـدين" هـذه الشخصية في رواية "درب الهوى"[4] في شكل "باشا" يقـصد بيـت دعـارة لينـال حظـا مـن التحقير ونصيبا من المتعة. هذا الوزير يرأس حزب يُدعى من باب السخرية والمفارقـة Irony "الفضيلة والشرف" ويسعى لمنع الدعارة المنتشرة في المحروسة في فترة مـا قبـل ثـورة يوليـو، لكن رئيس الحزب نفسه يقصد بيوت الغواني ليلا ويستعذب فيها الضرب والتوبيخ. كما قـدم لنا "شهيد"[5]

في روايته "كش وطن"[6] نموذجا آخر لرجل يستعذب الألم في دار البغـاء مـع اسـتبدال السباب بالنعال أو ربما مزيج من كليهما: "أكثر شيء تمنيته منها هو الضرب، لا أعلم ما سـبب ذلك. ربما يكون ذلك رغبة مني في جلد الذات، وقد يكون تحـايلا لأجـل الهـروب مـن آثـار الفشل، عموما إنها مازوخية دعارتي التي صرت أطلبها لا إراديا، صرت أبحث عنهـا بـشبق أسطوري، وقد تمكنت من نيلها بعد ذلك... دخلت بمفردي إلى بيت آخر من بيوت الدعارة وأفصحت عن رغبتي وحصلت على (النعال) الذي كنت أحلم به.. يا إلهي كم كـان لذيـذا.. لقد تغيرت مفاهيم الحياة لدي، صرت أشبهها بنعـال تلـك القـوادة التـي لم أتمكـن للأسـف

(١) منشورات الجمل، كولونيا - بغداد، ٢٠٠٥.

(٢) عيد العشاق، ص ٣٠ - ٣١.

(٣) تُعرف بفكرة انقياد العبد إلى السيد Submission of Slave to Master.

(٤) دار غريب، القاهرة، ١٩٨٠.

(٥) اكتفى المؤلف بكتابة هذا الاسم.

(٦) دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥.

الشديد من معرفة اسمها، من لم يشعر بلذة ذلك النعال لا يمكنه القول بأنه قد عاش، العيش له معنى واحد في نظري، أن تشعر بلذة الألم، الإحساس الصادر من ذاتك العليا وأنت تتوجع تحت ضربات الأحذية القدرية."[1]

مشهد سادي تقدمه لنا "سامية عيسى" في روايتها "حليب التين":[2] "في تلك الليلة انحل شيء لم يعد بالإمكان لملمته في حياة فاطمة. على الضفة الأخرى من المرارة هربت صديقة ليلتها من أحد الفنادق عارية إلا من عباءة ارتدتها على عجل حين هربت من السياط التي ألهبت جسدها. لم تتحمل سادية الزبون السعودي لاسيما أن الكيل طفح بها ولم تعد قادرة على مجاراة نزوات الزبائن المريضة."[3] في رواية "نجوى بركات" "يا سلام" نقابل "نجيب"، وهو شخص سادي يستمتع بضرب من يضاجعهن من النساء.

ومشهد سادي / مازوخي مختلط يقدمه لنا "نجم والي" في روايته "تل اللحم":[4] "تجد لذة بضرب بعضهم بالسوط أو بالعصى، وهم مربطون، على كرسي... تسأل زبائنها، وهي تضربهم بالعصى، احيانا على أعضائهم التناسلية، هل يؤلمك ذلك؟ حقير... عندما تعود إلى رشدها تندهش، من بكاء الزبون، لأنها لم تكمل المشهد معه، فيركع عند قدميها، ويبوس حذائها، ويتوسل أن تضربه أيضا."[5]

في رواية "علوية صبح" "مريم الحكايا" نقابل نموذج آخر للرجل المغرم بالألفاظ الخادشة: "قولي هيدا شو اسمه؟ ويشير بإصبعه إلى عضوه. ولا يكف، في كل مرة، حتى يسمع مني الجواب. يكرر الأسئلة كما يكررها الأستاذ لتلميذه حتى يسمع الجواب الصحيح. ولكنني لا أضحك وأنا أكرر له الأسماء، أسماء ما يشير إليه بإصبعه، إلى عضوه وعضوي."[6]

---

(١) كش وطن، ص ٨، ٩.
(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.
(٣) حليب التين، ص ٢٠٩.
(٤) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١.
(٥) تل اللحم، ص ١١٥، ١١٦.
(٦) مريم الحكايا، ص ٦٧.

ومن رواية "مفاتيح مدينة" لهيفاء زنكنة[1] نقرأ عن "ثريا": "بعد أشهر من زواجها لم تتحسن الحال. اقترن الليل في ذهنها بالآلام والخوف واللغة البذيئة."[2]

من رواية "القران المقدس" لطيف الحلاج[3] نقرأ: "واصلت ليلى التحرك في الساحة دون أن ترى أحدا، ثم اتجهت إلى غرفة يصدر منها تأوهات خافتة وأصوات غريبة. تلصصت ليلى بريبة لتسترق النظر، وإذ بها ترى رباب عارية تماما، ملقية على الأرض ممدة على ظهرها مغمضة العينين ورجل ضخم يعتليها، يلز صدره بها ويضغط بكل ما أوتي من قوة على ثدييها السمراوين، يلعق ويمص حلمتيها الصغيرتين ويعض رقبتها وأكتافها الناعمة، ثم يلتصق جسده بجسدها الملتهب. يرفع رجليها تارة وتارة أخرى ينزلها وهو يجول ويصول في أحشائها بعضوه المتصلب دون توقف. ينهض ويهبط عليها بعنف.. وهي تأن وتتأوه.. ويشتمها بكلمات بذيئة نابية.. ويردد: أحب... بقوة يا قحبة."[4]

وللمرأة أيضا نصيب من حب البذاءة. كتب "مكاوي سعيد" في رواية "أن تحبك جيهان":[5] "بعد أن توطدت علاقتنا خلعت قناع الرزانة وزاد الأمر إمتاعا وبدأت تطالبني بأبذأ الكلمات والتصرفات التي كانت على النقيض تماما من أرستقراطيتها وإرثها العائلي وثقافتها."[6]

وفي رواية "خميلة الأجنة" نقابل "غرنوقة" التي تحب سماع النكات الجنسية.[7] في رواية "فاتحة مرشيد" "مخالب المتعة" تستخدم العاهرة في بيت الدعارة الكلمات السوقية لتوقظ فحولة عضو أبى إلا التقهقر والانكماش: "بقيت مسمرا أمامها أشيح ببصري عما بين فخذيها. وإذا بها تطفئ سيجارتها وتنهض لتأخذ بزمام الأمور: نزعت ثيابي وأمسكت

---

(١) دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٠.

(٢) مفاتيح مدينة، ص ١٤١.

(٣) (اسم مستعار لكاتبة سعودية)، فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، ٢٠٠٧.

(٤) القران المقدس، ص ٢٣٤.

(٥) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.

(٦) أن تحبك جيهان، ص ٥٢ – ٥٣.

(٧) علي عبد الأمير صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.

بعضوي الضامر تداعبه بكل الكلمات السوقية. أحسست بالغثيان وهو تحاول تقبيلي... شعرت بأنني بين يدي الكاهنة الشريرة.... حاولت أن أركز لكن عضوي رفض هذا الوضع السخيف وانزوى في ركنه بلا حول ولا قوة."[١]

في رواية "علاء الأسواني" "نادي السيارات" نقابل "عائشة" التي لديها هوس بترديد الكلمات القبيحة بشكل عام: "عائشة تشكل بالنسبة للرجال نموذجا للغواية الآثمة اللذيذة، الخلاعة الفاحشة الخلابة... أما النساء فيحببن عائشة لأنها تعبر عما يدور في دواخلهن... الصفة المميزة لعائشة أنها لا تخجل إطلاقا، تحب دائما أن تحكي، بصوتها المبحوح وابتساماتها اللاهية، ممارساتها الزوجية بأدق تفاصيلها... إن الحديث الفاحش هواية عائشة المفضلة، تماما كما يهوى بعض الناس جمع الطوابع أو لعب الشطرنج، وهي لا تخص بحديثها النساء دون الرجال، ولكنها توزع فحشها على الجميع بالتساوي. تستمتع بالحديث عن الجنس، لا أكثر ولا أقل.. تماما كما يستمتع اثنان من عشاق كرة القدم بالحديث عن أجمل الأهداف."[٢]

الهوس بالأرقام

للأرقام سحر خاص. الغموض الذي يكتنف علاقاتها يخلب اللب. جميع مفردات الحياة يمكن تمثيلها بالأرقام. بقليل من الملاحظة تخرج بكثير من المتناظرات. خذ مثلا العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة وانظر إلى قوة الأرقام في التعبير عنها في رقم (٦٩) بالأرقام العربية والتي تعني "الجنس الفموي المتبادل" أو استخدام "زيد الشهيد" للأرقام الهندية في عبارة "واشتبك الرقم (٧(مع الرقم (٨)".[٣] أعطى "أشرف أبو اليزيد" كل شخصية من شخصيات روايته "٣١"[٤] رقما له معنى.

بعض الناس لا يحبون الأرقام ولا التعامل معها ويهربون إلى الدراسات الإنسانية بسببها وتتوقف عقولهم حين يضطرون على إجراء عمليات حسابية معقدة. نقابل نموذجا لما

---

(١) مخالب المتعة، ص ٨٢.

(٢) نادي السيارات، ص ٩٠، ٩١، ٩٢.

(٣) سبت يا ثلاثاء، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٦، ص ٢٣.

(٤) مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.

نتحدث عنه في رواية "عصي الدم" لمنهل السراج[1] التي كتبت فيها: "وجدت غادة أن القسمة هي أصعب المواد. شكرت ربها أن المعلمة عيشة الطبال، ورغم علامة الحساب المتدنية، لم تمسكها من شعرها وتخبط رأسها بالحائط... انتهى دوام يوم من أيام المدرسة، صعدت غادة النزلة بتثاقل راجعة إلى البيت، ملوثة السروال بقطرات بول سقطت رغما عنها، حين رأت ورقة العلامات، والعلامة ضعيف في الحساب. الصف الرابع الابتدائي هو الأصعب، قالت لها أختها الكبيرة فداء مواسية، وجلست بجانبها على المقعد الخشبي الطويل، تشرح لها تمارين الحساب، بينما غادة غائبة في خيبتها، تجرب أن تفهم... لكنها لم تفهم شيئا."[2]

صنف آخر من البشر بينهم وبين الأرقام علاقة خاصة Number Cruncher، فهم يعرفون أسرارها ومتفوقون في الحساب، ويجرون العمليات الرياضية في ثوان معدودة دون استخدام للآلة الحاسبة، ويحفظون أرقام الهواتف مهما كانت طويلة، ويطبقون الأرقام على الواقع بحرفية شديدة، فإذا سألتهم مثلا عن الأشياء التي تتكون من خمسة أجابوا أو ثمانية أوفوا أو تسعة كفوا.

في رواية "أحمد خالد توفيق" "عقل بلا جسد"[3] نقابل هذا الشخص: "ذكاء الأرقام.. صفة أقدرها بشدة وأدرك أنني لم أحظ قط بقسط مناسب منها. في المدرسة كانت رؤية أية أرقام تكفي لجعل عقلي يتوقف عن العمل مؤقتا، تلك الحالة التي تُذكرك بتوقف القلب.. وبرغم هذا لم أعتبر نفسي غبيا قط.. أعتقد أن عقلي كان دوما أكثر تعلقا بالحروف والكلمات.. هذه لغته وذلك غذاؤه الذي يقتات به (عصام فتحي). كان يختلف عني في كل شيء.. كانت له تلك الموهبة الرقمية غير العادية، فلم يكن ينسى أي رقم، وكان قادرا على إجراء أية عملية رياضية بسهولة تامة. حسدته لفترة وحاولت منافسته. استغرق الأمر عدة سنوات حتى بدأت أرى أن موهبته شيء كأنوفنا وشعورنا وطول قامتنا."[4]

(١) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.
(٢) عصي الدم، ص ٦.
(٣) دايموند بوك، الكويت، ٢٠٠٨.
(٤) عقل بلا جسد، ص ١٠.

الملكة الحسابية موجودة أيضا في رواية "أمس انتهينا" في شخص "مصطفى" الذي كان حاذقا في العمل مع الأرقام لدرجة أنه كسر شفرة بطاقات شحن الجوال عن طريق التباديل والتوافيق فنال تعنيف والده. في موضع آخر يقول: "انقلب المشهد مرة أخيرة فوجدت نفسي ألعب السودوكو على زجاج النافذة؛ وأكتب الأرقام وأحركها بعيني. تشاجرت الأرقام فيما بينها وهي تحاول أن تخترق الزجاج لتظفر بي تماما كالحيوانات المنوية في سعيها نحو الحياة. مسك الواحد بالثمانية من حزامها حتى خنقها. تناطحت الثلاثة مع الاثنين. دارت الستة والتسعة في الهواء كصقرين في خضم عراكهما. ظلت السبعة مترفعة.. ذاك رقمي المفضل:[1] سبعة أيام وسبع سنين عجاف، سبع سماوات وسبعة ألوان لقوس قزح، سبعة أقزام حول سنووايت وسبع خطايا وسبع بحار يقطعها سندباد، سبعة أعمدة من الحكمة وعجائب الدنيا السبعة."[2]

في رواية "محمد شكري" "الشطار" نقابل نموذجا آخر لهذا العبقري: "كان في الحي كسيح متفوق على كل التلاميذ في الرياضيات. ربما كان متفوقا على بعض المعلمين، كما سمعت تلامذة قسم الشهادة يقولون. انقطع عن الدراسة في مستوى الشهادة الابتدائية دون أن يشارك في امتحان الالتحاق بالتعليم الثانوي. أمه ماتت وأبوه هجر المدينة منذ أعوام ولم يعد قط. لا خبر عنه. ترك كسيحه مع خالته البكماء الصماء تكسب العيش من نبش أزبال الصباح الباكر وتترزق الله بالتسول في محطة السفر. يقوم بالعمليات الحسابية والتلاميذ حوله يسألونه وهو يفسر لهم حل العملية بعدة طرق. تقديرا لذكائه الرياضي يعطيه التلاميذ سنتيمات، أو سجائر منفردة، أو شيئا من الأكل."[3]

هوس البوكاكي

الهوس بالأشكال الجنسية الغريبة والشاذة أمر معروف ومستقر. ومن هذه الصنوف الهوس بالدمي الجنسية وتبادل الأزواج Couple Swapوالجنس الجماعي.. والقائمة ممتدة.

---

(١) عنون "محمد صادق" إحدى رواياته "هيبتا"، أي رقم "سبعة" باليونانية، وفيها قسم العلاقات الغرامية إلى سبع مراحل. (الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤).

(٢) أمس انتهينا، ص ١٤٦، ١٤٦.

(٣) الشطار، ص ٢٧.

تُعرف النقطة الأخيرة بـهوس "البوكاكي" Bukkake Mania. تعود أصول "البوكاكي" إلى اليابان حيث كانت تُجرد المرأة الخائنة من ملابسها بالكامل وسط البلـدة ثـم يقـذف الرجـال منيهم فوقها تعبيرا عن الاشمئزاز والقرف. جاءت إحدى روايات "حفيظـة قاسـمي" تحـت عنوان "رشوا النجوم على ثوبي"،[(1)] وحقيقة لا ندري هل كانت تُلمـح لهـذا الفعـل الـسابق ذكره استنادا للبيت الذي يشبه فيه "نزار قبـاني" قطـرات المنـي بـالنجوم: "وفي الليـل تبكـي الوسادة تحتي / وتطفو على مضجعي الأنجم."[(2)]

نموذج لـ "الأورجي" Orgeyالمرتبط بالاستغلال والشذوذ نطالعه في رواية "العالم على جسدي":[(3)] "كنت أستطيع فعل ما أشاء بمـن أشـاء مـن عبيـدي، خيمتـي تمتلـئ مـن كـل الفتيات والنساء والغلـمان، كلـما تـذكرت حفـلات التعريـة والمناكحـة التـي كنـت أنظمهـا باستمرار أزداد تعجبا من عدم لمسي لهذا الصبي ولو مرة واحدة، لم يسلم جسد من بطشتنا أنا ومن جاء إلى خيمتي."[(4)] في رواية "شارع مصنع النسيج" يُطلق "صـفوت عبـد المجيـد"[(5)] على الظاهرة "ليلة العشق الجماعي".[(6)]

"أورجي" آخر بطله رجل واحد والعديد من النسوة كتب عنـه "مـصطفى البلكـي" في روايته "طوق من مسد":[(7)] "ظل الكاشف في بهو قصره، عاريا لا يـستر عورتـه إلا سروالـه الحرير، يصرخ بين نسائه، وجواريه، والطواشي الموكل إليه مهمة الاعتناء بالنـساء التـي يُقـال إنه يجامعهن كلهن في ليلة واحـدة وهـن في غرفـة واحـدة، قـد لا تـصدق، ولكنهـا حقيقـة، فوجبته لا يغيب عنها لحم الضأن... يقولون إنه ابتدع طريقـة جديـدة، علمتـه إياهـا جاريـة رومية، طريقة تعتمد على إيصال كل واحد إلى ذروة النشوة بدون أن يتدخل هو، الـذي يظـل

---

(١) دار صامد للنشر والتوزيع، صفاقس، ٢٠٠٠.

(٢) من قصيدة "مكابرة".

(٣) يوسف نبيل وزينب محمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.

(٤) العالم على جسدي، ص ١٥ – ١٦.

(٥) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٦) شارع مصنع النسيج، ص ١٢.

(٧) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠.

يتفرج عليهن وهن يطفئن نيران بعضهن، في تلك اللحظة يقوم ويمسك بكل واحدة، فلا تأخذ في يده إلا لحظات يوصلها خلالها إلى عنان السماء."(١)

و"أورجي" ثالث أو الجنس الاحتفالي يقدمه لنا "حجاج أدول" في روايته: "ثلاث برتقالات مملوكية":(٢) "عائلة غنية من طواغيت العائلات الحاكمة، أتوا بشاب وزوجته، ليعملا في خدمتهم. اكتشفوا جمال الزوجة الملفت، ورقصها اللدن السلس، فصار عملها الأساسي إمتاع أسيادها بفتنتها جسدا ووجها وأيضا رقصا مع بقية الراقصات، والراقصين في احتفالات قصف ورفس."(٣)

في رواية "محمد برادة" "حيوات متجاورة"(٤) نقرأ عن هذه الظاهرة "الكينيكية" Kinky الممجوجة: "سأحكي لك ليلة من تلك الليالي التي كان يلذ لكمال أن يسميها -Pince fesse، حفل إباحي،(٥) نوع من الخلوة بين أصدقاء وصديقات، رجال وعشيقات يتخففون خلالها من الكلفة ويتفننون في ابتداع الإيروتيكية... الوصلة المثيرة من السهرة، بدأت بعد منتصف الليل... صعد إلى المنصة صديق ظريف لكمال يجيد الكلام والإضحاك ويجعل الناس على راحتهم بدون كلفة، مع جرأة وخفة دم. قال الشاب... سنختار عشرين امرأة ليصافحن (---)(٦) المحظوظين الذين تختارهم القرعة طالبين من كل واحدة أن تتفوه تلقائيا بصفة ما تحس أنها تنطبق على ما لمسته؛ وطبيعة الحال سنضع عصابات على أعين المصافحات تلافيا للحرج! ضجت القاعة بالصياح والتصفيق والضحكات، وسرعان ما أجريت القرعة ولم أكن أنا من بين المحظوظات."(٧)

في رواية "جن وجنون وجريمة" يصور لنا "خضير ميري"(٨) واحدة من هذه الحفلات: "تغمض عينيها وتكز على أسنانها وتجعل أعضائها الداخلية تعمل بتلقائية... تسمح لفم

(١) طوق من مسد، ص ٨٢، ٨٣.
(٢) دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١١.
(٣) ثلاث برتقالات مملوكية، ص ٨.
(٤) نشر الفنك، الدار البيضاء، ٢٠٠٩.
(٥) عالجت "كوثر هيكل" هذه النقطة في فيلم "حبيبي دائما"، ١٩٨٠.
(٦) الآلة الجنسية للرجل، وتم حذف الكلمة بواسطة الباحث.
(٧) حيوات متجاورة، ص ٣٢، ٣٤، ٣٥.
(٨) نفرو للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧.

الرجل أن يلعق ويلحس ويمتص... إلا إن ما فعلوه بها، ذلك النهار، كان كثيرا عليها. لقد اعتدوا عليها جميعا، ومارسوا حفلة بدائية غوغائية لا رحمة فيها وعندما نجحت بالهرب أخيرا، شعرت أن جسدها كان مخدرا ونهديها متورمين ومزرقين، أسفلها مجروح كما لو أن ملحا دُفن فيه."[١]

في رواية "أقفال العشق" تأخذ الظاهرة بعدا أكثر إباحية: "اقترحت عليه كوبسس السفر إلى أي منطقة داخل أو خارج فرنسا، عرض هو في المقابل دعوة بعض الأصدقاء والصديقات فيما يُسمى بالأورجي، وهو – على حد قوله – تقليد كان يقوم به آلهة اليونان فيشربون ويأكلون ويرقصون. أخبرها أن ما ستعاينه في هذه الحفلة سيؤجج الطاقة الفنية الإبداعية لديها، وافقت كوبسس تحت ضغط وإلحاح من باب التجربة وخوفًا من أن تفقد العلاقة للأبد. ما لم تكن تعرفه أن ما تخشى فقده تفقده بالفعل. بدأ الحفل بطقوس عجيبة حيث قام الرجال بغسل أقدام النساء وتقبيلها كما لو كانوا قساوسة كاثوليكيين في الخميس المقدس، أسلمت قدميها لصديق لهما بالغ في غسل قدميها وتقبيلهما الأمر الذي جعلها تقف فجأة وتبتعد عنه. تبين أن الأورجي ليست حفلة للأكل والشرب والرقص وحسب، كانت هذه أول مرة تسمع وتشاهد فيها كوبسس أشياء مثل جلوس النساء بمؤخرتهن على وجوه الرجال والمعاشرة الثلاثيةMénage à trios والولوج المزدوج Double penetration. رفضت فعل ذلك واحتقرته واحتقرت نفسها، سقطت ورقة التوت. كان أفظع ما شاهدت في هذه المسخرة هو حين قذف كل الرجال المجتمعين وعددهم خمسة خلا زوجها بمنيهم على فتاة سمراء، يسمون هذا الفعل الشائن بوكاكي... لقد كان منظر الفتاة السمراء وعلى وجهها وشعرها كل هذا السائل مثيرا للامتعاض، خاصة بعد أن بدأ يفقد لزوجته. الأسوأ من ذلك هو ضحك الرجال الهستيري وتعليق زوجها: السلاح المنوي أقوى من السلاح النووي. استقر في وعي كوبسس وضميرها أن كل الرجال يسببون الغثيان... يبدو أن ماتيلدا كانت على حق. الرجال والقذارة والحقارة ألفاظ مترادفة، الرجال ضفادع لزجة أو ظربان نتنة، عقولهم مريضة. كلامهم قبيح. يلعبون في أعضائهم الذكورية. يفكرون بنصفهم السفلي."[٢]

---

(١) جن وجنون وجريمة، ص ٢٥.

(٢) أقفال العشق، ص ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥.

يرتبط بفعل البوكاكي أيضا هوس المرأة بالسائل المنوي الذي هو "ماء الحياة" وبدونه لا يحدث الإخصاب. يتدفق إكسير الحياة ومعه ملايين الحيوات التي تموت كمدا على جدار رحم عنيد بينما يفوز بالسباق رأس واحد ويفلح في اختراق الحواجز والفوز بالبويضة النافرة المستفزة. في رواية "مريم الحكايا" لعلوية صبح نقرأ عن هوس النساء بمني الرجل: "غالبا ما أضغط على رأسه بيدي وأنا أحكي، أحكي ما يريد أن يسمعه وهو يشمشمني وأعود بدوري وأشم سائله المنوي على فخذه أو على باطن فخذي، وأمرغ وجهي فيه أحيانا"[(١)] وفي رواية "قبر راحيل" نقرأ: "كان منظر الواقي بعد القذف مثير للقرف. أدرك الآن فقط لماذا ألصقه الإنجليز بالفرنسيين فأسموه French Letter بينما يطلق عليه الفرنسيون .Capote anglais فوجئ برواء تبتلع منيه! أخبرته أنه غني بالبروتينات والهرمونات والمعادن وأنه مفيد للصحة. شعر بالاشمئزاز حين أخبرته أنها تتمني أن تحصل على المني الذي قذفه الرجال منذ بداية الخليقة، بل ومني الخيل والبغال والحمير. كاد أن يتقيأ لولا أنها سارعت فأوضحت أنه يُستخدم في كريمات الجلد، وانه مفيد في عمل ماسكات الوجه حيث يبيض البشرة ويرطبها ويقضي على الهالات السوداء!"[(٢)]

ويبدو أن الرجال أيضا لديهم هوس بمنيهم أو هذا على الأقل ما صوره "حسين عبد الرحيم" في روايته "المُستَبقي"[(٣)] مازجا إياه بدم البكارة وعرق الشهوة الذكوري: "صار العرق ينز من صدري، يفر من جبيني بسرعة فيصل إلى بطني، وقدمي اليسرى صارت تزن وسقف غرفتي يدنو ودما أحمر قان يمتزج بمني أبيض نشوي يتسرسب، ينفذ من مساحات الحوائط والجدران يغمر جسدي، الدم يملأ غرفتي ويسيل في الطرقات. المني يطفح. يعلو. يصعد لسريري."[(٤)]

هوس الرقص

"كنت أعشق الرقص وأشعر أن جسدي كله يُخلق من جديد وأنا أمارسه."[(٥)]

---

(١) مريم الحكايا، ص ٦٨.
(٢) قبر راحيل، ص ٢٥.
(٣) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧.
(٤) المُستَبقي، ص ١٣.
(٥) نورا أمين، الوفاة الثانية لرجل الساعات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٥٢.

"كان الرقص وسيلة لامتلاكها، فقد أدرك من الوهلة الأولى ما يعتمر به جسدها وما يعتمل في روحها من رغبة في الانطلاق."[١]

"الرقص مفرح.. يدير الرأس.. يسكر. لو عرفه الذين يشربون الخمر ليسكروا، لسكروا بالرقص بدلا مما يشربون. سكر الرقص أحسن، ودواره أرق دوار. سكرت من النبيذ خفية، فدار رأسي حتى نمت، ثم انقبض بطني بعد صحوي وصدع دماغي. الرقص لا يصدع ولا يقبض، بل يطرح عنا الأحزان ويكسو الخدود حمرةً مشتهاة، ويمنح الراقصات مفتاح المرح. والأهم، أنه يترك للصبايا فسحة لتبيان المفاتن."[٢]

عرف الإنسان الرقص منذ قديم الأزل ووظفه في طقوس الحرب والغزل والزواج، بل وأحيانا الاحتفالات الدينية. من الصعب أن نجد طائفة لا يحتل الرقص عندهم جزء من الموروث الثقافي. الرقص شعور فطري متأصل حتى أننا نجده موجود لدى الحيوان في موسم التزاوج. مع تطور الموسيقى خرجت علينا رقصات شهيرة فردية وجماعية نخص منها السامبا والرومبا والتانجو[٣] والمكارينا والصلصا... إلى آخره. أغنية "دين مارتن" Dean Martin "أرقص معي" Dance With Me كانت المفتاح للرقص الرومانسي الهادئ بين الرجل والمرأة، لكن الرقصات الشهوانية حاضرة أيضا في عالمنا، والرقص الزرباوي (نسبة إلى زوربا) غير رقصات الغنج غير رقص المولوية.

الثابت بالرغم من ذلك أن الرقص يكون أحيانا علاجا من الأزمات والملل. "الرقص هو تحرر البدن من المقموع بالداخل... الرقص هو هذه الفوهة التي يُخرج بها الجسد كل غليانه، كل حرقته، كل احتباساته، كل جيشان الهرمونات الصارخة به، والضاجة بزوابعها اللاإرادية."[٤] تناول الكاتب الياباني، "هاروكي موراكامي"، هذه النقطة في روايته "رقص.. رقص..رقص". هذا وعالجت السينما الأمريكية هذه الظاهرة في فيلم "هلا رقصنا" Shall We Dance، 2004 وعربته السينما المصرية عام ٢٠٠٦، وقبلها عام ١٩٩٧ أكدت الأخيرة

---

(١) جمال مقار، جواد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٧٢.

(٢) يوسف زيدان، النبطي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٤٨.

(٣) تناولت الروائية "دلع المفتي" هذه الرقصة في روايتها "رائحة التانجو"، دار مدارك، بيروت، ٢٠١٤.

(٤) فوزية شويش السالم، سلالم النهار، ص ٦،٥.

على ضرورة الرقص في فيلم "المصير". وإجمالا نقول أن الهوس بالرقص Chorophilia ملمح من ملامح الحياة، وصدقت "سمر يزبك" حين كتبت: "أنا أرقص، إذا أنا موجود."[١]

وهوس الرقص من الظواهر التي تنتشر كالنار في الهشيم Dance Epidemic عن طريق العقل الجمعي أو عن طريق ظاهرة أخرى تُعرف بـ "متلازمة عربة فرقة الموسيقى"Bandwagon Syndrome. الرقص موجود في الأدب العالمي. بطلة رواية "تاييس" Thais للفرنسي "أناتول فرانس" Anatole Franceهي راقصة تقدم عروضا مبهرة على المسرح الروماني بالإسكندرية، و"إزميرالدا" في "أحدب نوتردام" تمتهن الرقص.

الرقص موجود أيضا وبقوة في السرد الروائي العربي. الرقص الجماعي أو "الدبكة" موجود في رواية "المنخورة" لعبد الإله الرحيل[٢] ومنها نقرأ: "كان ناقوس الفرح، في نهاية موسم الحصاد، يضج رقصا وغناء في ساحة المهابيل؛ هذا التقليد الذي لم يستطع فلاحو المنخورة أن يتركوه، فمواسم القمح والشعير الوفيرة لابد لها من أن تنتهي بالفرح. رقصة نهاية الموسم تبدأ مع الضحى. يتقدم طه الأعمى بطبله وأبو حسابا بمزماره وتبدأ الرقصة الجماعية بطيئة، ثم سرعان ما ترتفع الأرجل لتدق الأرض بقوة وتتمايل الخصور."[٣]

أما الرقص المنفرد فنجده في قصة "إحسان عبد القدوس" "الراقصة والسياسي"،[٤] وروايته المسرحية "لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص".[٥] في رواية "أميمة الخميس" "البحريات"[٦] نقابل "بهيجة" التي تحب الرقص، كما نقابل "سعاد" التي يجبرها زوجها على ارتداء بدلة العوالم والرقص له طوال الليل. أما التدرب على الرقص فنجده في رواية "في

(١) جبل الزنابق: نصوص، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٣، ص ١٦٢.
(٢) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.
(٣) المنخورة، ص ١٦.
(٤) مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩.
(٥) دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٣.
(٦) دار المدى، دمشق، ٢٠٠٦.

انتظار الحياة" لكمال الزغباني:[١] "كانت تتدرب على ترقيص عجيزتها الصغيرة وعلى جعل نهديها الناشئين يهتزان."[٢]

رقص ليلة الحناء نرصده في رواية "حسن حميد" "أنين القصب": "وحين تنتهي المرأة السمينة من الرسوم على كفي الفتاة تمدد ذراعي الفتاة فوق ركبتيها، وتبدأ بالرسم على قدمي الفتاة وساقيها، وما إن تنتهي حتى تعطي الإذن بالرقص، فتقوم واحدة من النساء وتسحب أم الفتاة من وسط الحشد إلى منتصف الدائرة لتبدأ بالرقصة الأولى مباركة لابنتها التي تستعد للزواج في الأسبوع القادم، تنهض الأم وترقص طويلا حتى تتهالك راكعة أمام ابنتها، عندئذ.. تنحني الابنة على جبين أمها وتقبلها وسط غناء عذب، وصيحات فرح تعلن عن اختتام طقس الحناء.. فتنهض الفتاة، وتنهض أمها أيضا.. مصحوبتين بعدد من النساء، فينتحين جانبا، ويشرعن بالرقص والغناء."[٣]

"رقص" هو عنوان رواية لمعجب الزهراني.[٤] بطلة رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج هي راقصة باليه. من رواية "الحريم" لحمدي الجزار نقرأ: "مارى جسد أبيض، وشعر أشقر طويل، ترتدى بدلة رقص حمراء، السوتيان أحمر ولامع وقابض على ثدييها، والجزء الأسفل من البدلة يكشف فخذيها الرياضيتين القويتين، وساقيها المدورتين، وحافية القدمين."[٥]

في "راقصة المعبد" يتناول "توفيق الحكيم" حياة العوالم بالرغم من أن العنوان يوحي بالرقص القاتل أو "إستربتيز سالومي" على رأس "يوحنا المعمدان" أو "يحيي" عليه السلام، وهو ما استنسخه "جورج سالم" في روايته "في المنفى":[٦] "ازدادت الأضواء قليلا قليلا، وراحت المغنية ترقص متشحة بغلالة بيضاء شفافة، وهي تدور وتدور ويداها بين انبساط

(١) دار أديكوب، تونس، ٢٠٠١.
(٢) في انتظار الحياة، ص ٨٨.
(٣) أمين القصب، ص ١٧.
(٤) دار طوي، بيروت، ٢٠١٤.
(٥) الحريم، ص ١٨٣.
(٦) منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٢.

والتفاف، ثم أخذت تتعرى شيئا فشيئا، فنزعت عنها الغلالة ورمت بها أرضا والآلات الموسيقية تعكس أنين الجالسين، ثم نزعت ما كان يخفي صدرها، فاستبان جسدها الناعم اللدن. كانت رؤية المغنية تخدر الحضور وتثير فيهم أعنف المشاعر فتند عنهم حركات وإيماءات فيها الكثير من الشوق والحمية، وكانوا يتمايلون في مقاعدهم نشوة، ويكبون على الكؤوس يترعونها بأناملهم بعد أن فرغت حتى آخر نقطة فيها، والمغنية ترنو إليهم بمزيد من الدلال لتوزع عليهم نظراتها بالتساوي وتتيح لكل منهم أن ينهل نظرة من جسدها العري اللدن بعد أن انتزعت كل ما كان يستره."[1]

ومشهد آخر لرقصة "سالومي" يقدمه لنا "عمرو عافية" في روايته "رقصات الرؤى المشوشة":[2] "اقتحمت المكان ببذخ وبدأت في التلون مع دفقات الموسيقى. هي ترقص رقصة سالومي إذن. غلالات شفافة تتطاير مع كل حركة من جسدها... كانت الغلالات تسقط بحركات متمكنة بديعة كأنها تنحل وحدها، ودون مجهود. كل غلالة على حده، منفردة بمتع الحياة المستترة التي لا تتبدى. أمتعتني الراقصة وأرهقتني الغلالة الأخيرة التي لا تكشف جسدها، فقط تلمح به. تبرز مفاتن سماوية وتبشر بعوالم شهية سامية أحن إليها بشدة."[3]

ومن المظاهر الحديثة لرقص "سالومي" ما يعرف بالإنجليزية بـ Table Dance / Lap dance / Bar Dance، وقد كتب عنها "سعيد البادي" في روايته "مدن ونساء":[4] "اكتشفت لاحقا أن هناك عالم سري يدور خلف جدران تلك النوادي الليلية، فيمكن لمن يرغب الاختلاء بإحدى الراقصات أن يشير إليها فقط فتأتيه طواعية لتلبي احتياجاته، قد ترتمي في أحضانه عارية تماما أو ترقص له وحده رقصة خاصة."[5]

---

(١) في المنفى، ص ٢١.
(٢) دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٨.
(٣) رقصات الرؤى المشوشة، ص ٧٦، ٧٧.
(٤) دار كتاب للنشر والتوزيع، الإمارات، ٢٠١٥.
(٥) مدن ونساء، ص ٤٩.

الرقص الشهواني موجود أيضا في رواية "سلالم النهار" لفوزية شويش السالم فبطلتها "فهدة" تُحيي الحفلات الخاصة المشبوهة. في هذه الرواية نقرأ: "الرقص في الشرق وتحديدا في العالم العربي يأتي من الجسد، ليس له أية علاقة في تحرر الروح وانطلاقها في صفاء خفّتها، وشفافية صوفيتها... رقص النساء بشكل عام هو حالة من الجوع السافر المخفي بنقاب وحجاب، وحفلات تقام لتفريغه وإطلاق عنان مكبوتاته، ولإراحة الجسد من شحناته المؤذية. رقص الرجال جوع آخر.. جوع تاريخي."[١]

أما الرقص الرومانسي فكتب عنه "أحمد الصاوي محمد" في روايته "الشيطان لعبته المرأة، والمرأة لعبتها الرجل": "كان يرقص معي بطريقة لا تجعلني أمشي على الأرض بل أسبح في السماء! كان رقصه بطيئا، بطيئا، خفيفا.. في حين ينفجر الحنان من أساريره.. وقد بدأت الرقص معه مبتعدة عنه قليلا فلا يشدني إليه ولم يجذبني، بل تركني أفعل، فإذا بي – أنا نفسي – أقترب منه، وأزداد قربا وتقربا!.. فلما رآني أدنو وأطمئن وأستسلم ضغط عليّ قليلا فما شعرت إلا وأنا مستسلمة إليه تماما، لا، بل أشد من ذلك: متفانية، متلاشية فيه.. كنت الضعيفة وكان القوي. كان النسر الهائل قد بسط جناحيه على فراخه ليحميها."[٢]

في رواية "طارق الطيب" "الرحلة ٧٩٧ المتجهة إلى فيينا"[٣] نقرأ عن أشد مظاهر الهوس بالرقص ونعني به حين ترقص المرأة لنفسها والذي تصل من خلاله للسلام النفسي الداخلي: "دخل ياسين غرفتها فجأة، في الوقت الذي كانت فيه منكوشة الشعر، تربط شال أمها حول خصرها بعقدة على جانب جسمها الأيسر. ذراعاها تتماوجان في رشاقة، وساقاها منفرجتان وجسمها يهتز مع النغمات ويصل إلى حد الجنون، كانت منهمكة تماما في الرقص، الهواية الأحب إلى نفسها آنذاك، وتجد في حركاتها تماهيا تماما مع الوجود، تختار شريط كاست لموسيقاها المفضلة، التي تساعد عضلات جسمها على الانسجام مع النغمات. كان الرقص على موسيقى مقدمة أغنية ألف وليلة وليلة لأم كلثوم، كافيا لأن تقضي بقية اليوم مسترخية، متمتعة بسلام نفسي نادر، وكأنها نفضت عنها هواجسها المقلقة مع كل حركة. قصة ليلى مع الرقص لم تكن جديدة على ياسين، عندما اكتشفت أمها موهبتها في الرقص كانت في الصف السادس الابتدائي، لم يكن صدرها نهض من مكمنه بعد، ولم تبرز لها مؤخرة، مع ذلك كانت

(١) سلالم النهار، ص ٦، ٨.
(٢) الشيطان لعبته المرأة – والمرأة لعبتها الرجل، ص ٤٠.
(٣) دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.

تجيد تطويع جسمها بما يتلاءم مع تواتر النغمات، كانت أمها تقف لتتأملها مندهشة من موهبتها العجيبة، فرحة ومنبهرة بها وتخشى عليها في آن واحد. مها أختها كانت تطبل على سطح الترابيزة المتوسطة الصالة، والتي يتناولون عليها الطعام، بعد أن تزيح المفرش الكروشيه جانبا. بينما كان ياسين ينضم في هذه الأوقات إليهم دون أن يشي مظهره بتحول سيحدث بعد سنوات، بل كان أحيانا ينضم إلى أخته، يخلع العصا من المقشة، ويدخل مندمجا راقصا ببراعة في الدائرة التي ترسمها ليلى لنفسها، كأنها حدود، أو مجال غير مرئي لأحد آخر غير عيون حواسها. تنسى الأم نفسها وأعمالها المنزلية وتنجذب لهذا الفريق السعيد وقلبها يرقص معهم فرحا."[١]

في رواية "فتحي سلامة" "البدايات والنهايات"[٢] نعرف شيئا عن هوس الغربيات بالرقص الشرق: "إنهن يعشقن الرقص الشرقي، وبعض الفتيات يتعلمن هذا الرقص من خلال رحلات فنية إلى مصر.. بل هناك جمعيات للرقص الشرقي، ولديهن هوس بهذا اللون من الرقص.. وبصراحة إنهن لا يجيدونه ويؤدونه بطريقة تثير الضحك. قلت في سخرية: وأنت تجدين الرقص الشرقي.. أنت من أصل شرقي، ويبدو أن الرقص الشرقي مع بنات الشرق بالفطرة."[٣]

هوس الذهب

الناس تذهب لمن لديه الذهب وتنفض إلى من عنده الفضة! جُبل الإنسان على حب الذهب Auromania حتى لو ضاعف الوادي منه إلى واديين. تُعرف هذه الظاهرة بـ "متلازمة أوليفر تويست" Oliver Twist Syndrome حين صاح الصبي "اعطني المزيد" Give me some more. صحيح أن "أوليفر" كان يطلب طعاما ليسد جوعه، لكن الجملة تتسع لتشمل الطعام والمال والذهب والفضة والمناصب والسلطة والثياب، بل وحتى سنين العمر. الطمع Avarice على أي حال من السبع خطايا المهلكات.

(١) الرحلة ٧٩٧ المتجهة إلى فيينا، ص ٢٦، ٢٧.
(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧.
(٣) البدايات والنهايات، ص ١٨٠.

يُقال أن المسيح اصطحب رجلا في سفر قصير وتـزودا بثلاثـة أرغفـة مـن الخبـز. حـين ضربهما الجوع وجلسا لتناول الطعام وجـد عيـسى ﷺ رغيفـين فقـط، فـسأل الرجـل: أيـن الرغيف الثالث؟! فأجاب: والله ما كانا إلا اثنين فقط. لم يعلق نبي الله وسارا معـا حتـى أتيـا رجلا أعمى، فوضع عيسى ﷺ يده على عينه، ودعـا الله لـه فـشفاه الله عـز وجـل ورد عليـه بصره. التفت المسيح إلى مرافقه قائلا: بحق من رد عـلى هـذا الأعمـى بـصره، أيـن الرغيـف الثالث؟ فرد رفيقه: والله ما كانا إلا اثنين. تابعا الرحيل حتى أتيـا نهـرا. قـال الرجـل: كيـف سنعبر؟ فرد عيسى ﷺ: قل باسم الله واتبعني. فسارا على الماء وأعاد المسيح سؤاله: بحق من سيرنا على الماء أين الرغيف الثالث؟ فأجاب الرجل: والله مـا كانـا إلا اثنـين. عنـدما وصـلا الضفة الأخرى جمع عيسى ﷺ ثلاثة أكوام من التراب ثم دعا الله أن يحولهـا ذهبـا، فـصارت ذهبا، فقال الرجل متعجبا: لمن هذه الأكوام؟! رد نبي الله: الأول لك، والثاني لي والأخير لمـن أكل الرغيف الثالث. فعلق الرجل بسرعة: أنا الذي أكلته. حينها قال عيسى ﷺ: كلها لـك. مضى المسيح تاركا الرجل غارقا في لذة المال وحب الدنيا، وما هي إلا دقائق حتى أتى نفر من قطاع الطرق فقتلوه وسلبوا الذهب!

اطلب من عشرة أشخاص أن يتمنوا ثم دعهم يفصحون عن أمنياتهم. ستجد قرابة ثمانية منهم تمنى المال. ناقش أحدهم سيقول لك أنه تمنى لو وجد كنزا من كنوز "الملـك سـليمان". تمنى لو عثر على الفروة الذهبية ومغارة "علي بابا" أو حتى ما تبقى من عجـل بنـي إسرائيـل. تمنى لو عرف السر الذي مكن "قارون" من امتلاك كل هذه الثـروة. تمنـى لـو حـاز غزالتـي "عبد المطلب بن هاشم". تمنى لو امتلك عروق الـذهب في "جنـوب أفريقيـا وتـلال النوبـة وعطبرة وتَرْشِيشَ وأوفير."

تمنى لو قادته الصدفة إلى خبيئة كما حدث مع "عبد الله بن جدعان". تمنى لو وجد دفائن وطمائر القراصنة وذهب "اللدرادو". تمنى لو عثر على "حجر الفلاسفة" فيتحول الـتراب في يديه إلى ذهب. تمنى لو وجد سواري كسري وذهب سفينة "كارنتـك"The Carnatic التـي غرقت في البحر الأحمر بالقرب من جزيرة "شدوان".

ربما واحد أو اثنين من العشرة سيقول لك: ما قيمة أن يكنز الإنسان المال ثـم لا يـستمتع به؟ هل أنقذ المال الذي كنزه "قايتباي" مصر؟ وهل نفع الـذهب الـذي كنـزه "المستعـصم" صاحبه حين شعر بالجوع فجاءه "هولاكو" بطبق عليه سبائك من ذهب قـائلا: كـل؟! مـاذا

فعلت الثروة لرجل الدولة الروماني، "ماركوس كراسوس" Marcus Crassus حين صبوا الذهب المنصهر في حلقه؟! ماذا فعل الذهب لبني إسرائيل؟ وهل أفاد ذهب "كاليفورنيا" "چيمس مارشال" James Marshall، الرجل الذي اكتشفه في مجاري الأنهار هناك وانتهى به الحال فقيرا معدما؟ ألم تسمع عن قصة الملك "ميداس" Midas؟ ذات يوم بينما كان الملك منهمكا في إحصاء ثروته، ظهر أمامه شخص غريب متعجبا من كثرة ذهب الملك، لكن الأخير استصغر ما يقتنيه من هذا المعدن الكريم وتمنى أن يتحول كل ما تلمسه أصابعه إلى ذهب. في صباح اليوم التالي، استيقظ الملك، فأزاح الغطاء الذي كان عليه، وإذا به يتحول لذهب، وما حدث مع الدثار وقع للثوب وفرشاة الشعر وهلم جره من الأشياء. طار الملك فرحا فقد أصبح أغنى رجل في العالم. جلس الملك لتناول إفطاره، لكنه لم يستطع الأكل فاضطر الخدم إلى إطعامه وسقايته! فجأة دخلت عليه ابنته وارتمت في حضنه. صرخ الملك: لا!، لكن بنته تحولت إلى تمثال من الذهب. عاد الرجل الغريب في صباح اليوم التالي سائلا الملك عن حاله؟ أجاب أنه أتعس إنسان في الوجود، فأشار عليه الرجل أن يستحم في نهر "باكتولاس" Pactolus ففعل وفقدت أصابعه لمستها الذهبية، لكنه استرد ابنته وطعامه وحياته.

إن العمل هو القيمة الحقيقية وليس المكسب السهل. ألم تسمع عن الحطاب الذي عثر على كنز كبير أسفل شجرة كان يهم بقطعها؟ ملأ الرجل جواله بالذهب وعاد إلى منزله وكف عن التحطيب. أُكتشف سر الكنز وانتشرت حمى الذهب في المدينة، فخرج الناس يحملون منه زكائب إلى بيوتهم، وكما فعل الحطاب كف الخباز عن العمل وكف الحداد وكف الساقي.. عندما ضربهم الجوع لم يجدوا ما يتقوتون به، وعرضوا شراء رغيف من الخبز مقابل كيلو من الذهب أو يزيد!

تناول السرد الروائي العربي لوثة الذهب مقرونا باللغز والمغامرة في البحث عنه. من رواية "الذهب التركي" لسيف الإسلام بن سعود[١] نقرأ: "تعرفت على الصديقين عبد الله وجميل ووجدت أنهما مسحوران بتلك القصة العجيبة عن الذهب التركي الذي أخفاه فخري باشا ومختار بك، وأنا أعتقد جازما، أن الرغبة في الاستزادة من الثروات تحرك الجميع، لكن

---

(١) دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧.

الصديقين اللذين يستمعان لي الآن، قد سيطرت عليهما، أكثر من ذلك رغبة الكشف عن الكنز الذي استطاع القائد التركي وكبير مهندسيه، التلاعب من خلالها بمخيلة المغامرين."[1]

تتناول رواية "عقدة سليمان" حكاية كنز "مائدة سليمان" الذي انتقلت من "أورشليم" إلى روما فطليطلة ثم دمشق ومكة.. وهلم جره. تعر الرواية للأطماع ومحاولة الاستيلاء على الكنز، لكنها تنتهي بأن الكنز الحقيقي هم الحب:

– "وردت لفظة "الكنز / الكنوز" ست مرات في سفر أمثال الملك سليمان، صاحب المائدة. لم يُشر أي منها إلى الدلالة الحرفية للكلمة بمعنى المال والذهب والفضة.

– كيف؟

– يقول يا "سينيور" علاء: في بيت الصديق كنز عظيم وفي داخل الأشرار كدر/ القليل مع مخافة الرب خير من كنز عظيم مع هَم/ كنز مُشتهي وزيت في بيت الحكيم، أما الرجل الجاهل فيتلفه/ كنوز الشر لا تنفع، أما البر فيُنجي من الموت/ جمع الكنوز بلسان كاذب هو بخار مطرود لطالبي الموت/ إن دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم. إن طلبتها وبحثت عنها كالكنوز فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله.

– تقصد أن الكنوز الحقيقية هي الحكمة والمعرفة والبر ومخافة الله؟!

أجل يا قبطان. من أجل ذلك أشار السيد المسيح أن مملكته وكنزه في السماء وليس على الأرض. من أجل ذلك قال يسوع: **حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا.**[2] كنزك هو قلبك. ابحث عن الكنز في قلبك. ابحث عن الكنز فيمن حولك. كنزك في خُلقك وبرك وحلمك وعطفك. كنزك في رضاك وقناعتك وصبرك. افتح كنزك وانثر منه على الناس. أعط منه يكثر وأنفق منه يزيد."[3]

---

(١) الكنز التركي، ص ١٤٠.

(٢) مت: ٦.

(٣) عقدة سليمان، ص ٢٩٦ – ٢٩٧.

الفصل الثاني عشر

خوف ورهاب[1]

رهاب الاحتجاز والأماكن المغلقة – رهاب الكتب – رهاب الموت – رهاب الرقم (١٣) – رهاب الاحترار – رهاب اللمس – الخوف من العنوسة – الخوف من الأمطار الرعدية – الخوف من القبل – الخوف من الغرق – الخوف من السرطان[2]– الخوف من الأصوات



(١) يمكن تقسيم الرهاب بشكل عام إلى "رهاب شخصي محدد" Specific Phobia كخوف شخص ما من المرتفعات على سبيل المثال كما في رواية "على ضفاف البحيرة" للمغربي "مصطفى لغتيري": "أنا بطبيعتي حذرة وأرتعب من المرتفعات، لا أتصور أن تشق بي السيارة طريقها وسط الممرات الوعرة و المرتفعة، مجرد التفكير في ذلك يصيبني بالدوار، لذا لم أكن أبدا أفكر في زيارة أية مدينة من المدن الجبلية، التي كثيرا ما سمعت قصصا عن مسالكها الصعبة والشاهقة وعن الحوادث الخطيرة التي تتسبب فيها." (دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٣١)، أو كالخوف من الفئران كما في رواية "سيرة الرماد" لخديجة مروازي والتي يرى فيها "مولين" الفأر كأنه فيل (أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠). راجع "قائمة بعض المشاهير المصابين برهاب محدد أو العمل الفني الذي تناوله" في مسارد الدراسة. النوع الآخر من الرهاب هو "الرهاب الجماعي" أو بالأحرى "الاجتماعي" Social Phobia كخوف الفتيات مثلا – في المجتمعات الإسلامية تحديدا – من العنوسة.

(٢) للقائمة كاملة راجع مسرد الهوس والرهاب في فهارس الدراسة.

رهاب الاحتجاز والأماكن المغلقة

"رهاب الخلاء" Agoraphobiaهو نوبة من التوتر والهلع من الأماكن العامة أو المجهولة Terra Incognita. كثير من الناس لا يشعرون بالراحة في الأماكن المفتوحة Open Air. في بعض الحالات يلزم الشخص المُصاب بهذا الرهاب المنزل فلا يغادره إلا لضرورة لأنه لا يشعر بالأمان إلا فيه. يُقال أن "تشارلز داروِن" كان مصابا بهذا الخوف.[(١)]

نقرأ من رواية "مصطفى خليفة" "القوقعة":[(٢)] "قضيت هناك داخل قوقعتي في السجن الصحراوي آلاف الليالي استحضر المئات من أحلام اليقظة، كنت أمني النفس أنه إذا قُيض لي أن أخرج من جهنم هذه، سوف أعيش حياتي طولا وعرضا وسأحقق كل هذه الأحلام التي راودتني هناك. الآن.. ها قد مضى عام كامل.. لا رغبة لدي في عمل شيء مطلقا. أرى أن كل ما يحيط بي هو فقط: الوضاعة والخسة.. والغثاثة! وتزداد سماكة وقتامة قوقعتي الثانية التي أجلس فيها الآن.. لا يتملكني أي فضول للتلصص على أي كائن! أحاول أن أغلق أصغر ثقب فيها، لا أريد أن أنظر إلى الخارج، أغلق ثقوبها لأحول نظري بالكامل إلى الداخل. إليّ أنا.. إلى ذاتي! وأتلصص."[(٣)]

يُعرف الرهاب المقابل بخوف "الاحتجاز والأماكن المغلقة" Claustrophobia. الجدير بالذكر أنه يتم إخضاع ضباط الغواصات لاختبارات قاسية للتأكد من عدم إصابتهم بهذا الرهاب. المصابون بهذا الرهاب يخشون السفر بالطائرة أو القطار. في رواية "ليمبو بيروت" كتب "هلال شومان": "أنا لا أستقل القطارات. اكتشفت رهابي من القطارات في الشهر الأول لقدومي لندن. أصدقاء أصدقائي العرب دعوني لأزورهم في مانشستر. قطعت التذكرة ووقفت أنتظر في المحطة. كلما مر قطار مسرع بالقرب مني، إما مغادرا أو واصلا، كنت أحس بضيق. عندما وصل قطاري، وقفت أمام الباب المفتوح لثوان معدودة. كان بالإمكان أن أقف أكثر، بل حتى أن أتراجع عن الصعود، لكن الرجل الضخم ورائي، دفعني

(1) Barloon, Thomas and Russell Noyes, Jr. 1997. "Charles Darwin and Panic Disorder." JAMA 277(2):138-141.

(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.

(٣) القوقعة، ص ٣٨٣.

إلى الداخل طالبا مني الإسراع لأن الباب سيقفل أوتوماتيكيا. وجدت نفسي مع حقيبتي الصغيرة في الداخل. بينما انهمك الناس بتوضيب أمتعتهم، كنت أفكر بالترجل. لكن القطار ما لبث أن انطلق، ووجدت نفسي محاصرا في المركبة المتحركة. لم أستطع أن أجلس على المقاعد العادية كما الآخرين. تجمدت رجلاي... كان العرق البارد قد بدأ يبلل قميصي. وبدأ وضعي يسوء عند دخول القطار في الأنفاق الحجرية أو مع مرور قطار آخر على السكة المجانبة، منتجا صوتا غريبا عند التلامس. انتابتني حالة من الغثيان المستمر لكن معدتي الخاوية منعتني من التقيؤ... ظللت أنظر من موقعي إلى السكة الحديدية المحاذية تركض. رأيت حدائد السكة تتباعدان وتلتفان ثم تقتربان وتتقاطعان، قبل أن تتباعدا من جديد."(١)

يشمل هذا الرهاب أيضا ركوب المصعد. عالج "نجيب محفوظ" هذا الخوف في سيناريو فيلم "بين السماء والأرض" ١٩٥٩. التسمية الصحيحة هي "بين الحياة والموت". شعر الجميع بالخوف وبدأ الأكسجين يقل في المصعد. الحقيقة يكتشف العديد من الناس أخطائهم داخل المصعد ويقرر آخرون ماذا يريدون بالضبط خاصة إذا تعطل بهم. حدث هذا في الفيلم السابق ذكره وفي "لديك بريد" You Have Got Mail، 1998 حين أدرك "شارلي"، عامل المصعد البسيط أنه يريد أن يُمضي ما تبقى من عمره مع فتاته: "إذا قُدر لي أن أخرج من هنا فسوف أتزوج "أوريت" فأنا أحبها. لا أدري ما الذي منعني من القيام بذلك؟!"

تدور رواية "رشيد بوجدرة" "الإراثة"(٢) حول مهاجر يضيع في متاهة أنفاق المترو المتشابكة الخافتة كما لو أنه نزل إلى الجحيم. نجح "بوجدرة" في جعل القارئ نفسه مأزوما وحائرا ومختنقا. كتب "مؤنسس الرزاز" موصفا هذه الحالة في روايته "أحياء في البحر الميت":(٣) "الجدار أمامي داكن. بدا محدوبا بشكل مميز، ذكرني بجدران فان كوخ. السقف يهبط على صدري. الأرض تحتي ترتفع. الجدران الأربعة تحاصرني وتتقدم بحذر وحقد. مؤامرة لسحقي كذبابة. أختنق. الغرفة تطبق عليّ. أتضرج بالعرق."(٤)

(١) ليمبو بيروت، ص ٥٠، ٥١.

(٢) منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، ٢٠٠٣.

(٣) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢.

(٤) أحياء في البحر الميت، ص ١١.

يصف "محمد ناير" الاختناق الوظيفي داخل مكعب صغير قائلا في روايته "بعد الوقت":[1] "عالمي أشبه بمكعب صغير... ذلك هو عالمي.. إن حدوده هي أربعة جدران.. جدران المكعب."[2] ومن رواية "احتراق الضباب" لباسم عبدو[3] نقرأ: "كنت وحيدا بين أربعة جدارن ألطم رأسي بالباب الخشبي السميك، حتى سالت الدماء منه. جننت يا زينب وفقدت عقلي تماما."[4]

في رواية "النباشون" للمؤلفة "سوسن جميل حسن"[5] نقرأ: "حالات الضيق التي بدأت تنتاب جميلة، ازداد تواترها في الفترة الأخيرة. صارت لا تطيق الحجز زمنا طويلا في صالة الفرز... وقفت أمام باب غرفة مراقب الدوام سليمان مضطربة، لم تكن قادرة على البقاء دقائق أخرى في الصالة، يجب أن تخرج قبل أن تتمكن منها حالة الهلع التي تنتابها... لا بد من أي شيء حتى تنفلت خارج هذا السجن الذي تختنق فيه... خرجت من المبنى إلى الفناء الخارجي... نفرت من الباب خارجة وراحت تهرول في الشارع، لا تعرف إلى أين تذهب، المهم أنها أدركت الفضاء الخارجي، حيث لا جدران ولا سقف."[6]

قدمت الرواية الخليجية بشكل عام أفضل نماذج "الكلوستروفوبيا" حيث نقابل نساء قابعات في بيوت مؤصدة عليها كمية هائلة من الحديد الأمر الذي يتنافى حتى مع تعليمات السلامة والدفاع المدني. تُسمي "فوزية رشيد" هذه الحالة في روايتها "القلق السري"[7] بـ "خندق العتمة". هذا الخندق تختنق فيه المرأة.[8] تعيش نساء وتموت أخريات في هذا الخندق. مساحة التحرك خارجه ضئيلة جدا، لا تتعدى الكيلومترات. من رواية "هدى عواجي"

(١) دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٣.

(٢) بعد الوقت، ص ١١.

(٣) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.

(٤) احتراق الضباب، ص ٤٦.

(٥) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.

(٦) النباشون، ص ٢١٠، ٢١١، ٢١٢.

(٧) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٨) بهاء الدين محمد مزيد، النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ٢٠٠٧، ص ١٩٨.

"إغواء امرأة" نقرأ: "لم يكن زواجي سوى انتقال من زنزانة إلى أخرى؛ إنه المشي في الظلام، كأي زيجة عربية يجب أن أكون جارية وخادمة."[١]

المشكلة الحقيقية أن المرأة الخليجية لا تستطيع ولا يراد لها ولا هي أيضا راغبة في أن تأخذ قرارا بمغادرة المنزل مثلما فعلت "نورا" مثلا في "بيت الدمية"، ربما بسبب التقاليد الموروثة والأعراف السائدة، لكن أيضا لهاجس داخلي عندها بالخوف من المستقبل حين يتقدم بها العمر وعدم وجود السند المادي وخلافه مما يُعرف بـ "متلازمة المرأة حاملة الصُرّة" Bag Lady Syndrome والتي تُصيب بعض النساء في منتصف العمر حين يشعرن بأنهن وحيدات في الحياة ولا يوجد من يعتني بهن أو يعتمدن عليه ماديا.

هذا الإحساس بعدم الأمان يجعل هؤلاء النسوة يتخيلن أنفسهن كالنساء الذين نراهم في محطات القطار والشاحنات يحملن صُرّة فيها متاعهن وربما بعض الطعام ويعشن عمليا في الشوارع. عالجت "أمل شطا" "متلازمة المرأة حاملة الصُرّة" في روايتها "لا عاش قلبي".[٢] تدور الرواية حول مجموعة من النساء المسنات المقهورات البائسات تضطرهن ظروف الحياة والوحدة والنبذ إلى العيش في رباط للعجائز في مكة. وتناولت "ميسون صقر" المتلازمة أيضا في شخصية "ريحانة" التي "أخذ الموت زوجها حبيب وابنتها حليمة، وأخذ البنك البيت، وأخذت الدنيا محراكا، وأخذ الدين نصورا، وظلت هي هنا على شاطئ البحر تضحك بصوت عال، منكوشة الشعر.. وأصبحت مثل أمها مهيرة الخبلة تجري في الطرقات، حاملة طبلة مصنوعة من علبة صفيح تدق عليها بعصا صغيرة أو حصاة."[٣]

عودة إلى رواية "القلق السري"،[٤] يصف "بهاء الدين محمد مزيد" غلافها قائلا: "جسد أنثوي فائر حبيس لا يتصل بالعالم إلا من خلال نافذة تتخللها أسياخ منتظمة متوازية عمودية... وإلى يسار الأنثى سجادة مزخرفة نتبين عليها طائرين حبيسين."[٥]

(١) فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، ٢٠٠٨، ص ٥٢.
(٢) دار خوارزم، جدة، ٢٠٠٧.
(٣) ريحانة، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٠٣.
(٤) من تصميم "نجاح طاهر".
(٥) النزعة الإنسانية...، مرجع سابق، ص ١٣٥.

قدمت "ليلى العثمان" نموذجا صادما لهذه المتلازمة في روايتها "صمت الفراشات"[1] ففيها تتزوج الفتاة الصغيرة من عجوز ديوث مُعدد يستدعي خادمه ليفض بكارتها ليسهل عليه مضاجعتها – أو لنقل اغتصابها – ثم يتركها حبيسة في القصر يمنعها من زيارة أهلها. وحين تتمنع عليه يستدعي خادمته الأجنبية ويعاشرها أمامها. وهكذا وقعت المسكينة حبيسة للقصر والقهر والصمت والوحدة.

كتب "شريف حتاتة" واصفا المشاعر التي تنتاب الحبيس في شخص بطل روايته، "العين ذات الجفن المعدنية"،[2] "عزيز": "طوال الساعات، والأسابيع، والشهور الماضية أحاطت به العيون ترقب نهايته كحيوان جريح سقط في المصيدة، وزحفت عليه جيوش البق تغرس خراطيمها الدقيقة في جلده، وجثمت على أنفاسه روائح العفن، والبول المتراكم... وحاصرته أيضا سلاسل الحديد، وقضبان النافذة، والأبواب المغلقة، وانتظار المصير المجهول، وقلق اللحظة المقبلة، والأصوات الهامسة يسمعها أو يتخيلها تدبر شيئا في الخفاء."[3]

رهاب الكتب[4]

بعض الأشخاص لديهم ما يُعرف بـ "هوس الكتب" Bibliophilia. يقول "سعد حامد" في روايته "البحث عن النسيان": "الكتب لا تفارق يدي.. الكتب دائما."[5] كتبت "هالة كوثراني" على لسان بطلة روايتها "استديو بيروت": "أمشي أنا والكتاب. ولا أمشي من غير كتاب. أشده إلى صدري. الكتاب رفيقي... فتحت كتابي الأسود واحتميت به."[6] خير جليس في الأنام كتاب، كما أنه خير مؤنس وسمير. كتب "غازي القصيبي" في "رجل جاء وذهب":[7] "وجدت عزائي الوحيد في الكتاب. اكتشف هذا العالم الساحر الذي يعيش

(١) دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٧.

(٢) دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٤.

(٣) العين ذات الجفن المعدنية، ص ٤٤.

(4) Holbrook Jackson, The Fear of Books, University of Illinois Press, 1932.

(٥) البحث عن النسيان، ص ١٥٢.

(٦) استديو بيروت، ص ٦، ٨.

(٧) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠.

بموازاة عالمنا. يلامسه أحيانا. ويحتله أحيانا. ويغيب عنه أحيانا. وعندما دخلت كلية الآداب أطبق عليّ هذا العالم الساحر. أصبح حياتي الثانية. الموازية. الملجأ الآمن من عالم غير آمن. الحب بلا خوف. والموت بلا ألم. بساط الريح الذي يجتاز الزمان والمكان. أدخل كتابا، وأمشي في قصر كليوباترا. أفتح كتابا ثانيا وأعد جواري هارون الرشيد. أمتطي صهوة كتاب ثالث إلى الحمراء."[١] أما "هيفاء بيطار" فقد كتبت عن تلك الحميمية بينها وبين الكتب على لسان "هيام"، بطلة روايتها "أفرح صغيرة.. أفراح أخيرة" والتي تمتلك مكتبة لبيع الكتب:[٢] "كان عليها أن تسرع إلى مكتبتها، إلى ملاذها الوحيد، لقد تأخرت عن لقاء أصدقائها الحقيقيين – الكتب – إنها تؤمن أن الكتاب أفضل صديق، ولا شيء في العالم قادر أن يُدخل السلام إلى روحها مثل رائحة الكتب... ما إن دخلت مكتبتها ولفحتها رائحة الكتب، حتى ابتسمت... شملت الكتب بنظرة حنان كأنها تعترف أنها اشتاقت لها بعد إحباط يوم الجمعة الاعتيادي... ما ألذ القهوة وسط الكتب."[٣] وفي رواية "ذكريات معتقة باليوريا" لعلي الحديثي[٤] يفرح الزوج بذهاب زوجته وأولاده إلى أمها ليختلي بالمكتبة: "كنت أفرح فرحا شديداً عندما تأخذ الأطفال وتذهب إلى بيت أهلها لأخلو – لاسيما في الليل- بحبيبتي.. أداعب جوانبها.. أضمها إلى صدري."[٥]

(١) رجل جاء وذهب، ص ٢١.

(٢) الرواية صدرت بعد عشر سنوات من ظهور فيلم "لديك بريد" You' ve Got Mail وتوجد مقاربة واضحة مع حبكته في جزئية المكتبة في مقابل متجر بيع الأجهزة الكهربية. عام ١٩٣٧ كتب ميكلوس لازلو Miklos Laszlo وهو كاتب مجري مسرحية Parfumerie وفي عام ١٩٤٠ حول سامسون رفايلسون Samson Raphaelson هذه المسرحية إلى سيناريو سينمائي حمل اسم The Shop around the Corner. تدور أحداث القصة في متجر ببودابست حيث يتبادل عامل وعاملة الشعور بالكره بينما يتراسلان ويقعان في الحب دون معرفة كلاهما بالآخر. عام ١٩٩٨ ومع ظهور الإنترنت أنتجت السينما الأمريكية فيلما رومانسيا معتمدا على نفس فكرة مسرحية ميكلوس تحت عنوان "لديك بريد" You Have Got Mail. يدور الفيلم حول التوتر الذي نشأ بين صاحبة متجر بسيط لبيع الكتب القديمة ومنافسها في نفس المجال والذي يفتتح متجر ضخم يجبر الأولى على غلق محلها الذي ورثته عن أمها. ومرة أخرى يقيم البطل والبطلة علاقة عن طريق الإنترنت ويقعان في علاقة حب تنتهي بنهاية سعيدة.

(٣) أفراح صغيرة.. أفراح أخيرة، ص ٢٠، ٢٤.

(٤) فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.

(٥) ذكريات معتقة باليوريا، ص ٧.

غالبا ما يثير هؤلاء الناس من محبي القراءة ومدمني الكتب خوف السلطات التي تخشى الأفكار، أو على حد قول "لطيفة حليم" في روايتها "نهاران":[1] "قراءة الكتب تخرب دماغها وتحرضها على السلطة الحاكمة."[2] يفتتح "ممدوح عزام" روايته "أرض الكلام"[3] بهذه الكلمات: "مجانين.. صرخ الملازم عصام الديدي، وهو يقرأ الاقتراح المقدم إليه من قبل لجنة، سمت نفسها لجنة المال في السماقيات، للموافقة على شراء مكتبة للبلدة."[4] كتب "شرف الدين ماجدولين" عن ظاهرة "رهاب الكتب" Bibliophobia: "في الحكايات القديمة يحدثنا الراوي عن العبد المملوك الذي يحمل كتابا ما لأمير ما، كتابا قد يخط على صفحة ورق، أو على صلعة رأس،[5] لكنه في كل الأحوال يحمل رسالة إعدام، هكذا كانت حكاية السموأل... وبعدها سُممت الكتب، كانت حكاية الحكيم يونان في ألف ليلة وليلة هي التي ألهمت أمبرتو إيكو Umberto Eco ليرسم صورة الكتاب المسموم، الذي خضبت حواف صفحاته على مهل لتقتل كل متطفل طموح."[6]

يصيب "رهاب الكتب" الأنظمة الشمولية والدول المخابراتية. عام ٤٥٠ قبل الميلاد تم حرق مؤلفات "فيثاغورث" وطرده من اليونان لأنه قال أنه لا يعرف إذا كانت الآلهة تتواجد من عدمه كما نادي بأن القمر يعكس أشعة الشمس! عام ٨ بعد الميلاد نفي الإمبراطور "أوجستوس" Augustus الشاعر "أوفد" Ovid من روما وتم حرق كتابه " فن العشق " The Art of Love لما يوجهه من صفعة شديدة للأخلاق الحميدة.[7] وهكذا استمر تاريخ منع وحظر إحراق الكتب إلى اللحظة الراهنة بسبب الخوف من محتواها "فالنار تحفظ الأسرار"، كما عبر عن ذلك "راي برادبري" Ray Bradbury في روايته الشهيرة "٤٥١ فهرنهايت" Fahrenheit 451 والتي خرجت للنور عام ١٩٥٣. ودرجة حرارة ٤٥١

(١) دار فكر، الرباط، ٢٠١٢.

(٢) نهاران، ص ٦٧.

(٣) المدى، دمشق، ٢٠٠٤.

(٤) أرض الكلام، ص ٥.

(٥) عالج "بسيوني عثمان" هذه النقطة في فيلم "رسالة إلى الوالي"، ١٩٩٨.

(٦) صحيفة العرب اللندنية، العدد ٩٥٧٩ بتاريخ ٤ يونيو ٢٠١٤، ص ١٥.

(٧) تعرضت السينما المصرية لحرق مؤلفات "ابن رشد" في "المصير"، ١٩٩٧.

"فهرنهايت" لمن لا يعرف هي درجة احتراق الورق. في الرواية المذكورة تصمم عجوز ألا يحرقوا كتبها، بل فضلت أن تحترق معها. كانت هذه هي الهزة ونقطة التحول التي دفعت بطل الرواية، "مونتاج" Montag إلى أن يسرق كتابا أو كتابين ليعرف سر هذه الأشياء الممنوعة التي يفضل الناس أن يحترقوا معها بدلا من العيش والاستمتاع بمظاهر الإلهاء التي تقدمها لهم الدولة.

في رواية الخيال العلمي (Scifi) "عالم جديد وشجاع" Brave New World للمؤلف "ألدوس هيكسلي" Aldous Huxleyرأى الطلبة طفلا دفعه الفضول إلى الحبو نحو كتاب، ولكن ما إن لمسه حتى صعقه تيار كهربي خفيف. علق المرشد بأن هذا الطفل من الفئة (ب) ومن المهم أن يُوجه أفراد هذه الفئة لكراهية القراءة لأن عليهم أن ينفذوا ما يملى عليهم دون أسئلة.

في رواية "حز القيد" لمحمد عيد العريمي[(١)] يقوم الآباء بحرق كتب أبنائهم خوفا عليهم من الاعتقال. في "ثلاثية غرناطة" تنقل لنا "رضوى عاشور"[(٢)] مشهدا مؤثرا لحرق الكتب العربية على يد الإسبان: "اعتبرت القوات الغازية أن كل ما سُطر بالعربية يجب التخلص منه، وأصدرت الأوامر لجمع أي كتاب أو مخطوط، ويُعد من يحتفظ بشيء من ذلك مذنبا يستحق العقاب، وفي ساحة باب الملة ألقت العربات بأحمالها التي جمعتها من كل الأنحاء. وقف الجد مع أحفاده بين الواقفين لرؤية المشهد الحزين."[(٣)]

وهكذا يمضي المشهد وتحترق الكتب ويلفظ الجد أنفاسه الأخيرة لأنه لم يستطع تحمل الصدمة فقد عاش حياته مولعا بالكتب Bibliomania وكان ممن يُسمى عن جد "دودة كتاب" Book Worm. ومن مظاهر الولع بالكتب مسحها إلكترونيا أو سرقتها، خاصة مع ارتفاع ثمنها وعدم القدرة على ابتياعها. نطالع ملمحا لهذه الظاهرة في رواية "محمود الغيطاني" "كائن العزلة":[(٤)] "صوب شارع طلعت حرب، أتوقف قليلا لمطالعة الكتب

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.

(٢) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٣) ثلاثية غرناطة، ص ٥٠.

(٤) سنابل، القاهرة، ٢٠٠٦.

المعروضة مع ذلك البائع المرابض دائما بجوار الأمريكين. وقفتي الطويلة المتأملة جعلته يستريب بي فوقف بجانبي متحفزا بعد أن كان منكمشا في معطفه الثقيل. أيظنني من سارقي الكتب ذلك الأبله؟"[1]

رهاب الموت

"صارت أيامي معدودات، ولم يبق لي إلا أن أترقب ملك الموت، وأن أراقب الأبواب، فلست أدري من وراء أي باب سوف يأتي، لست أدري."[2]

"بصراحة. أنا خائفة من الموت. حتى أصغر عظمة من عظامي مرتعبة. لكني أخادع شبحه أحيانا. مرة أتخيله طائرا سيحملني على جناحيه ويأخذني إلى عالم جميل جميل. ومرة أتخيله كتلة صغيرة زرقاء ستأتي لتلمس جبيني فأختفي ولا أعود أشعر بأي شيء. وفي المرات التي يطلسم فيها عقلي ولا أستطيع هزيمة الخوف، أرفع صوت الراديو وأتركه حتى الصباح."[3] هكذا صاغت "ربى منصور" بكلمات بسيطة رهاب الموت.

"لماذا نتألم ونتعذب ونتوجع ثم نموت وتموت معنا أفكارنا وعلومنا ولغاتنا؟! نستيقظ كل يوم من النوم ونسأل أنفسنا أين نحن؟! وهل نحن على قيد الحياة؟! وهل هذه هي الحياة؟! لماذا تُسمى حياة وتنتهي بالموت؟! وهل نحن موجودون فعلا أم أن حياتنا لا تعدو أن تكون فوتوشوب؟! وإلى متى سنظل هنا؟! وكيف سيكون الوضع هناك؟! ومتى يكون رحيلنا؟! ما هي آخر كلمة سننطق بها؟ ما هو آخر شخص سنراه؟ ما هو آخر طعام سنتناوله؟ وهل يجب أن نذهب؟! نمضي كالحملان في طريق مرسوم ونسأل في خجل مع القطيع: كم غدا تبقى لنا في هذه الحياة؟! المشكلة أننا نعيش حياة مشروطة بالموت. المشكلة أننا نعيش حياة لا نعرف كيف بدأت ولا نعرف متى تنتهي! المشكلة أننا ننام كل يوم ملتاعين ومرعوبين أن لا نفتح عيوننا مرة أخرى." هذه بعض الأسئلة والخواطر التي تنتاب من يصنفون بأن لديهم "رهاب الموت" Thanatophobia.

---

(١) كائن العزلة، ص ١٧.

(٢) إبراهيم درغوثي، شبابيك منتصف الليل، دار سحر، تونس، ١٩٩٦، ص ٣٦.

(٣) معبر المشاعر، ص ٩٣.

يبدأ الإنسان في اكتشاف الموت في مرحلة مبكرة من حياته وهو بعد طفل صغير. في رواية "زمكان" وفي مشهد نمرودي كتب "ثروت الخرباوي":[1] "في اليوم التالي بينما كنت ألعب في مدخل الفيلا رأيت سربا من النمل يمشي بهمة في طابور طويل. جلست وأخذت أترقبه، كان النمل يحمل ذرات صغيرة وفتافيت على رأسه... عنَّ لي خاطر، لماذا لا أصنع الموت... وضعت أصبعي على عدد من النمل ودهستهم، ماتوا، وجدت حالة من الهرج والمرج تجتاح الطابور... رأيت عددا آخر من النمل يأتي إلى النمل الميت ويحمله، راقبته فوجدته يدخل به إلى حفرة في الأرض."[2] ومن رواية "خيوط القدر" نقرأ: "أحسست بالارتباك والحيرة والفزع كمن تاه في المولد. وقفت أمام أمي لا أفهم لماذا لا تتحرك؟ لماذا يغطون وجهها على هذا النحو؟ لماذا الأرض مبتلة؟ وما هذا القطن والقماش الأبيض؟ وما هذه الرائحة؟ لماذا لا تنهض أمي لتدير المذياع وتعد لي كوب الحليب وتعانقني وتقبلني كما هو الحال كل صباح؟ ماذا تفعل في هذا الصندوق الخشبي؟ وإلي أين يأخذونها؟! ماتت أمي اليوم. لاشك أني كنت أدرك أن الموت موجود. شاهدته في عيون الخراف وهي تُنحر في العيد. شاهدته في خياشيم الأسماك حين يتغير لونها وتشبث الصراصير بالحياة في جنون. شاهدته في سحق النمل تحت الأرجل والبعوض على الجدران، لكن ما لم أكن أدركه أن أمي مثل الهاموش تموت."[3]

يُعرف "رهاب الموت" بخوف الإنسان من نهاية حياته وخوفه على أحبائه من الموت وخوفه من كل ما له علاقة بالموت. المصابون بهذا الخوف يتجنبون زيارة المقابر وحضور تغسيل الموتى والذهاب لرؤية الحوادث على الطرق وقت حدوثها أو مشاهدة "فيديوهات" القتل والموت. المصابون بهذا الرهاب لا يحبون الحديث عن الموت، وهو أحد الموضوعات المحببة لدى الشعوب الإسلامية من باب العبرة والعظة. لذا حين يجتمع الشرقي بالغربي ويهم بالحديث عن هذا الموضوع قد لا يجد أذنا متحمسة من الأخير. الشرقيون مشغولون

(١) دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٣.
(٢) زمكان، ص ٢٣، ٢٤.
(٣) خيوط القدر، ص ١٩، ٢٠.

بالموت كما في رواية "رائحة الأنثى" لأمين الزاوي[١] حيث نقرأ: "في قريتنا عادة غريبة، إذ الواحد منا، حين يبلغ سن الأربعين، يذهب في جمع من المسنين إلى المقبرة، فيدور ما بين القبور ويسلم على نزلائها. ويسأل عن أسمائهم واحدا واحدا، ثم يختار له جارا، فيقول: هذا قبري، إشارة إلى المكان المجاور، ومن يومها يظل هو قبره، حتى لو مات في السند أو أكله الحوت، فإن قبرا رمزيا يُحفر له وتوضع له شاهدة ويُسمى باسمه."[٢]

الموت الجماعي بسبب وباء الكوليرا يسيطر على رواية "اليوم السادس" لأندريه شديد.[٣] والموت حاضر في رواية "بثينة خضر مكي" "أغنية النار":[٤] "إنني أخاف الغربة، ويثب قلبي إلى حلقي فزعا، حين أتذكر وأنا على سفر أن الموت ربما يداهمني، ويقشعر بدني وأنا أتخيل رجلا أشعث الشعر له عيون خضراء، قريب الشبه بقطط سواكن المشهورة يحمل شاكوشا ضخما يدق به مسمارا وراء مسمار؛ يثبت غطاء الصندوق الخشبي الذي أرقد أنا مكرفسة ميتة على قاعه الأسفل."[٥] لاحظ استخدام اللفظة "مكرفسة" أو "مقرفصة" والتي تجعل من النعش رحما ويتقارب بين الموت والحياة فمن رحم الموت تخرج الحياة ومن رحم الحياة يخرج الموت وسبحان القائل "تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي".[٦]

يحتل الموت شقا كبيرا من رواية "لا طريق إلى الجنة" لحسن داوود حيث يصاب البطل بالسرطان. السرطان عبارة عن إنسان محكوم عليه بالإعدام ينتظر لحظة التنفيذ. السرطان هو الوجه القبيح للحياة حين تُكشر عن أنيابها.

انتظار الموت المحقق موجود أيضا في رواية "الأسرى يقيمون المتاريس" لفؤاد حجازي[٧] وفيها يقول البطل: "كل ذرة في حياتي ترغب في الحياة."[١] كما أنه حاضر في

---

(١) دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٠.
(٢) رائحة الأنثى، ص ٥٣.
(٣) ترجمة: حمادة إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.
(٤) دار سدرة، الخرطوم، ١٩٩٨.
(٥) أغنية النار، ص ٣٢.
(٦) الروم، ١٩.
(٧) مطبعة طرمان، المنصورة، ١٩٧٦.

رواية "الحرب في حي الطرب" لنجم والي:[٢] "يعرف أنـه سـيموت... سـيموت حتـى وإن استمرت الحرب أسبوعا آخر لا غير، بل يوما واحدا. ربـما سـيموت بعـد سـاعة. إنـه لـيس حدسا عابرا، بل يقينا راسخا منـذ أن رأى الحـرب بوجههـا الحقيقـي."[٣] في روايـة "خميلـة الأجنة" لعلي عبد الأمير صـالح ينـدفع الجنـديان، "سـوادي" و"زريـاب" لا شـعوريا "إلى الماخور. إنهم يمارسون ملاذهم لا من أجل الحصول على اللـذة فحـسب وإنـما ليحققـوا مـن خلالها فعل الحياة المتضاد مع الموت."[٤] دفعتهما غريزة حب الحياة Life Force في مواجهـة موت ساحة الوغى إلى معاشرة المومسات تماما كما فعل الجنود في رواية "إريش ماريا ريمارك" "كل شيء هاديء في الجبهة الغربية".

انتظار الموت حاضر أيضا في رواية "محمد البساطي" "الأسوار"[٥] في صـورة المحكـوم عليهم بالإعدام فعليا: "السجن غير بعيد عن البيت، أراه بسوره المتعرج عنـدما أكـون فـوق السطح أطعم الحمام، والحركة في ساحته الواسعة. المساجين بملابـسهم الزرقـاء هنـا وهنـاك بحثـا عـن دفء الـشمس. ثلاثـة أو أربعـة بـالملابس الحمـراء، المحكـوم علـيهم بالإعـدام، يتحركون بين الآخرين أشبه برايات الخطر. يسحبون خلفهم مقاطف يجمعون بهـا مـا تقذفـه زوابع الهواء من أوراق الشجر وجرايد وكراسات مدارس. يتوقف صـاحب البدلـة الحمـراء والمقطف بين قدميه. يرقبها تحلق في الفضاء، تبعد وتقترب، تعبر السور، وتسقط أخيرا. حـين تكون قطعة من جريدة يفردها، يتأملها من الوجه والظهر ثم يكورها ويرمي بها إلى المقطـف، أحيانا تكون ورقة من مجلة بها صور ملونة يمسحها في ملابسه، يلقي عليها نظرة، ويضعها في جيبه... لم يتجاوز عددهم يوما أربعة. ينقص فجأة. كنت أطعم الحمام وأعدهم بنظراتي. حين أجد العدد الذي أعلمه ينقص واحدا أبحث عنه في أنحاء الساحة... ويستمر بحثي، وأقـول أنهم لابد أخذوه ليلة أمس."[٦]

---

(١) الأسرى يقيمون المتاريس، ص ٢.
(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣.
(٣) الحرب في حي الطرب، ص ٢٥.
(٤) خميلة الأجنة، ص ١٣٨.
(٥) دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠٠٨.
(٦) الأسوار، ص ٥، ٦.

تحين لحظة الإعدام في رواية "محي الدين زنكنه" "ئاسوّس"[1] ويصورها كما يلي: "اليوم وفي تمام الرابعة صباحا أيقظوني.. ليخبروني بأنهم قرروا شنقي في الساعة السادسة... سألوني: أتريد شيئا؟ قلت أريد قلما وورقة... لا تحزني من أجلي أكثر مما ينبغي، صحيح أني حزين وآسف لأشياء كثيرة لم يسعفني العمر أن أحققها، ولكني لست نادما على شيء."[2]

من أفضل الروايات العربية التي تناولت هذا الرهاب "السقا مات"[3] ليوسف السباعي. تدور الرواية حول السقا، "شوشة"، الذي يخشى الموت. يتعرف السقا على رجل في عراك ويدعوه لبيته. يتبين لشوشة أن الضيف حانوتي فينفر منه. يقنعه الضيف بضرورة الاستمتاع بحياته. المفارقة تحدث حين يموت الحانوتي فجأة، ثم ينهار البيت ليودي بحياة "شوشة" السقا. في رواية "نجيب محفوظ" "بداية ونهاية": "يعاين الفتيان، حسنين وحسين، لحظة الانقطاع المفاجئة من داخل الصخب اليومي المتكرر، عندما يخبرهما ناظر المدرسة بوفاة والدهما فجأة، وكان قد تركاه في صحة جيدة صباحا، فقد تبلور العدم فيهما من خلال تأثير صورة الوالد الميت."[4]

نقابل حانوتي آخر في رواية "سنان أنطون" "وحدها شجرة الرمان"،[5] وبحكم مهنته تسيطر عليه فكرة الموت: "لا يكتفي القبر مني في اليقظة ويصر على أن يلاحقني حتى في منامي. ألا يكفيه أنني أكد طول النهار معتنيا بضيوفه الأبديين وبتحضيرهم للنوم في أحضانه؟ هل يعاقبني لأنني ظننت بأنني كنت قادرا على الهرب من براثنه؟ لو كان أبي حيا لسخر مني ومن أفكاري وما كان سيسميه دلع لا يليق بالرجال. ألم يمض هو عقودا طويلة في مهنته يوما بعد يوم دون أن يشتكي مرة من الموت؟ ولكن الموت في تلك السنين كان مُقلا... أكاد اسمع الموت يقول: أنا أنا، لم أتغير أبدا. لست إلا ساعي بريد. إذا كان الموت

(١) منشورات ئاراس، أربيل، ٢٠٠٤.

(٢) ئاسوّس، ص ١١٨.

(٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

(٤) محمد سمير عبد السلام، فضاءات جمالية وكونية، قراءة في الرواية المصرية المعاصرة، دار المعرفة للطباعة، المنيا، ٢٠١٠. ص ١٩.

(٥) منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٣.

ساعي بريد فأنا واحد ممن يتسلمون رسائله كل يوم. أنا من يخرجها برفق من ظروفها الممزقة المدماة. وأنا الذي يغسلها ويزيل عنها طوابع الموت، ويجففها ويعطرها متمتما بما لا يؤمن به تماما، ثم يلفها بعناية بالأبيض كي تصل بسلام إلى قارئها الأخير: القبر."[١]

ما يأتي بعد موت أحد الأحبة هو شعور بالفاجعة مغلف بأفكار أخرى مثل عبثية الحياة وعدم الرغبة في الاستمرار. يتأجج هذا الشعور تحديدا في "متلازمة الموت المفاجئ للأطفال" Sudden Infant Death Syndrome ومن هم في مقتبل الحياة، وتجسده عبارات من على شاكلة "ابن موت" "خطفه الموت" إلى آخره. قدمت لنا "بثينة العيسى" هذا الشعور باقتدار في روايتها "عائشة تنزل إلى العالم السفلي".[٢] كتبت تقول: "سوف يحين موتي قريبا، وستكون لي تلك الهيئة العدمية البيضاء. القطن في المنخرين، في الفم، في الأذنين.. في كل ثقب يمكن أن يكون، جسد محشو بالبياض. تساءلت يومها لماذا يدسون القطن في كل مكان تصله أيديهم؟ كنت أتساءل وأنا واقفة أمام جثمانه الصغير إلى حد الفجيعة، الصغير بما يتناقض مع فكرة النهايات والقبور والرحيل. قالوا لي يومها بأنني أستطيع أن أدخل لأراه، لمرة أخيرة. دخلت، لم تكن المرة الأخيرة. كل أحلامي وكوابيسي تحمل وجهه. ماذا عساي أن أقول أكثر؟ لقد مات ولدي أيها العالم."[٣]

الخوف من الموت والرغبة في الخلود[٤] الذي أضاعه جدانا، آدم وحواء، بسبب تفاحة تافهة يعبر عنه "محمد عباس" بأسلوب بسيط في روايته "قصر العيني":[٥] "لو أننا كنا مثل الميكي ماوس!! نصطدم ونتحطم وننسحق وننهشم لكننا لا نموت أبدا."[٦] في رواية

---

(١) وحدها شجرة الزيتون، ص ١٠.

(٢) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.

(٣) عائشة تنزل إلى العالم السفلي، ص ١٢.

(٤) يُعرف البحث عن الخلود بـ "عقدة جلجامش" Gilgamesh Complex. كتب "نعيم عطية" في صفحة ١١٢ من "ليل آخر": "البقاء، البقاء... تأجيل الموت يوما؛ أو حتى ساعة؛ أمر جدير أن تراق في سبيله دماء. الفناء شيء مخيف. لابد أن نبقى، ولو بين هلاك وهلاك نتأرجح، ونصرخ، في هذه الأثناء، بأننا خالدون.. وددنا لو لم نتبخر؛ لو التحفنا بغطاء نباتي ولم يلق بنا في قبور."

(٥) مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢.

(٦) قصر العيني، ص ٦٠.

"طقس حار" للحسن البكري[١] يهتدي عجوز مُحتضر إلى دفع الموت عنه بالتفكير في كل ما يجلي الطاقة والحيوية إلى الحياة من النساء إلى النضال من أجل هدف سام إلى آخره.

على عكس النماذج السابقة قدم لنا "أحمد خالد توفيق"[٢] نموذجا عجيبا لشخص مغرم بطقوس الموت لأنها تذكره أنه على قيد الحياة يستمتع بأيامه وأن الآخرين حِيل بينهم وبين تلك المتعة: "كان مصطفى يعشق هذه اللحظات.. كان يحب كل ما يتعلق بالموت والأكفان والمقابر، ويشعر باستمتاع رهيب.. تقريبا لم يفوت أي جنازة أو غُسل أو متوف في المنطقة منذ صار واعيا يدرك معنى الموت، لكنه أدرك أن كل يوم يمر يجعله أكثر عشقا للموت وطقوسه. لم يكن محللا نفسيا، وكان يعتقد أن هذا جهد طيب يجلب له الثواب – وهو على الأرجح كذلك – لكنه كان يدرك بشكل خفي أن هذه طريقته الخاصة للانتصار على الموت.. ليشعر بالتفوق بأنه ما زال حيا. يُذّكر نفسه طيلة الوقت بأنه حي وأن الآخر ميت. سوف يعود إلى صالون الحلاقة ويتناول غداءه، بينما سينزل هذا الآخر التعس إلى أعماق الأرض وتخضر بطنه وتنتفخ ثم تلتهمه الديدان. لم يأكل بشهية قط كما فعل وهو عائد من المدافن. لم يستنشق الهواء باستمتاع قط كما يستنشقه بعد غبار المقابر."[٣]

وأخير فهناك من يتطور رهاب الموت لديه لحس من السخرية والتهكم، وهو شكل من أشكال المقاومة "السينيكية" Cynicalالتي يخفف بها المرء عن نفسه قسوة التجربة. في رواية "أحضان المنافي" لأحمد عبد الملك[٤] يقول محمود: "هيا بنا نموت في منازلنا."[٥] وفي رواية "ماء وأسماء" لمحمد أبو معتوق[٦] نقرأ: "إن الديدان عندما تقوم بنحت هياكلنا العظمية بطريقة ماهرة يعجز أمهر القصابين على انجازها، إن هذه الديدان، تعمل لصالحنا، فبعد أن تلتهم كل دودة ما تلتهم، وترفع رأسها الشره لتنظر إلى الأعلى إنما تحاول ذلك لتغيظ الزمان الذي لم تعد له أي سلطة علينا."[٧]

---

(١) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.

(٢) بلومزبيري، الدوحة، ٢٠١٢.

(٣) السنجة، ص ١١٦.

(٤) دار بلال، بيروت، ٢٠٠٥.

(٥) أحضان المنافي، ص ٢٥١.

(٦) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.

(٧) ماء وأسماء، ص ١١.

وإجمالا يمكننا القول أن الإنسان تتنازعه قوتان "غريزة البقاء" و"الرغبة في الرحيل" Death Wish. نأكل ونشرب وندفأ أجسامنا ونتجنب المخاطر كي نبقى؛ في المقابل ندخن ونهمل ونسرف كي نرحل. وبوجه عام تميل الكفة في بداية حياتنا لصالح الحياة وتتبدل المقاييس كلما تقدمنا في العمر. هذا ربما ما جعل الشاعر العربي "زهير ابن أبي سلمى" يعبر عن سأمه من الحياة بعد أن عاش ثمانين عاما. لكن النظرة إلى الحياة والموت تتفاوت من شخص لآخر حسب طبيعته وتنشئته وتجاربه وميوله فعلى حد قول "رانيا مأمون" في روايتها "ابن الشمس":[١] "هناك أناس مزاجهم مزاج الموت، وآخرون مزاجهم مزاج الحياة."[٢]

وعلى أي حال فمن نعمة الله على الإنسان النسيان، بل تشترك الكلمتان في الجذر نفسه كناية عن الارتباط الكبير وقدرة الحياة على المضي والانتصار للواقع: "مرت أيامنا التالية كالصقيع.. وكأن جدران البيت تئن في وسط العزاء.. لكم هي عجيبة قدرة الحزن على التضاعف في كل صورة تجتاح الذاكرة.. كان لهذا الموت رائحة تنبعث في كل زاوية من زوايا البيت.. تثير الحزن فينا.. حاد الذهول.. نعم هذه كانت حالتي.. بكاء صامت موشوم بالذهول.. شيء ما قد كسر وتحطم وتناثر إلى أشلاء.. ومع ذلك انتهى الليل وتجرأت الشمس على الإشراق، ولد نهار آخر، وذهب الناس إلى أعمالهم، وأطفال الجيران إلى مدارسهم، حتى القطة من نافذتي تقفز من سور لسور.. كيف ذلك.. ألم يعلم الكون كله أن أمي قد غرقت في غياهب النسيان.. كيف لهم بهذه السرعة التنفس من جديد.. والحياة من جديد.. فكأنما شيئا لم يكن.. وكأن حزني لم يكن.. وكأن أمي لم تكن.. أنسوها بتلك السرعة يا ترى؟! وأنا كيف أعيد الوقوف مجددا وقد نسيت قدماي معنى الثبات؟! كيف أتنفس مجددا وقد نسيت رئتاي طعم الهواء؟! كيف أصغي، كيف أهذي، كيف أذهب، كيف آتي؟! كيف لي أن أتكلم مجددا؟! وأية أبجدية قد تشرح لي.. غياب أمي.. وثكلي بها؟!"[٣]

---

(١) دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٣.

(٢) ابن الشمس، ص ١١.

(٣) رنده العماني، وبيننا أنثى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣، ص ١٥.

رهاب الرقم (١٣)

يُصيب رهاب الرقم (١٣) Triskaidekaphobia الأشخاص الذين يؤمنون بالخرافات المتعلقة بالفأل الطيب والسيئ Good and Bad Omens ويتطيرون بأشياء عديدة منها رقم (١٣) ويوم الجمعة إذا وافق يوم (١٣) والقطط السوداء والبوم والمرايا المكسورة[١] والمرأة النحس[٢]... والعائلة النحس كعائلة "كينيدي" Kennedy أو عائلة "بوتو" Bhutto إلى آخره. قائمة طويلة تتفاوت من ثقافة لأخرى استقرت في الوعي الجمعي للشعوب. ونفهم من ذلك أن التطير له مستويان: أحدهما جمعي مرتبط بثقافة منطقة أو جماعة بعينيها والآخر فردي مرتبط بقناعات الشخص. ويؤكد النقطة الأخيرة "يوسف أبو الفوز" في روايته "تحت سماء القطب"[٣] قائلا والحديث عن يوم الجمعة في الغرب من وجهة نظر المغتربين العرب: "اليوم هو الجمعة حيث يسهر غالبية الناس خارج منازلهم. يعتبر شاخوان مصطفى يوم الجمعة هو يوم السعد في هذه البلاد. ربما لأن حركة الزبائن في مطعمه تشتد مساء الجمعة وعطلة الأسبوع. نوري شناوي يعتبر مساء يوم الجمعة هو اليوم الذي يجب تسجيله في كتب الأرقام القياسية ففيه يُسجل أكبر رقم لعدد السيقان التي ترتفع في الهواء."[٤]

في "ثالوث وتعويذة" للروائية "زوينة الكلبانية"[٥] نقابل بطلة الرواية التي تتطير من الرقم (٣) لأسباب شخصية ولأحداث كريهة حدثت لها ولأسرتها. كتبت "رضوى عاشور" في روايتها "فرج":[٦] "في البداية لم أنتبه إلى أنني أتفاءل أو أتشاءم. وعندما سمعت ذلك الغراب الناعق في الطريق المؤدي للجامعة، لم أقل سوى أنه غراب. كان نعيقه لافتا حملني على

(1) Philippa Waring, The Dictionary of Omens and Superstitions, Souvenir Press, London, 1984. P. 153.

(٢) عالجت "حسن شاه" فكرة "المرأة النحس" في فيلم "الغرقانة"، ١٩٩٣، ومن رواية "وقالت لي" لدعاء عبد الرحمن نقرأ: "لماذا لم تمت هي الأخرى لترتاح أسرتها من شؤمها؟" (عصير الكتب، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٩).

(٣) مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، أربيل، ٢٠١٠.

(٤) تحت سماء القطب، ص ٢٧ – ٢٨.

(٥) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١.

(٦) دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.

التطلع لأعلى فرأيته يقف على غصن شجرة من أشجار الأكاسيا على الرصيف الموازي لحديقة الأورمان. ثم فرد الغراب جناحيه وطار، فقطع الشارع باتجاه مباني كلية الهندسة عن يساري. واصلت طريقي إلى الجامعة. ولما مات أبي بعدها بأيام، تذكرت الغـراب واعتبرتـه علامـة... أتفاءل بأشياء وأتطير بأشياء. أحب أن ألقي نظرة سريعـة كـل صـباح عـلى حظـك اليـوم في الجريدة. لا أتوقف كثيرا، ولكن يمكن إن كان الكلام مقلقا أن يلازمني ولو بـشكل خفيـف قدر من القلق إلى أن ينتهي اليوم بسلام."(١)

أما "المازني" في أصاب كبد الرهاب حين تحدث عن خوفه من الرقم (١٣) في "إبـراهيم الثاني": "وكان يتطير من لا شيء، ومن كل شيء... وكـان ينفـر مـن الألـوان القاتمـة عامـة، واللون الأسود خاصة، فينقبض صدره منها ويـضيق... وكـان أبغـض شيء إليـه أن يفاجـأه صباح أو صراخ أو صوت باك أو باكية، أو جنازة أو تابوت... وكانـت عادتـه أن ينـزع كـل صباح ورقة من التقويم المعلق، فإذا أقبل اليوم الثالث عشر من الشهر، زعم أنه سـها، وتـرك ورقة اليوم الثاني عشر، ونزع في صباح اليوم التالي ورقتين معا، وطواهما وألقاهما في سلة دون أن ينظر فيهما لشدة اشمئزازه مـن رقـم ١٣... واسـتيقظ يومـا فتنبـه فجـأة، ومازالـت عينـه مفتوحة كمغمضة، إلى أن هذا هو الثالث عـشر مـن الـشهر فاسـتعاذ بـالله. وأطبـق جنونـه. وانقلب على جنبه وأدار وجهه إلى الحائط وود لو ينام إلى صباح اليوم التالي."(٢)

ومازلنا مع الرقم (١٣) ولا نستبعد أن "هويـدا صـالح" اختارتـه عـشوائيا لمجموعتهـا "الحجرة ١٣"(٣) والتي تتحدث في شق منهـا عـن أورام سرطانيـة وهـي أشـياء لا تـذكر إلا مذيلة بعبارة "بعد الشر عنك / عنكم". وهكذا نرى أن لهذا الرقم تأثير سلبي عـلى العقـول؛ ربما لم ينج من التصورات المصاحبة لـه سـوى الـسجناء كـما جـاء في روايـة "فـرج بيرقـدار" "خيانات اللغة والـصمت":(٤) "في الـشهور الأولى تعـددت أسـمائي، أعنـي أرقـامي، تبعـا للمنفردات التي باركتني بكثير من الحنان واللعنات، ولكن الاسم الذي رافقني لزمن أطول،

(١) فرج، ص ١٦٣.
(٢) إبراهيم الثاني، ص ٨، ٩، ١٠.
(٣) دار دون، القاهرة، ٢٠١٠.
(٤) دار الجديد، بيروت، ٢٠٠٦.

وعُرفت به، هو السجين رقم ١٣. ربما هو رقم مشؤوم في عـرف الكثـيرين خارجـا.. أمـا في الداخل، فإن جميع الأرقام مشؤومة وكافرة وبنت كلب."[١]

هناك أيضا من يعتقد بنحس وشؤم شخص بعينه فينأى عنه ويتحاشى التعامـل معـه.[٢] في رواية "الزلزال" للطاهر وطار،[٣] نقابـل "بـو الأرواح" الـذي يحكـي عـن نفـسه قـائلا: "زوجة أبي الثانية تقول عني: رأس البومة، وجـه الـنحس، منـذ بـرز إلى الحيـاة بـرزت معـه الآلام، كل مولود في البيت يموت،... خراب بيت بو الأرواح سيكون على يده."[٤]

ولدرأ الحسد، وهو الشق المقبول من القصة، استنبط الإنسان الـتمائم والأحجبـة لإبعـاد عين الحسود[٥] ومنها العين الزرقاء وحدوة الحصان وكف اليد وهلم جره. "العجـائز الـذين يؤمنون بالخرافات يقولون: فلانة تُصيب بالعين! ويلبسون خرزة زرقاء ضد العـين الـشريرة. سائقو الشاحنات أيضا يعلقون هذه الخرزات على شاحناتهم."[٦] ونتابع خرافات التمائم مـع "عبد الله الصخي" في "خلف السدة": "قـررت مكيـة الحـسن أن تـسميه عـلي. ثقبـت أذنـه وعلقت تميمة على كتفه بدبوس... في حبوه ثبتت هلالا فضيا فوق خصلة على جبينه وزينتهـا بالخرز الملون."[٧]

ويرتبط بالتطير والتشاؤم وإدعاء أن أشياء بعينها تجلب النحس والحظ السيئ مـا يُعـرف بـ "متلازمة لماذا أنا" Why Me Syndrome[٨] وتشير إلى الـشخص الـذي يعتقـد أن القـدر يعانده وأنه من دون الآخرين يناله سوء الطالع والحظ النكد وتحدث له أشياء غير مبررة.

---

(١) خيانات اللغة والصمت، ص ٨.

(٢) عالج "لينين الرملي" هذه الفكرة في مسلسل "برج الحظ"، ١٩٧٨.

(٣) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤.

(٤)الزلزال، ص ١٧٨.

(٥) يُسميها سكان أمريكا اللاتينية بمتلازمة "مال دي أوجو" Mal De Ojo.

(٦) ربيع جابر، طيور الهوليداي إن، دار التنوير، بيروت، ٢٠١١، ص ١٨٨.

(٧) خلف السدة، ص ٢٣.

(٨) تُعرف أيضل بمتلازمة "أنـا المـسكين" Poor Me Syndrome أو "متلازمـة شـارلي بـراون" Charlie Brown Syndrome.

في رواية "الطموح" لعرعار محمد العالي ينظر البطل إلى الحياة من خلال منظار أسود.[١] في رواية "غريب النهر" لجمال ناجي[٢] نتعرف على عائلة "أبو حلة" الذين ترسخ لديهم شعور على مدى السنين وتوارثوه جيل بعد جيل بأن أفراد عائلتهم يموتون في يناير وفبراير ومارس. يقوم الناجون منهم في أول إبريل بنحر الذبائح ابتهاجا بأن القرعة لم تصبهم هذا العام ويزدهرون كورود الربيع، ثم لا يلبثون أن يعودوا إلى دورتهم المفجعة مع مطلع العام الجديد، وهكذا دواليك حُرموا من متعة الحياة بعد أن سقطوا، أو بالأحرى أسقطتهم الخرافة في براثن الهواجس والتشاؤم والحزن.

رهاب الاحترار

رهاب الاحترارThermophobia أو الخوف من ارتفاع درجة الحرارة شعور غريزي موجود لدى البشر جميعا. ربما ليس من المستغرب أن نتناوله في هذا الموضع، لا سيما وأن تأثيره في المنطقة العربية شديد حيث الصيف القاسي والصحراء القاحلة، فكثيرا ما نسمع عن إصابة أحد الأشخاص بضربة شمس قد تودي بحياته.

عكس السرد الروائي العربي هذه الظاهرة السرمدية. الشمس والصهد والسموم والحر القاتل، كل هذا موجود في رواية "الحفائر تتنفس" لعبد الله التعزي.[٣] في مكة لا شيء يعلو فوق صوت أحاديث الناس عن الحر الخانق والشمس التي تغلي. في رواية "سور جدة" وليس بعيدا عن مكة يتساءل "سعيد الوهابي":[٤] "أحس بحرارة هل هي غليان جوفه أم حرارة شمس الظهيرة؟"[٥]

استهل "الحبيب السالمي" روايته "متاهة الرمل"[٦] بهذه الكلمات: "ذلك الصباح مقترن في ذهني بالحرارة. حرارة لاهبة وثقيلة، وعرق لزج يغزو الجسد كله، يسيل تحت الإبطين

(١) واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦. ص ٤٣١.

(٢) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.

(٣) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.

(٤) دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.

(٥) سور جدة، ص ١٦.

(٦) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.

وبين الأصابع فتلتصق الملابس بالظهر والركبتين. كنت قد استيقظت من النوم متأخرا. تجولت قليلا بين الحقول، ولما لم أعد أحتمل وطأة الحرارة فككت أزرار قميصي، وانبطحت على الأرض تحت شجرة التوت التي أمام بيتنا. وأخذت أنظر بعينين نصف مغمضتين إلى الطريق الرملي."[١]

كذلك فعل "عماد شيحة" ففي مطلع روايته "موت مشتهى" كتب يقول: "خيم الليل وأرخى سدوله على التلال والجرود القريبة وتداخل مع المرتفعات والجبال الممتدة غربا وشمالا، لم تستطع نسمات الفجر الآتي أن تخفف من وطأة حر كاد يضرم نيرانه ويعصف في أية لحظة بالأشجار التي بخَرت ماء أنساغها فمالت أغصانها وذوت أوراقها.. حتى القمر لفحت برودة أضوائه هالة برتقالية ثقيلة كادت تطبق عليه وتستثير اللهب على مرآته البيضاء!"[٢]

في رواية "الحضارة أمي" يصف "إدريس الشرايبي"[٣] أحد أيام شهر يوليو بهذه الكلمات: "كانت الحرارة مرتفعة، بحيث إذا وضعت بيضة طرية تحت أشعة الشمس، ستصبح خلال عشر دقائق قابلة للأكل، كأنها طُبخت على النار."[٤] ويفتتح "نبيل راغب" روايته "زمن الجنون"[٥] قائلا: "كانت الأيام الأخيرة من شهر يوليو مشبعة بالرطوبة الخانقة والهواء الراكد القابع على الوجوه والرقاب برذاذ الماء المالح. وظل صيف ذلك العام على هذه الوتيرة من القيظ المبهر بالشمس الحارقة والبحر الذي أوشكت أمواجه ودواماته على ما يشبه السكون الذي لا يحمل في طياته سوى حفيف الفراغ الساري بزرقته الخضراء بين السماء والبحر حتى لقائهما عند خط الأفق. وأوشك المصطافون على فقدان الأمل في أجازة تنسيهم سياط القاهرة على ظهورهم وقبضاتها الحديدية الساخنة على أنفاسهم."[٦] أما "عبد الحكيم قاسم" فيصف شهر يوليو في رواية "محاولة للخروج" قائلا:[٧] "شهر يوليو في القاهرة قائلا:

---

(١) متاهة الرمل، ص ٥.

(٢) موت مشتهى، ص ١٣.

(٣) ترجمة: سعيد بلمبخوت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٤.

(٤) الحضارة أمي، ص ٢٠.

(٥) دار غريب، القاهرة، ١٩٨٧.

(٦) زمن الجنون، ص ٣.

(٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

"أحمل صيف القاهرة على رأسي، في عيني، في قلبي، وأدب في الشوارع بلا كلل، يوليو يفرش السكك نارا، توشك الأشياء أن تتوهج، يتقرح تحت إبطي، ثنايات رقبتي، ما بين فخذي... لكن قاهرة يوليو لم تقتل حلمي بعد. أخوض مائلا بكتفي متفاديا الشراسة... التي توشك أن تنفجر عند أدنى لمسة، أخلع قدمي من الأسفلت المصهور، تطل على واجهات متلوية بتموجات الضوء الباهر، والقيظ كامن في الشواشي جاثم على أكف الأوراق المغبرة."(١)

ومن يوليو ننتقل إلى أغسطس ومن القاهرة إلى دمشق مع رواية "حكواتي الليل"(٢) التي نقرأ فيها هذه الكلمات: "يطلق الناس في دمشق على آخر أشهر الصيف لقب: آب اللهاب. أثناء النهار تعيش المدينة في حالة مستمرة من الغليان الناري حيث إن درجات الحرارة تكاد تتجاوز الأربعين درجة في الظل، حينها ماذا يمكن لمروحة تافهة أن تفعل بحرارة كهذه سوى أن تدير الهواء الحار بلا جدوى إلى ما لا نهاية؟ في باقي الأشهر تتلطف الأجواء قليلا ما أن تأخذ الشمس بالمغيب ويرتاح سكان المدينة في أمسياتهم المنتعشة من قيظ النهار، لكن ليس في شهر آب، حيث تظل الأرض حارة حتى في الليل حيث يبدو عمود ميزان الحرارة الزئبقي قد تسمر عند درجة ٣٠ مئوية لذا بالكاد يتمكن الناس في ليالي آب من النوم وما إن تمضي ساعة واحدة على شروق الشمس حتى تعاود الحرارة ارتفاعها الشديد."(٣)

استهل "يوسف الأبطح" روايته "قبلتي يا شام"(٤) قائلا: "لا أحد يدري أيهما اقترب من الآخر ينوي القيامة، الشمس أم الأرض، سياط من نار تمشق الخلائق. تحرث في أجسادها أثلاما متعرجة، تغرس فيها الموت، تمتص الحياة من الأبدان، من الشرايين والأوردة، من وطر ونسوغ النباتات التي تحاول التمرد على سلطانها تدفع بها للموت قبل الولادة. الثامن من تموز للعام ستين وثمانمئة وألف، يوم أنواره سوداء، شرعت فيها جهنم أبوابها، تصلي في سقرها الخلائق دون حساب."(٥)

(١) محاولة للخروج، ص ٥، ٦.
(٢) رفيق شامي، ترجمة: رنا زحكا، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ٢٠١١.
(٣) حكواتي الليل، ص ٢٣.
(٤) دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨.
(٥) قبلتي يا شام، ص ١١.

وما زلنا مع "آب اللهاب والرؤوس التي تركت ظلالها تذوب في الهاجرة. آب اللهاب، والخيام هاجعة في سراب السهول المحيطة بالمدن. وفي فضائها تبدو من بعيد غلالات متكسرة من غبار السهول، وهباب المدن وعرق الأجساد المنهكة. وصراخ الأطفال الذين ما زالت أقدامهم تحتفظ بأشواك الرحيل."[1]

الحر الأفريقي صوره لنا "سمير عطا الله" في افتتاحية روايته "بائع الفستق":[2] "ما إن خرج من بوابة الفندق الصغير حتى وجد نفسه وسط الشارع حيث الازدحام والتعرق. لفحه حر لا هواء فيه. مجرد حر يحمل نفسه إلى كل مكان، ويجر خلفه الرطوبة والنعاس... سد من الحر لا يمكن أن ينفذ منه الهواء. فقط يعبره الهواء المليء بالحر والغبار. وشعر بالشمس وكأنها تُمسك بشعره وجبينه. وكاد يعود إلى بهو الفندق."[3]

يختتم "غسان كنفاني" روايته "رجال في الشمس"[4] بهذه الكلمات: "لماذا لم تدقوا جدار الخزان؟ لماذا لم تقولوا؟ ولماذا... وفجأة بدأت الصحراء كلها تردد الصدى: لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تقرعوا جدران الخزان؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟"[5] والحكاية وراء هذه السطور أن "أبو الخزيران" انطلق في رحلة من العراق للكويت لتهريب ثلاثة فلسطينيين، كهل وشاب وطفل، يحلمون بحياة مختلفة لهم ولمن يعولون. اتفق "أبو قيس" و"مروان" و"أسعد" على دفع عشرة دنانير لكل واحد فيهم لأبي الخزيران ليعبر بهم الحدود وهم داخل عربة صهريج مياه. نجحت الخطة وعبرت الشاحنة الحدود، لكن الركاب قضوا نحبهم داخل الصهريج المعدني نتيجة ارتفاع درجة الحرارة. وأخيرا يلقي بهم "أبو الخزيران" في الطريق قرب منطقة لتجميع القمامة بعد أن يجردهم من متعلقاتهم!

في رواية "أقفال العشق" يُصاب الطفل "عمر" أو "عموري" بمرض عدم التعرق ويتم تهريبه إلى "كندا" ليبقى بعيدا عن شبح الموت الذي يتهدده في حرارة مصر. بالقرب من القطب أصبح بأمان، لكن الخطر حدق به من جديد، لا بسبب ارتفاع حارة الجو، لكن بسبب

(١) علي المزعل، قناديل الليالي المعتمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨، ص ١٢٠.
(٢) العبيكان، الرياض، ٢٠٠٩.
(٣) بائع الفستق، ص ١١.
(٤) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.
(٥) رجال في الشمس، ص ٩٣.

حمى الجنس لامرأة شبقة أراد أن يجرب هذا الشيء معها: "ناما معا في الردهة. حاول عموري إقناعها بالانتقال لمكان آخر، لكنها قالت له أنها تحب المضاجعة على الأريكة بالقرب من المدفأة. تحرك جسمها صعودا وهبوطا محتكا بجسمه. احتر عموري واحمر وجهه. لسان حاله يقول: لماذا يا بروميثيوس سرقت النار من الآلهة وأعطيتها للبشر؟ مما زاد الطين بله هذه السيجارة التي تركتها المرأة في المطفأة. أعطاه الدخان المتصاعد منها إحساسا بأنه يتقلب في شواية. شعر أنه حبيس صوبة زجاجية في منطقة مكشوفة على خط الاستواء. وقع في كير مستعر أو فوهة بركان محموم أو بربخ من المياه الفوارة. أرد أن يُنهي هذا الأمر، لكن المرأة كانت متشوقة للمزيد ولا ترضى إلا بالملتحم والملتصق من الأوضاع. شعر باحترار شديد كما لو كان مرآة مقعرة تتجمع في بؤرتها أشعة الشمس. قام عنها أكثر من مرة من شدة الحرارة فتارة يغير اتجاه صورة زوجها وتارة ليشرب الماء وتارة ليسألها عن عملها وهلم جره. أزعجها هذا الأمر فقررت أن تستخدم القفل النسائي.[1] شبكت يديها وساقيها خلف ظهره. كانت رغبتها جامحة وشهوتها متقدة. نقلت إليه كمية هائلة من الحرارة بالتوصيل والحمل والإشعاع والاحتكاك ووسائل أخرى لم تنص عليها دروس الفيزياء. شعر عموري أن هذه المرأة هي من تشعل حرائق الغابات في العالم. شعر أن فرجها يطلق كرات نارية. لم يستطع تحمل أكثر من ذلك. أحس أن الموت ينقض عليه. وصل إلى نقطة الغليان فقام من عليها فجأة والتقط ملابسه وهو يعدو إلى الهواء الطلق. توجهت إلى النافذة في غيظ، لكن حنقها انقلب إلى دهشة وهي تشاهده يُلقي بنفسه وسط الثلوج كالسمك الذي يضعون عليه الثلج حتى لا يتعفن!"[2] في رواية "السور والعتبات" كتب "علم الدين عبد اللطيف"[3] واصفا جسد "عفاف" قائلا: "جسدها يُصدر شرارات محرقة."[4]

(١) في روايته "شهد القلعة" كتب "إبراهيم عبد المجيد" عن القفل النسائي قائلا: "ثم ارتفع قافزا ليغطيها كلها، فأحاطته بساقيها، وشعر أن لها سيقانا متعددة، وأيادي متعددة، ومن عينيها تخرج ألسنة اللهب حتى إذا استقر فيها وصرخت صار يطعنها كأنما يستدعي ماء الحياة من أبعد مكان في الفضاء فوقه." (دار الدار، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٠٥).

(٢) أقفال العشق، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٣) دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٨.

(٤) السور والعتبات، ص ٣٩.

الاحترار الجنسي أو الاحترار المتولد عن ممارسة الجنسي أو العلاقة بين الجنس والنار كما كتب عنها الشاعر الألماني "نوفالس" Novalis نجده أيضا في رواية "ترنيمة امرأة" وفيها ينظر الكاتب، "سعد محمد رحيم"[(١)] إلى الجنس على أنه نوع من التطهير والسمو والنور الذي يأخذ ممارسيه إلى آفاق رحيبة من الانعتاق والانفساح. لاحظ استخدام الكاتب عبارات مثل "أحترق شهوة"، "تقلبنا على الصفيح الساخن" و"وجهي ووجهها يشتعلان"، وهي جميعها تخاطب وتستثير جلود القراء كمستقبل للحرارة وتؤكد فكرة السخونة الجنسية: "وبينما هي تعريني، عريتها من كل قطعة ملابس ترتديها، وكنت أحترق شهوة، وكانت هي.. نزلت بفمي نحو صدرها. نحو ذينك التلين الصغيرين المتوثبين. داعبت حلمتيها الورديتين بلساني قبل أن أحضن برقة فاحشة نهدها الأيسر، ثم الأيمن، وأعود زارعا بطنها وفخذيها بقبلات ناعمة لطيفة. وبدءا من ركبتيها رحت أصعد ثانية داخلا بين ساقيها، فجعلت تشدني بقوة، وتقبلني، وتهرش شعري. تقلبنا على الصفيح الساخن للرغبة مثل ممسوسين.. تارة وجهها إلى السماء، تارة وجهي نحو الأرض، تارة وجهها. ووجهي ووجهها يشتعلان. وفي تناغم لهاثنا كان الكون يستعيد بهاءه وتوازنه وخيلاءه. كانت الذروة نورا تفجر مني في داخلها."[(٢)]

حرارة الجنس موجودة أيضا في رواية "سامية عيسى" "حليب التين" ومنها نقرأ: "تعطل عقلها تماما، وصارت نارا وحريقا يستعر في أنحائها المتفجرة... أخذها السعار إلى حيث يشتهي الجسد المحترق باللذة. كان استعار جاسم يؤججها، وتذكرت إذ ذاك مشهدا لقطة في المخيم، لم تستطع أن تفلت من هياج قط هاجمها فاستسلمت. يومها أثارها المشهد، وها هي تشعر أنها قطة لم تتمكن من الإفلات لأنها لم ترغب أن تفلت... انفجرت بالشهوة وتحولت إلى حطام يتشظى... وها هي من ظنها فتاة بريئة تسحب سوائله من كل أنحاء جسده وتعصره إلى آخر قطرة من مائه."[(٣)] كما أنها موجودة في رواية "الكودية" لنبيل راغب: "انفتحت ذراعاه لتحتويها في قبلات ساخنة ملتهبة أشعلت داخلها نارا ذات وميض

(١) فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠١٢.
(٢) ترنيمة امرأة، ص ٢٦.
(٣) حليب التين، ص ١١٦، ١١٧.

فسفوري لم تحترق بها من قبل. انداح عقلها إلى صخور أعماقها المظلمة، واصطلى جسدها بسعير الأنثى اللافح، فذابت بشرتها الشمعية تحت وابل النيران المنطلقة من فوهته. لم تستوعب أبعاد ما جرى لا. لكنها وجدت نفسها كما ولدتها أمها، وجسده العاري المتصبب عرقا في قلب ديسمبر يطبق عليها. لم تلفظه بل تشبثت به، والبركان يجمع حممه المنصهرة كي ينطلق وسط السحب والآهات والتنهدات عن انطباق الأفق على كل الموجودات."[١]

رهاب اللمس

تُعرف بعض الثقافات بأنها Touchy-Feely أي أن أفرادها يحبون الملامسة والتقبيل وتأبط الأيادي والربت على الأكتاف وخلافه، ومنها على سبيل المثال ثقافات جنوب البحر المتوسط وشمال أفريقيا، ففي مصر مثلا قد تجد صديقين من الذكور يحتضنان بعضهما البعض، بينما لا يثير هذا المشهد فضول المارة. في الولايات المتحدة، وعلى النقيض تماما، يعني هذا المشهد أن الشابين أو الرجلين شاذين جنسيا.

يشير "رهاب اللمس" Haphephobia إلى الأفراد الذين لا يشعرون بالراحة حين يخترق شخص ما حيزهم الشخصي Personal Space أو حين يلمسهم. ويزيد هذه الخوف في حالات التحسس Frotteurism / Groping والتحرش Harassment، وغالبا ما يكون وراءه حادثة من هذا النوع. يصيب هذا الرهاب المرأة في الغالب، لكن في رواية "خمسون درجة من الرمادي" Fifty Shades of Grey للكاتبة البريطانية "إيريكا ميتشل جيمس" Erika Mitchell James نقابل "كريستيان جري" Christian"Grey وهو رجل يكره بشدة أن يلمسه أحد.

قدمت لنا "بسمة الخطيب" نموذجا جيدا وواضحا لهذا الرهاب في روايتها "برتقال مر".[٢] تقول البطلة واصفة جلسة علاجية لها في عيادة طبيب أسنان: "يوم تمددت تحت سيطرة طبيب الأسنان، شعرت بسكين في قلبي. يا لهذه الورطة! فكرت وأنا أحبس أنفاسي. كيف أسمح لرجل أن يقترب مني إلى هذا الحد، وتعبث أصابعه بحلقي، ويبث أنفاسه في

(١) الكودية، ص ١٩.

(٢) دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.

جوفي! متى ستنتهي جلسة التعذيب هذه؟ هو اعتقد أني متشنجة بسبب الألم، ولكن ألمي كان من نوع آخر، يصعب أن يدركه أحد."[١]

الخوف من العنوسة

"إني أحتاج رجلا، ولا بد أن هنالك رجلا ما في هذا الحي.. في هذه المدينة.. في هذا الوطن.. في العالم.. في هذا اليوم.. يحتاجني كما أحتاجه، وربما أكثر!"[٢]

الخوف من العنوسة[٣] Anuptaphobia شعور متأصل في الواقع العربي لأن المرأة في مجتمعاتنا ليس لها إلا طريق الزواج لتخرج من بيت أبيها إلى بيت آخر تصير فيه ملكته المتوجة وسط زوج وأولاد وشعور كريم بالمحبة والتقدير. هذا الخوف من رحيل قطار الزواج موجود في رواية "نساء بأقفال" لهيفاء بيطار[٤] ورواية "يوميات فتاة عراقية تقاوم العنوسة" لكلشان البياتي[٥] و"رسم قديم" لنفيسة زين العابدين.[٦]

والعنوسة كظاهرة اجتماعية لها أسباب عديدة، منها أساب عامة مثل عزوف الشباب عن الزواج بسبب غلو المهور أو خاصة كتعزز المرأة لجمالها أو الزهد فيها لقلة ملاحتها.. إلى آخره من المبررات الخاصة بكل حالة على حده، ومنها أن تكون المرأة ملبوسة كما ورد في رواية "ليالي السيد" لأحمد جاد الكريم:[٧] "آه لو أراك يا بن الزانية، تمر من هنا ولا أراك، تخترق الباب، متى يكون مرورك؟ التصاقك بالجدران، توزعك في أرجاء البيت، اعتلاؤك الأسطح، نومك في شقوق البيت، تكورك في لفة الشعر الموضوعة في الشق، تعودتُ تركه بعد تمشيطي شعري، سأفقأ عين أمك لو جئت هنا، ما الذي يدعوك للتربص بي؟ ألا يكفيك تعنسي؟ تركني الرجال من أجل سيرتك، لم يرغبني رجل، رائحة الجن تفوح من حجرتي."[٨]

---

(١) برتقال مر، ص ٤٧.
(٢) فوزية شلابي، رجل لرواية واحدة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٨٥، ص ٥.
(٣) كما عالج الفكرة "محمد أمين" في سيناريو فيلم "بنتين من مصر"، ٢٠١٠.
(٤) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.
(٥) جداول للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١.
(٦) دار أوراق، القاهرة، ٢٠١٥.
(٧) سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.
(٨) ليالي السيد، ص ٣٣.

تبدأ العنوسة أو الشعور بها بانتظار قصة الحب وفارس الأحلام الذي لا يأتي، وتمر الأيام والأسابيع والشهور والسنين ولا يطرق باب الانتظار أحد. "وبعيدا عن كل شيء: عن الغربة والغياب والراحلين، هدأ الكوكب، أو ربما هذا الحي الريفي الذي صار كوكبي بعد أن هزمتني المواعيد التي لم تنجب لي قصة الحب التي انتظرتها طويلا، والحكاية التي حلمت بها، والفارس الذي رسمت صورته في مخيلتي وبين أوراقي وفي قصائدي وأدق تفاصيلي، الحكاية التي أردت أن أحياها، لا أن أكمل ما تبقى من حياتي وأنا أحلم بها."[١]

افتتح "فؤاد قنديل" روايته "حكمة العائلة المجنونة"[٢] بتلك السطور التي تعبر عن ظاهرة ومشكلة العنوسة: "الحجرة الرمادية يشملها سكون غامض.. تجدف في بحارها رائحة انتظار مشوب بالقلق.. ما الذي يمكن أن تقوله المرآة لوجهها المصلوب أمامها.. يقترب ويبتعد.. داخلها يتقافز سؤال له شفرة حادة.. هل يا ترى وضعت أقدامي على أول طريق الشيخوخة؟ طلعت على هذا الوجه شموس كثيرة. تمسحت به آلاف الصباحات والمساءات. تجاوزت السابعة والثلاثين. لا أحد يطرق الباب.. أختي راوية تزوجت وهي في أولى ثانوي.. بنات كثيرات تزوجن في الثامنة عشرة ويحملن أطفالا. وهن بين النساء ربات بيوت.. لهن كلمة لا ترد.. أنا أجمل منهن.. فما بال الرجال عميت عني عيونهم. قالوا لها: أخرجي.. فخرجت.. سارت في الشوارع ولبست الكعب العالي الذي يحيل المشية إلى نغم جذاب ومثير، يهدهد البدن الطري ويؤرجحه لكن الرجال كانوا يمضون في طريقهم دون مبالاة، كأنها كائن غير منظور.. صبت العطور الغالية، لكن أحدا لم يشم."[٣]

من رواية "الكهف السحري" لطه وادي[٤] نقرأ: "كريمة عمرها الآن سبع وعشرون سنة بالتمام والكمال، وإذا لم تتزوج قبل الثلاثين فسوف تركب سفينة العوانس، وترحل في طريق بلا عودة. اللبن الرائب لا يرجع حليبا. لن يحول بينها وبين هذا الطريق المسدود كونها متعلمة أو موظفة."[٥]

(١) نبال قندس، يافا: حكاية غياب ومطر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٤.
(٢) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠.
(٣) حكمة العائلة المجنونة، ص ٦.
(٤) مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٣.
(٥) الكهف السحري، ص ٢٤.

قدمت لنا "بهيجة حسين" في روايتها "حكايات عادية لملء الوقت"[1] صورة معبرة عن العنوسة فالمفارش والملابس وخلافه مما كانت تعده الأم لزواج البنت أتلفتها العتة وتقادمت مع الأيام، وبقيت البنت على حالها بدون زواج: "كنت أنا وهي نستمتع بسحب الحقائب الموجودة أسفل السرير وإنزال الأخرى من فوق الدولاب، وإخراج ما بها وفرده على السرير أو على الأرض، ومع كل قطعة تخرج تحكي أمي حكايتها: من أين اشترتها وكم استغرقت من الوقت في تفصيلها وخياطتها، وأحيانا كنت أحب أن أرتدي قطعا منها... ثم نعيد كل قطعة إلى مكانها بنظام وترتيب. واليوم عندما فتحت الحقيبة الأولى كان هدفي ملء الوقت، ولم أكن أتصور أنني سأجد أقمشتي منخورة ومثقوبة، توشك أن تذوب بين أصابعي، أعدت أشيائي هذه المرة بلا نظام إلى الحقيبة، وأغلقتها على ما بها ودسستها أسفل السرير بجوار بقية الحقائب المغلقة. واستسلمت أو ابتلعت بشكل واضح حقيقة أن الوقت قد مضى، وأنني لن أرتدي ملابس جهاز عرسي، ولن أفرش المفارش، ولن أعلق الستائر على النوافذ والبلكونات، ولا اللوحات الجوبلان والإيتامين والكنافاه على الحوائط: لوحة الكوخ في وسط الغابة ولوحة روميو وهو يعزف لجوليت لحجرة الصالون وسلة الفاكهة لحجرة السفرة وباقة الورد للصالة والمرأة العارية لحجرة النوم."[2]

في رواية "لوعة الغاوية" قدم لنا "عبده خال" شخصية "جبرانة" التي وقعت في شرك العنوسة، لكنها لم تستسلم، بل تسعى جاهدة لتغير حظها، فمن النساء من يرضى بحظه من العنوسة بعزة نفس وشمم؛ أخريات يجتهدن في تغيير واقعهن، وهو حق مشروع إن صحت الوسيلة واجتُنِب التدليس. تقدم "جبرانة" في سبيل ذلك تضحيات من جانبها فهي لا تمانع أن تتزوج من عجوز أو رجل معدد: "من ذلك اليوم وجبرانة تبحث فيه عن مفتاح لعنوستها المزمنة. تتبسط جبرانة مع الرجال ويتبسطون معها، فهي تبحث فيهم عمن يغض الطرف عن عيبها الخلقي ويعمق النظر إلى شغفها برجل يأوي إلى حضنها كطائر ملت أجنحته من الخفقان طوال اليوم...

(١) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٢) حكايات عادية لملء الوقت، ص ٥، ٦.

- سأقبل بأي رجل يتقدم إليّ وإن كان الكناس مبارك...

مضى الوقت وانتظارها الطويل حرضاها على الإفصاح عن مكنون صدرها، فعرضت قبول أي رجل حتى وإن كان راحلا إلى قبره أو نائما بين ثلاث زوجات."(١)

عندما تتحول العنوسة من مشكلة خاصة إلى ظاهرة عامة تتدخل الدولة فتحث الرجال على التعدد أو خلافه. في رواية "فئران" لحميد العقابي(٢) ونتيجة لقتل عدد كبير من الرجال في الحرب تفكر الحكومة في "استيراد رجال وسيمين من البلدان الإسلامية لتحسين النسل وللقضاء على مشكلة العهر الذي استشرى في البلد بسبب كثرة الأرامل والعوانس... وحينما أعلنت صحيفة (الكرامة) عن توزيع أعضاء ذكورية من المطاط والبلاستيك وبأحجام مختلفة لمساعدة العوانس، هبت النسوة والفتيات اللواتي يتوقعن العنوسة مبكرات للوقوف في الطابور الطويل حتى توقف السير وأغلق الشارع المؤدي إلى المكتبة العامة حيث يتم توزيع البضاعة السحرية مجانا."(٣)

وأخيرا فإن الخوف من العنوسة تقابله ثقافيا في الغرب "متلازمة الساعة المتكتكة" Ticking Clock Syndrome والمعنى أنه مع انصرام الوقت يشتد حزن الفتاة التي لم يتقدم لها أحد.

الخوف من الأمطار الرعدية

من منا لا يحب المطر الذي يحمل الخير والنماء ويحيي الله به الموات؟ "لثلاثة أيام متتالية ليل نهار لم يتوقف هطول المطر الغزير على عنيزة. وفي الساعات الأولى استبشر الناس خيرا، فالمطر خير وما يأتي منه خير وبركة." (٤)

من منا لم يستمتع بعناق المطر، بهذه اللمسة التي يتحد فيها الشخص مع الطبيعة وينصهر فيها؟ كتب "محمد صدقي" عن هذه اللحظة في روايته "لقاء مع رجل مجهول"(١) قائلا:

(١) لوعة الغاوية، ص ٨.

(٢) منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ٢٠١٣.

(٣) الفئران، ص ٩، ١٠.

(٤) خالد البسام، لا يوجد مصور في عنيزة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٦٥.

"كانت قطرات المطر تبلل وجهه، ترشق جبهته، يحس بانزلاقها على خده كما يحس بها ترطب أعماقه الدافئة المنفعلة..، وجهه، كل كيانه كان يتلقى قطرات المطر الهاطلة باستمتاع كأنها تدغدغ حواسه، تفجر في قلبه رغبة متطلعة لكل شيء حوله."(٢) يعيد "إبراهيم الشامي" صياغة الفكرة في روايته "رجل من الشر" قائلا: "كان الجو ملبدا بالغيوم والشمس تختفي خلفها وأشعتها تحاول جاهدة اختراقها وزخات المطر تغسل الطرقات وتطهر الأرض وتجبرني على ارتداء معطفي الطويل... كانت الأمهات يجمعن ملابسهن من الشرفات قبل أن تتبدل من جديد، بينما أطفالهن يمدون أيديهم متمنين أن يلتقطوا قطرات المطر ثم يتذوقوها."(٣)

ومن منا لا يذكر أهازيج المطر التي يصدح بها الأطفال وهم يستمتعون برذاذه؟ ومن منا لا يذكر رائحة التربة حين ينزل عليها المطر؟ تلك الرائحة التي كتبت عنها "كليزار أنور" في روايتها "الصندوق الأسود":(٤) "صباحا أمطرت.. بدأ رذاذا متقطعا، ثم انهمر وابلا وبوشوشة ملأت زوايا المكان والقلوب. فالمطر خير.. نقر قطرات وقع نغما جميلا على زجاج النوافذ.. بين برهة وأخرى تفتح إحداهن الحاجز الزجاجي وتتنفس بعمق ملء نفسها الهواء العذب وكأنهن يملأن صدرهن به. فالأرض عطر خاص ينبثق لحظة استحمامها بالمطر."(٥)

ومن منا لم يصلي صلاة الاستسقاء إذا إنحبس المطر؟ في رواية "اسمه الغرام" لعلوية صبح نقرأ: "لطالما عشقت مواسم المطر، حتى حين تغطس قدماي في وحل الحقول، أو تغرقان في نقع الماء في طريق المدرسة. ثيابي المبللة تصير تلتصق بجسدي فأقرقر ضاحكة، ويتهيأ لي حينها أن جسدي صار منحوتة من ماء. أعشق المطر بلا حدود. يُشعرني انسكابه بفوران الحب. أحس أنه يحكي لي أسرارا لا يكشفها لأحد غيري... أحسه حبيبي الذي يغسلني فأفك جدائلي وأفلتها لأتيح له أن يتغلغل في كل شعرة منها، بل أتصور أحيانا أنه

---

(١) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (دار الكتاب العربي)، القاهرة، ١٩٦٩.

(٢) لقاء مع رجل مجهول، ص ١٧٤.

(٣) رجل من الشر، ص ٩.

(٤) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.

(٥) الصندوق الأسود، ص ٧.

يشتاق إليّ ويمطر من أجلي."[1] من رواية "شهرنان" لإنجي مطاوع[2] نقرأ: "أدعو برعد وبرق يخطفاني في صيف أيامي، مطر وثلوج تكفن سقم وجفاء أحلامي."[3] المطر كغسول ومطهر نجده في رواية "أخاديد الأسوار" للزهرة رميج"[4] ومنها نقرأ: "السماء تقيم مأتما للأرض.. تريد أن تغسلها من أدرانها.. من مآسيها.. ومن جرائمها."[5]

لكن في المقابل من منا أيضا لم تغرورق عيناه وهو يسمع هذه الأبيات من "أنشودة المطر" لبدر شاكر السياب؟

تثاءب المساء والغيوم ما تزال

تسح ما تسح من دموعها الثقال...

أتعلمين أي حزن يبعث المطر؟

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر؟

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع؟

والحزن الذي عبر عنه "السياب" في أبياته السابقة يتحول إلى خوف ورهاب حين تشتد الأمطار وتطول وتقترن بالبرق والرعد Astraphobia. ولا يخفى على أحد أن الأمطار كانت أحد جنود الله وأحد الوسائل التي أنزل بها بالمخالفين العقاب. المطر إذن سلاح ذو حدين فكما يجلب الخير يأتي بالعذاب.

المطر موجود في السرد الروائي العربي بطبيعة الحال، مطر في البدايات والمنتصف والنهايات. يستهل "توفيق الحكيم" روايته "عصفور من الشرق" بهذه السطور: "مطر غزير، قد ألجأ الناس إلى مظلات المشارب والحوانيت، وإلى الحيطان وأفاريز البيوت ومداخل المترو... ولم يبق في ميدان الكوميدي فرانسيز غير مياه تتدفق من الميازيب، وسيارات تخوض

(١) اسمه الغرام، ص ٥٠.
(٢) دار غراب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
(٣) شهرنان، ص ٩٠.
(٤) المركز الثقافي العربي – الدار العربية للعلوم ناشرون، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٧.
(٥) أخاديد الأسوار، ص ٨٧.

في شبه عباب."[1] كتب "يوسف فاضل" في متن روايته "اغمات":[2] "شتاء قبل الأوان ومطر. منذ فترة ومطر طوفاني يهوي على الأرض والسقوف. ألقت السماء على الأرض كل أرواقها. وتُضمخ الجو برائحة تراب احترق طويلا."[3] ويختم "إبراهيم عبد المجيد" روايته "لا أحد ينام في الإسكندرية" قائلا: "وكانت نُذر الشتاء قد أتت متعجلة فهطل مطر غزير لم ينقطع بالليل والنهار واستمر لعدة أيام لكن أحدا لم يضج، والحركة لم تنقطع، والمحلات لم تُغلق، وأصوات الراديو لم تنخفض في المقاهي. لقد بدا للجميع أن السماء تغسل المدينة. لقد كانت السحب عالية وبيضاء وتلك كانت معجزة فمن أين حقا يأتي كل هذا المطر؟!"[4]

لكن الأمطار الرعدية Thunderstorms حاضرة أيضا في الرواية العربية والخوف منها موجود. عبر عنها "غالي شكري" بعبارة: "البرق يرعد والرعد يبرق."[5] من رواية "القبر المجهول" لأحمد ولد عبد القادر[6] نقرأ: "أرى بروقا تتخافق مزجية نوءا ثقيلا."[7] كتبت "فتحية الهاشمي" في متن روايتها "حافية الروح":[8] "المطر يأتي على الأخضر واليابس. يأخذ الأسمنت، يقتلع الأشجار، والبحر الذي لا تعرفه هذه الأجساد المنهكة، التي يمتص الناموس ما تبقى من دمها، يأتيها فاتحا ذراعيه، تفوح منه رائحة العفن والموت."[9] ومن رواية "باب السوق" لمحمد أعويدات[10] نقرأ: "السماء صارخة برعود مذوية وبروق خاطفة، ملقية على الخلائق والكائنات أمطارا طوفانية لا تبقي ولا تذر."[11]

---

(١) عصفور من الشرق، ص ١١.
(٢) نشر الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٠.
(٣) اغمات، ص ٩٣.
(٤) لا أحد ينام في الإسكندرية، ص ٤٠٤.
(٥) مواويل الليلة الكبيرة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٠٦.
(٦) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.
(٧) القبر المجهول، ص ١١٣.
(٨) الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ٢٠٠٥.
(٩) حافية الروح، ص ١٣٢.
(١٠) دار التوحيدي، الرباط، ٢٠١٢.
(١١) باب السوق، ص ١٣٠.

يستهل "شريف عبد الهادي" روايته "أبابيل"[1] بهذه الكلمات: "في تلك الليلة قرر استديو السماء أن يعطي الطبيعة صورة تذكارية بفلاش من البرق، وجاملته السحب بغسلة مجانية للأرض."[2] في رواية "صمت الرمل" لمحمد عبد السلام العمري[3] نقرأ: "أمطار غزيرة تتدفق مشبعة بطعم الشجر وحنين الطبيعة، آخذة معها رقصات أسطورية لنجوم وكواكب تتكسر على سطحها، يمشي بحذر باحثا عن تاكسي، لم يكد يتقدم عدة خطوات حتى هاجمته السيول الجارفة، الرعود والبروق، ثم جاء البرد، حبيبات ثلجية صغيرة في البداية، ثم حبيبات كبيرة تساقطت بسرعة، أخذت تحدث أصواتا رعدية، وفجوات دائرية في أسقف السيارات الراكنة غير منتظمة الأقطار والأعماق، لها وقع ورنين وأصوات متداخلة، وبدا أن الأمطار تهطل دما، والسماء ترسل كرات نارية، سمع الأمطار تغني للأزمنة البعيدة المنسية."[4]

ومن رواية "أولاد اليهودية" لتحسين كرمياني[5] نقرأ: "باغتهم منتصف الليل سيل قيء ينهمر، أجسادهم قفزت، أصوات عنيفة تزمجر، قرقعات براميل فارغة، معدة السماء تغربل نفسها، قرقعة تتبع قرقعة... السماء حين تبكي لابد من وجود خروقات أرضية يحدثها بشر عاص، مذنبون لا يتوبون... يأتي الماء بلا رحمة لغسل القذارة الخارقة للفطرة... سماء أطبقت على كل شيء، لون رمادي، زرقة غامقة، واصلت ذرف دموعها، في عملية (غسيل) أبدي، ماء يكنس الحجر، يقتلع الأحراش، النباتات، يضعها أمام طمى غاضبة تدعبلها سيول هائجة."[6]

تبدأ رواية "أمس انتهينا" بهذه الأجواء: "انطلقت بسيارتي شرقا على طريق الكورنيش. كانت الرؤية شبه منعدمة بسبب هطول الأمطار الشديدة. لم تستطع المساحات إزاحة كل هذه

---

(١) دار الربيع العربي، القاهرة، ٢٠١٤.
(٢) أبابيل، ص ١٢.
(٣) دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٢.
(٤) صمت الرمل، ص ٤١.
(٥) دار تموز – دار رند، دمشق، ٢٠١١.
(٦) أولاد اليهودية، ص ٨، ٩، ١٠.

المياه. كان صوت الرعد مخيفا وراح البرق يشرخ لوح الأفق البعيد كاشفا هنا وهناك عن عدد من السفن العاثرة التي تنتظر دخول الميناء. تُذكرني نوة قاسم تلك بشخصية قاسم السماوي **الكاريكاتيرية**. نعم.. فكلاهما حاقد وساخط وناقم. أوقفت السيارة على عجل وهرعت أبحث عن أي بقعة مسقوفة أحتمي بها من وابل الأمطار والسيول الجارفة."[١] وفي موضع آخر من نفس الرواية نقرأ: "بعد أسبوع من حديثنا، رحل أبي في أجواء نوة الفيضة العنيفة التي لا تُغلق البوغاز وحسب، بل كل نافذة وباب وشرفة في الإسكندرية. اقتلعت الرياح أعمدة الكهرباء التي تآكلت قواعدها واللافتات البائسة والأشجار المحنطة، وعربدت المياه في كل مكان بعد أن فشلت البالوعات المتهالكة في استيعابها."[٢] تقترب "آمال النخيلي" من الصورة السابقة بقولها: "عنّ للرياح أن ترقص، فكانت رقصة مجنونة، حولت كثبان الرمل، وحملت أمواج البحر ورمتها على صخور بعيدة، فتفتتت، وتصدعت، وسمعت أصوات هول كأنها النفير، وعلا البحر، والأرض سحاب كأنه السديم."[٣]

في رواية "أثير النشمي" "أحببتك أكثر مما ينبغي" نقرأ: "حبيبتي بدوية لا تعرف طعم القهوة! ولا تأكل من نعمات البحر. تسكن بـ (صوت المطر) وتخاف من غضب الرعد.. تنكمش في فراشها كل ليلة يغضب فيها الرعد راجية إياي أن أظل معها على الهاتف."[٤] الخوف من المطر موجود أيضا في رواية "محمد سعيد ناود" "رحلة الشتاء":[٥] "في تلك الليلة اشتدت العاصفة كما لم تفعل من قبل، وسقط مطر غزير خشيت الزوجة معه أن يجرف معه كوخهما البائس...

- ألا تتوقفين عن الثرثرة يا امرأة؟
- يزعجك كلامي ولا يزعجك خبط المطر الذي يكاد يقتلع الكوخ.

---

(١) أمس انتهينا، ص ٦.
(٢) المرجع السابق، ص ٤٤.
(٣) ترانيم البردي القديم، دار الجنوب، تونس، ٢٠٠٥، ص ١١.
(٤) أحببتك أكثر مما ينبغي، ص ١١٨.
(٥) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩.

- عجيب أمرك حقا هل هناك من يخاف المطر...

في غبش الفجر ترتطم حمامة بباب الكوخ الموارب وتدخل الكوخ محتمية بالدفء من هذه الأجواء العاصفة، يمسك البينكا الحمامة ويمسد ظهرها ويحدثها مدللا:

- أنا لا أظن خروجك في مثل هذه الساعة إلا ابتهاجا بالمطر."[١]

حب "البينكا" للمطر مفهوم ومبرر، لكن ما الذي قد يدفع الإنسان لحب الرعد؟! الإجابة عند "دينا عبد السلام" في روايتها "نص هجره أبطاله"،[٢] والإجابة ببساطة هي الموسيقى: "ويقعقع الرعد عاليا فنتراقص على ما يأتي به من ألحان، لم نفهم حينها كيف ظنه الإغريق تجسيدا لحنق زيوس، كبير الآلهة."[٣]

الحديث عن البرق الأمطار الرعدية يأخذنا بطبيعة الحال إلى هطول الثلوج. رصدت الرواية العربية هذه الظاهرة الشحيحة نسبيا في أجواء عالمنا العربي مقرونة بمظاهر الفرحة والغبطة Chionophilia. الثلج في النهاية يرمز للوداعة والنقاء والطهارة والبراءة. غالبا ما يصاحب نزول الثلج شيئا من الاندهاش المشوب بالفرحة. في رواية "أيمن العتوم" "يسمعون حسيسها" نشعر بهذه الغبطة خاصة حين تنزل الثلوج على مسجون يعاني آلام الحبس فينشج قائلا: "في السادسة مساء بدأ الثلج يهبط من الأعالي، بدأت حباته الخفيفة تتهادى عبر طبقات الجو لتصل إلى بني البشر. الحمد لله أن الثلج لم يستثننا؛ فقد تعودنا خلال إقامتنا الجبرية هنا أنه لا حق لنا مهما كان ضئيلا في أي شأن من شؤون الحياة. نعم لم يستطع حُراس السجن أن يمنعوا الثلج عنا، أو يمنعونا عنه. وقفت تحت الشراقة، ناظرا إلى السماء المغطاة بالضباب، المكتسية بالغموض، المتشحة بالبياض، وقد بدأت تندف خيرها. ندفات.. ندفات.. تلقيتها بوجهي، تركتها تُصافحه بمتعة بالغة، ثم تسيل عليه قطرات من ندى.. ثم رحت أمسحها على وجهي كافة لأوزع بركتها عليه... إنه رحمة السماء التي لا تُرد.. يا الله ما أجمل عطاياك!! وما أعظم منحك!! وما أشد لطفك!! وما أحوجنا إليك!! ندفات..

(١) رحلة الشتاء، ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) بيت الياسمين، القاهرة، ٢٠١٢.

(٣) نص هجره أبطاله، ص ١٧.

ندفات.. تعال أيها الثلج.. تعال أيها الغالي.. فلطالما هاجني الشوق إليك، ولطالما ذبحني الحنين للقياك."[1]

لكن لأن الرواية تكره القيود المكانية فقد انطلقت لترصد نفس الظاهرة في شمال أوروبا والولايات المتحدة وكندا حيث ينقلب الهوس بالثلج والجليد الذي يتراكم على الأديم إلى خوف ورجاء Cryophobia. في رواية "أقفال العشق" نقرأ: "بعد أن جهزا العدة والمؤن انطلق أساناك وعموري شمالا إلى أقصى بقعة كندية في المحيط المتجمد الشمالي حيث الليل القطبي وشمس منتصف الليل، حيث الأبيض هو سيد الألوان والغطاء الثلجي السميك يدوم عشرة شهور أو يزيد، استقبلهم القطب الشمالي بعاصفة ثلجية، شعر عموري أنه على وشك الموت متجمدا، وأن أجهزة جسمه ستتوقف عن العمل... كاد عموري أن يهلك في المحيط المتجمد الشمالي، نفد الطعام معه، ولم يستطع التقدم أكثر من ذلك، جلس مكانه واستسلم لقدره، توهم أنه غير موجود، أو أن دماءه تجمدت أو أنه فقد أجهزته الداخلية[2] أو أنه في بيات شتوي."[3]

وارتبطا بالعاصفة الثلجية تجدر الإشارة أيضا إلى نوع آخر من العواصف يعرفه العالم العربي بالعجاج أو عواصف الصحراء التي غالبا ما تخمد جذوتها بالمطر. والخوف من الريح Ancraphobia متأصل في هذه المنطقة التي أهلك الله فيها أقواما بالريح العاتية. يسمي "عوض سعود عوض" تلك الرياح المحملة بالغبرة بـــ "أم الزوابع" في روايته "ويزهر القندول":[4] "بدأ النهار خطواته عصبي المزاج، مغبر الثياب، منفوش الشعر، وجهه كتلة رمادية وصراخه رمال ثائرة هوجاء، مع أول خيط نوراني بدأت الرياح غزلها، شيء كالمارد يرتفع، عامود من الرمل والغبار يتصاعد بشكل لولبي وساحة دائرية تتسع وتضيق حسب قوتها واندفاعها، داخلها قوة جذب إلى الأعلى والأمام تدفع ما بطريقها، تصل هذه الهبوب إلى التلة، تندفع قوية على مراحل، العجاج الذي في الأعلى يسير كالسهم ليكون فاتحة

(١) يسمعون حسيسها، ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٢) راجع توهم كوتارد.

(٣) أقفال العشق، ص ٨١، ١٠٧.

(٤) منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.

العاصفة القادمة المتسلقة التي تنتهي بنسمات حارقة، عند الأبواب يذرف الهبوب دموعه."[١] وفي رواية "نهر بلا شطآن" لإبراهيم خريط[٢] نقرأ: "عواصف الغبار التي تنشط في الخريف وفي الربيع حين تقل الأمطار، هادئة في فصل الصيف.. غير أن نفوس البشر غير مطمئنة. فكلما هبت نسمة هواء، يتهيأ لهم أنها بداية عاصفة تحمل إليهم ذرات الرمل والتراب.. فتخز الجلد، وفي الصدر والرئتين."[٣] ونواصل نفس المشهد، لكن في رواية أخرى هي "أدراج الطين" لإسماعيل الرفاعي:[٤] "وإزاء هذا العجاج "كان جميع من في البيت قد وضعوا خرقا مبللة على أنوفهم، وقد أوصدوا الأبواب والنوافذ، وغلفوها بقطع من النايلون والقماش منعا لتسرب الغبار.. لكن هيهات."[٥] فالعجاج كما يقول "الخريف بشير" في روايته "الدقلة في عراجينها":[٦] "يعمي.. ويدخل إلى الفم، ويفيء على الطعام، فيجد الزائر قزقزة الرمل مهما حرك فمه."[٧]

أما "أحمد ناجي" فقد خلط الحقيقة بالخيال في مفتتح روايته "استخدام الحياة":[٨] "لم تكن رياحا، أو رطوبة، أو موجة حر.. بل خليط من كل ما سبق مع نكهة من دخان الحريق ورياح الخماسين مضاعفة. ظاهرة مفزعة، ستُعرف بعد ذلك بتسونامي الصحراء. أيام وليال. ليال وأيام. عشرة أيام، خمسة عشر يوما. حالات اختناق. التهابات في العيون. أزمات تنفسية. البشر يتحركون داخل العلب والمباني المكيفة، هربا من جحيم ملعون حل على مدينتهم ذات التاريخ العريق. لكن الجحيم كان يتسلل ببطء داخل حصونهم. أعطال أجهزة التكييف ازدادت، مواتير المراوح كانت تحترق بفعل ارتفاع درجات الحرارة وتسلل ذرات الرمال والأتربة إلى أحشائها. وفي فترات متقطعة كانت الرؤية تنعدم على الطرقات، تزداد

(١) ويزهر القندول، ص ٩.
(٢) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.
(٣) نهر بلا شطآن، ص ٩٩.
(٤) دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٦.
(٥) أدراج الطين، ص ٧٢.
(٦) دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٠.
(٧) الدقلة في عراجينها، ص ١٠٨ – ١٠٩.
(٨) منشورات مرسوم مصر، القاهرة، ٢٠١٤.

الحوادث، ووفيات الرضع ترتفع، كذلك معدل إصابة المسنين بالأزمات القلبية. درجات الحرارة المرتفعة والرياح الترابية الشديدة سببتا خسائر وأعطالا فادحة في شبكات الكهرباء والاتصالات. الحكومة تعاملت مع الموقف بوصفه أمرا لا يدعو للقلق. في يوم العشرين كانت الرمال تغطي شوارع القاهرة. نتحدث عن منطقة محددة تبدأ من مدينة نصر إلى أهرامات الجيزة، ومن المعادي إلى حدود شبرا. طبقات فوقها ظلمات من الأتربة والرمال تجاوزت في بعض المناطق النصف متر. اختفى الرصيف في شوارع رئيسة حيث تعطل الكثير من السيارات وبعضها لم يستطع الحركة. وإذا حدث وكنت تسير تحت أحد الكباري التي اشتهرت بها المدينة فقد كانت الرمال تسقط كشلالات من جانبي الكوبري."[١]

الخوف من القبل

العناق بوح ونوح، لملمة لأرواح مبعثرة، احتضان واحتواء. لمسات حائرة، همسات خادشة، إيحاءات معبرة، أنفاس ساخنة، لعاب مختلط، ارتياد واكتشاف، صعود وهبوط، انصهار وذوبان، فناء في الآخر. العشق يحرك الكون، والعناق هو وقود الحب، لا عتق من العشق، ولا انفكاك من العناق، حين تعانق تتخلى عن كونك واحد إلى نصف يُكمل نصفًا آخر تخلى عن كونه واحد.

يقول "ابن الرومي":

أعانقها والنفس بعد مشوقة

إليها، وهل بعد العناق تدان؟

وألثم فاها كي تزول حرارتي

فيشتد ما ألقى من الهيمان

وما كان مقدار الذي بي من الجوى

ليشفيه ما قد تلثم الشفتان

(١) استخدام الحياة، ص ٩.

كأن فؤادي ليس يشفي غليله

سوى أن يرى الروحين يمتزجان.

وكما في أبيات "ابن الرومي" القبل رديف العناق، فلا عناق بلا قبل، وفضل القبل على العشق عظيم، وللقبل تراث أدبي وإنساني تعجز الأقلام عن حصره، لكن الجديد هو الأمر هو الخوف من القبل Philematophobia. فمتى يخاف الإنسان من القبل؟ قبلة الوداع مثلا أو تقبيل العين لأنه يؤدي للفراق في التراث الشعبي لبعض الثقافات؟ قبلة الحياة التي تُعطى لغريق على مشارف الموت؟ قبلة يهوذا؟ قبلة مسمومة كتلك التي رشفت رضابها "جوليت" من فم "روميو"؟ أم أن هناك من يخاف القبل بسبب اختلاط اللعاب وانتقال الأمراض فتراه يمسح شفتيه بكف يده بعد قبلة مبتلة غير مستحبة؟[1]

من العجيب أن "قيس بن الملوح" في مسرحية "أحمد شوقي" حين التقى غريمه "ورد" الذي تزوج بليلى لم يسأله هل ضاجعها أو خلافه مما يحدث بين الرجل وزوجته، بل سأله: هل قبلها؟ وحين أغاظه "ورد" قائلا أنه قبلها "من الرأس إلى القدم" وصف هذه القبل بالمرض الزعاف:

"قيس:

بربك هل ضممت إليك ليلى / قبيل الصبح أو قبلت فاها؟

وهل رفت عليك قرون ليلى / رفيف الأقحوانة في نداها؟

ورد:

نعم و لا يا قيس.

قيس:

بل لا بد من لا أو نعم.

---

(١) القبلة الفرنسية Open – Mouth Kiss موجودة في رواية "سلوى النعيمي" "برهان العسل": "عيناي تبحثان معه عن مكان يمكنني فيه أن أقبله وأمص لسانه وأتحسس جسده." (مرجع سابق، ص ٣٤).

ورد:

هبها نعم يا قيس هل / مع الحلال من تهم؟

المرء لا يسأل: هل / قبل أهله؟ وكم؟

أجل لقد قبلتها / من رأسها إلى القدم.

قيس:

تلك لعمري قبلة الحمى بلاء وسقم.

أو قبلة الذئب إذا الذئب على الشاة جثم."

في السرد الروائي نقرأ عن الشفاه المضمومة المنطبقة، ربما خوفا من القبل أو لاستجلاء المشاعر أو خلافه، والاقتباس من رواية "حبيب عبد الرب سروري" "طائر الخراب":[1] "ماذا أنتظر إذن؟ حان موعد قبلة الأحلام! لا أدري كيف تُقبل اليمنيات لأني منذ غادرت اليمن في الثامنة عشر من العمر، وقبلها بالتأكيد، لم أقبل تقريبا يمنية واحدة! قبلت أخريات من عوالم متباعدة، لكني لم أقبل فتاة واحدة من اليمن حتى هذه اللحظة التي اقترب فيها من الرابعة والثلاثين من العمر! لا أعرف كيف تُقبل اليمنيات!... هاأنذا انتقل نحو خدها لا إراديا، بحركة بدوية، رعوية، فوضوية... كنت بعيدا جدا عن أناقة قبل السينما الفرنسية.. ثم استقرت شفتاي على شفتيها!... عفوا! حدث شيء لم يكن في الحسبان إطلاقا: لم يسبح لسانها كسمكة، لم يتلوى ويتعرجن ويتعصور كسنونو، لم يتأرجح، لم يناور، لم يتماوج بحركات بحرية ماهرة، لم يطل من قريب أو بعيد، لم ينبجس منه رحيق مزاجه من تسنيم.. لم ينفتح ثغرها مثقال شعرة! كان صامتا أخرس مغلقا تماما! لم تتحرك إلهام، لم ترفض، لم تتفاعل.. كانت كالتمثال!... شفتيها كانتا مضمومتان تماما. ثمة شيء مغلق! ثمة سر جوهري جدا! انسحبت شفتاي كجندي مهزوم. شعرت بخيبة مفاجئة، بانكماش وإحباط كبيرين."[2]

(١) مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ٢٠٠٥.

(٢) طائر الخراب، ص ٤٠، ٤١.

الخوف من الغرق

كتبت الشاعرة الإنجليزية "ستيفي سميث" Stevie Smith (1903 – 1971) عن الغريق الذي يلوح ولا ينقذه أحد ظنا منهم أنه يحييهم!

الرجل الهالك ... لم يسمعه أحد،

ظل هناك يتأوه:

لقد كنت أبعد كثيرا مما ظننتم

ولم أكن ألوح بل أغرق.

الخوف من المياه والغرق فيها Hydrophobia أو Aquaphobia خوف متأصل في النفس البشرية. غرق "يام" ابن نوح ﷺ و"تابيرينوس" Tiberinus الروماني في نهر "التيبر" Tiber الذي أخذ اسمه من الملك الغريق، وغرق الشاعر الرومانسي الشهير "شيللي" Shelly في إيطاليا، وغرق "بطليموس الثامن" عام ٤٧ قبل الميلاد في النيل الذي ابتلع العشرات من العرائس في زمن الفراعنة. وغرق الإمبراطور "باربروسا" Barbarossa في طريقه إلي الأراضي المقدسة عام ١١٩٠ ضمن الحملة الصليبية الثالثة. وأما عن أحداث الغرق الجماعي فيكفي أن نشير لجيش فرعون والسفينة "تيتانك" وعبارة "السلام" المصرية، "تيتانك" الشعبية!

في الأساطير غرق إيجس Aegeus في بحر "إيجه" الذي نُسب إليه وغرق "إيكاروس" الذي طار بجناحين بعد سقوطه في الماء. ومات "أوزيريس" غرقا بعد أن وضعه أخوه ست في صندوق ورمي به في النيل. وغرق "نرسيسيوس" في البحيرة التي كان ينظر إلي صفحة مائها مختالا بنفسه. وفي الأدب غرقت "أوفيليا" الجميلة حبيبة "هاملت"، كما ألقي المفتش "جافرت" Javert بنفسه في نهر السين في رواية "البؤساء" لفيكتور هوجو.

أما الغرق المعنوي فكثير فمنا من يغرق في الأحزان والأوهام والتأملات ومنا من يغرق في "شبر ميه"، ومنا من هو غارق في الدين "لركبه"، أو "متعلق بقشة"، أو غارق في الحب "لشوشته" وصدق نزار حين قال في قصيدته، "رسالة من تحت الماء"، "إني أغرق.. أغرق.. أغرق".

عكس السرد الروائي العربي الخوف من المياه كما عند الأطفال والعجائز، وكما تعكسه عبارة "سعيد الوهابي": "تسلل من فراشه نحو الحمام، تجاهل كالعادة نداء الماء له فهو يكرهه في الشتاء."[1] أما ظاهرة الغرق فحاضرة في أكثر من عمل. في رواية "محمد زفزاف" "قبور في الماء"[2] لا تعود مراكب الصيد بمن عليها من الصيادين البسطاء. ابتلعهم البحر. "سيف"، بطل رواية "صدفة بتجمعنا" ينتهي به الحال غريقا في القنال أو "المانش" الإنجليزي بنهاية مفتوحة تشير إلى إمكانية الانتحار. يعزز ذلك تعليق الكاتب: "أنقذه الغرق"،[3] والذي يذكرنا بعبارة "نقولا حداد": "أنا الغريقة فما خوفي من البلل."[4] لم يجد من ينقذه كما فعل المعلم "حسيب" مع "حنا" المسيحي في "طواحين بيروت" لغادة السمان.

مشهد آخر مشابه يقدمه لنا "حسن حميد" في روايته "جسر بنات يعقوب": "ولم يمت عصمان بيد أحد من الأهالي، وإنما مات بالشراب، قيل إنه وفي ليلته الأخيرة، وقد كانت باردة جدا، شرب كثيرا فما عاد يميز ما بين الأرض المستوية وصفحات الماء الرقراقة. قاده الشراب رويدا رويدا إلى قاع النهر مستسلما كأن يدا غير مرئية تقوده إلى رغبته الأخيرة!"[5] تتكرر نفس الفكرة في رواية "قطة في سوق السمك" لعبد الفتاح رزق:[6] "تخرج وحدها في مواجهة العاصفة العاتية، الهوجاء، لا تبالي بصفير الريح، ولا بالزوبعة الغاضبة، يشاغلها الصوت الذي يأتي من بعيد.. تسمع صداه مدويا في كل الأرجاء.. هل عاد من جديد.. هل ظهر؟ أتراه قابعا الآن في زورقه العالي.. ينتظر عروس البحر؟! يناديها: اسمعي يا أحلام.. البحر يتكلم.. البحر غاضب. تعالي.. إياك أن يضيع منك الحلم... تقفز إلى أحضان الموج المتراقص، الهادر، الصاخب، لا تغطس ولا تحرك يديها.. لا تهابه ولا تخشاه. تمشي بقدميها فوق السطح. تتقافز بين القمم الزرقاء العالية. يتطاير ثوبها الأحمر فتتخلص منه. تصبح حرة، شاردة، طليقة. تصبح كما تريد أن تكون.. كما أرادت أن تكون. يضوي جسدها العاري

(١) سور جدة، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٢.

(٢) الأعمال الكاملة، ج ١، وزارة الشئون الثقافية، الرباط، ١٩٩٩.

(٣) صدفة بتجمعنا، ص ١٩٩.

(٤) حواء الجديدة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٠٦.

(٥) جسر بنات يعقوب، ص ٢٧٧.

(٦) كتاب أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٦.

كتمثال ذهب في موكب من الأمواج التي بدأت الاحتفال. تتهادى في عظمة. تتجه صوب الأفق البعيد.. تقترب منه. تدخل فيه."[١]

ومن رواية "التفاحة والجمجمة" لمحمد عفيفي[٢] نطالع هذا المشهد المثير: "في جوف الليل والناس نيام، انفجار رهيب زلزل أركان السفينة، ثم هرج ومرج وصراخ وعواء، وعشرات من الناس يقفزون إلى البحر بالبيجامات والجلاليب وبعضهم نصف عرايا... خرجت إلى سطح السفينة التي مالت على جنبها وأوشكت أن تغرق، فوقفت لحظة أنظر إلى البحر الذي امتلأ بناس بعضهم يسبح وبعضهم يصرخ وبعضهم يغطس ويقب... اعتليت سور السفينة، ناظرا إلى السماء حيث يسطع القمر. أخذت شهيقا عميقا ثم ألقيت نفسي في الماء. وهناك فقط تذكرت أمرا كان يجب أن أتذكره من قبل، وهو أنني لا أعرف السباحة... الماء سوف يتسلل إلى صدري ويخنقني، ثم يهبط بي إلى القاع الغامض الرهيب، وسط آلاف من الأسماك والكابوريات التي تصفق فرحا بهذه الوليمة الفاخرة... تذكرت الاسم العلمي لهذه الميتة وهو الاسفكسيا، ومن ناحية أخرى تذكرت المثل الذي يتحدث عن تعلق الغريق بالقشة فبدأت أضرب بذراعي هنا وهناك باحثا عن القشة المذكورة."[٣]

استهل "أمير حسين" روايته "المأوى"[٤] بهذه السطور: "امتطي الموج عالقا به كسمكة علقت بصنارة صيد. مُسدلا ذراعي المنهكين بالماء، يحملني لوح خشبي هو آخر ما تبقى من قاربي الغارق. يتمايل اللوح من تحتي تمايل الشجر مع هبات الرياح تارة، ثم يكاد يلفظني مثل فرس بري مع لطم الموج له تارة أخرى، مضت ليلتان وأنا على تلك الحالة، ذابت أصابعي وأكل الملح معدتي، تستفزني صفعات الموج لوجهي بكل وقاحة، وتحاصرني تيارات المد الهائج بطنين مخيف يصم هديره آذاني. لم أعد أعشق رائحة البحر، ولا أستمتع بنسيمه المنعش."[٥]

(١) قطة في سوق السمك، ١٨٣، ١٨٤.
(٢) دار القلم، القاهرة، ١٩٦٥.
(٣) التفاحة والجمجمة، ص ٦، ٧.
(٤) نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.
(٥) المأوى، ص ١١.

البداية من هنا كما كانت دوما حول هذا البحر. سمه ما شئت: بحر الشام، بحر الروم، البحر الأبيض. من هنا خرج "الفينيقيون" يمخرون العباب. ومنه انطلق "هانيبال" يسطر أمجاد "قرطاجة". هنا دخل "أوديسيوس" التيه في بحثه عن موطنه "إيثيكا" حيث تنتظره زوجته الوفية "بينولبي". هنا انطلق "جيسون" بسفينته "الأرجون" ينشد الفروة الذهبية. هنا أعلن "سقراط" أنه ليس رجل أثينا ولا رجل اليونان، بل رجل العالم. هنا نشأت أول "لينجوا فرانكا" حقيقية أو لغة مشتركة بين الشعوب. هنا أضرم "طارق بن زياد" النار في سفنه. هنا وقف "عمر المختار" يقول وحبل المشنقة يتدلى أمامه: "نحن لا نستسلم، ننتصر أو نموت." وهنا واجه أشخاص شرفاء الموت برصاص صهيوني غاشم على متن أسطول الحرية الذي سعى لرفع الحصار عن غزة العزة. البداية من هنا من "بنغازي" أو "باليرمو" أو "مرسيليا" أو "ليماسول" أو "طبرق" أو "نابولي" أو "عنابة" أو "فاليتا" أو "صور" أو "لارناكا" أو "اللاذقية" أو "نيس" أو "طولون" أو "يافا" أو "بنزرت" أو "طرابلس".. كلها أسماء لمدينة واحدة ويسكنها مستنسخات لنفس البشر.

لكن هذا البحر الجميل قد غدا مقبرة لمواسم من الهجرة نحو الشمال. نتحدث هنا عن الهجرة غير الشرعية في المتوسط[1] وقوارب الموت، من "سبتة" إلى "دمياط". وبطبيعة الحال تصدى السرد العربي للظاهرة كعادته فتناولها "أنيس الرفاعي" في "الغائب"[2] و"حميد سكيف" في "جغرافيا الخوف"[3] و"أبو بكر كهال" في "تيتانيكات أفريقية"[4] و"أيمن زهري" في "بحر الروم"[5] و"محمود حسن الجاسم" في "نزوح مريم"[6] و"جلول قاسمي"

---

(١) في روايته "السيف والزهرة" تعرض علي أبي الريش للهجرة غير الشرعية في الخليج العربي وقدم صورة بشعة حين يقدم المهربون على إغراق المهاجرين إذا لاحقهم خفر السواحل. (مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، أبو ظبي، ١٩٨٤).

(٢) دار المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

(٣) ناوتيلوس، هابورج، ٢٠٠٧.

(٤) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٨.

(٥) حقوق النشر محفوظة للمؤلف، ٢٠٠٨.
http://www.zohry.com/pubs/ba7relroom/ba7relroom.pdf

(٦) دار التنوير، بيروت، ٢٠١٥.

في "العابر"[1] و "رزان نعيم" في "نساء الريح"[2] و"السعيد أحمد نجم" في "إيطاليا أو الغرق".[3]

في الرواية الأخيرة تدفع ظروف البلد المتعثرة وزوجة الأب المتجبرة "فتحي" لمحاولة التسلل إلى جنوب أوروبا في قوارب هشة صغيرة من الخشب والمطاط يستخدمها حيتان التهريب، ولا تصمد أمام الأمواج العاتية. نجا "فتحي" من موت محقق وعاد إلى مصر أو بالأحرى أعادوه إليها. الغريب أن آخرون ممن رافقوه فكروا في إعادة الكرة رغم أنهم رأوا الموت بأم أعينهم. يصف "فتحي" لحظات الموت في عيني رفيقه "حسين" قائلا: "كنصف حي أو كنصف ميت، لكنه يقاوم متماسكا.. أحاول أن أغمض عيني فلا أتمكن، لا أنا بالنائم ولا أنا بالمستيقظ.. كيف يأتي النوم في معركة بين الحياة والموت إلا إغفاءة عابرة يفيق الإنسان بعدها مذعورا؟! الموت من فوقنا ومن تحتنا ولا مغيث من بني جنسنا."[4] في النهاية يقرر "فتحي" المكوث في الوطن ومقاومة غبنه وتجبر زوجة أبيه. يقرر أيضا البحث عن "سلوى"، حبيبة الصبا فإن عثر عليها فقد وجد الوطن ولم لا فالمرأة هي السكن والوطن، ومن رحمها تخرج الحياة وتتجدد وتتبدل.

الخوف من السرطان

انتشر السرطان في عصرنا الحالي انتشار النار في الرماد بسبب التلوث والهرمونات والنشاط الذري وعوامل أخرى كثيرة. أصبح هذا المرض الفتاك مرادفا للموت خاصة مع كثرة الحديث عن علاجات له وعدم البت في نجاعة أي منها. مع مرور الوقت تولد ما بات يُعرف بـ "الخوف من السرطان" Carcinophobia. المصابون بهذا الرهاب في الدول الغربية يجرون الفحوصات الدورية ويتثقفون عن المرض، أعراضه وطرق اكتشافه المبكر ويحضرون ندوات عنه، أما في بلادنا فلا يقع الخوف في الغالب إلا بعد أن يضرب هذا المرض اللعين الأنسجة أو يفتك بالخلايا.

(١) دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٩.

(٢) الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠.

(٣) دار الإسلام للطباعة والنشر، المنصورة، ٢٠٠٥.

(٤) إيطاليا أو الغرق، ص ٩٤.

كتب "الطاهر بن جلون" روايته "الاستئصال"[١] بالفرنسية عن السرطان بعد أن أُصيب هو نفسه بسرطان "البروستاتا"، كذلك فعل "العربي باطما" في روايته "الألم"[٢] ومنها نقرأ هذه السطور: "بدأت التداوي، وبدأ الألم والقيء والصمت والعذاب والانتظار. انتظار قدوم أحد من الأهل، أو من الأصدقاء.. ليس للمواساة، لكن للإحساس بأني ما زلت على قيد الحياة، وأني كزائري، يمكن لي المشي في الشارع، واستنشاق الهواء براحة، وأن تلك المرحلة ستمر، ثم أعود إلى الرؤية من خارج زنزانة استشفائية، لأرى الحياة، والناس في عقر تسكعاتهم اليومية، وأتسكع أنا كذلك معهم."[٣] من المحزن أيضا أن يصيب السرطان صغار السن، هذا ما عبرت عنه "منى الشيمي" في روايتها "بحجم حبة عنب".[٤]

ومن الرجال والأطفال إلى النساء، ونبدأ بسرطان الثدي. نتعرف على الهواجس والمخاوف التي تنتاب المرأة من هذا المرض. من رواية "نهى محمود" "راكوشا"[٥] نقرأ هذه السطور: "تتفحص هي في كل المساءات الخيط المستطيل الذي صار أثرا قديما أسفل ثديها تماما. تبحث عن الخلية الغاضبة التي ثارت في تلك المرة. أخبرها الطبيب أن الأمر سيتكرر كثيرا وربما نحتاج لخدش الجسد مرة أخرى والتخلص من الخلية والدم والصديد. أوصاها بوضع قطعة من القطن في ذلك المكان قبل أن تنام. الرعب الذي تعيشه يبدو أبديا – رغم أن غضب الخلية لم يتكرر. هل تتحول تلك الخلية المشاكسة يوما لبؤرة الموت؟ الأمر أسوء من احتمالها تكراره كل هذه المرات.. عندما تموت نساء مدينتها بتوحش الخلايا المسالمة. المرض المخيف الذي يعاف الناس ذكر اسمه. المرض الذي لم تكن أمها تحب أبدا أن يعرف أحد غريب إنها مصابة به."[٦]

الشعور بأن هذا المرض المرير سيصيب نساء المدينة أو حتى الأرض قاطبة موجود أيضا في رواية الكاتبة "غصون رحال" "في البال":[٧] أُصيبت "رهام" أيضا بسرطان الثدي:

(١) دار جاليمار، باريس، ٢٠١٤.
(٢) دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٤.
(٣) الألم ص ٤١.
(٤) دار الحضارة للنشر، القاهرة، ٢٠١٤.
(٥) دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩.
(٦) راكوشا، ص ٩، ١٠.
(٧) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.

"غدت على يقين من أن هذا المرض سينال من جميع نساء الأرض، إنها مسألة وقت لا أكثر، وعلى جميع النساء انتظار أدوارهن برباطة جأش. لسوء الحظ، أو لسبب آخر يصعب فهمه، حان دورها بأسرع مما توقعت... عادت إلى المنزل ماشية وظنونها تكاد تشل قدميها. ألقت بنفسها على أول مقعد وأجهشت بالبكاء. تلفتت حولها وكأنها ترى المكان للمرة الأولى، ما عادت الأشياء على حالها، كل الأشياء اكتسبت معاني جديدة."[(١)]

سرطان الثدي المخيف يدمر حياة "مريم" التي خضعت لجلسات العلاج الكيماوي في رواية "هيفاء بيطار" "امرأة من هذا العصر".[(٢)] الألم بالنسبة لمريم كان مضاعفا فبالإضافة لشبح الموت الذي يغيم عليها ويحوم حولها هناك أيضا تشوه الجسم الذي طالما خبل رجال عرفتهم. وصحيح أنها حاولت بث روح الأمل في المرضى الذين يشاركونها الداء، لكنها كانت مكسورة من الداخل.

السرطان موجود أيضا في رواية "خيوط القدر": " أعطوا أخي الكبير مازن رحم أمي في كيس بلاستيك أزرق اللون. طلبوا منه الذهاب به إلى معمل تحاليل شهير بمحطة الرمل. ارتعدت فرائص أخي وهو يحمل الرحم ويستقل به المترو أو الترام كما يطلق عليه السكندريون. ظل ينظر إليه في أسى. حبس دمعه وابتلع ألمه. في هذا الرحم تزحلق وتشقلب غير مرة! تمنى مازن لو عاد من سجن الدنيا الضيق لرحابة هذا الرحم... لم يستطع أخي العودة إلى المنزل. جلس على الأحجار العتيقة بالكورنيش في مقابل السلسلة حتى موعد استلام نتائج التحليل... نظر مازن إلى خط الأفق متمتما: يارب.. لا تأخذ أمي الآن. خذ مدرسة الفيزياء أو جارتنا سعاد أو هذه المرأة هناك أو تلك واستبقي أمي. في المساء ناولوا أخي ورقة عوضا عن الرحم الذي لا أدري ماذا فعلوا به. هل دفنوه مع النفايات السامة؟! هل ألقوا به في مستودع القمامة؟! هل استقر في جوف كلب ضال أم تعفن وتأفف منه المارة؟! حملت الورقة أنباء غير سارة. الورم خبيث وهاهي أمي التي علمتنا كيف نحب الحياة تموت في صمت."[(٣)]

(١) في البال، ص ١٩، ٦١.

(٢) دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٤.

(٣) خيوط القدر، ص ١٥، ١٦.

الخوف من الأصوات

الصوت طاقة، وجميع الأصوات التي صدرت في الكون باقية فيه، لكن لم يهتد العلماء إلى وسيلة لاستعادتها. لكل صوت تردد. سليمان ﷺ أُعطي تردد النمل فسمع إحداها تستغيث. إن صعق "إسرافيل" ببوقه يتم عن طريق تغيير التردد. من حكمة الباري أن الأذن لا تنام حين تنام عيوننا حتى نتنبه ونستيقظ. من أجل ذلك ضرب المولى سبحانه على آذان أهل الكهف. يأنس الإنسان بشكل عام بالأصوات الجميلة من موسيقى لزقزقة العصافير لخلافه، لكن هناك أصوات تزعج أذنيه. خذ مثلا صوت صخب المدن والقطارات والانفجارات التي تتحول إلى كابوس مؤرق حين لا تكف أو حين تسير على إيقاع واحد يخلق السأم ويترك الخوف Monotony. في الحقيقة إن ديدبان الأصوات قد يتحول إلى عذاب إذا استمر لفترة طويلة وبوتيرة لا تتغير. في هذه الحالة يخرج الإنسان عن شعوره وقد يأتي بأي عمل غير محسوب. وكما أن للصوت سحر وكما أن الأذن تعشق قبل العين فإن الأذن أيضا تنخدع. في أسطورة "أوديسيوس" تحاول السيرينات الإيقاع به عن طريق الصوت.

كثير ممن يضع في أذنيه قطنا لا يفعل ذلك لحاجة طبية، بل لأنه يخشى الصوت المرتفع، وقد يطلب منك أن تخفض صوتك مؤكدا أنه يستطيع سماعك أو يطلب من أنك تخفض المذياع أو التلفاز. يعاني الكثير من الناس من "رهاب الصوت" Acousticophobia. البعض مثلا لا يطيق صوت الخربشة على الزجاج أو القلم على السبورة، وقد يطلب منك أن تتوقف على الفور. البعض تجتاحه أعراض جسدية صعبة حين يسمع صوت إنذار الغارات. البعض يكره صوت الجز على الأسنان أو مضغ العلكة أو تناول الطعام بفم مفتوح أو سارينة السفن أو أزيز الطائرات أو عواء الذئب أو خرير المياه أو نهيق الحمار أو صرصار الليل أو الآلات لموسيقية المعدنية.. الخ. من أجل ذلك يتم استخدام الصوت كأحد أشد أدوات التعذيب حرفية في السجون والمعتقلات لأنها لا تترك أثرا على الجسم، لكنها تدمر الجهاز العصبي.

نقرأ من رواية "الشماعية" لعبد الستار خالد:[1] "وكان الطرق على بابي مثل عقارب الساعة، لم يتوقف، مع أنني رحت أعوي واصرخ: كفى يرحمكم الله. لكن الباب الفولاذي ما

(١) دار المدى، دمشق، ٢٠٠٧.

يزال يئن تحت الطرق المبرمج الذي أزهقني وفتت عظـامي وصـار ينخـر فـر رأسي، الخـوف يأخذ أشكالا معوجة، منبعجة، ومختلفة في كل مرة له ملامح لا تُشبه ما كـان عليـه بـالأمس، ولن تكون هي نفسها غدا. مرة يرمـونني إلى غرفـة لـيس فيهـا أحـد سـواي، مـع موسـيقى صاخبة تخربش الروح والعقل، لا ينفع معها غلق أذني، ولا نوم يأتي ولا شيء ينفع مـع ذلـك الصوت الذي يجعلني بين مطرقة من الشمال ومطرقة من الجنوب."(١)

تم، لكنه ليس تام

(حريملاء – المملكة العربية السعودية، ٢٠١٦)

(١) الشماعية، ص ١١ – ١٢.

مسارد الكتاب

- مسرد العقد النفسية والمتلازمات الثقافية وخلافه المذكورة في متن الدراسة
- قائمة بأنماط الشخصية وفقا لعلم النفس
- قائمة عامة بالهوس والرهاب
- قائمة ببعض المشاهير المصابين برهاب محدد أو العمل الفني الذي تناوله
- قائمة بالعقد والمتلازمات ذات الحواضن العربية كما وردت في الصحافة العربية
- ثبت الروايات الخاضعة للدراسة

مسرد العقد النفسية والمتلازمات الثقافية وخلافه المذكورة في متن الدراسة

(مرتبة أبجديا حسب اللغة العربية) :

١	اشتهاء الغلمان	Pedophilia
٢	توهم فريجولي	Fregoli Delusion
٣	توهم كابجراس	Capgras Delusion
٤	توهم كوتارد	Cotard Delusion
٥	توهم ميجنون	Mignon Delusion
٦	جنون العظمة	Megalomania (Caesar Mania)
٧	الخوف من الأشباح	Phasmophobia
٨	الخوف من الأمطار الرعدية	Astraphobia
٩	الخوف من الريح	Ancraphobia
١٠	الخوف من السرطان	Carcinophobia
١١	الخوف من الظلام	Nyctophobia
١٢	الخوف من العنوسة	Anuptaphobia
١٣	الخوف من الغرق	Hydrophobia
١٤	الخوف من القبل	Philematophobia

Wendigo Psychosis	ذهان ويندجيو	١٥
Claustrophobia	رهاب الاحتجاز والأماكن المغلقة	١٦
Thermophobia	رهاب الاحترار	١٧
Technophobia	رهاب التكنولوجيا	١٨
Cryophobia	رهاب الثلوج والجليد	١٩
Coprophobia	رهاب الخراء	٢٠
Agoraphobia	رهاب الخلاء	٢١
Taphophobia	رهاب الدفن حيا	٢٢
Hemophobia	رهاب الدم	٢٣
Triskaidekaphobia	رهاب الرقم (١٣)	٢٤
Gerascophobia	رهاب الشيخوخة	٢٥
Acousticophobia	رهاب الصوت	٢٦
Bibliophobia	رهاب الكتب	٢٧
Haphephobia	رهاب اللمس	٢٨
Thanatophobia	رهاب الموت	٢٩
Sociophobia	رهاب مخالطة الناس	٣٠
Cinderella Stepmother Syndrome	زوجة والد سندريلا	٣١
Atreus Complex	عقدة أتريوس	٣٢
Joseph's Brothers Complex	عقدة أخوة يوسف	٣٣
Achilles Complex	عقدة أخيل	٣٤
Adonis Complex	عقدة أدونيس	٣٥
Ashmun Complex	عقدة أشمون	٣٦
Atlas Complex	عقدة أطلس	٣٧
God Complex	عقدة الإله	٣٨
Complexe de l' albatross	عقدة البطروس	٣٩
Xenomania	عقدة الخواجة	٤٠
Dr Jekyll and Mr Hyde Complex	عقدة الدكتور جيكل والسيد هايد	٤١
Martyr Complex	عقدة الشهيد	٤٢
Madonna – Whore Complex	عقدة العذراء ومريم الخاطئة	٤٣
Electra Complex	عقدة إلكترا	٤٤

Messiah Complex	عقدة المسيح	٤٥
Antigone Complex	عقدة أنتيجون	٤٦
Oedipus Complex	عقدة أوديب	٤٧
Orestes Complex	عقدة أوريستيس	٤٨
Icarus Complex	عقدة إيكاروس	٤٩
Barbie Complex	عقدة باربي	٥٠
Bambi Complex	عقدة بامبي	٥١
Prometheus Complex	عقدة بروميثيوس	٥٢
Paul Peikart Complex	عقدة بولبكرت	٥٣
Polycrates Complex	عقدة بوليكراتس	٥٤
The Bigger Thomas Complex	عقدة توماس بيجر	٥٥
Griselda Complex	عقدة جريزلده	٥٦
Gilgamesh Complex	عقدة جلجامش	٥٧
Jocasta Complex	عقدة جوكاستا	٥٨
Don Juan Complex	عقدة دون جوان	٥٩
Diana Complex	عقدة ديانا	٦٠
Demosthenes Complex	عقدة ديموستيني	٦١
Rambo Complex	عقدة رامبو	٦٢
Sarah Complex	عقدة سارة	٦٣
Cinderella Complex	عقدة سندريلا	٦٤
Superman Complex	عقدة سوبرمان	٦٥
Shotaro Complex	عقدة شوتارو	٦٦
Faust Complex	عقدة فاوست	٦٧
Frankenstein Complex	عقدة فرانكشتاين	٦٨
Fourier Complex	عقدة فورير	٦٩
Phaedra Complex	عقدة فيدرا	٧٠
Cain Complex	عقدة قابيل	٧١
Casanova Complex	عقدة كازانوفا	٧٢
Cassandra Complex	عقدة كاساندرا	٧٣
Cronus Complex	عقدة كرونوس	٧٤

Clytemnestra Complex	عقدة كليمنسترا	٧٥
Cleopatra Complex	عقدة كليوباترا	٧٦
Laius Complex	عقدة لايوس	٧٧
Lolita Complex	عقدة لوليتا	٧٨
Lohengrin Complex	عقدة لوهينجرن	٧٩
Lear Complex	عقدة لير	٨٠
Lilith Complex	عقدة ليليت	٨١
Medea Complex	عقدة ميديا	٨٢
Napoleon Complex	عقدة نابليون	٨٣
Narcissus Complex	عقدة نارسيسيوس	٨٤
Heracles Complex	عقدة هريكليز	٨٥
Hermes Complex	عقدة هيرمس	٨٦
Jehovah Complex	عقدة يهوه	٨٧
Jonah Complex	عقدة يونس	٨٨
Lot's Wife Syndrome	متلازمة امرأة لوط	٨٩
Auschwitz Syndrome	متلازمة أوشفيتز	٩٠
"Poor Me" Syndrome	متلازمة "أنا المسكين"	٩١
As Soon As Syndrome	متلازمة "بمجرد أن..."	٩٢
Wannabe Syndrome	متلازمة "عبده مشتاق"	٩٣
Why Me Syndrome	متلازمة "لماذا أنا؟"	٩٤
"Not in My Lifetime" Syndrome	متلازمة "ليس خلال فترة حياتي"	٩٥
Ditto Syndrome	متلازمة (شرحه)	٩٦
Absalom Syndrome	متلازمة أبسالوم	٩٧
Ahab Syndrome	متلازمة أحاب	٩٨
Missing White Woman Syndrome	متلازمة اختفاء المرأة البيضاء	٩٩
Hospital Hopper Syndrome	متلازمة إدمان التردد على المستشفيات	١٠٠
Soap Opera Syndrome	متلازمة إدمان التلفاز	١٠١
Jail Bird Syndrome	متلازمة إدمان السجون	١٠٢
Asperger Syndrome	متلازمة إسبرجر	١٠٣
Ekbom Syndrome	متلازمة إكبوم	١٠٤

Monday Morning Syndrome	متلازمة اكتئاب صباح الاثنين	١٠٥
Deadbeat Dad Syndrome	متلازمة الأب الآبق	١٠٦
Gold Digger Syndrome	متلازمة الارتباط بنساء عجائز من أجل ماهن	١٠٧
Young Lion Syndrome	متلازمة الأسد الشبل	١٠٨
Alexander the Great Syndrome	متلازمة الإسكندر	١٠٩
Shiny Objects Syndrome	متلازمة الأشياء اللامعة	١١٠
Third Wheel Syndrome	متلازمة الإطار الثالث	١١١
Stuck Song Syndrome	متلازمة الأغنية العالقة بالذهن	١١٢
Epic Movie Syndrome	متلازمة الأفلام الطويلة	١١٣
Mother Teresa Syndrome	متلازمة الأم تريزا	١١٤
Little Emperor Syndrome	متلازمة الإمبراطور الصغير	١١٥
Ugly American Syndrome	متلازمة الأمريكي الشنيع	١١٦
Prince Charles Syndrome	متلازمة الأمير شارلز	١١٧
Andalusia Syndrome	متلازمة الأندلس	١١٨
Social Breakdown Syndrome	متلازمة الانهيار الاجتماعي	١١٩
Mother Goose Syndrome	متلازمة الإوزة الأم	١٢٠
Pancake Syndrome	متلازمة البانكيك	١٢١
Virgin Syndrome	متلازمة البتول	١٢٢
Ivory Tower SyndromE	متلازمة البرج العاجي	١٢٣
Wet Blanket Syndrome	متلازمة البطانية المبتلة	١٢٤
Duck Syndrome	متلازمة البطة	١٢٥
Sitting Duck Syndrome	متلازمة البطة القابعة	١٢٦
Hero Syndrome	متلازمة البطل	١٢٧
Ugly Duckling	متلازمة البطيطة الدميمة	١٢٨
Holy Cow Syndrome	متلازمة البقرة المقدسة	١٢٩
Chinese Buffet Syndrome	متلازمة البوفيه الصيني	١٣٠
Night Owl Syndrome	متلازمة البومة	١٣١
Boomerang Syndrome	متلازمة البومرانج	١٣٢
Big Mac Syndrome	متلازمة البيج ماك	١٣٣

Teacher's Pet Syndrome	متلازمة التلميذ المفضل لدى المدرس	١٣٤
Phantom Ringing Syndrome	متلازمة التوهم بأن هاتفك المحمول يرن	١٣٥
Sudden Wealth Syndrome	متلازمة الثراء المفاجئ	١٣٦
Get-Rich- Quick Syndrome	متلازمة الثراء السريع	١٣٧
Forbidden Fruit Syndrome	متلازمة الثمرة المحرمة	١٣٨
Walking Corpse Syndrome	متلازمة الجثة السائرة	١٣٩
Sleeping Beauty Syndrome	متلازمة الجمال النائم	١٤٠
Jihad Syndrome	متلازمة الجهاد	١٤١
Silver Cord Syndrome	متلازمة الحبل الفضي	١٤٢
Phantom Lover Syndrome	متلازمة الحبيب الوهمي	١٤٣
Pegasus Syndrome	متلازمة الحصان المجنح	١٤٤
Rocking Horse Syndrome	متلازمة الحصان الهزاز	١٤٥
Nostalgia Syndrome	متلازمة الحنين إلى الماضي	١٤٦
Bread and Milk Syndrome	متلازمة الخبز واللبن	١٤٧
Wild Pig Syndrome	متلازمة الخنزير البري	١٤٨
Teddy Bear Syndrome	متلازمة الدبدوب	١٤٩
Hen – Pecked Syndrome	متلازمة الدجاجة	١٥٠
Chicken or Egg Syndrome	متلازمة الدجاجة والبيضة	١٥١
DINK (Double Income, No Kids) Syndrome	متلازمة الدخل المزدوج مع عدم وجود أطفال	١٥٢
Dolphin-Whale Syndrome	متلازمة الدولفين والحوت	١٥٣
Angry Black Man Syndrome	متلازمة الرجل الأسود الغضبان	١٥٤
Third Man Syndrome	متلازمة الرجل الثالث	١٥٥
Retired Husband Syndrome	متلازمة الزوج المتقاعد	١٥٦
Old Hag Syndrome	متلازمة الساحرة الشمطاء	١٥٧
Ticking Clock Syndrome	متلازمة الساعة المتكتكة	١٥٨
Good Samaritan Syndrome	متلازمة السامري الطيب	١٥٩
Canadian Secretary Syndrome	متلازمة السكرتيرة الكندية	١٦٠
Turtle Syndrome	متلازمة السلحفاة	١٦١
Small Pond, Big Fish Syndrome	متلازمة السمكة الكبيرة في حوض صغير	١٦٢

Squirrel Syndrome	متلازمة السنجاب	١٦٣
Mr. Darcy Syndrome	متلازمة السيد دارسي	١٦٤
Lesbian Sheep Syndrome	متلازمة الشاة السحاقية	١٦٥
Couch Potato Syndrome	متلازمة الشخص "المأنتخ"	١٦٦
Penny Pincher Syndrome	متلازمة الشخص البخيل	١٦٧
Battered Person Syndrome	متلازمة الشخص المُنتَهَك	١٦٨
Itchy Feet Syndrome	متلازمة الشخص كثير الترحال	١٦٩
Crusader Syndrome	متلازمة الصليبي	١٧٠
China Syndrome	متلازمة الصين	١٧١
Boiling Frog Syndrome	متلازمة الضفدع المُلقى في الماء المغلي	١٧٢
Peacock Syndrome	متلازمة الطاووس	١٧٣
Phantom Limb Syndrome	متلازمة الطرف الوهمي	١٧٤
Middle Child Syndrome	متلازمة الطفل الأوسط	١٧٥
Rich Kid Syndrome	متلازمة الطفل الغني	١٧٦
The Boy Who Cried Wolf	متلازمة الطفل المحذر من الذئب	١٧٧
Pampered Child Syndrome	متلازمة الطفل المدلل	١٧٨
Auto-Pilot Syndrome	متلازمة الطيار الأوتوماتيكي	١٧٩
New World Syndrome	متلازمة العالم الجديد	١٨٠
Empty Nest Syndrome	متلازمة العش الخالي	١٨١
Grass is Greener Syndrome	متلازمة العشب الأكثر اخضرارا	١٨٢
Bluebird Syndrome	متلازمة العصفور الأزرق	١٨٣
Uncle Tom Syndrome	متلازمة العم توم	١٨٤
New Broom Syndrome	متلازمة الغربال الجديد	١٨٥
White Knight Syndrome	متلازمة الفارس الأبيض	١٨٦
Butterfly Syndrome	متلازمة الفراشة	١٨٧
Chicken – Hawk Syndrome	متلازمة الفروج والصقر	١٨٨
Mid-life Mirror Angst Syndrome	متلازمة الفزع من المرآة في نتصف العمر	١٨٩
Red Ferrari Syndrome	متلازمة الفيراري الحمراء	١٩٠
Elvis Presley Syndrome	متلازمة إلفيس بريسلي	١٩١
Broken Heart Syndrome	متلازمة القلب الكسير	١٩٢

Eager – Beaver Syndrome	متلازمة القندس	١٩٣
Coyote Syndrome	متلازمة القيوط	١٩٤
Captain Gloval Syndrome	متلازمة الكابتن جلوفال	١٩٥
Big Black Dog Syndrome	متلازمة الكلاب الكبيرة السوداء	١٩٦
Mother & Daughter In – Law-Syndrome	متلازمة الكنة والحماة	١٩٧
Kangaroo Syndrome	متلازمة الكنجارو	١٩٨
Lady Windermere Syndrome	متلازمة الليدي ويندير مير	١٩٩
Bag Lady Syndrome	متلازمة المرأة حاملة الصُرّة	٢٠٠
Professional Patient Syndrome	متلازمة المريض المهني	٢٠١
White Coat Syndrome	متلازمة المعطف الأبيض	٢٠٢
King Arthur / Lancelot Syndrome	متلازمة الملك آرثر/ لانسيلوت	٢٠٣
King David Syndrome	متلازمة الملك داوود	٢٠٤
Queen Victoria Syndrome	متلازمة الملكة فيكتوريا	٢٠٥
Sudden Infant Death Syndrome	متلازمة الموت المفاجئ للأطفال	٢٠٦
Banana Syndrome	متلازمة الموز	٢٠٧
Queen Bee Syndrome	متلازمة النحلة الملكة	٢٠٨
Vulture Syndrome	متلازمة النسر	٢٠٩
Ostrich Syndrome	متلازمة النعامة	٢١٠
Black Sheep Syndrome	متلازمة النعجة السوداء	٢١١
Hamster Syndrome	متلازمة الهامستر	٢١٢
India syndrome	متلازمة الهند	٢١٣
Happy Valley Syndrome	متلازمة الوادي السعيد	٢١٤
Alien Hand Syndrome	متلازمة اليد الغريبة	٢١٥
Elizabeth Taylor Syndrome	متلازمة إليزابيث تيلور	٢١٦
Alice in Wonder Land	متلازمة أليس في بلاد العجائب	٢١٧
Smart Alec Syndrome	متلازمة أليك الأريب	٢١٨
Utopia Syndrome	متلازمة اليوتوبيا	٢١٩
Yo-Yo Syndrome	متلازمة اليويو	٢٢٠
Imelda Marcos Syndrome	متلازمة إميلدا ماركوس	٢٢١

Oprah Winfrey Syndrome	متلازمة أوبرا وينفري	٢٢٢
Jerusalem Syndrome	متلازمة أورشليم	٢٢٣
Oslo Syndrome	متلازمة أوسلو	٢٢٤
Ophelia Syndrome	متلازمة أوفيليا	٢٢٥
Oliver Twist Syndrome	متلازمة أوليفر تويست	٢٢٦
Einstein Syndrome	متلازمة آينشتين	٢٢٧
Paris Syndrome	متلازمة باريس	٢٢٨
Bathsheba Syndrome	متلازمة بشيبع	٢٢٩
Lake Wobegon Syndrome	متلازمة بحيرة وبيجون	٢٣٠
Oreo Cookie Syndrome	متلازمة بسكويت أوريو	٢٣١
Plyushkin Syndrome	متلازمة بلايشكن	٢٣٢
Botkin Syndrome	متلازمة بوتكين	٢٣٣
Bogota Syndrome	متلازمة بوجوتا	٢٣٤
Puerto Rico Syndrome	متلازمة بورتريكو	٢٣٥
Pocahontus Syndrome	متلازمة بوكاهونتاس	٢٣٦
Paul McCartney Syndrome	متلازمة بول ماكرتني	٢٣٧
Pollyanna Syndrome	متلازمة بوليانا	٢٣٨
Bonnie and Clyde Syndrome	متلازمة بوني وكلايد	٢٣٩
Pepe Le Pew Syndrome	متلازمة بيبي ليبو	٢٤٠
Peter Pan Syndrome	متلازمة بيتر بان	٢٤١
Pygmalion Syndrome	متلازمة بيجماليون	٢٤٢
Pickwickian Syndrome	متلازمة بيكويك	٢٤٣
Piocchio Syndrom	متلازمة بينوكيو	٢٤٤
Beowulf Syndrome	متلازمة بيوولف	٢٤٥
Tanguy Syndrome	متلازمة تانجاي	٢٤٦
Tiger Woods Syndrome	متلازمة تايجر وودز	٢٤٧
Charles Bonnet Syndrome	متلازمة تشارلز بونيه	٢٤٨
Tinker Bell Syndrome	متلازمة تنكر بيل	٢٤٩
Soul Mate Syndrome	متلازمة توأم الروح	٢٥٠
Tourette syndrome	متلازمة توريت	٢٥١

Peeping Tom Syndrome	متلازمة توم المتلصص على عورات النساء	٢٥٢
Tom and Jerry Syndrome	متلازمة توم وجيري	٢٥٣
Doubting Thomas Syndrome	متلازمة توما الشكاك	٢٥٤
Thomas Jefferson Syndrome	متلازمة توماس جيفرسون	٢٥٥
Coconut Syndrome	متلازمة ثمرة جوز الهند	٢٥٦
Galapagos Syndrome	متلازمة جالاباجوس	٢٥٧
Galileo Syndrome	متلازمة جاليليو	٢٥٨
Grace Kelly Syndrome	متلازمة جريس كيلي	٢٥٩
Joe, the Plumper Syndrome	متلازمة جو السباك	٢٦٠
Goebbels Syndrome	متلازمة جوبلز	٢٦١
George Bush Jr. Syndrome	متلازمة جورج بوش (الابن)	٢٦٢
Goofy Older Brother Syndrome	متلازمة جوفي الأخ الكبير	٢٦٣
John Lennon Syndrome	متلازمة جون لينون	٢٦٤
John Wayne Syndrome	متلازمة جون وين	٢٦٥
Jimmy Buffett Syndrome	متلازمة جيمي بوفيه	٢٦٦
Puppy Love Syndrome	متلازمة حب الجراء	٢٦٧
Hannah Montana Syndrome	متلازمة حنا مونتانا	٢٦٨
Leonardo da Vinci Syndrom	متلازمة دافنشي	٢٦٩
Down Syndrome	متلازمة داون	٢٧٠
Crab Bucket Syndrome	متلازمة دلو السلطعون	٢٧١
Delilah Syndrome	متلازمة دليلة	٢٧٢
Crocodile Tears Syndrome	متلازمة دموع التماسيح	٢٧٣
Matryoshka Doll Syndrome	متلازمة دمية الماتروشكا	٢٧٤
Doppleganger Syndrome	متلازمة دوبيلجانجر	٢٧٥
Dorian Gray Syndrome	متلازمة دوريان جري	٢٧٦
Don Quiote Syndrome	متلازمة دونكيشوت	٢٧٧
Cockadoodledoo Syndrome	متلازمة ديك البرابر	٢٧٨
Diogenes Syndrome	متلازمة ديوجين	٢٧٩
Little Red Riding Hood Syndrome	متلازمة ذات الرداء الأحمر	٢٨٠
Goldfish Memory Syndrome	متلازمة ذاكرة سمكة الزينة	٢٨١

Name Dropper Syndrome	متلازمة ذكر أسماء الأشخاص المهمين	٢٨٢
Rapunzel Syndrome	متلازمة رابونزل	٢٨٣
School Refusal Syndrome	متلازمة رفض الذهاب للمدرسة	٢٨٤
Rosewell Syndrome	متلازمة روزويل	٢٨٥
Rip Van Winkle Syndrome	متلازمة ريب فان وينكل	٢٨٦
Rebecca Syndrome	متلازمة ريبيكا	٢٨٧
Renfield Syndrome	متلازمة رينفيلد	٢٨٨
Tall Poppy Syndrome	متلازمة زهرة الخشخاش اليافعة	٢٨٩
Wizard of Oz Syndrome	متلازمة ساحر أوز	٢٩٠
Sevres Syndrome	متلازمة سافغ	٢٩١
SpongeBob Syndrome	متلازمة سبونج بوب	٢٩٢
Stendhal Syndrome	متلازمة ستاندال	٢٩٣
Straw Peter Syndrome	متلازمة سترو بيتر	٢٩٤
Stockholm Syndrome	متلازمة ستوكهولم	٢٩٥
Sarajevo Syndrome	متلازمة سرايبفو	٢٩٦
Socrates Syndrome	متلازمة سقراط	٢٩٧
Scarlet Syndrome	متلازمة سكارليت	٢٩٨
Scrooge Syndrome	متلازمة سكروج	٢٩٩
Solomon Syndrome	متلازمة سليمان	٣٠٠
Charlie Brown Syndrome	متلازمة شارلي براون	٣٠١
Sharon Stone Syndrom	متلازمة شارون ستون	٣٠٢
Chuck Cunningham Syndrome	متلازمة شاك كاننجهام	٣٠٣
Saul Syndrome	متلازمة شاؤل	٣٠٤
Sheriff of Nottingham Syndrome	متلازمة شريف نوتنجهام	٣٠٥
Chelsea Clinton Syndrome	متلازمة شيلسي كلينتون	٣٠٦
Digital Pen- Pal Syndrome	متلازمة صديق الكتابة الديجتال	٣٠٧
Medical Student Syndrome	متلازمة طالب الطب	٣٠٨
Pied Piper Syndrome	متلازمة عازف المزمار	٣٠٩
Celebrity Worship Syndrome	متلازمة عبادة المشاهير	٣١٠
Bandwagon Syndrome	متلازمة عربة فرقة الموسيقى	٣١١

Othello Syndrome	متلازمة عطيل	٣١٢
Sardine Tin Syndrome	متلازمة علبة السردين	٣١٣
Tip – of – the Tongue Syndrome	متلازمة على لساني	٣١٤
Pillar of Salt Syndrome	متلازمة عمود الملح	٣١٥
Milkman's Eyes Syndrome	متلازمة عيون بائع الحليب	٣١٦
Pack Rat Syndrome	متلازمة فأر الكراكيب	٣١٧
Van Gogh Syndrome	متلازمة فان جوخ	٣١٨
Florence Nightingale Syndrome	متلازمة فلورنس نايتنجيل	٣١٩
Florence Syndrome	متلازمة فلورنسا	٣٢٠
Vietnam Syndrome	متلازمة فيتنام	٣٢١
Fidel Castro Syndrome	متلازمة فيدل كاسترو	٣٢٢
Werther Syndrome	متلازمة فيرتر	٣٢٣
Circus Elephant Syndrome	متلازمة فيل السيرك	٣٢٤
Vicar of Bray Syndrome	متلازمة قس براي	٣٢٥
Sunday Night Syndrome	متلازمة كآبة مساء الأحد	٣٢٦
Cary Grant Syndrome	متلازمة كاري جرانت	٣٢٧
Kasper Hauser Syndrome	متلازمة كاسبر هوسر	٣٢٨
Christopher Columbus Syndrome	متلازمة كرستوفر كولومبس	٣٢٩
Clerambault Syndrome	متلازمة كليرامبولت	٣٣٠
Klene- Levin Syndrome	متلازمة كلين ليفن	٣٣١
Korsakoff Syndrome	متلازمة كورساكوف	٣٣٢
Couvade Syndrome	متلازمة كوفاد	٣٣٣
No U-Turn Syndrome	متلازمة لا دوران للخلف	٣٣٤
Lazarus Syndrome	متلازمة لازاروس	٣٣٥
London Syndrome	متلازمة لندن	٣٣٦
Phantom Keyboard (Mouse) Syndrome	متلازمة لوحة المفاتيح (الفأرة) التخيلية	٣٣٧
Lech – Nyhan Syndrome	متلازمة ليش – نيهان	٣٣٨
Lima Syndrome	متلازمة ليما	٣٣٩
Post Vegas Syndrome	متلازمة ما بعد فيجاس	٣٤٠

Premenstrual Syndrome	متلازمة ما قبل الحيض	٣٤١
Marilyn Monroe Syndrome	متلازمة مارلين مونرو	٣٤٢
Virgin Mary Syndrome	متلازمة ماري العذراء	٣٤٣
Marie Antoninette Syndrome	متلازمة ماري أنطوانيت	٣٤٤
Mary Poppins Syndrome	متلازمة ماري بوبنز	٣٤٥
Mary – Martha Syndrome	متلازمة ماري ومارثا	٣٤٦
Mal De Ojo Syndrome	متلازمة مال دي أوجو	٣٤٧
Mowgli Syndrome	متلازمة ماوكلي	٣٤٨
Michael Jackson Syndrome	متلازمة مايكل جاكسون	٣٤٩
Michael Jordan Syndrome	متلازمة مايكل جوردن	٣٥٠
Methuselah Syndrome	متلازمة متشولخ	٣٥١
Madam Bovary Syndrome	متلازمة مدام بوفاري	٣٥٢
Mme Zero Syndrome	متلازمة مدام صفر	٣٥٣
Animal Farm Syndrome	متلازمة مزرعة الحيوانات	٣٥٤
Emperor's New Clothes Syndrome	متلازمة ملابس الإمبراطور الجديدة	٣٥٥
Beauty Queen Syndrome	متلازمة ملكة الجمال	٣٥٦
Sugar Daddy Syndrome	متلازمة مواعدة كبار السن من الرجال	٣٥٧
Moby Dick Syndrome	متلازمة موبي ديك	٣٥٨
Munchausen Syndrome	متلازمة مونخهاوزن	٣٥٩
Natasha Syndrome	متلازمة ناتاشا	٣٦٠
Noah Syndrome	متلازمة نوح	٣٦١
Nero Syndrome	متلازمة نيرون	٣٦٢
Harry Potter Syndrome	متلازمة هاري بوتر	٣٦٣
Havisham Syndrome	متلازمة هافيشام	٣٦٤
Huckleberry Finn Syndrome	متلازمة هاكلبيري فين	٣٦٥
Halo Syndrome	متلازمة هالو	٣٦٦
Wag the Dog Syndrome	متلازمة هز ذيل الكلب	٣٦٧
Hollywood Syndrome	متلازمة هوليود	٣٦٨
Homer Simpson Syndrome	متلازمة هومر سيمبسون	٣٦٩
Hubris Syndrome	متلازمة هيبرس	٣٧٠

Bridesmaid Syndrome	متلازمة وصيفة العروس	٣٧١
Foot in Mouth Syndrome	متلازمة وضع القدم في الفم	٣٧٢
Walter Mitty Syndrome	متلازمة ولتر ميتي	٣٧٣
Whitman Syndrome	متلازمة ويتمان	٣٧٤
Werewolf Syndrome	متلازمة ويرولف	٣٧٥
Wendy Syndrome	متلازمة ويندي	٣٧٦
Pyromania	هوس إشعال الحرائق	٣٧٧
Ablutomania	هوس الاغتسال	٣٧٨
Bukkake Mania	هوس البوكاكي	٣٧٩
Nudomania	هوس التعري	٣٨٠
Auromania	هوس الذهب	٣٨١
Chorophilia	هوس الرقص	٣٨٢
Kleptomania	هوس السرقة	٣٨٣
Nymphomania	هوس المرأة بالجنس "السويداء"	٣٨٤
Necromania	الهوس بأجساد الموتى	٣٨٥
Podophila	الهوس بأقدام النساء	٣٨٦
Dendrophilia	الهوس بالأشجار	٣٨٧
Hippomania	الهوس بالخيول	٣٨٨
Celebriphilia	الهوس بالمشاهير	٣٨٩
Mysophilia	الهوس بملابس النساء الداخلية المتسخة	٣٩٠
Chionophilia	الهوس بهطول الثلوج	٣٩١
Zoophilia	هوس معاشرة الحيوانات	٣٩٢
Verbomania	الولع بالكلمات	٣٩٣
Melanophilia	الولع باللون الأسود	٣٩٤
Coprolalia	الولع بترديد الكلمات الخارجة	٣٩٥

قائمة بأنماط الشخصية وفقا لعلم النفس

Personality(1) Psychology Types

م	نمط الشخصية	معلومات إضافية	مثال
١	المُضَطهَدة Paranoid	لديه شعور دائم بأنه مُضطهد	"عيسى الطاروف" في رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي
٢	السيكوباتية Psychopathic	إجرامية وجافة المشاعر	"حسين"، بطل رواية "النمروذ" لأحمد صلاح سابق
٣	النرجسية Narcissistic	التمركز حول الذات بأنوية شديدة	"نازك" في رواية "امرأة من طابقين" لهيفاء بيطار
٤	السفسطائية Sophisticate	الجدل من أجل الجل (الجدل البيزنطي)	الشخصية الحجاجية موجودة في رواية "نيويورك ٨٠" ليوسف إدريس
٥	العدوانية Anti-social	كارهة للبشر	شخصية الجد في رواية "نقطة النور" لبهاء طاهر
٦	المتشككة Skeptic	مرتابة وليس لديها ثقة في الآخرين	بطل رواية "الوداع أيتها السماء" لحامد عبد الصمد
٧	الفصامية Schizotypal ((Schizophrenic	سلوكها غريب	شخصية الأم في رواية "أنثى العنكبوت" لقماشة العليان

(١) من اللاتينية Persona بمعنى "القناع الذي اعتاد الممثل قديما ارتداءه. (نبيل صالح سفيان، المختصر في الشخصية، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٧)، ومن هنا تأتي أهمية هذه القائمة إذ يمكن رد وربط العقد النفسية الواردة في هذه الدراسة معها فعقدة "نارسيسيوس" هي الشخصية النرجسية و"عقدة سندريلا" هي الشخصية الاعتمادية. "متلازمة الشاة السوداء" لديها صلة بالشخصية الاضطهادية و"متلازمة توما المرتاب" مرتبطة بالشخصية المتشككة و"متلازمة الليدي ويندير مير" لها علاقة بالشخصية الوسواسية و"متلازمة الفراشة" هي وجه من وجوه الشخصية الانبساطية وهكذا. هذا وقد تتطلب هذه الإشارة دراسة منفردة. يكتمل نمو الشخصية عادة عند سن الثامنة عشر وعوامل تشكيلها هي جينية أو وراثية واجتماعية وتربوية.

م	نمط الشخصية	معلومات إضافية	مثال
٨	شبه الفصامية Schizoid	متباعدة ولا تُظهر إلا أقل القليل من المشاعر والانفعالات	بطل رواية "دمية النار" لبشير مفتي
٩	الحدية Borderline	تحتل مكانة بين الحد الفاصل للسوي وغير السوي (مزاجية)	شخصية "عزيز" في رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" لأثير النشمي
١٠	السادية Sadistic	تعشق إهانة الآخرين وإلحاق الأذى بهم	شخصية "جابريل" في رواية "أقفال العشق" لمحمد عزب
١١	المازوخية Masochistic	منقادة، تتلذذ بالعذاب والمهانة	شخصية الباشا في رواية "درب الهوى" لإسماعيل ولي الدين
١٢	الهستيرية Histrionic	تُعرف أيضا بـ "الدرامية" و "التمثيلية" و"الاستعراضية"	شخصية "هيام" في رواية "ما وراء الفردوس" لمنصورة عز الدين
١٣	المتحاشية Avoidant	تُسمى أيضا بـ "الانطوائية" و"التجنبية" و"الإنسحابية"	بطل رواية "رالف رزق الله في المرآة" لربيع جابر
١٤	الاعتمادية Dependent	تلتصق بالآخرين	بطلة رواية "هند والعسكر" لبدرية البشر
١٥	الوسواسية القهرية Obsessive-Compulsive	تبالغ في الاهتمام بالتفاصيل	شخصية عمة البطلة في رواية "أنا حرة" لإحسان عبد القدوس
١٦	الاكتئابية Melancholic	رافضة للحياة	شخصية "وحيد" في رواية "لحظات لا غير" لفاتحة مرشيد
١٧	الانبساطية Extrovert	لديها دائرة اجتماعية واسعة	بطلة رواية "النظارة السوداء" لإحسان عبد القدوس
١٨	الإدمانية Addictive	الباحثة عن المتعة والمتبعة للأهواء	شخصية "مسعود" في رواية "عطش الليل" لعبد القادر الدحمني

م	نمط الشخصية	معلومات إضافية	مثال
١٩	المترددة Hesitant	الضائعة بين الخيارات والبدائل والتي يصعب عليها اتخاذ قرار	شخصية "سعدون" في رواية "بلد واحد هو العالم" لهاني الراهب

قائمة بالهوس والرهاب

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
١	Ablutomania Ablutophilia Loutromania Loutrophilia	الاغتسال والاستحمام	Ablutophobia Loutrophobia
٢	Acaromania Acarophilia	الحك (الهرش)	Acarophobia
٣	Aceromania Acerophilia	الأطعمة اللاذعة	Acerophobia
٤	Achluomania Achluophilia Lygomania Lygophilia Scotophilia	الظلام	Achluophobia Lygophobia Scotophobia
٥	Acousticomania Acousticophilia	الصخب	Acousticophobia
٦	Acromania Acrophilia Altomania Altophilia Hypsomania Hypsophilia	المرتفعـــات والأمـــاكن العالية	Acrophobia Altophobia Hypsophobia
٧	Aeroacromania Aeroacrophilia	الأمـــاكن المفتوحـــة (الخلاء)	Aeroacrophobia
٨		دوار الجو	Aeronauseophobia
٩	Aeromania Aerophilia	الهواء والتيارات الهوائية	Aerophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
١٠		الجنون	Agateophobia Dementophobia Lyssophobia Maniaphobia
١١	Agathomania Agathophilia	العطف والتعاطف	
١٢	Agoramania Agoraphilia	الأماكن العامة	Agoraphobia
١٣	Agriozoomania Agriozoophilia	الحيوانات المتوحشة	Agriozoophobia
١٤	Agyromania Agyrophilia Dromophilia Dromophilia	الشوارع أو عبورها	Agyrophobia Dromophobia
١٥	Aichmomania Aichmophilia Belonemania Belonephilia	الأشـــياء الحـــادة أو المدببة	Aichmophobia Belonephobia
١٦	Ailuromania Ailurophilia	القطط	Ailurophobia
١٧		أمراض الكلى	Albuminurophobia
١٨	Alektoromania Alektorophilia	الديوك أو الدجاج	Alektorophobia
١٩	Algomania Algophilia Odynemania Odynephilia Ponomania Ponophilia	الألم	Algophobia Odynephobia Ponophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٢٠	Alliomania Alliophilia Scorodomania Scorodophilia	الثوم	Alliophobia Scorodophobia
٢١	Allodoxamania Allodoxaphilia	الآراء المختلفة	Allodoxaphobia
٢٢	Amathomania Amathophilia Koniomania Koniophilia	الغبار	Amathophobia Koniophobia
٢٣	Amaxomania Amaxophilia	ركوب السيارة	Amaxophobia
٢٤	Ambulomania Ambulophilia Stasemania Stasephilia	المشي والسير (الترجل)	Ambulophobia Stasephobia
٢٥		النسيان	Amnesiophobia Athazagoraphobia
٢٦		الخدش	Amychophobia
٢٧	Anemomania Anemophilia	الرياح	Anemophobia
٢٨		الاختناق	Anginophobia
٢٩	Anglomania Anglophilia	كل ما هو إنجليزي	Anglophobia
٣٠	Anthomania Anthophilia	الورود	Anthophobia

م	هوس الشخص بــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٣١	Anthropomania Anthropophilia Demophilia Demophilia Sociomania Sociophilia	الناس	Anthropophobia Demophobia Sociophobia
٣٢		الفيضانات	Antlophobia
٣٣	Anuptomania Anuptophilia	العزوبية (العنوسة)	Anuptophobia
٣٤	Aphenomania Aphenophilia Plutomania Plutophilia	الثروة	Aphenophobia Plutophobia
٣٥	Apiomania Apiophilia Melissomania Melissophilia	النحل	Apiophobia Melissophobia
٣٦		الأشـــــــــخاص ذوي الأعضاء المبتورة	Apotemnophobia
٣٧	Arachnomania Arachnophilia	العناكب	Arachnophobia
٣٨	Arithmomania Arithmophilia	الأرقام	Arithmophobia
٣٩	Astromania Astrophilia	النجوم	Astrophobia
٤٠	Asymmetromania Asymmetrophilia	الأشياء المختلفـة (غـير المتماثلة)	Asymmetrophobia

م	هوس الشخص بـ	الترجمة	خوف الشخص من...
٤١	Ataxomania Ataxophilia	الفوضى	Ataxophobia
٤٢		الخوف من الخلل وعدم الكمال	Atelophobia
٤٣	Atemania Atephilia	الخرائب	Atephobia
٤٤	Atomosomania Atomosophilia	الانفجارات والتجارب الذرية	Atomosophobia
٤٥		الفشل	Atychiphobia
٤٦	Augomania Augophilia Heliomania Heliophilia	الشمس وضوءها أو الأضواء المتوهجة	Augophobia Heliophobia
٤٧	Aulomania Aulophilia	المزامير	Aulophobia
٤٨	Auromania Aurophilia	الذهب	Aurophobia Chrysophobia
٤٩	Autodysomomania Autodysomophilia	الرائحة العطنة أو الأشخاص الذين تصدر عن أجسامهم هذه الرائحة	Autodysomophobia Bromidrophobia Bromidrosiphobia
٥٠	Automatonomania Automatonophilia	الإنسان الآلي	Automatonophobia
٥١	Automysomania Automysophilia Mysomania Mysophilia	الاتساخ	Automysophobia Mysophobia
٥٢	Aviophilia Aviomania	الطيران	Aviophobia

م	هوس الشخص بــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٥٣		الميكروبات	Bacillophobia Microbiophobia
٥٤		البكتريا	Bacteriophobia
٥٥	Ballistomania Ballistophilia	الصواريخ والرُصاص	Ballistophobia
٥٦	Basimania Basiphilia	السقوط (الوقوع)	Basiphobia
٥٧	Bathymania Bathyphilia	المياه العميقة	Bathyphobia
٥٨	Batrachomania Batrachophilia	البرمائيات	Batrachophobia
٥٩	Beatlemania Beatlephilia	الخنافس	Beatlephobia
٦٠	Bibliomania Bibliophilia	الكتب	Bibliophobia
٦١	Biomania Biophilia	الطبيعة	Biophobia
٦٢	Blennomania Blennophilia Myxomania Myxophilia	الوحل	Blennophobia Myxophobia
٦٣	Blogomania Blogophilia	المدونات	Blogoophobia
٦٤	Bolshemania Bolshephilia	البلشفية	Bolshephobia
٦٥	Botanomania Botanophilia	النباتات	Botanophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٦٦	Brontomania Brontophilia Ceraunomania Ceraunophilia	الرعد والبرق	Brontophobia Ceraunophobia
٦٧	Bufonomania Bufonophilia Ranomania Ranophilia	الضفادع	Bufonophobia Ranophobia
٦٨	Cacomania Cacophilia	القبح	Cacophobia
٦٩	Caligynemania Caligynephilia	النساء الجميلات	Caligynephobia Venusophobia
٧٠		مرض السرطان	Carcinophobia
٧١	Carnomania Carnophilia	اللحوم	Carnophobia
٧٢		أن يكـــــون مشـــــارا للسخرية	Catagelophobia
٧٣	Catoptromania Catoptrophilia Eisoptromania Eisoptrophilia	المرايا	Catoptrophobia Eisoptrophobia
٧٤	Cenomania Cenophilia	البقاع الخالية	Cenophobia
٧٥	Centomania Centophilia	الأفكار الجديدة	Centophobia
٧٦	Chaetomania Chaetophilia Trichomania Trichophilia	الشَعر	Chaetophobia Trichophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٧٧	Chemomania Chemophilia	الكيماويات	Chemophobia
٧٨	Cheromania Cherophilia	المرح	Cherophobia
٧٩	Chionomania Chionophilia	الثلوج	Chionophobia
٨٠	Chiraptomania Haphemania Haptemania Haptephilia	أن يلمسه الآخرون	Chiraptophobia Haphephobia
٨١		الكوليرا	Cholerophobia
٨٢	Chronomania Chronophilia	الوقت	Chronophobia
٨٣	Chronomentromania Chronomentrophilia	الساعات	
٨٤	Cibomania Cibophilia Phagomania Phagophilia Sitomania Sitophilia	الطعام وتناوله	Cibophobia Phagophobia Sitiophobia
٨٥	Claustromania Claustrophilia	الاحتجاز (الخلوة)	Claustrophobia
٨٦	Clinomania Clinophilia	الذهاب إلى الفراش	Clinophobia
٨٧	Clithromania Clithrophilia	أن يكـــون مُحاطـــا أو مُطوق	Cleithrophobia

م	هوس الشخص بـ	الترجمة	خوف الشخص من...
٨٨	Cnidomania Cnidophilia	اللدغات (اللسعات)	Cnidophobia
٨٩	Coimetromania Coimetrophilia	المقابر	Coimetrophobia
٩٠	Coitomania Coitophilia Eromania Erophilia Nymphomania Sexomania Sexophilia	الجنس والعلاقات الجنسية	Coitophobia Erophobia Nymphophobia Sexophobia
٩١	Cometomania Cometophilia	المذنبات	Cometophobia
٩٢	Contreltomania Contreltophilia	الاستغلال الجنسي	Contreltophobia
٩٣		الإمساك	Coprastasophobia
٩٤	Copromania Coprophilia Scatomania Scatophilia	الخراء	Coprophobia Scatophobia
٩٥	Coulromania Coulrophilia	المهرجين	Coulrophobia
٩٦	Countermania Counterphilia	المواقف المرعبة	Counterphobia
٩٧	Cremnomania Cremnophilia	المنحدرات	Cremnophobia

م	هوس الشخص بــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٩٨	Cryomania Cryophilia Pagomania Pagophilia	الصقيع	Cryophobia Pagophobia
٩٩	Crystallomania Crystallophilia Hyalomania Hyalophilia Nelomania Nelophilia	الكريستال والزجاج	Crystallophobia Hyalophobia Nelophobia
١٠٠	Cybermania Cyberphilia	الإنترنت	Cyberphobia
١٠١	Cyclomania Cyclophilia	الدراجات	Cyclophobia
١٠٢	Cymomania Cymophilia	الأمواج	Cymophobia
١٠٣	Cynomania Cynophilia	الكلاب	Cynophobia
١٠٤	Cyprianomania Cyprianophilia	العاهرات	Cyprianophobia
١٠٥		الأمراض التناسلية	Cypridophobia
١٠٦	Decalcomania Decalcophilia	الملصقات	Decalcophobia
١٠٧	Demonomania Demonophilia Phasmomania Phasmophilia	الأشباح والعفاريت	Demonophobia Phasmophobia
١٠٨	Dendromania Dendrophilia	الأشجار	Dendrophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
١٠٩		أطباء الأسنان	Dentophobia Odontophobia
١١٠		الأمراض الجلدية	Dermatophobia
١١١		مرض السكري	Diabetophobia
١١٢	Didaskaleinomania Didaskaleinophilia	الذهاب إلى المدرسة	Didaskaleinophobia
١١٣	Dikomania Dikophilia Litigomania Litigophilia	العدالة	Dikophobia Litigophobia
١١٤		الدوخة والدوار والدوامات	Dinophobia Illyngophobia
١١٥		ازدواج الرؤية (رؤية الشيء اثنين)	Diplophobia
١١٦	Dipsomania Dipsophilia Methymania Methyphilia Potomania Potophilia Oenomania Oenophilia	الخمور والمشروبات الكحولية	Dipsophobia Methyphobia Oenophobia Potophobia
١١٧	Dishabiliomania Dishabiliophilia	خلع الملابس أمام الآخرين	Dishabiliophobia
١١٨	Dontomania Dontophilia	الأسنان	Dontophobia
١١٩	Doromania Dorophilia	فراء الحيوانات	Dorophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
١٢٠	Doxomania Doxophilia	المجد	
١٢١	Dromomania Hodomania Hodophilia	التجوال	Dromophobia Hodophobia
١٢٢		التشوه الجسدي	Dysmorphophobia
١٢٣	Dystychimania Dystychiphilia	الحوادث	Dystychiphobia
١٢٤	Ecclesiomania Ecclesiophilia	الكنيسة والطقوس الكنسية	Ecclesiophobia
١٢٥	Ecomania Ecophilia	البيئة	
١٢٦	Electromania Electrophilia	الكهرباء	Electrophobia
١٢٧	Eleutheromania Eleutherophilia	الحرية	Eleutherophobia
١٢٨	Emetomania Emetophilia	التقيأ	Emetophobia
١٢٩	Enetomania Enetophilia	دبابيس	Enetophobia
١٣٠	Enissomania Enissophilia	الهجوم والانتقادات	Enissophobia
١٣١	Enochlomania Enochlophilia	الحشود	Enochlophobia
١٣٢	Entomomania Entomophilia Insectomania Insectophilia	الحشرات	Entomophobia Insectophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
١٣٣	Eosomania Eosophilia Phengomania Phengophilia	الفجر وضوء النهار	Eosophobia Phengophobia
١٣٤	Ephebomania Ephebophilia	المراهقين	Ephebophobia
١٣٥		نزيف الأنف	Epistaxiophobia
١٣٦	Epistemomania Epistemophilia Gnosiomania Gnosiophilia	المعرفة	Epistemophobia Gnosiophobia
١٣٧	Equinomania Equinophilia Hippophilia Hippophilia	الخيول	Equinophobia Hippophobia
١٣٨	Erytophilia Erytophilia	اللون الأحمر	Erytophobia
١٣٩	Ergomania Ergophilia	العمل	Ergophobia
١٤٠	Eromania Erophilia Sexomania Sexophilia	ممارسة الجنس	Erophobia Sexophobia
١٤١	Erotomania Erotophilia	الإيروسية	Erotophobia
١٤٢	Eurotomania Eurotophilia Kolpomania Kolpophilia	الأعضاء الأنثوية	Eurotophobia Kolpophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
١٤٣		الحُمى	Febriphobia Pyrexiophobia
١٤٤	Francomania Francophilia	كل ما هو فرنسي	Francophobia
١٤٥	Gamomania Gamophilia	الزواج	Gamophobia
١٤٦	Geliomania Geliophilia	الضحك	Geliophobia
١٤٧		عبور الجسور	Gephyrophobia
١٤٨		الشيخوخة	Gerascophobia
١٤٩	Germanomania Germanophilia Teutomania Teutophilia	كل ما هو ألماني	Germanophobia Teutophobia
١٥٠	Gerontomania Gerontophilia	المسنين	Gerontophobia
١٥١	Geumomania Geumophilia	التذوق	Geumophobia
١٥٢	Glossomania Glossophilia	اللغة والتحدث	Glossophobia
١٥٣	Goetomania Goetophilia Wiccomania Wiccophilia	السحر والساحرات	Goetophobia Wiccophobia
١٥٤	Graphomania Graphophilia Scriptomania Scriptophilia	الكتابة	Graphophobia Scriptophobia

خوف الشخص من...	الترجمة	هوس الشخص بـــ	م
Gymnophobia Nudophobia	العري والإستعراء	Gymnomania Gymnophilia Nudomania Nudophilia	١٥٥
Gynephobia	النساء	Gynemania Gynephilia	١٥٦
Hadephobia Stygiophobia	الجحيم		١٥٧
Hagiophobia Hierophobia	القدسيين والمقدسات	Hagiomania Hagiophilia Hieromania Hierophilia	١٥٨
Hamartophobia	الآثام وارتكابها	Hamartomania Hamartophilia	١٥٩
Hedonophobia	الشعور بالسعادة	Hedonomania Hedonophilia	١٦٠
Hellenologophobia	الكلمات اليونانية أو المصطلحات العلمية	Hellenologomania Hellenologophilia	١٦١
Hellenophobia	كل ما هو جريكي (يوناني)	Hellenomania Hellenophilia	١٦٢
Helminthophobia Scoleciphobia Teniophobia	الديدان	Helminthomania Helminthophilia Scolecimania Scoleciphilia Teniomania Teniophilia	١٦٣
Hematophobia	الدم	Hematomania Hematophilia	١٦٤
Homophobia	الشذوذ الجنسي	Homophilia	١٦٥

خوف الشخص من...	الترجمة	هوس الشخص بـــ	م
Hereiophobia	البدع		١٦٦
Herpetophobia	الزواحف	Herpetomania Herpetophilia	١٦٧
Hesperophobia	الغرب		١٦٨
Heterophobia	الجنس المقابل	Heteromania Heterophilia	١٦٩
Hobophobia	المتسولين		١٧٠
Homichlophobia Nebulaphobia	الضباب	Homichlomania Homichlophilia Nebulamania Nebulaphilia	١٧١
Homilophobia	الوعظ	Homilomania Homilophilia	١٧٢
Hoplophobia	الأسلحة النارية	Hoplomania Hoplophilia	١٧٣
Hormephobia	الصدمة		١٧٤
Hydrargyophobia	أدوية الزئبق	Hydrargyomania Hydrargyophilia	١٧٥
Hydrophobia	الماء	Hydromania Hydrophilia	١٧٦
Hygrophobia	الرطوبة		١٧٧
Hylephobia	الصرع		١٧٨
Hylophobia Xylophobia	الغابات والأخشاب	Hylomania Hylophilia Xylomania Xylophilia	١٧٩
hypegiaphobia	المسؤولية	Hypegiamania Hypegiaphilia	١٨٠

م	هوس الشخص بـ	الترجمة	خوف الشخص من...
١٨١	Hypnomania Hypnophilia	النـــوم أو التنـــويم المغناطيسي	Hypnophobia
١٨٢	Iatromania Iatrophilia	الأطباء	Iatrophobia
١٨٣	Ichthyomania Ichthyophilia	الأسماك	Ichthyophobia
١٨٤	Iconomania Iconophilia	الصور	Iconophobia
١٨٥	Ideomania Ideophilia	الأفكار	Ideophobia
١٨٦	Iomania Iophilia Toxomania Toxophilia	السم والتسمم	Iophobia Toxophobia
١٨٧	Islamomania Islamophilia	الإسلام	Islamophobia
١٨٨	Isolomania Isolophilia Monomania Monophilia	الوحدة	Isolophobia Monophobia
١٨٩	Isopteromania Isopterophilia	النمل الأبيض	Isopterophobia
١٩٠	Japanomania Japanophilia	كل ما هو ياباني	Japanophobia
١٩١	Judeomania Judeophilia	كل ما هو يهودي	Judeophobia

م	هوس الشخص بـ	الترجمة	خوف الشخص من...
١٩٢	Kainomania Kainophilia Neomania Neophilia	الأشـــياء الجديـــدة، الحداثة والتجديد	Kainophobia Neophobia
١٩٣	Kainotomania Kainotophilia	التغيير	Kainotophobia Metathesiophobia Tropophobia
١٩٤	Kakorrhaphiomania Kakorrhaphiophilia	الفشل أو الهزيمة	Kakorrhaphiophobia
١٩٥	Kathisomania Kathisophilia	الجلوس	
١٩٦	Kinesomania Kinesophilia	الحركة	Kinesophobia
١٩٧	Kleptomania Kleptophilia	السرقة	Kleptophobia
١٩٨	Kopomania Kopophilia	التعب والإنهاك	Kopophobia
١٩٩	Kosmomania Kosmophilia	الكون وظواهره	Kosmophobia
٢٠٠	Lachanomania Lachanophilia	الخضراوات	Lachanophilia
٢٠١		الجزام	Leprophobia
٢٠٢	Leukomania Leukophilia	اللون الأبيض	Leukophobia
٢٠٣		كل ما على اليسار أو اليسار بشكل عام	Levophobia Sinistrophobia
٢٠٤	Ligyromania Ligyrophilia	الصراخ	Ligyrophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٢٠٥	Lilapsomania Lilapsophilia	الأعاصير	Lilapsophobia
٢٠٦	Limnomania Limnophilia	البحيرات	Limnophobia
٢٠٧	Linonomania Linonophilia	الخيوط	Linonophobia
٢٠٨	Logizomechanomania Logizomechanophilia	الحاسوبات	Logizomechanophobia
٢٠٩	Logomania Logophilia Verbomania Verbophilia	الكلمات بشكل عام	Logophobia Verbophobia
٢١٠		مرض الزهري	Luiphobia Syphilophobia
٢١١	Lutramania Lutraphilia	كلاب الماء	Lutraphobia
٢١٢		طول الانتظار	Macrophobia
٢١٣	Mageirocomania Mageirocophilia	الطبخ	
٢١٤	Maieusiomania Maieusiophilia Parturimania Parturiphilia	إنجاب الأطفال	Maieusiophobia Parturiphobia
٢١٥	Malaxomania Malaxophilia	الأشياء الناعمة	Malaxophobia

م	هوس الشخص بـ	الترجمة	خوف الشخص من...
٢١٦	Mastigomania Mastigophilia Poinemania Poinephilia Rhabdomania Rhabdophilia	الجلد وإنزال العقاب	Mastigophobia Poinephobia Rhabdophobia
٢١٧	Mechanomania Mechanophilia	الآلات والميكنة	Mechanophobia
٢١٨	Megalomania Megalophilia	جنون العظمة والأشياء والمواقع الكبيرة	Megalophobia
٢١٩	Melanomania Melanophilia	اللون الأسود	Melanophobia
٢٢٠	Melomania Melophilia	الموسيقى	Melophobia
٢٢١		أمراض المخ	Meningitophobia
٢٢٢	Menophilia Menophilia	الحيض	Menophobia
٢٢٣		القيود والأغلال	Merinthophobia
٢٢٤	Metallomania Metallophilia	المعادن	Metallophobia
٢٢٥	Meteoromania Meteorophilia	النيازك	Meteorophobia
٢٢٦	Metromania Metrophilia	الشِعر	Metrophobia
٢٢٧	Micromania Microphilia	الأشياء الصغيرة	Microphobia
٢٢٨	Misomania Misophilia	كره أي شيء	

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٢٢٩	Mnemomania Mnemophilia	الذكريات	Mnemophobia
٢٣٠		التلوث	Molysmophobia
٢٣١	Motoromania Motorophilia	المحركات	Motorophobia
٢٣٢	Musculomania Musculophilia	العضلات	Musculophobia
٢٣٣	Musomania Musophilia	الفئران	Musophobia
٢٣٤	Myrmecomania Myrmecophilia	النمل	Myrmecophobia
٢٣٥	Mythomania Mythophilia	الأساطير والثرثرة	Mythophobia
٢٣٦	Necromania Necrophilia Thanatomania Thanatophilia	الموت	Necrophobia Thanatophobia
٢٣٧	Negromania Negrophilia	الأفارقة أو الأمـريكيين من أصول أفريقية	Negrophobia
٢٣٨	Neopharmamania Neopharmaphilia	الأدوية الجديدة	Neopharmaphobia
٢٣٩	Nephomania Nephophilia	السحب	Nephophobia
٢٤٠	Nyctomania Nyctophilia	الليل	Nyctophobia
٢٤١	Nomatomania Nomatophilia	الأسماء	Nomatophobia
٢٤٢	Nomomania Nomophilia	الهواتف الخلوية	Nomophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من…
٢٤٣	Nosocomemania Nosocomephilia	المستشفيات	Nosocomephobia
٢٤٤		المرض والاعتلال	Nosophobia Pathophobia
٢٤٥	Nostomania Nostophilia	العودة للديار	Nostophobia
٢٤٦	Novercamania Novercaphilia	زوجة الأب	Novercaphobia
٢٤٧	Nucleomitomania Nucleomitophilia	الأسلحة النووية	Nucleomitophobia
٢٤٨	Numeromania Numerophilia	الأرقام	Numerophobia
٢٤٩	Nyctohylomania Nyctohylophilia	الغابات ليلا	Nyctohylophobia
٢٥٠	Obesomania Obesophilia	البدانة	Obesophobia
٢٥١	Ochlomania Ochlophilia	الجماهير والغوغاء	Ochlophobia
٢٥٢	Ochomania Ochophilia	المركبات	Ochophobia
٢٥٣	Octomania Octophilia	الرقم (٨)	Octophobia
٢٥٤	Olfactomania Olfactophilia Osmomania Osphresiomania Osmophilia Osphresiophilia	الروائح	Olfactophobia Osmophobia Osphresiophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٢٥٥	Ombromania Ombrophilia Pluviomania Pluviophilia	الأمطار	Ombrophobia Pluviophobia
٢٥٦	Ommatomania Ommatophilia	العيون	Ommatophobia
٢٥٧	Oneirogmomania Oneirogmophilia	الاستحلام	Oneirogmophobia
٢٥٨	Oneiromania Oneirophilia Somnemania Somnephilia	الأحلام	Oneirophobia Somnephobia
٢٥٩	Onomatomania Onomatophilia	كلمة محددة	Onomatophobia
٢٦٠	Ophidiomania Ophidiophilia	الأفاعي	Ophidiophobia
٢٦١	Opiomania Opiophilia Pharmacomania Pharmacophilia	الأدوية	Opiophobia Pharmacophobia
٢٦٢	Ornithomania Ornithophilia	الطيور	Ornithophobia
٢٦٣	Orthomania Orthophilia	الملكية	Orthophobia
٢٦٤	Ostraconomania Ostraconophilia	الأسماك الصدفية والمحار والقواقع	Ostracophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٢٦٥	Ouranomania Ouranophilia Uranomania Uranophilia	السماء	Ouranophobia Uranophobia
٢٦٦	Panthomania Panthophilia	المعاناة	Panthophobia
٢٦٧	Papamania Papaphilia	البابا	Papaphobia
٢٦٨	Papyromania Papyrophilia	الورق	Papyrophobia
٢٦٩	Paralipomania Paralipophilia	العيون	Paralipophobia
٢٧٠		الجمعة إذا وافقت يوم ١٣ من الشهر	Paraskavedekatria- phobia
٢٧١	Parthenomania Parthenophilia	الفتيات الصغيرات	Parthenophobia
٢٧٢	Patroiomania Patroiophilia	وراثة	Patroiophobia
٢٧٣	Peccatomania Peccatophilia	الجرائم	Peccatophobia
٢٧٤		القمل	Pediculophobia Phtheirophobia
٢٧٥	Pedomania Pedophilia	الغلامـــة (معـــاشرة الغلمان أو الدمي)	Peladophobia
٢٧٦		الفقر	Peniaphobia
٢٧٧		الحماة	Pentherophobia Novercaphobia
٢٧٨		الصلع	Phalacrophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٢٧٩	Phallainomania Phallainophilia	الحيتان	Phallainophobia
٢٨٠	Phallomania Phallophilia	القضيب المنتصب	Phallophobia
٢٨١	Philematomania Philematophilia	التقبيل	Philematophobia
٢٨٢	Philomania Philophilia	الحب والعاطفة	Philophobia
٢٨٣	Philosomania Philosophilia	الفلسفة والتعلم	Philosophobia
٢٨٤	Phonomania Phonophilia	الأصوات	Phonophobia
٢٨٥	Photomania Photophilia	الضوء	Photophobia
٢٨٦	Phronemomania Phronemophilia	التفكير	Phronemophobia
٢٨٧		السل	Phthisiophobia Tuberculophobia
٢٨٨	Placomania Placophilia	شواهد القبور	Placophobia
٢٨٩	Pogomania Pogophilia	اللحى	Pogophobia
٢٩٠	Poliomania Poliophilia	اللون الرمادي	Poliophobia
٢٩١	Politicomania Politicophilia	السياسة والسياسيين	Politicophobia
٢٩٢	Pornographomania Pornographophilia	الخلاعة (البورنو)	Pornographophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من…
٢٩٣	Porphyromania Porphyrophilia	اللون الأرجواني	Porphyrophobia
٢٩٤	Potamomania Potamophilia	الأنهار أو المياه الجارية	Potamophobia
٢٩٥	Prosomania Prosophilia	التقدم	Prosophobia
٢٩٦		التأتأة والتلعثم	Psellismophobia
٢٩٧	Cheimatomania Cheimatophilia Frigomania Frigophilia Psychromania Psychrophilia	الأجواء الباردة	Cheimatophobia Frigophobia Psychrophobia
٢٩٨	Pteromania	الريش	Pterophobia
٢٩٩	Pupamania Pupaphilia	الأراجوز	Pupaphobia
٣٠٠	Pyromania Pyrophilia	النار	Pyrophobia
٣٠١		الإشعاع	Radiophobia
٣٠٢		التغوط	Rhypophobia
٣٠٣		التجاعيد	Rhytophobia
٣٠٤	Rupomania Rupophilia	الوسخ	Rupophobia
٣٠٥	Russomania Russophilia	الروس	Russophobia
٣٠٦	Satanomania Satanophilia	الشيطان	Satanophobia
٣٠٧		الجرب	Scabiophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٣٠٨	Scelerophilia	الشر والأشرار	Scelerophobia
٣٠٩	Sciomania Sciophilia	الظلال	Sciophobia
٣١٠	Scolionomania Scolionophilia	المدرسة	Scolionophobia
٣١١	Scopomania Scopophilia	أن يكــون محــط أنظــار الغير	Ophthalmophobia Scopophobia
٣١٢	Selachomania Selachophilia	أسماك القرش	Selachophobia
٣١٣	Selamania Selaphilia	الأضواء الكاشفة	Selaphobia
٣١٤	Selenomania Selenophilia	القمر	Selenophobia
٣١٥		التحلل والتعفن	Seplophobia
٣١٦	Sesquipedalomania Sesquipedalophilia	الكلمات الطويلة	Sesquipedalophobia
٣١٧	Siderodromomania Siderodromophilia	القطـــارات والــــسكك الحديدية	Siderodromophobia
٣١٨	Sideromania Siderophilia	الحديد	Siderophobia
٣١٩	Sinomania Sinophilia	الأشياء الصينية	Sinophobia
٣٢٠	Sophomania Sophophilia	الحكمة	Sophophobia
٣٢١	Spermatomania Spermatophilia Verminomania Verminophilia	الجراثيم	Spermatophobia Verminophobia

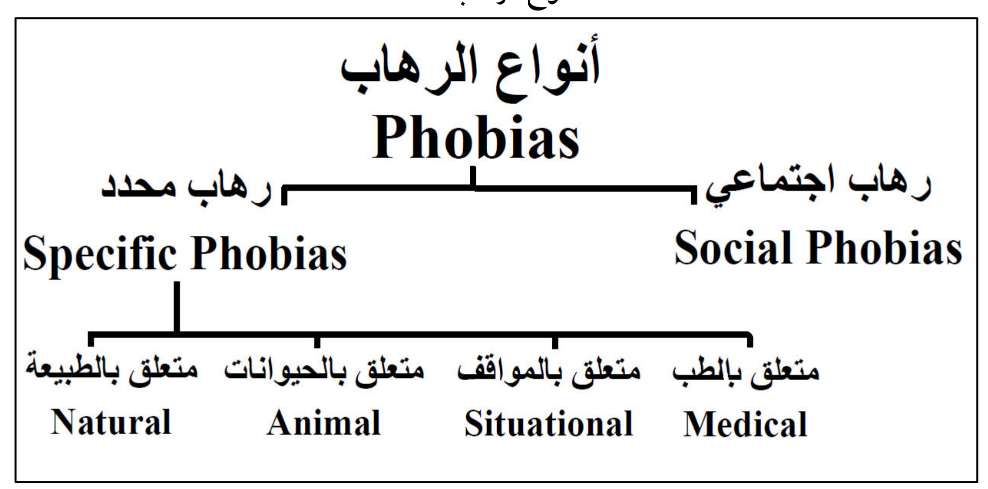
م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من…
٣٢٢	Sphekomania Sphekophilia	زنابير	Sphekophobia
٣٢٣	Stauromania Staurophilia	الصلبان	Staurophobia
٣٢٤	Stenomania Stenophilia	الأماكن الضيقة	Stenophobia
٣٢٥	Symbolomania Symbolophilia	الرموز	Symbolophobia
٣٢٦	Symmetromania symmetrophilia	التماثل والتناظر	symmetrophobia
٣٢٧	Syngeneamania Syngeneaphilia	الأقارب	Syngeneaphobia
٣٢٨	Tachomania Tachophilia	السرعة	Tachophobia
٣٢٩	Taphemania Taphephilia	الدفن حيا	Taphephobia
٣٣٠	Tapinomania Tapinophilia Trypanomania Trypanophilia trypanophobia	حمل العدوى للآخرين	Tapinophobia Trypanophobia
٣٣١	Tauromania Taurophilia	الثيران	Taurophobia
٣٣٢	Technomania Technophilia	التكنولوجيا	Technophobia
٣٣٣	Teleomania Teleophilia	الخطط المحددة	Teleophobia
٣٣٤	Telephonomania Telephonophilia	الهواتف	Telephonophobia

م	هوس الشخص بـــ	الترجمة	خوف الشخص من...
٣٣٥	Teratomania Teratophilia	الوحوش	Teratophobia
٣٣٦		الامتحانات	Testophobia
٣٣٧	Textomania Textophilia	بنوع معين من الأقمشة	Textophobia
٣٣٨	Thalassomania Thalassophilia	البحار والمحيطات	Thalassophobia
٣٣٩	Theatromania Theatrophilia	المسرح	Theatrophobia
٣٤٠	Theologomania Theologophilia	الدراسات الدينية	Theologophobia
٣٤١	Theomania Theophilia	الإله	Theophobia
٣٤٢	Thermomania Thermophilia	الحرارة	Thermophobia
٣٤٣	Tocomania Tocophilia	الحمل (المرأة)	Tocophobia
٣٤٤	Tomomania Tomophilia	العمليات الجراحية	Tomophobia
٣٤٥	Traumatomania Traumatophilia	الجروح والإصابات	Traumatophobia
٣٤٦	Tremomania Tremophilia	الارتعاش والارتجاف	Tremophobia
٣٤٧	Trichotillomania		
٣٤٨		الرقم (١٣)	Triskaidekaphobia
٣٤٩		العمى	Typhlophobia
٣٥٠	Tyrannomania Tyrannophilia	الطغاة	Tyrannophobia

م	هوس الشخص بـ	الترجمة	خوف الشخص من...
٣٥١	Uromania Urophilia	التبول	Urophobia
٣٥٢	Vaccinomania Vaccinophilia	الحقن والتطعيم	Vaccinophobia
٣٥٣	Vestimania Vestiphilia	الملابس والأزياء	Vestiphobia
٣٥٤		الحمو (والد الزوجة)	Vitricophobia
٣٥٥	Xanthomania Xanthophilia	اللون الأصفر	Xanthophobia
٣٥٦	Xenoglossomania Xenoglossophilia	اللغات الأجنبية	Xenoglossophobia
٣٥٧	Xenomania Xenophilia	الغرباء والأجانب	Xenophobia
٣٥٨	Xeromania Xerophilia	الجو الجاف	Xerophobia
٣٥٩	Xeroxomania Xeroxophilia	تصوير المستندات	Xeroxophobia
٣٦٠	Xyromania Xyrophilia	شفرات الحلاقة	Xyrophobia
٣٦١	Zelomania Zelophilia	الغيرة	Zelophobia
٣٦٢	Zoomania Zoophilia	الحيوانات	Zoophobia

شكل رقم (١٣)

أنواع الرهاب[١]



قائمة ببعض المشاهير المصابين برهاب محدد أو العمل الفني الذي تناوله[٢]

م	Acrophobia الخوف من المرتفعات	Gustave Eiffel جستاف إيفيل	مصمم برج إيفيل
١	Agoraphobia الخوف من الأماكن المفتوحة	Marilyn Monroe مارلين مونرو	ممثلة أمريكية
٢	Ailurophobia الخوف من القطط	Julius Caesar and Benito Mussolini يوليوس قيصر وبينتو موسوليني	قيصر روما / حاكم إيطاليا

(١) في كتابه "الفوبيا" قسم "آرثر بيل" الرهاب المحدد إلى: مقترن بالأنشطة والخبرات، مقترن بالحيوانات والنباتات، مقترن بالظروف والانفعالات والأحاسيس، مقترن بالأشياء والألوان والمواد، مقترن بالظواهر الطبيعية أو البيئية، مقترن بالناس أو المهم ومقترن بأجزاء الجسم ووظائفه (ترجمة: عبد الحكم الخزامي، الدار الأكاديمية للعلوم، القاهرة، ٢٠١١).

(2) Gray Greenberg, The Pop- Up Book of Phobias, Rob Weisbach Books, New York, 1999.

م	**Acrophobia** **الخوف من المرتفعات**	**Gustave Eiffel** **جستاف إيفيل**	**مصمم برج إيفيل**
٣	Anthophobia الخوف من الورود	Queen Elizabeth I الملكة إليزابيث الأولى	ملكة إنجلترا
٤	Aquaphobia الخوف من المياه والغرق	Natalie Wood نتالي وود	ممثلة امريكية
٥	Arachnophobia الخوف من العناكب	Ron Weasley رون ويسلي	رواية "هاري بوتر"
٦	Arithmophobia الخوف من الأرقام	The Number 23	فيلم سينمائي، ٢٠٠٧
٧	Ataxophobia الخوف من عدم النظام والترتيب	David Beckham ديفيد بيكهام	لاعب كرة قدم إنجليزي
٨	Aviophobia الخوف من الطيران	Tony Curtis توني كيرتس	ممثل سينمائي
٩	Bibliophobia الخوف من الكتب	In the Mouth of Madness	فيلم سينمائي، ١٩٩٥
١٠	Botanophobia الخوف من النباتات	The Ruins	فيلم سينمائي، ٢٠٠٨
١١	Brontophobia الخوف من الرعد	Madonna مادونا	مغنية أمريكية
١٢	Cacophobia الخوف من القبح	Eyes Without a Face	فيلم سينمائي، ١٩٦٠
١٣	Catoptrophobia الخوف من المرايا	Oculus	فيلم سينمائي، ٣٠١٣
١٤	Chiclephobia الخوف من مضغ العلكة	Oprah Winfrey أوبرا ونفري	مذيعة أمريكية
١٥	Claustrophobia الخوف من المصاعد	Jennifer Aniston جينيفر أنيستون	ممثلة سينمائية
١٦	Coulrophobia الخوف من المهرجين والبهلوانات	IT	فيلم سينمائي، ١٩٩٠

م	Acrophobia الخوف من المرتفعات	Gustave Eiffel جستاف إيفيل	مصمم برج إيفيل
١٧	Cyberphobia الخوف من الكومبيوترات	Eagle Eye	فيلم سينمائي، ٢٠٠٨
١٨	Cynophobia الخوف من الكلاب	The Pack	فيلم سينمائي، ١٩٧٧
١٩	Dendrophobia الخوف من الأشجار	The Evil Dead	فيلم سينمائي، ١٩٨١
٢٠	Dentophobe الخوف من أطباء الأسنان	Robert de Niro روبرت دينيرو	ممثل سينمائي
٢١	Dikigorosophobia الخوف من المحامين	The Scarlet Letter الحرف القرمزي	رواية لناثانيال هاوثورن Nathaniel Hawthorn
٢٢	Entomophobia الخوف من الحشرات	Black Swarm	فيلم سينمائي، ٢٠٠٧
٢٣	Gamophobia الخوف من الزواج	Night of the Hunter	فيلم سينمائي، ١٩٥٥
٢٤	Gerascophobia الخوف من الكبر في السن	Peter Pan بيتر بان	والت ديزني
٢٥	Gerascophobia الخوف من الشيخوخة	The Portrait of Dorian Gray صورة دوريان جري	رواية لأوسكار وايلد
٢٦	Hemophobia الخوف من الدم	Brain dead / Dead Alive	فيلم سينمائي، ١٩٩٢
٢٧	Herpetophobia الخوف من الزواحف وخاصة التماسيح	Captain Hook كابتن هوك	والت ديزني
٢٨	Lepidopterophobia الخوف من الفراشات	Nicole Kidman نيكول كيدمان	ممثلة سينمائية
٢٩	Metathesiophobia الخوف من التغييرات	Miss Havisham الآنسة هافيشام	رواية "آمال عراض" "لديكنز"

مصمم برج إيفيل	**Gustave Eiffel** **جستاف إيفيل**	**Acrophobia** **الخوف من المرتفعات**	م
مغني أمريكي	Michael Jackson مايكل جاكسون	Mysophobia الخوف من الإتساخ	٣٠
رئيس أمريكي	Richard Nixon ريتشارد نيكسون	Nosocomephobia الخوف من المستشفيات	٣١
فيلم سينمائي، ٢٠٠٥	The Descent	Nyctophobia الخوف من الظلام	٣٢
فيلم سينمائي، ١٩٧٦	Rattlers	Ophidiophobia الخوف من الثعابين	٣٣
مخرج سينمائي	Alfred Hitchcock ألفريد هتشوك	Ovophobia الخوف من البيض	٣٤
ممثلة سينمائية	Megan Fox ميجان فوكس	Papyrophobia الخوف من الورق	٣٥
فيلم سينمائي، ١٩٦٠	Village of the Damned	Pedophobia الخوف من الأطفال	٣٦
ممثل سينمائي	Tom Cruise	Phalacrophobia الخوف من الصلع	٣٧
دونكيشوت	Don Quixote	Pragmatophobia الخوف من الواقع	٣٨
فيلم سينمائي، ١٩٨٤	Firestarter	Pyrophobia الخوف من النار	٣٩
شخصية "كوميكس" وتليفزيونية	Hulk الرجل الأخضر	Sesquipedalophobia الخوف من الكلمات الطويلة	٤٠
عالم نفس	Sigmund Freud سيجموند فرويد	Siderodromophobia الخوف من السفر بالقطار	٤١
فيلم سينمائي، ١٩٨٤	A Nightmare on Elm Street	Somniphobia الخوف من النوم	٤٢
أول رئيس أمريكي	George Washington جورج واشنطن	Taphephobia الخوف من الدفن حيا	٤٣

م	Acrophobia الخوف من المرتفعات	Gustave Eiffel جستاف إيفيل	مصمم برج إيفيل
٤٤	Thanatophobia الخوف من الموت	John Keats	شاعر إنجليزي صاحب قصيدة When I have fears " that I may cease to "be
٤٥	Trypanophobia الخوف من الإبر والحقن	Antiviral	فيلم سينمائي، ٢٠١٢
٤٦	Venustraphobia الخوف من النساء الجميلات	Audition	فيلم سينمائي، ١٩٩٩
٤٧	Verminophobia الخوف من الجراثيم	Donald Trump دونالد ترامب	مرشح جهوري للرئاسة الأمريكية، ٢٠١٦
٤٨	Xenophobia الخوف من الغرباء والأجانب	Barbra Streisand باربرا سترايساند	ممثلة سينمائية

قائمة بالعقد والمتلازمات ذات الحواضن العربية كما وردت في الصحافة العربية

م	العقدة / المتلازمة	يمكن اقتفائها عند / في
١	عقدة الرئاسة	لبنان
٢	متلازمة جرائم الشرف	الأردن
٣	متلازمة الأخذ بالثأر	جنوب مصر
٤	عقدة الأصل الأردني والفلسطيني	الأردنيين
٥	عقدة البدون	الكويت
٦	عقدة الكفيل	المصريين في الخليج
٧	عقدة بيع أرض فلسطين	الفلسطينيين
٨	عقدة حماس وفتح	الفلسطينيين
٩	عقدة التهويد	عرب الداخل (٤٨)
١٠	عقدة اللون الأبيض	السودانيين
١١	عقدة تخريب الدرعية على يد إبراهيم باشا	السعوديين
١٢	عقدة التكية المصرية	السعوديين
١٣	عقدة الدال (لقب دكتور)	السعوديين
١٤	عقدة النقص	الصوماليين
١٥	عقدة الجزر الإماراتية	الإمارت
١٦	عقدة إيران	حكومة البحرين
١٧	عقدة صدام	الكويت
١٨	عقدة شراء الأصول الأجنبية	قطر
١٩	عقدة الإمامية	اليمن
٢٠	عقدة التقوقع	عمان
٢١	عقدة أفعل للتفضيل (أكبر – أطول ... ألخ)	الخليجيين
٢٢	نظرية المؤامرة	العرب
٢٣	عقدة البوليساريو	المغرب
٢٤	عقدة الخواجه	العرب

يمكن اقتفائها عند / في	العقدة / المتلازمة	م
المصريين	عقدة الفهلوة	٢٥
العرب	عقدة تضخيم الذات	٢٦
المصريين	عقدة الماضي التليد	٢٧
جنوب تونس	عقدة التهميش	٢٨
الجزائر	عقدة العشرية السوداء	٢٩
أقباط مصر	عقدة الاضطهاد	٣٠
المغرب العربي	عقدة الأمازيغ	٣١
العراق	عقد الأهواز	٣٢
الليبيين	عقدة برقة وطرابلس الغرب	٣٣
السودانيين	عقدة الاستعباد المصري	٣٤
مصر	عقدة الإخوان	٣٥

ثبت الروايات الخاضعة للدراسة مرتبة أبجديا[(١)]

١.	١٩١٩، أحمد مراد، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٢.	٢٠٧٦، عبد الحميد بشارة، يسطرون للنشر والتوزيع، الجيزة، ٢٠١٤.	مصري
٣.	٣١، أشرف أبو اليزيد، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٤.	٣١٣، عمرو الجندي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٥.	٦ إنش، أحمد حين أبو الرجال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٦.	DNA، نوران سلام، دار دون، القاهرة، ٢٠١٥.	مصرية
٧.	أبابيل، شريف عبد الهادي، دار الربيع العربي، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٨.	إبراهيم الثاني، إبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٩.	إبراهيم الكاتب، إبراهيم عبد القادر المازني، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
١٠.	إبرة الرعب، هيثم حسين، ضفاف – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠١٣.	سوري
١١.	أبعد من ذاكرة المدينة، مفيد نحلة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠.	فلسطيني
١٢.	ابن الشمس، رانيا مأمون، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٣.	سودانية
١٣.	ابن النيل، جاذبية صدقي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢.	مصرية
١٤.	ابن طراق، محمد السماري وبدر السماري، الدار العربية للعلوم ناشرون – أثر للنشر والتوزيع، بيروت – الدمام، ٢٠١١.	سعوديان
١٥.	أبناء الجبلاوي، إبراهيم فرغلي، دار العين، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
١٦.	أبناء ودماء، لمياء ماجد، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.	سعودية
١٧.	ابنة سوسلوف، حبيب عبد الرب سروري، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.	يمني
١٨.	أبو رجل مسلوخة، محمد مستجاب، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
١٩.	أبو شلاخ البرمائي، غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.	سعودي
٢٠.	أبواب الفردوس، ناطق خلوصي، منشورات ميزوبوتاميا، بغداد، ٢٠١٣.	عراقي

(١) تجنبنا عمل إحصاء بالأعمال الروائية الواردة بالدراسة طبقا للبلدان أو النوع (الجنس) لأن العينـة – وإن كانت مُمثلة – فقد خضعت في النهاية لاختيار الباحث وفقا لحيثيات الدراسة.

٢١.	أبواب المدينة، إلياس خوري، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.	لبناني
٢٢.	أبواب مغلقة، سلوى جراح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥.	عراقية
٢٣.	الأبيض والأسود، جميلة عمايرة، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٧.	أردنية
٢٤.	أتما، بسمة الخولي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
٢٥.	أجازة تفرغ، بدر الديب، الكرمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٢٦.	أجراس الخوف، هشام مشبال، دار الأمان – منشورات ضفاف – منشورات الاختلاف، الرباط – بيروت – الجزائر، ٢٠١٤.	مغربي
٢٧.	الأجمة، حسن أوريد، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٤.	مغربي
٢٨.	أجملهن، عبد السلام العجيلي، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠١.	سوري
٢٩.	أجنحة الفراشة، محمد سلماوي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٣٠.	الأجنحة المتكسرة، جبران خليل جبران، عين مليلة (الجزائر)، ٢٠٠٧.	لبناني
٣١.	أجندة سيد الأهل، أحمد صبري أبو الفتوح، دار العين، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٣٢.	أحببت يهودية، وليد أسامة خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٤.	سعودي
٣٣.	أحببتك أكثر مما ينبغي، أثير النشمي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.	سعودية
٣٤.	احتراق الضباب، باسم عبدو، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.	سوري
٣٥.	احترس من الدولار، محمد نور الدين، الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٨.	مصري
٣٦.	أحداث مدينة على الشاطئ، محمد حسن الحربي، الفارابي، بيروت، ١٩٨٦.	إماراتي
٣٧.	أحدهم تسلل إلى ديمونة، محمد جربوعة، شبكة روايتي الثقافية، ٢٠١٠. http://www.rewity.com	جزائري
٣٨.	أحدهم يتغزل بزوجتي، إبراهيم محمود، دار الينابيع، استوكهولم – دمشق، ٢٠٠٨.	سوري
٣٩.	أحزان السندباد، طالب عمران، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.	سوري
٤٠.	أحزان نوح، شوقي عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.	مصري
٤١.	أحضان المنافي، أحمد عبد الملك، دار بلال، بيروت، ٢٠٠٥.	قطري

٤٢.	أحلام إيفان المأساوية، ماجد علاء الدين، دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢.	سوري
٤٣.	أحلام محرمة، محمود حامد، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٣.	مصري
٤٤.	أحلام، محمد نصار، دار البشير للطباعة والنشر، غزة، ١٩٩٩.	فلسطيني
٤٥.	أحياء في البحر الميت، مؤنس الرزاز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢.	أردني
٤٦.	أخاديد الأسوار، الزهرة رميج، المركز الثقافي العربي – الدار العربية للعلوم ناشرون، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٧.	مغربية
٤٧.	اختفاء، هشام مطر، ترجمة: محمد عبد النبي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٢.	ليبي
٤٨.	اختلاس، هاني النقشبندي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٧.	سعودي
٤٩.	آخر المحظيات، سعاد سليمان، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢.	مصرية
٥٠.	آخر الملائكة، فاضل العزاوي، رياض الريس، بيروت، ١٩٩٢.	عراقي
٥١.	آخر سلالة عائلة البحار، أحمد قرني محمد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٥.	مصري
٥٢.	آخر يهود الإسكندرية، معتز فتيحة، دار أكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٥٣.	الآخرون، صبا الحرز، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.	سعودية
٥٤.	أدراج الطين، إسماعيل الرفاعي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٦.	سوري
٥٥.	الإراثة، رشيد بوجدرة، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، ٢٠٠٣.	جزائري
٥٦.	الأرانب، سلوى بكر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤.	مصرية
٥٧.	أربعمائة متر فوق مستوى الوعي، محمد بن جبار، تيزي وزو (الجزائر)، ٢٠١٥.	جزائري
٥٨.	ارتباك الحواس، حافظ محفوظ، دار سحر للنشر، تونس، ١٩٩٦.	تونسي
٥٩.	أرتيست، هاديا سعيد، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.	لبنانية
٦٠.	أرحام سماوية، محمد عزب، دار العين، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٦١.	الأرض الحائرة، أحمد حافظ، إي كتب، لندن، ٢٠١٦.	مصري
٦٢.	الأرض الحرام، محمود شاهين، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣.	فلسطيني
٦٣.	أرض السواد، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.	سعودي
٦٤.	أرض الكلام، ممدوح عزام، المدى، دمشق، ٢٠٠٤.	سوري

٦٥.	أرض الله، نجيب العقيقي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٧٧.	لبناني
٦٦.	أرض النفاق، يوسف السباعي، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٤٩.	مصري
٦٧.	أرض رشيدة، عمر أحمد سليمان، دار ليليت، الإسكندرية، ٢٠١٤.	مصري
٦٨.	أرض زيكولا، عمرو عبد الحميد، صرح للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
٦٩.	الأرض لا تحابي أحدا، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.	سعودي
٧٠.	الأرض، عبد الرحمن الشرقاوي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٧١.	الإرهابي، عبد الله ثابت، دار الساقي، بيروت، ٢٠١١.	سعودي
٧٢.	الأرواح المتمردة، جبران خليل جبران، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.	لبناني
٧٣.	أرواح ظامئة للحب، صبيحة شبر، دار ضفاف، الشارقة، ٢٠١٥.	عراقية
٧٤.	أريانة، الميلودي شغموم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.	مغربي
٧٥.	أريد رجلا، نور عبد المجيد، دار الساقي، بيروت، ٢٠١١.	سعودية
٧٦.	أزميرالدا، محمد عزام، دار ليليت للنشر، الإسكندرية، ٢٠١٦.	مصري
٧٧.	أساتذة الوهم، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١.	عراقي
٧٨.	اسبرانزا، نضال كرم، دار ليليت للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٥.	سوري
٧٩.	الأسبوع الأخير، هالة كوثراني، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.	لبنانية
٨٠.	استخدام الحياة، أحمد ناجي، منشورات مرسوم مصر، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٨١.	استديو بيروت، هالة كوثراني، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٨.	لبنانية
٨٢.	استقالة ملك الموت، صفاء النجار، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٥.	مصرية
٨٣.	الاستئصال، الطاهر بن جلون، دار جاليمار للنشر، باريس، ٢٠١٤.	مغربي
٨٤.	أسرار صغيرة، ريتا خوري، دار بلومزبري، الدوحة، ٢٠١٢.	لبنانية
٨٥.	أسرار، نور الدين فارح، ترجمة: خالد الجبيلي، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٧.	صومالي
٨٦.	الأسرى يقيمون المتاريس، فؤاد حجازي، مطبعة طرمان، المنصورة، ١٩٧٦.	مصري
٨٧.	أسطورة ليلة الميلاد، توفيق المبيض، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٧.	فلسطيني
٨٨.	إسكندرية ٦٧، مصطفى نصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.	مصري
٨٩.	الأسلاف، فاضل العزاوي، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠١.	عراقي
٩٠.	إسماعيل النقيب، الحب في الزمن الخطأ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.	مصري
٩١.	اسمه الغرام، علوية صبح، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٩.	لبنانية
٩٢.	اسمي حنفي، زينب عفيفي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٠.	مصرية

٩٣.	الأسوار، محمد البساطي، دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٩٤.	أسود دانتيل، حرية سليمان، نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
٩٥.	الأسود يليق بك، أحلام مستغانمي، نوفل (هاشيت أنطوان)، بيروت، ٢٠١٢.	جزائرية
٩٦.	الأسياد، حسن كمال، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٩٧.	اشتهاء، أمير تاج السر، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.	سوداني
٩٨.	أشجار قليلة عند المنحنى، نعمات البحيري، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصرية
٩٩.	الأشجار واغتيال مرزوق، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣.	سعودي
١٠٠.	أشرعة ممزقة، سوزان مصطفى، حوران للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢.	سورية
١٠١.	أشياء عادية في الميدان، السيد نجم، روايات الهلال، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٠٢.	الأشياء ليست في أماكنها، هدى الجهوري، كتاب نزوى، عُمان، ٢٠١٠.	عمانية
١٠٣.	أصابع لوليتا، واسيني الأعرج، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.	جزائري
١٠٤.	أصابعنا التي تحترق، سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨.	لبناني
١٠٥.	أصل الهوى، حُزامة حبايب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.	أردنية
١٠٦.	أصوات الصمت، محمد الأسعد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.	فلسطيني
١٠٧.	أصوات، سليمان فياض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.	مصري
١٠٨.	أطراس الكلام، عبد القادر الركابي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.	عراقي
١٠٩.	أطفال السبيل، طاهر الزهراني، رياض الريس، بيروت، ٢٠١٣.	سعودي
١١٠.	الأطلسي التائه، مصطفى لغتيري، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.	مغربي
١١١.	أطول عام، زهدي الداووي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.	عراقي
١١٢.	أعالي الخوف، هزاع البراري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.	أردني
١١٣.	اعتراف رجل مهم، مراد داؤد، دار الغدير، سلمية (سورية)، ٢٠٠٨.	سوري
١١٤.	اعترافات أسكرام، عز الدين ميهوبي، منشورات البيت، الجزائر، ٢٠٠٩.	جزائري
١١٥.	اعترافات سيد القرية، محمد جبريل، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٤.	مصري
١١٦.	إعجام، سنان أنطون، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٣.	عراقي

١١٧.	أعراس آمنة، إبراهيم نصر الله، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.	أردني
١١٨.	اعشقني، سناء الشعلان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.	أردنية
١١٩.	أغانيات، سامي معروف، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.	لبناني
١٢٠.	أغرار، ناصر الظفيري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.	كويتي
١٢١.	اغمات، يوسف فاضل، نشر الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٠.	مغربي
١٢٢.	أغنيات الطريق إلى حلبجة، عبد الكريم يحيي الزيباري، إصدارات مديرية الطباعة والنشر، دهوك، ٢٠١٤.	عراقي
١٢٣.	أغنية النار، بثينة خضر مكي، دار سدرة، الخرطوم، ١٩٩٨.	سودانية
١٢٤.	الإغواء الأخير، عفاف البطاينة، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.	أردنية
١٢٥.	إغواء امرأة، هدى عواجي، فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، ٢٠٠٨.	بحرانية
١٢٦.	أفراح صغيرة.. أفراح أخيرة، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠٠٨.	سورية
١٢٧.	اقتلوا يوسف، محمد هجرس، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
١٢٨.	أقفال العشق، محمد عزب، دار ليليت، الإسكندرية، ٢٠١٤.	مصري
١٢٩.	أكابيللا، مي التلمساني، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠١٢.	مصرية
١٣٠.	اكتشاف الشهوة، فضيلة الفاروق، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٥.	جزائرية
١٣١.	إلا فاطمة، أنيس منصور، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤.	مصري
١٣٢.	ألبوم الخسارة، عباس بيضون، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.	لبناني
١٣٣.	الألفين وستة، نائل الطوخي، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
١٣٤.	ألم خفيف كريشة طائر تنتقل بهدوء من مكان لآخر، علاء خالد، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
١٣٥.	الألم، العربي باطما، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٤.	مغربي
١٣٦.	ألواح ودسر، أحمد خيري العمري، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩.	عراقي
١٣٧.	ألوان العار، ألبير قصيري، ترجمة: منار رشدي أنور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
١٣٨.	أم النذور، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ٢٠٠٥.	سعودي
١٣٩.	إمام آخر الزمان، محمد جبريل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٨.	مصري

١٤٠.	امرأة الرسالة، رجاء بكرية، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٧.	فلسطينية
١٤١.	امرأة تضحك في غير أوانها، نبهان الحنش، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٤.	عماني
١٤٢.	امرأة خارج الحصار، رجاء أبو غزالة، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٩٥.	أردنية
١٤٣.	امرأة سيئة، شهد الغلاوين، دار الفكر العربي للتوزيع والنشر، الدمام، ٢٠١٢.	سعودية
١٤٤.	امرأة على أرجوحة الزمنن، سوزان الراسخ، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧.	فلسطينية
١٤٥.	امرأة في المنام، محمود أبو عيشة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٤٦.	امرأة ليس إلا، باهية الطرابلسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ترجمة: الزهراء رميح، ٢٠٠٥.	مغربية
١٤٧.	امرأة ما، هالة البدري، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠١.	مصرية
١٤٨.	امرأة من طابقين، هيفاء بيطار، مكتبة بالميرا، اللاذقية، ١٩٩٩.	سورية
١٤٩.	امرأة من هذا العصر، هيفاء بيطار، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٤.	سورية
١٥٠.	أمريكا، ربيع جابر، المركز الثقافي العربي ودار الآداب، الدار البيضاء - بيروت، ٢٠٠٩.	لبناني
١٥١.	أمس انتهينا، محمد عزب، دار مير، الإسكندرية، ٢٠١٣.	مصري
١٥٢.	أمل، دينا نسريني، نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	سورية
١٥٣.	آمنة، زكية عبد القادر، منشورات قلم، تونس، ١٩٨٣.	تونسية
١٥٤.	أموات بغداد، جمال حسين علي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨.	عراقي
١٥٥.	الأمير الحافي، طيب بن بوبكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠.	تونسي
١٥٦.	أن تحبك جيهان، مكاوي سعيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
١٥٧.	أن تكون عباس العبد، أحمد العايدي، ميريت، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصري
١٥٨.	أنا أحيا، ليلى بعلبكي، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.	لبنانية
١٥٩.	أنا حرة، إحسان عبد القدوس، دار القلم، القاهرة، ١٩٨١.	مصري
١٦٠.	أنا سنية وأنت شيعي، سارة مطر، دار مدارك، بيروت، ٢٠١٣.	سعودية
١٦١.	أنا هي أنت، إلهام منصور، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٠.	لبنانية
١٦٢.	أنا وهي والأخريات، جني فواز الحسن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.	لبنانية
١٦٣.	أنبئوني بالرؤيا، عبد الفتاح كيليطو، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار الآداب، بيروت، ٢٠١١.	مغربي

١٦٤.	انتصاب أسود، أيمن الدبوسي، منشورات الجمل، بغداد – بيروت، ٢٠١٦.	تونسي
١٦٥.	أنثى العنكبوت ،قماشة العليان، دار الكفاح، الدمام، ٢٠٠٦.	سعودية
١٦٦.	أنثى المدن، حسين رحيم، مديرية تربية نينوى – الشئون الثقافية، الموصل، ٢٠٠٩.	عراقي
١٦٧.	أنثى لرجل واحد، لطيفة الزهير، دار مدارك للنشر، دبي، ٢٠١٥.	سعودية
١٦٨.	أنثى مفخخة، أميرة المضحي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠.	سعودية
١٦٩.	انحراف حاد، أشرف الخمايسي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
١٧٠.	الانحناء على جثة عمّان، أحمد الزعتري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٤.	أردني
١٧١.	الإنسان الباهت، طيبة الإبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.	كويتية
١٧٢.	أنف وثلاث عيون، إحسان عبد القدوس، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٤.	مصري
١٧٣.	أنفي يطلق الفراشات، محمد نعيم الحمراني، دار ألواح، مدريد، ١٩٩٩.	عراقي
١٧٤.	انكسار الروح، محمد المنسي قنديل، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٧٥.	إني أحدثك لترى، منى برنس، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصرية
١٧٦.	إني راحلة، إحسان عبد القدوس، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٧.	مصري
١٧٧.	إني وضعتها أنثى، سعيدة تاقي، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٥.	مغربية
١٧٨.	أنين القصب، حسن حميد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٣.	فلسطيني
١٧٩.	أهداب، ياسين رفاعية، دار الساقي ، بيروت، ٢٠٠٨.	سوري
١٨٠.	أهواك، أشرف الخمايسي، دار الربيع العربي، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
١٨١.	الأوبة، وردة عبد الملك، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.	سعودية
١٨٢.	أوتيل تركي، رفيق جلول، دار ورد، عمان، ٢٠١٦.	جزائري
١٨٣.	أوراق العائلة، محمد البساطي، روايات الهلال، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصري
١٨٤.	أوراقي.. حياتي، نوال السعداوي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٥.	مصرية
١٨٥.	أوركيد، حوراء الحداد، دار مسعى للنشر والتوزيع، المنامة، ٢٠١٤.	بحرينية
١٨٦.	أوزيراك، محمد نجيب مطر، دار غريب، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
١٨٧.	أوطان بلون الفراولة، محمد سامي البوهي، دار العين، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
١٨٨.	أول النهار، سعد القرش، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٥.	مصري
١٨٩.	أول حب آخر حب، ماري رشو، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٢.	سورية
١٩٠.	أولاد اليهودية، تحسين كرمياني، دار تموز – دار رند، دمشق، ٢٠١١.	عراقي

١٩١.	أولاد حارتنا، نجيب محفوظ، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
١٩٢.	أيام الإنسان السبعة، عبد الحكيم قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.	مصري
١٩٣.	الأيام التالية، نصر شمالي، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٨٤.	سوري
١٩٤.	الأيام الحافية، نصر بلحاج الطيب، بدون دار نشر أو ذكر مطبعة (على النفقة المؤلف الخاصة)، تونس، ٢٠٠٢.	تونسي
١٩٥.	أيام القبوطي، سهام بيومي، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٤.	مصرية
١٩٦.	أيام في الأعظمية، فريد محمد معوض، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩.	مصري
١٩٧.	أيام في بابا عمرو، عبد الله مكسور، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.	سوري
١٩٨.	أيام مجاور، سليمان فياض، روايات الهلال، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
١٩٩.	أيام من عدس، بهوش ياسين، المركز الثقافي العربي (بالتعاون مع دار التنوير)، الدار البيضاء، ١٩٨٣.	مغربي
٢٠٠.	أيام وردية، علاء الديب، روايات الهلال، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصري
٢٠١.	أيام يوسف الأخيرة، عبد القادر عقيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩.	بحريني
٢٠٢.	الأيام، طه حسين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢.	مصري
٢٠٣.	إيبولا ٧٦، أمير تاج السر، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.	سوداني
٢٠٤.	إيثاكا، رؤوف مسعد، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٢٠٥.	الأيدي الناعمة، توفيق الحكيم، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٨.	مصري
٢٠٦.	إيطاليا أو الغرق، السعيد أحمد نجم، دار الإسلام للطباعة والنشر، المنصورة، ٢٠٠٥.	مصري
٢٠٧.	إيقاع ، وجدي الكومي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٢٠٨.	أيقونة بلا وجه، هيفاء بيطار، دار نلسن، السويد، ٢٠٠٠.	سورية
٢٠٩.	أيوب، هشام توفيق الركابي، مطبعة دار الشئون الثقافية العامة، بغداد،٢٠٠٠.	عراقي
٢١٠.	باب الحجازي، إسلام البنا، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٢١١.	باب الساحة، سحر خليفة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.	فلسطينية
٢١٢.	باب السوق، محمد أعويدات، دار التوحيدي، الرباط، ٢٠١٢.	مغربي
٢١٣.	باب الليل، وحيد طويلة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٣.	مصري
٢١٤.	الباب المفتوح، لطيفة الزيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصرية

٢١٥.	باب مثل بيت.. مثل بيروت، إيمان حميدان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.	لبنانية
٢١٦.	بابا سارتر، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.	عراقي
٢١٧.	بان الصبح، عبد الحميد هدوقة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٠.	جزائري
٢١٨.	بائع الفستق، سمير عطا الله، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٩.	لبناني
٢١٩.	البحث عن النسيان، سعد حامد، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٣.	مصري
٢٢٠.	البحث عن الوجه الآخر، عرعار محمد العالي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠،	جزائري
٢٢١.	البحث عن بندقية، عبد الستار خليف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.	مصري
٢٢٢.	البحث عن وليد مسعود، جبرا إبراهيم جبرا، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٩.	فلسطيني
٢٢٣.	بحجم حبة عنب، منى الشيمي، دار الحضارة للنشر، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
٢٢٤.	بحر الروم، أيمن الزهري، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، ٢٠٠٨.	مصري
٢٢٥.	البحر ينشر ألواحه، محمد صالح الجابري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٠.	تونسي
٢٢٦.	البحريات، أميمة الخميس، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٦.	سعودية
٢٢٧.	بحيرة الملح، نبيه إسكندر الحسن، دار إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠.	سوري
٢٢٨.	بخور عدني، علي المقري، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.	يمني
٢٢٩.	البدايات والنهايات، فتحي سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٢٣٠.	بداية ونهاية، نجيب محفوظ، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٤.	مصري
٢٣١.	بدر زمانه، مبارك ربيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣.	مغربي
٢٣٢.	بذور الغواية، فؤاد قنديل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصري
٢٣٣.	براري الحمى، إبراهيم نصر الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٢.	أردني
٢٣٤.	برتقال مر، بسمة الخطيب، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.	لبنانية
٢٣٥.	برج العذراء، إبراهيم عبد المجيد، دار الربيع العربي – دار الياسمين، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٢٣٦.	برج اللقلق، ديمة السمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥.	فلسطينية
٢٣٧.	برهان العسل، سلوى النعيمي، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٧.	سورية

٢٣٨.	بروطابوراس، بنسالم حميش، إبداعات شراع، وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال، طنجة، ١٩٩٨.	مغربي
٢٣٩.	بروكلين هايتس، ميرال الطحاوي، ميريت، القاهرة، ٢٠١٠.	مصرية
٢٤٠.	بروين، عبد الباقي يوسف، مركز رام، دمشق، ١٩٩٧.	سوري
٢٤١.	بستان أبي الهوى، محمد عبد الحكم حسن، أجيال لخدمات التسويق والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٢٤٢.	بشاير اليوسفي، رضا البهات، كتاب مجلة أدب ونقد (جريدة الأهالي – حزب التجمع)، القاهرة، ١٩٩٢.	مصري
٢٤٣.	البشرات، إبراهيم أحمد عيسى، مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٢٤٤.	البشموري، سلوى بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة، ٢٠٠٥	مصرية
٢٤٥.	البصاص، مصطفى عبيد، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.	مصري
٢٤٦.	بطعم الجمر، أسعد الأسعد، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، ٢٠١٤.	فلسطيني
٢٤٧.	البعث، أميمة خفاجي، المركز العربي للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٤.	مصرية
٢٤٨.	بعد الوقت، محمد ناير، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٢٤٩.	بعيدا عن الضوضاء- قريبا من السكات، محمد برادة، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.	مغربي
٢٥٠.	بعيدا عن المدينة، آسيا جبار، Lion de Medine, Albine Michel, Paris, 1991.	جزائرية
٢٥١.	بعيدا عن بوقانا، عبد الحكيم أمعية، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ٢٠٠٧.	مغربي
٢٥٢.	بقايا النجوم، عبد الوهاب داود، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٦.	مصري
٢٥٣.	بقايا امرأة، باسل عبد الرحمن ناصر، دار الهاني الثقافية، غزة، ٢٠٠٦.	فلسطيني
٢٥٤.	البلاد وأشلاء العباد، أحمد ماضي، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٢٥٥.	بلد واحد هو العالم، هاني الراهب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٥.	سوري
٢٥٦.	البلد، عباس أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.	مصري
٢٥٧.	بنات الرياض، رجاء الصانع، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٧.	سعودية
٢٥٨.	بنات بلدنا، محمد قرانيا، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦.	سوري
٢٥٩.	بنات حارتنا، ملاحة الخاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.	سورية

٢٦٠.	بنات في حكايات، رشا سمير، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.	مصرية
٢٦١.	بنات قبلي، ماهر مهران، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٢٦٢.	بنات مصر الجديدة، نبيل راغب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٠.	مصري
٢٦٣.	بنت المطر، مريم الغفلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٩.	إماراتية
٢٦٤.	بوابة خربة بني دار، حسين المناصرة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٧.	فلسطيني
٢٦٥.	بورتريه الوحدة، محمد حامد، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١.	سعودي
٢٦٦.	بوركيني، مايا الحاج، منشورات ضفاف – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠١٤.	لبنانية
٢٦٧.	البوسطجي، يحيى حقي، مطبعة المجلة الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ.	مصري
٢٦٨.	بوغيز، ضياء الجبيلي، منشورات مؤسسة الدوسري للثقافة والإبداع، المنامة، ٢٠١١.	عراقي
٢٦٩.	بوهيميا الخراب، صلاح صلاح، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩.	عراقي
٢٧٠.	البيات الشتوي، يوسف القعيد، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٤.	مصري
٢٧١.	البيت الدافئ، خولة القزويني، دار الصفوة، بيروت، ٢٠٠٩.	كويتية
٢٧٢.	بيت الديب، عزت القمحاوي، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.	مصري
٢٧٣.	بيت العائلة، سامية سراج الدين، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصرية
٢٧٤.	بيت من جماجم، شهر زاد زاغر، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، ٢٠٠٢.	جزائرية
٢٧٥.	بيت من لحم، يوسف إدريس، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧١.	مصري
٢٧٦.	بئر زينب، ندى شعلان، دار نوفل، بيروت، ٢٠١٥.	يمنية
٢٧٧.	بيروت ٧٥، غادة السمان، منشورات غادة السمان، بيروت، ١٩٧٥.	سورية
٢٧٨.	بيروت مدينة العالم (ج ٢)، ربيع جابر، المركز الثقافي العربي – دار الآداب، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠٠٥.	لبناني
٢٧٩.	بيضة النعامة، رءوف مسعد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤.	مصري
٢٨٠.	بيلان، موسى رحوم عباس، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ٢٠١١.	سوري
٢٨١.	بين الإغفاءة والصحو، نعيم صبري، الحضارة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤.	مصري
٢٨٢.	بين الحب والحرب، محمد عزب، دار ليليت، الإسكندرية، ٢٠١٣.	مصري
٢٨٣.	بين القصرين، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٢٨٤.	البيوت في بر مصر، منى سالم، دار الهدى للمطبوعات، الإسكندرية، ٢٠١٤.	مصرية

٢٨٥.	تاء الخجل، فضيلة الفاروق، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣.	جزائرية
٢٨٦.	التابوت، رفعت العلان، اللجنة الوطنية العليا لاعلان عمان عاصمة للثقافة العربية، عمان، ٢٠٠٢.	أردني
٢٨٧.	التأليف بين طبقات الليل، أسعد الجبوري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.	عراقي
٢٨٨.	التبر، إبراهيم الكوني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٩٩١.	ليبي
٢٨٩.	تبكي الأرض يضحك زحل، عبد العزيز الفارسي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٧.	عماني
٢٩٠.	تبليط البحر، رشيد الضعيف، رياض الريس، بيروت، ٢٠١١.	لبناني
٢٩١.	تجاعيد الأسد، عبد اللطيف اللعبي، ترجمة: محمد الشركي، توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٩.	مغربي
٢٩٢.	تجليات الروح، محمد نصار، دار الأمل للنشر، غزة، ٢٠٠٣.	فلسطيني
٢٩٣.	تحت أقدام الأمهات، بثينة العيسى، لدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.	كويتية
٢٩٤.	تحت سماء القطب، يوسف أبو الفوز، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، أربيل، ٢٠١٠.	عراقي
٢٩٥.	تحت سماء كوبنهاجن، حوراء النداوي، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.	عراقية
٢٩٦.	التدوينة الأخيرة، أحمد القرملاوي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٢٩٧.	تراب الماس، أحمد مراد، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
٢٩٨.	تراتيل العدم، مها حسن، دار الكوكب (رياض الريس)، بيروت، ٢٠٠٩.	سورية
٢٩٩.	تراتيل لآلامها، رشيدة الشارني، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.	تونسية
٣٠٠.	تراجيديا مدينة، زيد الشهيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤.	عراقي
٣٠١.	ترانس كندا، سماح صادق، دار المصري للنشر، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
٣٠٢.	ترانيم البردي القديم، آمال النخيلي، دار الجنوب، تونس، ٢٠٠٥.	تونسية
٣٠٣.	التُربي، لمياء السعيد، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، الجيزة، ٢٠١٥.	مصرية
٣٠٤.	ترمي بشرر، عبده خال، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٩.	سعودي
٣٠٥.	ترنيمة امرأة.. شفق البحر، سعد محمد رحيم، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.	عراقي

٣٠٦.	ترنيمة امرأة، سعد محمد رحيم، فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠١٢.	عراقي
٣٠٧.	تزممارت، أحمد المرزوقي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢.	مغربي
٣٠٨.	التساهيل في نزع الهلاهيل، زين عبد الهادي، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٣٠٩.	التشهي، عالية ممدوح، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٧.	عراقية
٣١٠.	تعالى.. وجع مالك ، حميد الربيعي، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢.	عراقي
٣١١.	تغريبة بني حتحوت، مجيد طوبيا، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨.	مصري
٣١٢.	تفاح المجانين، يحيى يخلف، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢.	فلسطيني
٣١٣.	تفاحة الصحراء، محمد العشري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.	مصري
٣١٤.	تفاحة حواء، ناطق خلوصي، دار ضفاف، الشارقة – بغداد، ٢٠١٤.	عراقي
٣١٥.	التفاحة والجمجمة، محمد عفيفي، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٥.	مصري
٣١٦.	تفنست، عبد الله حمادي، منشورات المكتبة الوطنية، بن عكنون (الجزائر)، ٢٠٠٤.	جزائري
٣١٧.	تقاطع نيران، سمر يزبك، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.	سورية
٣١٨.	تل اللحم، نجم والي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١.	عراقي
٣١٩.	تلال الأكاسيا، هشام الخشن، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦.	مصري
٣٢٠.	تلك العتمة الباهرة، الطاهر بن جلون، ترجمة: بسام حجار، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.	مغربي
٣٢١.	تلك القرى، أحمد سراج، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٣٢٢.	تمر الأصابع، محسن الرملي، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠٠٩.	عراقي
٣٢٣.	تهمة وفاء، عزيزة عبد الله، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢.	يمنية
٣٢٤.	التوأم المفقود، سليم مطر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١.	عراقي
٣٢٥.	التوت المر، محمد العروسي المطوي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٧.	تونسي
٣٢٦.	تولوز، أسامة علام، دار دون، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري

٣٢٧.	تويا، أشرف العشماوي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٣٢٨.	التي تعد السلالم، هدى الجهوري، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.	عمانية
٣٢٩.	تيتانيكات أفريقية، أبو بكر كهال، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٨.	إرتري
٣٣٠.	تيميمون، رشيد بوجدرة، دار الاجتهاد، الجزائر، ١٩٩٤.	جزائري
٣٣١.	ثالوث وتعويذة، زوينة الكلبانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١.	عمانية
٣٣٢.	ثرثرة فوق النيل، نجيب محفوظ، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٣٣٣.	الثعلب الذي يظهر ويختفي، محمد زفزاف، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٧.	مغربي
٣٣٤.	ثقوب زرقاء، الخير شوار، دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.	جزائري
٣٣٥.	ثقوب في الثوب الأسود، إحسان عبد القدوس، أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٦٢.	مصري
٣٣٦.	ثلاث برتقالات مملوكية، حجاج أدول، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٣٣٧.	ثلاثة فساتين لسهرة واحدة، احمد مدحت، دار دون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٣٣٨.	ثلاثية غرناطة، رضوى عاشور، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصرية
٣٣٩.	ثلج القاهرة، لنا عبد الرحمن، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٣.	لبنانية
٣٤٠.	الثلج يأتي من النافذة، حنا مينه، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٩.	سوري
٣٤١.	ثم أزهر الحزن، فاضل السباعي، أشبيلية للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٠.	سوري
٣٤٢.	ثمانون عاما في انتظار الموت، عبد المجيد الفياض، مدارك، دبي، ٢٠١٢.	سعودي
٣٤٣.	ثمن الأحلام، محمود دهموش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
٣٤٤.	ثمن الشوكولاتة، بشائر محمد، فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، ٢٠٠٧.	سعودية
٣٤٥.	الثوب، طالب الرفاعي، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٩.	كويتي
٣٤٦.	جاثوم، شريفة محمد، دار أثر، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٤.	سعودية
٣٤٧.	جارية، منيرة سوار، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.	بحرينية
٣٤٨.	الجازية بنت منصور، لطيفة المفيد، رابطة كاتبات مغربيات، الرباط، ٢٠١٥.	مغربية
٣٤٩.	جانجي، طاهر أحمد الزهراني، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٧.	سعودي
٣٥٠.	جبل الزنابق: نصوص، سمر يزبك دار الآداب، بيروت، ٢٠١٣.	سورية
٣٥١.	جبل النظيف، إبراهيم أبو عواد، دار الكوكب – رياض الريس للنشر، بيروت، ٢٠١٤.	أردني
٣٥٢.	جبل حالية، إبراهيم مضواح الألمعي، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٩.	سعودي

٣٥٣.	جدائل صعدة، مروان الغفوري، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.	يمني
٣٥٤.	جدران الخوف، عبد الله سلوم السامرائي، مطبعة العدالة، بغداد، ١٩٨٣.	عراقي
٣٥٥.	جذور الضباب، ميمون الحسني، مطبعة اقرأ، الناظور (المغرب)، ٢٠٠٦.	مغربي
٣٥٦.	جراح الروح والجسد، مليكة مستظرف، مطبعة أكسنت، القنيطرة (المغرب)، ١٩٩٩.	مغربية
٣٥٧.	الجراد يحب البطيخ، راضي شحادة، مصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠.	فلسطيني
٣٥٨.	جرافيت، هشام الخشن، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٣٥٩.	جرحى السماء، أم الزين بنشيخة المسكيني، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ٢٠١٢.	تونسية
٣٦٠.	الجرذان، يحيي بزغود، منشورات منتدى رحاب بوجدة، بوجدة (المغرب)، ٢٠٠٠.	مغربي
٣٦١.	جروح الأصابع الطويلة، سهى زكي، دار الدار، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصرية
٣٦٢.	جروح الذاكرة، تركي الحمد، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.	سعودي
٣٦٣.	الجزار، حسن الجندي، دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٣٦٤.	الجزيرة البيضاء، يوسف أبو رية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
٣٦٥.	جسد أول، نبيل نعوم، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٨.	مصري
٣٦٦.	جسر بنات يعقوب، حسن حميد، دار السوسن للنشر والتوزيع والطباعة، دمشق، ٢٠٠١.	فلسطيني
٣٦٧.	جغرافيا الخوف، حميد سكيف، ناوتيلوس، هابورج، ٢٠٠٧.	جزائري
٣٦٨.	الجليل والصعلوك، محمد سالم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – القاهرة – تونس، ٢٠١٣.	مصري
٣٦٩.	جمر الموتى، نضال الصالح عبد القادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.	سوري
٣٧٠.	جمر النكايات، عدنان فرزات، دار صائب، دير الزور، ٢٠١٠.	سوري
٣٧١.	جن وجنون وجريمة، خضير ميري، نفرو للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧.	عراقي
٣٧٢.	جناحها الريح وغيمة ماطرة، آسية السخيري، الدار العربية للعلوم ناشرون – مكتبة مدبولي، بيروت – القاهرة، ٢٠٠٧.	تونسية
٣٧٣.	جنة البرابرة، خليل صويلح، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٤.	سوري
٣٧٤.	جنة على الأرض، فادي زغموت، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.	أردني
٣٧٥.	جنة مجنون، أسامة أنور عكاشة، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري

٣٧٦.	الجنسية، معتز قطينة، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٣.	فلسطيني
٣٧٧.	جنود الله، فواز حداد، رياض الريس، بيروت، ٢٠١٠.	سوري
٣٧٨.	جنين ٢٠٠٢، أنور حامد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤.	فلسطيني
٣٧٩.	جواد السحب الداكنة، عبد الجليل المياح، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ١٩٦٨.	عراقي
٣٨٠.	جواد، جمال مقار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤	مصري
٣٨١.	جورة حوا، منهل السراج، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٥.	سورية
٣٨٢.	جومر، روبير الفارس، وكالة سفنكس، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٣٨٣.	جيرترود، حسن نجمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١١.	مغربي
٣٨٤.	جيمنازيوم، مي خالد، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصرية
٣٨٥.	حارث المياه، هدى بركات، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٨.	لبنانية
٣٨٦.	حارث النسيان، كمال الخمليش، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.	مغربي
٣٨٧.	حارس التبغ، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.	عراقي
٣٨٨.	حارس المدينة الضائعة، إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨.	أردني
٣٨٩.	حارس حديقة المحبين، وليد خيري، دار العين، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٣٩٠.	حاس الموتى، جورج يرق، منشورات ضفاف – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠١٤.	لبناني
٣٩١.	حافة الفضة، فاطمة عبد الحميد، طوي، بيروت، ٢٠١٣.	سعودية
٣٩٢.	حافة النسيان، أحمد علي الزين، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.	لبناني
٣٩٣.	حافية الروح، فتحية الهاشمي، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ٢٠٠٥.	تونسية
٣٩٤.	حالة الدكتور حسن، إحسان عبد القدوس، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧.	مصري
٣٩٥.	حالة شغف، نهاد سيريس، دار عطية للنشر، بيروت، ١٩٩٨.	سوري
٣٩٦.	حائر بين الحلال والحرام، إحسان عبد القدوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.	مصري
٣٩٧.	الحائط الأخير، سمير عبد الفتاح، روايات الهلال، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٣٩٨.	الحب الآتي من الشرق، أحمد بطاح، مطبعة الورود، أغادير، ٢٠١٥.	مغربي

٣٩٩.	حب الرمان، سماء زيدان، دار ميريت، القاهرة، ٢٠١٥.	مصرية
٤٠٠.	الحب المحرم، وداد السكاكيني، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤.	لبنانية
٤٠١.	الحب المستحيل، موسى ولد ابنو، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٩.	موريتاني
٤٠٢.	الحب على الطريقة العربية، ريم بسيوني، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصرية
٤٠٣.	حب في السعودية، إبراهيم بادي، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٧.	سعودي
٤٠٤.	الحب والصمت، عنايات الزيات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.	مصرية
٤٠٥.	حبي الأول، سحر خليفة، كتاب في جريدة، مؤسسة محمد بن عيسى الجابر واليونسكو، عدد ١٥٨، بيروت، أكتوبر ٢٠١١.	فلسطينية
٤٠٦.	حبيبتي بكماء، محمد السالم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣.	سعودي
٤٠٧.	حتى يعود القمر، محمود السعدني، روزاليوسف، القاهرة، ١٩٦٤.	مصري
٤٠٨.	حجر الكحل، محمود توفيق حسين، دار القمري، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٤٠٩.	الحجرة ١٣، هويدا صالح، دار دون، القاهرة، ٢٠١٠.	مصرية
٤١٠.	حدائق الذاكرة، محمد جمال الدين، مركز الحضارة، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٤١١.	حدائق الرئيس، محسن الرملي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠١٢.	عراقي
٤١٢.	حدائق الله، الصافي سعيد، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٢.	تونسي
٤١٣.	حدث أبو هريرة، محمود المسعدي، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٨٩.	تونسي
٤١٤.	حديقة حياة، لطيفة الدليمي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.	عراقية
٤١٥.	حراس الهواء، روزا ياسين حسن، دار الكوكب (رياض الريس)، بيروت، ٢٠٠٩.	سورية
٤١٦.	الحرافيش، نجيب محفوظ، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٤١٧.	الحرام، يوسف إدريس، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٩.	مصري
٤١٨.	حرب الخشب، هند هيثم، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٣.	يمنية
٤١٩.	الحرب في بر مصر، يوسف القعيد، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٤٢٠.	الحرب في حي الطرب، نجم والي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٣.	عراقي
٤٢١.	حركات، مصطفى الفارسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨.	تونسي
٤٢٢.	حرمة، علي المقري، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.	يمني
٤٢٣.	حرمة، علي المقري، حرمة، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.	يمني
٤٢٤.	حرمتان ومحرم، صبحي فحماوي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٠.	أردني

٤٢٥.	حريم فوزي الحلواني، أسعد رمسيس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٤٢٦.	الحريم، حمدي الجزار، دار صفصافة، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٤٢٧.	حز القيد، محمد عيد العريمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.	عماني
٤٢٨.	الحزام، أحمد أبو دهمان، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١.	سعودي
٤٢٩.	حسن الختام، صفاء النجار، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
٤٣٠.	الحصاد، عبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٩.	مصري
٤٣١.	حصار العنكبوت، كريم كطاف، دار نون للنشر، رأس الخيمة، ٢٠١٤.	عراقي
٤٣٢.	الحضارة أمي، إدريس الشرايبي، ترجمة: سعيد بلمبخوت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٤.	مغربي
٤٣٣.	حضرة المحترم، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٧.	مصري
٤٣٤.	الحفاة وخفي حنين، فارس زرزور، مطبعة الآداب والعلوم، دمشق، ١٩٧١.	سوري
٤٣٥.	الحفائر تتنفس، عبد الله التعزي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.	سعودي
٤٣٦.	الحفرة، عادل العجواني، المصري للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.	مصري
٤٣٧.	حفلة الموت، فاطمة الشيدي، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.	عمانية
٤٣٨.	حفلة سمر من أجل ٥ حزيران، سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٦.	سوري
٤٣٩.	الحفيد، عبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٣.	مصري
٤٤٠.	الحق في الحياة، فاتحة مرشيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٣.	مغربية
٤٤١.	حقائب الذاكرة، شربل قطان، مؤسسة نوفل، بيروت، ٢٠١٠.	لبناني
٤٤٢.	حكايات الغريب، مجموعة "حكايات الغريب"، جمال الغيطاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
٤٤٣.	حكايات شارع البحر، أحمد والي، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٥.	مصري
٤٤٤.	حكايات عادية لملء الوقت، بهيجة حسين، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصرية
٤٤٥.	حكايات يونس حيم، محمد عيد العريمي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٤.	عماني
٤٤٦.	حكاية حب، غازي القصيبي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١.	سعودي
٤٤٧.	حكاية زهرة، حنان الشيخ، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٤.	لبنانية
٤٤٨.	حكاية شوق، أحمد الشيخ، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩١.	مصري
٤٤٩.	حكاية مجنون، يحيي إبراهيم، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٠.	مصري

٤٥٠.	حكاية وهابية، عبد الله المفلح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٣.	سعودي
٤٥١.	حكمة العائلة المجنونة، فؤاد قنديل، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
٤٥٢.	حكواتي الليل، رفيق شامي، ترجمة: رنا زحكا، منشورات الجمل، بغداد – بيروت، ٢٠١١.	سوري
٤٥٣.	حكومة الظل، منذر القباني، مركز الراية للتنمية الفكرية، دمشق، ٢٠٠٦.	سعودي
٤٥٤.	حلم الشفق، جيلالي خلاص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦.	جزائري
٤٥٥.	الحلم العظيم، أحمد خلف، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٩.	عراقي
٤٥٦.	الحلم المزدوج، دينا سليم، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٣.	فلسطينية
٤٥٧.	حلم على نهر، جار النبي الحلو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.	مصري
٤٥٨.	حلم كزرقة البحر، أمنيات سالم، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٠.	إماراتية
٤٥٩.	حلم وردي فاتح اللون، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.	عراقية
٤٦٠.	حليب التين، سامية عيسى، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.	فلسطينية
٤٦١.	حمار الحكيم، توفيق الحكيم، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٤٦٢.	حمام العرصة، أحمد الويزي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.	مغربي
٤٦٣.	حمام النسوان، فيصل خرتش، المسار للنشر والأبحاث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٩.	سوري
٤٦٤.	حمام زنوبيا، رياض معسعس، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠١٢.	سوري
٤٦٥.	الحمام لا يطير في بريدة، يوسف المحيميد، المركز الثقافي العربي – دار الآداب، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠١١.	سعودي
٤٦٦.	الحمامة وعباءتها السوداء، ليلى عقيل، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢.	سعودية
٤٦٧.	الحمراوي، رمضان الرواشدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢.	أردني
٤٦٨.	حنين، سهير عبد الله رخامية، دار ليليت للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٤.	سورية
٤٦٩.	حواء الجديدة، نقولا حداد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.	لبناني
٤٧٠.	حواء ذات الوجوه الثلاثة، أمينة السعيد، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٠.	مصرية
٤٧١.	حوادم، بهيجة مصري إدلبي، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٥.	سوري

٤٧٢.	حوض الشهوات، محمد اليحيائي، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٥.	عماني
٤٧٣.	حي الإفرنج، سامح الجباس، دار العين، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٤٧٤.	حي الأمريكان، جبور الدويهي، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.	لبناني
٤٧٥.	حي باب سويقة، عبد القادر بلحاج نصر، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ٢٠٠٨.	تونسي
٤٧٦.	حياة أخرى، هدى عيد، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٢.	لبنانية
٤٧٧.	حياة السيد كاف، علي الشدوي، طوي، لندن، ٢٠٠٩.	سعودي
٤٧٨.	حياة بنص وجه، علوان السهيمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٥.	سعودي
٤٧٩.	الحياة على ذمة الموت، جمال ناجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣.	أردني
٤٨٠.	الحياة لحظة، سلام إبراهيم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٩.	عراقي
٤٨١.	حياة معلقة، عاطف أبو سيف، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.	فلسطيني
٤٨٢.	حيث تكمن الألوان، محمد قسم الباري، سنابل للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨.	سوداني
٤٨٣.	حين تركنا الجسر، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧.	سعودي
٤٨٤.	حين رحلت، سهام مرضي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.	سعودية
٤٨٥.	حين يشق الفجر قميصه، مي منسي، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٩.	لبنانية
٤٨٦.	حينما كان للشوارع أسماء، رندة عبد الفتاح، ترجمة: أميرة ونبيل نويرة، بلومزبيري، الدوحة، ٢٠١٠.	مصرية – فلسطينية
٤٨٧.	حيوات متجاورة، محمد برادة، نشر الفنك، الدار البيضاء، ٢٠٠٩.	مغربي
٤٨٨.	الخاتن، أدهم العبودي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.	مصري
٤٨٩.	خارج الجسد، عفاف البطاينة، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٤.	أردنية
٤٩٠.	خارطة الحب، أهداف سويف، ترجمة: فاطمة موسى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.	مصرية
٤٩١.	الخالة عطية، أدمون صبري، شركة التجارة والطباعة، بغداد، ١٩٥٨.	عراقي
٤٩٢.	خان الشابندر، محمد حياوي، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٦.	عراقي
٤٩٣.	خان زاده، لينة كريدية، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.	لبنانية
٤٩٤.	الخباء، ميرال الطحاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١.	مصرية
٤٩٥.	الخبز الحافي، محمد شكري، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩.	مغربي

٤٩٦.	الخداع يعود بثوب جديد، إيهاب سلام، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصري
٤٩٧.	الخداع يعود بثوب جديد، إيهاب سلام، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصري
٤٩٨.	خديجة وسوسن، رضوى عاشور، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٩.	مصرية
٤٩٩.	خرائب الأزمنة، سليمان كامل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.	سوري
٥٠٠.	خرائط، نور الدين فارح، منشورات الجمل، كولونيا، ١٩٨٦.	صومالي
٥٠١.	خرجنا من ضلع جبل ، لولوة المنصوري، ثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١٤.	إماراتية
٥٠٢.	الخروج من الجنة، توفيق الحكيم، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٠.	مصري
٥٠٣.	الخروج من سوسروقه، زهرة عمر، دار أزمنة للنشر، عمان، ١٩٩٢.	أردنية
٥٠٤.	الخطوة الأولى، يوسف العطا، لمركز الطباعي، على نفقة المؤلف، المكان غير محدد، ١٩٨٠.	سوداني
٥٠٥.	خطوط الطول.. خطوط العرض، عبد الرحمن مجيد الربيعي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، ١٩٩٣.	عراقي
٥٠٦.	الخفافيش تراود الضياء، هيثم الحلو، دار سطور للطباعة والنشر، ٢٠١٥.	عراقي
٥٠٧.	خلسة في كوبنهاجن، سامية عيسى، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.	فلسطينية
٥٠٨.	خلف السدة، عبد الله الصخي، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٨.	عراقي
٥٠٩.	خلف العالم، سهام مرضي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٤.	سعودية
٥١٠.	الخليفة، مدحت عبد الرازق، دار المجد، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٥١١.	الخماسين، غالب هلسا، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٥٧.	أردني
٥١٢.	الخمر ما عادت تُسكر أحدا، محمد الجيزاوي، ليان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٥١٣.	خميلة الأجنة، علي عبد الأمير صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.	عراقي
٥١٤.	خور الجمال، أحمد أبو خنيجر، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٥١٥.	خويا دحمان، مرزاق بقطاش، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠.	جزائري
٥١٦.	خيانات اللغة والصمت، فرج بيرقدار، دار الجديد، بيروت، ٢٠٠٦.	سوري
٥١٧.	خيانة القاهرة، شيرين أبو النجا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصرية

٥١٨.	الخيط الرفيع، إحسان عبد القدوس، مطبوعات أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧.	مصري
٥١٩.	خيوط القدر، محمد عزب، دار العين، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٥٢٠.	الخيول الشاردة، بهي الدين عوض، مركز الحضارة العربية – اتحاد الكتاب المصريين، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
٥٢١.	الخيول، أحمد يوسف داود، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٢.	سوري
٥٢٢.	داخل الغرفة الزجاجية، محمد مجدي، ابن النفيس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٥٢٣.	الدار البيضاء – جنيف 40 5ل8 ، قاسم الغزالي، شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١٣.	مغربي
٥٢٤.	دارغونوف، إبراهيم المحلاوي، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٥٢٥.	دارية، سحر الموجى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصرية
٥٢٦.	دائرة الموت، رجب عطا أبو سرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.	فلسطيني
٥٢٧.	الدخان، نوار العبيدي، مطبعة المعارف، الجزائر، ٢٠٠٣.	جزائري
٥٢٨.	درب الزعفران، محسن الموسوي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠.	عراقي
٥٢٩.	درب الهوى، إسماعيل ولي الدين، دار غريب، القاهرة، ١٩٨٠.	مصري
٥٣٠.	دروب الفقدان، عبد الله الصخي، دار المدى، دمشق، ٢٠١٣.	عراقي
٥٣١.	دستينو، أحمد القرملاوي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٥٣٢.	دعاء الكروان، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.	مصري
٥٣٣.	دعها تسير، محمد صوف، مطبعة الشروق، الدار البيضاء، ١٩٩٧.	مغربي
٥٣٤.	الدقلة في عراجينها، البشير خريف، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٠.	تونسي
٥٣٥.	دلال وبسيمة، وفية خيري، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٢.	مصرية
٥٣٦.	دم البراءة، إبراهيم ناصر الحميدان، منشورات النادي الأدبي، جازان، ٢٠٠١.	سعودي
٥٣٧.	الدم والعصافير، عمرو عبد السميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.	مصري
٥٣٨.	دماء أبوللو، زين عبد الهادي، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٥٣٩.	دماء في الخرطوم، عماد البليك، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨.	سوداني
٥٤٠.	دمشق يا بسمة الحزن، ألفة الإدلبي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠.	سورية
٥٤١.	دموع باخوس، محمد أمنصور، منشورات الموجة، الرباط، ٢٠١٠.	مغربي

٥٤٢.	دموع رجل تافه، عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
٥٤٣.	دموع صاحبة الجلالة، موسى صبري، دار الأخبار، القاهرة، ١٩٩٠.	مصري
٥٤٤.	دموع على سفوح المجد، عماد زكي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصري
٥٤٥.	دمية النار، بشير مفتي، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت- الجزائر، ٢٠١٠.	جزائري
٥٤٦.	دنيا، علوية صبح، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٦.	لبنانية
٥٤٧.	دوامات الشمال، حسن نور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٥٤٨.	الدوامة، قمر كيلاني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣.	سورية
٥٤٩.	الدين الرابع، أحمد إبراهيم، مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٥٥٠.	ديناميت، زياد عبد الله، دار المدى، دمشق، ٢٠١٢.	سوري
٥٥١.	ذاكرة الجسد، أحلام مستغانمي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٩٣.	جزائرية
٥٥٢.	ذاكرة الرمل، محمد ولد محمد سالم، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٨.	موريتاني
٥٥٣.	الذكرى للحبان، حسن أحمد، مطابع دار الخليج، الشارقة، ١٩٨٠.	سوداني
٥٥٤.	ذكريات ضالة، عبد الله البصيص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٤.	كويتي
٥٥٥.	ذكريات معتقة باليوريا، علي الحديثي، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.	عراقي
٥٥٦.	ذهب مع النفط، عبد الله خليفة، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠.	عراقي
٥٥٧.	ذئبة الحب والكتب، محسن الرملي، دار المدى، بغداد، ٢٠١٥.	عراقي
٥٥٨.	رأس الرجل الكبير، عدنان فرزات، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١١.	سوري
٥٥٩.	رافي بركات، عمرو خالد، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٥٦٠.	الراقصة والسياسي، إحسان عبد القدوس، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ٢٠١٤.	مصري
٥٦١.	الراقصة والطبال، مجموعة "آسف لم أعد أستطيع"، إحسان عبد القدوس، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٠.	مصري
٥٦٢.	الراقصون على النار، محمود النواصرة، كتاب اليوم، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٥٦٣.	راكوشا، نهى محمود، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصرية

٥٦٤.	رالف رزق الله في المرآة، ربيع جابر، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧.	لبناني
٥٦٥.	رامة والتنين، إدوار الخراط، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.	مصري
٥٦٦.	رأيت رام الله، مريد البرغوثي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣	فلسطيني
٥٦٧.	رائحة الأنثى، أمين الزاوي، دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٠.	جزائري
٥٦٨.	رائحة البرتقال، محمود الورداني، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩١.	مصري
٥٦٩.	رائحة التانجو، دلع المفتي، دار مدارك، بيروت، ٢٠١٤.	كويتية
٥٧٠.	رائحة الزمن العاري، هيام مصطفى قبلان، دار التلاقي للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.	فلسطينية
٥٧١.	رائحة الفحم، عبد العزيز الصقعبي، أثر للنشر والتوزيع، الدمام، ٢٠١٢.	سعودي
٥٧٢.	رائحة القرفة، سمر يزبك، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.	سورية
٥٧٣.	رباع، أحمد السعيد مراد، نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٥٧٤.	ربع جرام، عصام يوسف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٥٧٥.	ربيع حار، سحر خليفة، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٤.	فلسطينية
٥٧٦.	رجال في الشمس، غسان كنفاني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.	فلسطيني
٥٧٧.	الرجس، سمير نقاش، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٣.	عراقي
٥٧٨.	الرجع البعيد، فؤاد التكرلي، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.	عراقي
٥٧٩.	رجل أبله.. امرأة تافهة، محمد ناجي، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصري
٥٨٠.	الرجل الخراب، عبد العزيز بركة ساكن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٥.	سوداني
٥٨١.	الرجل الذي فقد ظله، فتحي غانم، الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٥٨٢.	الرجل الذي يكره نفسه، حنا مينه، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٣.	سوري
٥٨٣.	رجل تحت الصفر، مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣.	مصري
٥٨٤.	رجل جاء وذهب، غازي القصيبي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.	سعودي
٥٨٥.	رجل لرواية واحدة، فوزية شلابي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٨٥.	ليبية
٥٨٦.	رجل من الشر، إبراهيم الشامي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.	مصري
٥٨٧.	رجوع الشيخ إلى صباه، محمد عبد النبي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.	مصري

٥٨٨.	رجوع الموجة، مي زيادة، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٩٣.	لبنانية
٥٨٩.	الرحلة ٧٩٧ المتجهة إلى فيينا، طارق الطيب، دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٥٩٠.	رحلة السفرجل، وليد إخلاصي، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٨.	سوري
٥٩١.	رحلة الشتاء، محمد سعيد ناود، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩.	إرتري
٥٩٢.	رحلة الضباع، سهير المصادفة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.	مصرية
٥٩٣.	رحلة زاعم، ثائر زكي الزعزوع، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.	سوري
٥٩٤.	رحمة، ميسون سرور، دار سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.	مصرية
٥٩٥.	رحيل اليمامة، إبراهيم الخضير، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٨.	سعودي
٥٩٦.	رحيل بلا عودة، مكي محمد علي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته، ١٩٩١.	سوداني
٥٩٧.	رد قلبي، يوسف السباعي، مكتبة مصر للمطبوعات، القاهرة، ١٩٩٨.	مصري
٥٩٨.	رسالة إلى فاطمة، حسن سامي يوسف، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦.	فلسطيني
٥٩٩.	رسالة في توقيت حرج، نهى أمر الله، دار ليلى، القاهرة، ٢٠١٢.	مصرية
٦٠٠.	رسم قديم، نفيسة زين العابدين، دار أوراق، القاهرة، ٢٠١٥.	سودانية
٦٠١.	رسمت خطا في الرمال، هاني الراهب، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٩.	سوري
٦٠٢.	رشوا النجوم على ثوبي، حفيظة قاسمي، دار صامد للنشر والتوزيع، صفاقس، ٢٠٠٠.	تونسية
٦٠٣.	رغبات شيطانية، وفاء عبد الرحمن، فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، ٢٠١١.	سعودية
٦٠٤.	رغبة سرية، عزت الأمير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠.	مصري
٦٠٥.	الرفيقة وداد، عماد محمود الأمين، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٣.	لبناني
٦٠٦.	الرقص مع الخيول، عمر الطالب، دار الفداء، عمان، ١٩٩٦.	عراقي
٦٠٧.	رقص، معجب الزهراني، دار طوي، بيروت، ٢٠١٤.	سعودي
٦٠٨.	رقصات الرؤى المشوشة، عمرة عافية، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٦٠٩.	الرقصة الأخيرة، كمال صياح الحمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.	سوري
٦١٠.	رقصة الطائر المذبوح، حسن قاسم الساعدي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠١	عراقي

٦١١.	رقصة شرقية، خالد البري، دار العين، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
٦١٢.	رمانة، الطاهر وطار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.	جزائري
٦١٣.	الرهينة، زيد مطيع دماج، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٤.	يمني
٦١٤.	الروايات، مها حسن، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٤.	سورية
٦١٥.	الرواية الملعونة (خذني بين ذراعيك)، أمل جراح، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.	سورية
٦١٦.	روائح المدينة، حسين الواد، دار الجنوب، تونس، ٢٠١٠.	تونسي
٦١٧.	روائح ماري كلير، الحبيب السالمي، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.	تونسي
٦١٨.	الرولة، يوسف الحاج، دار سؤال، بيروت، ٢٠١٥.	عماني
٦١٩.	الرويس، سعيد السريحي، دار جداول، بيروت، ٢٠١٣.	سعودي
٦٢٠.	ريا والنهر، جبور الدويهي، دار النهار، بيروت، ١٩٩٨.	لبناني
٦٢١.	ريام وكفى، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤.	عراقية
٦٢٢.	ريح الأيام العادية، نور الدين العلوي، مومنت للكتب الرقمية، لندن، ٢٠١٣.	تونسي
٦٢٣.	ريحانة، ميسون صقر، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٣.	إماراتية
٦٢٤.	زاوية حادة، فاطمة المزروعي، دار العين، القاهرة، ٢٠٠٩.	إماراتية
٦٢٥.	زجاج الوقت، هدية حسين، دار نارة للنشر، عمان، ٢٠٠٧.	عراقية
٦٢٦.	الزعيم يحلق شعره، إدريس علي، دار وعد للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٦٢٧.	زفاف الجنازة، حميد خيدوس، مؤسسة النخلة، وجدة، ٢٠٠٣.	مغربي
٦٢٨.	زقاق السيد البلطي، صالح مرسي، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٦٢٩.	زقاق المدق، نجيب محفوظ، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٤٧.	مصري
٦٣٠.	الزلزال، الطاهر وطار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤.	جزائري
٦٣١.	زمكان، ثروت الخرباوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٦٣٢.	الزمن الآخر، إدوار الخراط، دار شهدي، القاهرة، ١٩٨٥.	مصري
٦٣٣.	الزمن الآخر، فكري عمر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٦٣٤.	زمن البوح، حمد الحمد، مكتبة العروبة، الكويت، ٢٠٠٩.	كويتي
٦٣٥.	زمن الجنون، نبيل راغب، دار غريب، القاهرة، ١٩٨٧.	مصري
٦٣٦.	زمن الخيول البيضاء، إبراهيم نصر الله، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧.	أردني
٦٣٧.	زمن القلب، عرعار محمد العالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤.	جزائري

٦٣٨.	الزمن الموحش، حيدر حيدر، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣.	سوري
٦٣٩.	زمن دحموس الأغبر، غريب عسقلاني، إتحاد الكتاب الفلسطينيين و UNDP، ٢٠٠١.	فلسطيني
٦٤٠.	الزنبقة السوداء، شذى الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٢.	يمنية
٦٤١.	الزنزانة، فتحي فضل، طبعة خاصة، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٦٤٢.	زهرة الرازقي، سلام عبود، دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٣.	عراقي
٦٤٣.	الزهرة الصخرية، محمد الرواي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩١.	مصري
٦٤٤.	زهرة اللوتس، أميمة الخش، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٣.	سورية
٦٤٥.	زوج حذاء لعائشة، نبيلة الزبير، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.	يمنية
٦٤٦.	زوجة أحمد، إحسان عبد القدوس، دار الأخبار، القاهرة، ١٩٧٢.	مصري
٦٤٧.	الزوجة الثانية، أحمد رشدي صالح، المكتب الدولي للترجمة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.	مصري
٦٤٨.	الزوجة الهاربة، جيلان حمزة، الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.	مصرية
٦٤٩.	زوجة تختلف، حسن الحلبي، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٨.	أردني
٦٥٠.	زوجة تختلف، حسن حلبي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.	أردني
٦٥١.	الزيارة، عمرو علي العادلي، دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٦٥٢.	زيد الشهيد، سبت يا ثلاثاء، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٦.	عراقي
٦٥٣.	زينب والعرش، فتحي غانم، الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٦٥٤.	زينة الملكة، علي أبي الريش، منشورات إتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، ٢٠٠٤.	إماراتي
٦٥٥.	زينة، نوال السعداوي، دار الساقي، بيروت، ٢٠١١.	مصرية
٦٥٦.	الزيني بركات، جمال الغيطاني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٦٥٧.	الساحة الشرقية، عبد القادر الشاوي، نشر الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٩.	مغربي
٦٥٨.	الساحلية، جمال الخياط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.	بحريني
٦٥٩.	سارة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٦.	مصري
٦٦٠.	سأري بعينيك يا حبيبتي، رشاد أبو شاور، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.	فلسطيني

٦٦١.	ساق البامبو، سعود النعوسي، العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.	كويتي
٦٦٢.	سأهبك مدينة أخرى، أحمد إبراهيم الفقيه، رياض الريس، بيروت – لندن، ١٩٩١.	ليبي
٦٦٣.	السائرون نياما، سعد مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.	مصري
٦٦٤.	سباق المسافات الطويلة، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.	سعودي
٦٦٥.	سبع جنات، منير مطاوع، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٦.	مصري
٦٦٦.	سبعة أبواب، عبد الكريم غلاب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.	مغربي
٦٦٧.	سبعة أرواح، محمد عبد الكريم، المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٦٦٨.	سبيل الشخص، عبده جبير، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣.	مصري
٦٦٩.	الست زبيدة، نوال حلاوة، دار السندباد للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	فلسطيني
٦٧٠.	ستة أيام، حليم بركات، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦١.	سوري
٦٧١.	ستر، رجاء عالم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥.	سعودية
٦٧٢.	ستيمر بوينت، أحمد زين، دار التنوير، بيروت – القاهرة – تونس، ٢٠١٥.	يمني
٦٧٣.	سجاد عجمي، شهلا العجيلي، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٣.	سورية
٦٧٤.	سجلات رأس الديك، حسن نصر، دار سيراس للنشر، تونس، ٢٠٠١.	تونسي
٦٧٥.	سجن العمر، توفيق الحكيم، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٦٧٦.	سجين المرايا، سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.	كويتي
٦٧٧.	سحابة زرقاء في السحب، حنا مينه، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.	سوري
٦٧٨.	سحب الفوضى، يوسف ضمرة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩١.	فلسطيني
٦٧٩.	السحر الأسود، شفيق مقار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.	مصري
٦٨٠.	سدوم، عبد الحميد شوقي، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.	مغربي
٦٨١.	سر الشارد، عبد الله عيسى السلامة، دار البراق – دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩.	سوري
٦٨٢.	السراب، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٦٨٣.	سرابيوم، محمود عرفات، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٦٨٤.	سرادق الحلم والفجيعة، عز الدين جلاوجي، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٠.	جزائري
٦٨٥.	سراديب النهايات، عبد الإله بلقزيز، دار منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٤.	مغربي
٦٨٦.	سراي نامه، محمد عبد القهار، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري

٦٨٧.	سرايا بنت الغول، أميل حبيبي، رياض الريس، لندن – قبرص، ١٩٩٢.	فلسطيني
٦٨٨.	سرة الكون، محمد الأصفر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٦.	ليبي
٦٨٩.	سرداب العشق، سهى الصوفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢.	سورية
٦٩٠.	السرسرية، خالد أحمد، دار المصري للنشر والتوزيع، ٢٠١١.	مصري
٦٩١.	سرمدة، فادي عزام، ثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١١.	سوري
٦٩٢.	سرير الأستاذ، محمد مزيد، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.	عراقي
٦٩٣.	سرير الأسرار، البشير الدامون، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.	مغربي
٦٩٤.	سرير من الوهم، هزوان الوز، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٠.	سوري
٦٩٥.	سعادته السيد الوزير، حسين الواد، دار الجنوب، تونس، ٢٠١١.	تونسي
٦٩٦.	سعار، بثينة العيسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.	كويتية
٦٩٧.	سعودي ولكن لقيط، سمير محمد (اسم مستعار)، دار مدارك للنشر، دبي، ٢٠١٢.	سعودي
٦٩٨.	سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥.	عراقية
٦٩٩.	السفر إلى حيث يبكي القمر، سها جلال جودت، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.	سورية
٧٠٠.	سفينة نوح، خالد الخميسي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
٧٠١.	سفينة نوح، خالد الخميسي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
٧٠٢.	السفينة، جبرا إبراهيم جبرا، دار الآداب، بيروت،١٩٧٠.	فلسطيني
٧٠٣.	السقا مات، يوسف السباعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.	مصري
٧٠٤.	سقر، عائشة عبد العزيز الحشر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.	سعودية
٧٠٥.	سقف من طين، كفى الزعبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.	أردنية
٧٠٦.	السقوط إلى أعلى، فتحية النمر، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١١.	إماراتية
٧٠٧.	سلاطين الرماد، سعد هادي، مومنت للنشر الرقمي، لندن، ٢٠١٤.	عراقي
٧٠٨.	سلالم النهار، فوزية شويش السالم، دار العين، القاهرة، ٢٠١٢.	كويتية
٧٠٩.	سلفي يكتب الروايات سرا، ماجد شيحة، دار دون، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٧١٠.	السلفي، عمار علي حسن، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٧١١.	السمان والخريف، نجيب محفوظ، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصري

٧١٢.	سنة أولى حب، مصطفى أمين، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.	مصري
٧١٣.	السنجة، أحمد خالد توفيق، بلومزبيري، الدوحة، ٢٠١٢.	مصري
٧١٤.	سنديان الذاكرة، سليم عبود، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٠.	سوري
٧١٥.	السنغالي، مصطفى موسى، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.	مصري
٧١٦.	سنوات الإنهاك، جمال ناجي، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ٢٠٠٨.	أردني
٧١٧.	سنين مبعثرة، غالية آل سعيد، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٨.	عمانية
٧١٨.	سهدوثا، ليلى قصراني، دار الغاوون، بيروت، ٢٠١١.	عراقية
٧١٩.	سهرة تنكرية للموتى، غادة السمان، منشورات غادة السمان، بيروت، ٢٠٠٣.	سورية
٧٢٠.	السوافح.. ماء النعيم، فريد رمضان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.	بحريني
٧٢١.	سواقي القلوب، إنعام ججه جي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.	عراقية
٧٢٢.	سوانح الصمت والسراب، جلول قاسمي، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٣.	مغربي
٧٢٣.	سور جدة، سعيد الوهابي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.	سعودي
٧٢٤.	سور جدة، سعيد الوهابي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.	سعودي
٧٢٥.	سورة الرياض، أحمد الواصل، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧.	سعودي
٧٢٦.	سوسن الفينقا، محمد خريف، مجلة الكلمة، العدد ٥٣، سبتمبر ٢٠١١.	تونسي
٧٢٧.	السوق الداخلي، محمد شكري، منشورات الجمل، كولونيا، ١٩٩٧.	مغربي
٧٢٨.	سولو، ماجد الجارد، نادي مكة الثقافي – مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٤.	سعودي
٧٢٩.	سيجارة سابعة، دنيا كمال، دار ميريت، القاهرة، ٢٠١٢.	مصرية
٧٣٠.	السيد الذي رحل، محمد قطب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.	مصري
٧٣١.	السيد من حقل السبانخ، صبري موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.	مصري
٧٣٢.	سيدة البيت العالي، محمد الخالدي، مطبعة فن الطباعة، تونس، ٢٠٠٧.	تونسي
٧٣٣.	سيدة المقام، واسيني الأعرج، دار ورد للطباعة، دمشق، ٢٠٠٦.	جزائري
٧٣٤.	سيدة الملكوت، المثنى الشيخ عطية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.	سوري

٧٣٥.	السيدة من تل أبيب، ربعي المدهون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.	فلسطيني
٧٣٦.	سيدي براني، محمد صلاح العزب، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
٧٣٧.	سيدي وحدانه، رجاء عالم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨.	سعودية
٧٣٨.	سيرة الانتهاك، أيمن مارديني، منشورات انتهاكات الرقمية، ٢٠١٦.	سوري
٧٣٩.	سيرة الرماد، خديجة مروازي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.	مغربية
٧٤٠.	سيرة الشيخ نور الدين، أحمد شمس الدين الحجاجي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصري
٧٤١.	سيرة الشيخ نور الدين، أحمد شمس الدين حجاجي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصري
٧٤٢.	سيرة مولع بالهوانم، طلال فيصل، دار ميريت، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٧٤٣.	سيرتها الأولى، محمود عبد الوهاب، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٧٤٤.	سيرك عمار، سعيد علوش، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠٠٨.	مغربي
٧٤٥.	السيف والزهرة، علي أبي الريش، مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، أبو ظبي، ١٩٨٤.	إماراتي
٧٤٦.	السيف والكلمة، عماد الدين خليل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.	عراقي
٧٤٧.	السيقان الرفيعة للكذب، عفاف السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصرية
٧٤٨.	سيكتوريوم، محمد فاروق المليجي، دار نهضة مصر، ٢٠١٥.	مصري
٧٤٩.	سيندروم، إبراهيم البجلاتي، دار الدار، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
٧٥٠.	الشاردة، أمل زيادة، إبداع للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
٧٥١.	شارع العطايف، عبد الله بخيت، دار الساقي، بيروت – لندن، ٢٠٠٩.	سعودي
٧٥٢.	شارع المحاكم، أسماء الزرعوني، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١١.	إماراتية
٧٥٣.	شارع برايندلي، ماجد العنزي، دار الفكر العربي، الدمام، ٢٠١١.	سعودي
٧٥٤.	شارع بسادة، سيد الوكيل، دار الناشر، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٧٥٥.	شارع مصنع النسيج، صفوت عبد المجيد، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصري
٧٥٦.	الشاهدات رأسا على عقب، راهيم حساوي، دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.	سوري

٧٥٧.	الشاهدة والزنجي، مهدي عيسى الصقر، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.	عراقي
٧٥٨.	شباب امرأة، أمين يوسف غراب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
٧٥٩.	شبابيك منتصف الليل، إبراهيم درغوثي، دار سحر، تونس، ١٩٩٦.	تونسي
٧٦٠.	شُبهة، هديل قاسم، المكتبة الشعبية ناشرون، نابلس، ٢٠١٥.	فلسطينية
٧٦١.	شجرة التوت، حسين عبد الكريم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.	سوري
٧٦٢.	شجرة الدلفي، إميلي نصر الله، منشورات نوفل، بيروت، ١٩٨١	لبنانية
٧٦٣.	شجرة العابد، عمار علي حسن، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٧٦٤.	شجرة اللبلاب، محمد عبد الحليم عبد الله، مطبوعات مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٤٩.	مصري
٧٦٥.	الشحاذ، نجيب محفوظ، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٧٦٦.	شخصيات حول بديعة، مصطفى عوض، حسناء للنشر، الإسكندرية، ٢٠١٥.	مصري
٧٦٧.	شرف قاطع الطريق، حنا مينه، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٤.	سوري
٧٦٨.	شرفة العار، إبراهيم نصر الله، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠.	أردني
٧٦٩.	شرق الدائري، خالد أحمد، دار المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٧٧٠.	شرق المتوسط، عبد الرحمن منيف،المؤسسة العربية للدراسات والنشر – المكتبة العالمية، بيروت – بغداد، ١٩٨٦.	سعودي
٧٧١.	شروكية، شوقي كريم، ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٩.	عراقي
٧٧٢.	الشطار، محمد شكري، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠.	مغربي
٧٧٣.	الشعلة وجبل الجليد، محمد حسن عبد الله، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٥.	مصري
٧٧٤.	شفاه غليظة، محمود تيمور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.	مصري
٧٧٥.	شفيقة وسرها الباتع، فؤاد قنديل، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٨٦.	مصري
٧٧٦.	شلة الأنس، مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤.	مصري
٧٧٧.	الشماعية، عبد الستار خالد، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٧.	عراقي
٧٧٨.	شمروخ، محمود تيمور، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، ١٩٩٣.	مصري
٧٧٩.	شمس المعارف، عمرو المنوفي، دار نون، الجيزة، ٢٠١٥.	مصري
٧٨٠.	الشمعة والدهاليز، الطاهر وطار، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤.	جزائري

٧٨١.	الشمندورة، محمد خليل قاسم، دار الكتاب العربي للطباعة ولنشر، القاهرة، ١٩٦٨.	مصري
٧٨٢.	الشميسي، تركي الحمد، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣.	سعودي
٧٨٣.	شهد القلعة، إبراهيم عبد المجيد، دار الدار، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٧٨٤.	شهرنان، إنجي مطاوع، دار غراب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصرية
٧٨٥.	شهوة الترجمان، شربل داغر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠١٥.	لبناني
٧٨٦.	شواطئ الدم، إبراهيم حسن ناصر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٨.	عراقي
٧٨٧.	شوق الدرويش، حمور زيادة، دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.	سوداني
٧٨٨.	الشويرة، محمد سيف الرحبي، بيت الغشام للنشر والتوزيع، مسقط، ٢٠١٤.	عماني
٧٨٩.	الشيء الآخر، سعيد سالم، دار طباعة المستقبل ومكتبة المعارف، بيروت، ٢٠٠٤.	مصري
٧٩٠.	شيء من الخوف، ثروت أباظة، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٠.	مصري
٧٩١.	شيروفوبيا، محمد نجيب عبد الله، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٧٩٢.	الشيطان لعبته المرأة – والمرأة لعبتها الرجل، أحمد الصاوي محمد، كتاب أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٧٠.	مصري
٧٩٣.	شيكاجو، علاء الأسواني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٧٩٤.	ص ب ١٠٠٣، سلطان العميمي، ثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١٤.	إماراتي
٧٩٥.	صابون تازة، إبراهيم الحجري، دار رواية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.	مغربي
٧٩٦.	صاحب الجلالة الحب، مصطفى أمين، دار الجليل، بيروت، ١٩٩١.	مصري
٧٩٧.	صانع الظلام، تامر إبراهيم، دار بلومزبيري، الدوحة، ٢٠١٢.	مصري
٧٩٨.	صائد اليرقات، أمير تاج السر، ثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١٠.	سوداني
٧٩٩.	الصحفي، محمد الناغي، دار إبداع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٨٠٠.	صخب البحيرة، محمد البساطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.	مصري
٨٠١.	الصدأ، ليلى جراغي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠.	عراقية
٨٠٢.	صدفة بتجمعنا، محمد عزب، دار العين، القاهرة، ٢٠١١	مصري
٨٠٣.	الصدمة، ياسمينة خضرا، ترجمة: نهلة بيضون، الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧.	جزائري
٨٠٤.	صدى السنين، عبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٣.	مصري

٨٠٥.	صراخ النوارس، مهدي عيسى الصقر، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧.	عراقي
٨٠٦.	صرخة، مها القصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.	سورية
٨٠٧.	صعلوك المدينة، سمير الحاج شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣.	لبناني
٨٠٨.	الصفة الثانية، إلهام منصور، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٨.	لبنانية
٨٠٩.	صقر قريش، علي أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.	مصري
٨١٠.	صلاة إبليس، أحمد قرني، دار النسيم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٨١١.	صلاة من أجل العائلة، رينيه الحايك، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.	لبنانية
٨١٢.	صلصال، خضير عبد الأمير، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦.	عراقي
٨١٣.	صمت الرمل، محمد عبد السلام العمري، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصري
٨١٤.	صمت الفراشات، ليلى العثمان، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٧.	كويتية
٨١٥.	الصمت، هند الزيادي، كتابنا للنشر، المنصورية (لبنان)، ٢٠٠٩.	تونسية
٨١٦.	الصندوق الأسود، كليزار أنور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.	عراقية
٨١٧.	صندوق الدمي، شيرين هانئ، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢.	مصرية
٨١٨.	صنعائي، نادية الكوكباني، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠١٣.	يمنية
٨١٩.	صياد الملائكة، هدرا جرجس، دار الربيع العربي، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٨٢٠.	الصيحة، فاطمة أنزر اللواتي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠١٢.	عمانية
٨٢١.	صيد البط البري، محمود سعيد، دار ضفاف، الشارقة، ٢٠١٣.	عراقي
٨٢٢.	الضباع، إبراهيم الخليل، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٠.	سوري
٨٢٣.	ضجة في ذلك الزقاق، غانم الدباغ، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٢.	عراقي
٨٢٤.	الضحك، غالب هلسا، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.	أردني
٨٢٥.	الضفة الثالثة لنهر الأردن، حسين البرغوثي، دار الماجد، رام الله، ٢٠٠٦.	فلسطيني
٨٢٦.	طابق ٩٩، جنى فواز الحسن، ضفاف – الاختلاف، الرياض / بيروت / الجزائر، ٢٠١٤.	لبنانية
٨٢٧.	طارئ، أمير عاطف، نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٨٢٨.	طائر أزرق نادر يحلق معي، يوسف فاضل، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٣.	مغربي
٨٢٩.	طائر الحوم، حليم بركات، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩.	سوري

٨٣٠.	طائر الخراب، حبيب عبد الرب سروري، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ٢٠٠٥.	يمني
٨٣١.	طائر السنونو، حيدر حيدر، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨.	سوري
٨٣٢.	طائر النار، قمر كيلاني، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١.	سورية
٨٣٣.	طرشقانة، مسعودة بو بكر، دار سحر للنشر، تونس، ١٩٩٩.	تونسية
٨٣٤.	طريق التائه، محمد غزلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤.	مصري
٨٣٥.	طريق الغرام، ربيعة ريحان، دار توبقال، الدار البيضاء، ٢٠١٣.	مغربية
٨٣٦.	الطريق المسدود، إحسان عبد القدوس، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٦٦.	مصري
٨٣٧.	طريق النسيان، نتيلة التباينية، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٣.	تونسية
٨٣٨.	طريق إلى البحر، فاروق وادي، دار ابن رشد، بيروت، ١٩٨٠.	فلسطيني
٨٣٩.	الطريق إلى الشمس، عبد الكريم ناصيف، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.	سوري
٨٤٠.	الطريق إلى بلحارث، جمال ناجي، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٢.	أردني
٨٤١.	الطريق إلى عدن، عمر الطالب، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٤.	عراقي
٨٤٢.	الطريق إلى مكة، محمد العربي عمران، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣.	يمني
٨٤٣.	الطريق، نجيب محفوظ، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٨٤٤.	طشاري، إنعام كجه لي، دار الجديد، بيروت، ٢٠١٣.	عراقية
٨٤٥.	طعم الأيام، أمنية طلعت، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصرية
٨٤٦.	طعم الفراق، ربعي المدهون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١.	فلسطيني
٨٤٧.	طفل الرمال، الطاهر بن جلون، ترجمها من الفرنسية: محمد الشركي، دار توبقال، الدار البيضاء، ٢٠٠١.	مغربي
٨٤٨.	طقس حار، الحسن البكري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.	سوداني
٨٤٩.	طقس، أمير تاج السر، بلومزبري، الدوحة، ٢٠١٥.	سوداني
٨٥٠.	طلعة البدن، مسعد أبو فجر، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٨٥١.	الطلياني، شكري المبخوت، دار التنوير، القاهرة، ٢٠١٤.	تونسي
٨٥٢.	الطموح، عرعار محمد العالي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٨.	جزائري
٨٥٣.	طواحين بيروت، توفيق يوسف عواد، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩١.	لبناني

٨٥٤.	الطواحين، عبد العزيز بركة ساكن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.	سوداني
٨٥٥.	الطواف حيث الجمر، بدرية الشحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦.	عمانية
٨٥٦.	طوق الطهارة، محمد حسن علوان، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٧.	سعودي
٨٥٧.	طوق من مسد، مصطفى البلكي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
٨٥٨.	الطوق والأسورة، يحيي الطاهر عبد الله، الأعمال الكاملة، دار المستقبل العربي، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٨٥٩.	الطين، عبده خال، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.	سعودي
٨٦٠.	طيور الجنوب، أماني أبو الفضل، دار الفكر، ناشر إلكتروني، ٢٠٠٥.	مصرية
٨٦١.	طيور الهوليداي إن، ربيع جابر، دار التنوير، بيروت، ٢٠١١.	لبناني
٨٦٢.	طيور أيلول، إميلي نصر الله، الدار الأهلية، بيروت، ١٩٦٢.	لبنانية
٨٦٣.	الطيور لن تعود، عبد المقصود محمد، روايات الهلال، القاهرة، ١٩٨٥.	مصري
٨٦٤.	الظافرون بالعار، عمر عبد الله، بدون ناشر، القدس، ١٩٨٩.	فلسطيني
٨٦٥.	الظل والصدى، يوسف حبشي الأشقر، دار النهار، بيروت، ١٩٨٩.	لبناني
٨٦٦.	ظلال الجفر، وليد أحمد دماج، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٣.	يمني
٨٦٧.	الظلال الطويلة، أمجد توفيق، جريدة الزمان، أسبوعيا من ٢١ إبريل ٢٠٠٤ حتى ١٢ مايو ٢٠٠٥.	عراقي
٨٦٨.	ظلال الوأد، منيرة السبيعي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.	سعودية
٨٦٩.	ظمأ الليالي، مصطفى نصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصري
٨٧٠.	العابر، جلول قاسمي، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٩.	مغربي
٨٧١.	العاشق ينتظر، علي أبو المكارم، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٩٢.	مصري
٨٧٢.	العاشقان، أحمد عبد الله متولي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧.	مصري
٨٧٣.	العاطل، ناصر عراق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٨٧٤.	عالم صدام حسين، مهدي حيدر، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٣.	عراقي
٨٧٥.	العالم على جسدي، يوسف نبيل وزينب محمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري / مصرية
٨٧٦.	عام الفيل، ليلى أبو زيد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٣.	مغربية
٨٧٧.	عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥.	فلسطيني

٨٧٨.	عائشة تنزل إلى العالم السفلي، بثينة العيسى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.	كويتية
٨٧٩.	عائشة، البشير بن سلامة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢.	تونسي
٨٨٠.	عائلة من فخار، محمد مفلاح، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ٢٠٠٨.	جزائري
٨٨١.	عبث، إبراهيم محمد النملة، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.	سعودي
٨٨٢.	عبد الباقي قربوعة، زغب الخوخ، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧.	جزائري
٨٨٣.	العبور إلى الحقيقة، شعاع خليفة، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، ١٩٩٣.	قطرية
٨٨٤.	العتبات، مفلح العدوان، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.	أردني
٨٨٥.	العذراء والشعر الأبيض، إحسان عبد القدوس، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٧.	مصري
٨٨٦.	عذراء وولي وساحر، سارة الجروان الكعبي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.	إماراتية
٨٨٧.	العراء، حفيظة بيبان، دار نقوش عربية، تونس، ٢٠١٢.	تونسية
٨٨٨.	عراقي في باريس، صموئيل شمعون، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠١٢.	عراقي
٨٨٩.	عراقيون أجناب، فيصل عبد الحسن، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٩.	عراقي
٨٩٠.	عرائس الصوف، ميس خالد العثمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.	كويتية
٨٩١.	العربة الرمادية، بشرى أبو شرار، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٥.	فلسطينية
٨٩٢.	العربية الذهبية لا تصعد السماء، سلوى بكر، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩١.	مصرية
٨٩٣.	عرس الزين، الطيب صالح، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.	سوداني
٨٩٤.	عرش معشّق، ربيعة جلطي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٣.	جزائرية
٨٩٥.	العريضة، نورة آل سعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.	قطرية
٨٩٦.	عزازيل، يوسف زيدان، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
٨٩٧.	عسل الملكات، ماجد أبو غوش، الدار الأهلية للنشر، عمان، ٢٠١٥.	فلسطيني
٨٩٨.	عشبة الملائكة، حسن الفرطوسي، دار الفارابي – دار الفراشة للنشر والتوزيع، بيروت – الكويت، ٢٠١١.	عراقي
٨٩٩.	عشريني وأربعينك، حنان مسلم، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٠.	سعودية
٩٠٠.	العشق الدمشقي، دياب عيد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.	سوري
٩٠١.	عشق، أحمد عبد المجيد، نون للنشر والتوزيع، القاهرة.	مصري

٩٠٢.	عشيقة حبيبي، جورجيت حنوش، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٤.	لبنانية
٩٠٣.	عصابة الوردة الدامية، مؤنس الرزاز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧.	أردني
٩٠٤.	عصافير الفجر، ليلى عسيران، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩١.	لبنانية
٩٠٥.	عصفور من الشرق، توفيق الحكيم، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٣٨.	مصري
٩٠٦.	عصي الدم، منهل السراج، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.	سورية
٩٠٧.	عطارد، محمد ربيع، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٥.	مصري
٩٠٨.	العطر الفرنسي، أمير تاج السر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.	سوداني
٩٠٩.	عطر نسائي، عماد براكة، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، ٢٠٠٧.	سوداني
٩١٠.	عطش الليل، عبد القادر الدحمني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ٢٠٠٩.	مغربي
٩١١.	العطيلي، نبيل أبو حمد، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١.	لبناني
٩١٢.	العفاريت، إبراهيم الحجري، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٣.	مغربي
٩١٣.	عقدة سليمان، محمد عزب، دار إبداع، القاهرة، ٢٠١٥	مصري
٩١٤.	عقل بلا جسد، أحمد خالد توفيق، دايموند بوك، الكويت، ٢٠٠٨.	مصري
٩١٥.	عقل سيء السمعة، زينب حفني، نوفل – دمغة التاشر هاشيت أنطوان، بيروت، ٢٠١٥.	سعودية
٩١٦.	عكس الاتجاه، ياسر أحمد، دار العين، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٩١٧.	علم الدين عبد اللطيف، السور والعتبات، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٨.	سوري
٩١٨.	العلم، فتحي إمبابي، روايات الهلال، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
٩١٩.	على الجسر ببغداد، كمال السيد، دار الصفوة، بيروت، ١٩٩٨، ص.	عراقي
٩٢٠.	على جناح الطير، سميحة خريس، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠١٢.	سورية
٩٢١.	على شاطئ الترحال، راوية جرجورة، مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠١٥.	فلسطينية
٩٢٢.	على شفا الموت – على شفا الجنون، محمد حسين يونس، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٥.	مصري
٩٢٣.	على صدري، منهل السراج، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت – دمشق، ٢٠٠٧.	سورية

٩٢٤.	على ضفاف البحيرة، مصطفى لغتيري، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢	مغربي
٩٢٥.	على فراش فرويد، نهلة كرم، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
٩٢٦.	عمارة يعقوبيان، علاء الأسواني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٩٢٧.	العمة أخت الرجال، أحمد أبو خنيجر، دار الحضارة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
٩٢٨.	عمر الجنة، مجموعة "أكنس الشمس عن السطوح"، حنان الشيخ، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٤.	لبنانية
٩٢٩.	عمل أسود، تامر عطوة، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.	مصري
٩٣٠.	عناق عند جسر بروكلين، عز الدين شكري، دار العين، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٩٣١.	عندما تشيخ الذئاب، جمال ناجي، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ٢٠٠٨.	أردني
٩٣٢.	عندما يطغى النساء، عبد الحميد ضحا، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٩٣٣.	العنقاء أو تاريخ حسن مفتاح ،لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٩٣٤.	العنكبوت، مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.	مصري
٩٣٥.	عهد الشيطان، توفيق الحكيم، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
٩٣٦.	عهر مقدس، أميرة عز الدين، نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.	مصرية
٩٣٧.	عواصف، يوسف عز الدين عيسى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٩٣٨.	العودة إلى الحب، عبد البديع عبد الله، منشورات روح العصر، القاهرة، ١٩٨٢.	مصري
٩٣٩.	العودة إلى جذوري البدوية، سيف شمس الدين الألوسي، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ٢٠١٤.	عراقي
٩٤٠.	عويل الأشباح، علاء محمود، دار الرسم بالكلمات، الجيزة، ٢٠١٥.	مصري
٩٤١.	العيب، يوسف إدريس، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٨.	مصري
٩٤٢.	عيد العشاق، سامر أبو هواش، منشورات الجمل، كولونيا – بغداد، ٢٠٠٥.	لبناني
٩٤٣.	عين الحجر، علاوة بوجادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٨.	جزائري
٩٤٤.	عين الشمس، ابتسام إبراهيم التريسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠.	سورية
٩٤٥.	عين الشمس، خليفة حسين مصطفى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٨٣.	ليبي

٩٤٦.	عين المرآة، ليانة بدر، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٠.	فلسطينية
٩٤٧.	عين حمئة، ماجد سليمان، طوي للثقافة والنشر والإعلام، لندن، ٢٠١١.	سعودي
٩٤٨.	العين ذات الجفن المعدنية، شريف حتاتة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٤.	مصري
٩٤٩.	عيناك قدري، غادة السمان، منشورات غادة السمان، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٢.	سورية
٩٥٠.	غادة كربلاء، جورجي زيدان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.	لبناني
٩٥١.	الغائب، أنيس الرافعي، دار المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	تونسي
٩٥٢.	الغائب، أنيس بن عمار، المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	تونسي
٩٥٣.	غايب، بتول الخضيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.	عراقي
٩٥٤.	غدا يوم جديد، عبد الحميد هدوقة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.	جزائري
٩٥٥.	غراميات شارع الأعشى، بدرية البشر، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.	سعودية
٩٥٦.	غرباء بيننا، محمد نجيب مطر، حروف منثورة للنشر الإلكتروني، ٢٠١٥.	مصري
٩٥٧.	الغرفة ٢٥٧، علي أبو الريش، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩.	إماراتي
٩٥٨.	غرفة العناية المركزة، عز الدين شكري فشير، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
٩٥٩.	غريب النهر، جمال ناجي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.	أردني
٩٦٠.	الغزال العاشق، صابرين الصباغ، دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصرية
٩٦١.	الغزو عشقا، نجلاء محرم، مطابع آيات، الزقازيق، ٢٠٠٥.	مصرية
٩٦٢.	غصن الزيتون، محمد عبد الحليم عبد الله، مكتبة مصر، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
٩٦٣.	غيبوبة بدون جنون، محمد الجمل، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٤.	مصري
٩٦٤.	الغيث، محمد ساري، منشورات البرزخ، الجزائر، ٢٠٠٧.	جزائري
٩٦٥.	الغيمة الرصاصية، علي الدميني، دار الكنوز الأدبية، بيروت ٢٠٠٥.	سعودي
٩٦٦.	غيوم، نازك ضمرة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.	فلسطيني
٩٦٧.	فاصل للدهشة، محمد الفخراني، الكتب خانة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
٩٦٨.	فاطمة، محمد نفاع، دار راية للنشر، حيفا، ٢٠١٥.	فلسطيني
٩٦٩.	فتنة السنونو، عبد الله بلغزار، فالية للطباعة والنشر والتوزيع، بني ملال (المغرب)، ٢٠١٤.	مغربي
٩٧٠.	الفخ، عماد طراد، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٧.	سوري
٩٧١.	فخر الدين، عز الدين شكري، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٥.	مصري

٩٧٢.	فديتك ليلى، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٧.	مصري
٩٧٣.	الفراغ العريض، ملكة الدار محمد عبد الله، المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون، الخرطوم، ١٩٧٢.	سودانية
٩٧٤.	فراق في طنجة، عبد الحي مودن، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ١٩٩٦.	مغربي
٩٧٥.	فرانكشتاين في بغداد، أحمد سعداوي، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠١٣.	عراقي
٩٧٦.	فرج، رضوى عاشور، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصرية
٩٧٧.	الفردوس المحرم، يحيي القيسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٦.	أردني
٩٧٨.	الفردوس اليباب، ليلى الجهني، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ١٩٩٨.	سعودية
٩٧٩.	فردوس، محمد البساطي، دار بيروت، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصري
٩٨٠.	فرس العائلة، محمود شقير، نوفل هاشيت أنطوان، بيروت، ٢٠١٣.	فلسطيني
٩٨١.	فرط الرمان، محمد جلال، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٦.	مصري
٩٨٢.	فريج المُرَر، حامد الناظر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠١٤.	سوداني
٩٨٣.	فساد الأماكن، صبري موسى، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٦.	مصري
٩٨٤.	فستان فرح، رباب كساب، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢.	مصرية
٩٨٥.	الفشل في النوم مع السيدة نون، ممدوح رزق، دار الحضارة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
٩٨٦.	فضاءات مدينة، رضا صالح، بيت الياسمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
٩٨٧.	فكرة.. حبل ومقص، فاطمة خليفة مؤذن، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١، ص ٩٣.	لبنانية
٩٨٨.	فندق بارون، عبده خليل، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.	سوري
٩٨٩.	فندق كويستيان، خضير فليح الزيدي، دار الحريري، بيروت، ٢٠١٤.	عراقي
٩٩٠.	فوضى الحواس، أحلام مستغانمي، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨.	جزائرية
٩٩١.	فوضى، مأمون أحمد مصطفى، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١.	فلسطيني
٩٩٢.	في البال، غصون رحال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.	أردنية
٩٩٣.	في المنفى، جورج سالم، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٢.	سوري
٩٩٤.	في انتظار الحياة، كمال الزغباني، دار أديكوب للنشر، تونس، ٢٠٠١.	تونسي
٩٩٥.	في بيتنا رجل، إحسان عبد القدوس، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٩.	مصري

٩٩٦.	في حضرة العنقاء والخل الوفي، إسماعيل فهد إسماعيل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣.	كويتي
٩٩٧.	في صحتك يا وطن، محمد الجيزاوي، دار ليلى، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
٩٩٨.	في غيابها، نبيل سليمان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩.	سوري
٩٩٩.	في قلبي أنثى عبرية، خولة حمدي، دار كيان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.	تونسية
١٠٠٠.	في معنى أن أكبر، ليلى الجهني، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٩.	سعودية
١٠٠١.	في مهب الريح، تيسير دبابنة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.	أردني
١٠٠٢.	فياجرا الوجع، سماح أبو العلا، دار غراب للنشر والتوزيع، القاهرة.	مصرية
١٠٠٣.	فئران تجارب، جمعة عبد الله، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٣،	عراقي
١٠٠٤.	الفئران، حميد العقابي، منشورات الجمل، بغداد – بيروت، ٢٠١٣.	عراقي
١٠٠٥.	فيوليت والبكباشي، عمرو كمال حمودة، هفن للترجمة والنشر والبرمجيات، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
١٠٠٦.	قابيل.. أين أخوك هابيل؟، إبراهيم الكوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.	ليبي
١٠٠٧.	قالت ضحى، بهاء طاهر، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٥.	مصري
١٠٠٨.	قامات الزبد، إلياس فركوح، مؤسسة الأبحاث العربية – دار منارات، بيروت – عمان، ١٩٨٧.	أردني
١٠٠٩.	قانون مريم، كلاديس مطر، دار ورد، دمشق، ٢٠١٢.	سورية
١٠١٠.	قاهر الزمن، نهاد شريف، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٢.	مصري
١٠١١.	القاهرة الجديدة، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
١٠١٢.	القبر المجهول، أحمد ولد عبد القادر، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.	موريتاني
١٠١٣.	قبر راحيل، محمد عزب، دار العين، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري
١٠١٤.	قبل الرحيل، يوسف جاد الحق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.	فلسطيني
١٠١٥.	قبل وبعد، توفيق عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
١٠١٦.	قبلتي يا شام، يوسف الأبطح، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨.	فلسطيني
١٠١٧.	قبو العباسيين، هيفاء بيطار، دار السوسن للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦.	سورية
١٠١٨.	قتلة، ضياء الخالدي، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٢.	عراقي

١٠١٩.	قد يأتي الخريف ربيعا، عائدة الخالدي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.	سورية
١٠٢٠.	قدر الغرف المُقبضة، عبد الحكيم قاسم، مطبوعات القاهرة، ١٩٨٢.	مصري
١٠٢١.	قرابين لمزارات بعيدة، ظافر النجار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.	سوري
١٠٢٢.	القران المقدس، طيف الحلاج، (اسم مستعار)، فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، ٢٠٠٧.	سعودية
١٠٢٣.	القرمطي، أحمد رفيق عوض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٤.	فلسطيني
١٠٢٤.	القرين، سليمان فياض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.	مصري
١٠٢٥.	قسمة الروح، مايا الطرابيلي، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصرية
١٠٢٦.	قصر الشوق، نجيب محفوظ، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧١.	مصري
١٠٢٧.	قصر العيني، محمد عباس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢.	مصري
١٠٢٨.	قصور على الرمال، صوفي عبد الله، دار ومكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨.	مصرية
١٠٢٩.	قطة في سوق السمك، عبد الفتاح رزق، كتاب أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٦.	مصري
١٠٣٠.	قطرات من الدموع، سميرة خاشقجي، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠.	سعودية
١٠٣١.	قطط إنستجرام، باسمة العنزي، دار العين، القاهرة، ٢٠١٥.	كويتية
١٠٣٢.	قطعة ناقصة من سماء دمشق، رائد وحش، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، بدعم من الصندوق العربي للثقافة (آفاق)، دمشق، ٢٠١٥.	فلسطيني
١٠٣٣.	قلادة قرنفل، زهور كرام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٤.	مغربية
١٠٣٤.	القلاع المتآكلة، أحمد ساري، منشورات البرزخ، الجزائر، ٢٠١٣.	جزائري
١٠٣٥.	قلب الليل، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
١٠٣٦.	قلب مفتوح، عبد وازن، منشورات الاختلاف – الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر – بيروت، ٢٠١٠.	لبناني
١٠٣٧.	قلب من بنقلان، سيف الإسلام بن سعود، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٤.	سعودي
١٠٣٨.	القلعة الخامسة، فاضل العزاوي، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٠.	عراقي
١٠٣٩.	القلق السري، فوزية رشيد، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠.	بحرينية
١٠٤٠.	القلوب البيضاء، يوسف القعيد، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.	مصري
١٠٤١.	قمر، مريم البنا، وكالة إسفينكس، االقاهرة، ٢٠١٥.	مصرية

١٠٤٢.	قميص الصوف، مجموعة "قميص الصوف"، توفيق يوسف عواد، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥.	لبناني
١٠٤٣.	قميص يوسف، سلطان فيصل، دار كُتّاب للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠١٤.	إماراتي
١٠٤٤.	قناديل الليالي المعتمة، علي المزعل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.	سوري
١٠٤٥.	القنافذ في يوم ساخن، فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٢.	عراقي
١٠٤٦.	القندس، محمد حسن علوان، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.	سعودي
١٠٤٧.	قنديل أم هاشم، يحيى حقي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٠.	مصري
١٠٤٨.	قنص، عواض العصيمي، دار أثر، بيروت، ٢٠١١.	سعودي
١٠٤٩.	القنفذ، إسلام أبو شكير، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.	سوري
١٠٥٠.	قوارب جبلية، وجدي الأهدل، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٢.	يمني
١٠٥١.	قوة الضحك في أورا، حسن مطلك، الدون كيشوت للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٣.	عراقي
١٠٥٢.	القوس والفراشة، محمد الأشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١١.	مغربي
١٠٥٣.	القوقعة، مصطفى خليفة، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨.	سوري
١٠٥٤.	قيد الفراشات، شيرين سامي، دار نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
١٠٥٥.	الكابوس، أمين شنار، دار النهار، بيروت، ١٩٦٨.	فلسطيني
١٠٥٦.	كاشف الأسرار، هدى الشوا، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.	فلسطينية
١٠٥٧.	كاللولو، حياة الياقوت، ناشري للنشر الإلكتروني، ٢٠١٢.	كويتية
١٠٥٨.	كان وأخواتها، نشر الفنك، الدار البيضاء، ٢٠١٠.	مغربي
١٠٥٩.	كان، مجموعة "سارق الكحل"، يحيى حقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
١٠٦٠.	كانت المدن ملونة، رجاء نعمة، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٠.	لبنانية
١٠٦١.	كاهنات معبد أور، رسمية محيبس، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥.	عراقية
١٠٦٢.	كائن العزلة، محمود الغيطاني، سنابل، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
١٠٦٣.	كائن مؤجل، فهد العتيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤.	سعودي

١٠٦٤.	كائنات من غبار، هشام الشاوي، مطابع الأنوار المغاربية، وجدة، ٢٠١١.	مغربي
١٠٦٥.	كتاب النحات، أحمد عبد اللطيف، دار آفاق للنشر، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٠٦٦.	كتيبة الخراب، عبد الكريم جويطي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.	مغربي
١٠٦٧.	كرنفال، محمد الباردي، دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٤.	تونسي
١٠٦٨.	الكرنك، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
١٠٦٩.	كش وطن، شهيد حلفي، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥.	عراقي
١٠٧٠.	كش وطن، شهيد، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥.	عراقي
١٠٧١.	كفاح طيبة، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠.	مصري
١٠٧٢.	كل الأمور السيئة، محمد مجدي، دار دون، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
١٠٧٣.	كلاب جلجامش، شاكر نوري الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠٠٨.	عراقي
١٠٧٤.	كلب بلدي مدرب، محمد علاء الدين، دار العين، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
١٠٧٥.	كلما عاد الربيع، إقبال بركة، كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٨٥.	مصرية
١٠٧٦.	كلهم أعدائي، رجاء عليش، دار أسامة، القاهرة، ١٩٧٩.	مصري
١٠٧٧.	كم بدت السماء قريبة، بتول الخضيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.	عراقية
١٠٧٨.	كنت أميرا، ربيع جابر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧.	لبناني
١٠٧٩.	الكنز التركي، سيف الإسلام بن سعود، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧.	سعودي
١٠٨٠.	كنز القيصر المفقود، وليد عودة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.	فلسطيني
١٠٨١.	الكهف السحري، طه وادي، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٣.	مصري
١٠٨٢.	كوابيس بيروت، غادة السمان، منشورات غادة السمان، بيروت، ١٩٧٦.	سورية
١٠٨٣.	كوابيس هلسنكي، يوسف أبو فواز، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠١١.	عراقي
١٠٨٤.	كوبنهاجن – مثلث الموت، حسين السكاف، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٥.	عراقي
١٠٨٥.	الكودية، نبيل راغب، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.	مصري
١٠٨٦.	كوكو سودان كباشي، سلوى بكر، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٤.	مصرية
١٠٨٧.	كيغار، منى سلامة، عصير الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
١٠٨٨.	كيفية ألا أكون هكذا، أحمد ماضي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري

١٠٨٩.	اللا اجتماعيون، فارس زرزور، دار الجليل، دمشق، ١٩٨١،	سوري
١٠٩٠.	لا أحد في تبوك، مطلق البلوي، دار جداول للنشر، بيروت، ٢٠١١.	سعودي
١٠٩١.	لا أحد ينام في الإسكندرية، إبراهيم عبد المجيد، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٦.	مصري
١٠٩٢.	لا أحد، سليمان فياض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢.	مصري
١٠٩٣.	لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٣.	مصري
١٠٩٤.	لا أنام، إحسان عبد القدوس، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٩.	مصري
١٠٩٥.	لا تقصص رؤياك، عبد الوهاب الحمادي، المركز القافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٤.	كويتي
١٠٩٦.	لا تلمني، بيار روفايل، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.	لبناني
١٠٩٧.	لا طريق إلى الجنة، حسن داوود، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.	لبناني
١٠٩٨.	لا عاش قلبي، أمل شطا، دار خوارزم، جدة، ٢٠٠٧.	سعودية
١٠٩٩.	لا يوجد مصور في عنيزة، خالد البسام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.	سعودي
١١٠٠.	اللآلئ، عبد الله خليفة، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨١.	بحريني
١١٠١.	لأني أسود، سعداء الدعاس، أدفايس للإنتاج الفني، الكويت، ٢٠١٠.	كويتية
١١٠٢.	لأني أشتاق إليك، سناء أبو شرار، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١١.	فلسطينية
١١٠٣.	اللجنة، صنع الله إبراهيم، دار كلمة، بيروت، ١٩٨١.	مصري
١١٠٤.	لحظات لا غير، فاتحة مرشيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.	مغربية
١١٠٥.	لحظة ضعف، فؤاد صادق مفتي، مكتبة تهامة، جدة، ٢٠٠٠.	سعودي
١١٠٦.	لحظة طيش، حسن محسب، كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٧٦.	مصري
١١٠٧.	لخضر، ياسمينة صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.	جزائرية
١١٠٨.	اللص والكلاب، نجيب محفوظ، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٣	مصري
١١٠٩.	لعبة المغزل، حجي جابر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٥.	إرتري
١١١٠.	لعبة دي نيرو، راوي حاج، ترجمة: فدى الحاج يونس، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢.	لبناني
١١١١.	اللعبة، يوسف الصائغ، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٨٣.	عراقي
١١١٢.	لعنة الواقف، بسام شمس، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠١٤.	يمني
١١١٣.	لغة السر، نجوى بركات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.	لبنانية
١١١٤.	لقاء مع رجل مجهول، محمد صدقي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (دار الكتاب العربي)، القاهرة، ١٩٦٩.	مصري

١١١٥.	للجوع وجوه أخرى، وفاء البوعيسى، منشورات مجلة المؤتمر، طرابلس، ٢٠٠٦.	ليبية
١١١٦.	لم أعد أبكي، زينب حفني، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٤.	سعودية
١١١٧.	لمبيدوزا، عبد الحمن عبيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ٢٠١١.	مغربي
١١١٨.	لن أعيش في جلباب أبي، إحسان عبد القدوس، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٢.	مصري
١١١٩.	لندنستان، حنان الشيخ، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.	لبنانية
١١٢٠.	لو وضعتم الشمس في يدي، خليل النعيمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١.	سوري
١١٢١.	لوسيفر، محمد علي النصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – عمان، ٢٠١٦.	عراقي
١١٢٢.	لوعة الغاوية، عبده خال، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.	سعودي
١١٢٣.	لونجة والغول، زهور ونيس، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٣.	جزائرية
١١٢٤.	لونجة والغول، زهور ونيسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٣.	جزائرية
١١٢٥.	ليال بلا جدران، حسن المددي، دار توبقال، الدار البيضاء، ٢٠١٤.	مغربي
١١٢٦.	ليالي السيد، أحمد جاد الكريم، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
١١٢٧.	ليتني امرأة عادية، هنوف الجاسر، دار كلمات للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.	سعودية
١١٢٨.	ليل آخر، نعيم عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.	مصري
١١٢٩.	ليل علي بابا الحزين، عبد الخالق الركابي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣.	عراقي
١١٣٠.	ليلة الجنون، منى الشافعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.	كويتية
١١٣١.	ليلة الغياب، مسعودة بو بكر، دار سحر للنشر، تونس، ١٩٩٧.	تونسية
١١٣٢.	ليلة القبض على فاطمة، سكينة فؤاد، كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٨٠.	مصرية
١١٣٣.	ليلة القدر، الطاهر بن جلون، ترجمة: محمد الشركي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.	مغربي
١١٣٤.	ليلة حب، محمد عبد الملك، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٨.	بحريني
١١٣٥.	ليلة عاشوراء، صلاح والي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٢.	مصري
١١٣٦.	ليلة عسل، مؤنس الرزاز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.	أردني

١١٣٧.	ليلة في سجن المالكي، عبد الستار حتيتة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصري
١١٣٨.	ليلة واحدة، كوليت خوري، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٠.	سورية
١١٣٩.	ليلتان وظل امرأة، ليلى الأطرش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠.	أردنية
١١٤٠.	ليلى والمجهول، إقبال بركة، مكتبة قناة السويس، الإسماعيلية، ١٩٨٠.	مصرية
١١٤١.	ليمبو بيروت، هلال شومان، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٣.	لبناني
١١٤٢.	ليون الأفريقي، أمين معلوف، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٧.	لبناني
١١٤٣.	ما بعد الفقد، بدرية البدري، بيت الغشام للنشر والترجمة، مسقط، ٢٠١٤.	عمانية
١١٤٤.	ما تبقى من أوراق محمد الوطبان، محمد الرطيان، طوي، بيروت – لندن، ٢٠٠٩.	سعودي
١١٤٥.	ما رواه النوم، هلال شومان، دار ملامح للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨.	لبناني
١١٤٦.	ماء وأسماء، محمد أبو معتوق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.	سوري
١١٤٧.	ماذا لو، سارة العبادي، جائزة الإمارات للرواية، برنامج الروائي، ٢٠١٦.	مصرية
١١٤٨.	ماريا بين السهم والوتر، فاطمة يوسف عبد الرحيم، دار الحسن للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.	أردنية
١١٤٩.	مأساة العصر الجميل، ضياء الشرقاوي، في "بيت الريح"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.	مصري
١١٥٠.	مالا تذروه الرياح، عرعار محمد العالي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٢.	جزائري
١١٥١.	مالك الحزين، إبراهيم أصلان، الشروق، القاهرة، ٢٠٠٥.	مصري
١١٥٢.	مالك، محمود بكري، دار الرسم بالكلمات، الجيزة، ٢٠١٤.	مصري
١١٥٣.	المأوى، أمير حسين، نون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
١١٥٤.	مائتا كيلو متر جنوبا، محمد ثابت توفيق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
١١٥٥.	المباءة، محمد عز الدين التازي، مكتبة الأمة، الدار البيضاء، ٢٠٠٥.	مغربي
١١٥٦.	المبتسرون، أروى صالح، مكتبة طريق العلم، القاهرة، ١٩٩٧.	مصرية
١١٥٧.	مبكى العشاق، يوسف السباعي، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٥١.	مصري

١١٥٨.	متاهات ليل الفتنة، أحميدة عياش، منشورات البرزخ، الجزائر، ٢٠٠٣.	جزائري
١١٥٩.	متاهة الرمل، الحبيب السالمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.	تونسي
١١٦٠.	متاهة قابيل، برهان شاوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣.	عراقي
١١٦١.	متتالية أمل، محمد الحمراوي، دار الحلم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
١١٦٢.	المترجم الخائن، فواز حداد، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٨.	سوري
١١٦٣.	المترجمة، ليلى أبو العلا، ترجمة: الخاتم عدلان، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣.	سودانية
١١٦٤.	المتمردة، مليكة مقدم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٤.	جزائرية
١١٦٥.	متى يعود المطر، أديب نحوي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٠.	سوري
١١٦٦.	مثل إيكاروس، أحمد خالد توفيق، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
١١٦٧.	مجموعة "أرخص ليالي، يوسف إدريس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.	مصري
١١٦٨.	مجموعة "حيوانات أيامنا"، محمد المخزنجي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
١١٦٩.	مجنون الحكم، بنسالم حميش، رياض الريس، بيروت، ١٩٩٠.	مغربي
١١٧٠.	مجنون زينب، جمعه اللامي، الأعمال الروائية ص٢٥٧-٣٨٩، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، عمان،٢٠٠٤.	عراقي
١١٧١.	محاكمة طير البر، سالم محمود سالم، بلنسية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصري
١١٧٢.	محاولة عيش، محمد زفزاف، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٢.	مغربي
١١٧٣.	محاولة للخروج، عبد الحكيم قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.	مصري
١١٧٤.	محب، عبد الفتاح الجمل، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
١١٧٥.	المحبوبات، عالية ممدوح، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣.	عراقية
١١٧٦.	محطة الرمل، أحمد سلامة، دار دون، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١١٧٧.	محطة النهايات، عارف علوان، منشورات الجمل، كولونيا، ١٩٩٧.	عراقي
١١٧٨.	مخالب المتعة، فاتحة مرشيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٠.	مغربية
١١٧٩.	المخبر السري، سالم بخشي المندلاوي، دار الثقافة والنشر الكوردية، بغداد، ٢٠١٣.	عراقي
١١٨٠.	مخيلة الخندريس، عبد العزيز بركة ساكن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.	سوداني

١١٨١.	مدافن الموت، أسامة جمعة الأشقر، مؤسسة فلسطين للثقافة – صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١١.	فلسطيني
١١٨٢.	مدن ونساء، سعيد البادي، دار كتاب للنشر والتوزيع، الإمارات، ٢٠١٥.	إماراتي
١١٨٣.	مديح الكراهية، خالد خليفة، أميسا للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦.	سورية
١١٨٤.	المدينة الأخرى، خيري الذهبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥.	سوري
١١٨٥.	مدينة الله، حسن حميد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.	فلسطيني
١١٨٦.	مدينة المياه المعلقة، محمد مثنى، دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧.	يمني
١١٨٧.	مذكرات امرأة شيعية، رجاء نعمة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٣.	لبنانية
١١٨٨.	مذكرات امرأة غير واقعية، سحر خليفة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢.	فلسطينية
١١٨٩.	مذكرات رجل الغرفة، أحمد طوسون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١.	مصري
١١٩٠.	مذكرات كلب عراقي، عبد الهادي سعدون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١٢	عراقي
١١٩١.	مذنبون لون دمهم في كفي، الحبيب السائح، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمة، الجزائر، ٢٠٠٨.	جزائري
١١٩٢.	المرأة التي استنطقت الطبيعة، نادرة العويتي، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ١٩٨٣.	ليبية
١١٩٣.	المرأة والوردة، محمد زفزاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.	مغربي
١١٩٤.	مراتيج، عروسية النالوتي، دار الجنوب، تونس، ١٩٨٥.	تونسية
١١٩٥.	مرافئ الحب السبعة، علي القاسمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢.	عراقي
١١٩٦.	مراهقة، ماجدة العطار، دار الروائع، بيروت، ١٩٦٩.	سورية
١١٩٧.	مرايا فرانكشتاين، عباس بيضون، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.	لبناني
١١٩٨.	المرحوم، حسن كمال، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١١٩٩.	مرسى فاطمة، حجي جابر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٣.	إرتري
١٢٠٠.	المُرسي والأرض، فريد محمد معوض، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٢.	مصري
١٢٠١.	المرصد، حنا مينه، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣.	سوري

١٢٠٢.	مريم الحكايا، علوية صبح، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.	لبنانية
١٢٠٣.	مزاج مراهقة، فضيلة الفاروق، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٩.	جزائرية
١٢٠٤.	مسافة بين الوجه والقناع، نبيل عبد الحميد، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٧.	مصري
١٢٠٥.	مسافة في عقل رجل، علاء حامد، طبعة خاصة، القاهرة، ١٩٩٠.	مصري
١٢٠٦.	المسافر، إسلام عماد، دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
١٢٠٧.	مسألة وقت، منتصر القفاش، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
١٢٠٨.	المُستَبقي، حسين عبد الرحيم، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
١٢٠٩.	المسرات والأوجاع، فؤاد التكرلي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٨.	عراقي
١٢١٠.	المسرنمون، حسني حسن، شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.	مصري
١٢١١.	مسك الغزال، حنان الشيخ، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٠.	لبنانية
١٢١٢.	مسلة إبليس، علاء الصائغ، منشورات العهد الدولي، ولاية ميزوري، ٢٠١١.	عراقي
١٢١٣.	مشتهيات، سهام بدوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٧.	مصرية
١٢١٤.	مشرحة بغداد، برهان الشاوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.	عراقي
١٢١٥.	المصري، محمد أنقار، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٣.	مغربي
١٢١٦.	مطبخ الحب، عبد العزيز الراشدي، دار الأمان – ثقافة للنشر والتوزيع، الرباط – أبو ظبي، ٢٠١٢.	مغربي
١٢١٧.	مع سبق الإصرار والترصد، سهام مرضي، نادي حائل الأدبي – دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠.	سعودية
١٢١٨.	معبر المشاعر، ربى منصور، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٩.	سورية
١٢١٩.	المعجزة، محمود طرشونة، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، مطبعة علامات، تونس، ١٩٩٦.	تونسي
١٢٢٠.	المعلم عبد الرازق، سعود المظفر، مطابع النهضة، مسقط، ١٩٩٠.	عماني
١٢٢١.	المغتربون، محمد الاحسايني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٨.	مغربي
١٢٢٢.	مفاتيح مدينة، هيفاء زنكنة، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٠.	عراقية
١٢٢٣.	مفارق العتمة، محمد المزيني، دار الكفاح، الدمام، ٢٠٠٨.	سعودي
١٢٢٤.	مقبرة الإنجليز، علاء شاكر، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤.	عراقي
١٢٢٥.	مقبرة السعادة، عبد الله زريقة، نشر الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٨.	مغربي
١٢٢٦.	مقدسية أنا، علاء مهنا، مؤسسة عبد المحسن القطان – المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، رام الله – عمان، ٢٠١١.	فلسطيني
١٢٢٧.	مقصلة الحالم، جلال برجس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.	أردني

١٢٢٨.	مقهى سيليني، أسماء الشيخ، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤.	مصرية
١٢٢٩.	مكاتيب الغرام، حسيب كيالي، دار الفارابي، دمشق، ١٩٥٦.	سوري
١٢٣٠.	مكان اسمه كميت، نجم والي، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٧.	عراقي
١٢٣١.	ملامح، زينب حفني، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦.	سعودية
١٢٣٢.	ملح الأرض، صلاح دهني، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٢.	سوري
١٢٣٣.	ملكوت هذه الأرض، هدى بركات، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.	لبنانية
١٢٣٤.	الملهمات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١١.	مغربية
١٢٣٥.	مليم الأكبر، عادل كامل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.	مصري
١٢٣٦.	ممر الصفصاف، أحمد المديني، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ٢٠١٤.	مغربي
١٢٣٧.	ممر إلى الليل، إبتسام عبد الله، دور الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.	عراقية
١٢٣٨.	ممرات للفقد، هويدا صالح، الدار العربية للعلوم ناشرون – نادي جازان الأدبي، بيروت، ٢٠١٤.	مصرية
١٢٣٩.	من مكة إلى هنا، الصادق النيهوم، من مكة لهنا، تالة للطباعة والنشر، طرابلس.	ليبي
١٢٤٠.	من يبكي النوارس، زهرة المنصوري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.	مغربية
١٢٤١.	من يحب الفقر، عبد العزيز هلال، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٤.	سوري
١٢٤٢.	من يوميات السيد علي سعيد، عدنان رؤوف، وزارة الثقافة والفنون – دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.	عراقي
١٢٤٣.	من يؤنس السيدة، محمود الريماوي، دار فضاءات، عمان، ٢٠٠٩.	أردني
١٢٤٤.	منازل الوحشة، دُنى غالي، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٣.	عراقية
١٢٤٥.	المناضل، عزيز السيد جاسم، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٢.	عراقي
١٢٤٦.	منافي الرب، أشرف الخمايسي، دار الحضارة، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٢٤٧.	منة موال، فتحية الهاشمي، بدون دار نشر، تونس، ٢٠٠٧.	تونسية
١٢٤٨.	المنخورة، عبد الإله الرحيل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.	سوري
١٢٤٩.	المنصة، محمود علي فهمي، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠.	مصري
١٢٥٠.	منعطف الصابونجية، نيران العبيدي، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤.	عراقية
١٢٥١.	منينة بلانشيه، محمد ولد أمين، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.	موريتاني
١٢٥٢.	مها تبتسم للملائكة، علي عيد محمد، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري

١٢٥٣.	المهاجرون، سليم اللوزي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٥.	لبناني
١٢٥٤.	المهزومون، هاني الراهب، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.	سوري
١٢٥٥.	مواقيت التعري، هدرا جرجس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
١٢٥٦.	مواويل الغربة، لطيفة الحاج، الفارابي، بيروت، ٢٠٠٠.	لبنانية
١٢٥٧.	مواويل الليلة الكبيرة، غالي شكري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥.	مصري
١٢٥٨.	موت الأب، أحمد خلف، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢.	عراقي
١٢٥٩.	موت الفوات، محمد الهجابي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥.	مغربي
١٢٦٠.	موت رحيم، نبيل الملحم، موت رحيم، أطلس للنشر والإنتاج الثقافي، بيروت، ٢٠١٣.	سوري
١٢٦١.	موت مشتهى، عماد شيحة، دار السوسن، دمشق، ٢٠٠٥.	سوري
١٢٦٢.	موجيتوس، منير عتيبة، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠١٥.	مصري
١٢٦٣.	موسم الفراشات الحزين، أسامة حبشي، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
١٢٦٤.	موسم الهجرة إلى الشمال، الطيب صالح، دار الجيل، الجيزة، ١٩٩٩.	سوداني
١٢٦٥.	موسم صيد الزنجور، إسماعيل غزالي، دار العين، القاهرة، ٢٠١٣.	مغربي
١٢٦٦.	موسيقا الرقاد، زهير جبور، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.	سوري
١٢٦٧.	مولانا، إبراهيم عيسى، دار بلومزبري – مؤسسة قطر للنشر، قطر، ٢٠١٢.	مصري
١٢٦٨.	مولانا، محمد العون، الحضارة للنشر، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
١٢٦٩.	مئة وثمانون غربا، حسن داوود، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩.	لبناني
١٢٧٠.	الميتة الثالثة والأخيرة لعبد شويخ البدوين، أسعد الهلالي، دار الشؤون، بغداد، ٢٠١٠.	عراقي
١٢٧١.	الميراث، سحر خليفة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧.	فلسطينية
١٢٧٢.	ميسوبوتاميا، ابتسام عبد الله، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١.	عراقية
١٢٧٣.	ميكانيك الغرام، علي سرور، مركز الطب الطبيعي، صيدا، ٢٠٠٧.	لبناني
١٢٧٤.	مينا، سحر مندور، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٣.	مصرية
١٢٧٥.	الناب الأزرق، فؤاد قنديل، المطبعة الفنية، القاهرة، ١٩٨٢.	مصري
١٢٧٦.	نابروجادا، سلمى أنور، دار دون، القاهرة، ٢٠١٥.	مصرية
١٢٧٧.	نادي السيارات، علاء الأسواني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٢٧٨.	نادية، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٠.	مصري
١٢٧٩.	الناس الأكابر، يوسف جوهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصري

١٢٨٠.	نافذة الجنون، علي أبي الريش، مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠٠٩.	إماراتي
١٢٨١.	ناقة الله، إبراهيم الكوني، دار سؤال، بيروت، ٢٠١٥.	ليبي
١٢٨٢.	نباح، عبده خال، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٤.	سعودي
١٢٨٣.	النباشون، سوسن جميل حسن، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٢.	سورية
١٢٨٤.	نبض، أدهم الشرقاوي، دار كلمات للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٥.	فلسطيني
١٢٨٥.	النبطي، يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.	مصري
١٢٨٦.	النبع المر، أبو بكر خالد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.	سوداني
١٢٨٧.	نبيذ أحمر، أمينة زيدان، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصرية
١٢٨٨.	نجمة في التراب، غازي العبادي، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨.	عراقي
١٢٨٩.	نحيب الرافدين، عبد الرحمن مجيد الربيعي، دار نقوش عربية، تونس، ٢٠١١.	عراقي
١٢٩٠.	النخاس، صلاح الدين بوجاه، عيون المعاصرة - دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠١.	تونسي
١٢٩١.	نخب الحياة، آمال مختار، دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٥.	تونسية
١٢٩٢.	النخلة والجيران، غائب طعمه فرمان، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٩.	عراقي
١٢٩٣.	النداهة، يوسف إدريس، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٠.	مصري
١٢٩٤.	ندبة الهلالي، عبد الرزاق بوكبة، منشورات ANEP، الجزائر، ٢٠١٣.	جزائري
١٢٩٥.	نزل المساكين، الطاهر بن جلون، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠.	مغربي
١٢٩٦.	نزوح مريم، محمود حسن الجاسم، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٥.	سوري
١٢٩٧.	النزول إلى البحر، جميل عطية إبراهيم، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٦.	مصري
١٢٩٨.	نساء الريح، رزان نعيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠.	ليبية
١٢٩٩.	نساء بأقفال، هيفاء بيطار، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.	سورية
١٣٠٠.	نساء على أجنحة الحلم، فاطمة المرنيسي، ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل، نشر الفنك – المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨.	مغربية
١٣٠١.	نساء عند خط الاستواء، زينب حفني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.	سعودية
١٣٠٢.	نسر بجناح وحيد، هيفاء بيطار، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.	سورية

١٣٠٣.	نسكافيه مع الشريف الرضي، ميادة خليل، منشورات المتوسط، ميلانو، ٢٠١٦.	عراقية
١٣٠٤.	نص هجره أبطاله، دينا عبد السلام، بيت الياسمين، القاهرة، ٢٠١٢.	مصرية
١٣٠٥.	النظارة السوداء، إحسان عبد القدوس، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٦.	مصري
١٣٠٦.	النعنع البري، أنيسة عبود، دار السوسن للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.	سورية
١٣٠٧.	نقطة النور، بهاء طاهر، دار الشروق، ٢٠٠٩.	مصري
١٣٠٨.	نكهة أنثى محرمة، محمد المزيني، دار الكفاح، الدمام، ٢٠٠٩.	سعودي
١٣٠٩.	النمروذ، أحمد صلاح سابق، دار كيان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٣١٠.	النمل الأبيض، عبد الوهاب الأسواني، الهلال، القاهرة، ١٩٩٨.	مصري
١٣١١.	نهاران، لطيفة حليمة، دار فكر، الرباط، ٢٠١٢.	مغربية
١٣١٢.	النهايات، عبد الرحمن منيف، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٦.	سعودي
١٣١٣.	نهاية سري الخطير، زكية خيرهم، دار زاوية للفن والثقافة، الرباط، ٢٠٠٨.	مغربية
١٣١٤.	نهر الصبايا، سمية البوغافرية، دار الوطن، الرباط، ٢٠١٤.	مغربية
١٣١٥.	نهر بلا شطآن، إبراهيم خريط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.	سوري
١٣١٦.	نوة الكرم، نجوى شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصرية
١٣١٧.	نور عبد المجيد، أحلام ممنوعة، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.	سعودية
١٣١٨.	نوستالجيا، أسامة الشاذلي، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٣١٩.	نوكيا، باسم سليمان، ليليت للنشر والتوزيع – أرواد للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية – طرطوس، ٢٠١٤.	سوري
١٣٢٠.	النول، محمد ديب، ترجمة: سامي الدروبي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٠.	جزائري
١٣٢١.	نوم الديك، حافظ محفوظ، دار مومنت كتب رقمية، لندن، ٢٠١٤.	تونسي
١٣٢٢.	النوم مع الغرباء، بهاء عبد المجيد، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٥.	مصري
١٣٢٣.	نوم وشمس وثرثرة، يحيى زكي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧١.	مصري
١٣٢٤.	نوميديا، طارق بكاري، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٥.	مغربي
١٣٢٥.	نيكروفيليا، شيرين هانئ، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.	مصرية
١٣٢٦.	نيويورك ٨٠، يوسف إدريس، الأعمال الكاملة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.	مصري
١٣٢٧.	هاتف المغيب، جمال الغيطاني، روايات الهلال، القاهرة، ١٩٩٢.	مصري
١٣٢٨.	هاتف من الأندلس، علي الجارم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.	مصري

١٣٢٩.	الهالة المقدسة، حنان لاشين، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ٢٠١٦،	مصرية
١٣٣٠.	الهاوية، سالمة صالح، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠١٣.	عراقية
١٣٣١.	هدوء القتلة، طارق إمام، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧.	مصري
١٣٣٢.	هذه تخوم مملكتين أحمد إبراهيم الفقيه، رياض الريس، بيروت – لندن، ١٩٩١.	ليبي
١٣٣٣.	هذه وأموت، فتحي أبو الفضل، مكتبة المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.	مصري
١٣٣٤.	هراء متاهة قوطية، في "ما يعرفه.. أمين!!"، مصطفى ذكري، الهيئة المصرية العمة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٣٣٥.	هروب الطائر الأبيض، رمسيس لبيب، مكتبة الثقافة الجديدة، الإسكندرية، ١٩٧٦.	مصري
١٣٣٦.	هروب الموناليزا، بلقيس حميد حسن، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٣.	عراقية
١٣٣٧.	الهروب إلى العاصفة، إيهاب عويص، دار رواية، الرياض، ٢٠١٣.	فلسطيني
١٣٣٨.	الهروب إلى اليابسة، محمد نعيم الحمراني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢.	عراقي
١٣٣٩.	هسيس اليمام، سعد سعيد، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٥.	عراقي
١٣٤٠.	هكذا تكلمت الأحجار، سمير عبد الباقي، منشورات المركز المصري السمعبصري، القاهرة، ١٩٧٩.	مصري
١٣٤١.	هكذا خُلقت، محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري
١٣٤٢.	هل تسمح لي أن أحبك؟، زينب البحراني، مؤسسة الدوسري للثقافة والإبداع، البحرين، ٢٠١٣.	سعودية
١٣٤٣.	الهلالية، محمد جلال، كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٩٦.	مصري
١٣٤٤.	هلوسات ترشيش، حسونة المصباحي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٥.	تونسي
١٣٤٥.	هند والعسكر، بدرية البشر، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.	سعودية
١٣٤٦.	هورجادا، رأفت الميهي، دار البستاني للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
١٣٤٧.	هوس، رانيا السعد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١.	كويتية
١٣٤٨.	هياج الإوز، سليم بركات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠.	سوري
١٣٤٩.	هيبتا، محمد صادق، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	مصري

١٣٥٠.	وا إسلاماه، علي أحمد باكثير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٤٥.	مصري
١٣٥١.	الواجهة، يوسف عز الدين عيسى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
١٣٥٢.	الواد والعم، مفيد النويصر، الدار الغربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧.	سعودي
١٣٥٣.	وارتعش القلب عشقا، عباس أرناؤوط، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١١.	أردني
١٣٥٤.	الوارثون، خليل حسن خليل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨.	مصري
١٣٥٥.	الوارفة، أميمة الخميس، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٨.	سعودية
١٣٥٦.	الواطي، محمد غزلان، دار أكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
١٣٥٧.	وإن طال السفر، أحمد عمر شاهين، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧.	فلسطيني
١٣٥٨.	الوباء، هاني الراهب، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.	سوري
١٣٥٩.	وبر الاحصنة، نجوى بن شتوان، منشورات مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.	ليبية
١٣٦٠.	وبعدنا الطوفان، سليمان فياض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.	مصري
١٣٦١.	وبيننا أنثى، رنده العماني، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣.	سعودية
١٣٦٢.	الوجه المكسور، ابتسام شاكوش، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩.	سورية
١٣٦٣.	وجهان لجثة واحدة، الأزهر الصحراوي، منشورات النايا، دمشق، ٢٠٠٧.	تونسي
١٣٦٤.	وجهان لعنقاء واحدة، عبد الكريم ناصيف، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.	سوري
١٣٦٥.	وجهة البوصة، نورة الغامدي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٢.	سعودية
١٣٦٦.	وجوه، محمد شكري، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠.	مغربي
١٣٦٧.	وحدها شجرة الزيتون، سنان أنطون، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٣.	عراقي
١٣٦٨.	الوداع أيتها السماء، حامد عبد الصمد، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
١٣٦٩.	وداع ولقاء في بلاد الشام، ناديا خوست، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.	سورية
١٣٧٠.	وداعا يا ماردين، هنرييت عبودي، دار الفرات – دار بترا، بيروت – دمشق، ٢٠٠٩.	سورية
١٣٧١.	وراء السراب.. قليلا، إبراهيم درغوثي، دار الإتحاف للنشر، تونس، ٢٠٠٢.	تونسي

١٣٧٢.	وراء الفردوس، منصورة عز الدين، دار العين، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصرية
١٣٧٣.	ورد النيل، محمد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥.	مصري
١٣٧٤.	وردة الفجر، سيد التوي، دار زينب، تونس، ٢٠١٥.	تونسي
١٣٧٥.	وردة، صنع الله إبراهيم، المستقبل العربي، القاهرة، ٢٠٠٠.	مصري
١٣٧٦.	وردية ليل، إبراهيم أصلان، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩١.	مصري
١٣٧٧.	الوزر، حبيبة المحرزي، الأطلسية للنشر، تونس، ٢٠٠٠.	تونسية
١٣٧٨.	الوسادة الخالية، إحسان عبد القدوس، دار القلم، القاهرة، ١٩٧٠.	مصري
١٣٧٩.	وصف البلبل، سلوى بكر، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣.	مصرية
١٣٨٠.	الوطن ليس هنا، مراد الضفري، مطبعة سوماكرام، الدار البيضاء، ٢٠١٤.	مغربي
١٣٨١.	الوفاة الثانية لرجل الساعات، نورا أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.	مصرية
١٣٨٢.	وقالت لي، دعاء عبد الرحمن، عصير الكتب، القاهرة، ٢٠١٦.	مصرية
١٣٨٣.	وقائع استشهاد إسماعيل النوحي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٧.	مصري
١٣٨٤.	الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل، أميل حبيبي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٨.	فلسطيني
١٣٨٥.	وقائع حارة الزعفراني، جمال الغيطاني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.	مصري
١٣٨٦.	الوقت الضيق، وجيه الشربتلي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦.	مصري
١٣٨٧.	وكالة عطية، خيري شلبي، دار الأحمدي للنشر، القاهرة، ١٩٩٩.	مصري
١٣٨٨.	وكان فرعون طيبا، حسن كمال، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣.	مصري
١٣٨٩.	وليمة لأعشاب البحر، حيدر حيدر، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٨.	سوري
١٣٩٠.	الوليمة، عبد الفتاح رزق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.	مصري
١٣٩١.	ونسة، سامية بكري، دار روافد، القاهرة، ٢٠١٤.	مصرية
١٣٩٢.	ونصيبي من الأفق، عبد القادر بن الشيخ، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٨٤.	تونسي
١٣٩٣.	ويبقى الرماد يحترق، سهير عبد الله رخامية، دار غراب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.	سورية
١٣٩٤.	ويزهر القندول، عوض سعود عوض، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.	فلسطيني

١٣٩٥.	يا ابنتي لا تحيريني معك، إحسان عبد القدوس، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨١.	مصري
١٣٩٦.	يا سلام، نجوى بركات، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٩.	لبنانية
١٣٩٧.	يا صاحبي السجن، أيمن العتوم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣.	أردني
١٣٩٨.	يا كوكتي، جنان جاسم حلاوي، رياض الريس، لندن – قبرص، ١٩٩١.	عراقي
١٣٩٩.	ئاسوّس، محي الدين زنكنه، منشورات ئاراس، أربيل، ٢٠٠٤.	عراقي
١٤٠٠.	يافا: حكاية غياب ومطر، نبال قندس، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٤.	فلسطينية
١٤٠١.	يالو، إلياس خوري، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.	لبناني
١٤٠٢.	اليتيم، عبد الله العروي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٧٨.	مغربي
١٤٠٣.	يحدث الآن في مصر، يوسف القعيد، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٦.	مصري
١٤٠٤.	يحدث أمس، إسماعيل فهد إسماعيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.	كويتي
١٤٠٥.	يحدث في بغداد، رسول محمد رسول، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٤.	عراقي
١٤٠٦.	يسمعون حسيسها، أيمن العتوم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣.	أردني
١٤٠٧.	يموتون غرباء، محمد عبد الولي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨.	يمني
١٤٠٨.	الينابيع، عبد الله خليفة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢.	بحريني
١٤٠٩.	اليهودي الحالي، علي المقري، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩.	يمني
١٤١٠.	يوتوبيا، أحمد خالد توفيق، ميريت، القاهرة، ٢٠٠٨.	مصري
١٤١١.	يوسف الإنجليزي، ربيع جابر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩.	لبناني
١٤١٢.	يوسف يا مريم، يامي أحمد، دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.	فلسطيني
١٤١٣.	اليوم الأخير لبائع الحمام، عبد العزيز الصقعبي، أثر للنشر والتوزيع، الدمام، ٢٠١٢.	سعودي
١٤١٤.	اليوم التالي لأمس، وليد الرجيب، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩.	كويتي
١٤١٥.	يوم التقينا.. يوم افترقنا، خالد الشيخ، دار الكفاح، الدمام، ١٤٣٠.	سعودي
١٤١٦.	يوم الدين، رشا الأمير، دار الجديد، بيروت، ٢٠١٠.	لبنانية
١٤١٧.	اليوم السادس، أندريه شديد، ترجمة: حمادة إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.	مصرية

١٤١٨.	يوميات امرأة مشعة، نعمات البحيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.	مصرية
١٤١٩.	يوميات سراب عفان، جبرا إبراهيم جبرا، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢.	فلسطيني
١٤٢٠.	يوميات ضابط في الأرياف، حمدي البطران، روايات الهلال، القاهرة، ١٩٩٨.	مصري
١٤٢١.	يوميات طفل قديم، غائب طعمه فرمان، دار الحضارة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥.	عراقي
١٤٢٢.	يوميات فتاة عراقية تقاوم العنوسة، كلشان البياتي، جداول للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١.	عراقية
١٤٢٣.	يوميات مطلقة، هيفاء بيطار، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ٢٠٠٧.	سورية
١٤٢٤.	يومية هروب، خيري عبد الجواد، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ١٩٩٩.	مصري

مراجع الدراسة

(أ) المراجع العربية :

(١) إبراهيم العريس، من الرواية إلى الشاشة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٥.

(٢) أحمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤.

(٣) أحمد عكاشة، آفاق في الإبداع الفني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٩.

(٤) أخبار الأدب العدد ٤٢٦ الأحد ١٠ ديسمبر ٢٠١٣ .

(٥) أمين سلامة، معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٥، ١٦ .

(٦) بشرى الساعدي، شريعة قتل الأخوان وأثرها في نظام حكم آل عثمان: ١٥٢٠ – ١٦١٧ (بحث)، الجامعة المستنصرية ببغداد، مجلة كلية الآداب، العدد الثاني، ديسمبر، ٢٠١١.

(٧) بهاء الدين محمد مزيد، النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ٢٠٠٧، ص ١٩٨.

(٨) بهاء الدين نوار، العجائبية في الرواية العربية المعاصرة: مقاربة موضوعاتية تحليلية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٣.

(٩) جريدة الإتحاد الإماراتية، ١٢ أكتوبر ٢٠٠٧.

(١٠) جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة (رسالة دكتوراه)، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ١٢١.

(١١) جورج طرابيشي، أنثى ضد الأنوثة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥.

(١٢) جورج طرابيشي، عقدة أوديب في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢.

(١٣) حامد صدقي وآخرون، صورة المدينة في رواية "أصابعنا التي تحترق" في ضوء نظرية يتوبيا لجورج ولز"، فصلية "إضاءات نقدية"، السنة الرابعة، العدد ١٤، يونيو ٢٠١٤ ، ص ٩.

(١٤) حسن نعمة، موسوعة الأديان السماوية والوضعية: (١) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤، ص ٤٠، ٤١.

(١٥) حسين الحاج حسن، "النقد الأدبي في آثار أعلامه"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦، ص ٦١.

(١٦) حسين حمودة، الرواية والمدينة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٨٧.

(١٧) حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٥٠.

(١٨) حمدي سكوت، الرواية العربية: ببليوجرافيا ومدخل نقدي، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ٢٠٠٠.

(١٩) سعاد الطويل، الرواية النسائية العربية وخطاب الذات (بحث)، مجلة المخبر، العدد ٦ (٢٠١٠)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص ١٤.

(٢٠) سلت روز الأشقر، الابن البكر، وجه مميز، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٧، ص ٨.

(٢١) سليمان مظهر، أساطير من الغرب، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٥٤.

(٢٢) سمية الشوابكة، المكان في أعمال محمد جبريل الروائية (بحث)، "عود الند"، مجلة إليكترونية، العدد ٤٦، إبريل ٢٠١٠.

(٢٣) السيد فضل، الإنسان والشيطان في الأدب المسرحي العاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ٢٦.

(٢٤) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، الشروق، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٢١٦.

(٢٥) الشريف حبيلة، عنف المتطرف ضد الآخر المختلف في الرواية الجزائرية (بحث)، المركز الجامعي العربي بتبسة، قسم اللغة العربية وآدابها – الجزائر والذي عُرض في مؤتمر فيلادلفيا الثالث عشر بالأردن (ثقافة الحب والكراهية)، أكتوبر ٢٠٠٨.

(٢٦) شوقي ضيف، دار المعارف (سلسلة اقرأ)، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٩.

(٢٧) صحيفة العرب اللندنية، العدد ٩٥٧٩ بتاريخ ٤ يونيو ٢٠١٤، ص ١٥.

(٢٨) صلاح المختار، متلازمة أمريكا، إي كتب، لندن، ٢٠١٦.

(٢٩) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٣.

(٣٠) طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٢، ص ١٥٦.

(٣١) عادل صادق، الغيرة القاتلة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١١٩.

(٣٢) عبد الرحمن بدوي، نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥.

(٣٣) عبد العلي الجسماني، أشهر الروايات الدرامية العالمية ودوافعها النفسية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠.

(٣٤) عبد الله إبراهيم، الرواية العربية وتفكيك الخطاب الاستعماري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص ١٧٢.

(٣٥) عبد المعطي شعرواي، أساطير إغريقية (ج ٢)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٨٦.

(٣٦) عبد المنعم الحفني، الموسوعة النفسية الجنسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٧٣، ٢١٠، ٤٩٢.

(٣٧) عبد المنعم الحفني، موسوعة عالم علم النفس، دار نوبليس، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٩.

(٣٨) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ١٩٦، ص ٥.

(٣٩) عصام بهيّ، الاتجاه النفسي في دراسة الأدب ونقده، مجلة فصول، المجلد ٩، العدد ٣ و ٤، ص ١٣٣.

(٤٠) غدير رضوان، المرأة في روايات سحر خليفة، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٦، ص ٤٣.

(٤١) فادية المليح، المرأة في رواية قمر كيلاني، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢١، العددان الأول والثاني، ٢٠٠٥، ص ٥٣.

(٤٢) فاروق عبد القادر، في الرواية العربية المعاصرة، كتاب الهلال، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٠.

(٤٣) فاطمة بدر، تحولات السرد في روايات ما بعد الحداثة (بحث)، مجلة الأكاديمي، عدد ٤٦، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ص ٩٨، ٩٩.

(٤٤) فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث – منطلقات وتطبيقات، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص ١٧٧.

(٤٥) لطفي الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريب العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ٢٠٠٢.

(٤٦) لؤي خليل، المقدس والخيال الروائي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٤، العدد ١، ٢، ٢٠٠٨.

(٤٧) ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٤٢.

(٤٨) محمد المهدي، علم النفس السياسي: رؤية مصرية عربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧، ص ٣٢٠.

(٤٩) محمد برادة، الذات في السرد الروائي"، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص ٦٧.

(٥٠) محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة (١٤٣)، الكويت، ١٩٨٩، ص ١١٦.

(٥١) محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٤٧٨.

(٥٢) محمد سمير عبد السلام، فضاءات جمالية وكونية، قراءة في الرواية المصرية المعاصرة، دار المعرفة للطباعة، المنيا، ٢٠١٠. ص ١٩.

(٥٣) محمد صلاح الدين، الدين والعقيدة في السينما المصرية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٨٠.

(٥٤) محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، الشروق، ١٩٨٣، ص ٣١٨.

(٥٥) محمد مندور "الأدب ومذاهبه"، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٤٤، ١٤٥

(٥٦) محمود أمين العالم، البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة، دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٧١.

(٥٧) مرفت عبد الناصر، هموم المرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٥٩.

(٥٨) مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي – سيكلوجية الإنسان المقهور، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٢٩.

(٥٩) مصطفى عبد الغني، الاتجاه الإنساني في الرواية العربية، مركز الرياض للمعلومات والدراسات الاستشارية، الرياض، ٢٠٠٦، ص ١٤٣.

(٦٠) مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، عالم المعرفة (العدد ١٨٨)، الكويت، ١٩٩٤، ص ١٩٨.

(٦١) مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، (رسالة دكتوراه)، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦، ص ١٣.

(٦٢) مكرم شاكر إسكندر، أدباء منتحرون، دار الراتب الجامعية – سوفنير، بيروت، ١٩٩٢.

(٦٣) نازج الأعرجي، أفق التحولات في الرواية العربية (مجموعة مؤلفين)، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٣٢.

(٦٤) ناهد صلاح، الفتوة في السينما المصرية، دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠١٢.

(٦٥) نزيه أبو نضال، التحولات في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٣٨.

(٦٦) نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤. ص ٥٨.

(٦٧) نضال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

(٦٨) واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦. ص ٤٣١.

(٦٩) وليد محمود أبو ندى، القدس في روايات جبرا إبراهيم جبرا: رواية السفينة نموذجا، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، ٢٠١١، ص ٥٦.

(٧٠) يمنى العيد، الرواية العربية: المتخيل وبنيته الفنية، الفارابي، بيروت، ٢٠١١. ص ٢٢٢.

(٧١) يوسف مراد، سيكلوجية الجنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤.

(ب) المراجع المترجمة:

(١) آرثر بيل، الفوبيا، ترجمة: عبد الحكم الخزامي، الدار الأكاديمية للعلوم، القاهرة، ٢٠١١.

(٢) آرثر كورتل، قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٦٩.

(٣) بول روزن، الحريم الفرويدي، ترجمة: ثائر ديب، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٥، ص ١٣.

(٤) جاك أندريه، النزوع الجنسي للأنثوي، ترجمة: اسكندر معصب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٤٩.

(٥) جوردون إكستراند، غضب ميديا وعقدة النساء المهجورات، ترجمة: أثمار عباس، دار نينوى، دمشق، ٢٠١٠، ص ٩ ، ١٠.

(٦) روجيه موكيالي، العقد النفسية، ترجمة: موريس شربل، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ١٩٨٨، ص ٤٤.

(٧) سكيب داين يونج، السينما وعلم النفس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٥.

(٨) سيجموند فرويد، إبليس في التحليل النفسي، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٤.

(٩) صموئيل كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة: نهاد خياط، مطبعة علاء الدين، دمشق، ١٩٩٣، ص ١٣٥.

(١٠) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣٦٥ – ٣٤٥.

(١١) لوك بنوا، إشارات، رموز وأساطير، ترجمة: فايز كم نقش، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٠١.

(ج) المراجع الأجنبية:

(1) A New Classical Dictionary for Schools, London, 1797, P. 376.

(2) E. Rodin, J. D. Key, Encyclopedia of Medical Eponyms Derived from Literary Characters, Melbourne, Fl., Krieger, 1988.

(3) Akbar Ahmed, Islam Today, I B Tauris & Co Ltd; New edition edition (17 July 2009.(

(4) Albert Shanker, "Where We Stand: The Crab Bucket Syndrome". The New York Times, June 19, 1994.

(5) Andrew Mangham, "Buried Alive", Journal of Literature and Science, Volume 3, No. 1 (2010), P. 10, 13, 14.

(6) Andrew Stevenson, Cultural Issues in Psychology, Routledge, New York, 2010, P 136.

(7) Campbell's Psychiatric Dictionary, OUP, 2004.

(8) Carl Figlio, Psychoanalysis Science and Masculinity, Brunner Routledge, Philadelphia, 2001, p. 166.

(9) Colette Dowling, **The Cinderella complex. Women's hidden fear of independence,** New York, Summit Books, 1981.

(10) Colin Davis, "From psychopathology to diabolical evil: Dr Jekyll, Mr Hyde and Jean Renoir", Journal of Romance Studies, 2012, 12 (1): 10.

(11) Deirdre Van Dyk, "Parlez- Vous Twixter" Times, 21st March, 2005.

(12) Donnelly, J. 1953 Incest, ingratitude and insanity: aspects of the psychopathology of King Lear Psychoanal. Rev. 40 149-155.

(13) Edson José Amâncio, Dostoevsky and Stendhal's Syndrome, Arq Neuropsiquiatr 2005;63(4):1099-1103.

(14) Elliot Weiner, The Ostrich Complex: A Personalized Plan of Action for Overcoming the Fears That Hold You Back, Warmer Books, New York,1987 .

(15) Ernest Henry Shackleton, South: The Endurance Expedition, Penguin Classics, London, 1914, P. 204.

(16) G. Dwayne Fuselier, "Placing the Stockholm Syndrome in Perspective", FBI Law Enforcement Bulletin, July 1999, 22–25.

(17) Gary Greenberg, The Pop- Up Book of Phobias, Rob Weisbach Books, New York, 1999.

(18) Glenn W Most, Doubting Thomas, Harvard University Press, 2009.

(19) Hans Biedermann, Dictionary of Symbolism: Cultural Icons and the Meanings behind them, Translated by: James Hulbert. Facts on File, New York – Oxford, 1989, P. 231.

(20) Harrison Pope & et al, The Secret Crisis of Male Body Obsession, Simon and Schuster, New York, 2000, P. 60 .

(21) Holbrook Jackson, The Fear of Books, University of Illinois Press, 1932.

(22) http://harvardmagazine.com/2001/09/hypochondria-of-the-hear.html

(23) http://www.dailymail.co.uk/news/article-2566272/The-1-2million-dads-doubt-child-theirs-One-six-men-North-East-uncertain-babys-paternity.html

(24) Interview with Patty Hearst – Transcript". Larry King Live. CNN. January 22, 2002

(25) Jean Reboul-Lachaux: L'illusion des "sosies" dans un délire systématisé chronique, Bulletin de la Société clinique de médecine mentale, 1923, 11: 6-16.

(26) Jeff Heinrich, "Sex Tourism in Full Boom", Ottawa Citizen, Ontario- Canada, 8th of January- 2007.

(27) John G. Robertson, An Excess of Phobias and Manias, Senior Scribe Publications, Los Angeles, 2003.

(28) K. Dewhurst entitled "The Othello Syndrome: a study in the psychopathology of sexual jealousy" (Journal of Nervous and Mental Disorder, 1955, 122: 367(

(29) Kuehn, John L. & Burton, John: Management of the College Student with Homicidal Impulses—The "Whitman Syndrome", in The American Journal of Psychiatry, May 1969,Vol. 125, No. 11. (pp. 1594 - 1599.(

(30) Leonard Zusne, Eponyms in Psychology, Greenwood, Connecticut, 1987 .

(31) Lisa Armstrong, "Age- Old Dilemmas", The Times, London, 18th of July – 2007.

(32) Marina Warner, "When Godiva streaked and Tom peeped", The Times, 10 July 1982.

(33) Martin H. Manser, Dictionary of Allusions, Facts – on – File, New York, 2009, P. 92.

(34) Maud Ellmann (editor), Psychoanalytic Literary Criticism, Longman, London, 1994, p.

(35) Moore, N. E., Toward a Clarification of the Concept of Narcissism, The Psychology Study of the Child, Vol. 30, 1975, pp. 243 – 276.

(36) Oxford Dictionary of Psychology, OUP, 2008

(37) Pascale – Anne Brault, "Playing the Cassandra", in "Bound by the City: Greek Tragedy, Sex Difference and the Formation of the Polis, (ed.) Charles Shepherdson, State Univ. of New York Press, Albany, 2009, P. 198.

(38) Peter Ackroyd, Visions from an Addiction to Fiction, The Times, London, 20th March, 2002.

(39) Philippa Waring, The Dictionary of Omens and Superstitions, Souvenir Press, London, 1984. P. 153.

(40) Plato's Symposium, Arnhem, P.Gouda Quint, 1887.

(41) R. Asher, Munchausen's syndrome, Lancet, London, 1951, I: 339-341

(42) Raymond J. Corsini, The Dictionary of Psychology, Routledge, New York, 2002, P. 263.

(43) Richard A. Kasschau, Understanding Psychology, Glencoe/McGraw, Ohio, 2003, P. 136.

(44) Robert E. Bell (1991). Women of Classical Mythology: A Biographical Dictionary. California: Oxford University Press. pp. 177–178.

(45) Sue Batolucci et al, Medical Eponyms, Lippincott Williams & Wilkins, Baltimore, 2005, P. 219.

(46) The Cambridge Dictionary of Psychology (ed. David Matsumoto), Cambridge Univ. Press, 2009, p 579.

(47) Viala, A.; H. Ota, M.N. Vacheron, P. Martin, and F. Caroli (2004). "Les Japonais en voyage pathologique à Paris : un modèle original de prise en charge transculturelle", Nervure Supplément 5: 31–34. Retrieved November 4, 2009.

(48) Yair Bar- El, Jerusalem Syndrome, The British Journal of Psychology, Jan. 2000, Vol. 176, Issue 1, 86-90 .

(49) Yan Liu, Oedipus Complex in Literature Works, Journal of Language Teaching and Research, Vol. 2, No. 6, pp. 1420-1424, November 2011 © 2011 Academy Publisher in Finland.

(د) الكتب الأدبية المترجمة:

(١) إرنست هيمنجواي، لمن تقرع الأجراس، ترجمة: خيري حماد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٠، ص ٥٥٩، ٥٦٠.

(٢) إريك ماريا ريمارك، كل شيء هادئ في الميدان الغربي، ترجمة: محمود مسعود، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣١.

(٣) أوسكار وايلد، صورة دوريان جراي، ترجمة: لويس عوض، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة – بيروت – تونس، ٢٠١٤، ص ٣٢.

(٤) تشارلز ديكنز، ترنيمة عيد الميلاد، ترجمة: صبري الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٤.

(٥) جابريل جارسيا ماركيز، مائة عام من العزلة، ترجمة: محمد الحاج خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٥.

(٦) جوستاف فلوبير، مدام بوفاري، ترجمة: محمد مندور، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٥٣.

(٧) جين أوستن، الكبرياء والهوى، ترجمة: أمين سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦. ص ١٦.

(٨) فالدمير نابكوف، لوليتا، (المترجم غير مذكور)، دار أسامة، دمشق، بدون تاريخ، ص ٤٩، ٥٠.

(٩) مارك توين، توم سوير، ترجمة: ماهر نسيم، مكتبة الأنجلو المصرية – دار الجيل، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١١٨.

(١٠) وليم شكسبير، كما تشاء، ترجمة: ج يونس، دار نظير عبود، بيروت، ١٩٨٨، ص ٣١.

(١١) وليم شكسبير، هاملت، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٧٩ – ١٨٠.

(١٢) يوهان جوته، آلام فيرتير، ترجمة: فؤاد\ فريد، المكتبة الحديثة – دار الشرق العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٢٢.

السيرة الذاتية للباحث

د / محمد السيد علي عزب

- أستاذ الأدب الإنجليزي "المنتدب" بكلية التربية، جامعة الإسكندرية وجامعة فاروس.
- الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود وجامعة شقراء.

نشر له :

- الأساس في الترجمة، حورس، الإسكندرية، ٢٠٠٨.
- Brush upon your English، البراء، الإسكندرية، ٢٠٠٨.
- Enhance your English Vocabulary، البراء، الإسكندرية، ٢٠٠٨.
- تأثير المفاهيم الثقافية على دراسة اللغة الثانية مع التركيز على اللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية، البراء، الإسكندرية، ٢٠٠٩.
- من مسرح الحرب: أمهات الرجال، رادا "ترجمة"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة المسرح العالمي، يناير ٢٠١٠.
- روايات محظورة، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٠.
- اللغة الانجليزية كما يتكلمها أهلها، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٠.
- قاموس المجاز المصور للغة الإنجليزية، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٠.
- اضحك وتعلم الإنجليزية، دار الإبداع، الإسكندرية، ٢٠١٠.
- ست مسرحيات تبحث عن ناشر، دار الإبداع، الإسكندرية، ٢٠١٠.
- مختارات من الأدب الأنجلو- أمريكي، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار، ٢٠١٠.
- اللغة العالمية الموحدة: مقومات النجاح وعوامل الفشل، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار، ٢٠١٠.

- صدفة بتجمعنا (رواية)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١١.
- خيوط القدر (رواية)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١١.
- شعراء الجيش الثامن البريطاني، من العلمين إلى أورتونا، ١٩٤٢-١٩٤٥، آرائهم وموقفهم من الحرب (رسالة دكتوراه باللغة الإنجليزية)، لامبرت للنشر الأكاديمي Lambert Academic Publishing، ألمانيا، ٢٠١١.
- الحب عبر أعمدة البرق (رواية للكاتبة الأمريكية إيلا شيفر ثاير)، ترجمة، دار طوي للنشر، بيروت، ٢٠١٢.
- قبر راحيل (رواية)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٢.
- أرحام سماوية (رواية)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٢.
- كيف تُزيد حصيلتك من مفردات اللغة الإنجليزية وتثريها (مع مي موافي)، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٣.
- أمس انتهينا (رواية)، دار مير، الإسكندرية، ٢٠١٣.
- الحياة في البلاط الملكي المصري (للمؤرخ الإنجليزي: ألفريد جاشوا بتلر)، ترجمة (مع مي موافي)، دار ليليت، الإسكندرية، ٢٠١٣.
- بين الحب والحرب (رواية)، دار ليليت، الإسكندرية، ٢٠١٣.
- أقفال العشق (رواية)، دار ليليت، الإسكندرية، ٢٠١٤.
- رحلة حاج إلى مكة (للكاتب الإنجليزي: آرثر ويفل)، ترجمة (مع مي موافي)، دار ليليت، ٢٠١٥.
- عقدة سليمان (رواية)، دار إبداع للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠١٥.
- ذكريات أميرة مصرية (للكاتبة الإنجليزية: إلين شانيل)، ترجمة (مع مي موافي)، المركز القومي للترجمة، القاهرة (تحت الطبع).
- رحلة سناء حسن إلى إسرائيل، (مع إيمان سعيد)، دار ليليت، الإسكندرية (تحت الطبع).